







مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

٤٢

المجلد الأربعون

السنة ١٣٨٨ هـ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

الازهر الشريف



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تَبَيَّنَ عَنْ مَشِيخَتِهَا الزَّهْرُ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
ج ٥٠ في المهرورة العربية المتحدة
٥٠ ضائع الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

1. [The first step in the process of creating a new product is to identify a market need.](#)
 2. [The next step is to develop a prototype of the product.](#)
 3. [The third step is to conduct market research to determine if there is a demand for the product.](#)
 4. [The fourth step is to create a business plan for the product.](#)
 5. [The fifth step is to secure funding for the product.](#)
 6. [The sixth step is to manufacture the product.](#)
 7. [The seventh step is to distribute the product.](#)
 8. [The eighth step is to promote the product.](#)
 9. [The ninth step is to monitor the product's performance.](#)
 10. [The tenth step is to make improvements to the product.](#)

157/150

45227

...

بِقَامِ : أَحْمَدَ حَسَنِ الزَّيَّاتِ

وتعز أنفس ، فأعد العدة وجيش الجيوش
ووقف متأهبا على حدود فلسطين .
وتأدى خبر هذا الزحف إلى القائد الأعظم
صلوات الله عليه فاستنفر القبائل للقائه بكلمة
التوحيد وصدده بسيوف الفتح . وكان الوقت
يومئذ بين أواخر الصيف وأوائل الخريف
فهو قيظ وومد . وكان الناس من لفحات
الحر قد لاذوا بحوائط النخل الباسقات وقد
أوشك طلعها النضيد أن يتم نضجه ، فهي ماء
برود ، وفيه متصل ، ونسيم منعش ، وثمر
دان . وجاءهم النفير إلى غزو الروم وهم على

أقبل العام الهجرى التاسع على المسلمين
فى المدينة وقد فتحت مكة وطهرت الكعبة
وحررت الجزيرة وعمت العقيدة وتمت
الوحدة ، إلا آثارا من الشرك فى نفوس
الاعراب ، وأوكارا للنفاق فى رؤوس بعض
السادة ، وأوشك نور الله أن يستفيض
على إلبوان كسرى من مشارق الحيرة ،
وعلى عرش قيصر من مشارف الشام . هنالك
أوجس فى نفسه خيفة كبير الروم وخشى
أن بشرق ذلك النور الإلهى على ظلام ملكه
الغافل الغافى فتمصر همون وتفق قلوب

أن يحملهم معه . فحمل منهم من حمل . وقال للباقيين : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فسموا لذلك بالبكاكين .

واجتمع لهذا الجيش على كثرة العنت وقلة النفقة ثلاثون ألفاً من المجاهدين الأبرار ليس فيهم زانغ ولا منافق ، حتى عبد الله بن أبي أقبال بوجهه الآخر في جيش من قومه يريد أن يخرج مع جيش الرسول ، فردّه صلوات الله عليه إلى المدينة لضعف الثقة به .

وأمر القائد الأعظم فسار الجحفل الجرار يشير النقع ويزحف بالحصى ويرمى بسقاة الحتوف الفياقي القفر مع اللغب والسغب والظلم حتى بلغ بهم تبوك .

وكان الروم قد علموا بخروج المسلمين إليهم في هذا العدد وتلك العدة فتفرقوا في مسارب الشام ناجين بأنفسهم ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وعاد الرسول إلى المدينة بعد ما أخذ اليهود وأمن الحدود وساق إليه ابن الوليد من دومة ماساق من إبل وشاء ودروع وبر .

وتلقاه المتخلفون بالندم المصطنع والاعتذار المكاذب فترك الله حسابهم ، إلا ثلاثة اعترفوا بالتخلف من غير عذر ، وأقروا بالذنب من غير ضرورة ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال ابن أمية . فرأى الرسول الكريم أن فيهم

هذه الحال من الإخلاد إلى النعيم والنزوع إلى السكينة ... ولم يكونوا جميعاً قد دخلوا في دين الله عن إيمان وإثار ، كما دخل فيه المهاجرون والأنصار ؛ وإنما كان فيهم من دخله وفي نفسه حاجة وفي قلبه مرض . فلما قيل لهم : انفروا في سبيل الله أبطأت بهم النيات ، وجرت على ألسنتهم الأعذار ، فقال قوم لا تنفروا في الحر ، وقد علموا أن العدو على الحدود . وبلغ الاستتار برجل من بني سلمة أن قال للرسول الكريم وقد سأله : هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ : يا رسول الله إنئذ لي ولا تفتنى . فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني . ولما لاخشي إن رأيت نساء الروم ألا أصبر !

وشق على بعضهم أن يدع الظل والماء والنثر والمال والأهل إلى سفر بعيد وعدو شديد وصحراء محرقة . واهتبل المنافقون هذه الفرصة فاجتمعوا في بيت سويلم اليهودي يخذلون الناس ويدعون إلى التخلف . فأرسل الرسول إليهم من حرق ذلك البيت عليهم . ففشعوا وسكنت من بينهم عقارب عبد الله ابن أبي ، وخفقت أصوات المخذلين والمعذرين والمترددن وأقبل جنود الله وحماة الدعوة يجهزون جيش العسرة بأموالهم وأموال الاقبياء من الأغنياء حتى لم يبق إلا الذين يطوون صدورهم على التقوى ، ويقبضون أيديهم على الفاقة . فجاءوا الرسول يريدون

الصادقون الأظهار فهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فرسموا الطريق وعينوا الغاية وجعلوا من المؤتمرات الأربعة دليلاً على الجماعة ، وسبيلاً إلى الوحدة ، وقائداً إلى النصر . وأما البكاءون فهم عرب فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من أموالهم بغير رحمة ، وقضى في مصيرهم بغير عدل ، وتركهم الضمير العالمي المثوف يعيشون عشرين سنة في المضارب والملاجئ عيش الحرمان وهم ينظرون إلى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، وإلى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لأنفسهم إلا عبرات تتحدر ، وزفرات تنصعد !

من أجل هؤلاء قامت الثورة ، ومن أجل هؤلاء حقت الوحدة ، ومن أجل هؤلاء دعا عبد الناصر ملوك العرب رؤساءهم ليحلوا ما بينهم من العقد ، ويمضوا أمرهم بالاتفاق في خطر إسرائيل ، قبل أن يأتي يوم يقولون فيه : « لقد أكلنا يوم أكل الثور الأبيض » ، فلبوا الدعوة وصفوا الكدورة وجمعوا الكلمة ووحّدوا الخطة وبدأوا العمل . ولكن الله امتحن العواصم العربية بالخلاف بينها وبين (يون) الألمانية على إهدائها السلاح إلى إسرائيل ، فأطبق ساستها على موقف العداء منها تنفيذاً لما أجمع عليه مؤتمر القمة إلا ثلاثة كشلاثة تبوك خرقوا الإجماع

استصلاًحاً فأمر المسلمين فأعرضوا عنهم خمسين يوماً لا يكلمهم أحد ، ولا يصل بينهم وبين مسلم سبب ، حتى تساقطت نفوسهم من الأسف ، وانقبضت صدورهم من الكرب ، وباتوا الليالي نادمين سامدين يتجرعون العذاب في سبيل المغفرة ؛ حتى أن أحدهم شدد نفسه إلى عمود المسجد وأقسم ألا يحل حتى يتوب الله عليه . ثم أدركتهم الرحمة من قابل التوب وغافر الذنب فأُنزل فيهم قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » .

ثم دار الزمان ودار معه الإنسان فلم يختلف ابن الفلك ، ولم يتغير ابن آدم !! الناس نسخ مصورة ، والتاريخ صحف مكررة . فالروم بالأمس في تبوك هم الصهاينة اليوم في فلسطين ، وجيش العسرة الذي أزهق تجهيزه الرسول هو الجيش الموحد الذي حاول تأليفه مؤتمر القمة الأول ، والماء والظل والثمر التي كانت تغرى المترفين بالقعود ، هي الدرهم والدينار والنعمة التي تغرى الوادعين بالسلم ، والمنساقون والمعذرون والمتخلفون الذين شاقوا الله ورسوله نجد صورهم اليوم في وجوه الرجعيين والانتهازيين من الذين يظهرون الوفاق ويضمرون الشقاق فالسنهم جميع وقلوبهم شتى ، أما المجاهدون

الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى ، ولما انطمست في أذهاننا معانيها الجامعة التي تضمنت هلى وجازتها مقومات الجهاد وموجبات الغلب من الثبات فى الحرب والمصاولة للعدو والاستعداد بالسلاح والإيمان بالله .

* * *

يا قوم : إن الرجوع إلى الله رجوع إلى طريقه الذى نأمن عليه الضلال ، وإلى حبله الذى نأمن به الفرقة ، وإلى عون الذى نأمن معه الفشل ، وإن (التغيير) الذى نريده اليوم جميعا فى السياسة والإدارة والخطبة بعد أن كشفت النسكسة عن النقص ودلت على الفساد لن يؤتى ثمره إلا إذا جرى على مقتضى السنة التى بينها الله جل وعلا فى قوله : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، فإن تغيير ما بنا هو الجهاد الأصغر ، وإن تغيير ما بأنفسنا هو الجهاد الأكبر ، ولا سبيل إلى قهر العدو المتربص على الحدود إلا بقهر العدو المتمكن فى النفوس ، وإن إخوان النسب والعقيدة متى سرت فى أعصابهم روح الله وصفت فى عروقهم دماء العروبة لا يوليهام عن قبلتهم طمع ، ولا يصرفهم عن إخوانهم خوف ، وصيحمولون كبراهم على أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ويعودوا إلى الصب بالاستقامة ويومئذ يمشى الجيش المحمدى كله عظيم إلى النصر وينطلق الشعب العربى كله سليما إلى الوحدة ؟

أصغر من الزبات

وشعبوا الرأى ونقضوا العهد ، ثم ابتلاهم ربهم أشد الابتلاء بتواطؤ الصهيونية والأمريكىة فى حرب يونيو من العام الماضى وكان الإيمان قد ضعف فى النفوس ، والجهاد قد مات فى العزائم ، والإيثار قد فنى فى المطامع ، والتخاذل قد فشا بين الأخوة ، والتحاسد قد دب بين السادة ، والخور والعرف قد غلبا على القادة ، حتى سمعنا أن بعضهم ترك جنوده يصارعون النار والدمار فى قفار سيناء ونجا بنفسه ليلا إلى المدينة ليلوذ من مكاره الجهاد بركن وثير من أركان أحد الملاحى ! ولو كان هذا المترف الرعديد وأشباهه مؤمنين لعلوا أن الإسلام يأمر بالشبات ويهى عن الاستئثار أو الفرار إلا للخدمة أو نجدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله » ، « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلا » .

لذلك حقت الهزيمة وجفر العدو وراب المصير وغامت السحاب السوداء على هلال هذا المحرم فى سماء بيت المقدس حتى كاد دجاها يحجب مشارق الوحي ويخفى معالم العروبة ، ولو بقينا على إيمان الفاتحين الأولين لما تصدعت فى نفوسنا أركان النصر الأربعة التى أمرنا بها الله فى كتابه المحكم الخالد ، وهى

”الواو“ التي قيل إنها زائدة وليست كذلك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن ستاج

أبيات من الشعر ، وبعض آيات من القرآن الكريم ، ثم بسطنا أقوال المفسرين في الآيات القرآنية ، التي اعتمدوا عليها في القول بجواز زيادة هذه الواو ، وبيننا وجهات أنظارهم ، واختلاف مسلكهم في الاحتجاج بهذه الآيات . وقد عقبنا على ذلك كله بمارأينا أنه القول الحق ، وبيننا أن الواو في القول الحق لا تكون زائدة ، وإنما هي دائما أصلية ، وأنها في أصلاتها هي التي يتجلى بها المعنى الصحيح ، لما أوردوه من الشعر ، ويستقيم بها الوجه السديد في تفسير ما استندوا إليه من آيات الكتاب العزيز ، والله المستعان .

(مذاهب النحاة)

اختلف النحاة في الواو ، هل تقع زائدة في القرآن الكريم أو في كلام محتج به من كلام العرب ؟ .

فقال د الكوفيون والاختفش ، أنها قد تقع زائدة ، وجعلوا من ذلك ما جاء في آيات من الكتاب العزيز ، وكذلك ما أوردوه في بعض أبيات من كلام شعراء .

فن الآيات القرآنية :

(١) قوله تعالى : فلبا أسلما وتله للجبين

الرأى في الواو التي قيل إنها زائدة ، ليس على النحو الذي قدمناه في بحث : د لا التي قيل إنها زائدة وليست كذلك ، فإننا في ذلك البحث لم نمنع أن تقع د لا ، - في القرآن الكريم . أو في غيره من فصيح الكلام زائدة لتحقيق فائدة . وذلك مثل د لا ، الثانية ، في قوله تعالى : د فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، وإنما الذي منعه ، هو زيادتها في تلك المواطن الخاصة التي قال بعض العلماء أنها فيها زائدة .

أما الواو التي هي موضوع بحثنا هذا ، فإن الرأي فيها - كما سيتبين ذلك بتفصيل فيما يأتي - أنها لا تكون في حال من الأحوال زائدة لا في الكتاب العزيز ، ولا في شيء من الكلام العربي الفصيح .

وقد نهنا في هذا البحث إلى أن مسألة زيادة الواو في الفصيح من الكلام قد جرى فيها خلاف بين العلماء : اختلف فيها النحاة البصريون والكوفيون ، وكذلك اختلف فيها المفسرون القدامى والمحدثون .

عرضنا أولا مذاهب النحاة ، وأوردنا ما استند إليه أصحاب مذهب الزيادة ، من

وناديتاه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، وقد قال بعض المحققين : إن هذا الوجه الثاني هو رأى الفراء ، أى أن جواب

« لما » هو « أوحينا إليه » - بعد إسقاط الواو الزائدة ، وأنه جعل ذلك نظير ما قرأ به ابن مسعود ، آية : « فلما جهزهم ببهازم جعل السقاية في رحل أخيه . ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون » (٧٠ يوسف) إذ قرأها هكذا : « فلما جهزهم ببهازم وجعل السقاية في رحل أخيه ، بزيادة واو .

قال أولئك المحققون : إن الفراء — فى تنظيره بهذه الآية — يستند إلى تلك القراءة ، ويرى أن الواو فيها زائدة ، إذ أن جواب « لما » هو « جعل السقاية فى رحل أخيه ، كما هو فى قراءة الجمهور .

٤ — ونقل عن « الفراء » أيضا أنه يستند — فى القول بجواز زيادة الواو — إلى قوله تعالى « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقرب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ، (٩٦ ، ٩٧ الأنبياء) وأنه يقول : أن الواو فى « واقرب الوعد الحق » زائدة لأن هذا هو جواب الشرط « إذا » .

٥ — ومن الآيات التى قيل بزيادة الواو فيها ، قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » (٩١ آل عمران) .

جعل بعضهم الواو فى : « وناديتاه » زائدة لأن هذا هو جواب « لما » عندهم .

وبعضهم جعل الواو الزائدة ، هى واو « وتله للجبين » لأن هذا فى رأيهم هو الجواب .

(٢) وقوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » (١٧٣ الزمر)

من أولئك النحاة من قال : إن الواو فى « وفتحت » زائدة ، لأنه جواب « إذا » ، بدليل مجيئه قبل ذلك بدون واو فى أبواب جهنم ، وذلك قوله تعالى : « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، ومنهم من قال إن الواو الزائدة ، هى واو : « وقال لهم خزنتها » ، إذ أنه هو جواب الشرط عندهم .

(٣) وكذلك قوله سبحانه : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يرجع — لموه فى غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم — هذا وهم لا يشعرون » (١٥ يوسف)

بعض أولئك النحاة جعل الواو فى « وأجمعوا » زائدة وهو جواب « لما » عندهم ، وبعضهم جعل الواو الزائدة هى واو « وأوحينا » ، لأنه فى رأيهم هو الجواب .

أما البصريون : فذهبهم — على ما حكاه ابن يعيش — أن الواو لا تزداد بحال ، وقالوا إنه لا حجة للكوفيين ، في شيء مما أورده من الآيات القرآنية أو غيرها من الشعر ، فإن الجواب في ذلك كله محذوف ، والواو أصلية .

قال ابن يعيش : « وأما أصحابنا فلا يرون زيادة هذه الواو ، ويتأولون جميع ما ذكر وما كان مثله ، بأن أجوبتها محذوفة ، لمسكان العلم بها ، والمراد : « فلما أسلما وتله للجبين ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، أدرك ثوابنا ونال المنزلة الرفيعة لدينا . وكذلك قوله : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » ، تقديره صادفوا الثواب الذي وعدوه ونحوه .

وكذلك قول الشاعر : « حتى إذا امتلأت بطونكم : وكان كذا وكذا يتحقق منكم الغدر واستحققت اللوم ، ونحو ذلك مما يصلح أن يكون جوابا . ١٥ (١)

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٨ ص ٩٤ ولعل هذا مذهب جمهور البصريين لا جميعهم ، وإذا لا منافاة بين ذلك وما حكاه ابن جرير فيما سيأتي عن بعض نحاة البصرة أنهم يقولون إن الواو في « وقال لهم خزنتها » زائدة .

قيل إن الواو في قوله سبحانه : « ولو افترى به زائدة » ، والمعنى : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افترى به .

• • •

وقد احتجوا على جواز زيادة الواو ، من الشعر بما يأتي :

١ — قول الشاعر :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه

حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

فقد جعلوا الواو في « وينوى » زائدة ، وقالوا إن المعنى : ما باله ينوى .

٢ — وقول الآخر :

حتى إذا امتلأت بطونكم

ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر المجن لنا

أن الغدر الفاحش الخب

قالوا إن الواو في « وقلبتكم » زائدة ، لأنه جواب « إذا » .

٣ — وكذلك قول القائل :

ولقد رمقتك في المجالس كلها

فإذا وأنت تعين من يبغي

قالوا إن « وأنت تعين » : « فإذا أنت تعين » والواو زائدة .

ثم يحجب البصريون عما احتج به الكوفيون من آية يوسف : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه ، - بأن جواب « لما » ليس هو « أجمعوا أن يجعلوه » ، ولا هو « أوحينا إليه » ، حتى تكون الواو في شيء ، منهما زائدة ، وإنما الواو أصلية ، والجواب محذوف ، والتقدير : فعلوا به من الأذى ما فعلوا مما لا يكاد يحتمله .

أما عن رأى القراء ، الذى يذهب إلى التنظير بقراءة ابن مسعود ، فذا جهزهم بجهازهم وجعل السقاية - فنحن نقول : إن هذا رأى غير مستقيم ، ولا وجه له من الصحة ، وإنه إذا ساغ التعلق ببعض القراءات الشاذة للاستشهاد بها في أمر لغوى بحت ، فلا ينبغي أن يكون ذلك على إطلاقه ، بل يجب أن يكون فيما لا يأتى مخالفا لما هو الأصل المعبود في فصيح اللغة ، حتى لا يكون الشذوذ سنداً لتأييد شذوذ آخر ، فإن تلك القراءة شاذة ، وزيادة الواو في الكلام لا شك أنها شاذة ولا أصل لها ، وهى مخالفة للأصل المقرر في أحكام هذه الواو .

على أننا إذا سرنا مع هذه القراءة الشاذة ، التى قرأ بها « ابن مسعود » ، فلا نسلم أن الواو فيها زائدة ، بل هى أصلية ، عاطفة جملة : « جعل السقاية في رحل أخيه » ، على جملة : « جهزهم بجهازهم » ، فالشرط حيثن هو مجموع

هذا - ومن البصريين من قال - في آية الصافات - : « إن الجواب المطوى يقدر عقب قوله سبحانه : « وتله للجبين » ، والمعنى : فلما أسلمنا وتله للجبين ، أجزلنا له الأجر وناديناه . وعن الخليل وسيبويه تقديره قبله ، والمعنى : « فلما أسلمنا أسلمنا وتله » ، وذلك كما في بيت امرئ القيس .

فلما أجزنا ساحة الحمى وانتحى بنا

بطن خبت ذى قفاف عقتل
إذ تقديره : لما أجزنا ساحة الحمى أجزناها وانتحى . (١) ونحن نقول : إنه بعد هذا البيت قد أتى امرؤ القيس ببيت فاجر يقول فيه : « إذا قلت هاتى توليتى تمايلت * على هضم الكشعر يا المخلخل . فيصح أن يكون هذا هو جواب « لما » ، أو دليلاً على الجواب وذلك أوضح من تقدير الخليل وسيبويه . وعن المبرد والفارسي - في آية الزمر - أن الواو في « وفتحت » هى واو الحال ، أى جاءوها وقد فتحت أبوابها ، كما في قوله سبحانه : « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب وجواب الشرط مطوى على نحو ما قال سائر البصريين (٢) .

(١) روح المعاني للألوسى ج ٢٣ ص ١١٩ المنيرية .

(٢) مغنى اللبيب ج ٢ ص ٣٥

المصدقين به ، د بل كنا ظالمين ، بالانكار على الرسل ، الذين كانوا يندرون به وبعاقبته .

وإذا فدعوى زيادة الواو هنا في قوله سبحانه : د واقرب الوعد الحق ، - كما يزعم الفراء - هي بلا شك - من الاسراف في القول والجرأة في تفسير الكتاب العزيز من غير اعتماد على حجة أو بينة .

أما الجواب عما استند إليه الكوفيون - من قوله تعالى : د إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به ، - فهو - كما يقول البصريون - إن الواو في : (ولو افتدى به) أصلية ، قد عطف هذا الشرط على شرط مطوى ، دل عليه الأسلوب في معهود هذا الاستعمال . ثم يجيب البصريون عن بقية ما استشهد به الكوفيون من الشعر .

ففي قول الشاعر :

فما بال من أسعى لأجير عظمه

حفاظاً وينوى من صفاهته كسرى

يقولون : إن الواو في : (وينوى) ، عاطفة هذا الفعل على فعل مقدر ، يدل عليه المقام وأصله - كما قال الدماميني - : (فما باله يهمل حتى وينوى كسرى) (١) فهو قد

الملتزمين ، أما الجواب فهو محذوف - كما قال الزمخشري في الكشف - ، لوجود ما يدل عليه . والمعنى د فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه (أمهلهم حتى انطلقوا) ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ، .

ونقول أيضاً - عما ذهب إليه الفراء في آية : د حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، إن رأيهم فيها أو هي عما ذهب إليه في الآية السابقة ، فإنه لا وجه لدعوى أن جواب الشرط هو قوله تعالى : د واقرب الوعد الحق ، حتى يلتجئ إلى جعل الواو فيه زائدة ، لأن جواب الشرط قد نطقت به الآية عقيب ذلك في قوله سبحانه : د فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ، فإن إذا المفجائية تقع كثيراً في جواب الشرط منفردة أو مع الفاء ، كاهنا ، فيتعاونان - كما يقول النحاة - على وصل الجواب بالشرط ، وتقوية ذلك وتمكينه .

وحاصل معنى الآية على هذا : أنه إذا فتحت يأجوج ومأجوج ، واقرب الوعد الحق ، وهو وعد الآخرة ، حيث يجتمع الناس للحساب والجزاء ، فإنه يحصل عقيب ذلك وبطريق المفاجأة ، شخوص أبصار الكافرين من الملح وشدة الفزع ، وقولهم د يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا ، ، لاهين عنه ، غير

(١) حاشية الأمامير على المعنى ج ٢

وفتحت أبوابها ، ثم قال . وقد تفعل العرب ذلك ، فتدخل الواو في جواب (لما) وحتى إذا وتلقيا ، (١) .

(٢) وتابعه الجلال المحلى فقال : ، إن جملة نادينا ، هي جواب (لما) بزيادة الواو (٢) .

(٣) أما الزمخشري والنيسابوري وأبو السعود والنسفي والالوسي ، فإنهم لا يقرون أن تكون الواو زائدة ، في الآية السكريمة ، فهي عندهم على أصل وضعها عاطفة وجواب (لما) محذوف ، يرشد إليه قوله تعالى : « إنا كذلك نجزي المحسنين » ، وإنه لمعهود في القرآن كثيرا ، أن يحذف جواب الشرط وجواب القسم وما يشبههما للعلم به أو لإرادة تعظيمه وتفخيمه ، أو تهويل الأمر فيه ، وإفادة أنه شيء لا يحيط به الوصف ، ولا يفي بالكشف عن تفاصيله البيان .

قال الزمخشري في هذا : (فإن قلت) أين جواب (لما) ؟ قلت : هو محذوف وتقديره : « فلما أسلمنا وتله للجبين ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » .

استدل من قول الشاعر : وينوى من سفاهته كسرى ، هلى ذلك الفعل المطوى فقدره مناسبا له . ويمكن أن يستدل عليه من صدر البيت ويقدر مناسبا له فيقال : ما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا أصنع معه ذلك وينوى . . الى آخره .

وكذلك الواو عندهم في البيت الآخر أصلية وتقديره : « ولقد رمقتك في المجالس كلها ، فإذا أنا كذلك أحنو عليك ، وأنت تعين على من يبغيني . »

(أقوال المفسرين)

اختلف المفسرون في الواو ، في تلك الآيات التي قد منها ، كما اختلف النحويون . وسنبسط آراءهم في كل آية منها مع بيان وجهات أنظارهم ثم نعقب بما نرى أنه الوجه الجيد الجدير بالاختيار .

« آيات الصافات »

قوله تعالى : (فلما أسلمنا وتله للجبين ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين » .

(١) يقول ابن جرير في هذه الآيات : إن جواب « فلما » هو « نادينا » ، والواو فيه زائدة ، وتقدير الكلام : « فلما أسلمنا وتله للجبين نادينا » ، قال : وأدخلت الواو في ذلك ، كما أدخلت في قوله : « حتى إذا جاءوها »

(١) تفسير ابن جرير الطبري ج ٢٣ ص ٥١ الأملية ببولاق .

(٢) تفسير الجلالين ج ٢ ص ١١٢ - مطبعة عيسى البابي الحلبي .

والبصري . قال : « في قوله سبحانه وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، قولان : (الأول) أن هذا جواب (فلما) عند الكوفيين والقراء ، والواو زائدة .

(والقول الثاني) « إن عند البصريين لا يجوز ذلك ، والجواب مقدر ، والتقدير : فلما فعل ذلك وناداه الله أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، سعد سعادة عظيمة . وآتاه الله نبوة ولده ، وأجزل له الثواب ، ثم اتبع ذلك بقوله : قالوا : وحذف الجواب ليس بغريب في القرآن ، والفائدة فيه أنه إذا كان محذوفاً كان أعظم وأغنى ، اهـ [١] .

(التعقيب)

قد بسطنا فيما قدمناه مذهب الكوفيين ومذهب البصريين ، وأقوال المفسرين ، في موضوع الواو ، ومنه يتبين أنها لم تقع مزیدة في آيات القرآن الكريم ، ولا في غيره من ما تور كلام العرب نثره أو نظمه ، وأن كل ما سبق مما ادعى فيه زيادة الواو ليس من هذه الزيادة في شيء .

وأنه لا يكاد يعقل أو يقبل ، ما يحدث به (ابن جرير) عن العرب ، أنهم قد يدخلون الواو في جواب (لما) و (حتى) إذا : ثم (يلقونها) أو (يلقونها) يطر حونها ، .

الحال ، ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما ، وحدهما الله وشكرهما ، على ما أنعم به عليهما ، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله ، وما اكتسبا في تضاعيفه ، بتوطين الأنفس عليه ، من الثواب والاعراض ، ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب (١) .

وقد تابع (الزمخشري) في ذلك كل من (النيسابوري) وأبي السعود متابعة تامة ، واقتصرا على هذا الوجه الذي رآه صاحب الكشف ، وهو وجه اختاره أيضا الألوسي وإن كان قد أورد وجوهاً آخر عزاهما لأصحابها .

وذكر النسفي وجهين ، كلاهما على أساس أن الواو أصلية : « أحدهما ، تابع فيه الزمخشري وهو مذهب جمهور البصريين . والآخر - وهو مذهب بعضهم - قال فيه إن جواب (لما) مقدر قبل قوله سبحانه : « وناديناه ، ثم عطف هذا عليه وتقديره : فلما أسلموا وتله للجبين قبلنا منه وناديناه (٢) . والفخر الرازي أورد المذهبين : الكوفي

(١) تفسير الكشف ج ٢ ص ٢٦٨ - مطبعة محمد مصطفى .

(٢) تفسير النسفي ج ٤ ص ٢٠ - الحسينية المصرية .

(١) التفسير الكبير ج ٢ ص ١٥٣ الشرفية

ما قد يراد ومن بعض الحروف التي تزداد للتقوية والتأكيد ولكنه يذكر ليبلغى وي طرح ، هذا أمر عجيب، وهو شيء لا يشهد له شاهد من لغة أو عرف ولا يؤيده سند معتمد من قياس أو استعمال .

ألا إن قدسية القرآن في لغته وأسلوبه وأحكامه لا تسمح أن يلحق القول في تفسيره أو إعرابه جزافاً ، ومن غير حساب . وأن تترك الاحتمالات غير السائغة وغير المعقولة تتسرب إلى شيء من ذلك التفسير أو ذلك الإعراب ؟ .

د عبد الرحمن ناج

إن الواو لها أوضاع خاصة في اللغة ومعان معروفة ، ومعمود استعمالها فيها ، ومن هذه المعاني أن تكون عاطفة . إذا وقعت في وسط الكلام ، فما الذي صرفها عن هذا المعنى ، في الآيات أو الآيات التي زعم الكسوفيون أنها فيها زائدة؟ وهل وجدوا أن المعنى في هذه الآيات أو الآيات ، لا يستقيم إلا إذا طرحت تلك الواو من الكلام فاضطروا أن يقولوا أمها زائدة ؟

إنه غير مفهوم ولا مقبول أن يعتمد إلى حرف له معناه الوضعي في اللغة فيذكر في الكلام لا لإفادة هذا المعنى ، ولا لإرادة

« بلاغة القرآن »

يقول الله تعالى :

« الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما من هاد » (٢٣ : الزمر)

الهجرة

منطلق جديد للإسلام

للأستاذ حسن جاد

لقد ظلت قريش في مكة تمارس صنوف الإيذاء والعسف للسليين ، وتبالغ في إيقاع الظلم والجور على المؤمنين الصامدين ؛ فكم عذبوا بالحديد والنار أمثال بلال وصهيب وعمار من المستضعفين ؛ تحت سمع الرسول العظيم وبصره ، فيحز ذلك في نفسه ، ويمس شغاف قلبه ؛ ولكن إيمانه باقه ، وثقته في نصره ، كان يعز به عما يجد ، وفيما يلاقيه هؤلاء المستضعفون ؛ فكان ينفض هذا الإيمان في كلمات يشد بها من عزهم ويربط بها على قلوبهم ، كما قال : « صبرا آل ياتر فإن موعدكم الجنة إن شاء الله » ، وأحيانا يتلو عليهم من كتاب الله ما يطفئ لهيب النار المشتعلة في أجسامهم : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » .

ومن السمات البارزة التي تميز قادة الإصلاح والتحرر ، الصبر والثبات على العقيدة ، والفهم العميق لأبعادها ، والإيمان القوى بنتائجها ، ولقد كانت هذه السمات تتجلى أبلغ ما تتجلى في

لم تسكن الهجرة الكبرى إلى يثرب رحلة ترفهية يستروح فيها الرسول الأعظم ومن معه من المؤمنين الصادقين ، من عناء الدعوة وبلاء قريش ؛ ولا كانت خاتمة لذلك الجهاد الشاق العنيف الذي كابده في مكة ؛ كما لم تكن مجرد فرار من أذى المشركين وغنتهم وإرهاقهم ، إلى موطن آمن ، وملاذ طمأنينة .

ولمّا كانت منطلقاً جديداً للتحرر من جاهلية جاهلة ظالمة ، تمادت في عنادها وإصرارها ، فأغمضت عيونها عن النور ، وأغلقت قلوبها على الظلام ، جاهلية يسودها الحكم المطلق ، والعبودية الذليلة ، والتحكم الفردي ، والإقطاع الجشع ، والطبقية المغرقة والأوضاع الفاسدة .

وما كانت يثرب المدينة الطيبة إلا القاعدة الجديدة لهذا الانطلاق لتحطيم أصنام الجاهلية وتكسير أوثان الضلالة ، وتوكيد عقيدة الإيمان ، وثبوت دعائم الإسلام ، وتحقيق شريعة المساواة ، وتوسيع مجالات الدعوة .

وإذا كان هذا كله يحتاج إلى تخطيط وإعداد وبسالة وجهاد ، وتضحية وفداء ؛ فإن الهجرة أروع مثال للتضحية ، وأبلغ شاهد على البسالة وأعظم دليل على ووعة الفداء .

المصلح الأكبر والقائد الأعظم صاحب الرسالة الكبرى ، وصانع التاريخ العظيم الإنسانية .

يقول خباب بن الارت : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ فقال عليه السلام : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض ، فيجاء بالمدنار فيوضع على رأسه ، فيشق مادن لحمه وعظمه . وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليمتن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل ، أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون .

وقد سبقت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة محاولات وهجرات صغرى إلى الطائف وإلى الحبشة ، فأما الهجرة إلى الحبشة فكانت فرارا من الأذى ، وملاذا من الظلم ، وإيواء لقلة مستضعفة من المسلمين .

وأما هجرة الطائف . فقد لقي فيها الرسول الكريم - في ذهابه وعودته - مالتى من عنث وإبذاء ، حتى استكملت الهجرة الكبرى عناصرها من الإعداد والتخطيط ، ودنت ساعة الصفر ببلوغ قريش أقصى غاياتها من المكر والاحتيايل ، وإعداد مؤامراتها للفتك بالرسول . فكانت تلك الليلة الحاسمة في تاريخ الإنسانية ، وقد تهيأ فيها القائد الأعظم بوحى من الله ، لتغيير الموقع ، واختيار ميدان

جديد ، والإتجاه إلى يثرب .

أما التضحية بأعز ما يملك الإنسان من مال وأهل ووطن في سبيل الحق ، وأما الفداية المثالية في سبيل المبدأ والعقيدة ، وأما الشجاعة البطولية في مواقف الحرج والمواجهة ؛ فكل ذلك يتجلى بأروع مظاهره في القائد الرائد وصحبه الأوفياء .

أى صراع أقوى من هذا الصراع الذى يتجاذب نفس الرسول العظيم وهو يرحل عن مكة أحب البلاد إليه ، ومراح ذكرياته وصباه ، وموطن أهله وأحبابه ، فيشده عن هذا الإحساس ما يعبوا إليه من نجاح الدعوة ، وما يؤثره من الاستجابة إلى ما أمره الله به ، حتى إنه ليقول : (والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت) ، ويتجه إلى الله وقد ودع هذا الإحساس . فيقول : (اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلى فأسكني أحب البقاع إليك) .

إنه يهجر بلداً يحبه ، ووطناً يعزه ، لشىء أعز وأكرم وأحب ، هو رسالة الله التى كلف بها ، وثورة الحق التى نهض بأعبائها .

وأية فداية أعظم مثلاً للأجيال ، وأبلغ قدوة للشباب من فداية على بن طالب رضى الله عنه ، وقد غامر بنفسه في تجربة انتحارية ، وراح يرقد في مضجع الرسول الذى تعود

فطاف بالبيت ، وصلى في مقام إبراهيم ؛ ثم وقف على الملامتحد بأصانحاً بأعلى صوته : « شامت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن تشكله أمه ، أو ترمل

زوجها فليلقني وراء هذا الوادي . فما جرؤ أحد على أن يتبعه . أفـكان عمر يهاجر خوفاً أو حبساً أو فراراً ؟ إنما الشجاعة والإقدام !

ويجيء دور المرأة ، فنرى بطولتها وفدائيتها ومساهمتها الفعالة في نصره الرسالة وتضحياتها في سبيل الحق ، وتعرضها للأخطار من أجل المبدأ . كل ذلك يتمثل في أسماء بنت أبي بكر ، وقد تعرضت لتكيد قريش بعد خروج والدها مع الرسول ، وفي ذلك تقول : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه . أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك ؟ قلت : لا أدري ، فلطم أبو جهل خدي لطمه طرح منها قرطى ، .

ولكن هذه اللطمه كانت وقوداً لشعلة نفسها المضئية ، فكانت تحاطر بنفسها ، وتذهب إلى الرسول وصاحبه في المساء بالزاد والطعام في وحشة الجبل ، حتى إذا مضت ثلاث ليال وسكن الناس عنهما ، أتتهما بسفرتهما ونسيتهما أن تجعل لها رباطاً ، فخلت نطاقيها وشققتة نصفين ، وربطت السفرة

أن ينام فيه ، ويتسجى برده ، حتى يظن المتآمرون من قريش أنه الرسول ، وكان من الممكن أن يشفوا غليلهم بقتله بعد أن انكشفت لهم حقيقته ؟

أما فدائية أبي بكر فقد كانت تتمثل في التضحية بالنفس والمال والولد ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس أحد أمن على في أهل ومال من أبي بكر ، . لقد كان رضى الله عنه يتمجّل الهجرة ، وما كان يمنعه عن المبادرة بالانطلاق التحررى إلا ما كان يقوله له الرسول : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فكان ذلك ، حمله الذى تحقق في ذلك اليوم الذى فاجأ فيه الرسول في بيته بقوله : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة ، فابتدره بقوله : « الصعبة يا رسول الله ! ، فقال : « الصعبة ، وفي هذا الموقف الخالد تمهد عائشة الشابة الصغيرة دموع أيها تفرق في عينه من الفرح حتى لتقول : « والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ، .

وهكذا يتجلى الإخلاص للقائد ، والوفاء له ، والتضحية في سبيله وكان المهاجرون يستخفون في خروجهم من مكة ، تجنباً لإيذاء قريش إلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد تقلد سيفه ، وتنسكب قوسه وانتضى أسهمه ، وسار إلى الكعبة ، وفي فئانها ملأ من قريش

منها منطلقاً جديداً لدعواتهم ومبادئهم .
وقد حدثنا التاريخ عن هجرة أبي الأنبياء
إبراهيم عليه السلام ، وفراره بدينه من العراق
إلى الشام ، بعد أن تحذاه الفرس ، وحاولوا
إحراقه بالنار ، كما يحدثنا عن هجرة موسى
عليه السلام مع من آمن به فراراً من فرعون
وجنوده بمصر ، استدراجاً لهم إلى البحر ،
وعن هجرة عيسى عليه السلام من بيت لحم
إلى أورشليم (بيت المقدس) .

ولا تزال الهجرة إلى الآن توحى إلينا
بأعظم الدروس ، وأنفع العبر ، من حيث
القدوة التي يمكن أن نحتذيها ، في الصبر على
البلاء ، والتضحية والفداء ، والبطولة
والإقدام ، والثبات على المبدأ ، والثقة
بالنصر ، والإيمان بالهدف .

ولتكن ذكرى الهجرة النبوية لنا في كل
عام تجديداً للعميد الذي قطعه المسلمون على
أنفسهم أمام الله ، بالتفاني في الحق ، والتسك
بالدين ، والجهاد في سبيل تحرير الوطن ،
والتضحية من أجل خلاص أرض العروبة
والإسلام من أعداء العروبة والإسلام ؛ ثم
الثقة التي لا تتزعزع ، في نصر الله لأوليائه ،
كما نصر المهاجرين الأولين ، وبذلك نسترد
ما ضاع ، ونستعيد ما فقد ، ونزأب ما انصدع
ونجدد ما اندرس ، بإذن الله ؟

مصطفى جاد

بأحدهما ، وتمنطقت بالآخر ، فرضى عنها
الرسول ، ووعدنا بنطاقين في الجنة ، وسميت
لذلك : ذات النطاقين .

هكذا كانت الهجرة الكبرى انطلاقاً إلى
مجال أرحب ، وميدان أوسع تجلت فيها
التضحية والفدائية والشجاعة . فلم تكن
فراراً وجبناً ، ولا يأساً وخوفاً ، ولم تكن
كذلك حذاً فاصلاً من المسكان أو الزمان
بين فئة قليلة من المؤمنين لاذت بالأمن
في يثرب ، وبين أراذل الشر والطغيان في مكة ؛
ولما كانت فاصلاً معنوياً بين الحق المستضعف
المغلوب ، ينكره الظلم والطغيان ، ويستبد به
هبة الأوثان ؛ وبين الحق الحر المنطلق ،
وقد انتفى من القيود ، وكسر الأغلال ،
وحطم السلاسل ، وراح يبني قوته ، ويعد
عدته للزحف المقدس الذي انتهى بفتح مكة ،
ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وهكذا نجحت الهجرة فأُسست الحكومة
الإسلامية في يثرب ، وأقامت نظاماً جديداً
للمجتمع الإسلامي ، تتلشى فيه الفوارق ،
وتذوب الطبقات ، وتتحقق العدالة ، ويتم
التكافل الاجتماعي ؛ وقضت على معالم المجتمع
الظالم ، وغيّرت وجهه ، ثم كونت الجيش
القوي الذي نشر تلك المبادئ بالفتح المبين ،
ورفع كلمة الله عالية بعد أن دك عروش الظالمين .

إن الهجرة من سنن المصلحين الذين يتخذون

فحاشيت الفِرْلَانِ

تَثْبِيَتُ النَّبِيِّ وَأُمَّتِهِ
عَلَى كَمَالِ الْإِيْمَانِ
لِلْمُسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّكَنِ

- ٢ -

• ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ، فتمسكم النار ، - ١١٣ هود

وكان من رفق الله بنا أنه لم يخاطبنا بأسلوب صارم مقذع ، كما يخاطب الكافرين في تهديدهم بالخلود في النار . . وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها ، وأنهم كلما فضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها .

بل جعل تهديدنا في تلمظ رحيم . . والتلمظ في كلام الله معهود وليس بغريب . فهو - سبحانه - يحذرنا أن تمسنا النار . . والممس هو أخف ما يتصوره المرء من العذاب ، فمن ملاح هذا الأسلوب ندرك أن الله يريدنا تربية كاملة ، ويأخذنا بأسلوبه في هودة ، ويتلطف بنا إلى أكرم الغايات .

وهذا هو الشأن في خطاب من جانب الله إلى رسوله ، وإلى المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله هو البر الرحيم .

في هذا السياق من تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ، على مزيد الإيمان - على نحو ما أسلفنا في حديث سابق - ينهانا الله عن الركون إلى الظالمين - والظالمون : هم الكافرون .

ومع أن الركون إلى الشيء أخف وطأة من المغامرة ، أو الولوج فيه ، فالله تعالى : يحذرنا المخالفة لنتيجه ؛ لئلا تمسنا النار يوم القيامة بسبب ذلك .

وفي هذا التهديد إشعار لنا بأننا غير ظالمين . . بل فيه إشعار بأننا لم نحصل منا مجرد ركون إلى الظالمين ، ولذلك يتداركنا الله بالتوعية من مقاربة الظالمين في أى لون من ظلمهم . . إذ لا يليق بنا وقد افضونا تحت راية الإيمان أن نتلوث بأى ركون إلى أهل الكفر الذين ظلموا أنفسهم .

ما يقوله الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار ، وزلفا من الليل » .

وإقامة الصلاة في طرفي النهار - معناها : تأديتها في أوقاتها : صباحا وعشيا . وفي زلف من الليل : يعني المغرب ، والعشاء .

ونحن نسمع من ذكر الصلاة في القرآن أكثر مما نسمع عن سواها . . لأنها أحب الطاعات إلى الله ؛ ولأنها لا تكلفنا مجهوداً شاقاً ، ولذلك يجهد الشيطان نفسه في صرف الناس عنها ، وجعلها بغية إلى أنفسهم ، حتى لا يفوزوا بشواها . . والله تعالى يذكر لنا ذلك في قوله : « وإنها لكبيرة : إلا على الخاشعين . . » ، يعني : أن الصلاة شاقة على ضعاف الإيمان والمنافقين ، لا على الخاشعين المحبين للطاعة .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم جعلت قرعة عيني في الصلاة — يعني أنها من أحب الأعمال إلى نفس النبي صلى الله عليه وسلم .

فبجان الصلاة هو مجال الحسنات الكثيرة التي تذهب السيئات لمن تسكون له سيئات .

وبما ساف يصل بنا الحديث إلى غايتين .. إحداها : تنزه تام عن الشوائب التي تجعلنا على نقص ، وركون إلى جانب الكافرين .

والثانية : تجمل بالطاعات كلها وخاصة الصلاة .

وليس معنى هذا أن نغتر بهذه الملاحظة فإنها مطوية على التخويف . . بل الحزم أن نتحامل على أنفسنا ، ولا نرعى لها العنان وراء هواها وشيطانها ، فإن النفس كالطفل على حد تعبير الإمام البوصيري :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم

وكان من تبصير القرآن لنا في هذا المقام ونحوه أن يذكرنا بما سنكون عليه يوم الحساب حينما لا يكون الإنسان نصير من أهل ، ولا ولي يذود عنه من الناس .

وإذا تهيأ للإنسان أن يباعده نفسه عن ملامسة النار ، بعدم الركون إلى الكفر : فقد بقيت حاجته إلى رضوان يطمئن في ظلاله ، وإلى نعم ينهل فيها .

وهذا لا يكون إلا جزاء على عمل ، وبهذا تميز المنازل ، ولا يكون السابق واللاحق سواء ، فيكون المطلوب من المرء شيئين :

أحدهما : التجرد من المآثم كمن يغسل جسمه من الأدران .

والثاني : أن يضعخ جسمه بالطيب ، ويلبس الملابس البهيجة . . فلا بد من تخلية ، ثم تخلية . كما يقول علاننا .

وقد مرت بنا عبارات التخلية . . فما هي عبارات التخلية ؟؟ هي :

وكلنا الغايين ثبتنا على الإيمان كما سلكنا مسلك القول فيه .

هذا التنزه ثم العمل الصالح يقتضى مجهوداً ، وصبراً على المثابرة .. ولهذا يعقب الله على ما سبق فيأمرنا بالصبر : لأن الصبر هو سياج الاحتفاظ بما عليه الإنسان من إيمان وعمل . والصبر : هو الإطار الذى يلتزمه الإنسان فى معية الله ، ويكون الله مع عبده ، وعوناً له فى صبره .. وهذا هو الوعد الأكيد فى قول الله « إن الله مع الصابرين » . والصبر كذلك : هو الوسيلة إلى ثواب أكثر مما يستحق الإنسان على عمله ، وهو لون الجمال والحسن فى علاقة الإنسان بربه .. والله — تعالى — يشيد به ، ويبشر بحسن جزائه فى قوله « واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

فأى لسان يصغى إلى هذا القصص ، وما يهدف إليه من توجيه الناس إلى الرشده : ثم يتأون أو يتخلف عن النشاط فى اغتنام هذه المواهب الرحمانية ١٩

لأنها لنفحات تفيض علينا من فضل الله : تعلماً .. وتحذيراً . وترغيباً .. كما تغمرنا بالوعد الكريم فيما أعد الله للحسنين .

هذا شأن ضاعت ثمراته على أمم سبقتنا .. وتضيع ثمراته على أمم تعاصرنا ، أو تأتى بعدنا . وتذكرنا بها يلقى علينا تبعاتها منذ وعيناها ، ويسقط حجتها فى الاعتذار نحو ربنا . وإلى هنا يعود بنا القرآن إلى ذكر تلك الأمم الخالية ، التى ضيعت فرصتها على نفسها . فيقول الله فيهم « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ؟؟ » .

يعنى : هلا كان من القرون السابقة أهل بقية من الفضل .. أو العقل : ينهون أنفسهم وينهون قومهم عن الفساد فى الأرض حتى لا ينزل بهم ما نزل من العذاب والمحق . لم يكن منهم أولئك العقلاء الراشدون .. إلا قليلاً كانوا كذلك ، فأنجيناهم من البلاء بسبب إيمانهم وطاعتهم .. وكان حقاً علينا نصر المؤمنين .

أما غيرهم فقد اتبع ضلاله ، وانغمسوا فى نعمته ، وألهم الترف الذى عاشوا فيه ، وكانوا مجرمين .. فاستحقوا ما لحق بهم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ، وأهلها مفسدون » .

وبعد — فإن الحياة الدنيا لا تزال مسرحاً للأحداث .. والإنسان فيها لا يزال غادياً ورائحاً بين مفاتن ، ومواعظ .. وكلنا ينظر بعينه ، ويسمع بأذنه ، ويعى من تصرفات الأيام جديداً بعد جديد . ومع هذا نتعثر فى خطانا ، ولا نهتدى بما وقع لمن سبقنا .

والطامة التي تخدق بنا أننا نظن أنفسنا خيراً من أولئك الذين تغاضوا عن الموعظة، واستهانوا بالعبرة الشاخصة في ذكريات الأسلاف .. بل فستبين بما يعرضنا نحن من المكاره ، فنجزع لما يلم بنا .. ولكننا لا نعدل عن جبروتنا .

ونشهد في قومنا اليوم قلقا يساور الجميع ، ونردد أحاديث الندم في كل ندوة . وعند كل لقاء .. والجزع يخيم على أكثر الوجوه .. ثم ماذا؟؟

لا شيء .. غير أن الدين يدعونا إلى جانبه، فنزهد في دعوة الدين ، ثم يستمر نشاط

المنحرفين ، وتلاحق الفتن ، ويتسع الحزن، ونذى أن الجناية تقع منا على أنفسنا فن الذي يكشف عنا هذا البلاء ؟ ومن الذي يتقبل منا الدعاء لا أحد : غير الله الذي نكفر بنعمته ، ونعرض عن دعوته .

فهل تكون معاصينا قريبة إليه ، أو تكون مفاسدنا في دنيانا وسيلة إلى عونه لنا ، وهدايته إيماناً؟؟ إن الله طيب لا يقبل من أعمالنا إلا ما كان طيباً .. فإذا بقينا على هذا الفساد فنسئل على هذا الشقاء ، وربك لا يظلم الناس شيئاً .

عبد اللطيف السبكي

موالاة الظالمين

يقول الله تعالى : ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم يحلفون على الكذب وهم يعملون ، أعد الله لهم عذاباً شديداً لأنهم ساء ما كانوا يعملون . اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

إلى الله أسلم من حمير

للواء الركن : محمود شيت خطاب

١ - من فضل الإسلام على العرب ، أنه جمع شملهم ووحّد كلمتهم ورص صفوفهم وأدخل النور إلى قلوبهم ، فأصبحوا بنبعة الله إخواناً : يعملون تحت قيادة واحدة ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هي العليا .

وكان العرب المسلمون قليلي العدد قليلي المدد ، وكان أعداؤهم العرب المشركون كثيرى العدد كثيرى المدد ؛ فانتصر العرب المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم على العرب المشركين ، انتصاراً ساحقاً ، فلم يلتحق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى إلا وكانت شبه الجزيرة العربية كلها من المحيط جنوباً إلى تخوم الشام والعراق شمالاً موحدة تحت لواء الإسلام .

وارتدت القبائل العربية في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتد أمر الردة بعده صلى الله عليه وسلم ، فارتدت العرب عامة في بعض الأماكن وخاصة في بعض الأماكن ؛ فخاربههم الصديق رضى الله عنه ، حتى أعاد إليهم الوحدة تحت لواء الإسلام .

وابتدأ الفتح الإسلامى العظيم من عام أحد عشرة الهجرية ، فلم ترد للمسلمين راية حتى سنة اثنتين وتسعين الهجرية ، حيث امتدت دولة الإسلام من حدود الصين شرقاً إلى سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً إلى أعماق فرنسا غرباً .

كان انتصار المسلمين في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي أيام الفتح الإسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لا مرأى .

لقد أصبح العرب بالإسلام ، قوة ضاربة ضخمة ، وحدث شبه الجزيرة العربية أولاً ، ثم انطلقت من بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى شرقاً وغرباً ، حتى أصبحت يد المسلمين وليس فوقها يد غير الله وحتى أصبح المسلمون قوة هائلة بالإسلام ، وجدت لها متنفساً بالفتح الإسلامى العظيم .

وحين توقف مد الفتح الإسلامى ، الذى كان يحمل راياته قادة الفتح وجنوده ، كان لا يزال هناك مد آخر أبقى أثراً وأعظم تأثيراً ، هو مد قادة الفكر الإسلامى وجنوده

كانت الحضارة الإسلامية هي الحصن الحصين للعرب خاصة من الخليج إلى المحيط ، وللمسلمين عامة من المحيط إلى المحيط وكانت الدرع الواقي لهم من الهزات والرجات : تحفظ لهم شخصيتهم المتميزة ، وتحول دون ذوبان تلك الشخصية في حضارة أخرى .

وكانت تلك الحضارة هي التي تمدهم بفيض غامر من الثقة بالنفس والاعتماد على النفس والامل بالمستقبل ، وتصونهم من نتائج الاندحار في ساحة الحرب ومن نتائج الحرب النفسية التي لا تقل خطراً عن نتائج الاندحار في الحرب الفعلية .

٣ - وجاء الاستعمار الغربي ، وسيطر على العرب وعلى المسلمين في آسيا وأفريقية ؛ وكان إلى جانب مدافعه وأساطيله وجيوشه غزو من نوع آخر : يعتمد الحضارة الغربية ويدشر بها ، ويجازي من يؤمن بها ، ثم يكافح الحضارة الإسلامية وينفر منها ، ويعادي من يؤمن بها .

وكان سبيل الاستعمار إلى إشاعة الحضارة الغربية من جهة وطمس معالم الحضارة الإسلامية من جهة أخرى ، أنه وكل بمؤسسات أوقاف المسلمين أمر القضاء على علماء الدين وعلى المعاهد العلمية الدينية ، ووصل إلى وزارة التربية والتعليم أمر القضاء على تدريس الدين الخفيف في المدارس .

مد الحضارة الإسلامية التي قادت العالم قرونًا طويلة إلى نور العلوم والآداب والفنون .

٢ - وابتلى الله المسلمين بالكوارث والنكبات ، حين غيروا مآباً أنفسهم ، ففترقوا بعد اتحاد ، وضعفوا بعد قوة ، وهانوا بعد عز .

ولكن المسلمين بالرغم من انهيارهم سياسياً كانوا لا يزالون بخير حضارياً ، فكانوا يشعرون بتفوقهم الحضاري على الأمم التي تجرأت على غزوهم في عقر دارهم ، فشهد العالم كيف ينتصر العلم على السيف ، وكيف ينتصر الفكر على القوة .

غزاهم هولاء الكو والتاتار ، غربوا ودمروا ودخلوا بغداد في انتصار كأنه الإعصار ، ولكن أحفاد هولاء الكو وأحفاد التاتار ، بهرتهم الحضارة الإسلامية وبهرهم الإسلام بنوره القوى النافذ ، فذابوا في الحضارة الإسلامية وفي الإسلام ، وأصبحوا بعد سنين معدودة من حلة راياته .

وغزاهم الصليبيون بموجات عارمة ، فاستولوا على القدس وعلى ساحل أرض الشام وعلى كثير من مدن شمال إفريقيا ، واسكن هؤلاء الغزاة بهرتهم الحضارة الإسلامية ، فنقلوا أطايبها إلى أوروبا التي كانت تغط في دياجير الظلم والظلام .

رحل الاستعمار العسكري والاقتصادي والسياسي ، بفضل القوة الاستمرارية للحضارة الإسلامية ، تلك الحضارة التي جعلت كل ثورات المسلمين والعرب ترتكز على ركائز دينية - ما في ذلك أدنى شك ! . حتى ثورة تركيا التي قادها مصطفى كمال ، كان العامل الديني هو الأساس في قوتها واندفاعها ؛ وقد كان للسيد أحمد الشريف السنوسي الذي استقدمه مصطفى كمال لاثارة كوامن الجهاد الديني أمر أي أثر في نجاح الثورة التركية وانتصار الأتراك .

وثورة ليبيا مصدرها الزوايا السنوسية ، وثورة المغرب مصدرها جامع القرويين ، وثورة تونس مصدرها الزيتونة ، وثورة الجزائر مصدرها جمعية العلماء ، وثورات مصر مصدرها الأزهر ، وثورات العراق مصدرها الجوامع والمساجد .

وحسبنا أن نذكر شعار ثورة الجزائر : العربية لغتنا . الإسلام ديننا . والجزائر وطننا . وما يقال عن شعار ثورة الجواتر ، يقال عن شعارات كل الثورات العربية .

٤ - خلف الاستعمار البغيض ورائه في بلاد العرب ودار الإسلام بعد ارتحاله استعماراً فكرياً ، لا يزال العرب والمسلمون يعانون من آثاره حتى اليوم .

وكل ماحق بالعرب والمسلمين بعد نيل حريتهم ما هو إلا نتيجة من نتائج الاستعمار العسكري .

الأوقاف قضت على المعاهد الدينية بالتدريج ونفرت الطلاب من التعلم فيها ، ذلك لأنها جعلت مرتب العلماء من الخطباء والوعاظ والمدرسين أقل من مرتب المستخدمين والفراشين في الدوائر الرسمية وشبه الرسمية فأصبح المستوى المعاشي للعلماء واطناً وأصبح مستواهم الاجتماعي واطناً أيضاً ولكي يعيشوا لجأوا إلى التجارة أو الزراعة أو إلى وسائل أخرى بعيدة عن العلم ، ولجأ أولادهم وأولاد غيرهم إلى المدارس المدنية ليضمنوا لهم الكرامة ولقمة العيش بعد التخرج .

وهكذا ضعف وازع الدين ، وقل العلماء وأغلقت كثير من المعاهد الدينية .

وزارة التربية والتعليم . قضت على التعليم الديني ، وذلك بجعل درسه ثانوياً ، وعدم جعل الامتحان فيه إجبارياً ، فاستهان به الطلاب ، واستخف به المعلمون ، فكانت النتيجة أن الطلاب والتلاميذ يتخرجون في الجامعات والمدارس ، وهم لا يكادون يعرفون كيف يصلون ، ولا يستطيعون أن يقرأوا آية واحدة من آيات الذكر الحكيم قراءة سليمة .

ورحل الاستعمار العسكري والاقتصادي والسياسي إلى غير رجعة بإذن الله ، ولكن بقي الاستعمار الفكري ، وهو أشد أنواع الاستعمار - خطراً .

ولن يفلح شعب يكون عبداً للبادية وحدها
وليس له مثل عليا .

والجانب الروحي من الإسلام يجعل المسلم
يؤمن بأن الجهاد فرض عين ، وأن النصر
من عند الله ، وإنما هي إحدى الحسنين ،
نصر أو شهادة .

والجانب الخلقى من الإسلام ، هو الذى
جعل من المسلمين أمة لا تقهر ولا تغلب من
قلة ، فهو يغرس الأخلاق المحاربة التى تقود
الأمة إلى النصر .

والجانب العقائدى هو الذى يجعل من
المسلمين أمة ملتزمة بالفضيلة عاملة للخير
مؤمنة بالحق والخير والسلام لحـ ير العالم
والحضارة الإنسانية .

فلمصلحة من نستبدل الذى هو أدنى بالذى
هو خير ؟ !

وإذا كان المستعمر له عذره فى محاربة
الإسلام هقيدة وعملا وتضحية وفداء ،
فما عذرنا بعد أن رحل الاستعمار إلى غير
رجعة .

إن هذا الأمر لا يصلح إلا بمصالح بهـأوله
فتى يدرك العرب والمسلمون - مسؤولين
وغير مسؤولين - هذه الحقيقة الناصعة ،
فيعودون إلى الإسلام من جديد ، لتعود
إليهم مكانتهم السامية ومجدهم المضاع ؟ .

محمود شبت قطاب

إن الحضارة الغربية ، هى حضارة مسيحية
كما يؤكد ذلك سدنة تلك الحضارة ، لذلك
تهدف إلى القضاء على الحضارة الإسلامية .
والحضارة الغربية لها جانبان : الأول
على تطبيقي ، والثانى روحى وخلقى وعقائدى .
والذى يحتاج إليه العرب والمسلمون من
الحضارة الغربية ، هو جانب العلم التطبيقي ،
والذى لا يحتاجون إليه هو الجانب الروحي
والخلقى والعقائدى .

والذين يريدون أن يستوردوا كل جوانب
الحضارة الغربية ، مخطئون كل الخطأ أو عملاء
كل العمالة ، أو مغفلون كل الغفلة .
لقد أدرك الاستعمار أن القوة إلى زوال ،
وأن الفكر هو الباقي ، فأراد أن يبقى بعد
زوال قوته إلى الأبد عن طريق الفكر وبذل
من أجل تحقيق هذا الهدف كثيراً من الجهد
وكثيراً من المال وكثيراً من الأبناء .

حاول إظهار المتمسك بدينه بمظهر المتعصب
وحاول إظهار اللغة العربية بمظهر اللغة المتخلفة

وحاول إشاعة الفحشاء والمنكر والتخنى
وشن حرباً شعواء على الجانب الروحي من
الإسلام وعلى الجانب الخلقى والعقائدى .

والإسلام قاد العرب خاصة إلى النصر ،
واللغة العربية قادت الحضارة العالمية قروناً
طويلة ، وإشاعة الفحشاء والمنكر والتخنى
تفتت الشعب وتجعله عبداً لبطنه وجيبه وفرجه

الهجرة سنة المرسلين

للأستاذ مصطفى الطير

ما من رسول دعا إلى الله إلا عاداه قومه ، وبسطوا له وإن آمن به أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وحلوه على الخروج من وطنه هو ومن آمن معه ، فراراً بدينهم وتخلصاً من تعذيب قومهم ، أو رغبة في نشر شرائعهم بين من يرجى فيهم الاعتدال والرغبة في معرفة الحق والانتماء إلى رحابه في ظلال الأمن والسلام .

فهذا إبراهيم الخليل ألقاه قومه في النار ، بعد أن دعاهم إلى هجر الأوثان ، وعبادة الديان ، وبين لهم عملياً عجز آلهتهم عن دفع الأذى عن نفسها ثم نبأه الله من نار تلتعج ضراماً ، وجعلها عليه برداً وسلاماً ، وقال لاني مهاجر إلى ربى سيدي .

وهذان موسى وهرون : دعوا فرعون أن ينزل عن كبرياء الأرباب ، إلى تواضع المربوبين ، وأن يؤمن بالمهيمن الخلاق ، ويدع الاستعلاء على المخلوقين ، فاضطهدهما ورماهما بالسحر المبین ، وعذب قومهما العذاب الأليم فكان يقتل الأبناء ، ويستحيى النساء ، ويستخدمهن مع رجالهن كالأرقاء ، فهاجر موسى بقومه إلى الأرض المباركة سيناء ، ليتمكنوا من العبادة في أمان من

الذبح والتكيل . وباليتم شكروا نعمة الإنجاء ، وذكروا فضل الإيواء ، وحدوا كريم التغذية بالمن والسلوى ، وراحة الإظلال بظل الغمام ، لكنهم اتخذوا عجلاً جسداً له خوار فعبدوه ، واعتدوا في السبت فقال لهم الله : « كونوا قردة خاسئين » .

فإذا كانت الهجرة شأن المرسلين فلا بدع في أن يهاجر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة بعد أن تحجرت في أهلها القلوب ، وعييت البصائر ، وتحكم فيهم تقليد الآباء ، وعظمت فيهم عنجهية الجاهلية ، وبعد ما أمعنوا في الإيذاء والتأمر وقعدوا للدعوة والدعاة كل مرصد .

وبهذه الهجرة تمت للنبي صلى الله عليه وسلم سنة إخوانه الأنبياء من قبله سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

حكمة الهجرة :

ألا وإن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة من حكم الله تعالى ، فإن قریشاً لو آمنت به ولم يهاجر لقال غيرهم إن قریشاً حملوا رجلاً منهم على أن يدعى النبوة فأمنوا به وولوه أمرهم ، لينشر بهم دينه وسلطان قومه

حكمة ذلك التكليف بقوله «لما سئل على قولاً ثقيلاً، وذكر له أن العبادة الناشئة في الليل معوان على ثبات القدم في الدعوة التي يستقبل أعباءها بقوله «إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً، ومن ثم مضى النبي صلى الله عليه وسلم يستعذب التعذيب ويستهن بالصعاب، ويحتمل من قومه الجفاء. وقد كانوا له أولياء. وكانت منزلته بينهم في السويداء.

حتى إذا انتهت مرحلة الكفاح العنيف بمكة إلى إيمان هدد قليل من أهلها لا تمضي بهم الدعوة في سبيل النجاح، وهم بين قوم معادين متربصين. زوده الله بزاده الروحي الثاني ليستقبل به مرحلة جديدة، ينتشر بها الإسلام في محيط أرحب وبجال أوسع، وذلك أن جبريل شق صدره الشريف، وملاؤه من أسباب القوة الروحية ما لا يعلم مداه سوى الله، وسلك به مسيرة الإسراء والمعراج، ورأى من آياته ربه الكبرى، فاكتملت بذلك في نفسه عوامل الصمود، واستعد به للرحلة الكبرى من الكفاح، مرحلة الهجرة إلى المدينة التي استوى فيها الإسلام على سوقه، واكتمل بنيانه، وعز شأنه، وكان هذا الإعداد الروحي الثاني ليلة السابع والعشرين من رجب، في العام الثاني عشر للنبوّة، أي أنه قبل الهجرة بسبعة أشهر ونصف.

على العرب أجمعين، ولما كان هذا الظن سبباً في انصرافهم عن قبول هذا الدين.

فلما شاء العليم الحكيم أن يبغضه أهله ويعادوه، ويحملوه على الهجرة إلى المدينة ليؤمن به أهلها بغير حرب ولا قتال، لأنهم اقتنعوا بصدق حديثه، ومثانة أخلاقه وسمو هدفه، وسلامة مناجاه، وقوة بيانه. ووفرة الينيات على أن الحق يكمن في أعطاف رسالته.

فلما آمن أهل المدينة بدعوته وهم عنه غرباء. انفتحت قلوب الناس لهذا الدين ونفوا عن صاحبه أغراض الملك والسلطان لقومه.

وهجرة النبي وأصحابه درس يتعلم منه المسلم الصبر على الكفاح وتحمل الأذى والمكاره ومشقة فراق الأهل والأوطان. في سبيل العقيدة والإيمان، ولن يضيع ذلك سدى، فقد قال: صلى الله عليه وسلم «من فردينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة».

الإعداد الروحي لمرحلة الهجرة:

كان للدعوة المحمدية مرحلتان. مرحلة البداية بمكة، ومرحلة الغاية والنهاية بالمدينة ولقد زود الله نبيه في كلتا المرحلتين بزاد روحي يعينه على الصمود في الدعوة أولهما أنه أمره بقيام الليل لثقلها، ثم بين له

ماذا بعد الهجرة :

تلقى أهل المدينة الرسول بظهر الحرة ، متقلدين أسلحتهم ، فرحين مبتهجين ، بمقدم خير النبيين ، ولما نزل على بنى عمرو بن عوف بقباء . بنى مسجدها الذى وصفه الله بأنه أسس على التقوى ، وهكذا يجب أن يكون المسجد أول عمل لكل مجتمع إسلامي ، ليكون مشرق معارفهم ومركز وحدتهم .

ثم تحول النبي بعد ثلاث ليال إلى المدينة ، فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها ، وكانت أول جمعة له ، وخطب فيها خطبة رائعة قال فيها بعد ما حمد الله وأثنى عليه .

و أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم . تلعن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم يأتك رسولك فبلغك ، وأتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنها تجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

ثم ركب ناقته وكلمها مر على دار من دور الأنصار تضرعوا إليه أن ينزل عندهم ،

فكان يقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم بركت بفناء بنى عدى بن النجار أمام دار أبي أيوب الأنصارى ، وهى موضع مسجده الشريف ، فقال الرسول : ها هنا المنزل إن شاء الله ، واختار أن ينزل أسفل دار أبي أيوب ليكون أيسر لزيارته .

واتفق فى ليلته أن كسرت زوجته جرة ماء ، فجعلوا يحففان الماء بقطيفة ليس لهما غيرها خوفاً من وصوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلهذا استعطف الرسول حتى صعد إلى الطابق الأعلى ، وبذلك طابت نفس أبي أيوب ، لما فيه من تكريم الرسول ووقايته من تراب المارة بالطريق ، وتعرضه لمثل حادث الجرة .

ولما تحول مع الرسول أغلب المهاجرين تنافس الأنصار فيهم ، فحكوا القرعة بينهم ، فما نزل مهاجر على أنصارى إلا بالقرعة ، وآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة وأن يتوارثوا بعد الموت ، فكان الأنصار يؤثرونهم على أنفسهم ، وفيهم نزل قوله تعالى : والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، الآية .

وقد كان لهذه الأخوة تأثيرها العميق

في وحدة المسلمين وقوتهم ، وما أصابوه من النصر والفتح المبين ، ولما استغنى المهاجرون وأصبح لكل مسلم أسرة مسلمة ذات كيان وأولاد بعد فراق زوجاتهم المشتركات نسخ الله ميراث الاخوة بآيات المواريث وبقي تأخيرهم على الحق والمواساة .

التوقيت بالهجرة :

كانت العرب تؤرخ بالحوادث فيقولون حدث كذا عام الفيل أو عام حرب الفجار أو حلف الفضول أو نحو ذلك ، وكان الامر على هذا أول الإسلام ، كقولهم حدث كذا عام الابتلاء ، وظل الامر على ذلك حتى خلافة عمر ، فاختر التوقيت بالهجرة وترك التوقيت بالحوادث .

روى أنه رفع إليه صك تاريخ حلوله شعبان ، أى شعبان هو ، ثم قال إن الاموال قد كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت ، فكيف التوصل إلى ضبطه ، فقال له ملك

الاهواز - وكان قد أسلم على يديه بعد أسرته - إن للعجم حساباً بيسمونه (ماه روز) يسندونه إلى من غلب من الالكاسرة ، ثم شرحه لعمر وبين كيفيته فلم يرض العمل به ولا بتاريخ اليهود ، بل قال اجعلوا الهجرة تاريخاً لنا ولما كانت الهجرة في ربيع الاول رجع بالتاريخ إلى أول المحرم قبله مراعاة للضبط .

وقد أحسن عمر في هذا الاختيار ؛ فإن الإسلام كان حبيساً بمكة ثلاثة عشر عاماً لا يجد له سبيلاً إلى قلوب الكافة من أهلها ؛ ولا إلى عقول أبناء العروبة خارجها ؛ فلما كانت الهجرة تحول الإسلام من حالة الركود إلى الانتشار والانطلاق . نحو مختلف الافاق ؛ فلماذا كانت الهجرة جديدة بأن تجعل مبدأ للتاريخ الإسلامى نسأل الله أن يوفقنا بذكرى الهجرة إلى هجر ما نهانا عنه .

مصطفى محمد الحبري الطبر

دروس من الهجرة

للأستاذ سعد عبد المقصود

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية ،
تسمو بالإنسان فوق كل اعتبار ، وتمخطى
بالإنسانية كل أودية الغيم ، وتجنّبها ويلات
الشُرور ، ومغبة الأمور ، كل فكرة فيها
تخطيط على منظم مدروس ، ومنهج تطبيقي
للساوك الجاد للفرد ، والتحفز الصادق للجماعة ،
وكل ومضة من ومضاتها تيار موجب يصل
ما بين التفكير والتنفيذ ، ويحدد لكل جهاز
مستوليته ، وطرائق العمل السليم ، في وعى
ومثابرة ، وكل لحظة فيها دستور حتى لكل
إنسان يقبل على أمور أو تقبل عليه الأمور
فيعى كيف يكون الخلاص ، ويحدد بنفسه
العمل ، ودوره أولاً فيه حتى يضمن بنفسه
لنفسه النتيجة .

ولن تمر ذكرى هجرة الرسول صلى الله
عليه وسلم دون أن نأخذ منها العبرة ، ونستلهم
الرشد والهداية ، ونستوضح معالم الطريق
في محاولة التأسي بالرسول وهو يبني دولة
الإسلام الفتية ، ويشيد دعوته الناهضة ،
ولاشك أن في الهجرة دروساً نافعة لمن يريد
التعرف على المبادئ الأصيلة ، والمقومات
الأساسية ، والعناصر الحقة لبناء الدولة
 وإقامة نهضتها وحضارتها .

لقد جربت معه كل وسائل القمع والتهديد
والمساومة والاسترضاء لتثنيه عن دعوته

ولم تكن هجرته عليه الصلاة والسلام فراواً
من أذى قريش وعنتها ، أو هرباً من
الاحداث ، أو خوفاً من الظلم الواقع عليه
وهل أصحابه المسلمين الاولين وهم قلة ،
ولمّا هاجر الرسول لاه يريد العزة لنفسه
ولدينه ولا تبعائه المستضعفين وينشد مساراً
آخر للدعوة بعد أن غلقت قريش في وجه
دعوته المسارات ، وسدت الطرق ،

وسواء أعلمت قريش ذلك أم لم تعلم ،
 فالشيء الذى نود أن نذكره أن هذه المحاولة
 لم تؤت ثمارها المرجوة ، ولم تحقق نجاحا ،
 ورأت قريش نفسها لإقبال النفوس على الدين
 لإقبال الظالم على الرى ، وظا عن المر على
 جداول الدوح الفيانية ، فرأت أن تتحول
 من سياسة تكميم الأفواه إلى مزيج من
 سياسة الملاينة والإغراء ، والملاطفة
 والاسترضاء فعرضوا على رسول الله مراتب
 الشرف والسيادة ، وقدموا له عروض المال
 والجاه لعل فى هذا ما يثنى عن دعوته أو
 يغير من عقيدته . ويلين من عزمته ولكنه
 وهو الواثق بالله ، المؤمن بالحق لم ترق
 فى نظره تلك المساومات الرخيصة ، أو تغره
 هذه الاسترضاءات المبذولة ولم يغير من نفسه
 صلى الله عليه وسلم جو المودة المائع ،
 وأوفى الود المفتل والمهادنة الخادعة ، وما
 كانت لتلين من عزمته أو تغير من حدته
 وصلابته ، بل أصر على مبدئه لإصرار الحق
 ثبت عليه ثبات الشم ، وترفع عن سخافتهم
 ترفع السماء ، فانطلقت كلماته الهادئة الرزينة
 الواضحة تذيب ما عرض الكفار عليه ،
 وتذهب به كرماد اشتدت به الريح فى يوم
 عاصف شديد .

قال لهم الرسول : ما جئت بما جئتمكم
 به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا

النامية ورسالته الهادية ، ولكن إرادته
 وعزمته ، وإيمانه وعقيدته كانت صخرة
 تحطمت عليها أحلامهم الباهية ، وتكسرت
 عندها أمواج أمانهم الخادعة الصفراء ،
 جربوا معه صنوفا شتى من الاضطهاد ،
 وألوانا كثيرة من الحروب ، جربوا حرب
 الدعاية والتشويش ، ونشر الشائعات الكاذبة ،
 والافتراءات الضالة ، والأقوال الزائفة ،
 فوقفوا فى طريق قوافل الحجاج فى موسم
 الحج ، والرسول يعرض نفسه على القبائل
 لعله يجد من تفتح نفسه للشروق ، أو يهفو
 قلبه نحو الحق ، فيكون معه من ينصره أو
 يساعده على تبليغ الرسالة ، وقفوا يشهرون به ،
 ويسخرون منه ، وينفرون الناس عن دعوته ،
 وهم يهنون عنه وبنأون عنه ، وإن يهلكون
 إلا أنفسهم وما يشعرون .

وإذا كان غرضهم من الدعاية محاربة
 الإسلام وتعويق تقدمه ، وعرقلة خطاه ،
 فقد كان فى طياتها ما يجلى بانتشار الإسلام
 لقد كان لها فى نفس الوقت وجه آخر مضيء ،
 فقد شرقت النفوس لا تعرف على الدين الجديد ،
 وعطفتها نحو غدران السمحة وحركت فيها
 نوازع نهمة لأخذ فسكرة عنه ، فجملت القلوب
 تنعطف نحوه ، والأفتدة تهوى إليه ،
 فلكل جديد لذة ، والنفس أشوق ما تكون
 إلى معايشة الجديد .

إليه تافهة كعقولهم ، نافضة ككفكيرهم ، وكيف يرضى ، وهو يعتقد أنه مصباح يجاهد ظلام الشرك وضباب الجهل ، وغيوم الحقد والانانية ، والاغشية المتخلفة من بقايا فهم ذابل سقيم ، وبمقدار وقوفه بجانب الحق وحمايته للثل بقدر ما يقوى المصباح على هزيمة الظلام والضباب والغيوم والاغشية المتخلفة ، والفهم الذابل السقيم .

ونجح محمد ، في امتحان الإرادة والعزيمة والقدرة ، وكيف لا ينجح وهو الذى جاءه قبل الهجرة بقليل « خباب بن الارت ، صاحبه ، وهو متوسد ببرده فى ظل الكعبة فقال يا رسول الله : « ألا تدعو لنا ... ؟ » وأحس الرسول أن فى قائنه رنة أسمى ، ونعمة شاكوى فألقى رسول الله هذا القول فقعده رسول الله بحجر الوجه ، ثم قال لخباب : « إنه كان من قبلكم ليشط أحدكم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم وعصب ، ويوضع المنشار على رأس أحدكم فيشقق ، ذلك ما يصرفه عن دينه ، ثم طمأن « خباب » على الدين وعقباه فقال : « وإيظنن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من « صنعاء » إلى « حضرموت » لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه » .

ولما أحسوا بهن يمتهم أمام إرادته الصادقة وعنيمته الثابتة ، انقلبوا على أصحابه القلائل

الملك عليكم ، ولكن الله بعث اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

لم تجد حيلهم معه ، ولم تنطل على رسول الله هذه الخدع المكشوفة ، فجن جنون القوم وتحولت أفكارهم الثائرة إلى أتون ملتهب يقذف بالضرام والثورة ، ويضطغن بالحقد والنقمة وذهب وفد منهم إلى أبى طالب قائلين له « إن لك منزلة وشرفا منا ، وإننا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنه عنا وإننا والله لن نصبر على هذا من شتم آبائنا وعيب آلهتنا ، وتسفيه أحلامنا فانهم عنا ، أو خل بيننا وبينه فأشار أبو طالب إلى رسول الله ليبقى عليه وعلى نفسه فقال : « يا عم . . والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ملحمة من ملاحم البطولة استمدت إلهامها من الله ، وروحها من خلق الرسول الكريم ، وإصرارها من حرارة الإيمان وذوب العقيدة ووقدة الشعور ، وكيف ينزل محمد على مارأوا ، أو يجيهم إلى ما طلبوا ، وهو يرى أن السكون عنده والحياة أيضا يدين ما يدعو

الصفاء الاطهر ، والنقاء الاقدس ، فيغمسون
الاجساد المخدوشة ، والنفوس المنهوشة ،
فتهدأ جراحاتها وتسكن ، وزائد لهم رسول الله
لقد تحرش به الكفار ، آذوه ، أدموا قدميه
كادوا له . استفرغوا طاقتهم الكامنة وحقدهم
الاسود فأغروا به نساءهم وعبيدهم يسبونهم
ويقذفونه بالحجارة الدامية عبر الطريق ، في
بحيمه ومراحه ، ومساءه وصباحه ، فلم تنفجر
من عينه دمعة باكية ، أو تذبعت من قلبه
زفرة شاكية إلا إلى الله وحده ، فما كان ألد
عنده أن يبعثر آثار الالم ويغسل قلبه وجسده
الدامين ، بدعوة تائبة ، وهمسة من النجوى
منية إلى الباري سبحانه : اللهم إني أشكو
إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني
على الناس يا أكرم الأكرمين ، أنت رب
المستضعفين وأنت ربى إلى من تسكنى ؟ إلى
بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ،
إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى !

وهكذا سار الصحابة مسار نبيهم ، ولهم به
القدوة ، وحسن الأسوة ، لقد رماهم الكفار
بالصخر الملهب فى القبيط ، وبالقيط الأشد
التهاباً من قلبهم ، وألقوا فوقهم الحديد المحمى
فى النار ، وجروهم فى دروب مكة على الأرض
وفى بطحاتها وشعابها ، فى وهج الشمس ،
وصقيع البرد ، ولكن كان إيمانهم بالله
كإيمان رسولهم أكبر دائماً من الالم وأقوى

وصور لهم زعمهم الواهن ، وعقليتهم الضيقة ،
وتفكيرهم الساذج أن إيذاءهم سيفتنهم فى دينهم
ويصرفهم عنه ، ويباعد بينهم وبين ربانهم
السائر المشوق ، وفى زعم قریش أنهم مبيأتون
بنيان الدعوة من القواعد ، ويقتلعونها من
القلوب ، ويقوضون دعائمها من الأساس ،
فيكون التخذيّل لمحمد ودعوته ، فيضيع بذلك
سعيه ، ويكون كالداعى فى وهاد ، أو النافخ
فى رماد .

ولكن عزيمة المسلمين السابقين كانت شمساً
أذابت تحت وهجها الصامد الملهب قتام المنى
وضباب الفكر ، وثلوج السذاجة والاعتار
بالآمال ، والشمس تظهر فى الأفق ضاحية
الوجه ، فتمس السكون تيارات من الدفء
الوامض ، وأنفاس من الحيوية الناشطة ،
والتماعات من الاضواء التى تسمح كدح الحياة
وتغسل أدران الجوى ، وتنضج حرارتها
مراحل الكفاح ، وكذلك كان الصحابة ،
وهكذا كان وقوفهم فى معامات الحوادث ،
عزيمة أنضجت حرارة الإيمان ، ونور من
التنزيل والفرقان وثبات من العقيدة والتشريع
وآيات من الوحي الملهب تملأ قلوبهم فينسبون
فى ذوبها أرواحهم وقلوبهم وديناهم ويذيبون
فى وهجها نفوسهم وأجسامهم ، فلا يحسون
أمام معتك الحياة بضجر ، ولا يلهسون فى
الأذى إلا مناجاة حانية ، تدعوهم إلى محراب

لقد أكل الحقد قلوب الزعماء منهم ، وباض الشر وأفرخ ضراوة على الإسلام ومعتقديه ، فهداهم التفكير المضطرب بالشار ، المطلول بالاحقاد أن يشعلوا حرب التجويع ، وسياسة الحصار الاقتصادية ، فاجتمعوا ، وعقدوا معاهدة على أن يقطعوا بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينسكبوا لإيهم ولا ينسكبهم ، ولا يبيعهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا فلا يصل لإيهم شيء إلا سرا ، مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش ، وشق الأمر على الرسول وعشيرته حتى كانوا يأكلون ورق الشجر .

ولكن الله سلم . . فتبعثت وسائل الحرب في نفس الميدان الذي أشعلوا فيه الحرب ، إذ قام ثلاثة رجال من أشrafهم فنقضوا الصحيفة ، وكانت الأرض قد أكلتها ولم يبق منها إلا لفظ « الله » ؟

ضاعت فرصة قريش السانحة ، وخمرت معركة الحرب الاقتصادية وتبخرت آمالهم العجاف على نفس الصحيفة التي قد ثبتوها في جوف الكعبة وفاء عهد وميثاق . . ومن قبل خسروا معارك الحرب السياسية مع النجاشي ومعارك الدعاية ، وتمكيم الأفواه ، والقهر ، وسياسة الملاطفة والملاينة ، وعروش الجاه والسيادة ، فإذا تبقى في كنانة قريش من

من الإيذاء ، وأشد من التحمل ، والمؤمن المتفاني في إيمانه ، الذائب في حرارة دينه ، وأشواق عقيدته يرى في الأذى الواقع عليه سعادة لأنه في الله ، ويحس في الألم نشوة ، لأنه في سبيل دينه ، ويتذوق في الإساءات طعما يجعله يرتفع . بإحساسه فوق مستواها ، ويسمو بنفسه فوق لسع الأذى ووقع الخطوب .

ولقد هاجر الصحابة إلى الحبشة لا فرارا بدينهم كما يتوهم ، وإنما التماسا لافق متسع ينشرون في جوه كلمة الحق ودعوة الإسلام ، لكن القرشيين هالهم أن يستمعوا للكلمة الفاهمة وهالهم كذلك أن يسمع غيرهم لإيها ، أو على الأصح لقد خافوا أن يلقى الدين نفوسا تتلقاه بشوق وتتقبله بقبول حسن ، أو يقع في نفوسها موقع التقبل والاستحسان في الحبشة فأرسلوا وراهم رسولين منهم ومعهما هدايا للنجاشي ملك الحبشة ، ليوغر الرسولان صدر النجاشي عليهم فيرجعوا من حيث أتوا .

وكان ذلك كفيلا بأن يؤلب الكنفاء على رسول الله وصحبه من جديد لكن . . ياترى . . ماذا يريدون أن يفعلوا . . وقد جربوا صنوفا لا حصر لها من اللؤم الماكر والخبيث العنيد ، ! ماذا تقصد قريش أن تفعل وقد أشعلت ألوانا كثيرة من الاضطهاد ، وشيئا غير قليل من اللؤم والدهاء ؟

العرب لا يتخذى!

للدكتور على العسارى

أراد العالم الراوية عبد الملك بن قريش المعروف بالأصمعي أن يستثبت في كلمة (استخذى) هل هي مهموزة ، أو غير مهموزة ، أى هل يقال : استخذى ، أو استخذأ ؟ قال : فقلت لأعرابي : أتقول استخذأت أم استخذيت ؟ فقال : لا أقولها . قلت : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى ! كلمة قالها الأعرابي دون تفكير أو تكلف لأنها تعبير طبيعي عن خلق العربي الذي كان يحس دائماً أنه عزيز في نفسه ، وقومه ، حتى سئل أحدهم وكان يسير عارياً : ألا تخاف البرد ؟ فقال : أسير يدفئني حسبي !

ونفور - غير متكلف أيضاً - من هذا الأعرابي أن يسند هذا الفعل (استخذى) إلى نفسه ، ولو في جواب سائل ، لأنه ينفر - أشد النفور - من الضيم يحل به أو بقومه ، فهو ينفر أيضاً أن يسند فعله إليه .

ولقد كانت الشجاعة هي الصفة الأولى التي يفخر بها العربي ، ويمدح ، ويرثى . تدلنا على ذلك خطبهم وأشعارهم ، كما تدلنا عليه أخبار مفاخراتهم ومنافراتهم .

ولإذا نصحوا دعوا أقوامهم أن يثبتوا في المعارك ، وأن يسرعوا النهضة في الصريح ، وأن يقلدوا أمورهم رجلاً عالماً بشئون

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

سهام الغدر والمكر . . ماذا يخشون من شر وماذا يضمرون من مكيدة ماذا ؟ وقد ذهبت كل أمانهم أدراج الرياح ، ولم تزل آثار هزائمهم ماثلة تدمغهم بالحسبة والحسرة وتورث في قلوبهم الحقد والاضغان .

أخيراً وليس آخراً طاش مهمهم ، وضل صوابهم ، وأخطأوا التقدير ، قالوا إلى سياسة الغوغائية المنحرفين ، واتخذوا من آخر مهم لهم مرسى ظلمهم ومبادة ظلامهم ،

فهمدوا إلى الاغتيال ، وهذه ثلاثة الأتاني ، ونهاية المطاف ، وآخر ما في جعبتهم من سياسة حاقدة حمقاء فاجتمعوا في دار الندوة ، وقرروا قرارهم الآثم باغتيال محمد صلى الله عليه وسلم ، ليخلو لهم الجو ، وتستريح أفسكارهم الثائرة الهو جاء يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هم غير المقصود ظلمهم

(لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أورمية ، ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء) .

ولما وفد متمم بن نويرة - وكانت أشعاره في رثاء أخيه مالك قد طوفت في أنحاء الجزيرة العربية - على سيدنا عمر بن الخطاب ، وجرى بينهما حديث عن رثاء متمم لمالك ، وحزن سيدنا عمر على أخيه زيد بن الخطاب الذي قتل في حروب الردة ، قال متمم لسيدنا عمر : لو مات أخي ميمية أخيك ما قلت فيه شعرا ، فقال سيدنا عمر : ما عزاني أحد في أخي كعزيتك هذه .

ولقد كان إيمان العرب الوثيق بأن الإنسان ميت - ولا شك - هو السر في التعامل بأنفسهم أن تقبل ضيما ، أو تستمكن إلى مذلة ، أو تقعد عن إجابة داعي الحرب ، أو تهرب عن قتال العدو .

ولقد عبر عن هذا المعنى أحد شعرائهم الجاهليين الذي لم يكن يدين بعقيدة من تلك العقائد السماوية التي عمقت هذا المعنى ، وثبتته في نفوس المؤمنين . هو عنتر بن شداد إذ يقول :

بكرت تخوفني الختوف كأنني

أصبحت عن غرض الختوف بمعزل

فأجبتها : إن المنيسة منهل

لا بد أن أسقى بكأس المنهل

الحرب ، قويا عليها ، لا يبطر إذا غمرته النعمة ، ولا يخضع إذا نزل به المكروه .

وقد لدوا أمركم الله دركم

رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا لا مترفا إن رخاء العيش ساعده

ولا إذا حل مكروه به جزعا

وإذا وصف رجل بنيه كانت الشجاعة

أولى الصفات التي يتمدح بها فيهم ، حتى الفتاة

العربية كانت حين يسمح لها أن تصف ما تحب

من الأزواج تذكر الشجاع البطل ، الذي

يفلق هامات الرجال .

وكان العزاء للباقيين فيمن يموتون أن يكون

موتهم تحت ظلال السيوف ، أو مستشهدين

في سبيل الله ، فقد كانوا يكرهون أن يموت

الرجل حتف أنفه ، وعلى فراشه .

خطب عبد الله بن الزبير - لما بلغه قتل

أخيه (المصعب) - فقال : (إن قتل فقد قتل

أبوه وأخوه وعمه ، إنا - والله - لا نموت

حتفاً ، ولكن قطعاً بأطراف الرماح ،

وموتا تحت ظلال السيوف ، وإن يقتل

المصعب فإن في آل الزبير خلفاً منه) .

وهذا يشبه ما ورد في شعر أحد شعرائهم :

وما مات منا سيد حتف أنفه

ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حصد القطبات نفوسنا

وليس على غير السيوف تسيل

وقريب منه قول سيدنا خالد بن الوليد :

كان عبد الله بن مطيع من رجالات المسلمين
وصلحائهم ، وقد فر في موقعة الحرة التي
كانت بين جيش يزيد بن معاوية ، وبين أهل
مدينة رسول الله ، فلما حاصر الحجاج بن
يوسف مكة بجيش الأمويين - أيضاً -
ليقضى على عبد الله بن الزبير تقدم عبد الله
بن مطيع ، وجعل يقاتل جيش الحجاج
ببسالة وشجاعة ، وينشد :

أنا الذي فررت يوم الحرة
والحر لا يفر إلا مره
فاليوم أجزى كرة بفرو

ما أحسن السكره بعد الفرو
ولم يزل يقاتل حتى قتل .

والعرب من قديم يقدمون ولا يحجمون
مهما أحاط بهم الأعداء ، ولعل أوضح
ما يصور ذلك قول تلك الأعرابية الكندية
التي تصف قومها :

أبوا أن يفرؤا والقنا في نحورهم

ولم يرتقوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة

ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما
وهذا ما أمر به الإسلام ، وتشدد في الحض
عليه . يقول الله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا
إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا
لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . وقد

فاقتى حياك لا أبالك واعلمى
أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل
فلما جاء الإسلام قالها لهم صريحة حاسمة
قوية : (قل لو كنتم في ييوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) .

وهذا أحد الأمور التي جعلتهم يشبتون
في المعارك ، ويحرص كل بطل على ألا يقتل
إلا مقبلا ، ولقد أطالوا في هذا المعنى حتى
لنظن أنه كان عندهم بمنزلة العقيدة الراسخة .
يقول سيدنا حسان بن ثابت :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وكانوا يفخرون بأن أكفال خيولهم محرمة
على الرماح ، أما لبانها ونحوها فدامية من
كثرة الطعان ، وكما حرموا على أنفسهم أن
ينالهم الأعداء وهم مدبرون ، حرموا عليها
كذلك - عزة و مروءة وأنفة - أن يطعنوا
أعداءهم في ظهورهم !

وأحسن ما كانوا يتماذحون به أن فرسانهم
كانوا (يستعذبون منايهم) والذي يستعذب
الموت يقبل على حوضه في شغف وشوق ،
ولا يحدث نفسه بالفرار فإذا حدثته به ثبتها
وحسبها بما ينشد من أشعار ، أو يستحضر
من كلمات ، أو بما ينتظره من نعيم إذا
استشهد في صليل الله ، ولو وقع منه ما يكره
حرص على أن يسكفر عن زلته بالاستبسال
في معركة أخرى .

ومن هذه الكلمات الصادقة ، الممتلئة بشجاعة وعزة : (المنية ولا الدنية) و (استقبال الموت خير من استدباره) ومفردات اللغة نفسها فيها الروح المحاربة ، حتى قيل : إن اللغة العربية لغسة محاربة ، ولذلك نجد العرب وضعوا أسماء كثيرة لل سيف والاسد والحرب وأكبروا من وصف أدوات القتال .

ولقد بلغ بهم الاعتداد بأنفسهم والحرص على أن يظلوا أهزاء أن كان بعضهم يرى أن الابتداء بالظالم هو الشرف والعزة ، حتى ليقول شاعرهم : (ونبدأ حين نبدأ ظالمينا) كما كان من المثالب عندهم أن توصف القبيلة بأنها تجزى من الظلم إحسانا .

ولقد هجان النجاشي الشاعر قبيلة بني العجلان بأنها :
قبيلة لا يخفرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل
فرفعوا أمره إلى سيدنا عمر ، فحكم حسان ابن ثابت فيهم بأن هذا من أشد الهجاء .

ولم يكونوا يدينون بهذه الأخلاق لمجرد أنها ترضى كبرياءهم ، ولكنهم كانوا يرون أن الرجل إذا كان هينا لينا طمع فيه الناس وأنه إذا لم يتذأب أكلته الذئاب .

متى تجمع القلب الذكي وصارما
وأنفأ حيا تجنبك المظالم
وفي اللين ضعف والشراسة هيبة

ومن لا يهب يحمل على مركب وعر

د . علي المصاوي

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات ، أي المهلكات . قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

فالتولي يوم الزحف لإحدى الكبائر التي توعدهم إليها الإسلام بالغضب الشديد والعذاب الأليم . وقد كان من فرسان العرب في الجاهلية من يترىث في ملاقات الأعداء ، ولم يكن ذلك جبنا ، وإنما كان حزما . سئل عنترة : أنت أشجع العرب وأشدّها ؟ قال : لا . قيل له : فماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما . وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ، وما دخلت موضعا إلا قدرت لنفسى الخروج منه ، وكنت أعتمد الجبان الضعيف بالضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنتنى عليه فأقتله .

وكثير من الكلمات السائرة التي رويت عن العرب يدلنا على مكان العزة من نفوسهم وعلى مدى حرصهم على الثبات أمام الأعداء وإحراز النصر مهما كلفهم من ثمن في الأرواح أو في الأموال ، وربما كانت كلمة سيدنا أبي بكر : (احرص على الموت توهب لك الحياة) على رأس هذه الكلمات ، وأحقها بأن يتأملها كل مدافع عن حقه أو زائد عن وطنه .

العقيدة الدينية

وأثرها في تربية النشء

للدكتور محمد غلاب

الأولى هي العمل السريع الحاسم الحازم على نحو آثار العدوان بطريقة عزيزة كريهة تحتفظ للأمة جمعاء بهيبتها كاملة غير منقوصة ، وأن مؤخره هذه الخطوة هي النظر العاجل في إعادة تكوين الشباب وتقويم تربيته وجميع حركاته وسكناته وتعويده على الصدق في القول والإخلاص في العمل . وهذا لا يتيسر إلا إذا ربي الشباب تربية دينية تعتمد قبل كل شيء على العقيدة والإيمان .

ونحن في هذا لا نلقى الكلام على عواهنه فقد أثبتت الوقائع المادية صحة هذه الدعوى مرارا ونشرت في تقارير رسمية ، إذ حين روعت الهزيمتان : المادية والمعنوية جيش الحلفاء في إحدى مواقع الحرب العالمية الثانية استدعى المسئولون أطباء نفسيين ليدرسوا حالات المنهزمين أو دعاة الانهزام ، فلما فعلوا تبين لهم أن أولئك وهؤلاء جميعا ممن فقدوا العقيدة الدقية وصاروا لا يؤمنون بشيء ألبتة ، وبالتالي فقدوا الإيمان بالغاية فانهارت معنوياتهم وأصبحوا لا يجدون في نفوسهم الهدف الذي يستحق التضحية بالحياة .

عند ما تحديق بالبلاد ظروف عسيرة ، وتنزل بها محن قاسية تؤلم الكبير والصغير إبلا ما شديدا ، ولكنه ليس ماديا من النوع الذي يرهق الضعفاء ، أو يزعج الجبناء أو ينال من أفئدة المترددين والانهمامين ، بل هو إبلام معنوى ناشئ من خدش العزة المتأصلة في الرفعة ، والمتعودة على الشموخ حين تجد أن تلك المحنة قد نزلت بها من قبل ذنب قذر من أذئاب دولة مستعمرة غادرة لا تاريخ لها ، ولا ماضى يشرفها ، ولا وراثة شهمة ترفع من قدرها ، وإنما هي ليم من حثالات شعوب مختلفة تجمعت وتألفت منها أكبر كمية من المشردين وقطاع الطرق والمجرمين الذين يهاجمون المصارف في رابعة النهار ليستولوا على ما فيها عنوة وعنف .

عندما تلقى إحدى الأمم العريقة كأممتنا مثلا نفسها في هذه الحالة ، تشعر بألم قاس يحز في قلبها ، وتحس إحساسا باطنيا فعلا بأن عاملا قويا يدفعها إلى ضرورة التفكير الجدى والتأمل العميق في معاني الأحداث المحيطة بها ، والاختار التي تتعرض لها الأمم العربية كلها وسرعان ما تجد أن مقدمة الخطوة

من الإجلال بقدر ماله من التأثير في صيانة المجتمع على أقل تقدير؟ أولا ينبغي أن يقدر المربون الذين تعينهم استقامة الشباب وصلاح المجتمع أن ترفع المؤمنين الحقيقيين عن الغدر والخيانة والخداع هو ترفع أصيل صادر من القلب ثابت مدى الحياة ، بينما أن امتناع الخائفين من القانون هو امتناع الروغان ، وأن الفرق بين الامتناعين كالفرق بين المرأة التي تصون عرضها من كل قلبها وعقلها ، والآخرى التي تصونه خوفا من بطش زوجها أو أسرتها أو من كشفها أمام المجتمع ؟ وشتان ما بين حالة الثقة والطمأنينة ، وحالة المراوغة الظاهرية . .

على أنه قد يغلب على أو هام فريق من شبابنا السطحيين أن التمسك بالدين أو السير على نهجه القويم ، وصراطه المستقيم ، ضرب من التأخر أو الجود ؛ وذلك خطأ شنيع فادح الكوارث والنكبات .

إن المستعمرين الذين كان لهم في البلاد العربية سماسرة وأعوان ذوو قوة وسلطان ، كانوا قد أعدوا ميزانية خاصة وضعوها تحت أيدي أولئك السماسرة الخونة ، قصد إنفاقها في إفساد تربية الشباب وعقولهم وعقائدهم ، وقد نجحوا في الوصول إلى هذه الغاية فنقصوا في أذهان أنصاف المثقفين أن أداء الفروض الدينية من : صوم وصلاة وزكاة وما إلى

ومن ثم فإنه حين نزلت الآية الكريمة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، كان لها كما أجمع الرواة — أثر بعيد الغور في النفوس .

من هذا كله يتبين ذلك الاثر الرائع الذي تطبع به العقيدة نفوس المؤمنين ، وتهون عليهم المال والحياة في سبيل الشرف والكرامة والعزة .

وإذا أغضينا مؤقتا عن مواقف الحرب والتضحية واسترجاع الهيبة وتضميد ذلك الخدش العارض الذي أصابها ، ونظرنا إلى سير الحياة العامة وشؤونها العادية التي لا تستقيم إلا بالنضال والاخلاق ، ألفينا أن عشرين في المائة يمتنعون عن الجرائم خوفا من القانون ، لأنه لا يأخذهم إلا بما يثبته عليهم بشهود رؤية يقينية ، ولأنهم يستطيعون في كثير من جرائمهم أن يختفوا عن أعين الرقباء فتكون سلطة القانون هباء ، وأن عشرة في المائة يمتنعون لاعتن الجرائم فحسب ، بل عن صفائر الآثام والسيئات بدافع الدين .

فإذا كان احترام القانون لدى المجتمع قد بلغ إلى حد أنه إذا دوت في المكان كلمة « باسم القانون أفعل كذا » خشعت الأبصار وانحنت الرؤوس ، وساد الصمت بين الجميع إذا كان ذلك كذلك ، أفليس يكون للدين

تأدية الواجبات الدينية والدنيوية، ولصموا آذانهم عن التّغيب والترهيب، ولا غمضوا أعينهم عن البعيد والقريب، ولنظروا إلى المثل العليا المرسومة في دينهم، وتطلّعوا إلى السمو الممثل في مبادئهم وشعائهم، ولا يقنوا أن هذه المبادئ وتلك الشعائر من شأنها أن تقودهم إلى الحرية والسعادة، بل إلى الرفعة والسيادة، لا عن طريق الاستبداد والظلم والاعتداء والتحكم في شؤون الغير، بل بواسطة المبادئ العالية المسعدة. وذلك لأنه إذا انتصرت في قلوب المؤمنين روح الخير تعهدت العلاقات بين الإنسان وربّه بالتقوية والتنمية، ومتى تقوت هذه العلاقات، جعلت النفس المؤمنة تتلقّى أوامر السماء بهيئة نقيصة صافية، ثمّ تملأها أولاً على حياتها العملية الخاصة لكي يطبق العلم على العمل فتتحقق الحكمة. ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب،.

وإذا تم له ذلك، أفاض تلك الأوامر الإلهية على بيئته ومجتمعه. وقد تتسع الدعوة حتى تعم الإنسانية جمعاء فتصلح حالة الدنيا ويسودها الوئام والسلام وتعمها العدالة والصفقة، ويحل الرضى محل النزاع، وتشغل المحبة من النفوس موضع البغض والحفيظة. ومن آيات ذلك أن الأوامر

ذلك من التكاليف، من شأنه أن يجلب إلى أصحابه الإهانة والاستهزاء؟؟ ولقد خلقت هذه المحاولات الاستعمارية الخطرة في نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية كان من نتائجها أن دفعتهم إلى التهاون في إقامة الشعائر الدينية التي هي مناط التماسك والترابط وتلك هي الغاية الجهنمية التي رعى إليها المستعمرون لأنهم يعلمون تمام العلم أنه متى عمم الاستهتار بالعقيدة، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه، ومتى انهار الكيان تثبتت أقدام الاستعمار وسر ذلك أن المستعمرين قد حقنوا على أهل هذه التعاليم القوية المتينة، فودوا أن يعملوا ضعضعة قواهم، ومحوهيتهم ومقاومتهم وقد استعملوا هذه الغاية سلاح إزلاق الشباب في هوة الاستهتار بالشعائر الدينية، وإبعاده عن فهم مغزى الأوامر السماوية، وأغلقوا دون عقوله أبواب الخضارة الإسلامية الأصيلة، وفتحوا أمامه لمعان المدنية الغربية المادية.

ولكن لو أن المسلمين المسؤولين عن تربية الشباب وقيادته في سبل الحياة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قد فهموا دينهم حق الفهم، ولقنوا الشباب مبادئه وتعاليمه على أصولها، وراقبوا تحقيق تطبيقها مراقبة دقيقة، لو أنهم فعلوا ذلك، لا احتقروا سخرية الساخرين منهم، ولتباهاوا بقوة الإيمان وثبات العقيدة والمحافظة على

الإلهية كانت منذ غابر العصور وسقطت
تقتاد بنى الإنسان إلى الفلاح والكمال ،
إذا وضعوها موضع الاحترام والعناية
والعظيم . ولكنها - لا قدر الله - تشهد
دمارهم وفناءهم إذا هم سجدوا عليها أذبال
الإهمال والنسيان .

فإذا كانت كل الظريف والأحوال
شاهدة بأننا كنا في أشد الحاجة إلى إرشاد
الأوامر السماوية وقيادة الكتاب الكريم
والسنة الغراء لجميع أقوالنا وأفعالنا
وخطواتنا وتصرفاتنا ، وأن ذلك كله كان
قبل أن نختلط بالأجانب ونعرض لمأهب
علينا من ربوعهم من عواصف الفتن
والغوايات ، فكيف بنا بعد أن انهمرت
علينا من أصقاعهم سيول المادية والميوعة
والتحلل والزندقة والإلحاد ؟

نعم ، إن الذين ينظرون إلى الأمور نظرة
سطحية عاتمة ، تفقهم روعة المدنية الغربية
البراقة التي يؤلف إنتاجها العلمى والأدبى
والفنى والثقافى ألوانا لماعة لشبح مدنية
زائفة ، تعلن أنها راقية مصقولة ، وتزعم
أنها بعيدة عن كل عنف وقسوة ؛ ولكن
النظرة الفاحصة تكشف للأدقاء المتعمقين
حقيقة هذه المدنية ، وتبين فى وضوح أن
الآزمات الخلقية الراهنة النابعة من الغرب
تم عن غلظة وغلظة لا نظير لهما إلا بين

الوحوش الضارية ، وأن الحربين العالميتين
الآخرتين قد كشفتنا لنا عن حقيقة هذه
المخلوقات التي يعتبرها القشوريون هندا
ينابيع المدنية ، وأن الحالة الزاهنة تظهرنا
على أن كل ما بينهم هو عبارة عن كفاح
وحشى حاد دائم مخبوء تحت ستار الحق
والغل والجشع ، وأنهم غارقون فى معارك
طاحنة لا نظير لها فى عهود البشرية الأولى
التي يطلق عليها أولئك المتبجحون الماحنون
اسمى العصر الحجري ، والعصر الحديدي
وذلك لأنهم استخدموا فى ضراوتهم
البغيضة مقدراتهم العقلية ووسائلهم
التيكولوجية ، ومخترعاتهم الميكانيكية التي
تزلزل تنوعاتها وتجديداتها المتوالية جميع
النظريات العلمية السابقة بمباغمتها المفاجئة
فتقضى على مظاهر الاعتدال والآن ،
ولا تلبث أن تحقق رجحان إحدى الكفتين
حيناً من الزمن سرعان ما يزول ويتخلى
للكفة الأخرى عن ذلك الامتياز . وهكذا
دواليك صعوداً وهبوطاً تتابعهما الأبصار
والعقول والقلوب بلا ثبات ولا استقرار .
وتلك بالإجمال هى حرب الفروض والتكهنات
والرهبة والفزع والتسابق على الأسلحة
المدمرة ، والجاسوسية ، والتنافس فى مضاعفة
الميزانيات لتقوية مصانع التخريب والتقويض
ومن المحجور أيضاً أنهم يسمونها حروب

الإلهية كانت منذ غابر العصور وسقطت
تقتاد بنى الإنسان إلى الفلاح والكمال ،
إذا وضعوها موضع الاحترام والعناية
والعظيم . ولكنها - لا قدر الله - تشهد
دمارهم وفناءهم إذا هم سجدوا عليها أذبال
الإهمال والنسيان .

فإذا كانت كل الظريف والأحوال
شاهدة بأننا كنا في أشد الحاجة إلى إرشاد
الأوامر السماوية وقيادة الكتاب الكريم
والسنة الغراء لجميع أقوالنا وأفعالنا
وخطواتنا وتصرفاتنا ، وأن ذلك كله كان
قبل أن نختلط بالأجانب ونعرض لمأهب
علينا من ربوعهم من عواصف الفتن
والغوايات ، فكيف بنا بعد أن انهمرت
علينا من أصقاعهم سيول المادية والميوعة
والتحلل والزندقة والإلحاد ؟

نعم ، إن الذين ينظرون إلى الأمور نظرة
سطحية عاتمة ، تفقهم روعة المدنية الغربية
البراقة التي يؤلف إنتاجها العلمى والأدبى
والفنى والثقافى ألوانا لماعة لشبح مدنية
زائفة ، تعلن أنها راقية مصقولة ، وتزعم
أنها بعيدة عن كل عنف وقسوة ؛ ولكن
النظرة الفاحصة تكشف للأدقاء المتعمقين
حقيقة هذه المدنية ، وتبين فى وضوح أن
الآزمات الخلقية الراهنة النابعة من الغرب
تم عن غلظة وغلظة لا نظير لهما إلا بين

الوسيلة المثلى التي يؤسس بها كل مجتمع في قلوب أبنائه الدعائم الجوهرية لوجوده الخاص ؛ وهي الأثر الخالد الذي تتركه الأجيال الناضجة في نفوس الأجيال التي لم تنضج بعد ولم تهيأ لحسن مزاولة الحياة الاجتماعية . وهدفها الرئيسى هو أن تنشئ وتنمى في تلك الأجيال الشابة مزيجا من الشعور بالحاجة إلى العوامل الدينية والأخلاقية والعقلية إلى جانب القوة البدنية التي هي ضرورية لقوام المجتمع بوجه عام وللأوساط التي تحيا فيها بنوع خاص .

ومنشأ ضرورة التربية الدينية أو الحاجة الماسة إليها هو أن الطفل لا يحمل معه إلى الحياة إلا طبيعته الفردية مزودة بالإنانية الغريزية ، ولكنه يحمل أيضا الاستعداد لتعلية تلك الانانية وترقيتها . ومعنى هذا أن المجتمع - بإزاء كل جيل جديد - يكون أمام حقيقة يضاء ينبغى أن يبذل جهوده لينقش عليها ما يجعلها صالحة للحياة والسعادة المسعدة للغير ، أى أن المهيمين على أموره يجب عليهم عن طريق أيقن المناهج وأصرحها أن يمزجوا بذلك الكائن الانانى كائناً آخر عادلا معتدلا قادراً على قيادة حياة خلقية واجتماعية لا تستطيع الوراثة أن تحققها له .

ولما كانت هذه الجهود في أشد الحاجة إلى مدنية دائمة السير إلى الامام لتشكل مساعها

المذاهب والمبادئ ، وكان الأولى بهم أن يطلقوا عليها اسم «حروب القهر على التذهب» أو الإجبار على اعتناق المبادئ ولو لم تسترح لها العقول ولا القلوب .

ذلك هو النهج الذى أعده المستعمرون ولا يزالون يعدونه ويحاولون فرضه على العالم كأنه سحابة تحلق في الجو بين الشمس والحياة فتحول بين البشرية والضوء والدفء ، وتجعلها تعيش في ظلمة وتجمد وفزع ؛ ويتناوبها القلق المضنى ؛ ويظل يعذبها ويشقىها إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا .

لذلك كله نحن ندعو الأمة العربية خاصة والأمم الإسلامية عامة أن تتسكتل لمواجهة هذه الاخطار الوحشية ؛ وأن تعتصم بحبل الله القوى المتين ، وأن تنقب في دينها عن تلك المبادئ العالية التي هي وحدها القديرة على تعميم السلام وإنفاذ البشرية من هذه الوهدة التي هي سائرة على حافتها ؛ والتي لو لم تغشها تلك المبادئ السباوية لتردت فيها وقضى عليها القضاء الأخير . ونهيب بالمسلمين ألا يقفوا سلبين أمام هذه السيول العارمة ؛ والعواصف العاتية ؛ والاحداث المجتاحة ، فليس أبغض إلى الإسلام ؛ ولا أبعد عن تعاليمه من السلبية والجهود كما ندعوم إلى أن يصونوا أبناءهم وبناتهم عن التحلل والميوعة بإحكام تربيتهم على النماذج الإسلامية ؛ إذ أن التربية هي

المجتمع الذى يعيشون فيه ، بل على إسعاد الإنسانية جمعاء . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . . وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا .

وأكثر من ذلك : أن مبادئ الإسلام لا تقف عند تسوية الغير بالنفس إلا بإزاء المسلم العادى ، أما المسلم الذى يتطلع إلى مزيد من السمو ، ويمد عينى قلبه إلى شمول من رضاء ربه وإلى رفعة منزلته الخلقية ، ولا يكتفى بمستوى الأخيار ، ويرنو إلى مكانة الأبرار ، فهو يفضل الغير على نفسه ويقف منه فى الدرجة الثانية أو الثالثة ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

و . محمد غزوب

بالنجاح ، ولتضمن لبأذليها الفوز بنتائج جهودهم ، ولما كان كل متأمل فى المدنية الغربية المادية ، يتضح له تمام الانضاح أنها سائرة إلى التدهور والانحدار بخطوات واسعة نرجو ألا تهوى بسببها الإنسانية كلها إلى الخضيض ، ولما كانت الحضارة الإسلامية هى وحدها المستقيمة المعتدلة المتزنة السائرة إلى التقدم والرفعة ، ولم تسكب عبر التاريخ فى أية نكسة إلا بسبب تقصير أبنائها أو انحرافهم عن مبادئ دينهم القويم .. لما كان كل ذلك من الحقائق الواقعية الناصعة ، فإن أقل ما يحقق الإنسانية من مسكة العقل ، يحتم على المهيين على شؤون الأطفال والمراهقين ألا ينشئوهم إلا على مبادئ التربية الإسلامية ليضمنوا لهم الاستقامة والقوة والشهامة والعدالة والغيرية والسر على إسعاد

و الذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من

عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ،

لَهَا الْمُسْلِمُونَ :

اعملوا الوحدة الإسلامية

للدكتور عفيفي عبدالفتاح

إذ ماذا كان عسى أن يصنع الإسلام لقوم شأنهم ذلك ، مستضعفين في الأرض يتخطفهم من حولهم في عرض الوهاد والنجد من جزيرتهم ؟ فإذا عادوا إلى مأمنهم فبأسهم بينهم شديد تمزقهم التوازع المنحرفة وتجرفهم العصبيات الجاحمة ، حيث لا حائط ولا ضابط ولا قائد ولا وائد .

ولكن الإسلام جاءهم بالعلاج والقوة جميعا ، حمل إليهم الدواء المستأصل لشأفة هذه الآدواء من جذورها وفي مجراها ومداخلها .

دعاهم إلى العقيدة - العقيدة الحققة - وكانت في منطقها عقيدة التوحيد وفي مظهرها جماع الوحدة بين الأبعاد المتنافرة من قلوب العرب كانت دعوة إلى المعرفة والضوء ، ثم كانت هي نفسها دعوة إلى اللقاء عند هذه المعرفة وفي هذا الضوء ، واعتزازا بهذا اللقاء الجامع للشمس ، المانع من الفرقة والخلاف .

وكان من ذلك أن (جاء الحق وزهق الباطل) وأن تآلفت القلوب بعد عداوة وتآخت النفوس بعد افتراق كما يقول الله سبحانه : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

لا تصطنع أمة من الأمم مجدها ، ولا تستمتع بما تنشد من عزة ومنعة ، إلا إذا انتظم كيانه على دعائم القوة واستكمل وسائلها وأسبابها . ويتمثل ذلك أول ما يتمثل في تلاحم عناصر الأمة وترباط أفرادها وانسجام مزاجها ، مما ينعكس في إحساسات ومشاعر متبادلة ، وأفكار وعقائد مشتركة ، ثم يستحيل إلى وحدة ، وحدة الخصيصة والذات أو وحدة الطابع والطبع .

وأصدق مظهر لذلك حال المسلمين مع الإسلام في عهد عزتهم ومجدهم وفي عهد انحلالهم وتخلفهم .

لقد جاء الإسلام إلى العرب وهم ذلك البدو الذين عاشوا حياة مادية قاسية كل القسوة شاحبة كل الشحوب ، ثم عاشوا حياتهم الأدبية في متاهات جهالة . وعمايات ضلالة ، وتهور في العادات والتقاليد ، وانحلال خلقي واجتماعي ، واضطراب في الأفكار والعقائد .

جاء الإسلام فكان لهم وليغيرهم المعجزة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا في ماضيه ولا في غابره ، والتي شغلت - كظاهرة فريدة - أفكار الباحثين .

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ويؤكد التاريخ - بما يذكر من فتوحات الإسلام وحضارته - سلامة هذا التسلسل طرداً وعكساً . فالقرآن يهتدى إلى العقيدة ويصهرها بحرارة اليقين ، والعقيدة تنفجر عن وحدة في الفكر والمشاعر والوجدانيات وتضفي على هذه الوحدة انطباعات القوة والاستقرار ، والوحدة بدورها ملاك الدولة وكيانها الطبيعي . وبالتالي : يعتبر انهيار الدولة ترجمة لانهايار وحدتها وتمزق هيكلها وذلك أمر محتوم لضعف مقوماتها الروحية والأدبية .

فإذا كان شأن المسلمين ما نشهده اليوم من تنافر وتناحر وفرقة واختلاف ، فلأنهم لم يقطعوا الشوط من نقطة البدء ، ولم يستمدوا الجهد من مصدر القوة الحقيقي ، فكان لزاماً أن يكون أمرهم شقيتاً ، وأن يتوزعوا في مسيرتهم أحزاباً وشيعاً حتى تضعف شوكتهم وتتخطفهم الناس مرة أخرى .

وكذلك أمرهم كلما تعثرت خطاهم في أطوار تاريخهم ، فالقوة والضعف يرجعان إلى الطاقة في نقطة الارتكاز .

وإذا كان الأمر كذلك فإن حال المسلمين اليوم لا تصلح إلا بما صلحت ؛ في طورها الأول : عود إلى الوحدة الجامعة ، وحدة

إخواننا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) .

ثم كان من ذلك أن برىء المجتمع من علامته وانتفض من آفاته واستوفر يداعب آمالا كبارا ، فبمقدار ما كان يستدكر من أسواء هزاله في جاهليته ، أخذ يعتز بحوله وطوله وإسلامه .

لقد استقبل وجوذاً كريماً وعزيراً ، واستقام - بعقيدته الجديدة - على دعائم يشد بعضها بعضاً ، وأصبح مثل الجسد الواحد رباطاً وصلابة .

وشد ما برزت تلك الحقيقة التي يعرفها الاجتماعيون اليوم ، والتي تؤكد أن عناصر القوه - قبل أن تكون في العنصر والجنس - روحية ونفسية ، وأن التحام النفوس أبعد أثراً وأبلغ نفوذاً من التحام الأجسام ، وأن القربى خير من القرابة .

ثم شد ما ظهر أثر ذلك فيما بعد ، من الرسوخ والصلابة في أساس الدولة الإسلامية وقوة صمودها للأحداث على الرغم من تألفها من أجناس متباينة وعناصر متنافرة .

وسرعان ما فعلت العقيدة فعلها في قلوب العرب لقد اندلعت إلى وحدة في المشاعر والأحاسيس والأفكار والقيم ومظاهر السلوك . والإسلام دولة ، تستمد قوتها من وحدتها ، ووحدها من عقيدتها ، وعقيدتها من كتاب لا يأتبه

الواسع - لا ينبغي أن تفهم على أسلوب بنافى الدعوة إلى الوحدة في ألوان أخرى وعلى امتدادات أبعد ، استجابة لمقتضيات الأوضاع العالمية وما تتطلب من مختلف الصلاة والعلاقات . وإن الإسلام نفسه يدعو لكل ذلك في سبيل سلام العالم وأمن الإنسان .

فلتكن دعوة في الإطار السياسى ، لوحدة عربية ، تحمل شعار العروبة لتكفل لآبناء الجنس الواحد قوة الجانب وتدفع عن حمام العادات .

ولتكن دعوة لوحدة إقليمية في مجال المصالح المشتركة تعززها عواطف الجوار وروابط التاريخ .

ولتكن دعوة لوحدة سياسية ، في نطاق الحياد الإيجابي مثلاً ، لحماية التوازن بين الدول المتسمة بالتطرف ...

وليكن مثل ذلك في المجالات الثقافية والصناعية وغيرها مما يعنى الشعوب ويفيدها .

ليكن كل ذلك ولن يحول أن نضع في الصف الأول - بالنسبة للعالم الإسلامى - الدعوة لوحدة إسلامية سداها قلب المسلم ولحمها علاقة بالآخرين ، تخلق لشعوبه - كما خلقت من قبل - قوة تطاول الأحداث والغير وتتحدى كيد أعدائهم اليوم : الصهاينة والمستعمرين .

قوامها الدين والعقيدة السليمة خالية من الشوائب المشوهة لمعالمها ، وحدة ينشدها ضمير كل مسلم مستهيناً بما يتطلب ذلك من جهود وتضحيات ، وحدة تصهرها المشاعر الروحية وتصدر عنها قوة للجماعات والشعوب . فإيشك أحد في أن حياة المسلمين اليوم ، كأفراد وجماعات وشعوب ، لا تمثل كثيراً صورة الإسلام ، ولا تنتم بمسحة صحيحة من روحه وتعاليمه .

لقد استحال أمر المسلمين ، منذ انفرط عقد وحدتهم ، في مجرى التاريخ ، إلى ما هم فيه من ضعف ، بعوامل انحلال وتصدع يرجع بعضها إلى فقدان الشخصية الإسلامية على أثر ثقافات منحرفة ومذاهب معتلة ، غزت تفكيرهم الدينى من بعيد الزمن وقريبه ولا تزال تنفث سمومها في جسمه حتى اليوم ويرجع بعضها إلى غزو خارجى على الصعيدين السياسى والاجتماعى ، قام به أعداء الإسلام ليشجبوا نفوذه ويحاربوا سلطانه .

وإن على دعاة الإصلاح وذوى النفوذ من جماعة المسلمين أن يرتادوا الميدانين ويعملوا في كلا الجانبين لتحقيق وحدتهم واستعادة مجدهم وعزتهم ، وهم - إن فعلوا - واصلون إلى غاية وحاصلون على هدف ، والفرصة متاحة .

وواضح أن الدعوة لوحدة إسلامية - حتى في أفقها

المطامع المسعورة والعادية علينا . تهيب بنا وبصورة ملحة إلى علاج ما نشكو من خلاف وتختلف في أنفسنا وفيما بيننا ، وإلى ضرورة بناء قوتنا مجتمعة على أساس ثقافتنا الحية وتراثنا الخالد ، وأعتقد أن محاولة العلاج والبناء هي اليوم ، أكثر تناولا ويسراً منها عن ذى قبل .

وواضح ، أخيراً ، أن العمل في هذا الميدان ، يرتكز ، أولاً ، على دراسة دقيقة لعوامل الضعف والانحلال الروحية والعقلية في الحياة الفردية والاجتماعية ، تمهيداً لعلاجها وتقاديسها ، ووسيلة لتكوين النموذج الصالح للمسلم في ذات نفسه وفي مجتمعه .

وثانياً — في المجال الخارجي — على تخطيط واع لمختلف جوانب النشاط في محيط هذه الشعوب على أساس من واقعها وإمكاناتها ، لإمكان العمل على شد الروابط وتقريب مسافات الخلاف .

(يتبع)

د. عفيفي عبد الفتاح

وواضح كذلك أنا لا ندعو إلى وحدة صف عالم بعيد الأطراف متشعب المنازع والغايات ولكن ندعوا إلى وحدة هدف تكفل لإصلاح ما فسد من أنفسنا ومن علاقات شعوبنا ، وتتجاوز في طبيعتها وأبعادها ما تصطنع الدول من اتفاقات ومعاهدات وأحلاف .

ندعو القيادات المفكرة والمديرة والمصلحين الغيورين إلى العمل لإناحة هذه الوحدة . بصورة حية وبأسلوب فعال . استجابة لرغبة شعوب تنظم أكثر من ربع سكان العالم ، يقاسون مرارة التفكك ، برغم ما يملكون من إمكانيات لا تحصى وقوى كامنة لا تنفذ ولا أدعى أني رائد في هذه الدعوة ، فلقد كانت — ولا تزال — أملا يداعب شعور المفكرين ، ورغبة تشغل بال المصلحين ، في عصور مختلفة وظروف مختلفة . وكانت كلها أطلت برأسها إلى الوجود اختفت تواء تحت ستار النفوذ العارم والمعادي لشعوب الإسلام . إنني أدعى — فقط — أن الأوضاع الراهنة والظروف التي نعيشها اليوم ؛ في مواجهة

قيس بن سعد للأستاذ محمد محمود زرتون

- ١ -

ولقد رأينا كيف نشأ أبوه — وهو الخزر جي الأنصارى — سيداً فى قومه ، سخياً بالمال ، جواداً بالنفس ، فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وإعزاز دعوة رسوله عليه السلام ، حتى دعا النبي بالبركة له ولأهله من بعده ، فلم يكن إلا الخير كله فى هذا البيت ، ولما لحق النبي بالرفيق الأعلى ، كان أول مرشح للخلافة من بعده ، وكان (يوم السقيفة) حاسماً لكل ما عساه ينشب بين المهاجرين والأنصار ، فانفض الجمعان على خير ما يرضى قوم ، أراد الله أن تأتلف قلوبهم على الهدى ، وتتوحد وجهتهم ، سيراً بمواكب الدعوة إلى غايتها .

أما سعد وابنه قيس : فكانا هوائهما مع بنى هاشم ، وليس أدل على ذلك من خطبة قيس فى هذه المناسبة حيث قال :

« إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه ، وأيم الله لا أرانى أنأزعم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تخادعوه » (١) .

عندما كتبنا مقالنا عن (سعد بن هبادة بين الحقيقة والأسطورة) (٢) كننا نحمد فى الحقيقة لابنه قيس بن سعد . وإلقاء الأضواء الأولى على شخصيته ، وجمع ما تناثر من مآثره ومفاخره عبر المصادر التاريخية ، حتى تتكشف للقارى صورة متكاملة لصحابى جليل ، كانت له مكانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله مواقفه المشهودة فى تثبيت نيران الفتنة ، التى احتدمت واندلعت أسننها بين على ومعاوية وامتد لها إلى مصر - وقد وليها قيس بن سعد من قبل على - واتبع مع العثمانية بها سياسة الحيدة وعدم الانحياز ، حقناً للدماء ، وانضواء تحت راية أمة شعارها الوحدة والتوحيد ، واعتصاماً بحبل الله من الفرقة والهوى ، فلما جرفت الفتنة أصحابها إلى الخلاف ، تبين للجميع أن سياسة قيس كانت عين الحكمة والسداد ، ولكن هيئات فقد جاءه أمر الخليفة بالعزل ، أشد ما تكون مصر حاجة إليه ..

(١) مجلة الأزهر : عدد أكتوبر ونوفمبر

سنة ١٩٦٦ .

(١) الإمامة والسياسة : ابن قتيبة .

مواقف رائعة تذكر فتشكر كما كان له في السلالة العربية رجال نقلوا الخطى إلى الاندلس ثم مصر ، فكان منهم سادات المجاهدين ، والحكام العدول ، والقضاة والشعراء والأطباء والمحدثون الأعلام ، ممن زخرت بهم - لعدة قرون - أمهات التراجم الأندلسية ، حتى لقد كان يقال فيها : فلان منتهى إلى قيس بن سعد أو هو من ولد قيس بن سعد ، ومنهم أبو العباس المرسى نزيل الإسكندرية (١) . أما فصاحته وبلاغته ورجاحة رأيه فحدث عنها ولا حرج ، فإنه لما طلب على المشورة من المهاجرين والانصار في غزو الشام وقف قيس يقول : « يا أمير المؤمنين ، انكشف بنا إلى عدونا ولا تعرد (لا تحجم) فوالله لجهادهم أحب إلى من جهاد الترك والروم لإدهامهم (غشهم) في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد من المهاجرين والانصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو جرموه أو سيروه (أخرجوه من بلده) وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ، ونحن لهم - فيما يزعمون قطاين (عبيد) » (٢) .

ولعلنا نذكر مع هذا الموقف وقفة الانصار من رسول الله عندما جمعهم ؟ مع (١) : الصلاة : ابن بشكوال . الحلة السيرة : ابن الآبار .

(٢) وقعة صفين : المنقري

في هذا القطاع من الزمان والمكان نشأ قيس بن سعد ، فوثر عن أبيه السخاء بالمال والروح ، وزاد ، كما ورث عنه سماحة النفس ، والغيرة على دينه ، والبراعة في الحرب لتسكون كلمة الله هي العليا ، ورضع العقيدة من صحبته لرسول الله ، وآل بيته الكريم من بعده ، ونافع عن علي والحسن بكل ما أوتي من عاطفة طاهرة ، ودهاء رزين ، وظل - ما عاش - على النفس ، شاخ الأنف ، بعيد النظر ، بطلا شجاعا لا يهاب ولا يترزع ، عف اليد واللسان والوجدان ، فلم تؤخذ عليه زلة أو سقط ، ولا اضطر يوما إلى وقفة اعتذار عن خطيئة ، والتفت حوله أحابيل معاوية ، فلم يقع ، بينما تشكك على وارتاب ، دون تهمة لقيس بأذى جريرة ، ثم استبان الأمر في ضحى الغد ، وانكشف الضباب عن المعدن الأصيل الذي صيغ منه طبع قيس . فضى على سنة الولاء والوفاء لعل وابنه الحسن : فلما انفضت الفتنة الجائحة ، عاد قيس إلى (المدينة) بعيداً عن الجائحات المهلكات ، حتى جاز إلى ربه ، وهو عنه راض .

ولقيس بن سعد بعد هذا كله مكانته من الحديث والمحدثين ، وتعتبر رسائله السياسية وخطبه في الذود عن الحق نماذج فريدة في التراث العربي ، ووثائق نادرة في مجال الحكم والقتال ، وله في التاريخ - كما سنرى

ولم يدخر شيئاً ، بل كانت يستدين ليطلع
- كما سنرى - ، أما الآن فيحق لنا أن نميط
اللائم عن معالم هذه الشخصية الفذة التي شغلت
حيزاً قليلاً من التاريخ ولكنه مع ذلك عريق
الآثر ، بالغ الأهمية .

كان رجلاً طويلاً ؛ إذا ركب الحمار خطت
رجلاه الأرض ، فكان أحد العشرة الذين
أدركوا الإسلام وطول كل منهم عشرة
أشبار (١) ، وكان سناطماً أى في ذقنه بعض
الشعر ، وليس منه في العاوضين شيء .
وكان ضخماً جسيماً ذا رأس صغير ، ووجه
جميل ولقد شغل الانصار بلحية قيس ،
وكانوا يتمتعون لو اشتروا له لحية بنصف
أموالهم ، حبا منهم له ، وإعجاباً بجماله .

وكان فصيح اللسان ، قوى الحججة ، حريصاً
على السكتان متى أراد ، صريحاً كل الصراحة
إذا لزم الأمر ، يغضب ويشور ، ولكن
بمقدار ، تتدفق عباراته كالبركان ، ويندفع
بوجدانه نحو غايته ، بكل ما يملك من
حرية وانطلاق ، حتى كان يسبق الأشياخ في
الكلام ، فيذكرون ذلك عليه فيما كان أسرع
بديهية في التعبير ، إذ تأخذه الحماسة ، فلا يجد
محيصاً من الاستجابة لدوافعها غير وان .

سبق قومه عندما طلبهم على للشورة .
فقالوا : « لم تقدمت أشياخ قومك ، وبدأتهم

المهاجرين ليستشيرهم في إحدى غزواته فكانت
وقفه قيس امتداداً لوقفات أبيه من قبله ،
وتلك شئنة نعرفها من أخزم !

وكان إلى جانب هذه الخلال الكرام ،
حاكماً ضابطاً ، عارفاً بأصول الحكم ، عالماً
بدخائل العامة : ضبط مصر (١) ، فكان جريئاً
في الحق لا يهاب ، عادلاً لا يمحور ، أدر الأرزاق
على خصومه حتى استلهم إلى جانبه ، ومنع
الطعام عن أهل الشام نكابة في معاوية .

ولقد جرى كثير من المصنفين خلف
المصادر الأولى ، دون تمحيص ، فاندس
في كتاباتهم أمور نسبوها إلى قيس ، كذلك
الكتاب الطافح بالشتائم على لسانه إلى
معاوية (٢) . وليس ذلك من طبيعة قيس
في شيء ، لهذا كان ابن عبد البر القرطبي (٣) ،
أول من حذرنا مما زوروه عليه من شعر
لا يتناسب مع سيرته في نفسه ، ونزاهته ،
ولا يشبه أخلاقه ولا مذهبه في معاوية ،
وإنما هي المحسومة ، إذا فجر صاحبها ، دفعته
هوجاء إلى ارتكاب إحدى خصال النفاق ،
ونعيز بالله منها كل كاتب مستنير !

لزم قيس أباه وهو من الرعيل الأول من
جلة الصحابة ، وجاهد مع النبي وبذل ماله

(١) سيرة أعلام النبلاء : الذهبي .

(٢) التاج في أخلاق الملوك : الجاحظ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب :

ابن عبد البر .

(١) حسن المحاضرة : السيوطي .

قال الواقدي : « كان قيس من كرام أصحاب النبي وأصحابهم » ودهاتهم ، وقال أبو عمر : « كان أحد الفضلاء الجلة ، وأحد دهاة العرب ، وأهل الرأي والمكيدة في الحروب ، مع النجدة والبسالة والسخاء والكرم ، وكان شريف قومه غير مدافع ، وكان أبوه وجده كذلك . »

وقال ابن شهاب : « . . . من ذوى الرأي والبأس إلا ما غلب عليه من أمر الفتنة . »
وقال أنس : « كان من النبي مكان صاحب الشرطة من الأمير . »

وقال الذهبي : « الأمير المجاهد . »
وقال ابن الأثير : « من أعظم الناس جوداً وكرماً . »

وقال المسعودي : « كان من الزهد والديانة والميل إلى على بالوضع العظيم . » وذكره الدارقطني في كتابه (الاستيخاء) .

ولعل أسمى ما قيل عنه حديث للنبي عليه السلام : « إنه من بيت جود وكرم ، وراه أبو بكر وعمر يستمدن ليطعم فقراء المسلمين عند الشدة والمحنة فقالا : « إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه ، وعلم أبوه ، فأنكر عليهما ذلك ، خشية أن يرتد ابنه بخيلا . »

وكان عواده كثيرين . وله عندهم ديون لا تحصى ولا تعد ، فلما مرض انقطعوا عنه ، حياء منه . فاستبطنهم ، فأمر مناديا يتنادى

يا قيس بالكلام ؟ ، فأسرع يقول : « أما أنى عارف بفضلكم ، معظم لشأنكم ، ولكفى وجدت في نفسي الضغن الذى جاش في صدوركم ، حين ذكرت الأحزاب . »

روى عمرو بن دينار أنه كان يخرج عن وعيه إذا غضب ، ويبدد منه فاحش القول ، كما حدث عندما بايع الحسن معاوية !

هذا ، ولم تخل كتب السيرة من إشارات عن قيس بن سعد ، في الصحابة : ذكره في الكوفيين (١) ، ولم يذكره فيمن نزل منهم بمصر ، وذكره آخرون في المدينيين (٢) ، وذكره غيرهم في ولاية مصر (٣) ، ومات بالمدينة سنة ٥٩ في آخر خلافة معاوية على أرجح الأقوال .

وقد عرف التاريخ كثيراً غيره ممن يحملون اسمه كقيس بن سعد بن عدس التابعة الجمعدى ، وقيس بن سعد بن الأرقم بن النعمان السكندى ، وقيس بن سعد ابن ثابت الانصارى صاحب لواء النبي ، أما صاحبنا فكان أشهر (قيس ابن سعد) فى الجميع ، وغطت شهرته باسمه هذا على كل من عداه . فهو صاحب رسول الله وابن صاحبه ، وتعددت كنيته فقالوا : أبو الفضل ، وأبو عبد الله ، وأبو عبد الملك .

(١) الطبقات الكبرى : ابن سعد .

(٢) الاستيعاب .

(٣) ولاية مصر وقضائهما : السكندى .

قيس عن نصيبه له ، ولم يغير شيئاً مما تركه له أبوه ، ولم يخل مصدر قديم من ذكره في المطعمين الكرام .

ومن أبرز معالم شخصيته : المكر والدهاء ، في غير خبث أو أذى . فقد عصمه دينه المتين من أن يتحول بمكره إلى الشر والإفساد في الأرض . ولذلك كان يتحدث عن نفسه فيقول : « لولا الإسلام لمكرت مكرراً لا تطيقه العرب » . وسنرى مكائده لادهى دهاة العرب الخمسة معاوية وشريكه عمرو بن العاص ، لقد كان مكر قيس نعمة على الإسلام والمسلمين ، فقد حقن دماءهم ، وأطفأ الفتنة المنبثقة في صفوفهم ، وأشاع السلام بين أحزابهم . وأخذ الثارات ، وخرج منها مغفوراً له مرضياً عنه .

وكان أبوه قد دفعه وهو صغير ليخدم النبي ويتعلم منه ، وبقتى آثاره الطاهرة ، فبقي عشر سنوات ، في خدمته وصحبته ، أبوه محمود السيرة في الجاهلية والإسلام ، وأمه (فكيلة) قد بايعت النبي ، ولهم جميعاً أحاديث عنه ، أما قيس وحده فقد حدث بها في الكوفة والشام ومصر ، وقد استعمله النبي على صدقات المسلمين ، وأسلم إليه راية الانصار يوم الفتح بعد أن نزعها من أبيه لشكوى قريش منه ، تأديباً وترضية في آن واحد . (يتبع)

محمد محمود زبوتو

يتنازله عن كل ما له عندهم ، فجاءوا إليه يتعافون بالمناكب . حتى تهدمت درجة بباب داره !

وشكت إليه يجوز أنه ليس في بيتها جردان . فقال : « ما أحسن ما سألت ، أما والله لا أكثرن جردان بيتك ! » . وملاً عليها بيتها طعاماً وإداماً ، وفي (جيش العسرة) استدان فنحر وأطعم ، وطالما نهاء عن ذلك أمير الجيش أبو عبيدة ، واستقرض منه أحدهم ثلاثين ألفاً ، فلما ردها أي أن يقبلها ، إذ المال عنده عارية مستردة ، يتوسل بها المرء إلى المجد ، إذ أنفقه في حله ، ونفع به نفسه والناس ، فكان يقول : « اللهم ارزقني مالا ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال » .

وكان قيس وأبوه يتبادلان الغزو كل عام ، وفي إحدى غزوات النبي كان قيس يحمل راية النبي ، وفي أخرى نزل على النبي أضياف كثيرون . فقال سعد : إن يك قيس ابني فسيقول : يا نسطاس (غلامه) . هات المفاتيح . أخرج لرسول الله حاجته ، فيقول نسطاس : هات من أهلك كتاباً ، فيدق أنفه ويأخذ المفاتيح ويخرج لرسول الله حاجته . فكان الأمر كذلك ، إذ حمل للمسلمين يومذاك مائة وستمائة ، ولما مات أبوه وقسمت التركة على بنيه وبناته ، ظهر له وريث لم يحسبوا له نصيباً ، لأنه كان حملاً في بطن أمه . فتنازل

من أساليب الإيجاز في اللغة العربية للدكتور محمد محمد الفحام

أنفه يأنفه ويأنفه أنفاً : أصاب أنفه .

(ب) بطنه يبطنه : أصاب بطنه .

(ت) ترقاه : أصاب ترقوته وهي العظم الذي في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاقق وهما ترقوتان وجمعها التراقي والترايق على القلب المسكاني .

(ث) ثغره يشغره ثغراً : أصاب ثغره .

(ج) جبهه يحجهه جهماً : أصاب جبهته . وفي غير هذا الباب يقال جبهه بمعنى فاجأه وبمعنى رده عن حاجته جبهه بالمكروه : استقبله به . جبهه الشتاء القوم : جاءهم ولم يتهيؤوا له - جلده : أصاب جلده - جنبه : أصاب جنبه - جافه يحجوفه : أصاب جوفه . (ح) حدقه : أصاب حدقته - حشاه : أصاب حشاه - حقاه : أصاب حقوه .

(خ) خربه : أصاب خربته - خرطمه : أصاب خرطومه - خشمه يخشمه خشماً : أصاب خيشومه ، (وهو أقصى الأنف) - خصاه : أصاب خصيه وإن شئت قلت

لفت نظري وأنا أنظر في معاجم اللغة العربية وجود طائفة من الأفعال اتفقت أصولها وأصول كلمات هي أسماء لأجزاء أو أعضاء من البدن ، واتفقت أيضاً فيما يأتي :

(أ) كونها أفعالا ثلاثية .

(ب) مفتوحة عين الماضي .

(ح) متعدية لواحد .

(د) متضمنة معنى « أصاب ونحوه » ،

مثال ذلك « قلب ، فعلا ، وقلب ، اسما . تقول : قلب فلان فلاناً أى أصاب قلبه .

وتقول : رأس فلان فلاناً بمعنى أصاب رأسه .

وقد رأيت أن أنظم ما عثرت عليه من هذه الأفعال في سلك واحد مرتباً لها ترتيباً أبجدياً فكانت كما يأتي :—

(أ) أذنه يأذنه أذنأ : أصاب أذنه - أنفه -

يأنفه أنفاً : أصاب يأنفه أو يأنفه .

واليافوخ حيث يلتقي عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الصبي - أمه يؤمه : أصاب أم رأسه

- خصيتيه ، والغالب استعماله بمعنى سلهما - خطمه : أصاب خطمه أى أنفه .
- (د) دماغه يدماغه من بابى ضرب ونصر دماغا . أصاب دماغه .
- (ذ) ذكره : أصاب ذكره - ذرعه : أصاب ذراعه . ذقته : أصاب ذقنه .
- (ر) رآه : أصاب رأته - رأسه : أصاب رأسه . رجله : أصاب رجله - رقبه : أصاب رقبته - ركبه يركبه : أصاب ركبته ويقال أيضا بمعنى ضربه بركبته .
- (س) سته : أصاب أسته ، وتستعمل أيضا بمعنى تبعه من خلفه - سره : أصاب سترته - ويقال سر الصبي بمعنى قطع سره وهو ما تقطعه القابلة من سترته عند الولادة - سمنحه : أصاب سمنحه (لغة فى صماخ) - سنه : أصاب سنه .
- (ش) شعره : أصاب شعره - شغفه : أصاب شغاف قلبه أى غلافه - شففه : أصاب شففته - شواه : أصاب شواته أى جلدة رأسه .
- (ص) صدره : أصاب صدره ؛ أما صدر كفى فمعناه : زكا صدره - صدغه : أصاب صدغه - صدقه : أصاب صدوقته أى رأسه ثم استعير لمطلق الضرب - صمنحه : أصاب صمنحه .
- (ط) طحله : أصاب طحاله .
- (ظ) ظفره يظفره : أصاب ظفره بكسر أو قلع ، ويستعمل أيضا فى معنى غرس فى وجهه ظفره - ظهره : أصاب ظهره .
- (ع) عجنه : أصاب عجانة - عضده : أصاب عضده - عظمه : أصاب عظمه - عاه يعينه : أصاب عينه ؛ ومن معانيه : حسده .
- (غ) غلفه : أصاب غلاف قلبه .
- (ف) فاده : أصاب فواده ؛ أما فند فمعناه شكا فواده . فأسه : أصاب فأس رأسه . فرصه : أصاب فريسته وهى لحة بين الكتف والجنب . فقره : أصاب فقاره . فهقه : أصاب فهقته وهى عظم عند مركب العنق وهو أول الفقار .
- (ق) قراه : أصاب قراه أى ظهره . قفقه يقفنه : أصاب قفنه أى قفاه (ويقال فيه قفن أيضا) ويطلق أيضا بمعنى د تبعه ، قلبه يقلبه ويقلبه أصاب قلبه . وداء القلب يسمى القلاب .
- (ك) كبده يكبده ويكبده : أصاب كبده والكباد : وجع الكبدي . كلاه يكله كليا : أصاب كليته فكلى واكتلى .
- (ل) لسنه : أصاب لسانه .
- (ض) ضلعه : أصاب ضلعه .

- (م) مأنه يمانه : أصاب مأنته أى سرته
مئته : أصاب مئته أى ظهره . مئنه : يمئنه
ويمئنه : أصاب مئانته . معده يمعه معدا :
أصاب معده .
- (ن) نساء : أصاب نساء فهو منسى ؛ أما
نسى الرجل ينسى نسى فهو نس فعناه :
شكنا نساء .
- (و) وتنه يتنه وتنا : أصاب وتينه .
وجهه يجهه وجها : أصاب وجهه . وراه :
أصاب رثمه . ودجه يدجه ودجا : أصاب
ودجه (والودج عرق فى العنق يجرى فيه الدم) .
- (ي) يداه ييديه يديا : أصاب يده فهو
ميدى والفاعل ياد . يفعه ييفعه يفعأ :
أصاب يافوخه : فهو بمعنى أنفه .
- وما تقدم من الأمثلة يعلم أنه قد استثنى
من كون الفعل ثلاثيا فعلان : ترقاه وخرطمه .
هذا ما وصل إليه على من هذه الأفعال .
وإن لا أدعى أننى قد استقريتها استقراء
تاما وأننى أحطت بها علما ، ومن حفظ حجة
على من لم يحفظ ، وفوق كل ذى علم علم ، .
- ر . محمد الفواصم
عميد كلية اللغة العربية سابقا

« العربية لسان القرآن »

يقول الله تعالى :

« ولأنه لتنزىل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ،
بلسان عربى مبين . »

الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

طريقة القرآن في الدعوة والإقناع للأستاذ أحمد مصطفى

— ٢ —

٣ — عناصر الفلاح في طريقة الدعوة^(١).

أما الطريقة المثلى التي يرسمها القرآن الكريم لطريقة الدعوة ، فقد وضّحها مركزه في قول

الله تبارك وتعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاء لهم بالتي هي

أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ، النحل ١٢٥٠ .

وقلنا « مركزه » ، لأن كل طريقة أرشد إليها الكتاب الكريم في دعوة الناس إلى

أى عنصر من عناصر الإيمان — وقد استوعبت جميعها — تندرج تحت هذا

القانون العام ، ويمكن للتأمل في الآيات التي تتصل بهذا الموضوع أن يتبين :

(١) أن القرآن قد راعى الطبيعة البشرية وما جبلت عليه من ميول ولم يسقطها من حسابه قط ، ولا شك أن ذلك منتهى الحكمة ويتجلى ذلك واضحا في :

١ — الإصرار على أن يترك المدعو وحرية في اعتناق دينه ، وألا يستخدم

(١) نشرنا الجزء الأول من هذا المقال في عدد ذى الحجة ١٣٨٧ هـ

ضده أى نوع من أنواع الإكراه حتى لا يكون اعتناقه لهذا الدين صناعيا طارئا يزول بزوال الأسباب التي أرغمته على اتباعه ، نقرأ في ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » . البقرة : ٢٥٦ .

« قل يأيتها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما

يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » ، يونس ١٠٨ .

« قل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » . الكهف : ٢٩ .

ووضح الكتاب الكريم أن ترك الإنسان لحرية فيما يتصل بالعقيدة والدين هو تشريع الله منذ القدم ؛ فنقرأ في قصة نوح عليه السلام

بما وجهه لقومه : « قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ، وآتاني رحمة من

عنده فعميت عليكم ، أنزل مكموها وأنتم لها كارهون » ، هود : ٢٨ . ووضح الكتاب كذلك

أن الإكراه ليس مستحيلا على الله سبحانه فلو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا ،

ولكنها الحكمة الإلهية لتحقيق المسؤولية ، ويصح التكليف ، وتتجلى العدالة الشاملة ،

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، محمد : ٧ ويعد وهو لا يخلف الوعد - فيقول : « ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، الطلاق : ٢ ، ٣ ويقول أيضا : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ، الجن : ١٦ .

ويمدح الله سبحانه أولئك المؤمنين الذين بايعوا رسوله تحت الشجرة ويمنهم الغنيمة فيقول : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما . وعدمكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما . الفتح : ١٨ - ٢٠

ومرة أخرى يبين القرآن الكريم أن هذه هي سنة الله منذ عرف الناس الهدى الإلهي ؛ إذ يحكي ما قاله نوح لقومه ، ومنه : « ... استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا ، نوح : ١٠ - ١٢ ، ويحكي ما قاله هود لقومه : « ويا قوم استغفروا ربكم

وفي ذلك يقول الحق سبحانه : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، يونس : ٩٩ ويقول : « إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين . الشعراء : ٤

٢ - استخدام أساليب الترغيب والترهيب (١) . لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجا والخوف ، فنقرأ في الترغيب في الإيمان والعمل الصالح قول الله تبارك وتعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا . » النور ٥٥ وبين أن ذلك تطبيق للقانون العام الذي تعبر عنه الآية الكريمة : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . » الأنبياء : ١٠٥ ويؤكد ذلك في أكثر من موضع فيقول : « ولنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا . غافر ٥١

(١) يهمننا أن نلفت نظر القارئ إلى أننا لم نتحدث هنا عن الترغيب والترهيب فيما يتملق بالشواب أو العقاب في الآخرة ، وإنما قصرناه على ما يرجى وما يخاف في الدنيا ، لأنه ألصق بما يراد من الدعوة .

الحق ويقلعوا عن العناد والعتو ، وفي ذلك
نقرأ قول الله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا
من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم
نمكن لهم . وأرسلنا السماء عليهم مدرارا .
وجعلنا الأنهار تجري من تحته . فأهلكناهم
بذنوبهم . وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ،
الأنعام : ٦ .

« وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ،
وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم
الأمثال ، إبراهيم : ٤٥ .

« أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم ، إن في ذلك لآيات
لأولي النهى ، طه : ١٢٨ .

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف
كيف كان عاقبة المجرمين ، النمل : ٦٩ .

« أولم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد
منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر
مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ،
فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون ، الروم : ٩ .

« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم ؛ كانوا أكثر منهم
وأشد قوة وآثارا في الأرض ، فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون . غافر : ٨٢ .

« ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ،
وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، فما أغنى

ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة إلى قوتكم ... هود : ٥٢ .
ويقول القرآن الكريم في حديثه عن
أهل الكتاب : « ولو أنهم أقاموا التوراة
والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كلفوا
من فوقهم ومن تحت أرجلهم ... »
المائدة : ٦٦ .

ونقرأ في ترغيب الناس في الصدقة قوله
تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض
ويبدط وإليه ترجعون ، البقرة : ٢٤٥ .

وقوله جل شأنه : « مثل الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف
لمن يشاء والله واسع عليم ، البقرة : ٢٦١ .
وقوله عز وجل : « إن تقرضوا الله
قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله
شكور حلیم ، التباين : ١٧ .

أما بالفلسفة للترهيب فقد استخدمه الكتاب
الكريم في درجات متفاوتة وأساليب مختلفة ؛
فتارة يسوقه ضمنا غير صريح وذلك عند
حديثه عن سبق من الأمم التي كفرت بأنعم
الله ، فحق عليها عذابه ، ويلفت النظر إلى أن
العاقبة التي حاقت بهم — مع ما كانوا عليه
من قوة وتمكن في الأرض — من الممكن
أن تكون نهاية هؤلاء الذين وجهت إليهم
الدعوة الإسلامية إذا لم يصيخوا إلى داعي

إلى الله حين يمسهم الضر في البحر ثم يمجدون
النعمة بعد أن يهيء لهم سبيل النجاة فيقول :
« أفأمتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل
عليكم حاصبا ، ثم لا تجدوا لكم وكيلا .
أم أنتم أن يعيركم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم
قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ،
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا . »

الإسراء : ٦٨ - ٦٩

ويخاطب الله عباده مبينا نعمته عليهم
في جعله الأرض ذلولا لهم ، ويحثهم على
الارتفاع بكل ما فيها حين يقول : « فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه ، ثم يعقب على
ذلك بتحذيرهم من أن يركنوا إلى ما هم فيه
من دعة تليجة لاستقرار الأرض بهم ؛
يقول جل شأنه : « أفأمتم من في السماء أن
يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . أم أمتم
من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون
كيف نذير . ولقد كذب الذين من قبلهم ،
فكيف كان تكبير ، . الملك : ١٦ - ١٨
ويبلغ أسلوب التهيب ذروته في قول الله
تبارك وتعالى :

« فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود ، . فصلت : ١٣
فالموعدهنا سافر واضح ، ونوع ما توعد به
من العقاب معروف ومحدد .

« للحديث بقية ، محمد ابراهيم مرزوق

عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء
إذ كانوا يمجدون بآيات الله ، وحق بهم
ما كانوا به يستهزئون . . الأحقاف : ٢٦
« أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم . دمر الله عليهم ،
وللكافرين أمثالها ، . محمد : ١٠

وتارة أخرى يحذر المدعوين من الاغترار
برحمة الله سبحانه ويبين لهم أن من الخطأ
أن يركنوا إلى ما هم فيه ظنا منهم بأن هذه
الرحمة ستظل شاملة لهم ؛ يقول القرآن الكريم
في ذلك :

« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا
وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا نحيى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله
فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .
أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها
أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على
قلوبهم فهم لا يسمعون ، .

الأعراف : ٩٧ - ١٠٠

ويقول :

« أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف
الله بهم الأرض . أو يأتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون . أو يأخذهم في تقلبهم فما هم
بمعهزين . أو يأخذهم على تخوف ، فإن
ربكم لرؤوف رحيم ، . النحل : ٤٥ - ٤٧
ويتحدث القرآن إلى هؤلاء الذين يضرعون

عداوة مصر للصليبية

بعد تحرير القدس

للدكتور عباس حماد عيسى

خليج العقبة ، والاستيلاء على ثغر عدن ليهيمن الصليبيون على التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، كما تناول المشروع فكرة إقناع مملكة الحبشة المسيحية بضرورة المشاركة في الحروب الصليبية ضد المسلمين ، ومضى الصليبيون - فعلاً - في البحر الأحمر إلى ميناء عيذاب ، ثم أغدوا السير في الصحراء نحو المدينة المنورة ؛ غير أن العادل أخا صلاح الدين وحسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول أفسدا ذلك المشروع وتلك الغزوة بحملة مضادة ، شهد نتائجها الباهرة الرحالة الأندلسي ابن جبير (١) .

ورغم أن أرناط ، لم يكن من عدوانه سوى عداوة صلاح الدين ، فإنه ظل يتحدى المسلمين أصحاب الفتوح العريقة ، لينتزع تجارة الشرق من أيديهم ، ولكنه لم يتمكن لأن صلاح الدين حرص على فتح حصن الكرك ، حتى لا يعوقه عن الاتصال بمصر

ما نعانیه الآن في أيامنا هذه حدث مثله في مصر الإسلامية على عهد صلاح الدين ، باعتبارها محور ارتكاز القوى الدفاعية عن الشرق العربي كله ضد الاستعمار الصليبي ، فقد عمل هذا البطل على تصفية الجو العربي من الخلافات في المؤتمر الذي عقده بدمشق في ذى القعدة سنة ٥٧٩ هـ (مارس ١١٨٤م) ونجح في تكوين جبهة عربية إسلامية من مصر والشام والعراق ، وامتدت دولته من بلاد الأرمن شمالاً إلى النوبة جنوباً ومن الموصل شرقاً إلى برقة غرباً .

وفي أثناء ذلك عزم الأمير الصليبي أرناط ، على القيام من إمارته بالكرك بشروع جري ، قوامه الزحف بالصليبيين على شبه الجزيرة العربية والاستيلاء على المدينة المنورة ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقل جثمانه الطاهر إلى بلادهم ليدفنوه عندهم وليجعلوا من ضريحه وزيارته منبعاً للإيراد ، وبذا يقطع الصلة بين الحجاز من جهة وبين مصر والشام من جهة أخرى ، وتضمن المشروع أيضاً استعادة قلعة وأيلة ، على

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٣١٠ ،
رحلة ابن جبير ص ٢٩ .

استعد صلاح الدين لفتح القدس ، وتم له فتحه بعد حصار وقتال شديدين ، وقبض من مال المفاداة ما قيمته ثلثمائة ألف دينار مصرية ، وطلب العادل منه ألف أسير صليبي فأعتقهم ، وتعهدت زوجة أرمط بتسليم حصن الكرك كفاء خروجها بأموالها من القدس . ودخل الناصر صلاح الدين ، ناصر الدنيا والدين ، القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وهو يوم الاحتفال بذكرى ليلة الإسراء . فكانت مناسبة طيبة وفألا حسنا ، وأقيمت الجمعة في المسجد الأقصى لأول مرة ، بعد أن ظلت معطلة ثمانية وثمانين عاما ، وأمر صلاح الدين بفتح مدرسة به للفقه الشافعية ، وغسل قبة الصخرة المقدسة بماء الورد ، وجلس تحتها يتقبل الثناء بفتح القدس ، واستمع إلى قدسيات الشعراء احتفالا بيوم القدس ، فأشاد الشاعر المصري الشريف الجواني فيما أنشد :

قد جاء نصر الله والفتح الذي
وعد الرسول ، فسبحوا واستغفروا
وكانت أجمل القصائد قصيدة الشاعر المصري

ابن سناء الملك التي يقول فيها :

قد ملكك الجنان قطرا فقطرا

إذا فتحت الشام حصنا حصنا

إن دين الإسلام من على الخلاء

ق ، وأنت الذي على الدين منا !

وهو خارجها ، فحاصره وهدم أسواره ، ولم يحل بينه وبين دخول المسلمين فيه إلا خندق واسع كان لا بد من ردمه ولما شرعوا في ذلك العمل ، صدر أمر صلاح الدين بالتوقف ، استجابة لزوجته أرناط ، التي أنفذت رسالة إلى صلاح الدين ، ترجوه في هدية قصيرة ، حتى يتم زفاف ابنتها ، غير أن أرناط الغدار لم يكن أهلا للزوجة الإسلامية فانهز الفرصة وبعث رسله إلى مملكة بيت المقدس يستنجد بها فأنجده مملكها وبلدوين ، الرابع (١) .

لكن صلاح الدين لم يشأ أن ينقض الهدنة بينه وبين الصليبيين ، كما فعل أرناط عندما استوقف قرب الكرك قافلة للحجاج قبل خطأ : إن أخت صلاح الدين كانت بها ، وبرغم احتجاجه ، هدد أرناط القافلة ، فأقسم صلاح الدين أن يقتله إذا وقع في يده ، وتقدم نحو الكرك لينعه من اعتراض الحجاج ، فوصلوا ومعهم أخت صلاح الدين سالمين إلى دمشق . ثم انتصر صلاح الدين في حطين في ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ (٣ يوليو ١١٨٧) وكان من الأسرى أرناط ، فقتله برا بقمسه (٢) . وبعد أن تم للمسلمين فتح عكا ويافا وعسقلان ،

(١) Lane — Poole : Saladin P. 179

(٢) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢

ولما عدد بربروسا لصالح الدين أسماء
سبعة وعشرين شعباً أوربياً، سوف يشتركون
معه في تلك الحملة، أجاهه صلاح الدين بأنه
« لا يمكن حصر المسلمين، وفي قدرة البدو
وحدهم مواجهتهم، وعلى التركان إبادتهم،
وإذا دعونا الفلاحين حاربوكم بشجاعة،
وعرف صلاح الدين قدير نفسه سلطاناً
المشرق، وكما لقبه أعداؤه باللغة اللاتينية
(*Rey omnium regnum orientalium*)
أى ملك المملكة الشرقية كلها، فهدد
بعبور البحر، ليغزو أوربا ذاتها، إذا أصر
الامبراطور على تهديد السلام في المشرق
العربي، ثم جاءت الأنباء إلى صلاح الدين
من حليفه إسحاق الثانى أمبراطور الدولة
البيزنطية تنذر بما بيته الصليبيون، وأكدها
مارواه تجار البندقية الذين حرصوا على
الاحتفاظ بمصالحهم التجارية في الشرق،
غير عابئين بغضب البابا وقرارات الحرمان
من غفران الكنيسة، مما يؤكد أن كثيراً
من القوى التي اشتركت في الحروب الصليبية
لم يكن يعنها كثيراً الاحتفاظ بكنيسة
القيامة بقدر ما يهمها الاحتفاظ بمراكزها
في عكا وطرابلس والإسكندرية تحتكر بها
تجارة الشرق (١).

وحوى الأسر كل ملك يظن

دهر يفنى ومملكه ليس يفنى

لا تخص الشام منك التهانى

كل صقع وكل قطر يهنا

ثم أخذ معاقل الصليبيين في الشام تقع
في أيدي المسلمين الواحد بعد الآخر، وكان
أخطرها حصن الكرك، فصارت بلاد الشام
حسباً قال صلاح الدين لأخيه: « لا تسمع
فيها لغوا ولا تأثيلاً إلا قليلاً سلاماً سلاماً ».

غير أن انتصارات صلاح الدين أفرغت
أوربا فوات البابا إربان الثالث، كمداً، ولحقه
خلفه جريجورى الثالث في عام واحد. ودعا
البابا كليمنت الثالث إلى وحدة الصف من
أجل إنقاذ بيت المقدس، فأنهى الخلاف
بين بيزة وجنوة توحيدا لكلمة إيطاليا،
وأوقف الحروب بين فيليب أغسطس ملك
فرنسا وهنرى الثانى ملك إنجلترا، وبين
الامبراطور فردريك بربروسا، ومنافسيه
توحيدا لكلمة ألمانيا. وفرض فيليب
أغسطس ضريبة على الفرنسيين، خصص
حصيلتها لمحاربة صلاح الدين، اعتبرها
الاقتصاديون أول ضريبة عامة في تاريخ
أوربا. وكان « وليم الثانى، ملك صقلية أول
من لبى الدعوة للحملة الصليبية الجديدة
المعروفة بالثالثة.

(١) أبو شامة: نفس المرجع ص ١٣٦.

Lane — Poole : op. cit., P 174

حملة شديدة ، ونجا أهل عكا من المجاعة بوصول المؤن من الاسكندرية في ثلاث بطس مصرية .

ولم تشأ الأقدار أن يصل الامبراطور فردريك ببروسا إلى عكا ، غير أن ابنه ، فردريك سوابيا ، تمكن من الوصول إليها ، وهاجها بدبابة كبيرة تصدى لها أهلها بالمجانيق فأحرقوها ، ثم توقفت الحرب لهطول الأمطار ، وتوفى فردريك سوابيا ، وقضى الصليبيون الشتاء في ضيق شديد ، وحمل الجوع بعضهم على الالتجاء إلى معسكرات المسلمين . وهناك عرفوا الإسلام على حقيقته ، فأسلموا وحسن إسلامهم . وأذن صلاح الدين لجنده بالعودة إلى بلادهم للراحة والراحة ، على أن يعودوا في الربيع ، واستبدل بحامية عكا غيرها .

وأدرك صلاح الدين أهمية القوة البحرية وأراد أن يشترك المغرب العربي إلى جانب المشرق في مكافحة الصليبيين ، فاستنجد بسلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، ليرسل له جزءا من أسطوله ، يتمكن به وبالأسطول المصري من مواجهة أسطول فيليب أغسطس ملك فرنسا وريتشارد ملك إنجلترا . ثم مرض الملكان ، واشتدت وطأة المرض على ريتشارد ، فأرسل صلاح الدين إليه أطباء وفاكهة وثلجا ، وأبى أن يهاجم

ولذا عمد صلاح الدين إلى تقوية حصون عكا ، وجاءته جنود الموصل وحماة وحران ، فأصبح الصليبيون المحيطون بعكا محصورين بين المسلمين داخل عكا وخارجها ، وجرت حروب كثيرة ، منها اليوم المشهود ومنها ما هو دون ذلك ^(١) . وحمل صلاح الدين على الصليبيين يوم الجمعة حملة أزاقتهم عن مواقعهم ، ودخل عكا بالذخائر والطعام ، وتمرس بمناجزة العدو ، قبل وصول الأساطيل الصليبية بالجند والمؤن . ثم استنجد بالخليفة العباسي الناصر لدين الله ، بعد أن قدمت مراكب أوربية إلى عكا تحمل ثلثمائة امرأة ، جاء بعضهن فقنة ، وارتدى البعض الآخر زى الأجناد لمحاربة المسلمين ، وكان العادل أول الواصلين بالنجدة إلى أخيه صلاح الدين ، ثم وصل الأسطول المصري إلى ميناء عكا في خمسين قطعة وزهاء عشرة آلاف بحار بقيادة حسام الدين لؤلؤ ، فقويت الروح المعنوية لدى أهل عكا ، غير أن الصليبيين ضيقوا الحصار عليها ، فعمد صلاح الدين إلى الاتصال بحاميتها بالحمام الزاجل . وجاءت نجدة الخليفة من النفط والعتاد والمسال ، وتمكن الفدائي الدمشقي علي بن عريف من إحراق أبراج الصليبيين بقذور النفط ، وحمل العادل على العدو

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٢٢٠ .

وأظنها سبعة آلاف دكان . . وأما سوق
البن العتيق والجديد فشئ بهر العقل . وكان
في العسكر أكثر من ألف حمام ، وكان أكثر
ما يتولاها المغاربة ... يغسل الرجل رأسه
بدرهم وأكثر ، (١) وظل المسلمون خلال
العصور يحاصرون عكا ، البقية الباقية من إمارة
بيت المقدس ، حتى استردوها بالقوة بفضل
القيادة المصرية الرشيدة سنة ٥٦٩هـ (١٢٩١م)
بعد أن لبثت في أيدي الصليبيين مائة عام .

وما أحوجنا لخطين أخرى ترفع راية الحق
ليبقى العرب إلى حمى السلام القائم على العدل
وليتمكن تراب فلسطين العزيزة مسرحاً لنصر
كبير آخر على عصابة الصهيونيين ، فيسحقهم
العرب كما سحقوا الروم في اليرموك ، والصليبيين
في حطين ، والتتر في عين جالوت ، ويلحقونهم
بمن سبقهم في الغابرين ، من زمر المعتدين
الآثمين .

عباس ملهى - ساهل

(١) هب اللطيف البغدادي : الإفادة
ص ٨ ، المقرئ : السلوك ج ١ ص ٤٩ .

المعسكر الصليبي وقائده في محنة ، ولذا اقتضرت
الحرب على مبارزة الفرسان ، وطالما نسي
الاجناد العداء فأنس البعض إلى الآخر ،
وأقاموا الحفلات ، فهدب الخلق الإسلامي
طباع الصليبيين وصقل خشوتهم . وارتشفوا
من مناهل الحضارة العربية الإسلامية ما مهد
للنهضة الأوروبية الحديثة .

ثم عرض ريتشارد بعد شفائه أن يقابل
صلاح الدين ليفاوضه في الصلح ، فأبى خشية
تفتير العزيمات وتضييع الأوقات ، وعندئذ
هاجم ريتشارد عكا بقلب الأسد ، فتمكن من
رفع الأعلام الصليبية على أسوارها
سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م) فحزن صلاح الدين
لأن عكا مدينة إسلامية عظيمة ، وصف
معالمها الرحالة عبد اللطيف البغدادي
بقوله : دكان السوق الذي في عسكر السلطان
على هكا عظيما ، ذا مساحة فسيحة ، فيه مائة
وأربعون دكان يطار ، وعددت عند طباطخ
واحد ثمانية وعشرين قدرا ، كل قدر تسع
رأس غنم ، وكنت أحفظ عدد الدكاكين ...

انتشار الإسلام

في جيلان

للككتور حامد غنيم أبو سعيد

والبلاد التابعة لها ، كما يتاخمها من الشرق إقليم طبرستان ، أما بالنسبة للغرب فإننا نجد إقليم أذربيجان جنوبا وبلدان الران شمالا . هذا هو الموقع الجغرافي لمنطقة جيلان كما نعرفها طوال السنوات التي عاصرت انتشار الإسلام فيها ، أما بالنسبة للتاريخ الحديث فإن جيلان هي إحدى المقاطعات الشمالية للإمبراطورية الإيرانية ، وهي بذلك تتاخم الجمهورية الكردية ، إحدى جمهوريات اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وقد استطاعت روسيا أن تبسط سيادتها على هذه المقاطعة لفترة قصيرة أوائل العقد الثالث من القرن الحالى (١٩٢٠ - ١٩٢١) .

منطقة جيلان في جملتها شبه مغلقة ، إذ قد حبتها الطبيعة حصانها ، فهي محصورة بين الجبال المنيعه من الغرب والجنوب ، وبحر قزوين الذى يقابل الجبال من الجهة الثانية . ولا تتصل بلاد جيلان بإقليم طبرستان إلا عن طريق كلار - شالوس .

كان لهذه الحصانة الطبيعية أكبر الأثر في احتفاظ جيلان باستقلالها وعدم خضوعها

التقيت بالقارىء الكريم على صفحات مجلة الأزهر الغراء في حديثين سابقين : في الأول منهما (عدد ذى القعدة سنة ١٣٨٧) تبعت معه انتشار الإسلام في إقليم طبرستان وكان محور الدراسة في ثانيهما (عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٧) يدور حول انتشار الإسلام في منطقة أذربيجان .

واليوم أستسمح القارىء الفاضل أن نقضى سويا دقائق قليلة نتعرف فيها على صفحة جديدة من الصفحات الخالدة لانتشار الدين الإسلامى ، بل لعلها أروع صفحة كتبها هذا الدين الحنيف في منطقة بحر قزوين كلها ، ونعنى بها صفحة انتشاره في منطقة جيلان .

تعرف منطقة جيلان (الرسم الفارسى للإسلام هو كيلان) عند الجغرافيين العرب تحت أكثر من اسم ؛ فهي تارة بجانب الاسم السابق - السكيل وأخرى كيلان وثالثة الجيل ورابعة الديلم ، وسواء استخدمنا هذه التسمية أم تلك فإن المنطقة التي نعنيها هنا هي تلك التي تشكل الزاوية الجنوبية الغربية لبحر قزوين ، وتحدها من الجنوب مدينة قزوين

التي عانت الاضطهاد في مواطنها الأصلية بسبب معتقداتها المذهبية ، وبما هو معروف عن أتباع كل من المانوية القديمة والزردشتية أنهم قد واجهوا فترات من الاضطهاد الديني أثناء حكم بعض أكسرة الدولة الساسانية .

أخذ الإسلام يطرق أبواب جيلان في السنوات الأخيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (توفي في الأيام الأخيرة من سنة ٢٣ هـ) وذلك حينما وفد إلى المنطقة البراء بن عازب على رأس قوة إسلامية ليفتح مدينة قزوين المتاخمة لبلاد جيلان من الجهة الجنوبية . في حديث البلاذري بخصوص هذه الحملة قال عن أهل قزوين : إنهم استجابوا لدعوة البراء بن عازب واعتنقوا الدين الإسلامي ، وبالتالي اندمجوا في الجماعات الإسلامية الأخرى بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ، أصبحت مدينة قزوين بعد هذا الفتح ثغر المسلمين في مواجهة جيلان من الناحية الجنوبية .

حوالي ذلك الوقت — وربما بعد التاريخ السابق بقليل — أخذ الإسلام ينتشر في أذربيجان ، أى بالقرب من الحدود الغربية للمنطقة موضوع الدراسة ، ومعنى هذا أنه في أواخر الحلقة الثالثة من التاريخ الهجري أصبح للدين الإسلامي وجوده على مشارف جيلان من الغرب ومن الجنوب .

للوثرات الخارجية ، وهذا يفسر سر بقائها خارج منطقة النفوذ المباشر للإمبراطورية الساسانية ، الأمر الذي شجع بعض منافسي الأكسرة على اتخاذها مركزاً لهم . كما كانت هذه الحصانة نفسها من العوامل الهامة التي وقفت في وجه المحاولات التي قام بها المسلمون لفتح البلاد ، وبالتالي قدر على مواطني هذه المنطقة أن يتأخر اعتناقهم للدين الإسلامي عشرات السنين .

كان سكان المنطقة خليطاً من عناصر مختلفة أبرزهم الديلم الذين كانوا يقيمون بصفة خاصة في البيئات الجبلية ، وبجانب الديلم كان يوجد الجيل الذين اتخذوا مواطنهم في المناطق السهلية ، ولعل هذا يفسر لنا بعض السر الذي بسببه اختلفت تسمية المنطقة لدى الجغرافيين العرب .

هذا — وبالإضافة إلى تعدد الجنسيات — زحرت المنطقة بتعدد في الديانات أيضاً ، فبجانب المجوسية كان يوجد في هذه البلاد أتباع لكل من الوثنية والمانوية القديمة والزردشتية ، وبالنسبة للديانات السماوية فإن المراجع تشير إلى أنه كان يوجد في هذه المنطقة عدد من أتباع الديانة المسيحية .

يستطيع الباحث أن يفسر سر تعدد الديانات في مثل هذه الرقعة الضيقة من أن المناعة الطبيعية للإقليم قد جعلت منه قبلة للجماعات

السياسي ، ولكن تعويق انتشار الدين كعقيدة بين مواطني جيلان يعود في المرتبة الأولى إلى ظروف موضوعية كانت تحكم العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع في المنطقة ، وقد انعكست هذه الظروف على طبيعة اعتناق الجيلانيين أو الدينامية للدين الإسلامي فيما بعد وهذا ما ستعالجه الدراسة بالتفصيل ولكن بعد أن نستعرض أولا المحاولات التي بذلت لنشر الإسلام هناك ومدى ما حققته كل منها من نجاح .

في العقد الخامس من القرن الثاني الهجري سيطرت الدولة الإسلامية على إقليم طبرستان سيطرة مباشرة . وقد ترتب على ذلك أن أصبح المسلمون يواجهون منطقة جيلان من جهات ثلاث : الشرق حيث طبرستان ، والغرب حيث أذربيجان ، والجنوب حيث قزوین .

كانت سيطرة المسلمين على طبرستان عاملاً حاسماً في تغيير ميزان القوى بين أهل جيلان من جهة ، والقوات الإسلامية التي نيطت بها مهمة فتح الإقليم من الجهة الأخرى . وذلك لأن منطقة الحدود المشتركة بين طبرستان وجيلان شكلت موقعاً أمامياً انطلقت منه القوات الإسلامية في محاولاتها من أجل فتح البلاد ونشر نور الإسلام فيها . وتبرز أمامنا قيمة هذا التطور بصفة خاصة إذا ما عرفنا

يعتدل في ذهن القارئ الآن سؤال حول الموقف بالنسبة لبلاد جيلان ، وموقفها من الإسلام . وأسارع فأقول : إن انتشار الإسلام في جيلان يختلف اختلافاً كلياً عن انتشاره في كل من قزوین وأذربيجان ، يختلف في ظروفه وفي توقيته . كما يختلف أيضاً في طبيعته . وسنعمل على إبراز هذه الجوانب من خلال الدراسة التي سنقدمها في هذه الصفحات .

والحقيقة التي يستطيع الباحث أن يؤكد لها هي أن الدولة الإسلامية ، سواء في عهد الخلفاء الراشدين أم في عهد كل من الأمويين والعباسيين ، لم تدخر جهداً في سبيل فتح جيلان ونشر نور الإسلام بين ربوعها ، ولكن الجهود الإسلامية لم يصادفها التوفيق ، الأمر الذي يضفي على هذه المنطقة صفة متميزة بالمقارنة مع الأقاليم الأخرى التي وجه إليها المسلمون نشاطهم .

من الممكن تقديم الحصانة الطبيعية التي اتسم بها الإقليم والتي أشرنا إليها في صدر هذا المقال بوصفها العامل الحاسم الذي أفسد فاعلية المحاولات التي بذلها المسلمون لفتح البلاد . ويضاف إلى الحصانة الطبيعية هذه ما هو مشهور عن أهل المنطقة من الشجاعة والمهارة الحربية .

هذا صحيح بالنسبة للاستيلاء العسكري أو

هذا هو الإشعاع الأول للدين الإسلامي في هذا الإقليم أخذ يتسرب إليه من جهة الحدود الشرقية حوالى السنوات الأولى من الحلقة السابعة للقرن الثانى الهجرى ، أى بعد مرور أكثر من قرن وربع على وجود الإسلام في المنطقة متاخما لجيلان من الغرب ومن الجنوب ، ولا شك أنه تاريخ متأخر ونقيجة دون ما بذل في سبيلها بكثير .

يبدو أن عدد من اعتنقوا الإسلام استجابة لابن العلاء كان قليلا ، كما يبدو أيضا أنهم لم يقوموا بجهود لترويح عقيدتهم الجديدة بين الآخرين ، أو أن مثل هذه الجهود — على فرض وجودها — لم يحالفها التوفيق ورغم قلة عدد من أسلموا فإنهم لم يتعرضوا لآى ضغط من الجماعات الأخرى نتيجة لديهم الجديد ، والسرى في ذلك ما سبق أن أشرنا إليه آنفا وهو أن هذه المنطقة كانت موطننا لخليط من أنصار اتجاهات مذهبية مختلفة وجدوا فيها مأمنا لهم من الاضطهاد الذى سبق أن تعرضوا له في مواطنهم الأصلية ، فلا يستبعد في ضوء هذا أن يستوعب إقليم جيلان عددا من أنصار ديانة جديدة .

وما عدا ذلك فإن المراجع التى تحت أيدينا ليست سخية بالدرجة التى تمكننا من أن نزيل الغموض الذى يكتنف تاريخ هذا العدد القليل الذى تمثل فيه أول إشعاع للدين الإسلامى

أن منطقة الحدود المشتركة هذه كانت تمتاز بالسهولة النفسية لمن أراد أن يجتازها ، وهذا بالقياس إلى مناطق الحدود المشتركة الجنوبية أو الغربية .

حققت القوات الإسلامية في جهة طبرستان بعض الانتصارات الجزئية على مواطني جيلان ، فما يذكر عن عمر بن العلاء الذى تولى طبرستان أكثر من مرة كان آخرها سنة ١٦٧ هـ أنه هاجم هذه المنطقة المستعصية عدة مرات ، وقد استطاع في إحداها أن يتوغل في صميم البلاد الجيلانية . وقد أخذت الحملات الإسلامية التى توجهت من طبرستان إلى جيلان — شأنها في ذلك شأن الحملات التى سبق أن انطلقت من مدينة قزوین — طابع الغارات تشنها القوات الإسلامية ثم تعود إلى قواعدها من جديد. وهكذا .

صاحب هذا التطور السياسى والعسكرى تغير في الموقف بالنسبة لانتشار الدين الإسلامى في هذه البلاد ، فقد ذكرت المراجع الموثوق بها عن عمر بن العلاء أنه في إحدى غاراته استطاع أن يوغل في إقليم الديلم حتى وصل إلى مدينة (محدثة) التى تقع على بعد فراسخ قليلة من حدود طبرستان ، ويذكر ابن الفقيه أن بعض أهالى هذه المدينة قد اعتنقوا الدين الإسلامى على يد ابن العلاء .

في هذا الصدد نقول : إنه في أواخر سنة ١٦٩ هـ دارت معركة « فح » بين العلويين ، بقيادة الحسين بن علي بن الحسن ، والقوات العباسية ، وقد دارت الدائرة في هذه المعركة على العلويين وقتل زعيمهم ، ومن ثم نشط العباسيون في تتبع رجال البيت العلوي مما دفع بعضهم إلى الهرب بعيدا عن متناول أعدائهم ، ومن هرب من بطش العباسيين يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب .

ذهب يحيى هذا إلى بلاد الديلم في سنة ١٧٥ هـ وهناك اكتسب ما يمكن أن نسميه بحق اللجوء السياسي من كبير المنطقة أو ملكها المعروف بـجستان . فغشى الخليفة هارون الرشيد مما يمكن أن يؤدي إليه استمرار بقاء يحيى في جيلان ، ومن ثم أعمل الخيلة في الإتيان به إلى بغداد ، وقد تم له ذلك في سنة ١٧٦ هـ .

لم يشر الدينوري إلى حركة يحيى بن عبد الله هذه ، أما اليعقوبي فقد أشار إلى وجود يحيى في بلاد الديلم إشادة سريعة وقد تناول الطبري تاريخ يحيى بشيء من التفصيل ، ولكن هذا التفصيل انصب - بالدرج - الأولى - على وجود يحيى في بغداد بعد إحضاره من بلاد الديلم ، وأوفى ما كتب عن يحيى في مهجره قدمه لنا مؤرخ الزيدية المحلي حسام الدين

في داخل إقليم جيلان ، وعلى سبيل المثال ، نحن لا نستطيع أن نحدد التاريخ الدقيق لإسلامهم ، ولا نستطيع أن نتعرف على عددهم أو الدوافع التي جعلتهم يتقبلون الدين الإسلامي ، كما أنه ليس في إمكاننا - أيضا - أن نتحدث عن حقيقة دينهم السابق . وهذا القصور أمر طبيعي لأن المكتابات التاريخية آنذاك لم تكن تعنى عناية كاملة بشؤون العامة . وسط هذا الغموض يستطيع الباحث أن يستخلص حقيقتين تفرضان وجودهما من خلال الظروف التي صاحبت ظهور أول إشعاع للإسلام في منطقة جيلان .

الأولى هي أن عدد أولئك الذين شكلوا طليعة الدين الإسلامي في هذا الإقليم كان قليلا . والثانية هي أنهم اعتنقوا ديانتهم الجديدة مصطبغة باللون السني ، والذي يسوقنا إلى القول بالحقيقة الثانية هو ما نعرفه عن عمر ابن العلاء من أنه كان سنيا يدين بالاتجاه المذهبي الذي يدين به ساداته العباسيون - هذا بالإضافة إلى ما سبق أن قلناه من أن الإسلام بدأ ظهوره في المنطقة في حدود السنوات الأولى من الخليفة السابعة في القرن الثاني الهجري .

بعد هذه الوقفة القصيرة نواصل تفصيلنا للمحاولات التي أدت إلى انتشار الإسلام في هذه المنطقة .

في هذه المنطقة ، وقد تمثل كيان هذه الجماعة في الجهود البشرية والمادية التي أسفرت عن بناء مسجد يجمع أفراد هذه الجماعة ويكون مقرا لتأدية شعائر دينهم ، وفوق هذا وذاك سيكون رمزا شاخصا للدين الجديد الذي وفد إلى إقليم الديانات العديدة .

لم تشر المصادر إلى المكان الذي بنى فيه هذا المسجد ، والمرجح أنه أقيم في المنطقة الجبلية الجنوبية التي كانت مركزا لحكم الأسرة الجسطنانية . وكل ما نستطيع أن نؤكد به بالنسبة لهذه الجماعة هو أنهم اعتنقوا الدين الإسلامي ملونا بالمذهب الزيدي ، نفس المذهب الذي كان يدين به ويدعوا إليه يحيى بن عبد الله .

هذا هو الموقف بالنسبة لانتشار الإسلام في جيلان حتى سنة ١٧٦ ، ونواصل في مقال تال بقية المحاولات التي أدت إلى جعل الإسلام دين الأغلبية الساحقة في هذه البلاد .

د. هاشم غنيم أبو سمير

في مؤلفه « الحداثق الوردية في مناقب أئمة الزيدية » (مصور بدار الكتب رقم ٨٦٧ تاريخ) فقد كتب عنه حوالي عشرين صفحة والذي يتصل بموضوعنا من خلال هذه الصفحات أمران : الأمر الأول هو أن المحلى وصف الديالمة أكثر من مرة بأنهم أهل الشرك أو الكفرة ، والأمر الثاني أنه قال بالنص في آخر ما كتبه عن هذا الزعيم الزيدى : « وكان قد أسلم على يد يحيى جماعة من الديلم وبنوا مسجدا » . وهذا المسجد هو أول بناء من نوعه في هذه البلاد .

ومعنى هذا أنه في حوالي سنة ١٧٦ هـ اعتنق الدين الإسلامى عدد آخر من الديالمة ويبدو أن عدد من أسلموا على يد يحيى كان كثيرا نسبيا . وقد انعكست هذه الكثرة النسبية في المسجد الذى أسسوه وسط أماكن العبادة الخاصة بالديانات الأخرى .

يمكننا القول إذن بأن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام استجابة لدعوة يحيى العلوى يمثلون في الحقيقة أول « جماعة إسلامية »

الكتاب

الحج

حِكْمُهُ . أَحْكَامُهُ . أَسْرَارُهُ . مَنَاسِكُهُ

عرض وتعليق : الأستاذ يوسف عبد الوهاب الشال

دورى على مستوى الشعوب والدول . يمكن أن يسفر عن تأثير بالغ الأهمية عميق الشأن فى أحداث العالم وتطور الأمم ، وهى من قبل ذلك ومن بعده مجال أى مجال للتعاون والتعارف والتآلف وتطبيق عملي للأخوة الصادقة والمساواة الأصيلة .

ثم بدأ موضوعه بذكر آداب السفر فى ضوء تعاليم الإسلام مبيناً أن السفر إلى الحج لا يضاهيه سفر من الأسفار ، ولا يدرك هذا المعنى حق إدراكه إلا أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى .

وبعد تحقيقات ورفرافات روحية بين حكم مناسك الحج تناول أعماله فأرقا بين الركن والواجب فى هذه الفريضة بقوله :

فالركن ما لا يصح الحج بدونه ولا يجبر تركه بدم ، والواجب ما يصح الحج بدونه ولكن يجبر تركه بدم .

هذا الكتاب جامع لأطراف فريضة الحج من حين التهيؤ لأدائها حتى العودة من سفرها المحجب . ومؤلفه الأستاذ محمد الفتى بدار المكتب والوثائق القومية .

وقد قدم الكتاب فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود بكلمة ختمها بقوله : « وكانت ا. وح الدينية للمؤلف واضحة جلية بعبارات أنيقة وعرض شيق وأسلوب جذاب ... وهو فى كل هذا التطواف المبارك لا يعوزه الدليل من الكتاب والسنة بما يشرح صدور قوم مؤمنين ، ويكون قرة عين للعارفين وروضا أنفا للقيمين وزاداً للسافرين . »

واستهل المؤلف كتابته بمقدمة بين فيها قيمة هذه الفريضة الجليلة وما تعود به على الأمة الإسلامية فى مشرق الأرض ومغربها من خير غامر باعتبار الحج أعظم اجتماع عالمي

اللبس : فيحرم على الرجل ستر رأسه أو بعضه بما يعد ساترا سواء كان محيطا أو غير محيط . وغير الرأس فيحرم ستره بغير الإزار والرداء ونحوهما . والمرأة تلبس الملابس المعتادة عدا الوجه بيد أن لها أن تستر منه القدر اليسير الذى لا يمكن ستر جميع الرأس إلا به . فهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به .

استعمال الطيب فى البدن : والثوب أو الفراش بما يعد طيبا .

إزالة شعر الرأس : والجسد بأى طريق من طرق الإزالة . وكذا تقليم الأظافر . الزواج أو تزويج غيره .

مقاربة الزوجة أو التمتع بها فى أى صورة من صور التمتع العملى .

التعرض للصيد وقطع نبات الحرم وشجره . كل ذلك فى شرح واضح من خلال المذاهب الفقهية .

وقد بين حدود الحرم فقال :

أما حده من طريق المدينة . فهو على ثلاثة أميال من مكة . ومن طريق اليمن سبعة أميال . ومن طريق العراق والجزيرة سبعة أميال . ومن طريق الطائف على عرفات من بطن وادى نمرة سبعة أميال أيضا . ومن طريق جدة عشرة أميال . وهذا حد ما جعله

والأركان هى : الإحرام : أى نية الإحرام بالحج ، الوقوف بعرفة ، طواف الإفاضة ، السعى بين الصفا والمروة ، الحلق أو التقصير ترتيب معظم هذه الأركان .

والواجبات هى : الإحرام من الميقات ، المبيت بمزدلفة ، المبيت بمنى ، رمى جمرة العقبة ، يوم النحر ، رمى الجمرات الثلاث أيام التشريق الثلاث إن لم يتعجل .

والأركان لا يتم الحج ولا يجزئ حتى يأتى بجميعها ولا يتحلل من إحرامه التحلل الأخير إذا بقى شئ منها ، وأما الواجبات فن ترك شيئا منها لزمه تقديم دم ، ويصح الحج سواء تركها عمدا أو سهوا لكن العاهد يأثم بالترك .

وأما السنن فن تركها فلا شئ عليه ولا إثم ولا دم لكن فاته السكال وتركته الفضيلة وعظيم الثواب .

ثم استطرد المؤلف فى شرح هذه الأعمال موضحا كيف تؤدى وموقع كل ركن وواجب .

وأسلمه ذلك إلى الحديث عن المحظورات التى يجب على المحرم أن يجتنبها مبينا أضرار هذا الخطر الذى يتركز فى أنه أسلوب من الأساليب الجادة العملية التى تترك أثرها التربوى فى أعماق من يمارسها .

وقد أطنب فى بيان هذه المحظورات توضيحا ورتبها على النحو الآتى :

الله عز وجل حرما لما اختص به من التحريم . وقد قام المؤلف بتحديد المواقع التي تحتاج إلى تحديد معتمدا على النصوص .

وبعد مسيرة طويلة على طريق الحج ختمت بطواف الوداع انتقل بنا المؤلف إلى دار الهجرة ومشوى الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم . وطوف بنا في آفاق النور موجها إلى أمثل آداب الزيارة وكيفية أدائها . ولم يغفل التعريف بالمشاهد التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه وأولها مشهد البقيع الذي يضم بين جناحيه أولئك الذين عاشوا لدينهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .

ثم قدم المساجد الأثرية كمسجد أحد ومسجد الوادي ومسجد الفتح وغيرها مبينا بالعبارة المصورة موقع كل مسجد على الطبيعة .

ضبط الاسماء بالحروف . وأنهى المؤلف فصول كتابه ببيان ما يجب على الحاج إذا ترك مأمورا به أو ارتكب منها عنه موضحا أنواع الدماء الواجبة وجزاء الصيد وقطع الشجر .

وختم المؤلف رحلته على صفحات كتابه الذي بلغ مائتين وأربعا وعشرين صفحة بقوله في تواضع العلماء :

وما لإخائي أثبت إلا بما تنسع درايقي لتصويره وإملائه ويتلام مع طاقتي . وأني أرجو من القارئ الكريم ألا يتخذ من فيض عليه منفذا لتوجيه النقد إلى هذا الكتاب ،

بـ و ف عبر الهادي المال

(أول بيت وضع للناس)

قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، سورة آل عمران ٩٦ ،

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دؤستاذ محبى الدين الألوانى

- ١٥ -

كتاب الخصل : المسمى بمصدق الفضل للشيخ شهاب الدين أحمد الهندى
المتوفى سنة ٨٤٩ هـ .
(الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بحيدر آباد)

ثم أنحو نحو علم الإهراب ، ثم أمن النظر
فى علم المعانى من كل باب ، ثم أبين ما يتعلق
بعلم البيان من التشبيه والمجاز والكناية
بالإتقان ، ثم أكشف عن وجوه الوجود
المحسنة ، ثم أتعرض بضروب العروض ،
ثم أحصل حاصل المعنى بالبيان الوافى ،
فتيسر لى بتيسير الميسر الوهاب شرح عظيم
الخصل ، وسميته « بمصدق الفضل » .

وقبل أن نقدم نموذجاً لشرح المؤلف
للقصيدة ومنهج فيه ، نقتبس من بيانه فى الشعر
والشعراء عامة ، وفى كعب بن زهير صاحب
« بانث سعاد » ، بصفة خاصة ، ما يلى : إن
الشعر ليس فى ذاته مذموماً ، ولا صاحبه
ملوماً ، كيف وأنه من محاسن الشيم ، كثيراً
ما يتضمن محكمات الحكم ، أليس يكفيه
فى إثبات الرفعة والعظمة قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر لحكمة » .

ويقول المؤلف عن سبب تأليف الكتاب
وتسميته . « كان أصحابه صلى الله عليه وسلم
يتناشدون وهو جالس بينهم وكفاك أن
بعض المهاجرين والأنصار صاغوا كثيراً
من الأشعار ، خصوصاً كعب بن زهير
ابن أبى سلمى المازنى الذى أذن له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدخول جناب كرمه وعفا
عن جريمته بعد إهدار دمه ، وله قصائد
جليلة وأشعار جزيلة ، منها لاميته التى أولها
بانث سعاد .

ولأنى فى مجلس المذاكرة مع الأصحاب كنت
أنشر فوائدها من كل باب فالتمس صديق
صدوق أن أسطر ما أذكر فى حواشيه
وأنمق ما أحقق من معانيها ، وهل يفى بتصوير
الحسان أقلام الحواشى ، فأردت أن أكتب
كتاباً أشرحها فيه لفظاً بعد لفظ ، بل حرفاً
بعد حرف ، وابتدأت فيه باللغة ثم الصرف

الباطل . ثم قال سبحانه : « وأنهم يقولون ما لا يفعلون . وقد ينسبون إلى أنفسهم من أفعال الشر ما لا يقدرّون على فعله . كما تجده في كثير من أشعارهم من الدعاوى الكاذبة . وقال المؤلف في صاحب القصيدة ، كعب ابن زهير رضى الله عنه : إن زهيراً كان أشعر العرب فقد روى أن عمر رضى الله عنه سئل عن أشعر الناس فقال سلوا سيد الناس فأشار إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقالوا سألتنا عن أشعر الناس فعرّفنا سيد الناس ، فلنذهب إليه لنعرف أشعر الناس ، فأتوا ابن عباس فسألوه عن أشعر الناس فأُشيد شعر الزهير بن ابى سلمى ، فقالوا عرفنا أشعر الناس أيضاً .

وقيل أشعر العرب أربعة زهير والأعشى وامرؤ القيس والنايعة . وكان زهير ابناً أحدهما كعب والآخر بجير ، وهو سبق كعباً في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان كعب يومئذ على الكفر ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم بشعره ، ولما أهدر دمه كتب بجير إلى أخيه أن الرسول أهدر دمك ، لكنّه كريم إذا أتيتّه تائباً يعفو عنك ، فتوجه إلى جنبه فأُشيد قصيدته الشهيرة تائباً ومؤمناً .

ونجعل من البيت الأول من قصيدة « بانث سعاد » نموذجاً لشرح المؤلف ولمنهجه في بيانه :

وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يتناشدون وهو جالس بينهم ، وكذلك بعض المهاجرين والأنصار صاغوا كثيراً من الأشعار . وأما قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » (١) فقليل : الشعراء هم بعض شعراء قريش ، ومنهم عبد الله بن الزبير السهمي ، وهبيرة ابن أبي وهب الخزومي ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبو عزة الجمحي ، وأميمة بن أبي الصلت الثقي ، تمكلموا بالكذب والباطل ، وقالوا : نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر ، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم قولهم (٢) . وكانت الأعراب يحفظون تلك الأشعار ويقرءونها ، فقد نزلت هذه الآية أى لا يتبعهم في باطلهم وكذبهم إلا الغاؤون أى السفهاء أو الشياطين أو المشركون أو الضالون عن الحق .

ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل ، فقال : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، والمعنى ألم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون ، فتارة يهتكون الأعراض بالهجاء وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجّه السمع ويستقبحه العقل ، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون

(١) الشعراء آية ٢٢٤ .

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٧

ومكبول تجنيس لاحقاً اختلفاً في حرف واحد
وهو اللاء الخ .

العروض : اعلم أن هذه القصيدة على البسيط
وأصله ثمانية أجراء مستفعلن فاعلن مستفعلن
فأعلن مرتين ، قد يقع فيه الخبن وهو حذف
الثاني الساكن فيصير متفعلن فيجعل على
مفاعلن ، والطنى وهو حذف الرابع
الساكن الخ .

فالحاصل : إنه يقول : « فارقت سعاد
فقلبي يوم الفراق مريض مرض الشوق ،
ذليل مطيع كالعبد ، لا يخلص عنه بفداء
عاشق لا يمكن له أن يتجاوز عنها ، وأن
ينفك عن جانبها . وهكذا مدح النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم بقصيدته
المذكورة بعد التشبيب بذكر محبوبة سعاد
والحكاية عن محاسنها والشكاية مساوئ
أخلاقها ووصف ناقة بها يبلغ إلى أرض
فيها سعاد .

وذكر الوشاة والسعاة والاعتذار
عما نسب إليه ، وتوسل ببسط هذه القصيدة
المساحة إلى جناب الرسول الأعظم صلى الله
عليه وسلم ، ونال منه أقصى الأمانى .
« يتبع »

محمد الربيع الدنوراني

المدرس بجامعة الأزهر

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متم إمراً لم يفد مكبول

اللمعة : البين - الفراق . والوصل ، وهو
من الأضداد وسعاد اسم امرأة ، والقلب
اسم المضغة المعروفة المودعة في الجانب
الأيسر . وقيل هو لطيفة ربانية مودعة
في تلك المضغة . والياء ضمير متصل للمتكلم
الواحد مجروراً ، واليوم ظرف محذوف ،
ويقال تبلة الحب أى أسقمه فهو متبول .
والمتميم المجعول عبداً ، والآخر ما يظهر
في الأرض من علامة القدم ، وما للغائبة
ولم لقلب المضارع ماضياً ونفيه ، والفداء
تخليص المأسور بشئ ، والسكبل الأمر
والقيد .

الصرف : بانت فعل ماض للغائبة من
الاجوف اليائ الخ .

النحو : سعاد فاعل بانت أنت الفعل
لتأنيده الحقيقي الخ . .

البيان : إن كان العشق من الأمراض
الباطنية كما ذكر في بعض كتب الطب ،
فقوله متبول على الحقيقة ، وإن كان من أمثال
السكر والحزن والفرح كان قوله متبول من
باب الاستعارة الخ .

البديع : وفي ذكر التبل والتتيم والفداء
والسكبل مراعاة النظير ، وفي قوله متبول

انبثاء وآراء

باركنا حوله لنزيه من آياتنا إنه هو السميع
البصير .

إن عيد الأضحى وما يحمل من أسمى المعاني
ليحث المسلمين من أقصى الدنيا إلى أقصاها
على أن يتمسكوا بحقهم ويدافعوا عن كل
شبر من أرضهم ويصبروا ويصابروا حتى
يتم الله لنا النصر : وإن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون .

وليكن لنا في صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة حسنة وقدوة طيبة في التماسك
والترابط والتعاون والعطف على إخواننا
اللاجئين منهم والمهاجرين حتى يشعر الجميع
بأننا جميعا في عيـد : و تعاونوا على البر
والنقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ،
والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

في محيط الأزهـر :

● استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الأزهر بمكتبه . غبطة الكاردينال مكسيمليان
دي فيوكتنبرج - مبعوث البابا بولس السادس
بابا روما . إلى الشرق الأوسط - والوفد
المرافق له .

ر- الزعيم مام الأكبر إلى العالم

الإمام - مصر

● وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الأزهر رسالة إلى العالم الإسلامي بمناسبة
عيد الأضحى المبارك ، أشار فيها فضيلة الإمام
إلى المعاني الأصيلة التي يستلهمها المسلمون من
يوم التضحية والصبر والفداء . قال فضيلة
شيخ الأزهر :

أيها المسلمون :

ونحن نحتفل بعيد التضحية والفداء جدير
بنا أن نستلهم من هذه الذكرى ما يزيدنا
إصراراً على التمسك بمبادئنا والتضحية بكل
غال ورخيص في الذود عن حقنا والدفاع
عن أرضنا .

ولما إذا كنا نذكر اليوم بيت الله الحرام
فإن ما نعيشه اليوم جدير بأن يذكرنا بما
بين بيت الله الحرام في مكة وبيت الله الأقصى
في بلاد عزيزة علينا (فلسطين) .

و سبجان الذي أسرى بعبد لهيلا من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي

فهو لا يحقق أطاعه ومآربه إلا من خلال الاختلاف بين أبناء الوطن الواحد .

وتحدث السيد الوزير فقال : إن مؤتمرات الاستعمار على مستوى الوطن العربى ولن يستطيع أن يحقق أغراضه مادامنا وحدة متكاملة ، وفي نهاية الحديث طلب سيادته المزيد من مساعدة الأزهر دينيا وثقافيا حتى تستطيع جمهورية اليمن الجنوبية الناشئة أن تستعيد سالف مجدها وعزها .

فوعده فضيلة الإمام الأكبر بتزويدهم بالأسانذة والعلماء والكتب الدينية اللازمة .

* * *

نص حديث فضيلة الدكتور محمد عبده

ماضى وكيل الأزهر :

● فى المقابلة التى تمت بين فضيلة الدكتور محمد عبده الله ماضى وكيل الأزهر والسيد / أندرية جياك الرئيس العلبانى للكنيسة اللوثرية بتشيكوسلوفاكيا وعضو الوفد البرلمانى التشيكى الذى زار الجمهورية العربية المتحدة بدعوة من مجلس الأمة والى أشرنا إليها بالعدد الماضى . وجه السيد / أندرية جياك بعض الاسئلة إلى فضيلة الدكتور محمد عبده الله ماضى وكيل الأزهر وإليك نص الاجوبة :

س : ما هى علاقة الدين الإسلامى بالاشراكية ؟

وبعد أن رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه قال فضيلته : إن الأديان كلها تدعو إلى الإيمان والسلام والمحبة والتعاون . وإن الاعتداء الصهيونى موجه إلى الأديان وبخاصة الإسلام . فالصهيونية عصبية جنس لا تمت إلى الأديان بصلة وأن التعاون الإنسانى ليدعو العالم بأسره إلى مساعدة الدول العربية لإزالة آثار هذا العدوان الظالم وصدأطاع إسرائيل التوسعية .

وفى ختام الحديث حمل فضيلة الإمام الأكبر . المبعوث البابوى . تحياته وشكره لقداسة البابا لتعاونه وتفهمه للقضية العربية .

وتحدث غبطة الكاردينال فأبلغ فضيلة الإمام الأكبر تحيات قداسة البابا . ثم قال : إن الإيمان عصب الأديان كلها لرد أى اعتداء غادر . ونحن متقاربون ومتفاهمون ثم استفسر سيادته عن عمر الأزهر فأجابه فضيلة الإمام الأكبر : إنها أقدم جامعة فى العالم حيث إن عمرها يزيد على ألف عام وبفد إليها جميع المسلمين من أنحاء العالم .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه السيد / وزير التربية والتعليم بجمهورية جنوب اليمن الشعبية . وقد رحب فضيلته بالضيف قائلا : باسم الأزهر أرحب بكم فى بلدكم وبين أهليكم وذويكم وأود أن تفتحوا أعينكم جيدا لمؤامرات الاستعمار

تغييرها بأوضاع أصلح للناس وللمجتمعات الإنسانية وبهذا المعنى نحن نستطيع أن نقول: إن الإسلام نفسه كان ثورة على الأوضاع الفاسدة من ناحية العقيدة . فهو ثورة على الشرك والوثنية . كما كان ثورة على الأوضاع الفاسدة الاجتماعية فكان ثورة على الإقطاع وكان ثورة على التفرقة بين الناس بغير العمل النافع وكان ثورة على كل ظلم يَحِقُّ بالإنسان وعلى كل طغيان يقع من إنسان على إنسان ، ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الإسلام عندما بعث به الرسول عليه الصلاة والسلام نجد أن الرسول بعث في مجتمع كان يسوده الإقطاع كما كان يسوده الطغيان وكانت تسود فيه الوثنية ، فنادى الإسلام بأن الله إله واحد وبأن المعبود هو الله وحده وعلى الناس جميعاً أن يرتفعوا بأنفسهم عن عبادة الوثن الذي لا يضر ولا ينفع وأن يعبدوا الواحد القهار خالق الخلق ومالك الملك ، ولقد ناز الإسلام أيضاً على التفرقة بين الناس ، فنادى بأن الناس أخوة . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ، فالإسلام بهذا قد أعطانا عدة مبادئ :

أولاً : أن الناس أخوة ومعنى هذا أنهم متساوون في الحقوق والواجبات ، ثم إن الناس حينما اختلفوا وتشعبوا إلى شعوب

ج : إذا كان الهدف الأول من الأديان عامة لإصلاح حال الناس وإسعادهم فإن الدين الإسلامي على وجه الخصوص إنما جاء من عند الله لينقذ البشرية من الأوضاع الفاسدة وليحفظ للإنسان كرامته وفرصته في الحياة . فهو يشجعه على العمل ويعقد أواصر المحبة والتعاون على البر والتقوى بين الناس وهذه هي الأسس التي من أجلها جاء الإسلام فأنقذ الناس من الطغيان وتحكم بعضهم في بعض وأنقذهم من الضلال والشرك ورسم لهم حياة طيبة متحابية متعاونة وشجهم عليها ، وعلى هذا الأساس ، فإننا نقول : إن الاشتراكية بمعنى النظام الاجتماعي المبني على الإيمان بوحداية الله ، والإيمان بالمثل العليا ، والعمل على تحرير الفرد والمجتمع من تحكم وسيطرة رأس المال ، هذا النظام الذي يهدف إلى تحقيق المساواة والعدالة بين الناس ويعطى كل فرد فرصته المتساوية في الحياة وفي العمل وفي الحقوق والواجبات ، هذا النظام الاشتراكي يشجعه الإسلام ويحتضنه ، ونعتبره تنفيذاً عملياً لمبادئ الإسلام .

س : ما رأى سيادتكم في معنى الثورة أو ما هي الثورة ؟

ج : الثورة فيما أعتقد ما هي إلا محاولة الخروج على الأوضاع الفاسدة ومحاولة

وقبائل فالواجب عليهم أن يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى .

هذا أمر طبيعي ولا شيء فيه ، ولكن يمكن ولا شك أن تلتقى النظم المختلفة . على الوئام والسلام . على شرط أن يحفظ كل نظام الآخر حريته فلا يحدشه ولا يجرجه ولا يعمل على تغييره بالقهر والقوة . وما دامت النظم المختلفة يمكنها أن تعيش وتتفاهم بحيث إن كل نظام يحتفظ لنفسه بما اختاره فحينئذ يكون الأمر طبيعياً ومشروعاً ، ونحن إذن نحبذ التعايش السلي بين النظم المختلفة . .

السودان :

● طلبت حكومة السودان من الأزهر موافقتها بالمناهج الدراسية الخاصة بمعهد القراءات التابع لإدارة المعاهد الأزهرية ، وذلك للعمل بها في معهد القراءات الذي تقرر إنشاؤه في السودان .

مجلس الأمة :

● قدم النائب الشيخ محمد حافظ سليمان عضو مجلس الأمة ، اقتراحاً بإدماج وزارتي الأزهر والوقف في وزارة واحدة وسيناقش الاقتراح في جلسة يحضرها السيد حسين الشافعي نائب الرئيس ووزير الأوقاف وشئون الأزهر .

مدير المظيف عبر المظلم مصطفى

ثانياً : أعطى مبدأ التقييم السليم الصحيح ، فقرر أن قيمة الإنسان ليست بنسبه ولا بحسبه ولا بلونه وإنما بعمله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وهذه النظم والمبادئ التي جاء بها الإسلام هي من عند الله العليم الخبير الذي يعلم كل شيء والذي يحيط بكل شيء علماً ، والذي يضع الأمور في أحسن وضع ، ولهذا فعلينا أن نمثل . وعلينا أن نعمل بهذه المبادئ القويمة ، فالإسلام ثورة في مبادئه على كل النظم الفاسدة ، وعلى هذا الأساس فنحن نؤيد الثورة التي تعمل لخير الإنسان والتي تعمل على رفع الظلم ودفع العدوان وإحقاق الحق .

س : أؤكد بعد دراستي للخلافات والفروق الموجودة بين الناس وبين النظم الاجتماعية أنه يمكن حلها بطريق السلام وبدون اللجوء إلى القوة وفي اعتقادي أن التعاون بين النظم الاشتراكية يمكن أن يحقق الوجود السلي ، فما رأى سيادتكم في امكانية ذلك ؟

ج : إن المجتمعات البشرية بطبيعتها يمكن أن تختلف إلى نظم وشعوب مختلفة . وذلك ناتج عن حرية التفكير الإنساني . فالإنسان يختار لنفسه النظام الذي يعتقد صلاحيته له ،

greeting and there they shall abide for ever : a blessed dwelling and a blessed resting-place.”

And it says in the Tradition of the Prophet :

من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله
ورسوله وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه ،
والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على
ما كان عليه من العمل .

(Whoever witnesses that Allah alone, without partner, is God, that Muhammad is both His servant and His Apostle, that Jesus is no more than Allah's servant and Apostle and His Word which He cast to Mary, and that Paradise and Hell are true, Allah shall admit him to Paradise notwithstanding whatever works he might have done).

من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله حرم الله عليه النار .

(Whoever witnesses that there is no other God than Allah and that Muhammad is Allah's Apostle, Allah shall forbid him the Fire).

يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من إيمان .

(He is sure to get out of Hell whose heart fostered an atom's weight of faith.)

من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً
وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة .

He is sure to enter the Garden who has avowed, “I content myself with Allah for God, Islam for Faith and Muhammad for Prophet.

إذا أسلم العبد فحسن إسلامه فكل حسنة
يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة
ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى
يلقى الله تعالى .

(Having embraced Islam, should a man conduct himself with becomingness, ten-fold and even more up to seven hundred-fold shall be recorded every good work he does, whereas every ill-deed he commits shall be recorded the like of it only, until he meets Allah — exalted be He).

من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

(He will enter the Garden whose last words are ; “There is no other God than Allah).

(to be continued)

bondage to material and passions. In fact, such aspects of unseen idolatry as the worship of wealth, benefit and magnanimity, with all the evils that inevitably come out of it, contradict monotheism and will not concord with "there is no other God than Allah".

Resorting to the Qur'anic and the Sunnite demonstration of the faithful, we find wonders that lift hearts up. It says in the Glorious Book :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ أَوَّلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . (الأنفال)

It means : "The true believers are those whose hearts are filled with awe at the mention of Allah, and whose faith grows stronger as they listen to His revelations, They are those who put their trust in their Lord, establish worship and bestow in alms of that which We have given them. Such are the true believers ; for them are high grades of honour with their Lord, and pardon and a bountiful provision."

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا . . . (الآياه، ٦٣ - ٧٦ الفرقان)

It means : "The true servants of the Merciful are those who walk humbly on the earth and say : 'Peace' to the ignorant who accost them, who pass the night standing and on their knees in adoration of their Lord, who say : Lord, ward off from us the punishment of Hell - for its punishment is untold anguish - a wretched dwelling and a wretched resting-place', who are neither extravagant nor niggardly but keep the golden mean, who invoke no other god besides Allah and do not kill except for a just cause - manslaughter is forbidden by Him, who do not commit adultery (for he that does this shall meet with evil : his punishment shall be doubled on the Day of Resurrection and in disgrace he shall abide for ever - unless he repents and believes and does good works, as then Allah will change his sins to good actions. Allah is forgiving and merciful, and he that repents and does good works truly returns to Allah), who do not bear false witness and do not lose their dignity when listening to prophane abuse, who do not turn a blind eye and a deaf ear to the revelations of their Lord when they are reminded of them, who say : 'Lord, give us joy in our wives and children and make us examples to those who fear you.' These shall be rewarded with Paradise for their fortitude. There they shall find a welcome and a

From the Tradition of the Prophet :

FAITH - II

BY : SOLIMAN BARAKAT

Muhammad, blessed be he, did not pretend then to point man to a way in which he might subject Allah, exalted be He, to his full grasp. Yet, Muhammad is Allah's servant and Apostle ; (Rasûl) Allah sent him forth with guidance and true faith so that he might exalt it above all religions. His ancestry, the conjunctures of his birth and upbringing, his name, the fact that his birth marked the beginning of the end for many a col'ossus of evil and deviousness, the sort of man he was, the care Allah embraced him in, and, last, his mission, all these tell us he was the Prophet whom the Gospel had told men to await. A paragon of innocence and purity, he lived among his people for forty years hinting neither at mission nor at prophethood and dreaming neither of leadership nor of sovereignty. Then, when he was past young age, and mature in both mind and body, he called men to faith and piety whereas Allah supported him with the miracle of the Glorious Qur'an.

Does this mean that Islam denies man's intellect the right of grasping

a complete idea of Allah ? Yes (on the earth, in the least,) to be sure ; and here lies the significance of the name Islam. On one hand, it is not intellect alone that Islam addresses ; it also addresses intuition, conscience and feeling. On the other hand, Allah willed it that man's worship should not be so automatic and strife-less as reflex actions. No wonder then that the Prophet who said, "Meditate upon Allah's creation but do not meditate upon Himself or you shall perish", said also, "By Him in whose hand lies my soul, should you not err, Allah would destroy you and bring other men into being who would err and then seek His pardon, and whom He would absolve."

There is no great difficulty, however, that a man believes in one God. The difficulty arises when monotheism has to change from a belief into a state. For negation of idolatry in one's words and works is based on the denial of all forms of idolatry from one's heart and soul. But this is a degree attained only by those who have freed themselves from

Once a man said to Prophet Muhammad : O Prophet, tell me about the best thing that secures to me the entry of Paradise ? Muhammad replied : his wealth, his wealth ; namely to spend his money in aiding others, to worship only God Almighty to observe prayers and give alms and to keep close relations with your relatives. Jareer ben Abdullah said : I made a pledge to the Prophet — Peace be upon him — that I shall pray, give alms and advise all muslims.

God calls on people not to treasure their wealth as well as not to over spend them. He advised them to spend money where it is justified, He also warns them not to be conceited in their contributions and alms. He says O faithful, do not follow your alms with favour and harm. God accepts only well-brought alms. He increases them and He abhors sinful disbelievers.

Prophet Muhammad said, "God accepts under His shade seven groups of people when there is no shade but His : a just Imam, a youth who grows up in worshipping God and likes to pray in Mosques — this explains the importance of Prayers

in Islam ; two disinterested friends who meet and depart from each other for the sake of sincere friendship and fraternity ; a man tempted by a woman and refuses her temptation saying I fear God the Lord of the world ; a contributor who gives alms without letting his left hand knowing what he does with his right hand ; and a man who sheds tears whenever he remembers Allah.

Therefore, to give alms to the poor, satisfies the giver and the receiver. This makes them closer to each other, for they are translating the teachings of Islam into action. This action enlightens human souls and hearts.

The fourth basis of Islam is fasting. This has been imposed upon those preceded them, but it is characterized in Islam by a true spiritual signs. It urges muslims to have patience and to stick to right actions; these are good values and manners which a human being should possess. Because they can make him pious and sincere. Fasting, no doubt, teaches the human being to be patient and restrains himself, besides it makes him come closer to his Creator.

inspiration, and promotes fear and hope in the faithful hearts, for prayer prevents evil and abuse, and the name of God is the greater.

Praying strengthens good intentions, it leads to good behaviour and treatment among Muslims and other people; it also cements relationships and praying in groups calls for communion and cooperation as well as sympathy. In this respect God says :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا .

It means : "O Man we have created you from male and female and made you nations and tribes to acquaint with each other". Also, Prophet Muhammad said, "Do you like to know who would be the dearest and the nearest to me at the Resurrection? They asked who would be those people? He said those who have best manners, who love people and are loved; but those who would be most detested and farthest away of me are the talkative and the sophisticated.

Praying in groups leads to sympathy and cooperation among people in a mosque, besides the prayers of Al Guma'a (Friday) strongly confirms this fact, hence God's prohibition of trading and selling during the prayers time, and He

urges people to observe this prayers.

Imam El Boukharl quoted Huthifa as saying : I heard Prophet Muhammad saying : Man's sins and his happiness in his family and property will be forgiven by his prayers, fasting and alms. Abu Horreira quoted Prophet Muhammad as saying : Those who were considered as prayers would be called from the prayers' gate and those who were fighting [for the sake of God, would be called from the holy fighters gate, this also applies to those who observed fasting and contributions". Abu bakr said : could any one be called from all these gates? Muhammad said, "yes, and I hope that you would be one of them".

Alms giving (Zakah) is the third basis of Islam; this basis calls for fraternity and mutual assistance as well as mercy. It eliminates class distinctions, and removes the gap between the rich and the poor. If people are sympathetic towards each other there will be no hunger or poverty.

'Zakah, is order by God aims at eliminating famine and starvation; it gives the poor, the have-nots a share in the rich's wealth; God prevents usury and steps up alms, He accepts repentance from His worshipers and accepts alms, which are for the poor.

THE FOUNDATIONS OF ISLAM AND THEIR PSYCHOLOGICAL EFFECTS

By

DR. GAMAL EL DIN EL RAMADY

The foundations of Islam have great psychological impacts, and grand spiritual purposes. They are not decisions, laws or judgments to be observed without a rational basis or a legal ground. They are not imposed at random, without consideration or wisdom; indeed they carry the human soul to the highest degree of perfection.

The first foundation, namely, the oneness of God, means that a human being must believe in one sole God, this oneness of God brings stability and peace to the soul, evokes satisfaction and security in the heart. It also makes men attached to one sole God, who owns everything and has the destiny of Mankind in His hands; in this respect God says :
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

It means : "If there were therein gods besides Allah, then verily both (the heavens and the earth) had been disordered". This, of course, fits in with the nature of things. For if in this limitless universe are more than

the one sole God, then all things will go the wrong way, and it will turn into chaos and confusion. This, however, will be a very ugly state of affairs. Because if one god likes it to be day the other would prefer it to be night, there may be contractions and contrasts all over and the universe will be unstable and uncontrolled without order or system.

Undoubtedly, the belief in God's oneness brings peace to human soul, it finds relief in Him and asks His help and aid in distress and pain.

Besides, to believe in Muhammad's mission is to believe in Islam and the coming of this mission into being as well as in the Glorious Qur'an revealed unto His servant to guide all people to the right path. God had selected Muhammad to carry this mission, which thing he did in the best clearest way possible, then he died after the completion of this mission.

As for the second basis, namely the prayer, it contains heavenly

without teaching or guidance. That is why the Quran calls good as "ma'ruf" (معروف or "the known". and calls evil "munkar" (منكر) the "unknown" or the "denied." The Qur'an says :

« ونفس وما سواها . فآلهمها فجورها
وتقواها . قد أفلح من زكاهما . وقد خاب
من دساها . » . (سورة الشمس)

It means : "By the soul and the proportion and order given to it. And its enlightenment as to its wrong and its right. Truly he succeeds who purifies it. And he fails who corrupts it."

If moral feeling is innate in human heart, why, do we hear about different ethical systems? And what is the meaning of our assumption that Islam has its own moral method to reform individuals and societies?

The difference between the ethical systems of Islam and the other systems goes back to the Islamic view toward our universe, which may be centered around these questions : Is there a Creator for this universe? If so, is He one or

several? What are His attributes? What is the relation between us and Him? Did He will our guidance? Are we responsible before Him? And what is the purpose our life and what is our destiny?

To answer all this, we can say that there is a God to this universe, and He is One God. This wonderful universe is running according to His Will and Order. He is Wise, Powerful, Knower of everything. Man by his nature is created as a servant to God, to act according to His ordinances and the purpose of his life is complete servitude to his Creator. God sent Prophets and messengers to guide His servants to the right way. Man is created to be charged with responsibilities, for which he will account for in front of his Lord in the Hereafter. Therefore, his objective must be the Love and Grace of God. This objective is obtained by following the orders of God and His guidance.

This is the basic difference between the ethical system of Islam and other systems.



Thus, this middle course of behaviour is just a lawful way of conduct, and does not invite punishment or reward. We notice the three types of conduct in many places in the Holy Qur'an. We read for example :

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما . إن تبدوا
خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله
كان عفوا قديرا » . (سورة النساء)

It means : "God loves not that evil should be made public except one who has been wronged, God is ever Hearer, Knower. Whether you publish a good deed or conceal it or forgive evil, verily God is Forgiving, Powerful".

God, the Almighty, in these verses forbids oppression and aggression, which invite His anger, except in case of one who was oppressed, and even so he is advised not to act for revenge. The verses are concluded by pointing out to high and noble course of conduct, what is forgiveness. The person who forgives is really acting according to the Divine Manner. God is described as the One Who forgives sins while He is able to punish. And if God is forgiving for His sinful servants, why man does not forgive for his fellow man if he seeks the forgiveness of his Creator ?

This is the method of Islam

which elevates man over the degradation of selfishness and brings him up to the noble position of altruism.

Are virtues and moral excellences changeable according to different times and places or they are stable and unchangeable ?

Moral feeling is innate in human heart. Though this feeling differs to some extent still moral judgment that virtues are good and vices are bad is almost universal. Truthfulness, justice, and fulfilment of promise—all are virtues which are praised in all societies. Humanity in any stage of history did not approve falsehood, injustice, or treachery. The case holds true regarding all other virtues and vices which are universally agreed upon.

As to social virtue or evil, it also comes under the same consideration. Good societies are universally known to be the societies in which order and peace prevail. On the contrary, disorder, chaos, disunity and hatred are the evil elements which destroy the society.

Therefore' we can state that ethical rules are stable facts which are not subject to change in any place or time. Good and evil are obvious to everybody. Moral feeling is made innate in human heart

parable of a group of people who rode aboard a ship, some of them happened to ride on the top of the ship, and the others in the bottom. Those in the bottom tried foolishly to pierce the bottom of the ship to get water and save the trouble to going up the ship and getting the water from the sea by the bucket. Now if the people on the top did not stop the foolish action of the other group in the bottom, both will drown. But if they prevent such crazy idea, both will be safe. Such is the case of the good and the bad people in the society. If the good people do not stand collectively in the face of the bad elements in the society, the result will be general harm to all. This is the positive aspect of the ethical system in Islam.

The negative aspect is based on the principle of boycott. Boycotting the bad people and avoiding them, to be away from their evil habits and behaviour is an example for the negative method. The example about this from the Holy Qur'an is that of those three persons who stayed behind and refused to join other believers in participating in war for the cause of God, during the battle of Yarmuk. The Prophet ordered the believers to boycott them, until God had forgiven them.

What is the position of Islam regarding the three social types of

people, who are either to take the middle road in behaviour, to be in the bottom of bad conduct, or to be on the top of moral excellence?

People in their behaviour differ into three groups :

The first group is those who like to be praised over something good which they did not do. Such people used to commit crimes and charge the innocent people with it. They try always to get but not to give or at least to take more than to give.

The second are those who balance their rights and duties : they give to other as they are eager to take from them.

The third are those who do not wrong others whatsoever. They try to give more than to take.

These three kinds of people represent the ethical trends of selfishness, altruism, and equality.

The position of the Holy Qur'an regarding these trends is that it considers one virtue to be on the top of all virtues, that is altruism. There is also one vice which is put in the bottom of all vices, that is selfishness. The middle course in between which is called equality, it is not considered by the Qur'an neither a virtue nor a vice, though it was considered by the Greek ethics to be the mother of all virtues.

The Basis of the Ethical System in Islam

By

ABDUL WADOOD SHALABI

It is known fact that society is the basis of the state. If this basis is sound and strong, the state will be likewise. Individuals are the elements of the society, and the strength of the society depends upon the good conditions of the individuals. The conduct and behaviour of the individuals differ within the general structure of the society. Some times the behaviour of the individuals strengthens and supports the society, and in other cases such behaviour destroys its structure. Sound morality is the criterion of the good society. The social reformers have to use the measure of the ethics if they want to elevate the conditions of any society. Society needs common consciousness to oppose the bad elements within social structure. Islam has its own way in social reformation. This way has its positive and negative aspects. The positive aspect includes the enjoining what is good and forbidding what is bad whether on the individual or the group level. The Holy Qur'an says :

« يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه

عن المنكر » . (سورة لقمان)

It means : "O my son ! Establish prayer and enjoin what is good and forbid what is bad". And :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . (سورة آل عمران)

It means : "You are the best nation brought forth for humankind, you enjoin what is good and you forbid what is bad and you believe in Allah". And :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » . (سورة الحجرات)

It means : If two parties among the believers fall into a quarrel, make you peace between them, but if one of them transgresses beyond bounds against the other, then fight you all against the one that transgresses until it complies with the command of God . . . "

The Prophet describes the collective social responsibility with the

It means : "If you do not help him, yet God has helped him already, when the unbelievers drove him forth the second of two, when the two were in Cave, when he said to his companion, 'sorrow not, surely God is with us'. Then God sent down on him His 'Sekîna', (calmness) and confirmed him with legions you did not see and He made the word of the unbelievers the lowest ; and God's word is the upper most ; God is All-Mighty All-Wise. Go forth, light and heavy ! Struggle in God's way with your possessions and your selves ; that is better for you, did you know." (9 : 40 — 41)

After three days the Qureysh slackened their efforts. On the evening of the third day the Prophet and Abû Bakr left the cavern on two camels, procured with great difficulty, by unfrequented paths, to Medîna. But even here the ways were full of danger. The heavy prise set upon Muhammad's head had brought out many horsemen from Mecca, and they were diligent in search of him. Once a powerful horse man actually caught sight of the fugitives and pursued them. When the wild and fierce warrior approached them Abû Bakr cried : " We are lost " ; but the Prophet said : " Be not

afraid, God will protect us". Upon nearing Muhammad and Abû Bakr, the horse of the idolater reared and fell. Struck with sudden awe he entreated the forgiveness of the Prophet and asked for an attestation of his pardon. This was given to him on a piece of bone by Abû Bakr. They continued their journey, without further molestation and disturbance but under a severe June sun.

After three days' journeying the Prophet and Abû Bakr reached the territories of Yathrib. They rested for four days at a village called 'Qubâ', few miles south of Yathrib. He found there many Muslims and there Ali also joined them, journeyed from Mecca on foot, hiding in the day time and travelling only at night. In this period of days the Prophet built the first Mosque in the world. The Banû Amr bin Auf, to whom the village belonged, requested the Prophet to prolong his stay amongst them. But the duty of the Prophet lay before him, and he proceeded towards Yathrib, attended by a numerous body of his disciples. Thus the Prophet entered the city on Friday, 16th of Rabî' Awwal (2nd of July 622 A. D.). With his advent to Medîna a new era dawned in the history of Islam.

of the assassins fixed upon his bed, the Prophet asked Ali to put on the Prophet's own green garment and to lie on the bed. He also told Ali to remain in Mecca for a few days so as to return the belongings of persons who had entrusted them to him for safe keeping. Then the Prophet departed from his house at a moment when the assassins were unaware of his intention. It is reported that a peep slumber over took the conspirators that moment and the Prophet walked among them. He went straight to the house of Abû Bakr and they walked together unobserved from the city of their birth, to a cavern in "Mount Thawr", which was a few miles to the south of Mecca. They lay hide for three days in the cavern, and all this time the Prophet and Abû Bakr were sustained by food brought to them at night by the daughter of Abû Bakr, Asmâ. She always walked to the cavern in front of the sheep which obliterated her foot-prints, in order to cover all traces of her movements.

The news that Muhammad (peace be upon him) had escaped and the would-be assassins had returned unsuccessful, aroused the fury of the Qureysh and their whole energy. Their horsemen scoured the country searching everywhere for the two fugitives. A very handsome reward of a hundred camels was set upon

the capture of Muhammad. Once or twice the danger approached so near the cavern, as some of the search party including a few of the selected youth, reached 'Mount Thawr' and saw the cavern. One of them said 'that they may be in that cavern', and some of them climbed to it and, then, saw a very old cobweb hanging over its entrance, and also a pigeon had laid eggs just in the entrance. Seeing this, one of them said 'by the look of that web it was there a long time before the birth of Muhammad. Hearing the voice of the search party so close, Abû Bakr approached the Prophet and touched him muttering: "If one of them had only looked down at his feet, he would have seen us". the Prophet looked at him and said in deep faith: "Abû Bakr, what do you think of two, God is their third? Grieve not, God is with us." The Holy Qur'an referred to this story of the cavern in the following verses:

« إِنْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . » (التوبة)

Abû Bakr were the only notable Muslims left in Mecca. Throughout this period the Prophet remained bravely at his post; when the storm was at its height and might. Nobody could say whether he would leave Mecca or not. Before, he had ordered his friends to emigrate to Abyssinia while he remained and preached his mission at the city. Thus the Qureysh doubted his intention to leave Mecca. Even Abû Bakr asked permission from the Prophet to emigrate, but he said to him, "Do not hurry, for God may send with you a friend." The Qureysh were fully aware of the influence and power the Muslims had in Medîna, especially in the way of trade with syriya. They were also aware of the danger of the emigration of Muhammad, and his appearance among the Muslims of Medîna. The clouds were gathering fast. The matter had become one of life and death for the Qureysh. An assembly of the Qureysh met in the town hall, called "Dar-el-Nadwa" and some chiefs of other clans were invited to attend. It was as a stormy meeting, for fear, of the escape of the Prophet, had entered their hearts. Imprisonment for life, or expulsion from the city were debated in the meeting. Assassination was then proposed, but assassination by one man would have exposed him and his family to the

vengeance of blood. Thus Abû Jahl suggested that a number of courageous men, chosen from different families should strike simultaneously in Muhammad's bosom with their swords, in order that the responsibility of the deed might rest upon all the tribes represented, so that the relations of Muhammad would not be strong enough to avenge his blood. This proposal was accepted and a number of youths were selected for the execution should be carried out.

The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureysh but this did not prevent him from staying on Mecca until he received orders from God to emigrate. Receiving his Master's order to emigrate to Yathrib, he went to Abû Aakr and asked him to be his companion on the journey. The venerable Abû Bakr most decidedly agreed and both were ready to leave, but were sure that the Qureysh would prevent them. On the appointed date, as the night advanced, the assassins posted themselves around the Prophet's dwelling. They watched all night long, waiting to murder him when he should leave his house in the early dawn. They were peeping now and then through a hole in the door to make sure that he still lay on his bed.

In order, to keep the attention

In the year 620 A.D., at the season of the yearly pilgrimage, he came upon a little group of six men from Yathrib, a city more than 200 miles away from Mecca, who heard him gladly. On their return to yathrib they told what they have seen and heard from the Praphet. At yathrib there were Jewish tribes with learned rabbis, who had often spoken to the pagans of a prophet soon to come among the Arabs with whom, when he came, the Jews would destroy the pagans as the tribes of Aâd and Thamûd had been destroyed of old for their idolatry. When the man from Yathrib saw Muhammad (Peace be up on him) they recognised him as the Prophet whom the Jewish rablis had described to them.

At the next season of pilgrimage a deputation came from Yathrib purposely to meet the Prophet. These deputies met the Prophet on the same spot which had witnessed the conversion of the former six. In that meeting they swore allegiamme to the Prophet. This called, in the history of Islam, the first 'pact of Al-Aqaba', from the name of the hill on which the conference was held. They then returned to Yathrib with a Muslim teacher in their company and soon there was not a house in Yathrib wherein there was not mention of the messenger of

Allah. In the following year, 622 A.D., at the time of pilgrimage, 73 Muslims from Yathrib came to Mecca to vow allegiance to the Prophet and invite him to their city. At Al-Aqaba, they swore to defend him as they would defend their on wives and children. Then the Prophet selected twelve men of position from among them as his delegates. Thus was concluded the second pact of Al-Aqaba. These delegates are called 'Naqibs'. This event occurred in the month of Dhul Hijja.

The news of this pact spread among the Qureysh and they worried about the far-reaching danger resulting in the effect of the conclusion of the great pledge. It did not take long for the Qureysh to realise the effects of the Prophet's preaching and beginning of victory for his mission. The Qureysh started a furious persecution of the Prophet and his disciples. Fearing a general massacre, the Prophet advised his followers to leave for Medina silently. About a hundred families left Mecca, separately, and proceeded to Medina, where they were received with enthusiasm, in order not to warn the Qureysh of the planned emigration.

All his disciples had left for Yathrib, and the Prophet, his devotde cousin Ali, and his intimate friend

the Prophet to a compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah, or to make him their king if he would give up attacking idolatry.

The bitterness of the idolaters was increased by the refusal of his uncle 'Abû Talib' to let them kill Muhammad as well as by the conversion of Umar, one of their stalwarts. The Qureysh were now alarmed that Muhammad's preaching took a serious revolutionary movement and their power and prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. The converts of the first four years were mostly humble folk unable to defend themselves against oppression, so the Prophet advised all who could possibly contrive to do so to emigrate to Abyssinia. In spite of cruel persecution and emigration, the little company of Muslims grew in number. While the disciples of Muhammad were seeking safety in other lands from the persecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and amidst every insult and outrage pursued his mission.

Again they came to him with promises of honour and riches, to seduce him from his duty; always the reply was, full of life and full

of faith : "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of dominion. I am sent by God Who has ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord; I admonish you. If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next; if you reject my admonitions, I shall be patient, and I leave God to judge between you and me". The idolaters grew more and more embittered and they decided to ostracise the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an alliance against the descendants of Hâshim and Muthalib. They bound themselves by a document, which was deposited in the Ka'ba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hâshimites or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold which was situated in one of the mountain passes which run down to Mecca. Only at the time of pilgrimage could he go out and preach or did any of his kinsfolk dare to go into the city. Towards the tenth year of the mission, 619 A.D. the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

MUHARRAM
1388

ENGLISH SECTION
EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

APRIL
1968

The 'Hijrah' – The Emigration

OF THE PROPHET FROM MECCA TO MEDINA

By

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The migration of Prophet Muhammad (Peace be upon him) from Mecca to Medina was the turning point in the history of Islam. This important event happened at the age of fifty — three, after the thirteen years of his mission. The departure of the Prophet from Mecca to Medina commenced on the 4th of Rabî' Awwal (corresponding with the 20th of June 622 A. D.) and he entered Medina (Yathrib) on Friday, 16th of Rabî' Awwal (2nd of July 622. A. D.). The 'Hijrah' year or the era of 'Hijrah' was instituted seventeen years later by the second Caliph, Umar, when he officially proclaimed the year of the Hijrah as the 1st year of the Muslim era. However, the months of the lunar year were retained and Muharram

was kept as the first month of the Hijrah year. On the beginning of the Hijrah year, it is good to review the events leading up to this important happening which marked the greatest moment in the history of Islam.

For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of the third year he received the command of God to preach his mission in public. It was then the 'Qureysh' became actively hostile. At the season of the pilgrimage they posted men on all roads leading to Ka'ba, to warn the tribes against Muhammad (peace be upon him) who was preaching in their midst. They tried to bring

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٤٨ قيس بن سعد - ١ - للأستاذ محمد محمود زيتون		١ من شوائب الإيمان في موك و فلسطين	
٥٣ من أساليب الإيجاز في اللغة العربية للدكتور محمد محمد النعام		للأستاذ أحمد حسن الزيات	
٥٦ طريقة القرآن في الدعوة والإقناع - ٢ - للأستاذ أحمد مهنا		• الواو ، التي قيل إنها زائدة وليست كذلك للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج	
٦٠ صدارة مصر الإسلامية بعد تحرير القدس للدكتور عباس حلمي إسماعيل		١٣ الهجرة : منطلق جديد للإسلام للأستاذ حسن جاد	
٦٥ انتشار الإسلام في جيلان للدكتور حامد غنيم أبو سعيد		١٧ تثبيت النبي وأمنه على كمال الإيمان - ٢ - للأستاذ عبد اللطيف السبكي	
٧١ الكتب :		٢١ إلى الإسلام من جديد لواء الركن : محمود شيت خطاب	
الحجج :		٢٥ الهجرة سنة المرسلين للأستاذ مصطفى الطير	
حكمه ، أحكامه ، أسرار ، مناسكه		٢٩ دروس من الهجرة للأستاذ سعد عبد المقصود غلام	
عرض وتعليق الأستاذ يوسف عبد الهادي الشال		٣٤ العرب لا تستعبد ! للدكتور علي العمري	
٧٤ المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين - ١٥ - للأستاذ محي الدين الألواني		٣٨ العقيدة الدينية وأثرها في تربية النشء للدكتور محمد غلاب	
٧٧ أنباء وآراء للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى		٤٤ أيها المسلمون : إعملوا لوحدة الإسلام للدكتور عفيفي عبد الفتاح	



English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The 'Hijrah' — The Emigration of the Prophet from Mecca to Medina	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — The Basis of the Ethical System in Islam	Abdul Wadood Shalaby	7
3 — The Foundations of Islam and their Psychological effects . .	Dr. Gamal El-Din El-Ramadi	11
4 — Faith — II	Soliman Barakat	14

مَجَلَّةُ الْإِيمَانِ

مجلة شهرية جامعة

بِقِصْدِ رَعْنِ شَيْخَةِ الْأَنْزَهَرِيِّ زَيْنُ كُلِّ شَهْرٍ

رئيس التحرير
أحمد بن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بذل لا شتر لك»
٥٠ ضائع الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني - السنة الأربعون - صفر ١٣٨٨ هـ - مايو سنة ١٩٦٨ م

لِسْمَاءِ الْمَرْيَمَ

الإيمان وحده كان سر الفتح بقلم: (أحمد بن الزيات)

أرأيت ذلك الصوفي التي الواصل يمتلىء قلبه بحب الله ، ويفنى وجوده في وجود الله ، كيف يستعذب العذاب ويستحلى الصعاب ويستمرى الجوع ويستلين الحشن وتقلب الدنيا في عينه إشرافه من الفردوس ، وفي نفسه نشوة من الرحيق ، وفي خياله عالما من المحور . فلا يشعر إلا بالضياء ، ولا ينظر إلا إلى السماء ، ولا يفكر إلا في لقاء ربه ؟ إن أشبه الناس به هو ذلك المجاهد الفدائي المؤمن ، يستولى عليه إخلاصه لدينه وأوجه لوطنه فينسى نفسه ويذكر الله ، ويبسح روحه ويشترى الجنة ، ويعتقد أن الله أكبر من كل كبير ، وأقدر من كل قدير ، وأعلى من كل على ، فيهاجم الجيش الكشيف ولا يخشى ، ويقطم الخطر الداهم ولا يبال ، وتتجلى له قوة الله في المعركة ممثلة في الملائكة والروح ، محقة بالنصر أو بالشهادة - وفي النصر إظهار الدين وسلطان الدنيا ، وفي الشهادة لقاء الله ونعيم الآخرة - فتصبح قوته بالإيمان أضعاف قوة عدوه ، فلا يخذل الكثرة ولا يرهب السلاح ولا يخاف الموت . ولن يجد في سير الشهداء والصديقين من أخذ الإيمان بالله بمجامع قلبه فاستبدر في سبيله النار ، ولاذ من مكروهه بالصبر ، كبلال

ابن رباح ، وعمار بن ياسر ، وعامر بن فهيرة ،
وخباب بن الارت ، وغيرهم من ضحايا الشرك

وصرعى الجهالة ؛ فقد كانت أناتهم من سوء
العذاب ، وزفراتهم من حرا الأذى ، تصعبدا
لكلمة الله في آفاق الجزيرة ، وتمهيدا لسلطان
العرب فوق الأرض . ثم فعل الإيمان فعله

بالقلة القليلة والفتنة الذليلة ففروا إلى يثرب
من الفتنة ، واستعانوا بالصبر والصلاة
على الكفر ، وخرج بهم القائد الأعظم إلى
وادي بدر وهم ثلاثمائة يتعاقبون على سبعين
نضوا من أباعر المدينة ليلقوا أبا جهل
في قرابة ألف من صناديد قريش يمججون
في الخيل والحديد ، ويمجشون بالغل
والحفيظة . وكان الرسول الكريم قد رأى

بحكمته العليا أن يستطلع رأى القوم في
هذه الغزوة على هذه الحال فقال المقداد
ابن عمرو : « امض يا رسول الله لما أمرك الله
به فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت
بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك
فقاتل إنا ههنا قاعدون . ولكننا نقاتل عن
يمينك وعن شمالك ، وبين يديك ومن خلفك .
فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك
الغاد (الحبشة) لجدنا معك من
دونه حتى نبغله » وقال سعد بن معاذ :

« امض يا رسول الله لما أمرت . فو الذى
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
نفضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد . »

ثم كانت معجزة الإيمان ففاضت الحياة
على الناس من هذه البئر . واتصل الماضى
بالمستقبل من هذه السبيل ، وبدأ التاريخ
عهده الجديد من هذه الموقعة .

ثم تغلغل الإيمان في قلوب المسلمين وعمق
واتسع حتى بلغ حشد القداء والاحتساب
فيقول بعض المهاجرين من الأعراب وقد
قسم له الرسول الكريم شيئا من الغنائم
في بعض الغزوات : ما هذا ؟ فقال : قسمة
لك . فيقول : ما على هذا اتبعتك يا رسول الله
ولكنى اتبعتك على أن أرى هاهنا بسهم
(وأشار إلى حلقه) فأموت فأدخل الجنة .
فأجابه الرسول إن تصدق الله يصدقك . ثم
كانت غزوة أخرى فأتى به النبي محمولا قد
أصابه سهم حيث أشار . فقال النبي صلوات الله
عليه : (أهو هو ؟) قالوا نعم . فقال صدق الله
فصدقته ، ثم كفن في جبة النبي وقدم فصلى
عليه ، وقال فيما جهر به من صلاته : « اللهم
هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا
وأنا على ذلك شهيد » .

ويقول الرسول المجاهد وهو يحرض
المؤمنين يوما على القتال : (والذى نفس
محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا
محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة)

فلما دخل على مسلمة قال : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً : ألا تسودوا اسمه في صحيفة للخليفة ، وألا تأمروا له بشيء ، وألا تسألوه من هو ، قال فذلك له . قال : أنا هو . ثم ارتد مسرعاً .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

بهذا الروح المنبثق من روح الله في نفوس المجاهدين خرج البديريون إلى أئمة الكفر من أبطال قریش فكسبكمهم قتلى في وادى بدر وعادت القمة القليلة إلى يثرب بالنصر والأسرى ، وعادت القمة الكثيرة إلى مكة بالهزيمة والجرحى .

وبهذا الإيمان الصادق المبشور من دين الله في دماء المؤمنين خرج بدر الجزيرة من أجواف الأودية وأعماق القفر ضئال الجسوم قلل العدد ضعاف القوة إلى لقاء الامبراطوريتين اللتين تقسمتا يومئذ ملكوت الارض فقوضوا الإيوان على ملك كسرى ، وحطموا العرش على سلطان قيصر .

وبهذا الشعور القدسى الذى ينبعث ويقود وبهذا اليقين النفسى الذى ينتصر ويسود ، يقف الفدائيون اليوم من رجال المقاومة في فلسطين من بنى إسرائيل الباغية المحتلة وقفة الاسود عاتت في عرنها الثعالب

فيقول حير بن الحمام ويده تمرات يأكلها : بخ بخ ! ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ! ثم يقذف التمرات من يده وهو جائع ويأخذ سيفه ويقا تل حتى يقتل ! ويصبح عكرمة في موقعة اليرموك بشباب العرب : من يبايع على الموت ؟ فتفعل فيهم هذه الكلمة فعل السحر فيمتدفقون على علوج الروم بالسيوف حتى لم يبق منهم إلا جريح أو شهيد .

ويتقدم في القادسية شيخ جليل فتقطع بداه ورجلاه ، ويراها الرأون يفحص في التراب فيسألونه : من أنت يا عبد الله ؟ فيجيب : رجل من الانصار من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

ويحاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا منيعا فيندب الناس إلى اقتحام نقب في سوره ، فيه الخطر اليقين ، ولكن فيه الفتح المبين ، فيجئ به فدائى من عرض الجيش فيدخله فيفتح الله عليهم بدخوله ، فينادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فلا يجيبه أحد . فينادى اننى قد أمرت صاحب أذى أن يدخله على ساعة يحىء ففشدته الله إلا جاء .

وتمضى هنية ثم يقبل رجل على الأذان يسأله أن يستأذن له على الأمير . فيقول له : أنت صاحب النقب ؟ فيقول أنا أدلكم عليه .

فضعفت الخلافة ، واستكانت النفوس فمات الجهاد ، وإذا مات الجهاد بالأموال والانفس في سبيل الله ذل الجانب وصغر الشأن واستطال العدو وأصبحنا على الحال التي تغلب بها الرسول صلوات الله عليه إذ قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا . انكم حينئذ لكثر . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكرهه الموت ، .

يريد الرسول الكريم بحب الدنيا وكرهه الموت القعود عن الجهاد والنكوص في الحرب . وإن لنا في رسول الجهاد الذي استأصل بنى إسرائيل من المدينة بالقتل والنفي اتقاء لشركهم وأماناً من مكرهم أسوة حسنة . وبنو إسرائيل في الحجاز هم بنو إسرائيل في فلسطين ، وفعل الرسول كقوله سنة يتبعها جميع المسلمين ؟

أصغر من الزبائ

والضباغ ، يتفجرون عليهم بالمنايا السود في كل بكرة وعشية ، ويفجأونهم بالدواهي الذكرك في كل ممكن ومأمن ، لا ينسكون أمام الرصاص ، ولا يرهبون وحشة السجن ، ولا تكسر من بأسهم نذالة العدو من نسف القرى واستحياء النساء واعتقال الضعفاء وتعذيب الأسرى . ذلك لأن العاطفة الوطنية قبس من العقيدة الدينية ، فهي فناء في الغيرية ، واندماج في الجمعية ، وتوجيه للأمل المشترك إلى المقصد الاسمي . فإذا خلا القلب من تقوى الله وتجرد الشعب من روح الدين ، فقدنا السر الذي يجعل من الضعف قوة ومن القلة كثرة . ومن اليأس أملاً ومن الشتات وحدة ، وعاد مجتمعنا كمتجمع القطيع يفترق السيادة في نفسه ، ويستمد القيادة من غيره .

كذلك كانت الحال في العراق والاندلس : توهج نور الإسلام في القلوب فضاءت الطرق ، وانضحت المعالم وفتحت الممالك ودانت الأمم واستوثقت الأمور ، ثم خبا ذلك النور لضراوة المادة وتحكم الشهوة وتسلط العصبية وتفرق الكلمة ، فكثرت المترفون فغلب الفسق ، وتعددت العروض

”الواو“ التي قيل إنها زائدة وليست كذلك

للدكتور عبد الرحمن ستاح

- ٢ -

خزنتها سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين ،
يدل على أن في الكلام متروكا ، إذ كان عقيبه :
« وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده » ، فعنى
الكلام : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ،
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتهم فادخلوها
خالدين دخلوها وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده (تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٢٥٠، ٢٤٠) .

وهذا الذي اختاره الطبري ، هو قول
الزجاج ، كما سيأتي التصريح بذلك في كلام
النسفي ، ثم هو الذي اختاره الجلال المحلى
كما سنعرف .

(الفخر الرازي)

قال : إن الواو في : (وفتحت أبوابها)
واو الحال ، كأنه قيل : جاءوها وقد فتحت
أبوابها ، لأن أبواب الجنة تفتح قبل مجيء
أهلها إليها ، بخلاف أبواب النار ، وذلك كما
قال تعالى : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب)
ثم قال : إن جواب الشرط فيه وجهان :
(الاول) : أنه محذوف ، والمقصود من
الحذف أن يدل على أنه بلغ في السكال ، إلى
حيث لا يمكن ذكره .

(الثاني) : أن الجواب هو قوله تعالى :

(آية الزمر)

قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى
الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتهم فادخلوها
خالدين » .

أقوال العلماء في الآية

(الطبري)

عرض ابن جرير بعض أقوال النحاة
المختلفين في جواب « إذا » ، من قوله سبحانه :
« حتى إذا جاءوها ، هل هو مذكور في الآية
أو محذوف ؟ وما يترتب على ذلك من زيادة
الواو أو عدم زيادتها .

وبما نقله عن بعض نحاة البصرة ، منهم
يقولون : إن قوله تعالى : « وقال لهم خزنتها ،
هو في معنى : « قال لهم ، وإذا تسكون الواو
فيه زائدة ، وأن مثل ذلك قد جاء في الشعر
في قول الشاعر :

فإذا وذلك يا كيشة لم يكن

إلا قوم حالهم بخيال

قالوا فسكانه يريد : « فإذا ذلك ،

ثم اختار الطبري القول بأن الجواب
محذوف ، قال : لأن قوله تعالى : « وقال لهم

الذى صدقنا وعده»، ثم قال: وسوقهم وفتح
الابواب قبل مجيئهم تسكرمة لهم، وسوق
الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى
حرها إليهم إلهانة لهم (تفسير الجلالين ج ٢
ص ١٤٥، ١٤٦).

(الزحشرى)

قال: إن جواب الشرط محذوف وإنما حذف
لأنه في صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على
أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه،
ما بعد (خالد بن). وقيل: حتى إذا جاءوها
جاءوها وفتحت أبوابها، أى مع فتح أبوابها.
وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول
أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها
بدليل قوله: «جنات عدن مفتحة لهم
الابواب»، فلذلك جرى بالواو، كأنه
قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها.
(الكشاف ج ٢ ص ٣٠٧).

(أبو السعود)

وقال أبو السعود: وجواب (إذا)
محذوف، للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون
السكرات، ما لا يحقق به نطاق العبارات،
كأنه قيل: «حتى إذا جاءوها وقد فتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبت
فادخلوها خالد بن»، كان ما كان مما يقصر عنه
البيان». (تفسير أبي السعود على هامش
تفسير الفخر الرازى ج ٧ ص ٦١٣).

(وقال لهم خزنتها سلام عليكم)، والواو
محذوف، أى لأنها زائدة.

قال: والصحيح هو الأول: (تفسير
الفخر الرازى ج ٧ ص ٢٧٧، ٢٧٦).

(النسفى)

قال النسفى: جواب إذا الشرطية محذوف،
ولأنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة،
فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف.

قال: وقال الزجاج: تقديره: (حتى إذا
جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبت فادخلوها خالد بن) (دخلوها)
فحذف دخلوها، لأن في الكلام دليلا عليه.
ثم قال: وقال قوم: حتى إذا جاءوها
وفتحت أبوابها، فعندهم جاءوها محذوف،
والمعنى: حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع
فتح أبوابها. وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا
عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة
فتقدم فتحها، لقوله تعالى: (جنات عدن
مفتحة لهم الابواب) فلذلك جرى بالواو،
كأنه قال: حتى إذا جاءوها وقد فتحت
أبوابها. (تفسير النسفى ج ٤ ص ٥٢).

(الجلال)

وقال الجلال المحلى: إن الواو فى: (وفتحت)
للحال بتقدير (قد)، وجواب (إذا) مقدر،
أى دخلوها، وعطف عليه: وقالوا الحمد لله

(النيسابورى)

(وفتحت) ، أى حتى إذا جاءوها جاءوها

وقد فتحت ، وليس بشيء .

ثم قال : وقال الكوفيون : واو (وفتحت) زائدة ، والجواب جملة (فتحت) ، وقيل الجواب : د قال لهم خزنتها ، والواو زائدة والمعمول عليه ما ذكرنا أولا .

(روح المعاني ج ٢٤ ص ٣١) .

(النتيجة)

أنه يتبين من الأقوال ، التي قدمناها لاولئك العلماء في الآية السكرية ، أنهم جميعا متفقون على أن جواب الشرط فيها محذوف ، للعلم به ودلالة المقام عليه أو لأنه شيء بلغ من العظم والنفخامة مبلغا لا يحيط به الوصف ، فلم يجوز أحد منهم أن يكون شيء مما ذكر في هذه الآية هو الجواب ، لأن ذلك لا يكون إلا على أساس زيادة الواو في قوله تعالى : د وفتحت أبوابها ، أو قوله سبحانه : د وقال لهم خزنتها . لم يجوز ذلك أحد من هؤلاء العلماء ، وإنما حكاه بعضهم عن الكوفيين وبعض النحاة البصريين ، ثم عقب عليه بأنه لا معمول عليه ، أو أن الصحيح خلافه .

حتى الطبرى - الذى كان قد ذهب مذهب بعض النحاة في آية د الصافات ، فلما أسلما وتله للجبين وناديه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، فقال كما قالوا : إن جواب د لما ،

قال إن جواب : د حتى إذا ، محذوف ، وحق موقعه ما بعد (خالدين) أى كان ما كان من أصناف السكرامات والسعادات ، فتكون الواو في (وفتحت) واو الحال ، كأنه قيل : د حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها ، وهذا معناه أن أبواب الجنة يتقدم فتحها على وقت دخول أهلها ، يشهد بذلك قوله تعالى في آية أخرى : د جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، (تفسير النيسابورى على هامش تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٢١) .

(الالوسى)

قال : د وفتحت أبوابها ، الواو للحال ، والجملة حالية بمقدير د قد ، على المشهور ، أى جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها ، كقوله تعالى : د جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، وجواب (إذا) محذوف مقدر بعد (خالدين) للإيذان بأن لهم حيثئذ من فنون السكرامات ، ما لا يحيط به نطاق العبارات ، كأنه قيل : د حتى إذا جاءوها مفتحة لهم أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، كان ما كان مما يقصر عنه البيان ، أو فازوا مما لا يعد ولا يحصى من التكريم والتعظيم .

وقال : وقدره المبرد : (سعدوا) بعد (خالدين) أيضا ، ومنهم من قدره قبل :

الغريب ، الذى أقل ما يقال فيه : أنه شيء لم يعهد فى كلام عربى فصيح ؟

وهنا نريد أن نختتم القول ، بأن نورد طرفاً من الآيات القرآنية ، التى قلنا إنه قد وقع فيها الشرط من غير أن يصرح معه بجواب ، اعتماداً على أنه معلوم من المقام : (١) قال تعالى : «ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً (٣١ الرعد) لجواب الشرط هنا محذوف ، قدره بعض المفسرين بأنه : «لما كان هذا القرآن ، ورجع ابن هشام فى المغنى أن تقديره : «لما آمنوا به ، قال : «لأنه يدل عليه قوله سبحانه فى الآية السابقة : «وهم يكفرون بالرحمن» .

(٢) وقال تعالى : «وإن كان كبر عليك أعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقا فى الأرض أو سلباً فى السماء فتأتهم بآية» . (٣٥ الأنعام) .

فالشرط الثانى - وهو : «إن استطعت» لم يذكر له فى الآية جواب ، وتقديره : «فافعل» .

(٣) وقال تعالى : «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون» (٤٥ يس) .

جواب (إذا) فى الآية محذوف تقديره : (اعرضوا) ، ويدل عليه قوله سبحانه

هو ناديناه ، والوالو زائدة - لم يذهب هذا المذهب فى آية «الزمر» التى معنا ، بل قال : «إن أولى الأقوال عندى بالصواب هو قول من قال ، إن الجواب متروك ، أى أنه محذوف العلم به .

إن مذهب النحويين الذين يجيزون أن تقع الواو زائدة فى بعض آيات الكتاب العزيز - لا وجه له . ولا سند يؤيده ، وليس له شاهد من كلام فصيح ، أو قول عربى صحيح ، أما رأى السديد ، فهو الذى اتفق عليه المفسرون ، مخالفين فيه رأى أولئك النحاة : ذلك أن الأمر فى مواطن هذا الخلاف ، دائر على وجهين من الإعراب ، لا ثالث لهما . «أحدهما ، لا شاهد له ، ولا دليل على صحته من قياس صحيح أو استعمال صريح لا شبهة فيه ، وهو اعتبار أن الواو زائدة ملغاة لا تؤدى معنى ، وليس لزبادتها سر ولا حكمة .

«والثانى ، واقع ومعبود ، وتكرر فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم ، وهو أن جواب الشرط محذوف لوجود ما يدل عليه أو لتفخيمه وتهويل الأمر فيه كما قال الزمخشري وتبعه عليه جمع من العلماء كما قدمنا . وإذا تكون الواو أصلية لا زائدة .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يعدل فى إعراب القرآن الكريم أو تفسيره . عن هذا الوجه السديد المعهود ، إلى ذلك الوجه

محذوف ، ومعناه : فعلوا به من الأذى ما فعلوا ، ثم سرد طرفا من الأذى الذي لاقاه منهم يوسف ، قال : « فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية ، أظهروا له العداوة ، وأخذوا يهينون ويضربونه ، وكلما استغاث بواحد منهم ، لم يغثه إلا بالأهانة والضرب ، حتى كادوا يقتلونه » .

(٢) وقد ذكر نحو هذا كل من « الفخر الرازي » و « الفسفي » .

(٣) وقال « أبو السعود » : « وجواب لما ، محذوف ، لإذنا بظهوره ، وإشعارا بأن تفصيله مما لا يحويه تلك العبارة وبمجملة : « فعلوا به من الأذى ما فعلوا » ، ثم ذكر بعض ما كان من ألوان تعذيبه ، كما رواه « الزمخشري » .

وهذا الذي قاله « أبو السعود » هو الذي جاءت به عبارة « الآلوسی » من غير تغيير ولا تحوير ، غير أنه زاد أن بعضهم يجعل الجواب مذكورا غير محذوف وهو « أوحينا إليه » وأن الواو فيه زائدة . قال الآلوسی : (وليس بشيء) .

ونحن نقول : نعم ، هو ليس بشيء ، وما كان ينبغي أن يذهب إليه ذاهب ، أو يجرؤ على القول به قائل ، فإن الحكم بأن حر فاله معناه في اللغة ، قد وقع زائدا في القرآن ، وحشوا لا يؤدي معناه ، ولا توكيد ما

في الآية التي بعدها . « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » ، فهذه الآية ليست بذاتها جواب الشرط ، ولكنها دليل عليه .

(٤) وقال تعالى : « قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون » (١٩ يس) . فالشرط في قوله : (أئن ذكرتم) لم يذكر له في الآية جواب ، وتقديره : (تطيرتم) .

(٥) وقال سبحانه : « ولوترى إذ المجرمون ناكسور رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعلنا نحزن » (١٢ السجدة) . فجواب : « لو ترى إذ المجرمون » محذوف وتقديره : (لرأيت أمرا فظيعا) .

(٦) وقال عز وجل : « كلا لو تعلمون علم اليقين » (٥ التكاثر) . فجواب : (لو تعلمون) محذوف ، تقديره : لا تدهتم وما أهلكم التكاثر .

« آية يوسف » : قوله سبحانه : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » . أقوال العلماء في الآية :

الجمهور الغالب من المفسرين ، على أن جواب (لما) مقدر ، لوجود ما يدل عليه ، ولنهيول الأمر فيه :

(١) قال الزمخشري : وجواب (لما)

بالمسكوت المقدر قبلها ، اتصالا يدل التركيب معه ، على أن ذلك المسكوت ، أولى بالحكم المصرح به مع المنطوق ، من هذا المنطوق نفسه .

وذلك كما نقول : أكرم فلانا ولو أساء إليك ، فإن عبارة : ولو أساء إليك ، معطوفة بالواو على مقابل لها مقدور معلوم ، تقديره : لو أحسن إليك أو ولو لم يسيء إليك ، فالتركيب يفيد - من غير شك - أن فلانا هذا إذا كان إكرامه مأمورا به إذا أساء ، فيكون الأمر بإكرامه إذا لم يسيء أو إذا أحسن ثابتا بالطريق الأولى .

ومثال ذلك أيضا ما يقال : أعطوا السائل ولو جاء على فرس ، .

ومن ذلك قوله تعالى : وبأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، فإنه يفيد وجوب القيام بالقسط ، والشهادة بالحق ، إذا كان على الأجنبي بالطريق الأولى ، إذا أن إقامة العدل والشهادة بالحق على الأجنبي أيسر على الإنسان مما يكون على النفس أو على الوالدين والأقربين .

إذا كان الأمر كذلك ، وكان التركيب المشتمل على « لو » ، الوصلية مع واو العطف مفيدا ثبوت الحكم للطرفين المتقابلين اللذين أحدهما منطوق والآخر مسكوت ، مع أولوية

يناسب معناه ، وأنه غفل حال من الفائدة - هو حكم لا نجد غضاضة أن نقول : إنه حكم باطل ، لا يجوز الأخذ به في تفسير القرآن الكريم .

لماذا زيدت الواو في « وأوحينا » ، مادام هذا الفعل هو الجواب ؟ أليس كان الأيسر ألا تذكر هذه الواو اختصارا في القول ؟ بل أليس كان الواجب ألا تذكر ، مادام ذكرها هكذا لا يفيد معنى ، بل هو شيء يضطرب به المعنى وينتفض به المراد ؟

ثم إن هذا الذي قلناه في الواو في : « وأوحينا » ، يقال في واو « وأجمعوا » ، على رأى من يجعل هذا الفعل هو جواب « لما » ، فإنه لا يصح القول بزيادة الواو في شيء من ذلك . وآية آل عمران ، :

قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » .

الكلام في الواو في قوله سبحانه : « ولو افتدى به » ، ثم شهيد : المقرر في اللغة - وهو شيء لا يسع أحدا أن يجادل فيه - هو أن الواو الداخلة على « لو » ، الوصلية تفيد عطف المنطوق المصرح به مع « لو » ، على مقابل له مسكوت عنه غير مصرح به وذلك كما قالوا في « أن » ، « الوصلية » . ومعنى كون « لو » وصلية ، أنها تفيد اتصال المنطوق الذي بعدها

دخول الواو، كالواو في قوله: «وليسكون من الموقنين»، وتأويل الكلام: «وليسكون من الموقنين أريناهم ملكوت السموات والأرض»، فيكذلك ذلك في قوله: «ولو افتدى به قال:

ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحا، ولم يكن هناك متروك، وكان فلان يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به (١).

من هذا يعلم أن ابن جرير «يجعل (لو) شرطية صريحة مستقلة، لها جواب يقدر بعدها، قد دل عليه المقام، أو كما يقول... قد دل عليه دخول الواو، وتأويل الكلام عليه: (ولو افتدى به لا يقبل منه أيضا، كما قال — في تأويل قوله تعالى:

(وليسكون من الموقنين) — أنه على معنى: «وليسكون من الموقنين أريناهم ملكوت السموات والأرض».

(الزخشري)

(٢) قال في الكشف ما نصه: «فإن قلت، كيف وقع قوله: (ولو افتدى به)؟ قلت، هو كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: فلان تقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً.

ثبوته لهذا المسكوت، فكيف تفهم الآية التي معنا، وهي قوله تعالى: «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به؟ وهل كلمة «ولو» في هذه الآية وصلية تفيد أن هناك طرفين متقابلين ثبت لهما ذلك الحكم — وهو أنه لن يقبل من أحد منهما ملء الأرض ذهباً — مع ملاحظة أن أحد الطرفين منطوق والآخر مسكوت ثابت له الحكم بالطريق الأولى؟ ثم ما هو ذلك الطرف المسكوت؟

أم أن «ولو» هذه ليست وصلية، بل شرطية مستقلة تحتاج إلى جواب؟ ثم أين جوابها؟ وما شأن الواو التي دخلت عليها؟

أقوال العلماء في ذلك مضطربة اضطراباً شديداً، يدل على أن ما ينبغي أن يكون معنى للآية غير واضح تمام الوضوح لكثير منهم، كما يتبين ذلك مما نوردته فيما يلي:

«أقوال العلماء» (الطبري)

(١) قال ابن جرير: يقول عز وجل «فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة، في الآخرة، جزاء ولا رشوة، على ترك عقوبته على كفره، ولا جعل على العفو عنه، ولو كان له من الذهب، قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها، فرشا وجزى على ترك عقوبته، وفي العفو عنه على كفره، عوضاً عما الله محل به من عذابه».

ثم قال: «ودخلت الواو في قوله: «ولو افتدى به» محذوف من الكلام بعده، دل عليه

(١) تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٤٥-٢٤٦ طبعة بولاق.

الأرض جميعا ومثله معه ، ، والمثل يحذف ويراد كثيرا ، لأن المثلين في حكم شيء واحد (١) .

ثلاثة أوجه أوردها أبو السعود في الآية كما فعل الزحشرى .

وقد تابعه أبو السعود في اثنين منها متابعة تامة ، وهما :

(١) وجه مراعاة المعنى .

ووجه تقدير لفظ المثل ، في قوله تعالى :
 « ولو افتدى به » .

أما الوجه الثالث فهو الذى يجعل الواو في قوله سبحانه : ولو افتدى به ، عاطفة حالة الافتداء بالمال في الآخرة على حالة التقرب به في الدنيا ، فيكون الحكم بعدم قبوله من الكافر شاملا للحالتين جميعا .

هذا الوجه الثالث قد يرى ببادى رأى ، أن أبا السعود قد تابع فيه ، الزحشرى ، أيضا لكن الأمر ليس كذلك : فإن الزحشرى يجعل الواو عاطفة الجملة الشرطية التامة بشرطها وجوابها المقدر ، على جملة تامة قبلها ، وهذا هو رأى الزجاج وابن الأنبارى ، وتقدير الكلام عليه : إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء

ثم قال : ويجوز أن يراد : « ولو افتدى بمثله » كقوله : « ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به » ، والمثل يحذف كثيرا في كلامهم ، كقولك : (ضربته ضرب زيد) ، تريد مثل ضربه ، (وأبو يوسف أبو حنيفة) تريد مثله ، (ولا هيثم الليلة للطلعى) ، (وقضية ولا أبا حسن لها) كما أنه يراد في نحو قولهم : (مثلك لا يفعل كذا) ، تريد أنت ، وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر ، فكانا في حكم شيء واحد .

وأن يراد : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهابا كان قد تصدق به ، ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه ، اهـ (١) .

(أبو السعود)

٣ — وقال أبو السعود : (ولو افتدى به) محمول على المعنى ، كأنه قيل : فلن يقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهابا .

قال : (أو معطوف على مضمرة) تقديره : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهابا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة .

ثم قال : أو المراد : (ولو افتدى بمثله) ، كقوله تعالى : « ولو أن للذين ظلموا ما في

(١) تفسير أبى السعود على هامش تفسير

الفخر الرازى ج ٢ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

من العذاب بعمل الأرض ذهباً، لم يقبل منه .
قال : وهذا اختيار (ابن الأنباري) .

ثم قال : وهذا أو كد في التغليظ ، لأنه
تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه .

الثاني — الواو دخلت لبيان التفصيل
بعد الإجمال ، وذلك لأن قوله : (فلن يقبل
من أحدهم ملء الأرض ذهباً) يحتمل الوجوه
الكثيرة ، فنص على نفي القبول بجهة الفدية .
ثم قال (إرازي) .

الثالث - وهو وجه خطر يبالى - وهو
أن من غضب على بعض عبده ، فإذا تخفف
ذلك العبد بتخفة وهدية ، لم يقبلها البتة إلا
أنه يقبل منه الفدية ، فأما إذا لم يقبل منه
الفدية أيضاً كان ذلك غاية الغضب والمبالغة
لأنما تحصل بتلك المرتبة ، التي هي الغاية لحكم
تعالى بأنه لا يقبل منهم ملء الأرض ذهباً
ولو كان واقفاً على سبيل الفدية ، تنبيهاً على
أنه لما لم يكن مقبولا بهذا الطريق ، فبأن
لا يكون مقبولا منه بسائر الطريق أولى .
التفسير الكبير ج ٢ ص ٩٢٢ ()

(النيسابوري) :

(٦) وقال (النيسابوري) أما الواو -
في قوله : (ولو افتدى به) - فأما تشبه عطف
الشيء على نفسه ، لأنه كالمكرر ، فلهذا كثير
أقاول العلماء فيه :

فقال الزجاج وابن الأنباري : إنها للعطف ،

الأرض ذهباً كان قد تصدق به في الدنيا ، ولو
افتدى به في الآخرة لم يقبل منه أيضاً .

أما أبو السعود فقد سار على المشهور في
دلو ، الوصلية أنها لا تحتاج إلى جواب خاص
تصير به جملة مستقلة ، بل هي معطوفة بالواو
مع مدخولها وحده ، على المقابل المقدر قبلها ،
فيكون الكلام كله جملة واحدة حكم فيها
بحكم واحد ، على مجموع الشرطين المتقابلين .
وهذا الحكم هو المصرح به في الآية ، وهو
قوله تعالى : فلن يقبل من أحدهم ملء
الأرض ذهباً .

(النسفي)

(٤) وقال النسفي : د ولو افتدى به ، ،
أي فلن يقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى
بعمل الأرض ذهباً ، قال عليه السلام : يقال
للكافر يوم القيامة : لو كان لك ملء الأرض
ذهباً أكننت مفتدياً به؟ فيقول نعم . فيقال له :
لقد سئلت أيسر من ذلك . د ثم قال النسفي :
قيل : الواو لتأكيد النفي ، اه (ج ١ ص ١٣١) .

(الفخر الرازي)

(٥) وقال الفخر الرازي ، ما نصه :
ما فائدة الواو في قوله : د ولو افتدى به ، ؟
الجواب ذكرها فيه وجوها :

الاول — قال الزجاج : إنها للعطف ،
والتقدير : لو تقرب إلى الله بعمل الأرض
ذهباً ، لم ينفعه ذلك مع كفره . ولو افتدى

المثلين يقوم أحدهما مقام الآخر في أغلب الأمور ، فكانا في حكم شيء واحد (١) هذه الأوجه التي ذكرها (النيسابوري) في

تفسير قوله تعالى : (ولو افتدى به) - هي مجموع ما قاله (الزمخشري) في (الكشاف) والفخر الرازي في (التفسير الكبير) وقد سردها سرداً ولم يرجع شيئاً منها على غيره ، وكان يلزم أن يفعل ، فإن تلك الأقوال ، ليست في منزلة واحدة ، من حيث القوة أو الصحة ، وسنبين الوجه المختار في تفسير الآية إن شاء الله تعالى .

هذا - وقد أورد (الآلوسي) من الآراء والاحتمالات في تفسير الآية ما لا يخرج عما ذكرناه من أقوال أولئك المفسرين الأعلام .

(يتبع)

عبد الرحمن تاج

(١) تفسير النيسابوري المطبوع على هامش تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٤٧ .

والتقدير : لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً ، لم ينفعه ذلك مع كفره ، ولو افتدى به أيضاً لم يقبل منه .

وقيل : إنها لبيان التفصيل بعد الإجمال فإن إعطاء ملء الأرض ذهباً ، يحتمل الوجوه الكثيرة ، فنص على نفي القبول بجملة الفدية .

وقيل : (إن الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية . فإذا لم يقبلوا الفدية ، كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط ، فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب) .

وقيل : (إنه محمول على المعنى ، كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً .

وقيل : يجوز أن يراد : ولو افتدى بمثله ، كقوله : د ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به) والمثل يحذف كثيراً في كلامهم ، مثل ضربت ضرب زيد (أى مثل ضربه) . وأبو يوسف أبو حنيفة (تريد مثله) ، كما أنه يراد به في نحو قولهم : (مثلك لا يفعل كذا) أى أنت ، وذلك أن

وَأَسْفَاهُ عَلَى الْقُدْسِ ...

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

يفتحوا القدس بالذات بالبكاء أو بالكلام؟

وهل كان المسلمون الفاتحون الذين كانوا يحاصرون القدس سنة ست عشرة الهجرية ، يبكون ويلتجئون ، ويقولون ما لا يفعلون؟ وهل كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يبكي ويلتجئ حين ارتقى جبل المسكبر

فأشرف على المدينة المقدسة ، فلما بدت لناظريه تعالى تكبيره : الله أكبر .. الله أكبر ومن يومها سمي ذلك الجبل بجبل المسكبر !!

إن الفاتحين الأولين من المسلمين ، وقواتهم التي كانت تحاصر القدس وتضيق عليها الخناق ، وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كل أولئك كانوا مدججين بالسلاح ، وكانوا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وكانوا يرجون لإحدى الحسنين : الشهادة ، أو النصر .

(كانوا قليلاً من الليل ما يهجمون ، وبالأسيحار هم يستفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) .

إن نكبة فلسطين قد أدخلت على كل بيت من بيوت العرب والمسلمين في ديارهم حزناً وغماً وحسرة وأسى ، وإن كلمات التفجع والرائاء على القدس تكتب اليوم بالدموع حسرة ولوعة وأسفا ...

ولكن البحار والمحيطات إذا جرت دموعاً ، واجتمع العرب والمسلمون على البكاء أفراداً وجماعات وشعوباً ، فإن هذه الدموع لا تنقذ القدس ولا تبدل مصيرها المفجع من حال إلى حال .

ولم يسبق لامة من الأمم ، أنها استطاعت أن تحول الهزيمة إلى نصر ، بالبكاء وحده ، وما يمت إلى البكاء بصلة قريبة أو بعيدة ، ومنها الكلام خطباً وقصائد ومقالات وكتباً دون أن يدعم الكلام بالعمل .

وتاريخ الحروب لكل الأمم في كل العصور والأزمان خير دليل .

هل استطاع الفاتحون الأولون وعلى رأسهم الفاروق القائد عليه رضوان الله ، أن

كانوا يعدون أنفسهم لإعدادين في آن واحد إعداداً مادياً ، وإعداداً معنوياً :

لا يكسح جماعها غير البحر كما قال عنها أحد الذين شهدوا المعركة .

الاعداد المادى هو استحضار كل متطلبات القتال تدريباً وتسليحاً وتجهيزاً وتنظيماً وقيادة . والإعداد الروحى ، هو الإيمان بآلهة العالم الإسلام ، وإخراج هذا الإيمان من حيز الاعتقاد إلى حيز العمل .

وهكذا كان يذخر أجدادنا : بالإعداد الحربى للقتال إعداداً متكاملًا ، وبالإعداد الروحى الذى يجعل من جيش المسلمين جيشاً لا يقهر .

وصدق الله العظيم : « يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (١) » .

لقد كان انتصار الفئة القليلة من العرب المسلمين في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، على الفئة الكثيرة من العرب المشركين ومن يهود ومن الروم ، انتصار عقيدة بدون أدنى شك .

وايبدأ الفتح الإسلامى العظيم في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، واستمر مدة يعلمون ثم يعلمون كأنه لجة من تحت اللجة بحر ، حتى بلغ مداه عام ثلاثة وتسعين الهجرية على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير في أوروبا ، قامت دولة الإسلام من سيبريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً ، ومن الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً ، في فترة زمنية قصيرة لا تزال أعجوبة العالم ومفخرة الدنيا .

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة

(٩ : ٢٥ - ٢٦) .

لقد كان انتصار المسلمين في أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفي أيام الفتح الإسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لامراء . كان التفوق العددي والعددي إلى جانب المشركين في كل معركة خاضها النبي صلى الله عليه وسلم . والمعركة الوحيدة التي كان عدد المسلمين فيها وفيراً هي غزوة (حنين) ولكن المسلمين لم ينتصروا في أول هذه الغزوة ، ولولا ثبات بطل الأبطال ورجل الرجال سيدنا رسول الله - صلوات الله وتسليمه عليه - مع عشرة رجال فقط من أصحابه وآل بيته ثباتاً بدل الهزيمة إلى نصر بعون الله وتوفيقه ؛ لكانت هزيمة المسلمين حينذاك هزيمة نكراء

وقادتهم بقوله : « إنكم تعرفون بماذا ...
انتصرنا بالإسلام ... فتمسكوا به » .
وكان يقول لهم : « أخوف ما أخاف
عليكم ذنوبكم » .

والتاريخ يحدثنا أن رايات المسلمين لم تهزم
أبداً ، حتى غلوا (١) أو غل قسم من رجالهم
فهزمهم الله ...

بدلوا ما بأنفسهم فبدل الله نصرهم هزيمة ...
وصدق الله العظيم : « إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، (٢) .

— ٣ —

ولكن القول بأن انتصار المسلمين كان
انتصار عقيدة لا يغني عن كل قول :

فالواقع أن المسلمين الأولين كان لديهم قادة
هم خريجو مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم :
استطاعوا أن يقودوا رجالهم المؤمنين حقاً
إلى النصر بإذن الله .

بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد
ابن الوليد رضى الله عنه لفتح العراق من
جنوبه ، وبعث عياض بن غنم لفتح العراق

ولقد كان التفوق العددي والعديد مع
أعداء المسلمين دائماً ، كان المسلمون هم
الفئة القليلة التي انتصرت على الفئة الكثيرة
بإذن الله .

كان العرب المناذرة الذين قاتلوا إلى جانب
الفرس في القادسية أكثر عدداً وأعظم عدداً
من العرب المسلمين ، وكان المناذرة أكثر
حضارة وأعرف بأساليب القتال وأقرب
إلى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين الذين
قدموا من الصحراء .

وكان العرب الغساسنة الذين شهدوا معركة
اليرموك مع الروم أكثر عدداً وأقوى
عدداً من العرب المسلمين ، وكانوا أعرف
بأساليب القتال وأقرب إلى قواعدهم من
أولئك العرب المسلمين الذين قدموا من شبه
الجزيرة العربية .

لم يكن انتصار العرب المسلمين في معركتي
القادسية واليرموك على العرب غير المسلمين
وعلى الفرس والروم ، لأنهم عرب وكفى ،
ولكن لأنهم عرب مسلمون .

وما يقال عن معركتي اليرموك والقادسية ،
يقال عن المعارك الحاسمة الأخرى التي خاضها
المسلمون شرقاً وغرباً .

لذلك كان انتصار المسلمين انتصار عقيدة .
ولذلك كان عمر بن الخطاب يوصي المجاهدين

(١) غل فلان غلولا : خان في المغنم أو في
مال الدولة ، وفي التنزيل العزيز : « ومن يغفل
يأت بما غل يوم القيامة » .

(٢) الآية الكريمة سورة الرعد (١٣: ١١)

عليه وسلم ولكن قيادة خالد غير قيادة عياض .

لقد كانت العقيدة الإسلامية عقيدة منسجمة بنائة ، ذاد عنها حماة قادرون ...

— ٤ —

وا أسفاه على القدس ...

ذلك لا يكفي .

لا بد أن نعود إلى الله تائبين منيبين ، ذلك هو الدرس الأول ...

ولا بد أن يتولى أمرنا حماة قادرون ، وذلك هو الدرس الثاني ...

إن للقائد الحق أمراً عظيماً في إحراز النصر . وأعظم القادة بدون جنود متميزين لا قيمة لهم .

وأحسن الجنود المتميزين بدون قادة قديرين لا قيمة لهم .

وقد كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، من أعظم قادة التاريخ على الإطلاق .

لقد كان من جملة أسباب النصر في غزوة (بدر) الكبرى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل بأسلوب (الصف) ، وقاتل المشركون بأسلوب (الكر والفر) .

وكان من جملة أسباب النصر في غزوة (الخندق) ، أن المسلمين حفرُوا الخندق ،

من وسطه ، وكان مع القائدين صفوة المسلمين من الصحابة الكرام ؛ فاستطاع خالد أن ينتصر على الفرس في معارك كثيرة حتى وصل إلى (عين التمر) ، بينما بقي عياض أمام (دومة الجندل) لم يستطع فتحها .

وكتب عياض إلى خالد يستمده ، فأجابه خالد بأقصر رسالة حربية عرفها تاريخ الحرب قال فيها : « من خالد إلى عياض : إياك أريد ولبت قليلاً تأتاك الحلائب يحمِلن آساداً عليها القاشب كتائب تتبعها كتائب » .

وخرج خالد على تعبئة مسرعاً ، فلما بلغ أهل (دومة الجندل) مسير خالد إليهم بهتوا . ثم اختلف زعمائهم فيما يصنعون ، وكان عليهم رئيسان : أكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، فقال أكيدر : « أنا أعلم الناس بخالد ! لا أحد أئمن منه ، ولا يرى قوم وجه خالد قلوباً أو كثروا ، إلا انهزموا منه ؛ فأطيعوني وصالحوا القوم » .

ونزل خالد (دومة الجندل) فجعلها بينه وبين عياض ، فخرجت إليه بعض قوات الحصن ، فهزمهم خالد وأخذ الجودي أخذاً . واقتحم خالد الحصن ، ففتح الله عليهم ...

لقد كان جنود خالد يشابهون جنود عياض ابن غنم : كلهم من صحابة رسول الله صلى الله

خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وكان خالد من أعظم قادة التاريخ على الإطلاق .

وقبل المعركة ، وجد تعبىة الروم تعبىة متفوقة ، وكان من مزايىا خالد القيادية : أنه لا ينام ولا يقيم .

كان الروم يقاتلون بأسلوب الكراديس . ولم يكن العرب يعرفون هذا الأسلوب فى القتال .

ودأب خالد ليلا ونهارا على تعبىة رجاله بأسلوب الكراديس ؛ فجعل منهم ستة وثلاثين كردوسا ، فلما أنجز ذلك تنظيما وتدريباً ؛ أنشعب المعركة فانصر على الروم . ولو قاتل بأسلوب (الكروالفر) أو بأسلوب (الصف) لما انتصر أبداً .

لأنه لا نصر بدون قيادة متميزة وبدون جنود متميزين .

— ٥ —

فما أثر الإسلام على إحراز النصر ؟ لأنه دين يربى النفوس على الجندية الحققة الأصيلة ، ويشيع فيها النظام والضبط . ويأمر بالجهاد بالأموال والأنفس ، وينهى عن التنازع والتفرق ، ويحث على الصمود فى القتال . ويجعل التولى يوم الزحف

ولم يكن للعرب معرفة بمثل هذا الأسلوب فى القتال .

واستخدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام المنجنيق فى حصار الطائف بعد غزوة (حنين) .

لقد قاتل النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه فى غزواته بأساليب قتالية جديدة وبأسلحة حربية جديدة ، وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، وكان يطبق مبدأ : الحرب خدعة ، وكان يحرص أعظم الحرص على متطلبات السكنان ، لذلك باغت أعداءه فى كل غزواته تقريباً ، ولم يستطع أعداؤه أن يباغتوه فى أية غزوة .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ملء العين والسمع قدراً وجلالا ، وكفاية ومقدرة عسكرية ، وتضلعا بفنون الحرب ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

والإسلام بتعاليمه الروحية والمادية هيا له جنوداً متميزين .

وكان عون الله وتأييده معه ، فنصره الله على أعدائه الكثيرين .

لقد كان قائدا عظيما ، قاد جنوداً متميزين ؛ لذلك انتصر بعون الله وتأييده .

وفى معركة اليرموك ، كان على المسلمين

أن هذه الآية وحدها شملت كل ما جاء في كتاب : الأمة في الحرب ... وأكثر ! ...

وسأنتقل ما جاء عن تفسير هذه الآية الكريمة في تفسير (الكشاف) للزخشري ، قال : « خفافاً وثقالاً : خفافاً في النفور للنشاطكم له ، وثقالاً عنه لمشقة عليكم . أو خفافاً لقلّة عيالكُم وأذيالكُم ، وثقالاً لكثرتها أو خفافاً من السلاح ، وثقالاً منه . أو ركبناً ومشاة ، أو شباباً وشيوخاً ، أو مهازيل وسماناً ، أو صحاحاً ومراضاً وعن ابن أم مكتوم^(١) أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعلیٰ أن أنفر؟ قال : نعم . حتى نزل قوله : ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس : نسخت بقوله : ليس على الضعفاء ولا على المرضى . وعن صفوان بن عمرو : كنت والياً على حمص ، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو ، فقالت : يا عم ! لقد أعذر الله إليك ! فرفع حاجبيه وقال : يا ابن أخي . استنفرنا الله خفافاً وثقالاً ، لأنه من يحبه الله يبتليه . وعن الزهري : خرج سعيد ابن المسيب إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ، فقال : استنفرنا الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكني

من الكبار ، ويجعل للشهيد مقاماً في الجنة من أعظم المقامات .

ولو أردت أن أستقصى أثر الإسلام في إحراز النصر ، لاحتجت إلى كتابة مجلد ضخمة .

والعجيب في الأمر ، أن القضايا العسكرية التي يتباهى بها الغرب والشرق حديثاً موجودة في تعاليم الإسلام .

الحرب الاجتماعية ، أو الحرب الشاملة ، أو الحرب الاحتصائية ، هي حشد كل طاقات الأمة المادية والمعنوية للحرب ، وتعتبر من مفاخر الحرب الحديثة ، وقد جرى تطبيقها في الحرب العالمية الثانية فقط ، ولم تكن مطبقة قبل ذلك .

وقد ألفت عن الحرب الإجماعية المشير فون لودندروف بعد الحرب العالمية الأولى كتابه : الأمة في الحرب .

وقد زعم لودندروف أنه أول من فكر في الحرب الإجماعية .

وكنت قرأت هذا الكتاب قبل أكثر من عشرين عاماً ، ولستكني حين قرأت قول الله تعالى : « أنفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله »^(١) وجدت

(١) وكان أعمى رضى الله عنه .

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة ٩: ٤١

لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الامور (١) .

إن الله ينصر من ينصره ...

واكن الله سبحانه وتعالى ذكر الذين ينصرهم ، فأين هم الآن ؟ أين هم اليوم ؟ إن المؤمن لا يئأس ...

والمؤمن لا يقنط ...

واسرائيل إذا انتصرت ساعة ، فلن تنصر إلى قيام الساعة .

ومصير يهود معلوم ، وأنا واثق من نصر الله ...

إن الله يغار على قبة الصخرة أن يرتفع عليها علم اسرائيل .

ويغار على مسرى النبي صلى الله عليه وسلم أن تنتهك فيه الحرمات وتقترف فيه الموبقات . وقد أعد اليهود يوماً عصيباً ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ! ...

محمود شيب خطاب

(١) الآية الكريمة من سورة الحج (٢٢ : ٤٠-٤١) .

الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (١) . فإذا علمنا أن العلامة أبا القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي متوف سنة ٥٢٨ من الهجرة ، وأنه فسر الآية بهذا التفسير الرائع الذي بز به لودندروف في الدقة والشمول والإيجاز ، علمنا أن الحرب الإجماعية جاء بها الإسلام قبل أربعة عشر قرناً ، وأن علماء المسلمين فصلوا أهدافها ومعانيها قبل تسعة قرون (٢) .

ولكن أين المسلمون الذين يقرأون ثم يعملون بما يقرأون ؟ ؟

وا أسفاه على القدس ! ولكن القدس لا يمكن إنقاذها بالأسلحة والأسف حتى ولو ابيضت هيون المسلمين من الدمع .

لأنها تنقذ بالعودة إلى الله ، وبالحجة القادرين الذين يعملون بهدى الله ونوره وصدق الله العظيم : (ولينصرن الله من ينصره ، إن الله

(١) تفسير الكشف - للزمخشري - طبعة بولاق - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣١٨ .

(٢) أرجو أن يفهم ذلك المستغربون قبل المستشرقين ، وعلى أساتذة الكليات العسكرية وكليات الأركان في دار الإسلام أن يلقنوا ذلك طلابهم وتلاميذهم .

فِجْهَاتُ الْقُرْآنِ

دعوة "هود" إلى الدين والدنيا

لِلْمُسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ التَّبَكِّي

(١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ... ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
(ب) يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ
٥٢ - هود

ملا ، ولا من بين حكامها وأمرائها ثم يكاشفهم - هود - بطلب التوحيد لله . لأنه لا إله لهم سواه ... وهذا مطلب غير شغوى له وإنما هو رضى لهم ما رضىه لنفسه ، وبلغهم ما لديه من العلم بما هو أجدى عليهم فبقاؤهم على ما هم عليه يكون بقاء على باطل ليس مستمدا من علم . ولا معتمدا على عقل ويعود هود - ويقول : (لا أسألكم عليه أجرا) يعنى لا شبهة لكم فى إخلاصى . فإنى لم أطلب منكم نفعا ماليا ، ولا أدبيا ، فلماذا تترددون فى الاستجابة لدعوة هى لكم وليس لى فيها مغنم خاص . ثم يزيدهم بيانا بأن دعوته لهم ليست صرفا لهم عن الدنيا التى يقشبهون بها .

وإذا كانت هذه القبيلة هى قبيلة - عاد : الأولى - التى يحدثنا عنها التاريخ بأنها كانت

فهذا خطاب رحيم ، من رسول كريم ينادى به شعبه بقوله (أيا قوم . . اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ثم يعود . . فيقول (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) .

ثم يكرر ، ويقول : (يا قوم استغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه) .

ومن رقة الخطاب أن يشعر الرسول أو المتحدث إلى جماعة من الناس أنه منهم . . فهذا دخول حسن إلى قلوبهم ، وتلطف فى توجيه الدعوة إليهم بأنهم قومه ، وعشيرته . . فهو أمين عليهم وحريص على جلب الخير لهم : يحكم العصبية ، والرحم ، ولا مجال لسوء الظن به . . خصوصا : إذا كان فيما بينهم حميد السيرة كريم الأرومة . . كما هو الشأن فى كل رسول يصطفيه الله لأمته من بين أجدادها : نسبا أو حسبا ، وإن لم يكن من بين أثريائها

والمفروض في أهل الحضارة أن يكونوا غير متحجرين ؛ ولا غلاظاً نافرين ؛ ولا أغبياء متخلفين ؛ واسكن العقلية الإنسانية إذا لم يصادفها إشعاع من هداية الله . . ولم تعاودها ذكريات رشيدة رحيمة بأنفسها فهي عقلية مسموخة ، لا تتقدم بالإنسان عن منازل الحيوان الاعمى .

وهذه العقلية حرب على نفسها .

فالامر ليس أمر أموال ، و ثراء ، ولا أمر شموخ واعتلاء ، ولكنه أمر تفكير ، وحسن تدبير ، وأمر اتصال (وحي بجانب الله) وتقدير لما يأتي به رسول الله .

كانت إجابات عاد لرسولهم هود - أولاً - يا هود : ما جئتنا ببينة !! يعني لم يكن معك دليل على صحة ما تدعوننا إليه . . ففي غفلة عقولهم ينسون ما في السكون من آيات يبينات على أن لهذا السكون إلهاً قادراً يدير ليله ، ونهاره ، ويدير البحار في مجاريها . والكواكب في منازلها ، ويبدى لخلق كل يوم شئونها لم تكن معبودة لهم بالأمس .

ثم يسرفون عليه في الإنكار ، فيقولون : وما نحن بتباركي آلهمنا عن قولك ، .

يعني أنهم مصرون على الشرك بالله ، وعبادتهم الأوثان ، وليسوا منصرفين عن ذلك بسبب ما يقوله لهم .

ذات نعيم في دنياها ، وذات أموال ، وحصون وقصور ، وبساتين ، وذات أجسام فارعة وقوة نادرة فإن الدين الذي يدعوهم إليه سوف لا ينقصها شيئاً من حظها . بل سيزيدها أكثر مما لديها فهو يقول : استغفروا ربكم من الشرك ، وادخلوا في دينه ، وتوبوا إليه من المعاصي ، وحينذاك تجدون ربكم يرسل عليكم ماء المطر كثيراً ، يخصب الأرض أكثر مما هي خصبة . ويسقي الزرع في غير انقطاع ، ولا إضرار بكم ولا بأموالكم .

وستجدون ربكم إذا تدبقت بدينه يزدكم قوة مالية ، وبدنية إلى قوتكم التي أنتم عليها فإن أعرضتم بعد ذلك الوعد الذي أحكيه لكم عن ربكم : فأنتم تجرمون على أنفسكم بالحرمان مما بشرتكم به ، وبالتعرض للبلاء الذي لا تطيقونه ، ولا يبقى لكم بقية من حضارتكم التي فتقتم بها عما هو خير منها عند ربكم ...

هذا خطاب هود لقبيلته (عاد) .

وهذه - عاد - التي يحدثنا عنها القرآن بأنها بلغت من الشأن ما لم يخلق لمثلها في البلاد .

فماذا كان من إجابتهم على خطابه ؟ وماذا كان لهذا الرفق والتلطف ، من أثر عند القوم ؟ كان جمودهم القديم شعاراً يمتزج بأرواحهم وكانت الغلظة في القول طابعا لا يزال عقولهم ، ولا ألسنتهم .

على الحق معي ، ولست أعبا بكثرة تسكم ، ولا أخشى بأسكم ، وإن شئتم لبذاق فاجعوا جموعكم ، ودبروا كيدكم ، وكيدوني جميعا ، ثم لا تنظرون ، — لا تمهلوني فإن الله سيعصمني منكم ، وإن تمكنتم مني فأنا شهيد عند ربى .

ومن سنن الله في عباده أن يقف اللجاج عند غاية ، وأن يكون لكل شيء نهاية . . ومهما يكن للإفك من صولة ، وللجزمين من دولة . فإن غيرة الله على دينه ، ونصرته لانبياؤه ، وقدرته على أخذ المجرمين بجرمهم : هذه الصفات القدسية لا تتخلف عن مجاريها ، ولا تدع للظالمين أن يعيشوا في الأرض فسادا .

وفي الدنيا سوابق كثيرة ، وسنة الله قائمة . . وفي سير الأسلاف عبر لمن يخلفهم من الأجيال . . ولكن (عادا) لم تثب إلى رشدتها ، ولم تنظر إلى أمة نوح وما جرى عليها من قبلها ...

فيكان لله بأس فيها ، جعلها عبرة لمن يحى بعدها ، وفي عاد : إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم ، وأما عاد فأهلكوا بريح حرصرة عاتية ، — قوية الصوت ، فيها برد لا يطاق . — وسخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية أيام ، حسوما ، ففترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل

ويقولون له ثالثا : وما نحن لك بمؤمنين ، يعنى : لسنا مؤمنين بما دعوتنا إليه ، فهم ينسكرون ما يقوله . ثم يقررون له أنهم على ما هم عليه ، ولن يحيدوا إلى ناحية أخرى . وذلك غاية ما يكون من رفض الإيمان ، وقطع أمل الرسول فيهم .

ثم ينتقلون إلى موقف آخر من مواقف الإجماع ، والعناد . فيتحولون إلى الاعتزاز بآلهتهم ، ويفرضون لها سلطانا على هود . ويقولون له رابعا . — إن نقول : إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء .

يعنى يهود لقد أصابتك الآلهة التى نعبدها وأنت تطعن عليها ، يحنون تأثر به عقلك فأنت تهذى فى كلامك ، ولا تتعقل ما تقوله ، فكيف تؤمن بك ، ونصدق دعوتك لنا .

وإلى هنا يمكن أن نتصور ما وراء هذا الموقف من صلابة أهل الباطل في وجه الحق .

ويمكن أن نستشعر ما يحس به هود : من إباء القوم عن مطاوعته ، وتعاضمهم على متابعتة فلم يبق إلا أن يعتزلهم ، ويبرأ إلى الله من صنعهم . ويتركهم الله يفعل بهم ما يشاء بقدرته . قال : — إني أشهد الله ، وأشهدوا أنى برى بما تشركون من دونه .

فأنا على توحيدى . . ومن آمن بى فهم

للدومنين الذين نجاهم الله مع رسوله من هذا العذاب ، وظلوا في دنياهم أمدا آخر . . . وتكون معجزة له عند الاجيال التي تسمع بقصته من بعد فيكون إيمانهم به عن بيته ، ويكون تصديقا للغيب الذي سبقهم .

ولا شك في أن عدل الله لم يكن بتعجيل العذاب دون معجزة ، أو معجزات سابقة . وليس حتما أن تذكر لنا جميع المعجزات ويكفي أن الله عرفنا بحصول الدعوة المؤيدة من عنده سبحانه . ثم عرفنا بما وقع أخيرا . ولدينا من أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - في ذلك قوله (ما من نبي : إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) يعني كل نبي أرسل ودعا قومه فقد أوتي من المعجزات ما كان كافيا لإيمان من آمن أو يريد الإيمان .

وبذلك لا يكون للناس معذرة عند ربهم فقد أرسل إليهم الرسل ، وبينوا لقومهم ، بلغتهم كل ما يحتاجون إلى بيانه . . ثم أيد الله رسله بالمعجزات القطعية الصديق من عنده - تعالى - فذا بقى .

وانظر إلى قوله سبحانه - « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ثم إلى قوله « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » . فالرسالة ، والبيان من الرسل للأمم حاصلتان قبل العذاب حتما . . فاذا حاق

بخاوية . . فهل ترى لهم من باقية ؟؟ ، هذه الريح لم تكن تعدها الدنيا ، ولم تكن تسبق لامة قبل عاد ، وصار معروفا من شأنها أنها عذاب أليم ، لقوم عصابة ، فكان أسلافنا المؤمنون الصالحون إذا وأوا عواصف تهب عليهم : خافوا ، وتذكروا أهوال عاد ، وقالوا : اللهم اجعلها ريحا ، ولا تجعلها ريحا لأن الرياح تكون خيرا ، ومبشرات بالمطر النافع . . وأما الريح فهي ما كانت لقوم هود واستمرت بهم نحو سنة ، وأشد أيام السنة هي الايام الثمانية الاخيرة التي كانت الريح فيها تنزع الناس من مخابثهم في السكوف كما تنزع النخل المنقلع من منابته ، وصار جافا ، مطروحا على الارض ، فلا تماسك فيه ، ولا ثبات له في عصف الريح التي تهوى به إلى حيث لا قرار . . هكذا جعلهم الله مثلا للآخرين .

هذه المهلكة كانت معجزة هود عليه السلام وهنا شبهة تدور ببعض الخواطر . . وهي ما قيمة هذه المعجزة بعد أن هلك القوم جميعا إن المعجزة يراد منها إقناع الناس بصدق الرسول ليؤمنوا به ، وهم أحياء ، فاذا هلكوا فلا فائدة في المعجزة .

والجواب أن كل رسول جاء بمعجزات تكفي للإقناع والموعظة فاذا لم يؤمنوا كان إهلاكهم أخيرا معجزة جديدة بالنسبة

الايمان الذى هديناهم إليه تفضلاً منا على من علمنا فيهم الخير لانفسهم ، - ونجيناهم من عذاب غليظ ، وهو الأهوال التى سخط الله بها على أولئك المشائيم الذين تلوث بذكرهم تاريخ الإنسانية فى دنياها وحالهم فى الآخرة أشد - كالآلما مر بهم فى الحياة الأولى .

وهذا ما يحمله القرآن فى قول الله سبحانه : « وأتبعوا - بضم الهمزة - فى هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة . . ألا إن عادا كفروا ربهم . ألا بعداً لعاد : قوم هود ، آية - ٦٠ - سورة هود .

وهنا تخصيص لعاد : بأنهم قوم هود . . وذلك التخصيص يشعرنا بأن هناك عاداً أخرى سوى هذه التى يحدثنا عنها هذا السياق . وجمهور العلماء يذكرون أن هذه هى عاد لرم التى تنسب إلى جدّها لرم ، بن سام ، ابن نوح وهى التى ذكرت فى سورة الفجر بأنها لم يخلق مثلها فى البلاد . وتسمى عاداً الأولى : التى يقول الله عنها فى سورة النجم « وأنه أهلك عاداً الأولى ، آية - ٥٠ -

وأما عاد الأخرى - فهى عاد الأخيرة كما يسجلها العلماء - وهم عمود - قوم صالح - عليه السلام .

ومن هذا القصص المزعج عن قوم هود : ما يكفى : تبصرة لنا بأننا بحاجة قصوى إلى اليقظة من الغفلة ، والاقتراب من جانب الله

العذاب ببعض الأمم - كعاد - ونحوها : فإنما هى العدالة فى جزائهم على الإعراض منهم « فكلما أخذنا بذنبه . . .

ولهذا كان هود - عليه السلام - يصارح قومه بالبراءة من جرمهم .. ويؤكد لهم أنه متوكل على الله ربهم جميعاً وأن الله آخذ كل دابة على الأرض بقدرته ، وأن هذه هى شؤنه فى خلقه ، وأنه على كل شىء حفيظ ، بعلبه وإحاطته ، وقدرته على الجزاء بدله وجبروته . وهذه التوجيهات من هود - تحمل فى مقاصدها تحويلاً للقوم من عنادهم ، وزجراً لهم عن تماديهم ، وتشعرهم بما وراء ذلك من سوء العاقبة ، لهمم يتداركون أنفسهم . ولكن كيف يسمع الصم ، أو يهدى أبصار العمى ؟ أو يوقظ الأموات .

لقد أسمعنا إذ ناديت حيا

ولكن لا حياة لمن تنادى

وعند هذا المدى بلغ الأمر مبلغه ، ولم يبق إلا الوعيد الذى لم يحسبوا حسابه . وقد نفذ الوعيد بالريح التى وصفها القرآن فيما سلف من الآيات ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا .

وأيّن هود ، ومن كان مؤمناً به ، جواب ذلك فى قوله - عز شأنه :

« ولما جاء أمرنا ونزل عذابنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا - ، بفضل

حتى لا تحجب عن أنفسنا مشارق الهداية ،
ونطرح بها في ظلمات الضلال .

ونحن مع إيماننا - والحمد لله - بما نزل
على خاتم الرسل - صلى الله عليه وسلم -
لم نحرص على نصيب راجح من الطاعة . .
بل لم نتجه إلى محاولة الكسب من الخير الذي
تزود به حياة الخلود .

نحن نسمع ونقرأ ، ونقول - ولكننا
لا نخادع أنفسنا . ولا ندعى لها غير ما أخذت
به من السمع والطاعة وقد تلونت بنا الحياة
الدنيا ، وما نزال في تقاعد عن سبق إلى
ما سبق إليه الأبرار من عباد الله .

ولم نأخذ لأنفسنا حيلة من البلاء الذي
يصادف المتخلفين ، والذي يحذرنا الله منه
بالقصص عن الأولين .

بيننا أناس لا بأس بمسالكتهم في الطاعة ،
والبعد عن المآثم ، ولكنهم قلة ، لا تكفي
طاعتها لتكفير مآثم الجهرة منا ، ونحن
نشهد من المسكاره الشائعة ما لا يكفي لدرءه

غير سوط الحاكم العدل ، وإنكار ذوى السلطان
بالقمع ، والتأديب .

وحينما يكون للدين وآدابه نصير من ذوى
النفوذ في الامة الإسلامية : فإن سلطان
الله يكون معنا ، ولا يكون علينا . ومعاً الله
أن يخذل من يكون نصيراً لدينه ، أو يبتلينا
بتسليط أعدائه الكافرين ها نحن ننظر في
آفاق البقاع العربية ، فنرى شتاتاً في الجموع ،
وزهادة في التكتل وكل هذه الثغرات شقاق
على الدين ، وانحياز إلى غير دائرته وكان
التصدع أولى بغيرنا . ولكننا استبدلنا
مبادئنا بما هو من المحرم علينا ، ووقفنا
في موقف الآخرين . فهل إلى خروج
من سبيل .

اللهم كن لنا ، ولا تكن علينا ، وانصرنا
ولا تخذلنا ، واحفظنا من التجاذل ، ومن
النهرج بدعوة التشكيك ، والتفريق ؟

عبد اللطيف السبكي

« ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء
ثم لا تنصرون » .

« سورة هود : ١١٣ »

السلام والحرب في الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

بالشر والباديء أظلم وسنعرض فيما يلي أمثلة روائع من القوانين الإسلامية ، وصورا لوامع من تطبيقها لتعلم الجسد البعيد الذي وصل إليه الإسلام والمسلمون في التعايش السلمي مع المشركين وأهل الأديان المختلفة. يقول الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین) ويقول (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) ويقول (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) إلى غير ذلك من روائع آيات التسامح.

وعن عائشة رضي الله عنها (لم يكن النبي صلى الله عليه فاحشا ولا متفحشا، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح) . وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم وأمرأه المؤمنين وصلحاء قواد الجيوش الإسلامية هذه المبادئ تطبيقا سخيا يدعو إلى الإعجاب على من خالفهم في الدين ومن ذلك أنه حدث جماعة بمكة بعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة دينار إلى أبي سفيان ليفرقها على مشركي مكة الجائعين لإسهامها في تخفيف أزمة

إن للإسلام فضلا على البشرية فيما جاء به من مبادئ التعايش السلمي والتسامح بيننا وبين أهل الأديان المختلفة .

ولقد اعترف بذلك المنصفون الأجانب فيما ألفوه من كتب ، أو نشره من آراء ومن ذلك ما قاله القسيس ميشون الفرنسي في كتابه - سياحة دنيية في الشرق (لأنه لمن المحزن حقا أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة ، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب وتلك شهادة حق جريئة تدعو إلى الإعجاب والإكبار .

إن الأدلة والأحداث في العصور المختلفة شاهدات بأن المسلمين العاملين بشريعتهم لا يرضون العدوان على أحد ، وإن القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح حافلة بقوانين وصور التسامح المختلفة ، التي استفاد بها المشركون وأهل الكتاب إحسانا وأمنا وسلاما ، لا من نقض العهود وخان المواثيق وتربص بأمن الدولة وسلامها الدوائر ، فهو لا بد من مقابلة شرهم بشر مثله دفاعا عن كيان الدولة ، وحماية لدين الله ، والشر

صلى الله عليه وسلم كان رضاء وغضبه لله ، ولم يكن لهوى نفسه ، فلماذا قال يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فلم يخيب لهم ظناً في صفحه . وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء ورحم الله البوصيرى إذ يقول :

ولو أن انتقامه لهوى النفس
س لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الأمور فأرضى الله
منه تباً ووفاء
فعله كله جميل وهل ين

ضح إلا بما حواه الإناه
وعفا عن كانت لهم جرائم لا تغفر ،
وممن وحشى قاتل حمزة عمه صلى الله عليه
وسلم وهند زوجة أبى سفيان التى قضمت
كب ك حمزة بعد مقتله شفاء لغيلها منه ، فقد
أسلم هؤلاء ، والإسلام يجب ما قبله .

وإذا استجار بنا مشرك أجرناه ، وعرضنا
عليه ديننا الخفيف ، فإن أباه فعلينا أن نبليغه
مأمنه ولا نغدر به ، قال تعالى : وإن أحد
من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع
كلام الله ثم أبلغه مأمنه .

ومن دخل فى عهدنا من المشركين استظل
بجنايتنا . وحرّم سفك دمه ، قال صلى الله
عليه وسلم : من قتل معاهدا لم يرح رائحة

الجوع على من آذوه وأصحابه ثلاثة عشر عاماً
وأخرجوهم من ديارهم ، فأى إحسان يسمو
إلى هذه المنزلة الرفيعة وأى كرم يدنو منها
لقد تنامى الرسول العظيم ماضيهم الأليم ولم
يتحرك فى نفسه سوى عاطفة الإحسان إلى
من أساءوا إليه ولم يتركه المشركون يهدأ
بعد الهجرة ليُنشر دعوته ، بل حاربوه
ثمان سنين ، ومن ذلك غزوة أحد ، فقد
نالوا فيها من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم
ما لم يتألوه منه من قبل ومن بعد . فقد كسروا
رباعيته وشجّوا رأسه ووجّهه ، ودخل
من المغفر حلققان فى وجهه ، فلما شق ذلك
على الصحابة قالوا للرسول لو دعوت عليهم
فقال إني لم أبعث لعانا ، ولكن بعثت
داعياً ورحمة ، اللهم أهد قوسى فإنهم
لا يعلبون ، فأى حلم وصبر وسماحة تصل
إلى هذا القدر الشريف .

ولما أذن الله بالنصر الساحق ، والفتح
المبين لمحكمة معقل الوثنية دخل الكعبة وكبر
فى نواحيها . ثم جلس فى المسجد والعيون
شاخصة إليه ، والناس من حوله يفتظرون
ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه
وأخرجوه من بلده وقتلوه .

لقد كان النبي مالكا لزمam الموقف ، وفى
وسعه أن يعمل السيف فى نحورهم ، وما كان
لمنصف أن يلومه إن انتقم منهم ، ولكنه

ينصف مصرياً من ابن عمرو بن العاص أمير مصر لأنه ضربه ، ولم تحمه إمارة أبيه من العقوبة ، فقد استدعاهما في موسم الحج وحاكم ابن عمرو على ضربه المصري ، حتى إذا اتضح أنه ضاربه أمر المصري أن يضربه بمشهد من حجاج بيت الله الحرام ، فلما نال حقه خاطب أمير المؤمنين عمرو بن العاص وابنه الجاني وقال لهما كلمته المشهورة . منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

وجاء في كتاب خالد بن الوليد لأهل الخيرة المسيحيين ما يلي : (وجعلت لهم . أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الإسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم) فهذه كفالة إجتماعية لمن خالفنا في الدين طبقناها قبل أن يعرفها غيرنا بمئات السنين .

الحرب في الإسلام :

والإسلام يكره الحرب ويأبأها ما لم يكن منها بد ، وقد حرص أعداؤه على اتهامه بأنه انتشر بالقوة والسيف ، مع أن من مبادئه (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد الغي) وقد مر بك مثل لذلك .

الجنة) فأى تسامح مع من يخالفنا في الدين يصل إلى مثل هذا التسامح مع الكرم والسلام .
التعايش السلمي مع أهل الكتاب :

ولقد بلغ التعايش السلمي مع أهل الكتاب أبعد مداه ، فقد أمرنا أن لا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن ، وأن يكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإذا تحاكموا إلينا حكمنا بالعدل وفق ما أنزل الله ، ولو كان ذلك ضد المسلمين ، فلا يحل لنا تعصب ديني ينحرف بنا إلى إنصاف مسلم مبطل على كتابي بحق ، وقد سمح لنا الإسلام بالزوج منهم ، ونهانا عن إكراههم على الدين (لا إكراه في الدين) قد تبين الرشد من الغي .

جاء رجل اسمه الحسين من بني سالم بن عوف ، وقال يا رسول الله إن لي ولدين فصرانيين بأبوان الدخول في دين الله ، ولأني لمجبرهما على ذلك ، فقال له الرسول (لا إكراه في الدين) .

وهي الحقائق التاريخية أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى لأهل نجران المسيحيين بعض مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية أثناء إقامتهم بالمدينة .

وعدلنا فيهم ورحمتنا بلغا أبعد الغايات ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من آذى ذمياً فقد آذاني ، وعلى هذا المنهج سار أمراؤنا وحكامنا الصالحون ، فهذا عمر بن الخطاب

صلى الله عليه وسلم كلها دفاعا وليس فيها بداية وعدوان ، فالقتال مع قريش كان دائما لرد عدوانهم ، وكان مع مشركي العرب بعد فتح مكة لنبذهم عهودهم معه .

ولا يلزم في كل معركة أن تكون دفاعا عن هجوم مباشر ، فإذا كانت لرد المشركين عن الطمع في المسلمين وتأمينهم من أعدائهم الوثنيين الذين لا ينامون عنهم ولا يعترفون بالاديان . فإنها تكون معركة دفاعية ، لأن حالة الحرب قائمة بيننا وبينهم ، ولولا هذا الدفاع والتأمين لزال الدين من أساسه . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ،

أما قتال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود فقد كان لنقضهم عهودهم معه ، ومؤازرتهم لمشركي مكة عليه مع أنهم جيرانه ، فكيف تكون آمنا من جيرانك الأقوياء وهم يتربصون بك اندوائر ويعينون عليك الأعداء ، أفلا تكون في حل إذا ناجزتهم ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

ولقد كان يأمر الغزاة بدعوة الناس إلى الله قبل الغزو فإن أجابوا حقنت دماؤهم . قال صلى الله عليه وسلم : « تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فإلى الأرض من أهل بيت من مدر

إن الإسلام مقتنع بصحة مبادئه وقوة حجته ، والسياق النفوس إليه طوعا متى تركوا أحرارا دون إكراه ، بعد أن يتفهموا براهينه ويتحققوا من مبادئه ويقارنوها بغيرها من مبادئ الأديان ، ويكفوا قد تجردوا من مرض التقليد وتخلصوا من قيود الأغراض الدنيوية المسانعة من الخير والهدى .

ولكن أعداء الإسلام وهو حق لم يتركوه يتحرك إلى قلوب الناس في سلام ، بل قعدوا لدعاته كل مرصد ، ووضعوا لهم العقبات ، وشنوا عليهم الغارات وما كان لهؤلاء الدعاة وهم يحملون مشاعل النور ورحيق الحياة أن يفهموا أن طريقهم مليء بالورد والريحان ، وما كان ينبغي أن يكونوا عزلا بدون سلاح يدفع عنهم أذى أهدائهم ، فلهذا أمروا أن يستعدوا حربيًا حتى ينصروا بالعرب ، فيكشف عدوهم عن قتالهم حذرا من قوتهم ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، فإن قاتلوهم دفاعا فليحذروا البغى والاعتداء ، (وقاتلوهم في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) .

هذه الآية الكريمة هي دستورنا فلا نقاتل إلا من قاتلنا ، ولا نبدأ بالعدوان فإن الله لا يحب المعتدين ، وقد كانت حروب النبي

كل منا دعوة الله التي يقول فيها : « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين »

على أن استعمال الشدة (إن لم ينفع النصح في إيصال الحق إلى القلوب) أمر تفرده العقول أفرأيت إن كان ولدك منحرفا ، ولم ينفع معه إقناع . بل تجاوزه إلى إعراض ، ثم إلى السفه والإعتداء ، أفتركه في اعوجاجه ، أم ترده بالقوة إلى الجادة حتى يستقيم ، فإن قلت نعم . قلت هذا هو ما فعله المسلمون في غزواتهم .

وقد قبلنا من أهل الكتاب أن يكونوا على دينهم في كل غزواتنا الوقائية معهم ، ورضينا منهم أن يدفعوا ضريبة دفاعية تسمى الجزية تقابل ضريبة الزكاة بالنسبة للمسلمين ، وما أكرهناهم على الدين .

والاعتراف بالحرب لعلاج أهل الزيغ أمر لم تفرد به الشريعة الإسلامية فقد جاء في الإنجيل عن السيد المسيح « لا تظنوا أنني جئت لآلتي سلاما على الأرض ، ما جئت لآلتي سلاما بل صيفا ، متى إصحاح ١٠ فقرة ٣٤ .

احترام المعاهدات :

والإسلام يحترم المعاهدات مع الأعداء ويحرص على الوفاء بها ، قال تعالى (وأوفوا بعهدهم إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الإيمان

ولا وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتوني بأبنائهم ونساءهم وتقتلوا رجالهم » .

وكان يوصيهم بأعظم آداب الحرب ، روى مسلم أن الرسول كان يقول « اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع » .

وقد تأثر أبو بكر بأداب الرسول في الحرب فأرصى أسامة بن زيد حين وجهه لغزو قضاة الغادرين فقال له ولجيشه : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا الأكل ، وسوف تمرن بأقوام فرغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم فخصوا أو ساطدوهم وتركوا حولها مثل العصائب فاحققوهم بالسيوف خفقا) وتعتبر هذه الوصية من أعظم الوثائق في آداب الحرب في الإسلام .

وقد اعترف المستر هاك بمساهمة الإسلام في السلام العالمي فقال « ولو طبقت أحكام الإسلام فيما يتعلق بالحروب والجهاد تطبيقا كاملا لوجد العالم فيها جنته التي يبحث عنها ، بدل الجحيم الذي هو مسوق إليها ، ليطع

حربهم لا يفرقون بين المدنيين وأهل الحرب
فهم يلقون على أهل المدن القنابل الحارقة
والمنفجرة ، ففارق بين ما يفعل هؤلاء وما
أوصانا به الرسول من السلام مع المدنيين
كما بيناه سابقاً ، ثم إنهم لا يحترمون المعاهدات
فهم لا عهد لهم ولا ذمة وقد قاست البلاد
العربية من المستعمرين ألوان العذاب ، ولا
يُنْبِتُكَ مثْلَ خَبِير ، فليس لمنصف أن يفترى
على الإسلام انتشاره بالقوة أو قسوته على
البشرية بعد ما بيناه من الآيات البينات .

مصطفى محمد الحميري الطبري
عميد معهد دمياط

بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن
الله يعلم ما تفعلون) .
فالحرب في الإسلام ضرورة دفاعية ، فإذا
تم للمسلمين النصر أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، كما
قال تعالى (الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف
ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) أما
غيرهم فإنهم يبيعون المنكرات لجنودهم في
البلاد المفتوحة فيرتكبون الفواحش
ويفرقون الروابط ويذلون الأعزة كما أنهم
لا يحترمون القواعد الدولية في الأسرى ،
فإنهم يوسعونهم قتلاً وتعذيباً ، وتراهم في

من سماحت الإسلام

قال الله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوك في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم
ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

(الممتحنة الآية ٩ و ٨)

طريقة القرآن في الدعوة والإقناع

للأستاذ أحمد مصطفى

- ٣ -

أنزلقوه من المزن أم نحن المنزلون ،
الواقعة : ٦٨ ، ٦٩
أفرأيت النار التي توروون ، أن أنتم أنشأتم
شجرتها أم نحن المنشئون ،

الواقعة : ٧١ ، ٧٢
وكما تحدث مع المنكرين للآلوهية ،
فقد ناقش من لم يؤمن بوحداية الله سبحانه
في أسلوب منطقي واضح ؛ يقول الحق
تبارك وتعالى :

« قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، إذأ
لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ،

الإسراء : ٤٢

ويقول سبحانه :

« أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون .
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، فسبحان الله
رب العرش عما يصفون ، الانبياء : ٢١ ، ٢٢
ويقول عز وجل :

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من
إله ، إذأ لذبح كل إله بما خلق ، ولعلنا
بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون ،

المؤمنون : ٩١

وأطال الحديث مع الذين تركوا عبادة
الله إلى عبادة غيره ؛ فتارة يقرر عجز آلهتهم

(ب) ومن الآيات التي تتحدث عن أسلوب
القرآن الكريم في طريقة الدعوة نذكر أن
الكتاب الكريم قد استخدم الأسلوب المنطقي
ليفند الشبهة ، ويسوق الدليل ، ويقطع على
المنكرين والمعارضين طريق الاعتذار
البعيم ، فعل ذلك في حديثه عن كل عنصر
من عناصر الإيمان .

ففي إثبات الآلوهية ، تحدث القرآن عن
هؤلاء الذين أنكروا وجود الإله في أسلوب
الاستفهام الإنكارى الذى يدفع الباطل ويثبت
دعائم الحق في مثل قوله تعالى :

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون .
أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ،
الطور : ٣٥ ، ٣٦

ووجه لإلهم السؤال تلو السؤال ، فوضعهم
وجها لوجه أمام الحقيقة السافرة التي لا يمكنهم
أن يهربوا منها ؛ يقول جل شأنه :

« أفرأيتم ما تمنون ، أن أنتم تخلقونه أم نحن
الخالقون ، الواقعة : ٥٨ ، ٥٩

« أفرأيتم ما تحرمون ، أن أنتم تزرعون
أم نحن الزارعون ، الواقعة : ٦٣ ، ٦٤
« أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أن أنتم

الباطلة في أسلوب إخباري قاطع ، مثل قوله تعالى :

(والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) .

الأعراف : ١٩٧ ، ١٩٨

(ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ، ولا يستطيعون) : النحل : ٧٣

(والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .

أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيا ن يعشون .) النحل : ٢٠ ، ٢١

وتارة يفرق في المقارنة بين الخالق سبحانه والآلهة الباطلة المخلوقة ، ويطالب السامع بمحاولة الإدراك والفهم فيقول :

(قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور . أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . الرعد : ١٦ ويقول :

(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ؟)

النحل : ١٧

وتارة أخرى ينمى على هؤلاء الذين لبسوا الحق بالباطل وتنكبوا طريق النور وزجوا بأنفسهم في ظلمات الجحود والجهل ، ويوجه إليهم السؤال تلوي الآخر عليهم فيفقهون إلى رشدهم ويشوبون إلى ما يتطلبه العقل الراشد والإدراك السليم ، ومن ذلك قول الله سبحانه وقل أنعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم وقوله عز وجل : المائدة : ٧٦

« قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات ، ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أمارة من علم . إن كنتم صادقين ، .

الاحقاف : ٤

ومن هنا أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يقول :

« ... أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم ... »

الأنعام : ١٤

ويقول : « ... أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ، ونزد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه إلى الهدى اتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين . الأنعام : ٧١

ثم نجد القرآن يصارح هؤلاء - في بعض

« قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون ،
يونس : ١٦ .

ويقول : « وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تحطه يمينك ، إذا لا ارتاب
المبطلون ، العنكبوت : ٤٨ .

ويعتبر ما جاء في القرآن من قصص الأمم
السابقة والأنبياء الذين بعثوا قبيل محمد
صلوات الله وسلامه عليه دليلا قويا على
صدق الرسول في دعواه ، إذ أخبر بما لم ير
وما لم تهبه ظروفه وثقافته البشرية المحدودة
قبل النبوة لمعرفة ، وذلك قول الله سبحانه
- بعد أن سرد قصة موسى عليه السلام وما
حدث له من أمور - :

« وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى
موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين ولكننا
أنشأنا قرونا فطاول عليهم العمر ، وما كنت
ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكننا
كنا مرسلين .

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن
رحمة من ربك لتنذروا ما أتاهم من نذير
من قبلك لعلهم يتذكرون » القصص ٤٤ : ٤٦ .
وفي الحديث عن البعث وعدم استحالة ،
خاطب القرآن الكريم منكره بالمنطق السليم
وألزمهم الحججة عن طريق الدليل الواضح ؛
« ... يقول الإنسان إذا ما مت لسوف
أخرج حيا » ، مريم : ٦٦ .

آياته - بأنهم أوغلوا في الضلال ووصلوا إلى
نهاية طريقه ، فيقول جل شأنه :

« يدعون دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب
من نفعه ، لبئس المولى ولبئس العشير) .

الحجج : ١٢ ، ١٣

ويقول سبحانه بعد أن يقرر أنه خلق السموات
بغير عمد ، وألقى في الأرض روائى .. الخ
(هذا خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين
من دونه ، بل الظالمون في ضلال مبين) .

لقمان : ١١

وفي صدد الحديث عن رسالة النبي صلوات
الله وسلامه عليه وتفنيد مزاعم خصومه
ومعارضيه يحتكم القرآن إلى تاريخ محمد
ونصاعته وما ينطق به من صدقه وأمانته
فيتسالم :

(أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون .
أم يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحق وأكثرهم
للحق كارهون) . المؤمنون : ٦٩ ، ٧٠
ويقول :

(أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ،
إن هو إلا نذير مبين . الأعراف : ١٨٤)
ويوجه الرسول إلى الرد عن الطاعنين
في القرآن لأنه - كما قالوا - من عمل محمد وليس
وحيا من الله إليه ، فيحتسب كذا إلى تاريخه
عليه السلام بينهم ؛ يقول الله تبارك وتعالى :

العرش الكريم . « المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦ »
وقوله جل شأنه :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما
باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل
للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم
نجعل المتقين كالفجار . » ص : ٢٧ ، ٢٨
ويحكي القرآن موقف المنكرين لله
ويجيبهم بأنه واقع لا محالة لتحقيق العدل
وتثبيت الحكمة فيقول :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله
من يموت بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر
الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون
فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كاذبين ،
النحل : ٣٨ ، ٣٩ »

ويدلل القرآن على المعنى المراد بما يوصل
إلى تحقيقه في مثل قوله عز وجل :

« ألم يك نطفة من منى بمعنى . ثم كان علقة مخلوق فسوى .
فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس
ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ، القيامة : ٢٧ - ٤٠ »
وقوله سبحانه :

« فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق
يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على
رجعه لقادر . الطارق : ٥ - ٨ »

للبحث بقية

أحمد إبراهيم مهنا

فيرد الله عليه بما يهبته : « أولا يذكر
الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » .
مریم ٦٧ . ويقول الكافرون : « إذا متنا
وكنا ترابا ، ذلك رجوع بعيد » ق : ٣ .
فيجيبهم القادر العظيم في أسلوب لاذع - بعد
إقامة الأدلة على قدرته المطلقة - :

« أفعيينا بالخلق الأول ، بل هم في لبس
من خلق جديد » ق : ١٥ .

ويتحدى بعضهم في جهله فيفتت العظم البالي
في يده ويقول في استنكار متغرس : « من
يحي العظام وهي رميم ؟ ، فيأتيه الجواب المفهم
يرد إليه صوابه ويعيد إليه - إن عقل -
توازنه :

« قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو
بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر
الآخضر نارا فإذا أنتم توقدون أوليس
الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن
يخلق مثلهم ؟ بلى ! وهو الخلاق العليم » .
يس : ٧٨ - ٨١ .

ولم يكن حديث القرآن عن البعث
لإثبات إمكانية وعدم استحالة حسب ،
ولأنما سبق ليقرر أنه لا بد منه لأنه من
مستلزمات حكمة الله وعدله ، وذلك هو قول
الله سبحانه :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم ألينا
لا ترجعون .

فتعالى الله الملك الحق ، لا اله إلا هو رب

قضية السجع ونظم القرآن الكريم

لأستاذ الدكتور محمد حماد العروى

— ٣ —

لسكل لفظ وكل تعبير في القرآن دليل تسكف
لسكان القرآن كله متسكفاً ، ولكانت الفطرة
كلها متسكفة لأنها تجري كلها على سنن
لله فيها ، ومعاذ الله أن يقسب التسكف إليه
سبحانه ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول
له كن فيكون ، (١) ، فالقرآن برىء من
التسكف براءة كل آيات الله في الفطرة .
والخطر والخطأ كامنان في نظرة الإنسان إلى
الفطرة وإلى القرآن ، فالإنسان في غوره
ينظر إلى ظاهر الفطرة ويحاول تقليده فينتج
الزهر الصناعي والتشال الحبرى ، ويظن
أنه قد أتى ما أتى الخالق سبحانه !

وكذلك هو في محاولته الحكم على القرآن
بقياس بلاغته بالمقاييس الصناعية التي لا تصلح
له إلا كما تصلح مقاييس الأبعاد في الأرض
لقياس الأبعاد في السماء ، وقد عرف علماء
الفطرة كيف يتوقون الخطر والخطأ في دراسة
الفطرة ، فلم يبق على أهل القرآن إلا أن
يعرفوا كيف يتوقون مكان الخطر والخطأ
في دراسة القرآن .

ما دام القرآن الكريم والفطرة كلاهما من
عند الله ، ليس لغير الله فيهما قول ولا سلطان ،
فأقل ما ينبغى للقرآن على أهله أن يقفوا منه
موقف علماء الفطرة من الفطرة : يلتمسون
منه ، ولا يتحكمون فيه برأى ، ويتحكمون
إليه حتى في أمور الفن والأدب عند
الاختلاف ، ويعملون لإعجازه في الأسلوب
وفي المعنى مناراً لهم في كل بحث يتعلق به
أو تعرض هو له فيحدوا من هذه الفوضى
الشائعة في آداب العربية اليوم !

وقضية (هل في القرآن سجع؟) وإن كانت
تفقد أهميتها بعد الاتفاق على أن السجع إن
كان في القرآن فهو برىء من كل تسكف ،
إلا أنها كسكل ما يتعلق بالقرآن الكريم
يجب أن يراعى في بحثها تمام الدقة والاحتياط
من ناحية ، وأن يجعل تنزيه القرآن وتعاينه
عن التسكف أصلاً آخر يرجع إليه من
ناحية أخرى كأصل الإعجاز الذى يشمل
لكن أصل التنزيه أوضح حدوداً وأسهل
تطبيقاً عند الاختلاف .

والتكلم شيء وكون كل حرف في القرآن

مراداً لله شيء آخر . فلو كانت إرادة الله

(١) سورة يس آية ٨٢ .

فائدة ، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها . وما أوتى البشر من العلم لا قليلا . فبحث كالذى أشرنا إليه لا يكفي أن يقوم به واحد بل يجب أن يشترك فيه من يضمن ألا يهمل فيه أصل الإعجاز وأصل ألا تكلف في القرآن .

وهما إذا روعيا كما ينبغي ضمنا ألا يتأثر البحث بما قال من الأقدمين من لم يتورع عن نسبة التكلف إلى القرآن مراعاة للفاصلة ، ولا بما قال المستشرقون الذين حملهم قولهم إن القرآن من عمل بشر على الخوض فيه بما يتفق وقولهم هذا ، وبما لا يمكن أن يتفق مع حقيقة القرآن .

وأصل براءة القرآن من التكلف كاف وحده إذا روعى حق رعايته أن يصحح الموقف الذى نجم من قديم عند القائلين بالسجع فى القرآن ومن اف لفهم فى العصر الحديث اقتداء بهم أو بأقوال المستشرقين . وقد رأينا فى المقال الثانى مثالا من الخطأ الشنيع الذى لا ندرى كيف وقع فيه مثل الفراء والزركشى من تجويز أن يكون القرآن خالف الأصول فى اللغة العربية مراعاة لردوس الآى ، وكيف أقر ذلك وأكدته الدكتور صاحب مقالات (السجع والقرآن والباقلانى) معللا إياه بمراعاة الموسيقى والتناغم فى ردوس

وقضيه السجع قضية أدبية ، إلا أنها صالحة للدراسة بالطريقة العلمية من حيث الاستقراء أولا ثم الاستنباط ، فمن الممكن استقراء السجع لإدراك تطوره فى كلام الناس من العصر الجاهلى إلى اليوم ، ما تكلفه الناس منه وما لم يتكلفوه . وهو بحث لا يكفى فيه الاقتصاد على الأمثلة المحدودة التى تنافى محدوديتها معنى الاستقراء . فإذا ما تم بحث كهذا على وجهه ، وأدى إلى ما يمكن أن يودى إليه بالاستنباط الصحيح الذى لا دخل للهوى فيه أمكنت المقارنة بين نتائج ونتائج بحث آخر ينبغى القيام به من الطرف الآخر ، طرف القرآن الكريم ، عن طريق استقراء ما يشبهه بالسجع من آياته ، واستنباط ما يمكن أن يستنبط من خصائص التعبير فيها ، غير غافلين أثناء ذلك عن الاصلين الهاديين : أصل إعجاز القرآن وأصل تنزيه القرآن عن التكلف . وهما يقابلان فى ميدان الفطرة ما يصح أن يسمى أصل إعجاز الفطرة وأصل براءة الفطرة من الخطأ .

فكما أن لكل ظاهرة فى الفطرة دلالة وحكمة وإن دقت ، فكذلك لكل لفظ وكل فرق فى التعبير دلالة وحكمة فى القرآن . وقد عرف ذلك للقرآن الفخر الرازى فى القديم فقال فى تفسير الآية (٣٣) من سورة العنكبوت : وما من حرف ولا حركة فى القرآن إلا وفيه

أيسر على الله أن يحقق لعباده أقصى الموسيقى اللغوية في كتابه الكريم من ألفاظ العربية، كما حقق لهم في الفطرة أنماطا من الجمال شتى من عناصر محدودة وموجات معدودة .

فالذى يتطلب أسرار الموسيقى اللغوية في القرآن الكريم عليه أن يطلبها بروح الصدق والصبر وإطراح الغرور ، أى بالروح التى يتطلب بها عالم الفطرة أسرار الجمال وما إليه من حقائق سنن الله في الفطرة .

وروح الصدق والصبر وإطراح الغرور ، وإن اهتدى إليها عالم الفطرة في العصر الحديث قد وصى بها القرآن من قديم لكن خالفها كل من قال في القرآن بتكلف مراعاة الفواصل في رؤوس الآى وإن كان بمن يدينون بالقرآن . ولا ندرى من فتح الطريق لذلك ، أهو الفراء أم أحد قبله .

لكن الذى تولى كبره بعد ذلك في العصر القديم هو شمس الدين بن الصائغ ، فما رأيت أحداً جاء بأنسكر مما جاء به فيما نقل عنه السيوطى في فصل خصه به من الفصول التى وقفها على فواصل الآى في الإتيان . وما أظن كلامه في هذا الفصل إلا المنيع الذى أخذ منه الدكتور الفاضل ما نقلناه عنه وأخذناه عليه في مقالنا الأول^(١) من أن القرآن الكريم في صيل الأسجاع ويفرد

الآى ، كأن الموسيقى والتناغم لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق التكلف ومخالفة الأصول ، ناسين أنهم بقولهم هذا في القرآن العزيز إنما يقيسون قدرة الخالق بقدرة المخلوق ! فإن الإنسان فعلاً كثيراً ما يعجز عن تحقيق التناغم إلا عن طريق التكلف ومن أجل هذا أنكر السجع في القرآن من علماء المسلمين وأدبائهم من أراد ألا يعرض القرآن الكريم لتهمة التكلف .

لكن سواء أكان في القرآن سجع أم لم يكن فما ذلك بمقتضى أن يكون فيه تكلف قط ، لأنه ليس من عند بشر ولا جن ولا ملك إذا أعجزه تحقيق موسيقى النغم فيه بمراعاة أصول العربية حققها بمخالفة الأصول ، ولكنه من عند الله الذى لا يعجزه في اللغة شيء كما لا يعجزه في الفطرة شيء . وأهون بالسجع أو بالنغم أن يتكلف له في القرآن شيء .

فالقرآن مبرأ منه عن العيب والنقص وإلا لما تحدى الله الجن والإنس حتى بأقصر سورة فيه . على أن موسيقى العربية . وربما موسيقى النفس الإنسانية حقيقة واقعة في الكلام القرآنى في كل آية منه ، ولم يبق إلا أن نطلب سر ذلك . وإذا كان السجع جزئية من جزئيات تلك الموسيقى فهو جزئية صغرى ، وهو على أى حال سجع لا تكلف فيه . وما

(١) ذو القعدة سنة ١٣٨٦هـ .

وعد ما سماه (تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو فله الآخرة والاولى) وزعم أنه لولا مراعاة الفواصل لقدمت الاولى كقوله (له الحق في الاولى والآخرة) ، جهل حكمة التقديم فقال بمراعاة الفواصل ، ولو أنه كان رجع إلى السياق في سورة النجم وفي سورة القصص لربما كان استبان أن المقام هو اقتضى ذلك التقديم في كل ، فالأمر في سورة النجم متعلق بالآخرة ، يدل عليه قوله تعالى في الآية بعدها (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) . والآيات قبل وبعد في سورة القصص متعلقة بأمر الدنيا : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وهو الله لا إله إلا هو ، له الحمد في الاولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سمرداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتسكم بضيائه ؟ أفلا تسمعون الآيات . فالحكمة في التقديم واضحة لمن لا ينزع الكلمات من سياقها ويحكم برأيه فيها .

وعد ابن الصائغ ما سماه د تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) ، ولا يدرى

ما حقه الجمع أو يجمع ما أولى به ، الأفراد أو يؤخر ما من شأنه أن يتقدم أو يؤثر تقديم ما الاصل فيه أن يتأخر ، إلى آخر ذلك الذي قال بما يعارض أصل إيجاز القرآن مع إفراده بالإيجاز في مقاله الأخير^(١) .

فبعد أن قال ابن الصائغ (إن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية) زعم أنها (يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول) وهو زعم لا يمكن أن يسلبه له إلا أهل التصنع والتكلف في القول . فإذا ما قال بعد ذلك إنه قد أحصى في القرآن نيفاً وأربعين مخالفة وقعت في أواخر الآي مراعاة للنسابة فقد جاء ظلماً وزوراً . والمناسبة عنده هي مراعاة الفواصل في رؤوس الآي . وهو يذكر لك ما سماه مخالفة في صورة توهم الشيعون في القرآن وأنه إنما يضرب لها المثل أو المثليين ، وهذا بما يزيد في شناعة ما جاء به .

وقد عد ما سماه (تقديم الفاضل على الأفاضل) وذكر له مثل هارون وموسى الذي ليس عندهم غيره ، وقد ذكرنا للتقديم حكمتين في مقالنا السابق^(٢) ، فهارون كان أفصح وكان أسن من موسى فأشير إلى هذا ، وربما إلى غيره أيضاً عند أهل الكتاب ، بهذا التقديم اللطيف .

(١) رجب سنة ١٣٨٧ هـ .

(٢) عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ .

ولو أنه وقف على اللفظ الرابع فأى الوقفين يكون أدل على المعنى المراد وأسبق إلى نفس السامع به : أن يقال (ولم يكن له كفوا) وإن احتيج إلى تقدير محذوف هو الذى نفى عنه أن يكون كفواً لله ، أو أن يقال (ولم يكن له أحد) مع أنه سبحانه له كل شيء ؟ فهذا مثل من عزة القرآن وإحكام آياته ، كل كلمة فى موضعها محكمة لا يليق به غيرها ، وليست اللغة كلها نحواً وأجرومية ، لا فى العربية ولا فى غيرها من اللغات الراقية ، فأن يضرب ابن الصائغ الذكر صفحا عن قواعد المعانى ولا يذكر إلا قواعد النحو بحملها مناقضة لقواعد المعانى بحيث لو اتبعت هذه كانت خارجة عن أصول تلك ، يدمغ ابن الصائغ بجمل يجعله غير أهل للنظر فى كتاب الله العزيز . وقرأ له وأعجب كيف جعل قوله تعالى : « لنريك من آياتنا الكبرى » ، مثلاً لتقديم معمول على آخر أصله التقديم إذا أعربنا (الكبرى) مفعول (نرى) فتكون الآية عنده (لنريك الكبرى من آياتنا) ! وحتى فى هذه الحالة لا يكون تقديم (الكبرى) هو الأولى كما يتبين من الاختبار بالوقف كما فعلنا فى حالة الآية السكرية « ولم يكن له كفواً أحد » ، فلو وقفنا على (الكبرى) كما يريد ابن الصائغ لماعرفنا ما هى ولما أفادت أنها من آيات الله ، وهى الفائدة التى يفيدها الوقف على (آياتنا) فى الآية السكرية ولولم تذكر (الكبرى) .

أحد لماذا جعل ابن الصائغ (منشوراً) صفة لكتاب لا حالاً من (يلقاه) ، ولا لماذا لم يجعل (يلقاه منشوراً) جملة بيانية لقوله تعالى (ونخرج له) وهى عندنا أولى الأوجه إذ تزيد المعنى الذى تم قبلها بياناً ، وعلى أنهما صفتان لكتاب فأيتهما أولى بالتقديم أن يكون الكتاب يلقاه الإنسان أو أن يكون منشوراً ؟ لكن ابن الصائغ فيما يبدو رجلاً نحو وربما رجل فقه لا رجل بيان .

وعد ابن الصائغ ماسماً تقديم المعمول على العامل وضرب له مثلاً قوله تعالى (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) يريد أن المفعول إياكم تقدم على الفعل « يعبدون » من أجل الفاصلة والسؤال الرهيب موجه إلى الملائكة يوم القيامة أمام من كانوا يعبدون الملائكة من البشر كما تنطق به نفس الآية (٤٠) من سورة سبأ (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، فاحكم أنت على ابن الصائغ هذا أكان من الممكن فى مثل هذا المقام إلا هذا التقديم الذى يتمثل فيه الغضب والتهديد والسخط حتى فرقت منه الملائكة ، قالوا سبحانه أنت وإينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ،

لكن ابن الصائغ كان محروماً فيما يبدو من كل ذوق أدبى فلم يدرك شيئاً من هذا ، كما لم يدركه فى قوله تعالى « ولم يكن له كفواً أحد » . وجعله مثلاً لتقديم خبر كان على اسمها من أجل الفاصلة أيضاً !

أن يعد أحدهما إن كان الآخر هو المرجح عنده ، أما أن يعد الاثنين وقد تساويا في اللغة بدليل نزول القرآن بهما وبدليل عدم ترجيحه هو أحدهما فهذا هو التحكم الممقوت عند الله كأنما يريد ابن الصائغ أن يحجر الوسع الذي وسع الله على أهل لغة كتابه حسب المقاسبة كما يقول ابن الصائغ ولكن من غير مخالفة لأصل ما ، كما زعم وادعى !

ومن تحكياته ما زعم من إبقاء حرف العلة مع الجازم في قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) على القول بأنه نهى ! وهو قول شاذ لم ترد به قراءة من القراءات العشر (١) . وكان على ابن الصائغ أن ينبذه بدليل إثبات حرف العلة اللهم إلا إذا كان يعتمد اللغة التي تميز الإثبات مع الجازم وقد وردت في كلام الإمام الشافعي في الرسالة ، وعندئذ لا يكون لابن الصائغ أن يعده ، أما أن يفترض النهى ولا يعتمد لغة الإثبات فهذا هو التحكم بالهوى في كتاب الله على أن احتمال النهى يحول دونه الاستثناء في الآية بعدها في قوله تعالى (إلا ما شاء الله) ويكفي هذا وما قبله توضيحا لتحكياته .

أما شناعاته فقل فيها ماشئت . أهونها لمزه

على أن ابن الصائغ قد أخطأ وأوغل في الخطأ حين افترض إعراب الكبرى مفعولا فهو مخطئ في هذه الحالة حتى في النحو إذ ليس هناك معمول غيرها للفعل تقدم عليها وهي أولى منه بالتقديم ، لأن (من آياتنا) تصير صفة لها لو تقدمت ، كما هي صفة آياتنا في النظم العزيز . ثم هو من ناحية المعنى مخطئ أيضا فيما افترض ، لأن الله سبحانه أرى سيدنا موسى آيتين لا آية واحدة تكون هي الكبرى في فهم ابن الصائغ : أراه آية اليد بعد أن كان أراه آية العصا ، وعقب عليهما سبحانه بقوله (لئريك من آياتنا الكبرى) فلا يجوز مطلقا تقديم (الكبرى) من موضعها في الآية الكريمة وإلا لكانت آية اليد أكبر من آية العصا التي سبقتهما ، وليست كذلك بالطبع . والآيتان كلتهما من آيات الله الكبرى وهو ما يفيد النظم كما جاء في الآية الكريمة من سورة طه ، لا كما يريد ابن الصائغ لاحتمال نحوى يأباه النظم الحكيم من ناحية ، ويدخل الخلف حيث الخلف مستحيل من ناحية أخرى .

ثم يمضى ابن الصائغ في تحكياته وفي شناعاته فن تحكياته عده الاستعمال وهو جائز في اللغة ثم عده عكسه إذا كان هو أيضا جائزا فقد عد تذكير اسم الجنس في قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) ، ثم عد تأنيثه في قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خارية) ! فالمعقول

(١) انظر كتاب البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي شيخ معهد القراءات في كل ما يتعلق بالقراءات في هذا المقال .

عاصم لإحداهما برواية حفص والأخرى برواية شعبة . ولا مفاضلة بينهما إذ كل من عنده وإن اشتهرت إحداهما عندنا لكن الشناعة التي لا يدرى كيف يقع فيها عالم مسلم أن يزعم مثل ابن الصائغ أن الله سبحانه أنزل ، من أجل مراعاة الفاصلة ، (مستوراً) بمعنى (سائراً) في قوله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) . والحجاب لا بد أن يكون حاجباً أى سائراً . فقد جعل ابن الصائغ (مستوراً) خشواً بالمعنى الذى زينه له شيطانه أو هياً له جهله فضلاً عن نسبته إلى القرآن الكريم استعمال الكلمة في نقيض معناها . وإنما الحجاب في الآية الكريمة هو حجاب العناد وتقليد الآباء إلى آخر ما كان يصد الكفار عن سماع القرآن من عوامل نفسية كلها غير بادية للعين فهي حقاً حجاب حاجب جسد مستور . ولعل أشنع من ذلك ما زعم من الاستغناء بالثنية عن الافراد في نحو قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أراد جنة فثنى من أجل الفاصلة ! وإن نسبته إلى الفراء .

فانظر كيف يحى إثـر السجع على أهله إذ يورطهم في صنوف من الجهل لا يقبلونها من أنفسهم ولا من صبيانهم ثم يفسبونها إلى كتاب الله عز وجل ؟

محمد أحمد النمرى

بالخروج لإحدى قراءتين متواترتين في الحرف الواحد ، كالذى عد من حذف ياء المنقوص المعرف في نحو (الكبير المتعال) في الآية (٩) من سورة الرعد و(يوم التناد) في الآية (٣٢) من سورة غافر ، وكذلك عد من حذف ماسم ياء الإضافة في نحو (فكيف كان عقاب) في الآية (٣٢) من سورة الرعد وفي الآية (فكيف كان عذابى ونذر) في مواطنها المتعددة في سورة القمر ، وكذلك عد من حذف ياء الفعل غير المجزوم في نحو (والليل إذا يسر) في سورة الفجر ، والحذف والاثبات كلاهما وارد متواتر في كتاب الله فهما إذن لغتان فصيحتان جمع الله بينهما في كتابه فلا معنى للز لإحداهما بمخالفتها الأخرى مادام الحق سبحانه قد أقرهما معاً توسعة منه على أهل العربية لغة كتابه العزيز . بل الذى لمز ابن الصائغ منهما هى الأشهر لأن قراءها هم الأكثر .

وقل مثل ذلك فى هذه ماسم زيادة حرف المد فى نحو (الظنونا) و(الرسولا) و(السيلا) فى الآيات (١٠، ٦٦، ٦٧) من سورة الأحزاب وعده ماسم صرف ما لا ينصرف فى نحو (قواير قواير) فى الآيتين (١٥، ١٦) من سورة الإنسان .

والصرف بالتثنية ليست هى قراءة حفص ولا أبى عمرو ولا ابن عامر ولا حزة ولا يعقوب وقد وردت القراءتان كلتاهما عن

العامل النفسى فى صلة الأرحام

قصة واقعية ذات مغزى

للكنور محمد رجب البيومى

هذه الأحوال ، وما حام الدم هذا إلا سفك دماء ذوى القرابة القريبة من يتوهم فيهم الحاكم - بالظلمة المحتملة - تطلعا إلى الحكم فى يوم بعيدا وكأن السلطان سليم الأول قد سن دستوراً جازماً لمن بعده ، حين قال قوله المشهورة « السيفان لا يجتمعان فى قراب واحد ، بعد أن قتل أباه وأخاه ، فصار خلفاؤه يتهجون نهجه الظالم فى تقطيع الأرحام كعمل مشروع تنقبله الناس بكل ارتياح ! وأمثال هؤلاء هم الذين أصحهم الله وأعمى أبصارهم وحقت عليهم لعنته فى كتابه حين قال « فهل عسى إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها .

ولا عجب بعد ذلك أن يهتم الإسلام بصلة الرحم ، وأن يشدد النكير على قاطعها استناداً لأمر نفسى جبلت عليه الطبائع البشرية فى كل زمان ومكان ، إذ أن ذا رحمك دائم التطلع إلى خيرك إن جرمه . فهو يعتده حقاً حتمياً ينادى به الدم الممتزج والقرابة الواشجة . فأنت إذا كنت غنياً موسراً وتركت الفقير

من أمثلة الإعجاز القرآنى الذى قد لانتفت إليه قول الله عز وجل « فهل ، عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، فقد قرنت الآية السكريمة تقطيع الأرحام بتولية الحكم ، وجاء ذلك مصداقاً لما نطق به لسان التاريخ من بعد ، حين قطعت الأرحام أبشع تقطيع ، إذ دأب ولاية الحكم فى كثير من عهود الدول السالفة فى الشرق والغرب على أن يقطعوا أرحامهم بانتزاع ولاية العهد من عقدت له إلى ابن الحاكم القائم بالامر ، وذلك حدث هائل لا يتم بغير تهديد ووعيد ، يصلان فى أكثر الأحوال إلى التآمر والاستئصال ، وما تأمر أبى جعفر المنصور وعشرات من ساروا على صفته فى ذلك مما يجهل ، فنعيد الخوض فيه ! بل إننا لنذكر ما كان من تقاليد الدولة العثمانية حين دأب سلاطينها على استئصال أقاربهم وذوى رحمهم فى الساعات الأولى من توليتهم الحكم ! حتى اضطرب بعض مؤرخيهم أن يقول فى بدء الحديث عن كل سلطان ، « وقد قام بإعداد حمام الدم المتبع فى مثل

على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائين وفى الرقاب) ١

وكعادة علماء الإسلام فى التحليل والشرح،
نجدهم يسمون فى علة تفضيل ذوى الرحم
لدى الصدقات فن قائل : إن المتصدق أقدر
على معرفة المحتاج من ذوى قرباه ، وأخبر
بهم من سواهم ، فقد يضع الصدقة فى يد البعيد
وهو غير فقير منخدعا ببعض الظروف
والملايسات ، أما ذوو رحمه فهو أدري
بمصادر رزقهم ومبلغها من الضيق والسعة ،
لذلك كانت صدقة القريب يقينا لا يتطرق
إليه الظن ، ومن قائل : إن فى مودة ذوى
القربة تدريبا على مودات الأبعد ، وتمهيدا
للإحسان الشامل الذى ينتظر أن يعم البعيد
باتساع منافذ الرحمة تدريجياً لدى المحسن !
ومع ارتياحى لهذين التعليين فإنى أضيف
إليهما أن العامل النفسى المشترك بين ذوى
القربة ، يجعل الغنى مدفوعا إلى العطف
عليهم بآدى ذى بدء بحيث لو قصر فى ذاتهم
ما صادف ذلك ارتياحا خالصا من ضميره
فهو يثور عليه فى أعماقهم ثورات متقطعة
قد تجد صداها عند الخيرين من ذوى البر
وقد لا تجده عند من أعمتهم الشراة وأفسدهم
الطمع ! كما أن هذا العامل النفسى بذاته يجعل
الفقير مترقبا خيرا قريبا الثرى فى كل لحظة
من لحظات عسره ، فإذا أبطأ عنه فإنه

الاجنبى محروما من صدقتك ، فإن غضبه
عليك لا يبلغ معشار ما يشتعل فى صدر
قريبك الفقير من غضب ، لأن منطق الدم
القريب يصيح فى عروقه مؤكدا حقه عليك
فى رعايته ، فأنت بإهماله تشعل فى صدره
جرا لا يزال يتقد حتى تطفئه بشاشتك بالخير
وصلتك بالبر ! تلك حقيقة نفسية فطن إليها
الإسلام حين قدم ذوى القربى على غيرهم
فقال صلى الله عليه وسلم حين سئل أى الصدقة
أفضل : جهد المقل وأبدأ بمن تعول ، وقد
أمر رسول الله يوما بالصدقة فقال رجل :
يا رسول الله عندي دينار ، فقال : تصدق به
على نفسك ، قال عندي آخر قال : تصدق به
على ولدك . قال عندي آخر قال : تصدق به
على زوجك قال عندي آخر قال : تصدق به
على خادمك قال عندي آخر قال : أنت
أبصر به .

هذا بعد ما جاء فى الحديث النبوى ،
أما القرآن فقد رتب مصارف الصدقة ترتيباً
لا يحتمل اللبس حين قال عز وجل فى سورة
البقرة : يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم
من خير فلولو الدين والأقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل ، وحين قال فى
سورة الروم (فأت ذى القربى حقه والمساكين
وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله)
وحين قال فى سورة البقرة (وآتى المسال

الأخلاق التقريرية التى تعتمد على المواظ
والنقول وحدها أو التى تستند على النظريات
التجريدية فى فلسفة الخير والشر ، دون أن
تمس شفاف القلوب بما تصور من عاطفة
وبما تلون من منظر وقد كان أحمد بن يوسف
من كبار البلغاء الذين يرسمون الإيجاز
اللاخ ، وابتعدون عن بريق اللفظ ورنين
الصنعة إلى جمال الصدق ، وصفاء التعبير ،
وإصابة المحز ولن نقدمه بأحسن من بيانه
حين يروى هذه القصة المؤثرة فيقول :

وحدثتني أم آسية ، وكان لها دين ومذهب
جميل ، ومحل لطيف من خمارويه ، وقد
تذاكرنا لطف الله عز وجل فى أرزاق
عباده ، وحسن الدفاع عنهم ، أنه تزوجها
وأختها أخوان فأقبلت حال زوج أختها ،
وأدبرت حال زوجها ، قالت وتوفى زوجها
بأسوأ حالة وخلف لها بنات ، وتعذر عليها
تجهيزه من اختلاله ، وتوفى زوج أختها ،
وقد خلف من العين والمساكن والأواني
لولد أختها .

قالت فكنت أجاهد فى مؤنة ولدى ، وإذا
وقف أمرى ، صرت إلى أختى فقلت اقضينى
كذا وكذا (استحياء من أن أقول لها
(هى لى) ودخل شهر رمضان فلما مضى
نصفه اشتهى على صبياني حلوا فى العيد فصرت

لايستطيع إطلاقاً أن يقرن شحه بشح الأجنبي
البعيد ، فالقريب لديه أعظم جريرة وأفذح
ذنبا ! وليس ذلك فيما يتعلق بالصدقة وحدها
بل لأنه يمتد إلى كل تصرف من تصرفات
الحياة ! وهذه حقيقة إنسانية واضحة لمحا
الجاهل القديم حين قال :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

وما أريد أن أفيض فى استيفاء مناحى
القول فى تفضيل ذوى القرابة ، فلعل غيرى
أقدر على ذلك وأكفاً ، وليكنى أمهد بهذه
المقدمة الموجزة لقصة أدبية رائعة ذات
مغزى خلقى يؤكد صلة الرحم ! وقد قرأتها
فى كتاب المسكافاة وحسن العقبي لأحمد
ابن يوسف السكاكيت المعروف بابن الداية
المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

وفى تراثنا الأدبى كتب جيدة يصح أن
تكون كتب أخلاق علمية قبل أن تضاف
إلى التراث الفنى وحده ، وكتاب المسكافاة
من أظهر الأمثلة لهذه الكتب ، إذ كان هدفه
الأساسى خلقيا مثاليا يدعو إلى البر والعرف ،
ويؤكد مشوبة الخير المرتجاء ، وعقوبة الشر
المنتظرة فى الحياة الدنيا قبل الآخرة بما يروى
من قصص واقعى ويسجل من حدث متعالم
مشتهر ، وهو بذلك أنفع لقارئه من كتب

مقرباً (١) بأول ولد حمل لابي الجيش ، وقد عرض عليها قـوابل استـثـقلتـن ، فقال في جوارنا قابلة أحضرتها لأمراة في حارتنا تطلق فوضعت يدها على جوفها فسقط ولدها ووصفني بما لا يوجد في قدرة أحد إلا بالله عز وجل ، فقالت للخادم : إذا كان غدا فجئني بها ، فأتى الغلام ودعاني إلى مولاه فاجبت بانـشـراح صدر وثقة بالله تعالى فاستخقت روحي : وقالت : (إلى التمام بتقدير الله تعالى ، ثم اشتكت مغساً (٢) تجده المقرب ، فأدخلت يدي في ثيابها ومسحت جوفها ، وعججت إلى الله تعالى في سرى بتوفيق ، وكنت أدعوه ، ومن حضر من أهلها يتوهم أني أرقى - فسكن ما وجدته وتبركت بي ودخل إليها خمارويه وقال ما وجدت ؟ فقالت مغساً في جوفى فوضعت قابلة أردتها يدها عليه فزال ما أجده ، وأخرجتني إليه - وكان قريباً من حرمة - فقال لي : أرجو أن يخلصها الله عز وجل : ببركتك قالت أم آسية ودخلنا في العشر الاواخر من شهر رمضان وقد تمسكت من الإخلاص لله عز وجل بما

إلى أختي فقلت لها أقرضيني دينارا أعمل به للصبيان حلوا في العيد) فقالت يا أختي تغيظي (١) بقولك أقرضيني وإذا قرضتك من أين تعطيني أمن غلة دورك أو بستانك ؟ لو قلت لي هي لي كان أحسن) فقلت لها أفضيك من لطف الله تعالى الذي لا يحاسب وجوده الذي يأتي من حيث لا يرتقب ، فتضاحكت وقالت (يا أختي هذا واقع من المني ، والمني بضائع النوكي) فانصرفت عنها أجر رجلى (إلى منزلى) .

وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه ، فلما بلغت حارتنا ، قال لي في جوارنا امرأة تطلق (٢) قد أوجعت قلبي أدخلني إليها فليس لها قابلة) قالت أم آسية (والله ما عاينت بمخوضة (٣) قط ، فدخلت إليها فسححت جوفها ، وأجلستها كما كان القوابل يجلسني في طلقي ، فولدت من ساعتها ، فلما أمسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها فقلت قد ولدت ، فعجب من سرعة أمرها وظن هذا شيئاً قد اعتمدته بحذق صناعة ، ولطف في مهنة ، ففضي إلى سته بنت اليتيم ، وكانت

(١) هكذا بحذف النون على لغة

مرجوحة تعمدتها الكاتب مراعاة لاساليب العامة في التخاطب .

(٢) المغس : المغص

(١) طلقت المرأة إذا أدركها المخاض

(٢) المخوضة التي ضربها الطلق .

(٣) الحامل المقرب : التي دنت ولادتها

الجيش مالا كثيراً . وقضت لجماعة من وجوه

البلد حوائج خطيرة ١ هـ

هذه الحادثة تغنى عن المائة صحيفة تكاتب
فى إيضاح الحساسية المفرطة بين ذوى الارحام
ففى تكشف بأوضح الصور ما يمور به تيار
الدم فى النفوس ذوات الوشائج القريبة
والأواصر الدائية ! فمن الواضح أن أخت
القبلة كانت محسنة تعطى شقيقتها ما تطلب ،
فليست من العقوق بمحل يستكره ! ولكن
جملة يسيرة من قولها العايت فعلت فى نفس
الأخت ما تفعل النار فى الهشيم ! تلك هى
قولها : تغيطنى بقولك أقرضينى وإذا
قرضتك من أين تعطينى ؟ ولو كانت الأخت
المحسنة تدرك حساسية الموقف بين شقيقتين
من نبعة واحدة ما قالت شيئاً ! واهرفت أن
التى تقول لها أقرضينى كانت تشعر بلذع النار
استحياء من قولها هى الى !

ولك أن تقدر شعور البائسة المسكينة وهى
تتحدث عن حرصها البالغ فتقول : فأدخلت
يدى فى ثيابها وعججت الى الله تعالى فى سرى
بتوفيقى ، وكنت أدعو ، ومن حضر من
أهلها يتوم أنى أرقى !!

أو تقول : ودخلنا فى العشر الاواخر
من شهر رمضان وقد تمسكت من الإخلاص
لله عز وجل بما لا يصل إليه من ساح فى
الجال خوفاً من شماتة أختى بى .

بقية المنشور على ص (١٣٨)

ويجىء ، فلما ولدت — وكانت تتوقع من
الولادة أمراً عظيماً — قالت لى أهذا الطلق؟
قلت نعم ، فقبلت — يعلم الله — عيني من
الفرح ، وصاح بخاروية :

أخبرينى يا مباركة بخبرها ، فقلت : وحياة
الأمير لأنها فى عافية ، وقد ولدت غلاماً سوى
الخلق بحمد الله ، فوجه لى بألف دينار ،
وأخ أبو الجيش فى النظر إليها لفرط إشفافه
عليها ، فاستوقفته الى أن نقلت حوائج
الولادة ، وقلت لها : ياسيدتى اضحكى فى وجهه
كما تريحه ، فلما دخل إليها ضحككت فى وجهه
فتقدم بصدقة ومال كثير عنها وعن ولده .

وقالت أم آسية : لما كان يوم الاسبوع
ووقع قبل العيد بيوم واحد ، أمرت لى
بخمسمائة دينار وحصل من أتباعها ألف
دينار . فحصل لى ألفان وخمسمائة دينار ،
وخلعت على وسائر حشمها أكثر من ثلاثين
خلعة ، وحمل إلى مما أعد للعيد ثلاث موائد
خاصة ، وانصرفت إلى منزل وأرسلت إلى
أختى مائدة ، ووافتنى مهنئة وقد تقاصر
طولها ، فأريتها ما حصل لى من المال والخلع
والطيب ، وقلت لها : يا أختى أنكرت على
قولى : أقرضينى ، ومن هذا كنت أقضيك
فلا تستصغرى من كان الله مادته وعليه مدار
ثقلته وتعويضه .

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من أبى

مَنْ صَوَّرَ الْبَطُولَةَ وَالْفَنَاءَ

للأستاذ محمود محمد شبكة

ولا سلطان وإنما كانوا طلاب مثل وعشاق مبادئ، لا يلقون بالا إلى زخارف الدنيا ولا إلى مفاتن الحياة ومباهجها، باذلين أرواحهم ثمنا وقربانا: «ولا نحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

ومن هؤلاء الأصحاب الأبطال (سعد ابن الربيع) فقد نشأ سعد في يثرب ورأى الصراع الدامي بين قومه الخزرج وبين الأوس والذي طالما شبت ناره، واشتعل أواره، للثأف من الأسباب وكان بفطرته يكره هذا التطاحن الذي لا طائل تحته، ويتمنى للقوم أن يعيشوا في سلام ووثام، وبخاصة أن اليهود كانوا يؤججون نيران العداوة بين الحيين، ويتمنون الفرص المواتية للدمى والوقعة، وينظرون بعين الرضا والاعتباط إلى ما يحتمل بينهم من خلاف، وتشوقت نفس سعد إلى صبح جديد يبدد ظلمات هذا الليل البهيم الذي طالما ضل فيه السائرون وتخبط فيه المدجلون، وكان له من شرف

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم المثل العليا في السكفاح والتضحية، وهم النماذج الصادقة في الإخلاص والتفاني وإنكار الذات وهم الذين قدموا أرواحهم رخيصة لإعلاء لدين الله، ووقفوا صفا واحدا خلف قائدهم الأعظم يشدون من أزره ويأتمرون بأمره، ويحاربون أعداء الحق بصبر وشجاعة وثبات وكانت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول تملأ نفوسهم لإيماننا وقوة، وتنير أمامهم الطريق، وترغبهم في الجهاد والعمل، وتحثهم على التضحية والبذل: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله» «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص».

«لغدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها».

وكان الاستشهاد في سبيل الله أمنية غالية يسعون إليها ويعملون على تحقيقها فما كان صحابة رسول الله طلاب مال ولا جاه

وأبناءهم كان سعد نقيبا على قومه ، وعندما تمت هجرة المسلمين إلى المدينة كان سعد من بين الذين عناهم الله سبحانه وتعالى بقوله :

(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، فقد أراد الرسول أن يقوى الرابطة ، ويدعم الصلة بين المهاجرين والأنصار فأخى بينهم ، ولقد أظهر هذا الإخاء نبل الأنصار وكرمهم ، فقد مروا لإخوانهم المهاجرين أموالهم وبيوتهم عن طيب خاطر تضحية وإيثارا ، وأخى الرسول بين سعد وعبد الرحمن بن عوف وسر سعد بهذا الإخاء واستراح له واطمأن به وقال لأخيه في الله لي امرأتان وأنت لا زوجة لك ، فأنزل لك عن واحدة فتنزوها . فرفض عبد الرحمن ابن عوف ثم عرض عليه سعد أن يشاطره ماله فرفض كذلك ، وطلب منه أن يدلّه على السوق فلقد كان عبد الرحمن تاجراً وعنده المال الكثير والسكنى تركه لقريش في مكة وهاجر ناجيا بدينه ، وانطلق إلى سوق المدينة ، واستطاع في فترة قصيرة أن يكون من الأثرياء مقدرًا لأخيه كرم وفادته وجميل صنيعه .

وفي مجال التضحية بالنفس والجود بها فقد آلى سعد على نفسه منذ أسلم أن يكون

أسرته ومن وجهة قومه ما جعله يسمو بنفسه عن الصغائر والفساسف ، ويربأ بها أن تنزلق فيما ينزلق فيه القوم من العبث والكذب والنفاق ومقاومة المنكر وما إلى ذلك مما كان ذائعا ومنتشرا في المجتمعات الجاهلة ، وبهذا السلوك المهذب عظمت منزلته وكبر في أعين الناس ، لا سيما أنه كان قارئا كاتباً على قلة من كان يقرأ ويكتب حينذاك .

وما أن ترامت إلى سمعه أنباء دعوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى تحرك لها ضميره واهتز لها كيانه وأحس إحساساً داخلياً بأنها تخاطب عقله ووجدانه ، ففيها طلبته ، وفي مبادئها ما يحقق أمانته ، فسارع إليها في لهف وشوق كما يهرع السائر في البعيد وقد أعيتته الهاجرة ولفحته الشمس وأجهده الظمأ حيثما تلوح له من بعيد واحدة فيها الظل الظليل والماء الفرات .

آمن سعد بالدين الجديد عن رغبة واقتناع ورأى فيه وفي مبادئه النجاة مما ارتكس فيه القوم من خلاقات وحروب لا تنج إلا الشر ولا تثمر إلا الكراهية والحقد ، وحضر سعد بيعة العقبة الأولى وفي ليلة العقبة الكبرى وهي الليلة المباركة التي تعهد فيها الأنصار بالوقوف إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته ، ومنعه مما يمنعون منه نساءهم

وقال له : إن رسول الله يسأل : أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ فقال سعد : أبلغ رسول الله عنى السلام وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خيرا ما جرى به نبي عن أمته ، وقرأ على قومي السلام وقل لهم : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة فوالله ما اسكن عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ، ثم أسلم الروح فلما بلغ ذلك رسول الله قال : رحمه الله نصح الله ورسوله حيا وميتا :

دخل رجل على أبي بكر الصديق وفي يده طفلة يحملها ويقبلها فقال له : من هذه ؟ فأجابه الصديق : هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد .

ومضى سعد إلى ربه راضيا مرضيا ضاربا المثل الأعلى في الجهاد والتضحية مطمئنا ظافرا تستقبله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدا فيها لقاء ما قدم وكفاء ما بذل ؟

محمود محمد بكمة

مدرس بدار المعلمين بطنطا

جنديا مخلصا في جيش الإسلام فلقد قاتل بشجاعة وإقدام في غزوة بدر وفي غزوة أحد وهي المعركة التي كسب فيها المسلمون الجولة الأولى ثم لما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا مواقعهم طمعا في الغنيمة حدث ما حدث من انتفاض المشركين من الخلف وإعمالهم السيوف في ظهر المسلمين ضربا وتقتيلا وكان أن التاث الأمر على المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا .

فكان سعد يقاتل المشركين قتال الأبطال فلم يضعف ولم يتقهقر ، بل كان يدرك خطورة ما صار إليه المسلمون غير عابئ بما ناله من سيوف الأهداء وفي النهاية وبعد أن روى سعد سيفه بدماء الكفار سقط صريعا وفيه بقية من روح .

ولما انجلى الموقف وانتهت المعركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأتي بخبر سعد بن الربيع فإني رأيت الآسنة قد أشرعت إليه فقام رجل من الأنصار فقال : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد فتفقد الرجل جثث القتلى حتى وقف على سعد

انتشار الإسلام في جيلان للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

- ٢ -

على أن الكثير من العلويين قد اتخذوا من إقليم طبرستان دار هجرة لهم ، وذلك منذ أواخر القرن الثاني الهجري حيث كانت لهم جهودهم المشكورة في حمل مجوسى طبرستان على اعتناق الدين الإسلامى .

امتد نشاط بعض هؤلاء العلويين إلى الإقليم المجاور جيلان ، حيث زاووا نشاطهم في سبيل العقيدة الإسلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن اعتنق رأس الأسرة الجستانية الإسلام ، والأسرة الجستانية هذه هي الأسرة التي عاصرت مراحل انتشار الدين الإسلامى في الإقليم ، وكانت لها في نفس الوقت السيادة على قبائل الديلم الذين استوطنوا بصفة رئيسية المناطق الجبلية الجنوبية ، يلح علينا تطور الحديث إلى هذه النقطة أن تلقى مزيداً من الضوء على موقف هذه الأسرة من الإسلام ودعائه .

كما سبقت الإشارة إليه آنفاً عرفنا أن رأس هذه الأسرة في العقد الثامن من القرن الثاني الهجرى هو الذى منح يحيى بن عبد الله

سلط الضوء في المقال السابق (١) على ثنتين من المحاولات التي بذلت في سبيل نشر الإسلام بين أهالى منطقة جيلان ، ونعنى بهما : محاولة عمر بن العلاء ، ومحاولة يحيى بن عبد الله العلوى ، وقد بينا مدى ما حققته المحاولتان من نجاح ، والذى نود أن نبزعه هنا هو ما يبدو من أن الذين اعتنقوا الإسلام في كل من المحاولتين كانوا من طامة الناس ؛ إذ لو كان بين من أسلموا أحد من عليّة القوم لشارت إليه المراجع باسمه أو بصفته ، وهذا ما لم نجده في دراستنا لكل من المحاولتين .

نصح الخليفة هارون الرشيد في إخراج يحيى بن عبد الله من بلاد الديلم والإتيان به إلى بغداد ؛ بيد أننا لا نستطيع أن نقول : إنه نصح في صرف نظر العلويين عن أهمية هذه المنطقة كما من لهم من الاضطهاد الذى يعانونه على أيدي منافسيهم العباسيين ، وكهقل بكر يزاوون فيه نشاطهم من أجل العقيدة الإسلامية والدعوة الشيعية تجمع المراجع

في المنطقة بعد رحيل يحيى العلوى عنها. وعلى هذا الاعتبار يمكننا افتراض تحديد الفترة الزمنية التي أسلم فيها المرزبان بحيث لا يتعدى هـ - ذا التمديد السنوات القليلة التي أعقبت عام ١٧٦ هـ. مهما يكن من أمر فإن المرزبان لم يستمر مواليا لعقيدته الجديدة ، ومن ثم ظلت المكاسب التي حققها الإسلام هناك محصورة في نطاق بعض العامة الذين سبق لهم أن اعتنقوا هذا الدين بتأثير كل من عمر ابن العلاء ويحيى بن عبد الله .

هذه هي حصيلة الجهود التي بذلت في سبيل نشر الدين الإسلامي في منطقة جيلان حتى آخر القرن الثاني الهجري ، ولا شك أن هذه النتيجة محدودة الآماد ، وذلك بالنظر إلى الجهود التي أنفقت في سبيلها . الأمر الذي بموجبه ظلت المنطقة خارجة عن نطاق التبعية للدين الإسلامي الذي أصبحت له الغلبة على غيره من الديانات في الأقاليم المتاخمة لجيلان من الشرق والغرب والجنوب .

لم نجد في المراجع إشارة إلى ازدياد في معتنقي الإسلام من بين أهالي المنطقة ، وذلك حتى منتصف القرن الثالث من الهجرة ، وليس معنى هذا أن البلاد قد خلت من الدعاة إلى الدين الإسلامي ، إذ أنه مما لا شك فيه أن الجهود في هذا المجال لم تتوقف وإن اعتراها شيء من الركود ، والتعليل الوجيه لخلو المراجع

حق اللجوء السياسى ، ولكونه في نفس الوقت لم يعتنق الدين الإسلامى .

استغل أعداء العلويين نقطة الضعف هذه ، وذلك بإيهام الزعيم الديلى أن يحيى عبد آبق من سيده هارون الرشيد ، وليس من حفدة الرسول عليه السلام . وقد أضيف إلى نقطة الضعف هذه قوة تأثير زوجة الزعيم الديلى عليه ، هذا التأثير الذى مارسه الزوجة استجابة لما غمره بها الفضل بن يحيى البرمكى من الهدايا والتحف والأموال ، وقد أدى هذا وذلك في النهاية إلى تخلى رأس الأسرة الجستانية عند حماية يحيى العلوى .

مهما يكن الأمر ، فقد أدى ذهاب يحيى ابن عبد الله إلى بلاد الديلم ، وإخراجه منها - بالصورة التي سبقت الإشارة إليها إلى هزة عنيفة في العلاقات بين أفراد الأسرة الجستانية الأمر الذى ترتب عليه أن أرغم جستان على التنحى عن الملك والرياسة ، وحل محله آخر من أبناء عموته . لم نتعرف من خلال المراجع التي بين أيدينا على اسم الرئيس الجديد للأسرة الجستانية ، ولعله هو المرزبان الذى أشار إليه المستشرق « شروتمان » فيما كتبه عن الأطروش في دائرة المعارف الإسلامية .

بعد هذا المتبع يمكننا القول بأن المرزبان هذا هو الذى اعتنق الإسلام بفضل جهود بعض العلويين الذين زاولوا نشاطهم الدعائى

وصاروا جميعاً (الديلم وجيرانهم الطبرستانيون) بما اشتعلهم من الجور متفقين على عداوة السلطان ، واستثقال وطأته ... وهذا موضع يجب أن يتأمله الإنسان حق التأمل فإنه شاهد بفضيلة العدل) .

كان لقيام الدولة العلوية على الشاطئ الجنوبي لبحر قزوين أثره في اعتناق عدد من الديالمة للدين الإسلامي . سبق أن قلنا : إن الديالمة قد لعبوا دوراً رئيسياً في إقامة الدولة العلوية ومساندتها ، ونضيف إلى هذا القول ما أجمعت عليه المراجع من أن الحسن بن زيد (توفي في شهر رجب سنة ٢٧٠) قد لجأ إلى المنطقة الجبلية المتاخمة لإقليم طبرستان (أى المنطقة التي يقيم بها الديالمة) أكثر من مرة ، ووقع نفس الشيء لأخيه وخليفته محمد بن زيد . وقد حدث نتيجة للمعايشة بين العلويين والديالمة ، سواء منها ما كان في داخل المنطقة الجبلية أم ما وقع خارج نطاقها - أقول : حدث نتيجة لهذه المعايشة أن اعتنق عدد من الآخرين الدين الإسلامي .

التفت إلى هذه الحقيقة كثير من المؤرخين الذين عنوا بالتاريخ لانتشار الدين الإسلامي ؛ فهذا الاصطخري يقول في (المسالك والممالك ص ٢٠٥) : « وكان الديلم دار كفر يسبي من رقيقهم إلى أيام الحسن بن زيد فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم » . ونجد مثل هذا القول لدى ابن حوقل الذي كان معاصراً

من الإشارة إلى شيء من هذا القبيل هو أنه لم يحدث أثناء تلك الفترة الزمنية أن اعتنق الإسلام أحد من كبار الديالمة أو الجليل ، كما أنه لم يتفق أيضاً أن حدثت الإسلام طفرة متمثلة في إسلام جماعة لها وزنها العدى من بين مواطني جيلان . ومعنى هذا أنه لم يطرأ على المنطقة تطور يستحق اهتمام المؤرخين .

هذه هي صورة الموقف بالنسبة للدين الإسلامي في جيلان حتى منتصف القرن الثالث ، وابتداء من سنة ٢٥٠ هـ أخذ يظهر في المنطقة تطور سياسى جديد ، وقد انعكس هذا التطور بالتالى على ظروف انتشار الإسلام في إقليم جيلان . هذا التطور هو قيام الدولة العلوية بطبرستان تحت زعامة الحسن ابن زيد .

ابتدأت النواة الأولى لهذه الدولة في منطقة الحدود بين إقليمى طبرستان وجيلان ، وذلك نتيجة تحالف تم بين بعض أهالى طبرستان وجيرانهم . وقد لعب مواطنو جيلان ، وخاصة الديلم ، دوراً كبيراً في إقامة هذه الدولة ومساندتها ؛ لعب الديالمة هذا الدور رغم أنهم لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام بعد ، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى في مؤلفه « التاجى في أخبار الدولة الديلمية » (ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٩ ص ٤) وذلك حيث يقول :

ومن الناحية الأخرى فإن المسعودى الذى انفرد — على مقدار معرفتنا — بإثبات أن بعض زعماء الأسرة الجستانية قد اعتنقوا الإسلام فى هذه الموجة ، يسوق تعبيره فى صورة تثير التساؤل .

ولنحاول الآن أن نتعرف سوياً على نماذج مما أورده المؤرخون بخصوص هذه القضية . يقول الطبرى (ج ١١ ص ٩٢) عن الحسن بن زيد : « وبإيعه ... وهسوذان ابن جستان » . كما يقول عنه أيضاً فى مناسبة أخرى : (ج ١١ ص ٢٣٤) « وقد ماله خرشاد بن جيلاد صاحب الديلم » . ويقول ابن اسفنديار عن محمد بن زيد (تاريخ طبرستان ، الترجمة الانجليزية ص ١٩٠) : « وانضم إليه من الجبال جستان ابن وهسوذان » .

يستطيع الباحث أن يفهم من البيعة التى يريد بها الطبرى أنها كانت مقصورة على الجانب الحربى ، وهذا الفهم يجد ما يعضده فى مضمون الملاحظة التى وردت فى التعبير الثانى ، ونفس المعنى يمكن أن ينطبق أيضاً على مفهوم الانضمام الذى يقصده ابن اسفنديار . ولو كان الطبرى يعنى بالبيعة أن وهسوذان اعتنق الإسلام لأشار إلى ذلك صراحة لكون اعتناقه الإسلام يحتل من حيث الأولوية المركز الأول ، وحديث الطبرى عن هذا الموضوع له

للصطخرى . أما المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال الصافى فإنه يقول عن محمد بن زيد (توفى فى شوال سنة ٢٨٧ هـ) : « وأسلم على يده قوم من الديلم » .

حقيقة اتفق عليها أغلب المؤرخين ، وهى أنه كان من نتيجة المعاشية بين العلويين والديلمة أن أسلم بعضهم ، ولكن ما مقدار هذا البعض ؟ هذا ما لم تشر إليه المراجع ، وإن كان النص يفيد أن من أسلموا كانوا قلة بالنسبة لمجموع المواطنين فى المنطقة كلها ، وهذا لا يمنع من أن تكون هذه القلة فى نفسها عدداً كبيراً ، ولعل هذا هو ما أدركه المستشرق أرنولد فقال فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) : « وفى سنة ٨٧٣ (٢٦٠ - ٢٦١ هـ) أسلم عدد كبير من عبدة النار فى بلاد الديلم » . والتوقيت الذى ذكره أرنولد يكاد يتفق مع ثالث مرة التيجاً فيها الحسن بن زيد إلى بلاد الديلم حيث مكث هناك حوالى ستة شهور .

هل كان بين من سلموا فى هذه الموجة الجديدة أحد من الأسرة الجستانية ؟ هذا الأمر يحوطه الغموض والاضطراب فى المراجع التى بين أيدينا ؛ فن ناحية لم ترد فى أغلب هذه المراجع إشارة صريحة تفيد أن أحداً من أفراد هذه الأسرة قد اعتنق الإسلام بتأثير أى من الزعيمين العلويين ،

ومن مهمامنا العلويين ، اعتنق عدد لا بأس به من الديانة الدين الإسلامي ، وإذا أردنا أن نحدد الرقعة الجغرافية التي تأثرت بهذه الموجة الجديدة للإسلام فإننا نستطيع أن نقول : إنها الرقعة الجبلية الجنوبية من المنطقة موضوع الدراسة ، وبهذا تكون المحاولات التي بذلت لنشر الإسلام في إقليم جيلان حتى عهد محمد بن زيد قد تركزت في داخل نطاق محدود .

ولكن هل أصبح المسلمون بعد هذه الموجة الجديدة يشكلون الأغلبية في داخل هذا النطاق المحدود ؟ هذا ما لا نستطيع أن نقدم عنه إجابة حاسمة ، وذلك لعدم وجود إشارات تاريخية تميز أمامنا الطريق ولكن بما لا شك فيه أن الذين اعتنقوا الإسلام حتى ذلك التاريخ كانوا لا يزالون أقلية بالنظر إلى مجموع الديانة الذين كانت مساكنهم متوزعة بين البيئات الجبلية من ناحية والشريط الساحلي الذي يقع إلى الجنوب من بحر قزوين من ناحية أخرى .

وتمشيا مع هذا التدرج فإن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام نتيحة للجهود التي بذلت في هذا السبيل ، ابتداء من عمر بن العلاء حتى محمد بن زيد ، كانوا لا يزالون أقلية ضئيلة بالنسبة لمجموع مواطني جيلان بالتحديد

أهميته لأنه كان معاصرا لهذه الأحداث التي وقعت في موطنه الأصلي .

هذا الفهم يتسق مع السياق الذي وردت فيه النصوص الثلاثة ، بيد أنه لا يستبعد أن بعض أفراد الأسرة الجستانية قد اعتنقوا الإسلام في هذه الموجة ، ولكن إذا صح مثل هذا الفرض فلنا أن نقيده بأن إسلامهم لم يكن نابعا عن عقيدة ، بل كان مرتبطاً بتحقيق مآرب سياسية معينة ، ومن ثم لم يلتزموا بتعاليم الدين الإسلامي .

نسترشد في هذا الاستنتاج - بجانب تحليلنا للنصوص السابقة - بما سبق الحديث عنه بالنسبة للبرزبان ، هذا بالإضافة إلى ما تسوقه إلينا المراجع من أن رأس الأسرة الجستانية أثناء السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري كان متزوجا بجدة - وفوق هذا وذاك نجد المسعودي يقول : « وقد كان قبل ذلك (العقد الأخير من القرن الثالث الهجري) جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون في الإسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب ، فلم اختار المسعودي صيغة المضارع « يدخلون » ولم يقل دخلوا أو قد دخلوا ١٩ .

على كل ، نخلص من هذا التضارب الذي تواجهنا به المراجع إلى القول بأنه استجابة لتأثير كل من الحسن بن زيد وأخيه محمد

سبقت زمن عمر بن العلاء ، وما بذله أهل الإقليم لإبائها من مقاومة عنيدة ضد السيادة الإسلامية - نجد الفضول يدفعنا إلى محاولة التعرف على السر الذي يقف وراء هذه النتيجة .

هل هذا السر يمكن في طبيعة الدين الإسلامي أم في طبيعة أولئك الذين توجهت إليهم الدعوة الإسلامية ؟ . ستكون معالجة هذه النقطة فاتحة المقالة التالية التي تضم الدراسة التي نقدمها عن انتشار الإسلام في جيلان .

يتبع

د . ماهر غنيم أبو سيم

الجغرافى الذى سبق أن بيناه فى صدر هذه الدراسة .

هذه النتيجة تقف دون الجهود التى بذلت من أجلها بصفة متواصلة على امتداد أكثر من قرن من الزمان ، نتيجة تقف دون الجهود بكثير ، وخاصة إذا عرفنا أن الالتقاء المباشر كان هو الطابع السائد للعلاقات بين الدعاة الإسلاميين ومواطنى المنطقة فى هذه الفترة وليس من قبيل المبالغة أن نقول : إن إقليم جيلان ربما انفرد بهذه النتيجة بين بقية الأقاليم التى انتشر فيها الإسلام فى منطقة بحر قزوين ، فإذا أخذنا فى الاعتبار الفترة التى

(بقية المنشور على صفحة ١٢٩)

إذ أن وشائج الدم تفرض لنفسها حقوقاً يسمع صوتها مجلجلاً فى حنايا الضلوع وشغاف القلوب ! ومثل هذا الصوت المجلجل لا يستطيع إسكاته دون عسف وإرهاق ! وأذكر أنى فرغت من قراءة كتاب المكافأة جميعه على فترات ، ولكن لفظتى « تقاصر طولها » لم تزالا تعتملان فى صدرى حتى حاولت التخلص منهما بتحرير هذا المقال .

د . محمد رجب اليموسى

ثم حين تقول فى النهاية « وانصرفت إلى منزلى فأرسلت إلى أختى مائدة ووافتنى مهنته ، وقد تقاصر طولها فأريتها ما حصل لى من المال والخلع والطيب ، وقلت لها يا أختى أنكرت على قولى : أقرضينى ، ومن هذا كنت أقضيك ، فلا تستغرى منى . كان الله مادته » ،

إن قولها عن أختها « تقاصر طولها » على إيجازه المفرط ليتحدث حديثاً مسهباً طويلاً عن دقائق العلاقات بين ذوى الأرحام !

استيطان اللغة العربية في مصر منذ للدكتور أحمد مختار عمر

— ١ —

إلى علاقات تجارية بين المصريين والعرب في تلك الفترة النائية ، ومن الثابت كذلك أن عمرو بن العاص زار مصر قبل الفتح الإسلامي بوصفه تاجرا ، وذهب إلى الدلتا ومن بعدها إلى الإسكندرية ، وأن خبرته بالبلاد المصرية هي التي جعلته يفكر في غزوها ويفرض الخليفة بذلك ، وهي التي سهلت له عملية الفتح ، وأما بالنسبة للهجرات العربية بقصد الاستقرار ، فقد كان هناك كثير من الموجات دفعت بها بلاد العرب إلى مصر في العصور الفرعونية ، وكان طريق سيناء قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات العربية منذ القدم ، ومن هذه الهجرات ما كالم يؤخذ فيه رأى حاكم مصر ويتم بموافقته ، وقد أشار المؤرخون إلى سلسلة من تلك الهجرات أخذت مكانها قبل الفتح الإسلامي ومن بينها :

١ — هجرة قبائل من أصل كهلاني استقرت في الجزء الشمالى الشرقى من مصر ، وقد تم ذلك في فجر المسيحية .

٢ — هجرة قبائل من طيء كان من أهمها قبيلتنا لحم وجذام اللذان استقرتا في إقليم الشرقية .

٣ — قبيلة « بلي » التي دخلت مصر قبل الإسلام واستوطنت ما بين القصير وقنا ،

لم يكن استيطان اللغة العربية في مصر سهلا ، ولم يكن الطريق أمامها مهيأ حين جاءت مع الفاتحين العرب ؛ وإنما خاضت معركة عنيفة طويلة ، مع اللغات التي صادفتها هناك ، امتدت نحو ثلاثة قرون ، حتى كتب لها النصر وأصبحت اللغة العامة لكافة المواطنين .

ولم تكن اللغة العربية غريبة على مصر حين جاء الإسلام إليها ، فقد كان لها في بلدنا تاريخ طويل يمتد عدة قرون قبل ظهور الإسلام وربما كان قبل ظهور المسيحية أيضا ، حين كانت وفود القبائل العربية تفد إلى مصر إما للتجارة وإما للاستقرار . فمن ناحية التجارة : أشار المؤرخون إلى أنه كانت هناك خطوط تجارية برية وبحرية تصل بين مصر والجزيرة العربية ، وتفيد المصادر اليونانية واللاتينية وغيرها أن مدينة « غزة » كانت في ذلك الوقت ميناء تجاريا هاما ، ومركزا يلتقى فيه التجار ورجال الأعمال لعقد الصفقات التجارية وكان التجار العرب يقدمون إليه لبيع ما عندهم من حاصلات البن وجنوبي الجزيرة العربية ، وشراء ما يلزمهم من حاصلات اليونان وإيطاليا ومصر وغيرها . وتشير إحدى الوثائق التي يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق م

الوقت المبكر جالية عربية كبيرة من القبائل التي هاجرت من جنوبى الجزيرة العربية واستقرت فى مصر . وإنه لمن الأهمية بمكان أن نذكر هنا أن لغة هذه الوثيقة تبدو قوية الصلة باللغة العربية ، مما يدل على أن هؤلاء العرب كانوا يشكلون جزيرة لغوية فى مصر ، وأن هذه الجالية ظلت مغلقة لقوميتها بحفظها بأبجديتها تكتب بها وتعزى بترائها ومن الكلمات التى وردت فى هذه الوثيقة والتى يمكن بسهولة ردها إلى أصل عربى أو سامى الكلمات « دين » التى استعملت فى نفس معناها العربى ، « ونفقس » التى تعنى « ثروته » ، « و نفقته » ، « و محرمى » التى تعنى الحرم و « رثد » التى تعنى رصد أو خصص .

وعلى أى حال فن الطبعى أن يكون قد حدث نوع من الاحتكاك فى ذلك الوقت بين اللغتين العربية والمصرية ، وأن يكون قد حدث بينهما قدر ما من التبادل . ويبدو أن آثار كلتا اللغتين على الأخرى كانت قوية لدرجة أنها خلقت تشابها أو تقاربا بين اللغتين أدى ببعض اللغويين المحدثين أن يزعموا وجود قرابة بينهما . وقد كان نفوذ اللغة المصرية على اللغة العربية كبيرا من ناحية المفردات مما أدى إلى دخول كلمات مصرية فى اللغة العربية واعتبارها من اللغة الأدبية النموذجية ومن ذلك كلمات وردت فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر الجاهلى .

وكان عليهم الاعتماد فى نقل التجارة الهندية ، وقد قدم وفد منهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلبوا .

٤ — هجرة بطون من خزاعة ، خرجوا فى الجاهلية إلى مصر والشام لأن بلادهم أجذبت .
• — فى عهد عمر بن الخطاب - بعد فتح الشام وقبل فتح مصر - هاجرت بعض القبائل من عنان ولخم وجذام وعاملة - وكانت تدين بالمسيحية - إلى مصر ، واستقرت هناك فى الجزء الشمالى الغربى من سيناء ، وقد منحهم الامبراطور الرومانى حينذاك إقطاعية « تنيس » (صان الحجر) ، وقد قابلت النجدة التى أرسلها عمر بن الخطاب عبر وسط سيناء لمساعدة عمرو جمعا هائلا يبلغ نحو ثلاثة آلاف ، وحين سألوهم عرفوا أنهم من عرب غسان ولخم وعاملة .

٦ — وقد أشار المؤرخون اليونان - بما فيهم استرابو (٦٦ ق م) - إلى أن عدد العرب فى عهدهم قد تضاعف حتى أنهم شغلوا كل المنطقة الموازية للجزء الجنوبى من مصر العليا الممتدة بين الشاطئ الغربى للبحر الأحمر ونهر النيل . ووصف استرابو مدينة « فقط » بأنها مدينة واقعة تحت حكم العرب ، وصرح بأن نصف سكانها من أولئك العرب .

وبالإضافة إلى هذا فإن الوثيقة السابق الإشارة إليها - التى يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق م - تفيدنا أنه كان يوجد فى ذلك

أولا عن العوامل الرئيسية التي تتحكم في صراع اللغات، والتي يسرى مفعولها على أى لغتين يحدث بينهما احتكاك هذه العوامل هي :

- ١ - العامل السياسى .
- ٢ - العامل الاقتصادى .
- ٣ - العامل الدينى .
- ٤ - عامل التفوق اللغوى .

وقد قامت هذه العوامل كلها بدور هام في صالح اللغة العربية، وتعاونت فيما بينها لتطرد اللغة القبطية في مصر، فإذا نحن نظرنا إلى العاملين : السياسى والاقتصادى، وجدنا أنهما كانا يعملان في صالح اللغة العربية، فما لا شك فيه أن القوة كانت في أيدي العرب الذين لم يدخروا وسعا لتعريب البلد ونشر الإسلام وقد أدت عمليات التعريب، ونشر

وخلاصة القول أن اللغة العربية كانت لغة الحديث في مصر في فترة ما قبل الإسلام بين أبناء العربية، وعلى ألسنة التجار العرب، وأن احتكاكا حدث بين اللغتين العربية والمصرية أدى إلى ترك بعض الآثار من كلا الجانبين على الجانب الآخر، ويمكن دون أن يفقد أى منهما شخصيته نهائيا .

ولقد ظهر الصراع الحقيقي بين اللغتين العربية والمصرية - والتي سنسميها منذ الآن باللغة القبطية ^(١) - بشكل واضح بعد الفتح الإسلامى لمصر، فقد حدثت إذ ذاك معركة كبيرة بين اللغتين انتهت بهزيمة كاملة للغة القبطية ونصر مبين للغة العربية . ولم يحدث هذا - بالطبع - دفعة واحدة

ولإنما خطوة بعد خطوة، واستغرق فترة طويلة بالمقارنة بما حدث في أماكن أخرى من العالم الإسلامى .

وقد كانت هزيمة اللغة القبطية نتيجة لأسباب متعددة عملت كلها في صالح اللغة العربية، كما أن تأخير هذه الهزيمة يمكن أن ينسب - من ناحية أخرى - إلى عقبات معينة عطلت التقدم السريع للغة العربية، وقبل أن تناقش هذه الأسباب وتلك العقبات نحب أن نتحدث

(١) القبط - وكذلك الاقباط اسم أطلقه العرب على المصريين حتى من قبل الفتح الإسلامى، وفي الحديث النبوى : استوصوا بالقبط خيرا .

= ونذهب المراجع العربية القديمة في تفسير كلمة « قبط »، مذهباً أسطوريا فتزعم أنها مشتقة من اسم ملك لمصر القديمة كان يدعى قبطيم بن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وورد مصرايم في الانساب في العهد القديم تكوين أما المحدثون فلهم في تفسيرها أراء عدة أحسنها أنها تحريف للكلمة اليونانية Aiguptios وهو الاسم الذى أطلقه اليونانيون على المصريين، ويبدو - على كل حال - أن هذه الكلمة استعملت أولا ما استعملت وأريد بها غير المسلمين من المصريين، ثم بمرور الوقت أصبح اللفظ علما على المسيحيين المصريين، ولم يعد يتضمن أصحاب أى ديانة أخرى .

القرآن ، وسيصلى باللغة العربية ، وباختصار سيعيش عيشة : إسلامة كاملة .

وعامل الإسلام من الناحية اللغوية يعتبر ذا أهمية قصوى ، وقد كان من الواضح جدا ارتباط تقدم اللغة العربية وانتشارها بتقدم الإسلام وانتشاره في كل الأقطار المفتوحة على السواء ، كذلك كان من الواضح أن الأماكن النائية أو التي لم ينتشر فيها الإسلام بسرعة ظلت اللغة القبطية فيها حية لمدة أطول من غيرها ، وقد كان اكتساب الأقباط الذين أسلموا للغة العربية أسرع من اكتساب أولئك الذين لم يسلموا لها ، ولهذا فنحن نتفق مع المستشرق « دى لاسى أوليرى » الذى علق أهمية كبيرة على هذا العامل بقوله ، « كان انتشار الاسلام بلا شك عاملا فعلا من عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية » .

وقد حاول بعض الكتاب الذين عالجوا انتشار الاسلام فى مصر أن يصلوا إلى نتيجة معينة هى أن الاسلام قد انتشر فى مصر بالقوة واعتمد هؤلاء أساسا - ومعظمهم من المستشرقين - على كتاب عنوانه « صير الآباء البطارقة ، بقلم سويرس بن المقفع وهو مسيحي يعقوبى شغل منصب أسقف فى كنيسة « أشمونين » حوالى عام ٩٨٥ م . وهذا الكتاب - فى الحقيقة - ملئ بالوقائع المزورة والأكاذيب الفاضحة ؛ ولذا طمن فى صحته

الإسلام إلى نتائج اقتصادية هامة كان لها أثرها فى دعم اللغة العربية ورفع شأنها فى مصر . وقد كان من أهم الخطوات التنفيذية التى خطاها العرب ، والتى قوت جانبى الإسلام واللغة ما يأتى :

١ - إحلال اللغة العربية محل اللغة اليونانية أو القبطية فى الدواوين والمكاتبات الرسمية .
٢ - تهجير عديد من القبائل العربية إلى مصر بقصد الإقامة الدائمة .

٣ - قصر الوظائف القيادية على المسلمين فإذا انتقلنا إلى العامل الدينى نجد من الثابت أنه لم يكن هناك ضغط على الأقباط ليعتقوا الاسلام ولكننا نجد من الثابت أيضا أنه كانت هناك امتيازات معينة ومجالات خاصة يتمتع بها المسلمون دون الأقباط ، بالإضافة إلى عامل الهيبة الذى كان يتمتع به المسلمون باعتبارهم الطبقة الحاكمة ، وقد أغرى هذا وذاك مجموعة من الأقباط أن يعتنقوا الاسلام لينعموا بالخير فى ظله ، ومن ناحية أخرى : فإننا نجد عددا آخر من الأقباط يعتنقون الاسلام بمحض اختيارهم بعد أن اقتنعوا بصدق تعاليمه وروحه البناءة . ومن البديهي أنه إذا اعتنق شخص الاسلام تحت حكم عربى فإنه سيحاول أن يحاكي المسلمين فى كل تصرفاتهم . . سيذهب إلى المسجد ، وسيقرأ

عدم احتلال أى كنيسة وعدم التدخل فى شئون الأقباط ، وأن كثيراً مما لحق بالأقباط مصدره أنفسهم ومردده الغيرة الدينية بين أتباع الدين الواحد .

فإذا نحن انتقلنا إلى العامل الأخير وهو التفوق للغوى ، نجد أن تفوق أى لغة وتمتعها بالهيبة يرجع إلى قيمتها الذاتية . وفى حال اللغة العربية نجد قيمتها عظيمة ، وتنفوق إلى حد كبير ، القيمة الذاتية للغة القبطية فى ذلك الوقت . فهى من ناحية لغة الحكم ، ومن ناحية أخرى لغة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى بالإضافة إلى ذلك لغة حضارة عظيمة وثقافة تفوق أختها القبطية ، ويشير (فندريس) فى كتابه (اللغة) إلى التفوق الذاتى الذى تتمتع به بعض اللغات ومن بينها اللغة العربية بقوله : « والقدرة على الانتشار التى نشاهدها فى بعض اللغات الهندية الأوروبية أو السامية كاللغة العربية ، ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة ولكن القيمة الذاتية للغة لها فى ذلك نصيب ... » . ويمكننا أن نقدر الفجوة بين اللغتين القبطية والعربية فى هذا الصدد إذا أخذنا فى الاعتبار الحقيقتين التاليتين : أولاً : أن اللغة العربية كانت قد انتشرت فى كثير من أنحاء العالم ، وتمثلت ثقافات وحضارات كثيرة مما أعطاهاميزة ضخمة ، وقيمة كبيرة . وبمرور الزمن ازداد هذا العامل قوة ، فها أن جاءت العربية إلى

كثير من العلباء فى الشرق والغرب ، ومن تشكك فى كتابه هذا الرجل ، ورأى ضرورة التثبت منها Nabia Abbot مؤلفة كتاب : The Kurrah Papyri .

وقد تفهنت هذه السكاتبة كذلك إلى حقيقة هامة بالنسبة لما كتب عن الأمويين ، إذ قالت ما معناه : إن معظم المراجع التى تمدنا بمعلومات عن الأمويين ونظام حكمهم كتبها أناس أعداء لهم مثل العباسيين والمسيحيين من أمثال سويرس بن المقفع . كذلك حذر (بل) Bell فى مقاله (The Administration of Egypt) أى (الإدارة فى مصر) من الثقة الكبيرة فى المصادر القبطية حيث إن التعصب الدينى قد لعب دوراً كبيراً فيها ، وذكر لنا مثالا من الأخطاء التى وقعت فيها المراجع القبطية وكشفت عنه أوراق البردى . والثى الذى نحب أن نبرزه هنا ونجعله واضحاً هو أن الأقباط قد تمتعوا فى ظل الحكم الإسلامى بحرية دينية لم يجدوها من قبل ، وأنهم باسروا — سواء تحت حكم الأمويين أو العباسيين — عباداتهم بحرية تامة . وكل ما كان يحرص عليه الحكماء فى ذلك الوقت هو أن تترجم لهم دروسهم القبطية وصلواتهم ليتأكدوا من أنها لا تحمل أى هجوم أو إهانة للإسلام . وقد اعترف (تروتون) فى كتابه (أهل الذمة فى الإسلام) بأن المسلمين بمصر منذ البداية اتجهوا إلى

الرابع أو الخامس الميلادي واختاروا أحرفاً جديدة استعير معظمها من اليونانية وأضيف إليها سبعة رموز من الكتابة الديموقراطية لتعبر عن أصوات لا وجود لها في اللغة اليونانية .

ومن أجل هذا كله - حين جاءت حركة الترجمة النشيطه من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وبلغت قمتها - لم يجد الباحثون شيئاً ذا بال يستحق الترجمة من القبطية إلا ما ندر . ولا توجد إشارات إلى ترجمات من القبطية إلى العربية تمت في مصر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اللهم إلا ما يتعلق بالديانة المسيحية . وربما كانت الترجمة الوحيدة التي وصلنا نصها هي تلك التي قام بها (سويرس بن المقفع) وأصحابه في القرن الرابع الهجري ، والتي أطلقوا عليها إسم ، سير الآباء البطارقة . . وتأخذ دائرة المعارف الإسلامية (مادة قبط) برأى كازانوف Casanova في أن الترجمة العربية للأعمال القبطية لم تتم إلا في أيام الفاطميين . وتذكر الدائرة : أن الأدب القبطي لم يكن أدباً راقياً ، وأنه عاش في شكل ترجمات معظمها من اليونانية ، مثل ترجمة العهد القديم والعهد الجديد وقصص حياة الأولياء والقديسين ؟ . يتبع ،

أحمد مختار عمر

معركتها الحاسمة مع القبطية حتى كانت قد أصبحت لغة ثقافة عالية .

ثانياً : إن اللغة القبطية في فترة احتكاكها باللغة العربية كانت في موقف ضعيف بشكل واضح . فقبل ذلك بمدة طويلة كانت اللغة القبطية قد وقعت فريسة للغة اليونانية التي أصبحت فيما بعد لغة الكتابة . وهذا يعني أن الأعمال الكتابية الهامة كانت تكتب باليونانية لا القبطية ويعنى بالتالي إضعاف اللغة القبطية لدرجة لافتة للنظر .

ويقال كذلك : إن لغة الثقافة الثانية في مصر لم تكن القبطية ، بل كانت السريانية التي كانت تستعمل بخاصة في جامعة الإسكندرية العتيقة ، والتي صارت مألوفاً للدارسين بعد هجرة بعض الأساتذة السوريين إلى مصر وعملهم على نشر ثقافتهم .

ويقال أيضاً : إن اللغة القبطية لم تكن وحدها لغة الحديث في بعض أجزاء من مصر بما فيها الإسكندرية ، وإنما كانت في صراع دائم مع اللغة اليونانية على ذلك ، بل أكثر من هذا يقال : إن اللغة القبطية كانت حديث الطبقات الدنيا وغير المثقفة فقط ، وإن الطبقات الأرستقراطية كانت تفضل الحديث باللغة اليونانية .

كذلك يبدو أن الاقباط في ذلك الوقت لم يكونوا غيورين بدرجة كبيرة على لغتهم حتى إنهم تخلوا عن أحرفهم الهجائية في القرن

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

- ٢ -

ذلك أربع لعدوك ، وأعز لوليك . وأحسن إلى المحسن ، واشدد على المريب ، وارفق بالعامه والخاصة فإن الرفق يمن ، وجمع له الخراج والصلاة . وجعل على شرطته السائب ابن هشام بن عمرو ، وكان من الطبيعي أن يقول الوالى كلمة فى الرد على الخليفة ، إذعانا للطاعة . وإظهارا لوجهة النظر ، وتوكيدا لعهد الله ورسوله ، ورعاية لحقوق الأمة : قال قيس :

« رحمك الله يا أمير المؤمنين ، فقد فهمت ما قلت ، أما قولك اخرج إليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيا به من المدينة ، لا أدخلها أبدا ، فأنا أدع ذلك الجند لك ، فإن أنت احتججت لإيهم كانوا منك قريبا ، وإن أردت أن تبعهم إلى وجه من وجوهك ، كانوا عدة لك ، وأنا أصير إليها بنفسى وأهل بيتى ، وأما ما أوصيتنى به من الرفق والإحسان ، فإن الله عز وجل هو المستعان على ذلك . »

ألقى قيس بالرأى الحر الشجاع ، تتوقد بين جنبه شعله المجاهد المؤمن بقائه ، وملء رأسه حكمة تتطلبها ظروف حرجية ، انفردت بها مصر دون سائر الأمصار ، فلم يكن يغيب عن قيس - وهو الثقف اللقف - أنه مقبل على أرض تتلظى نيرانها ، فيها محمد بن أبى حذيفة الذى كفله عثمان رضى الله عنه يتما

وعاش قيس بن سعد خلافة الراشدين الأربعة ، حتى لقي الله فى آخر خلافة معاوية ، وترك تجاربه فى نفسه أعمق الآثار ، شهد المغازى ، وصحب عليا فى المحفة التى أملت به . وحضر معه (الجل) و(صفين) و(النهر) . وهو الذى ولاه مصر . وكان قد اشترك فى فتحها . فاختر لنفسه بها دارا . ولما حضرت الوفاة : جعلها للمسلمين عامة ، فكان ينزل بها الولاة من بعد .

كان الانصارى الوحيد فى الخمسة المعروفين باسم (دهاة العرب) ، ولاه على مصر ، أشد ما كانت حاجة إلى مثله ، ولا سيما بعد أن بلغت الفتنة أقصى درجات السعار . فتمرد محمد بن أبى حذيفة على عثمان . وتأمر على قتله سنة ٢٦ هـ . وجاء الخليفة الإمام على فوجد هذه المشكلة الضخمة تواجهه لا تترجح ، وتمضى الأحداث عبر أيام وشهور قلائل ، مثقلات بكل ما يذهل العقل ، ويفسح التاريخ صدره لمواقف هذا الوالى الجديد ، والخليفة المشغول .

وقبل أن يذهب قيس إلى ولايته المحفوفة بالمخاطر ، يحبوه خليفة المسلمين بوصاته فى هذا الظرف الحرج فيقول له فى وداعه :

« سر إلى مصر . فقد وليتكمها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيا ، ومعه جند ، فإن

التهمة في الخليفة الذي يؤوى الجناة ولا يسلمهم وبالتالي في الوالى الذى من بلده خرجوا إلى الجريمة السكراء ، ولو لم يكن له يد في اقترافها من قريب أو بعيد .

وفي مستهل ربيع الاول من عام ٢٧ هجرية قدم قيس بالإمارة على مصر من الكوفة ، في سبعة نفر من أصحابه ، فقد أنى أن يأتي على رأس الجيش الذى عرضه عليه الخليفة واستغنى بذلكه ودهائه ومكره ومكايده عن الجيوش المحشودة . وفي يقينه أن كل سلاح دون ما يحشده هو في عقله الوراق مغلول لا محالة أدرك قيس للوهلة الأولى ، ومنذ وطئت قدماه أرض مصر ، أن أهلها على ثلاث فرق : فرقة دخلت في الجماعة والطاعة فهي معه ، وفرقة اعتزات بقرية (خربتا) تطالب بقتل قتلة عثمان كشرط للدخول في الجماعة وفرقة مع الجماعة ومع على مادام لا يسلم القتلة . أما المعتزلة فكانوا يكتبون لمعاوية سرا لا يطبقون مكاثرة المصريين ، ويرد عليهم أن يثبتوا أمام قيس ، ما دام فيهم قادة العثمانية كمعاوية بن حديج ، ومسلمة بن مخلد وحصين بن نمير ، وقد حشد معاوية ثلاثة رهط من أمراء فلسطين جعلهم سنداً عند الطواريء ، وكتب قيس إلى على يبسط له قضية مصر كما رآها ، في بدء عهده بولايتها . ولم يكن يرمى من وراء ذلك إلا مجرد الإعلام ، أما هو فقد تجرد للعمل في الحال وبلا توان ، وفاقا لما يمليه عليه الضمير

ورباه وأصبح عليه نعمه ، وأجابه إلى رغبته في ولاية مصر ، وأمدّه بالمال والجيش فنكص على عقبيه ، وتنمر وتمرد . وعان الموائيق ، وألب على ولى نعمته ، وطرد والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وبعث من المصريين وفدا إلى المدينة تسلقوا الدار على عثمان وقتلوه ظلما وعدوانا . فبأوا بالخزى والعار وسخط الله والملائكة والناس أجمعين . عاد القتلة إلى مصر ، وكأنهم راجعون من نزهة للصيد . فثارت عليهم مصر عن بسكرة أبيها ، ولاسيما أشد الناس حبا لعثمان ، ودار القتال بين حزب الله وحزب الشيطان ، وكان ذلك ، أول رمضان من عام ٣٦ هجرية ، عند قرية من أعمال البحيرة من مصر يقال لها (خربتا) وانتصر العثمانية مما شجع معاوية بن أبى سفيان على القدوم من الشام ، في شوال من هذا العام ، وظل معاوية يطلب من ابن أبى حذيفة تسليم المجرمين . وجأة قتل ابن أبى حذيفة بالعريش . وخلت مصر من واليها . فقد قتل ابن أبى حذيفة ، وفر من وجهه سلفه عبد الله ابن سعد وبعث الخليفة قيس بن سعد أميرا على مصر ، وهما أدري به من غيرهما ، فهل أيس معاوية وعمره من انتزاع أرض النيل من أيدي الهاشميين لينعم بها بنو أمية ؟ كلا ، بل لقد بدأت الفتنة المسعورة مرحلة من أعنف مراحل التصعيد ، إذ ارتفعت الأصوات عالية تطلب دم عثمان الشهيد ، من كل مصر ، وبشكل إلحاح واهتمام . وتركزت

يتخلف منهم أحد ، وخرجت القننة من القلوب إلى غير رجعة ، فقد أكرمهم وترضاهم وانكفأت القننور على مضرمى نيراسها ، ومرت العاصفة وكفى الله المؤمنين القتال . هذا ما كان من أمر (خربتا) الشائرة فإذا لم تكن القلوب معه ، فإن السيوف ليست عليه وهو خير على كل حال .

بهذا تملك قيس زمام الأمن في مصر ، وهى الجناح الغربى من أرض السلام وسارت الامور على خير ما يرتجى منها ، وتم لقيس في مصر من الضبط والربط ما يشتهى وخرج على لى (وقعة الجمل) وهو مطمئن ، وكان أثقل شىء على صدر معاوية أن ينحصر في الشام بين على بالعراق وقيس بمصر : التى أغلقت أبوابها في وجهه الرياح العاتية ، تحمل معها جراثيم الفتن تترى من الشام ، كما خشى معاوية أن ينقلب المصريون شيعة لعلى ، فاستعان بعمرو ، واجتمع الرأى على مكيدة قيس ، والفرسان الثلاثة في قمة الصراع السبائى بما هو معروف عنهم جميعا من الحيلة والمكيدة والدهاء ، ويشهد التاريخ معاركهم لون جديد يستخدم فيها قادة الامة الإسلامية سلاح الذكاء الخارق ، وسرعة الخاطر ، والخديعة والمكيدة لكل فريق حجته ومنطقه ، ولكل أسلوبه البارز أو الخفى فى الغلبة والظفر . وفى المقال القادم إن شاء الله حلة الحديث ؟

محمد محمود زيتون

الحى ، والذكاء الوقاد ، وهو يعلم أنه يواجه اثنين من دهاة العرب ، لا يستهان بهما . وأمر قيس فاجتمع عليه الناس ، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرأ عليهم : وطلب له البيعة فبايعوا من عند آخرم واستقامت الامور فى طول البلاد وعرضها ، وبعث العمال عليها ، غير أن هناك قرية (خربتا) تغلى مراجلها لم تدعن ، بها هشرة آلاف كلهم عثمانية ، عليهم يزيد بن الحارث ، من بنى كنانة وبنى صدج ، وهنا يكن الخطر المدطم ، لم يبايعوا ولكنهم لم يزحفوا للقتال لقد ناروا على رأس الجناة ، فكانوا طليعة العثمانية ، لقد كان معاوية بن حديج ومسلة بن مخرم على رأس المتوقفين عن البيعة ، فضمها قيس بحزمه ، أما (خربتا) فله معها شأن آخر ليسكن أى شىء إلا القتال ، فإن آخر الدواء الحى . بعث قيس إلى أهل خربتا فجاءوا ، وقد نصبوا من أنفسهم أولياء دم عثمان لا عن قرابة به ، أو عصابة له ، وأقل ما فى الامر أنهم يستفظعون قتل عثمان ، على أيدي جناة بعث بهم ربيبه الخائف محمد بن أبى حذيفة من مصر يألها من جريمة لحقت بالمصريين إن لم يتداركوها ويفسوها عارها ويبرأوا منها بين يدي الله ، وعلى ملا من الناس ، واستل قيس سخرات الصدور ، وأنكر على الجناة ما ارتكبوا ، ودعا إلى السلم فجرحوا إليه . وجبى الخراج منهم عن طاعة ورضى وأجرى عليهم الاعطيات ، ودعاهم إلى بيعة على ، فلم

بَيْنَ الْأَدَبَيْنِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِغْرِيْقِي

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّوْبَانِي

البدوية ، وأن كلتا الحياتين تأثرت بالآخري وأثرت فيها .

ولم تكن أمة العرب منقطعة الهلة بالعالم الخارجى ، بل كانت أشد أمم العصر القديم اتصالا بغيرها ، وتعرفا عليه ، فقد جاورت الروم والفرس فى الشمال الشرقى كما جاورت الأحباش فى الجنوب الغربى ، واختلطت بتلك الشعوب التى كان لها السبق آنمذ فى مضمار الحضارة القديمة ، وكانت قوافلها التجارية لا تنقطع عن جوب مختلف الأمصار القريبة والبعيدة ، والتغلغل حتى مصر والهند وجزرها الغربية ، فلم تنوثق الصلة بين أطراف الجزيرة والدول المتاخمة لها فحسب ، ولكن بين قلب الجزيرة والدول النائية أيضا .

وقد أسفر ذلك عن تقدم اقتصاد العرب ، واتساع أفق معارفهم ، وازدياد قدرتهم على تمحيص هذا الوجود ، وإدراكه على حقيقةه الواقعية بعد عهد التيه فى مجاهل الآوهم ولا عجب فى ذلك فقد كانت بلادهم بؤرة تجمعمت فيها المعلومات ونتائج الخبرات التى اقتطفوا

بينما انصرف شعراء الإغريق إلى عالم الوم والخيال ينسجون من خيوطه قصص الخوارق غير الطبيعية ، والأساطير غير المعقولة ، ارتد الشعراء العرب القدامى إلى عالم الواقع يستشفون من ظواهره الطبيعية موضوعات لمنظوماتهم .

وقد أرجع بعض الباحثين الأوربيين فى العصر الحديث هذا التباين إلى أن العرب كانوا أهل بادية أفقرت عقولهم وجوانحهم لإقفار صحرائهم التى درجوا على التنقل بين أرجائها الشاسعة مستهدفين عيون الماء والسكلا ، فاستنفدوا وقتهم وجهدهم فى سبيل هدفهم ، وفى التقاتل لتحقيقه ، فلم تتيسر لهم عيشة مدنية تدمهم بالمعرفة والعلم ، ولم تنوفر لهم طمأنينة تعين على التأمل والتفكير .

ولكن يدحض هذا الحكم المقسرع أن الجزيرة العربية غنيت بالمدن ، وبسكان المدن الذين مارسوا الحياة المدنية ، وزاولوا بعض الصناعات ، وأن الزراعة ازدهرت فى أطراف الجزيرة شمالا وجنوبا ، وأن الحياة المدنية والريفية انعكست على الحياة

وأخلاقهم وأهوائهم بدلا من طباعها وأخلاقها
وأهوائها ... ، .

ومن قبله نعى بعض الاوربيين على العرب
أنهم لم يعرفوا الاساطير ، ونسبوا ذلك إلى
قصور خيالهم ، وعجزهم من اختران المحسوسات
وخلقها من جديد في صور وهمية .

وقد فات أولئك النقاد أن الاساطير نشأت
خلال مرحلة من مراحل التطور كان الإنسان
فيها يعتمد على إدراكه الحسى ، دون إدراكه
العقلى ، في فهم الوجود . ومن الواضح أن
التقدم الحضارى تحقق شيئا فشيئا بنمو الإدراك
العقلى وسيطرته على الإدراك الحسى وتوجيهه
ومن ثم يكون العرب قد خطوا - كما قلنا -
خطوة واسعة في سبيل التقدم الحضارى
عند ما انصرفوا من عالم الوهم إلى عالم الواقع
وحاولوا فهمه وتفسيره بالإدراك العقلى مقترنا
بالإدراك الحسى المهتمدى بهديه .

وهناك طائفة من العلماء أمثال «ادوارد تلور»
و «جيمس فريزر» يؤيدون الرأى الذى
ذكرناه ، ويدللون على صحته . فالاساطير
في نظرهم متعلقة بالمجتمعات البدائية ، متولدة
من أعمال السحر والطقوس الدينية التى كانوا
يؤدونها ، وأنها تشعبت بمرور الزمن وظلت
مترسبة في وجدان البشر حتى بعد أن خطوا
خطوات في طريق التطور الحضارى ، وهم
لا يؤمنون بأن وقائعها ترمز إلى ما يحدث

شتاتها من مختلف الامصار ، وأضافوا إليها
معلوماتهم ومعارفهم ونتائج خبراتهم الخاصة
ومحصوا ذلك كله ، واستخلصوا منه الحقائق
ببصيرة ثاقبة استمدت من الصحراء صفاءها
واتساع أفقها .

ولكن بطرس البستاني رأى في انصراف
العرب عن عالم الخرافة إلى عالم الواقع عيبا .
رأى في هذه الخطوة التى فتحت في ميدان
الفكر والادب فتحاً جديدا خطوة إلى
الوراء . ومن الواضح أنه تأثر في رأيه هذا
بالباحثين الاوربيين المتحيزين للإغريق ،
واسكل ما هو أوروبى ، قال في كتابه
(الشعراء الفرسان) :

« لم تكن عقائد العرب الدينية - قبل
الإسلام - ذات أثر فعال في تلطيف
استغراقهم في المسادية لأن الدين الوثفى كان
ضعيفا في قلوبهم ، ومع كثرة أربابهم لم يتيسر
لهم أن ينضدوا مراتها ، ويرفعوا لها مجتمعا
علويا تنظم فيه شئونها فتبين علاقة بعضها
ببعض ثم علاقاتها بالاناس ، وما يبدو خلال
ذلك من طباعها وأخلاقها وأهوائها ... ، .

عاب بطرس البستاني على العرب أن إيمانهم
بالاوثان كان ضعيفا ، وأنه لم ينسق لها
عالما (علويا) يلعب كل منها فيه دوره ،
وأنه بحث في علاقات الناس بعضهم ببعض
بدلا من علاقاتها بهم ، وفي طبائع البشر

الادب الجاهلي المشتمل على كثير من المعتقدات الوثنية ... ولا بد أن نتساءل أهناك سبب لاضمحلالها وتبددها قبل ظهور الإسلام بزمن غير وجيز ؟

كانت الحروب بين بعض القبائل العربية وبعضها الآخر لا تسكد تنقطع يوما واحدا في العصر الجاهلي ، وكان البدوي ينام كل ليلة بعين مقفلة وعين مفتوحة مستنداً إلى رحمة كما قال جورجي زيدان متوقفاً في كل لحظة أن يهيب للقتال . وقد علمته التجارب اليومية أن يعتمد على نفسه في الحروب المتوالية التي يخوضها دفعا لشر الأعداء أو سعياً وراء الرزق وأن النصر فيها لا يتوقف إلا على شجاعته وحسن بلائه ، ففطن إلى أن أصنامهم وأوثانهم لا تسكد تملك له نفعا أو ضرا فيما يبتليه وأن ما يقدمه لها من قربان لا يجدي ، وهذا فيما يبدو من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف إيمانهم بأوثانهم ولم يكن بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري فاصل قوى يحول دون تأثر كل منهما بخواطر الآخر ومعتقداته ... ويضاف إلى ذلك ما ذكرناه من تقدم العرب في ميدان العلم والمعرفة بسبب اتصالهم بالعالم الخارجي هذا التقدم الذي أدى بدوره إلى انتقالهم من مرحلة الإدراك الحسي إلى مرحلة النمو العقلي وجنوحهم إلى التشكك في معتقداتهم الوثنية .

فعلا في الحياة الواقعية ؛ أو يشكون في ذلك على الأقل .

بيد أن العرب لم يجهلوا الأساطير كما توهم بطرس البستاني وغيره ممن غالوا في تقدير القصص الأسطورية الإغريقية ، ووضعوا تصوراتها فوق التصورات الواقعية الحقيقية واتخذوا من ذلك وسيلة إلى إعلاء شأن الإغريق والخط من شأن العرب .

قال جورجي زيدان في كتابه : « آداب اللغة العربية » أن العرب عرفوا ، إلى جانب علم الفلك ، ما يعبر عنه الفرنجية بالميثولوجيا - أى الأساطير - وهى أحداث ينسبونها إلى الآلهة مع أنها لا تختلف عن الأحداث التي يرتكبها البشر ، إلا من حيث المبالغة ومن الأفاصيص الميثولوجية التي كان العرب يتناقفون بها أن « الدبران ، خطب « الثريا » لنفسه وتوسط القمر في ذلك فقالت له « ماذا أصنع بذلك السبروت الذي لا مال له فجمع الدبران مطاياهم يتمول بها ، وبعد أن اجتمع له الصداق ساقه أمامه ، وظل يتبع به الثريا أينما سارت وعلل العرب مسير كثير من النجوم بمثل هذه الأساطير ..

ولكن هذه الأساطير لم تستحوذ على ألباب العرب كما استحوذت ميثلتها على ألباب الإغريق ، وإلا لما اضمحلت على مر الزمن وتبددت ، ولما اختفى أثرها من تراث

الخيول والرماح والسيوف والدروع والكر
والفر والشجاعة وقوة المراس ونجدة القريب
ونجدة الجار والضعيف ، وثناء القتلى
والوعد بالانتقام . وكذلك وصف منازل
الأحباب وذمها وجمال العشيقات وملابسهن
وزيّنهن ودلالهن ...

كان أولئك الأجداد القدامى يقدرّون
المرأة بل يجودون في الحرب بأرواحهم
في سبيل حمايتها ولكن حبهم لها لم يتنزه على
الأغلب من شهوات الحس فبينما كانوا
يستمسكون بالنبل والشرف والترفع عن الدنيا
في معاملتهم للناس أيام السلم والحرب افتقر
حبهم إلى مثل تلك الفضائل . ولم يتورع
كثيرون من شعرائهم عن وصف اتصاّهم
غير العفيف بالنساء ولا يحب في ذلك فإن تخلص
الحب من البهيمية يتحقق لدى بلوغ مستوى
عال من الرقي ومصادق هذا أن الإغريق
مع ما قيل عن حضارتهم لم يعرفوا الحب
العفيف .

ولم يعرف الشعراء الجاهلي الكذب فوصف
مختلف ألوان حبه وصفا واقعيا مؤثرا الصدق
على تمويه الحقائق .

وقد فرضت حياة البادية القبلية على
قطانها ألا يكفوا عن الانتقال من مكان
إلى مكان فكثير الفراق بين الأحبة واضرمت
بقايا منازل الراحلين ضرام الحب في الأفق

وسرعان ما ظهرت بين أولئك المتشككين
جماعة قطعت الشك باليقين فكفرت بالأصنام
والآوثان وفطنت إلى أن هناك حقا خافيا
علمها فراحت تبحث عنه علمها تتيبنيه . وتصدر
أمية بن أبي الصلت هذه الجماعة التي عرفت
باسم الحنفاء . وهكذا انتهى التشكيك
إلى ظهور فلسفة تبحث عن الحقيقة الدينية
(يراجع كتابه نهاية الأرب في معرفة أحوال
العرب الألوّمي) .

بدأت إذن محاولة الاعتماد على الإدراك
العقلي لفهم الوجود بدلا من أوهام الحس
وواكب الأدب هذه المحاولة فأعرض الشعراء
عن تصوير عالم الخرافة وراحوا يصورون
الوجود الواقعي على نحو ما يبدو لهم ويحاولون
تفسيره عقليا .

صوروا في شعرهم كل ما يحيط بهم من
مختلف الظواهر الطبيعية وعبروا عن مشاعرهم
البشرية الصادقة وفسروا الوجود الحقيقي
بحكمهم وأمثالهم ...

وصفوا الليل والنجوم والقفار والرياض
والجبّال والوديان والخيول والإبل
والوحوش والطيور وغير ذلك مما يقع تحت
حسهم وبصرهم ، ولكن هناك أمرين كانا
يشغلانهم أكثر من سائر الأمور وهما الحرب
والحب ، فانصرف الجانب الأكبر من شعرهم
إلى وصف كل ما يتعلق بهما إلى وصف

أنه مادی أَرْضَى يعبر عن ظواهر الطبيعة ومظاهر الوجود تعبيراً مباشراً ضيق الأفق ، بيد أن الذى ينظر إليه بعين لا يضلها الغرض يرى أن العيوب التى يرميه بها أولئك القوم إنما هى حسنات لقد عبر عن الواقع الموضوعى فى صور فنية ، فاستوفى من ناحية الأسلوب أقصى ما يتطلبه النقد الثورى الحديث وأحال الواقع المادى الجامد إلى واقع حى متحرك وحمل القارئ على معاناة تجربة الشاعر ومشاركته وجدانيا .

لقد أدرك العرب الوجود عقلياً فلم يحتاجوا إلى الرموز الاسطورية لتفسير الوجود فبرئ شعراً من الشطحات الوهمية. واستبدل التشبيه بالرمز فى تصويره الواقع ولا يرجع هذا التحول الذى طرأ على أدب العرب إلى جمود حسهم ونضوب خيالهم كما قال أولئك المتعنتون ولكن يرجع فى حقيقة الأمر إلى صدق حسهم وسلامة خيالهم ثم يرجع فوق ذلك إلى صحة إدراكهم للواقع .

وبما قلناه عن أولئك المتعنتين أنهم يعيبون على الأدب العربى القديم خلوه من الملاحم المطولة . والمسرحيات وقد غفلوا أو تغافلوا عن ظهور أنواع مختلفة منه فى الجزيرة منذ العصر الجاهلى .

وهاجت ذكريات أيام الوصال ولذا شاع فى الشعر الجاهلى وصف تلك الاطلال وطول المكث عندها وسؤالها عن الأحبة وبكاء العهود السالفة .

بيد أن كثيرين منا لا يستسيغون مثل هذا الشعر لا نقرض بواعثه ولعلمهم يغيرون رأيهم إذا استعادوا الماضى وهم يقرءون أدبه فلا بد للقارئ أن يشمل العصور القديمة ويعيش فى جوها ليتذوق آثارها الادبية ويصدق فى الحكم لها أو عليها .

كان أولئك الشعراء يتحرون الصدق والدقة فى التعبير عن عواطفهم وفى تصوير واقعهم لقد تحاشوا كل تهويل وكل مبالغة فلم ينطلقوا وراء شطحات الأوهام ولم يجعلوا من وقائع حروبهم خوارق ومن فرسانهم آلهة أو أنصاف آلهة أو مردة أو عمالقة بل وصفوا الاشياء على حقيقتها الموضوعية وصوروا الاحداث على نحو ما حدث فى الواقع ، فكان شعراً مرآة لحياتهم الفعلية ولما جرى لهم من أحداث وما جاش فى صدورهم من مشاعر .

ولم يرق هذا الشعر للمتغنين من المفكرين الغربيين ومن نهج نهجهم من أدبائنا المفرور بهم فقد عجزوا عن أن يستشفوا محاسنه ويميزاته فأخطأوا فى الحكم عليه وقالوا عنه

هناك أدب سبق الأدب العربي في ابتداع
الأفانصيص .

ومع ذلك لم يسأل المتعنتون الغربيون
أنفسهم لماذا لم يبتدع الإغريق هذين اللونين
الفريدين من الأدب ؟

ويعيب المتعنتون الغربيون على الشعراء
العرب تصورهم المسمى للوجود فالإغريق
كانوا ينظرون إلى عناصر الوجود على أنها
كائنات حية وإلى الحيوانات على أنها كائنات
واعية مفكرة يتعاطفون معها ويشاركونها
وجدانها على عكس العرب الذين كانوا يرون
عناصر الطبيعة كائنات جامدة لا حياة فيها
ويرون الحيوانات خرسا لا تفكر
ولا تشعر .

وهذا الحكم مخالف للواقع ، فالعرب
القدامى كانوا يناجون الليل والنجوم ومنازل
الأحباب المقفرة ومعنى المناجاة التخاطب
الوجداني والمشاركة الحسية بل كان شعراء
العرب القدامى يتصورون أن رسوم منازل
الأحباب المهجورة تشعر بالآلامهم وتسكدهم
تخاطبهم لقد افترى المغرضون على الأدب
العربي وآن للحقائق أن تنكشف ؟

محمد مفيد الشرباشي

ولو احترم أولئك المتعنتون الحق والتزموا
الصدق لاعترفوا من أول وهلة وهم في معرض
الموازنة بين الأدب الإغريقي والأدب العربي
القديم بأن هذا الأدب الأول تضمن من
الأنواع الأدبية نوعين لها اليوم شأن أي شأن
في عالم الأدب الحديث وهما الشعر العاطفي
الإنساني والقصة الواقعية .

اعترف الثقات من مؤرخي الأدب
الأوروبيين بأن العرب القدامى هم الذين
ابتدعوا هذين اللونين من الأدب . يكفينا
اعتراف المستشرق الفرنسي (بريفو) بذلك
في أقواله . ظهر في فرنسا خلال القرن الثاني
عشر تقليد أدبي جديد لم تعرفه أوروبا من
قبل وهو الشعر العاطفي الإنساني وقد
تلقنه الشعراء البروفانسيون من الشعراء
العرب .

وقول رينان : امتلأت أوروبا بقصص
لا حصر لها جاء بها الصليبيون من الشرق
العربي إثر عودتهم إلى بلادهم ، وقول
(ميشيل) في كتابه : تراث الإسلام ،
: إذا كانت أوروبا مدينة بديانتها المسيحية
لتعاليم المسيح فهي مدينة بقصصها للعرب
وقول البارون (كارادى فو) : ليس

الكتاب

المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم

عمره وتعليق : الأستاذ سعيد زويد

وكتاب (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) يقع في جزأين كبيرين ، ويحتوي على ألف ومائة وعشرين صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على أكثر من ألف مصطلح ما بين عسكري وشبه عسكري مستعملة جميعها في الجيش .

ومصطلحاته مرتبة على حسب الحروف الأبجدية العربية ، وتضمن جميع الجوانب التي تعتمد عليها الجيوش ، فهي تتضمن المصطلحات العسكرية العامة ، ومصطلحات واجبات الأركان ، ومصطلحات التعبئة ، ومصطلحات التدريب والتهذيب ، ومصطلحات الرتب والوحدات والتجنيد ، ومصطلحات القوة الجوية ، ومصطلحات القوة البحرية والنهرية ، ومصطلحات الدروع والخيالة ، ومصطلحات المدفعية ، ومصطلحات الهندسة ، ومصطلحات الخبارة أو سلاح الإشارة ، ومصطلحات الإمداد والتزويد ، ومصطلحات الطبابة ، ومصطلحات العينة أو اللوازم

إذا كانت المصطلحات العسكرية قد قطعت شوطاً بعيداً نحو التوحيد داخل جيوش البلاد العربية ، بعد أن بذل كل جيش عربي بعض الجهود في هذا السبيل ؛ فإن صعوبة التعاون وعدم وجود الانسجام الفكري بين الجيوش العربية ما زال موجوداً في اللغات العسكرية التي تستعملها هذه الجيوش . ومما لا شك فيه أن توحيد اللغة العسكرية بين جيوش تنطق أوطانها بلغة الضاد هو عمل مفيد كل الفائدة ، بل إنني لا أبالغ إن قلت إنه أكبر دعامة من دعائم الوحدة القومية . واللواء الركن محمود شيت خطاب مؤلف (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) له باع طويل في ميدان المصطلح العسكري ، وله - أيضاً - تجربة عملية في أكثر الجيوش العربية . وهو - فوق هذا وذاك - عالم جهيد من علماء اللغة العربية ، فلا غرو في أن يتجه صوب هذه الناحية من نواحي التأليف بعد أن ملك جميع أسلحتها .

الذى يوضح المصطلح العسكرى ثانيا . وهو يشيد بالمعجم الرسيط الذى أخرجه مجمع اللغة العربية ، ويذكر أنه اعتمد عليه أكثر من غيره من معاجم اللغة العربية ، كما يشيد بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للرحوم الأستاذ الجليل محمد فؤاد عبد الباقي .

ويهدف الأستاذ اللواء من تأليف هذا الكتاب إلى توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية . إذ من المسلم به أنه لا يصح أن تتكلم جيوش دول تضمها أمة واحدة وتنطق بلغة واحدة هي لغة الضاد ويجمع شملها اللغوى كتاب منزل من عند الله هو القرآن الكريم ، نقول إنه لا يصح أن تختلف اللغات التى تستعملها جيوش هذه ، الدول أما الهدف الخاص فهو كما يقول الأستاذ اللواء ، إظهار عظمة القرآن الكريم للمسلمين على تفهم معاني آيات كثيرة من القرآن العظيم ، تلك المعاني التى تبه العقول والقلوب معا ، إن المعنويات العالية هي أبرز مقومات الجيوش ، والثقة باللغة والتراث والتمسك بالعقيدة هي المعنويات العالية فى أصدق مناهيمها ومقاصدها ... إن الدعوة إلى العالمية ، دعوة مربية تهدف إلى جعل الشعب العربى شعوبا ، ولن تنجح مثل هذه الدعوة ما دام القرآن الكريم هو الحارس الاوحد للغة العربية .

هذا ويشمل الاختلاف فى ألفاظ المصطلحات العسكرية جميع أنواع الأسلحة من خفيفة أو ثقيلة ،

والمهمات ، ومصطلحات الأشغال العسكرية ، ومصطلحات الضبط العسكرية ، ومصطلحات الجغرافية العسكرية .

وقد اتبع الأستاذ اللواء منهجاً خاصاً فى إثبات المصطلحات العسكرية التى وردت فى كتاب الله الكريم ، فقد جعل عنوان المصطلح العسكرى صيغته بالفعل الماضى ، حتى يمكنه ترتيب الكلمات حسب الحروف الأبجدية أسوة بمعجمات اللغة ، وأعقب ذلك بأن فصل كل كلمة وردت فى القرآن الكريم فى مواد ثلاث أورد فى المادة الأولى بعض الآيات القرآنية كأمثلة للكلمة الواردة فيها والتى اشتقت منها المصطلحات العسكرية ؛ وذكر فى المادة الثانية مشتقات الكلمة التى تمت بصلة للمصطلحات العسكرية موردا معاني تلك المشتقات اللغوية ، وذلك تسهيلا لفهمها وفهم المصطلحات العسكرية المقتبسة منها ؛ ثم سجل فى المادة الثالثة المصطلح العسكرى المشتق من كلمات القرآن الكريم وذكر معانيه الحديثه المستعملة فى الجيوش العربية .

وقد أورد الأستاذ اللواء لإحصاء لعدد الآيات القرآنية التى ورد فيها المصطلح العسكرى ومشتقاته فى هامش كل مصطلح عسكرى ذكر فى القرآن الكريم . وهو لم يعتمد فى إيراد المعانى اللغوية على معجم لغوى معين ، ولو فعل ذلك لوجب عليه الإشارة إليه ، ولكنه أخذ من المعجمات بصفة عامه وبالقدر

- برية كانت أو جوية أو بحرية ، كما يشمل مصطلحات الخدمات الإدارية كالتأمين والنقل الآلى والهندسة الآلية الكهربائية ، ويشمل كذلك أجزاء السيارات والمدركات والطائرات وما إلى ذلك ، ويشمل أخيراً أسماء الرتب والمناصب والتعبية (التكتيكات) والسوق (الاستراتيجية) . فلماذا يكون هذا الاختلاف ؟ صحيح أنه قد بذلت بعض الجهود في سبيل توحيد المصطلحات العسكرية - كما ذكرنا في أول المقال - إلا أنه لا تزال هناك اختلافات كثيرة ، بل كثيرة جداً في التسميات . وقد صدرت بعض معاجم عربية في هذا السبيل : منها معجم عراقى ، ومعجم سورى ، وثالث لبنانى . بل صدرت نشرة بالمصطلحات العسكرية من القيادة العربية الموحدة ، ولكن ذلك كله لم يوف بالغرض المطلوب . وما زال الموضوع كله في حاجة ماسة إلى بذل جهود أكثر في سبيل بناء صرح شاخ من صروح الوحدة العربية . فتوحيد الجيوش العربية إن دخلت فيه عناصر التنظيم والتسليح والتدريب والتجهيز وتوحيد القيادة ، فإنه لا يكمل تمامه ولا يوثق ثمره بغير توحيد المصطلحات العسكرية . ويرى الأستاذ اللواء أن واجب الجامع العلمية واللغوية هو تحمل تبعه توحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية ، ويقترح أن يكون السبيل إلى تحقيق ذلك كما يلي :
- ١ - أن يؤلف كل مجمع لجنة من بين أعضاءه تعنى بتوحيد المصطلحات العسكرية العربية .
- ٢ - تعمل هذه اللجنة على جمع المعجمات العسكرية المتبصرة في البلاد العربية وتوحد ما جاء فيها من مصطلحات عسكرية ، على أن يكون المعجم العسكرى الموحد هو المعجم المعتمد في البلاد العربية كلها .
- ٣ - تواصل اللجنة وضع المصطلحات العسكرية الجديدة ، لما يستجد من مصطلحات عسكرية في الجيوش الأجنبية ، وتشر هذه المصطلحات تباعاً في مجلات الجامع العلمية واللغوية وفي المجلات العسكرية للجيوش العربية وتضاف بعد ذلك إلى الطبقات الجديدة للمعجم العسكرى الموحد .
- ٤ - يكون مع لجنة المصطلحات العسكرية الموحدة المؤلفة من بعض أعضاء الجامع العلمية واللغوية العربية ما لا يقل عن ضابطين من ضباط القيادة العربية الموحدة للمشاركة في وضع المصطلحات العسكرية الجديدة وفي توحيد المصطلحات العسكرية العربية في معجم عسكرى واحد .
- ٥ - تعمل القيادة العربية الموحدة على تعميم المعجم العسكرى الموحد والمصطلحات العسكرية الجديدة على الدول العربية للعمل بها في جيوشها ، ولعله من المفيد أن يكون للقيادة العربية الموحدة مجلة عسكرية تنشر فيها تنشره في صفحاتها المصطلحات العسكرية الجديدة تباعاً .
- ١ - أن يؤلف كل مجمع لجنة من بين

وسوقيه من هذا يقين مدى اهتمام الاستاذ اللواء بتوحيد المصطلحات العسكرية التي تستعملها الجيوش العربية ، ولقد بلغ اهتمامه الذروة فقدم كتابا قيما استقى موارده من كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لئلا يكون نبراسا للشغغلين بالعلم والمهتمين بوحدة الامة العربية وهل يوجد مثل القرآن الكريم جامعا لامة العرب على صف وموحدا لها على منهج سوى وأحسب أن كتاب المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ، سيكون نموذجا طيبا بين أيدي اللجنة التي تكونت منذ قريب في جامعة الدول العربية وضمت ممثلين للجيوش العربية إلى جانب ممثلين لأعضاء الجامع العلمية في البلاد العربية وجمع اللغة العربية بمصر ، كي تنهض بقضية المصطلحات العسكرية وتصل بها إلى رأى موحد ، وعلى الله قصد السبيل .

وإن خير ختام لكلمتنا هذه هو قول الاستاذ المؤلف إنه وحين بدأت بإعداد هذا البحث ظننت أن المدى لإنجازه لن يطول وأنه سيكون وريقات محدودات ولاكنني وجدت أن القرآن الكريم بحر خصم لا يدرك ساحله ولا يسبر غوره حتى في ميدان المصطلحات العسكرية .

سعيد زهير

المراقب العام بجمع اللغة العربية

٦ - تشر القيادة العربية الموحدة المجمع العسكري الموحد على نفقتها بإشراف لجنة المصطلحات العسكرية المؤلفة من الجامع العلمية واللغوية العربية ومن ممثلي القيادة العربية الموحدة .

هذه هي الخطوات التي يرى الاستاذ اللواء أن من الواجب اتباعها حتى يكون الامة العربية معجم عسكري موحد يسهل مهمة التفاهم بين الجيوش العربية ، فإن من المؤسف حقا أن لا تزال هناك مصطلحات عسكرية تركية وانجليزية وفرنسية وأمر بكية وإيطالية تستعمل في جيوش الامة العربية ، فذلك أثر من آثار الاستعمار الفكري ، وهو شيء بغض ، يذكر دائما بأيام مضت كانت تخضع فيها هذه الدول للأجنبي مما يؤثر في معنويات الجنود فإن من أهم عوامل الانسجام الفكري بين صفوف الجنود هو استعمال تسمية واحدة لما يستخدم من آلات وما يعتمد عليه من مؤن وذخائر واللغة العربية بعد من أغنى اللغات التي تستطيع وضع مصطلحات في كل الفنون والعلوم وتستطيع مواجهة التقدم العلمي في جميع المجالات ، وعلى الجامع العلمية واللغوية في البلاد العربية أن تنسجم دورها القيادي لتوحيد المصطلحات العسكرية في البلاد العربية ، ووضع المصطلحات العسكرية الجديدة لما يستجد من أسلحة مختلفة وآلات ومعدات وأساليب تعبوية

أَنْبَاءُ وَآرَاءُ

اسـتـفـتـاء

● جاءنا من المكتتب الدائم لتفسيق التعريب بالمملكة المغربية الاستفتاء التالي :
ويسر باب أنباء وآراء - أن يتلقى لإجابات السادة القراء - وإليكم نص الاستفتاء :

هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية ؟
وفي حالة الإيجاب ما هو مدى هذا التلازم أو هذا الارتباط ؟

أَسْئَلَةُ إِيضَاحِيَّة

هل تناصرون الرأى القائل بوجود علاقة سببية بين الإسلام واللغة العربية وأنه لولا الإسلام لما تأتى للغة العربية أن تنتشر فى العالم ، كما أنه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الإسلام ؟ - مهما كان جوابكم هل يمكنكم أن تفضلوا بالاستدلال على صحة رأيكم بواقع بيئتكم الإقليمية وبماضيها ؟

هلا تلاحظون فى بلدكم بصفة خاصة وفى البلاد الإسلامية بصفة عامة أن الوعى الإسلامى والوازع الدينى بقويان ويضعفان تبعاً لما يعترى لغة الضاد من قوة وضعف وأن العكس بالعكس ؟
ما هو مدى تأثير الفكر الإسلامى عن طريق لغة القرآن فى اللهجات أو اللغات الإقليمية فى الأقطار الإسلامية غير العربية أو لدى الجاليات الإسلامية فى الأقطار الغربية أو الآسيوية ؟
إذا كان هنالك تأثير ما للهجتكم الإقليمية فى تعابيركم العربية المحلية فما هى نسبته ومداه ؟
ما هى المسكنة التى يجب أن تحتلها العربية فى بلدكم بالنسبة للغات الأجنبية ؟ وانتظاراً
لجواب حضرتكم تفضلوا بقبول خالص تحياتنا ، والسلام ؟

التعريف بمكتب التعريب :

● انبثق هذا المكتب عن مؤتمر التعريب الذي عقد في المملكة المغربية بدعوة من حكومتها في إبريل سنة ١٩٦١ وتحت إشراف جامعة الدول العربية وجاء في توصيات المؤتمر ما نصه :

يوصى المؤتمر بأن يصبح هيئة دائمة وأن يستمر انعقاده دوريا وينشأ له مكتب دائم مقره المملكة المغربية تحت إشراف الجامعة العربية وتمثل فيه جميع البلاد العربية . مهمته أن يتلقى ويتتبع ما تنتهي إليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والأدباء والمترجمين ويقوم بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ليستخرج منه ما يتصل بأغراض المؤتمر لعرضه على المؤتمرات المقبلة .

ومن نشاط هذا المكتب أنه نظم في العام الماضي استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية ، ثم هذا الاستفتاء ، علاقة الإسلام باللغة العربية .

* * *

احتفال الأزهر بالهجرة :

● احتفلت مشيخة الأزهر بذكرى الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

حسن مأمون الدعوة إلى كبار رجالات الدولة والسلك الدبلوماسي العربي والإسلامي .

وحضر الحفل السيد حسين الشافعي نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر .

وبعد صلاة العشاء بمسجد الجامع الأزهر افتتح الحفل بآيات من القرآن الكريم ثم قدم الأستاذ أحمد فراج ، فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فألقى كلمة أشاد فيها بالهجرة النبوية وما تتضمنه من مثل وقيم وتضحية وفداء .

ثم قال فضيلته : اليوم ونحن نحتفل بهذه الذكرى العطرة يجب أن نعرف مكاننا بين الأمم وأن يكون هدفنا اجتماع كلمة المسلمين والعرب في أنحاء الأرض وأن نهض معتمدين على الله لنرد الباغين ونظهر الأرض الطيبة من رجسهم بحشود الإيوان وجحافل العروبة والإسلام واتباع السنة والقرآن . داعين المولى سبحانه أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين .

ثم تقدم / السيد الدكتور عبد العزيز كامل نائب وزير الأوقاف فتحدث عن توحيد الجبهة الداخلية عملا بشريعة المؤاخاة بين المهاجرين والانصار . وكان حديثه عذبا منمقا .

ثم تقدم / السيد حسين الشافعي نائب الرئيس فارتجل حديثا طيبا تناول فيه السكينة في القرآن وأن القائد الناجح هو الذي

على أن نشارك الأمة العربية بكل قوامها
ولمكانياتنا لإزالة آثار العدوان .

ثم وجه الضيف الدعوة إلى فضيلة الإمام
زيارة الهند قائلاً، إن من حق الهند أن
تسعد بكم لأنكم إمام المسلمين جميعاً كما أن
الأزهر نخر للمسلمين في أنحاء الأرض فشكره
فضيلة الإمام ووعدته بتلبية الرغبة عندما
تتاح الفرصة .

* * *

مؤتمر الأدباء العرب :

● عقد في القاهرة في الفترة ما بين السادس
عشر والحادي والعشرين من ذي الحجة
سنة ١٣٨٧ هـ المؤتمر السادس للأدباء العرب
وشاركت فيه وفود كبيرة من أدباء مفكرى
إحدى عشرة دولة عربية بالإضافة إلى الجمهورية
العربية المتحدة وجامعة الدول العربية كما دعيت
إلى المؤتمر ألمانيا الديمقراطية ومثلها السيد
ماكس فالترشوالقس .

ولقد عقد المؤتمر في ظروف قاسية فالوطن
العربي يحتاج مرحلة من أخطر مراحل كفاحه
ونضاله ومن ثم كان محور اهتمام المؤتمر
ونشاطه الموضوعات التي انبثقت من الإعتداء
الصهيوني الأمبريالي، ودور الأدباء في معارك
التحرير، وإحاطة الرأي العام العالمى بحقيقة
قضيتنا وأبعادها السليمة .

عبر اللطيف عبر العظيم مصطفى

تملاً قلبه السكينة . ثم ختم الحفل بآيات من
القرآن الكريم .

* * *

وفد الصداقة الهندى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الأزهر بمكتبته وفد الصداقة الهندى برئاسة
السيد / معين الحق كشودرى وزير الموارد
والغابات بحكومة آسام الهندية . بمناسبة
عودة الوفد من الأراضي الحجازية وبعد أن
هنأهم فضيلة الإمام الأكبر بأداء شعيرة الحج
قال : إن الحج مؤتمر تعاونى يلتقى فيه
المسلمون ليتعارفوا ويتعاونوا على حل
مشكلاتهم وليكونوا قوة واحدة ضد الظلمين
والعدوان . وإننى لأدعو الله تعالى أن يمحو
عن أرض الإسلام كل عدوان ليبقى المسلمون
أقوياء معتزين بدينهم .

ثم تحدث السيد الوزير قائلاً إن الهند
كدولة صديقة تربطها بالجمهورية العربية
المتحدة علاقات المحبة والتعاون وهى تتيح
للمسلمين فيها الحرية وتكافؤ الفرص حتى غدا
طابع الإسلام ظاهراً فى الهند .

ثم إن الهند تؤيد الجمهورية العربية فى كل
خطواتها التى ترفع من شأن المسلمين والعرب
وبالنسبة لقضية فلسطين فنحن أحرص الناس

(A man shall not be a true believer unless he has embraced four things : the witness that Allah alone is God and that I, Muhammad, am Allah's Apostle whom He has sent forth with true faith, and the belief in death, resurrection to follow next, and in destiny.)

ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان
من عبد الله وحده وحلم أنه لا إله إلا الله ،
وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافذة عليه
كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا
المريضة ولا الشرط اللثيمة .

(He knows the taste of faith who does these three : to serve Allah alone realising that there is no other god besides Him; to give the poor-due, year after year, from a kindly and persuasive soul; and to refrain from choosing his worst things with which to deal with men)

قل آمنت بالله تعالى ثم استقم .

(Say, "I believe in Allah, exalted be He" and then follow the right path.)

ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان :
من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،
ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ومن يكره

أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى
منه كما يكره أن يلتقي في النار .

(Three things will let a man taste faith : that he finds Allah and His Apostle dearer to himself than what ever else, that he loves men only for Allah's sake, and that he loathes to turn a renegade after Allah, exalted be He, has delivered him from disbelief - just as he loathes to let himself be thrown into fire.)

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

(A man shall not be a true believer until he loves for his brother that which he loves for himself.)

من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع
الله فقد استكمل الإيمان .

(He has perfected his faith who lets only the sake of Allah govern his love and hate and his giving and withholding.)

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
والمؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم

(A Muslim is he whose tongue and hand match no mischief against other muslims ; and a Faithful is he whom men will confide with their lives and properties.)

مراجع الأحاديث :

١ — صحيح البخارى .

٢ — تيسير الوصول للشيبانى .

From the Tradition of the Prophet :

THE TRUE BELIEVER

BY : SOLIMAN BARAKAT

It says in the Prophetic tradition:

عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ،
وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته
سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته
ضراء صبر فكان خيراً له .

(Wonderful are the ways of the true believer. They are all good to him, which occurs to none but a true believer. For in prosperity he gives thanks, which promotes his benefit; while in adversity he takes to patience, which promotes his benefit also).

الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت
إليه سبيلاً ، والإيمان أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،
وتؤمن بالقدر خيره وشره . والإحسان
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه
فإنه يراك . والساعة ، ما المسئول عنها بأعلم
من السائل ، وأماراتها أن تلد الأمة ربتها
وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون
في البنيان .

(By Islam is meant that you bear witness that there is no other God than Allah and that Muhammad is His servant and Apostal, attend to your prayers, pay the alms-tax, fast all Ramadan long and visit the House (Ka'ba, in pilgrimage) so long as you are of means that allow it. By faith is meant that you believe in Allah, His Angels, His Scriptures, His Apostles and the Last Day, and also believe in destiny as Allah's preordained beneficial and afflicting decrees. By goodness is meant that you serve Allah as though you see Him, for if you are incapable of seeing Him, He does see you. As for the Hour of Doom, Allah alone has knowledge of it. However, such are its portents : the slave girl gives birth to her mistress, and one sees soaring power erected by the naked and barefoot shepherds.)

لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد
أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله بعثني
بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد
الموت ويؤمن بالقدر .

The wisdom behind the mission of the Prophet was as great as the wisdom behind the revealing of the Holy Qur'an. The noble personality of the Prophet matched the wise teachings of the Qur'an; thus he was like the Qur'an brought to life in the form of a human being. Therefore, the Prophet was the good model of conduct for humankind in

its long history. His biography shakes the soul to its deepest feeling. It is natural that those who saw the Prophet and had the honour of his company were lucky to acquire the complete spiritual share, and, thus, they were able to change, in spite of their few number, the course of history.

(Continued from page 10)

opportunities for democratic interaction.

How to Develop Leadership?

The development of leadership capacities in the field of adult education is a long term, it is almost a life-long job. There is no certain recipe which can be given to create leaders in the field of adult education. However, here are some suggestions which may help in the development of leadership.

- 1) To study leadership
- 2) To work with groups
- 3) To develop the ability of

listening to people.

- 4) To seek a variety of experience in group service
- 5) To seek every opportunity for self-evaluation.

In a summary, the teacher in adult education should be trained in leadership. He must know the subject that he teaches; he must believe in the value and interest of the subject. He must have the ability of loving people and getting along with them. He must have the ability of leading a discussion and promoting new ideas.

لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأتته مؤمناً ،
قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ،
جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها . وذلك جزاء من تزكى .

(طه ٧٤ — ٧٦)

It means :

"Whose comes guilty to his lord, for him is surely hell. He will neither die therein, nor live. And whose comes to Him a believer, having done good deeds, for them are high ranks. Gardens of eternity, wherein flow rivers, to abide therein. And such is the reward of him who purifies himself." (S : 20, V : 74-76)

Are there other means for ethical guidance in Islam other than the method of worship ?

Islam, besides the method of worship, recommends the way imitation, in guiding people to moral excellences. There are also the methods of preaching, and cases of history.

The method of imitation is considered the most effective. It is easy to author a book on education, good behaviour, and morality, but it will be useless until they are realized into actual facts, and turned into real action in the conduct of people. Therefore, God the Almighty, sent the Prophet Muhammad to be a good model of conduct for human-

kind, as the holy verse says :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)
(الأحزاب ٢١)

It means :

"You have in the Messenger of God a good model of conduct."

(S : 33, V : 21)

The Prophet realized through his personality the Islamic method of morality. When Aysha, his wife, was asked about his behaviour, she said : "His behaviour is (contained in) the Qur'an." She means that the conduct of Prophet was a real illustration for the noble teachings and principles of the Holy Qur'an. The Prophet was a politician who was able to organize a united nation out of different races and nationalities.

He was a leader who was a genius in planning the methods of war. He was a good father who administered his family affairs with kindness and efficiency. He was a good friend to all people, full of sympathy towards the sorrows and joys of others, and poured all people with his mercy and kindness. He, moreover, was a sincere worshipper who is completely dedicated to contemplation, and is elevated over desires and temptation. Yet, he was the initiator of the greatest call on earth, the call which realized the real meaning of humanity.

shortcomings, and the elevation of man's conditions is the vital reason behind the legislation of Zakah. Thus, the Prophet made the meaning of charity as wide as to include many moral excellences. He said : "Smiling in the face of your fellow-men is a charity; your enjoining what is good and forbidding what is bad is a charity; your guidance to the right road for a lost person is a charity; your removal of harmful objects from the ways of people is a charity; your help to others to get water, even at the expense of your own, is a charity; and your aid to the blind or the one of bad sight is a charity."

Islam legislated Fasting not to deprive people from food and drink, but to be a means over the bad desires of body and soul. The Prophet said : "Whoever does not leave false testimony and acting according it, God shall have no need of his giving up his eating and drinking. "He also said : "Fasting is not from eating and drinking but from nonsense and indecent words. So if one directed insults to you or treated you harshly, just answer him by saying : (إني صائم ، I am fasting.)

Some people think that going to pilgrimage is just a trip that has no moral significance. This is far from truth, because God, the Almighty says :

والحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ،
وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن
خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ،
(البقرة ١٩٧)

It means : "The months of pilgrimage are well known ; so whoever determines to perform pilgrimage therein shall voice no immedest speech, nor abusing or altercation in pilgrimage. And whatever good you do, God knows it. And make provisions for yourselves, the best provisions being to keep one's duty. And keep your duty to Me, O men of understanding." (S : 11, V : 197)

This is a short review to the noble meanings of Islamic worship which are to be its pillars, through which we come to realize the intimate relation in Islam between religion and ethics. There are different kinds of worship, though they aim at one objective which the Prophet expressed when he said : "I have been sent to realize but moral excellences." Therefor, prayer, fasting, poor-rate and pilgrimage are practical exercise on good ethics and morality. If man does not benefit from them to obtain good conduct, he is undoubtedly in great misguidance. The Holy Qur'an says :

(إنه من يأت ربه مجرماً فإب له جهنم ،

The Basis of the Ethical System in Islam - II

BY

ABDUL WADOOD SHALABI

What are the measures Islam took to establish society on the basis of its own ethical system ?

The kinds of worship in Islam which are considered as its pillars are not meaningless rituals or vague rites. The obligations of Islam are continuous exercise on moral excellences. They are meant to educate people in good behaviour in all conditions and circumstances. In this respect, these kinds of worship and obligations, are like physical exercises which are necessary for the health and strength of the body. The Holy Qur'an and the Prophetic Traditions reveal these facts. The daily prayers are obligated for the noble purpose which is spoken of in this Qur'anic verse :

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. »
(العنكبوت ٤٥)

It means : "... Surely prayer keeps one away from indecency and evil .. " (S : 29, V : 45)

So the real essence of prayer is keeping people away from vices, and cleanse them from bad actions

and words. It is related in the Tradition which the Prophet reports from his Lord :

"I accept the prayer from whom who shows his humility to My Greatness, did not take a pride over My servants, did not insist on his disobedience to Me, spent his time in My remembrance, and had mercy toward the unfortunate, the wayfarer and the widow".

Zakah or poor-rate in Islam is not merely a levied tax. It is meant to establish the feelings of mercy and kindness in the hearts of people, and to strengthen the unity and the good relationship among the different classes of the society. The Holy Qur'an emphasised its care over the payment of Zakah. It says :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها .. »
(التوبة ١٠٣)

It means :

"Take alms out of their property, so you would cleanse them and purify them thereby . . ." (S : 9, V : 103)

Therefore, the cleansing of the soul from the bad effects of spiritual

ahead in their thinking and knowing, from where they are to where they want to be.

The leader of adult education should not be proud of himself as a leader. He should avoid to give any slightest hint which will make adults feel that he is a leader. The leader has to know that he himself is in great need of learning. Actually, he will learn a great deal through his leadership among adults.

The leader should strive to develop a climate of faith and confidence in one another among his group. He should encourage people to express their hidden ideas. He should encourage people to join in the formulation of their own goals. Finally, the leader must know the nature of his society and the nature of the problems which are facing the people. He should encourage adults to study their own problems and find solutions to them and not to blame the government for finding solutions to their own local problems which they can solve.

The good teacher in adult education is a leader who succeeds in developing the understanding and skills among adults which can promote democratic and prosperous living based on justice and equality. He is the person who can enrich the community in which he lives.

In a summary, he is the person who succeeds in the following things :

1 — To help adults comprehend the ideals of their society and work hard to attain those ideals.

2 — To make adults aware of their civic responsibilities to one another, to the community, and to the nation.

3 — To make them economically more efficient by developing new skills and new techniques.

4 — To help adults develop a sense of responsibility and a knowledge of how to proceed in making personal adjustments to home life, family relationship and community relationships.

5 — To help adults promote health and physical fitness.

6 — To help provide the means for encouraging cultural development and an appreciation of the arts.

7 — To help adults to supplement and broaden their educational backgrounds. And finally, to help provide for the development of a vocational interest through opportunities for self-expression

It is becoming increasingly clear that knowledge, attitudes, understanding, and skills necessary for living in a social cooperative society are best developed in adult education situations which provide vital

(continued on page 14)

methods geared to adult problems and psychology.

The leader is not an ordinary teacher, and adults are not like boys in a classroom. School boys come to school but the leader of adult education should go to the adults. They will gather around him; the leader will arouse them to think their own way. The leader should inspire adults to solve the problems facing them.

When he talks to them, he should take into consideration that he is talking with grown up people, who have all sorts of problems and interests.

So the leader's job is not to teach adults a specific body of knowledge but his job is to help them find themselves. The situation of the leader among adults is much different from that of the teacher among pupils in the classroom. The leader in adult education has to be acceptable to adults, and what is more, he must keep in mind that adults have grown up with different beliefs, different emotions, different attitudes, and different habits.

The teacher in adult education should know the fundamental factors, which affect the learning of adults. Miss Cass in her book *Adult Elementary Education*, summarizes these factors as follows :

- 1 — The physiological and psychological changes.
- 2 — The learning ability.
- 3 — The interests and attitudes.
- 4 — The memory and the power speed of learning.

So it is a great task for the person who will work with adults. Some adults are confused and puzzled about life. The good job of the leader in this case is to help these adults get out from this confusion.

Some adults are hungry for new experience. Here again, the task of the leader is to help these people meet their needs.

The leader of adult education should remember that those adults resume the status of learner not as if they were children. On the contrary, they assume this status out of their volition, yet they remain adults.

Who is the Good Leader ?

It is not enough for the leader to have a good command of a body of knowledge, but what he needs more is the capacity of putting this knowledge at the disposal of adults. The leader should be a sincere person who loves his work and who works hard out of his zeal and eagerness. Then he will be able to create conditions under which adults can really learn, can really move

it a work that anyone can do. It is a wonderful position, not only because it was the prophets' profession, but also because it gives the teacher privilege of using his mental ability on valuable subjects. It is a genuine happiness to explain subjects to others, to feel your mind grappling with their difficulties, to welcome every new look on their faces, and to learn as you teach.

The good teacher must know the subject that he is going to teach, and what is more, he must believe in the value and interest of the subject, otherwise the students would learn nothing and hate school and turn away from valuable fields of knowledge.

He must like the subject he teaches. How would you feel if you visited a doctor for treatment and the doctor said to you that he cared nothing about the art of healing?

The good teacher should love the students and know their names and their faces. He must know what a student can do and what he cannot do.

Now then, there is a basic question : Can this described good teacher be a successful teacher in adult education ?

My answer is "No," not necessarily.

Dr. Harry A. Overstreet in his book *Leader of Adult Education* points out that teachers and ministers are less successful in leadership in the field of adult education, that is because they find it difficult to let seemingly foolish remarks pass without trying to polish them up a bit.

So, as adult education is not mere teaching in a classroom, but it is widely different activities, I think of the teacher of adult education as a leader rather than as a teacher.

Here I can put some questions :
Who is the leader in the field of adult education ?

What qualifications does the leader need to be a successful leader ?

Can every teacher be a leader in adult education ?

Dr. Overstreet answered the first question : He says : a leader is one person who counts as more than one. The effect of his outlooks and behaviors is multiplied in all who adopt his way of looking at things.

Actually, the basic problem of the movement of adult education is to discover and train leaders who can exert the type of influence characteristic of educators, and employ

WHO CAN TEACH ADULTS ?

By :

DR. IBRAHIM M. SHALABY



« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحسبة ويزكيهم
إنك أنت العزيز الحكيم » (البقرة ١٢٩)

It means :

“Our Lord ! And rise up in their midst a messenger from among them,

Who shall recite unto them Thy revelations,

And shall instruct them in the Scripture and Wisdom, and shall sanctify them,

Lo ! Thou art the Mighty,

The Wise.” (S : 11, V : 129)

Adult education has become imperative ; especially in this rapidly changing world. Most people find themselves in a world where everything is changing. They take new jobs in different fields where they often encounter new atmospher, new patterns of living, new sets of values and new attitudes to which they must adjust and adapt themselves. Accordingly, one can easily see why adult education has become imperative in our era.

Adult education involves activities of widely different kinds. Such activities as reading and discussion clubs, forums, community centers, parent-teacher organizations, evening schools, amateur dramatics, correspondence schools, teaching illiterates how to read and write, and the like may be considered as part of adult education development.

However, the purpose of adult education is not just to run such activities mentioned above ; rather it is to help people understand the basis of order and sscurity in a world of rapid change and to build their goals realistically in fitting terms ; and to help people understand their pr blems, discover the resources which are available to them, and find the way to solve their problems and to reach their goals under current circumstances.

And here comes up the question which has been chosen as a title of this article.

Who can teach adults ?

Teaching is not an easy job, nor is

land and historically as well as by ties of trade and commerce it formed part of the Arab world. The well-known western Philosopher, Arnold Toynbee, rejecting the claim that Palestine was the home of the Jews, points out : "After a lapse of 1,800 years, it could not be said that Palestine was the land of the Jews. Otherwise, the United States of America should now belong to the Red Indians and the situation in England and in many other countries of the world should be different. In my opinion, the Jews have no right in Palestine except their right to personal property. They do not have the right to establish a state".

Eversince Israel came to existence it has been a source of constant irritation to the Arab countries, and tension in Middle East. Apart from this there is the big problem of the millions of Palestine refugees. Israel is an outpost from which the freedom of Arab countries might at any time be threatened. It was wrong and inhuman action of the

western powers to impose the Zionists on the Palestine Arabs. It would be a crime against humanity to crush and suppress a nation in their own homeland. The extremist Israelis, on the other hand, must remember the series of disasters which one after another had befallen the doomed nation of Moses, had culminated in the wars of 'Titus and Hadrian'. Pagan Rome had destroyed their temple and stamped out in fire and blood their existence as a nation. But the misfortunes of the Past had no lessons for them in the future. Their own sufferings at the hands of ruthless persecutors had failed to teach them the value of humanity and peace. God the Almighty says :

وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم .

It means : "Lo ! Allah changeth not the condition of a folk until they (first) change that which is in their hearts"



Nations as a result of a draft resolution proposed and recommended by the United States of America.

The role played by Israel in the 1956 tripartite aggression against Egypt is widely known. When President Nasser announced, on 26th July, 1956, the nationalisation of the Suez Canal, the domination of European powers over East, which had lasted for over a hundred years, was weakened. The sudden Israeli aggression on Egypt on 29th October, 1956, followed by the Anglo — French invasion two days later was an attempt to revive western presence in Middle East.

It is necessary to recount in brief the developments which lead to the war of 5th June, 1967. The main reason for the increased tension was the highly provocative and threatening statements made by the Israeli leaders. At the same time, there were Israeli troop concentrations over the Syrian border. Syria, fearing an imminent attack from Israel held urgent consultations with the united Arab Republic under the U. A. R. — Syria mutual defence agreement which had been signed in November, 1966. In these circumstances, the U. A. R. wanted to declare openly that it would come Syria's help if attacked by Israel. The U. A. R. had consequently taken

necessary measures to deter the Israelis from any aggressive designs against Syria or U. A. R. It will be recalled that on 5th June, 1967, Israel committed clear aggression against neighbouring Arab countries. It is obvious from the U. N. Secretary General's report on 5th June to the U.N. Security Council. In this report, the first mention by Uthant regarding offensive action was to Israeli Air Craft violating U.A.R. Air space at 8. A. M. on 5th June, 1967, over Gaza and Al-Arish. The Arab-counter action against Israel was indicated in this report as having taken place only after 8. A.M. Subsequent developments have more than conformed that Israel committed aggression and Israel itself scarcely bothers to deny that it started shooting first.

Almost every ten years (1948, 1956 and 1967) Middle East has been the scene of turmoil. What is the continuing basic reason for this tension? It is the imposition of Israel on the people of Palestine. At the dawn of history Palestine was occupied by Canaanites who emigrated from the Arabian Peninsula. It was the cradle of different civilisations and the home of three religions, Judaism, Christianity and Islam. But amidst all this diversity, the basic Arab character of Palestine stood foursquare. It always remained an Arab-speaking

The Zionists and the Jewish terrorist organizations began attacks against the Arabs. Until the end of March, 1948 the Arabs with the aid of volunteers from nearby Arab countries appeared to be achieving their military objectives. But early in April the Israeli 'Haganah' reversed the trend of the battles and registered a chain of victories which placed in Jewish possession most of the important towns including Haifa, Jaffa, Tiberias, Safad and the bulk of the new city of Jerusalem. Mention should be made here of the massacre on 9th April, 1948 by Israeli extremist elements of hundreds of women and children in the Jerusalem Arab suburb of 'Dayr Yasin'. This, coupled with the military defeats and lack of political leadership on the part of the Arabs, caused their general demoralisation. By the middle of May, 1948 an estimated 200,000 Arabs had already fled their homes seeking sanctuary in neighbouring countries. The Jews on their part had begun to establish their authority over the zones occupied by terrorism and they consolidated their hold over the coastal plain and eastern Galilee. A provisional national council of Jews elected a provisional cabinet, with Ben-Gurion as premier and minister of defence. On The 14th May, 1948 this Jewish cabinet announced the creation of the

so-called state of Israel in Palestine.

After the announcement of the creation of Israel by Zionist terrorists, units of the regular armed forces of Jordan, Syria, Lebanon, Iraq and Egypt, together with a minimal force from Saudi Arabia, were sent to Palestine for combat with Israel. The secretary general of the Arab League stated that time that because of the end of the Mandate there was no legally constituted authority to administer law and order and offered necessary protection of life and property. The conflict had been started by Zionist aggression and imperialistic motives. The Arab states proposed to restore peace and law and order and then hand over the government to the Palestine Arabs. Initially the Arabs had a military advantage, however with the lapse of time the Israelis were able to acquire arms from Europe and elsewhere. A number of Jewish veterans of World War II were also recruited in the Israeli Army. Although the security council ordered to observe a truce, continuing state of tension and conflict between the Arab countries and Israel became the dominant feature of Middle East after 1948, as a result of the manner in which Israel was brought into being and a result of the behaviour of the new Israelis. On the 11th May, 1949 Israel was admitted to the United

National Home in Palestine. The Mandate also recognised the Jewish Agency as a public body to co-operate with the Palestine government in such matters as may effect the establishment of the Jewish population in that country.

The area in question had been inhabited by the Arabs continuously, and at the time of the establishment of the Palestine Mandate 90 percent of the population in Palestine were Arabs. According to the statement of the Jewish Agency itself prior to the early 1880's there had hardly been any Jews in Palestine. The period between the two world wars was used by the Zionists to increase the Jewish population by immigration so as to obtain a Jewish majority in Palestine. It is pointed out that, whereas in 1918, the Arabs out-numbered the Jews by ten to one, by 1938 they only out-numbered them by two to one. The persecution of Jews in Europe undoubtedly increased the Jewish migration into Palestine. The Mandate mentioned that the permission given for Jewish immigration and land settlement was not to prejudice the rights and position of other sections of the population. But these promises were disregarded by the British in the interests of the establishment of the Jewish National Home. It is difficult to see what the moral

or legal grounds were for carving out such a home from Palestine which was essentially Arab?

The ruthless measures adopted by the British to suppress Arab protests against the increasing Jewish immigration into Palestine, are evident from the following statements :

"In April 1936, the Palestine Arabs declared a general strike which lasted for nearly six months in spite of every attempt by British authorities, through military force and reprisals, to crush it, huge concentration camps grew up after the well-known Nazi pattern. The British government has pursued and is pursuing a ruthless policy of destruction and killing thereby seeking to crush the national struggle for freedom. Methods which are even worse than those employed in the Black and Tan era in Ireland are being practised in Palestine and a heavy censorship hides them from the rest of the world. Yet what comes through is bad enough. I have read of Arab 'Suspects' being herded together by the British military forces in huge barbed-wire enclosures called iron cages, each of these cages holding 50 to 40 prisoners, who are fed by their relations, literally like animals in a cage".⁽¹⁾

(1) Glimpses of World History.

form a settlement in Palestine, this, was refused them by the Sulthan and they in turn refused an offer by the British of a settlement in 'Uganda'. Until the outbreak of the First World War in 1914 the Zionists centered the activity of their organization in Germany. With the Division of Europ into two hostile camps, another centre was formed in London under the leadeship of Dr. Chaim weizmann. A similar centre to the English one was founded in America under the leadership of Justice Brandeis.

At this time the Zionists were concantrating on obtaining from the Allies a definite promise to create a Jewish state in Palestine. During the course of the First World War, the British became increasingly sysmpathetic to zionist aspirations for the creation of a national home, primarily on the grounds that zionist money, talent and sympathy were required both in Europe and the United states for the promotion of the Cause of the Allies. In 1914 Dr. Chaim Weizmann promised Jewish support in the war in return for a British promise of support for zionist claims. Zionist claims included Palestine, the present territory of Jordan and the Gaza strip.

The Zionists also worked for an exclusively British Post-war admini-stration in Palestine. Prior to world

war I Palestine was a part of the Ottoman Empire, and the whole area now constituting Syria, Jordan and occupied Palestine (Israel) was commonly referred to as 'Syria'. After the first world war the territories of Lebanon, Syria, Palestine and Trans-Jordan were established. After the war these former Turkish provinces were converted into Mandates as provided for in the Covenant of the League of Nations. The Mandate for Syria and Lebanon was allotted to France and the Mandate for Iraq (Mesopotamia) and Palestine were given to Britain. This decision was taken at the Sanremo conference of the principal Allied powers, on 25th May, 1920.

The Palestine Mandate was thus generally framed in the interests of the Zionist movement. On 2nd November, 1917, the British Cabinet approved the issue of the well-known 'Balfour Declaration' which was essentia'ly a declaration of support to zionist aspirations. The declaration was subsequently endorsed by the other Allied and Associated powers. The substance of the declaration was also incorporated in the Mandate for Palestine. The Mandate made Britain responsible for facilitating the establishment of such political, economic and administrative conditions as would secure the establishment of a Jewish

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

S A F A R
1 3 8 8

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

M A Y
1 9 6 8

14th MAY, 1948

— A Blot on the History of the Humanity

B Y

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

On the 14th May, 1948, Ben-Gurion, Chairman of the Jewish Agency, proclaimed the establishment of a Jewish State in Palestine to be called Israel. Sixteen minutes after Ben-Gurion's declaration in Tel Aviv, President Truman of America announced de facto recognition of Israel. The aggressive nationalism of Israel, backed by American dollars and world imperialism, remains dangerous not only for the Middle East countries concerned but for the peace and security of the world. At this juncture it is necessary to recount briefly the history of the Palestine question.

The seeds of the present tension in Middle East, were sown at the beginning of the 20th century,

when the proposal of the Zionist movement to create a 'Jewish National Home' in Palestine received the sanction of the British Government. The subsequent conflicts, violence and tension in the area can all be traced to this decision on the part of the British, who were awarded the Mandate for Palestine at the conclusion of the First World War.

In the late 19th century there was much anti — semitism in Europe and an outburst against Jews in Russia. These were some of the factors which encouraged Zionism and caused Theodor Herzl to establish the world Zionist Organization in Basle, Switzerland in 1897. At this time the Zionists asked the Turks to allow them to

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٣٠ من صور البطولة والقداء		٨١ الإيمان وحده كان سر الفتح	
للأستاذ محمود محمد شبكة		للأستاذ أحمد حسن الزيات	
١٣٣ انتشار الإسلام في جيلان - ٢ -		٨٥ «الواو» التي قيل إنها زائدة وليست كذلك - ٢ -	
للدكتور حامد غنيم أبو سعيد		للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج	
١٣٩ استيطان اللغة العربية في مصر - ١ -		٩٥ وأأسفاه على القديس !!	
للدكتور أحمد مختار عمر		للواء الركن محمود شيت خطاب	
١٤٥ قيس بن سعد - ٢ -		١٠٢ دعوة «هود» إلى الدين والدنيا	
للأستاذ محمد محمود زيتون		للأستاذ عبد اللطيف السبكي	
١٤٨ بين الأديين العربي والإغريق		١٠٨ السلام والحرب في الإسلام	
للأستاذ محمد مفيد الشوباشي		للأستاذ مصطفى محمد الطير	
١٥٤ الكتب:		١١٤ طريقة القرآن في الدعوة والإقناع - ٣ -	
المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم		للأستاذ أحمد مهنا	
عرض وتعليق الأستاذ سعيد زايد		١١٨ قضية السجع ونظم القرآن الكريم - ٣ -	
١٥٨ أنباء وآراء		للدكتور محمد أحمد الغمراوي	
للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى		١٢٥ الامل النفسى في صلة الأرحام	
		قصة واقعية ذات مغزى	
		للدكتور محمد رجب البيوى	



English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — 14th May, 1948		
— A Blot on the History of the Humanity	A. M. Mohiaddin Alwaye	1
2 — Who Can Teach Adults ?	Dr. Ibrahim M. Shalaby	7
2 — The Basis of the Ethical System		
in Islam - II	Abdul Wadood Shalaby	11
4 — The True Believer	Soliman Barakat	15

مطبعة الأزهر

الثن أربعون مليا

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِيَّةِ

مجلة شهرية جامعية

بَقِيْدُهُ عَنْ شَيْخَةِ الْأَنْزَهَرِيَّةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

«العنوان»

إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بدل الاشتراك»

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية

وللمدرسين الطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث - السنة الأربعون - ربيع الأول ١٣٨٨ هـ - يونيه سنة ١٩٦٨ م

السلامة والسلامة

في ذكرى المولد

محمد المجاهد

بقلم : أحمد حسن الزيات

يأكلون الربا ويشربون الخمر ويلعبون الميسر
ويأتون المنكر ويقسمون أرزاق الناس
على مقتضى السيادة والقوة ، فكان محمد الصبي
في غمرة هذا الجهل العارم ، وسطوة هذا
الفساد المعدى ، يحصن نفسه من شرور هذه
البيئة بمجاهدة النفس ومغالبة الشرك ، فلم
يكذب في قول ولا فعل ، ولم يشارك في لهو
ولا مذكر ، ولم يعن وجهه لصنم ولا وثن ،
ولم تمتد عينه إلى متعة أو زينة . وتلك هي
فطرة الله التي فطر عليها العقول السليمة ،
تهيأ لها بروحه ، ومال إليها بطبعه قبل أن
يقول له الله عز قوله : « فأقم وجهك للدين

كان محمد رسول الرحمة صلوات الله وسلامه
عليه مجاهداً طوال عمره : جاهداً الرجز
في نفسه من يوم شب إلى يوم بعث ، وجاهداً
الشرك في قومه من يوم هاجر إلى يوم قضى .
ولد صني الخالق وصفوة الخلق في مهد
اليتم والفقر ، لا يجد الدفء كمن له أم ،
ولا العطف كمن له أب ، ولا اللبن كمن له
مال . ثم درج في بيئة ارستقراطية لا ترجو
لله وقاراً ، ولا تقيم للضعيف وزناً ، ولا
تبذل للفقير عوناً ، ولا تجعل الشأن في الحياة
إلا للتكاثر بالمال والولد ، والتفاخر بالغزو
والغلب ، والتدفق في اللهو والباطل . فهم

يجد الكفاف حتى بعد أن ملك الحجاز ونجداً
واليمن، وجب الجزيرة وما داناها من العراق
والشام، فكان ينام على فراش من آدم حشوه
ليف، ويبيت هو وأهله الليالي طوين
لا يجسدون العشاء، ويمكثون الشهر
لا يستوقدون ناراً، إن هو إلا التمر والماء.
ولما استعز به الله كانت درعه مرهونة
عند يهودى فى نفقة عياله ١.

ثم رأى بعد البعثة جرائر الفقر على العرب
من تضرية الغرائز وتمزيق العلائق ومعاناة
الغزو ومكابدة الحرمان وقتل الأولاد وخش
الربا وأكل السمحت وتطفيف السكيل وعنت
السكبراء وأثرة الأغنياء وفقد الأمن وانحطاط
المرء إلى الدرك الأسفل من حياة الهم، فكانت
بوادى جهاده فى الإصلاح الإلهى أن قلم أظفار
الفقر بالزكاة، وأسا كلوم الفقراء بالمواساة،
وقع بوائى البؤس فألف بين القلوب وآخى
بين الناس وسأوى بين الأجناس، وعصم
النفوس من القتل الحرام، وطهر الأموال
من الربا الفاحش، وعالج هذا الداء الأزلى
بما لو أخذ به المصلحون لوقاه شرور هذه
الحروب التى أمضت حياة الناس، وكفاهم
أخطاء هذه المذاهب التى قوضت بناء المجتمع.
ثم هبأه الجهاد النفسى الشاق إلى الجهاد
الإنسانى الأشق. فاتجه بروحه اللطيف الهادى
إلى الملأ الأعلى من فوق الجبل فى صمت حرام
الموحى، وفى سكون الوادى الملمم، وفى

حنيفاً، فطرة الله التى فطر الناس عليها،
لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولنكن
أكثر الناس لا يعلون، ولولا مجاهدة النبى
لنفسه منذ الحداثة لما تميز بالخلق الرضى
والرجولة الكاملة والشخصية المهيمنة والحياة
الوقور والحلم الرفيق والصبر المطمئن
والصفح الجليل واللسان الصادق والذمة
الوثيقة والجأش القوى والفؤاد الجميع، حتى
قال عن نفسه: إنما بعثت لأتمم مكارم
الاخلاق، وحتى قال الله فيه: وإنا لك لعلى
خاتم عظيم.

تألبت عليه عناصر الشرك فأصيب فى بدنه،
واتهم فى عقله، وأوذى فى أهله، وحورب
فى دعوته، وعذب فى صحبه، فما قابل ذلك
العدوان الجماعى الباغى إلا بعزيمة الإنسان
الأعلى، لجاهد بالصدق، وجادل بالصبر،
وجادل بالرأى، وصاوى باللسان. وكل هذه
الأمور إنما تصدر عن براعة الذهن وإعجاز
البطولة.

ثم جاهد الفقه وهو يافع بالعمل، فتمرس
بالحياة على أسلوب قريش، فرعى على بعض
أهله، وسعى لبعض قومه، ومضى يضرب
فى الآفاق إلى الاسواق يسكسب لعمه وينمى
ثروة زوجه. ثم استعان على الفقر بالزهد
حتى أصبح الصبر عليه معنى من معانى العبادة
فى حياته، وعلاجه فى الناس جزءاً من حقيقة
الجهاد فى رسالته، فأثر أن يظل فقيراً لا يكاد

والمون والمعاباة والمقاطعة — وكل قريش كانت يومئذ أبا لهاب إلا من حفظه الله — وافتن شياطين مكة في أذى الرسول ليحمله على ترك هذا الأمر فما استكان ولا تردد . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه في (الندوة) فقرر القتل ، وتدخل الله بروحه في (الغار) فقدر النجاة . انطلق محمد وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين في الطريق الموحش الوعر حتى بلغ يثرب ، وهناك طابت الأرض للغرس الإلهي فزكا وأزهر وأثمر ... واستوثق الأمر للرسول ، فضم شتات الجماعة ووثق عقدة الدين وجمع أهبة الحرب وألف بين الأوس والخزرج وآخى بين المهاجرين والانصار وعاهد بين المسلمين واليهود حتى تكتسب في المدينة جيش الله الذي فتح الدنيا بفتح مكة .

* * *

استحال على قريش أن يفتنوا المسلمين عن دينهم بالإغراء والإيذاء فأخرجوهم من ديارهم وجردوهم من أموالهم فجاءوا المدينة ساعبين لاغبين لا يملكون الكساء ولا يجدون القوات ، فكان ذلك داعياً إلى أن يصادر الرسول عليه السلام تجارتهم الفاذية إلى الشام أو الآبية منها فحدثت بين المسلمين والمشركين موقعة بدر ، وتوالت بعدها الغزوات والسرايا يقودها الرسول بنفسه أو يرسلها بأمره بعد أن كتب القتال

غيابة الفضاء الرهيب ، يفكر في المملوك الدائم ، ويسبح للجلال القائم ، ويفنى في الوجود المطلق ، حتى أوحى إليه في هذا الغار بالرسالة والمعجزة ، فقام بأعباء الدعوة ثلاث سنين في طي الخفاء حتى نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، فعان بها قريشاً وبلغها أئمة الكفر ، لا يسنده سلطان ولا يؤيده جيش ولا يمهده مال . فنفروا منها نفور الوحش المروع ، ثم رأوا فيها سيادة الأسرة وخضوعاً لقانون وخروجاً على عرف ، فقابلوها بالعناد ، وعارضوها بالحجاج ، ودافعوها بالكيد ، فأذوا الرسول في نفسه وفي أهله وفي صحبه فما وهن عزمه ولا لانت قناته ، وإنما قابل الأذى بالصبر ، والسفه بالحلم ، والفظاظة بالرفقة ، وهذا هو الخلق . ثم قارع الجسد بالتحدى ، والمكابرة بالسيف ، والإغراء بالإيمان ، وهذه هي الرجولة .

وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر محمد وحده على العرب . وبهذا الخلق وهذه الرجولة انتصر العرب بعده على العالم .

حمل أبو القاسم رسالة الله ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان ، واستحالت مكة المشركة جبلاً من السعير سد عليه طريق الدعوة ، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون ، وتتسعر بالعذاب ، وتفجرت لمعنه من كل مكان سفاهة أبي لهاب بالأذى

ويجددون العزيمة ويراجعون الصبر ويصابرون العدو ويطلبون الشهادة حتى خنس الشرك واستخذت الجهالة وذلت قریش وفتحت مكة ، ووقف المجاهد الأعظم بباب الكعبة وهو يقول :

(لا إله إلا الله ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده) واستمر بعد الفتح المبين ببذل جهده الجاهد في سبيل الدهوة الهادية والوحدة الشاملة والإنسانية المعنوية : يحيش الكتائب إلى القبائل ، ويرسل الكتائب إلى الملوك ، حتى كان آخر أمر قضاة وهو يعاني مرضه الأخير أن دعا أسامة بن زيد وأمره أن يسير بمجيئه إلى غزو الروم ودعا له بالخير .

إن حياة الرسول دستور إلهي خالده لصاحب الدين وصاحب الدنيا ، وإن في قوله الصادق الخالد : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » ، تفسيراً لمرارة الأرض وتعبيراً عن سنة الحياة وتطويراً لطبيعة الإنسان . وإن من أساس الإسلام أن نطيع الله في كتابه ، وأن نطيع الرسول في سنته وآدابه ، وما كان في حدود الإمكان أن يرتطم العرب والمسلمون في مراغة الدل لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجاً ، ومن كلام رسولهم علاجاً ، ومن حياة السابقين الأولين من رجالهم قوة وقدوة ؟

أصغر من الزبائن

وشرع الجهاد : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير » ، « يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، « وقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين » .

وكان أمر القتال مقصوداً أول الأمر على قریش ومن مالاها من يهود المدينة ، فلما شاعتها قبائل الجزيرة قال الكتاب العزيز : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » . ولم يكن القائد الأعظم بنجوة من معارك الشرك وإنما كان يخوضها مع سيوف الله رابط الجأش صادق الجملة . وقد ثبت في الصحيح أنه كان أشجع الناس وأصبرهم على البأس وأولهم في الكر على العدو ، ولم يعهد عنه أنه أدبر في معركة من المعارك التي خاضها على كثرتها . قال العباس بن عبد المطلب : فر المسلمون يوم حنين إلا رسول الله فقد طفق يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكنفها كي لا تسرع . وقال هلى ابن أبى طالب كئداً إذا حمى البأس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله فما أحد يكون أقرب إلى العدو منه .

ولقد ابتلى الرسول والمؤمنون بالهزيمة في بعض الغزوات فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا وإنما ظلموا على ثقة بموعود الله الذى منه النصر وإليه الأمر وفي سبيله الجهاد يعالجون الهزيمة ،

”الواو“ التي قيل إنها زائدة وليست كذلك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن ستاج

— ٣ —

« نظرة فيما قدمناه من أقوال العلماء : في آية آل عمران ،

قدمنا ما يقوله الطبري في تفسير الآية الكريمة . وبالتأمل فيه يرى :
وفي العفو عنه على كفره ، عوضا عما الله محل به من عذاب .

أولا : أنه كلام مبهم ملفوف بعضه على بعض ، متداخل بعضه في بعض . وأنه كان ينبغي أن يكون على وجه آخر من البيان ، يتجلى فيه ما يتطلبه تفسير الآية من الدقة والتحقيق .

وثانيا : أنه اشتمل على إضافة لا تدعو إليها حاجة . بل هي شيء قد يكون ضرره أكثر من نفعه ، كما سيأتي بيان ذلك كله :

« أما الأول ، — فإن ابن جرير — في تفسير قوله تعالى : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدكم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به » — قال مانصه : « فلن يقبل بمن كان بهذه الصفة في الآخرة ، جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها فرشا ، وجزى على ترك عقوبته ،

وبعد هذا يجعل « الطبري » من قوله

تعالى : « ولو افتدى به » جملة شرطية تامة ،

قد حذف جوابها للعلم به ، ودلالة الواو

— كما يقول — عليه ، وتقديره : « ولو افتدى به

لم يقبل منه » .

وفي هذا يقول مانصه : « وأدخلت الواو —

في قوله : « ولو افتدى به » ، لمحذوف من الكلام ، بعده ، دل عليه دخول الواو كالواو في قوله : « وليكون من المؤمنين » :

شئ يصح الاستغناء عنه ، لا بل هو شئ قد يكون ضرره أكثر من نفعه ، فإن تعقيب الكلام بتلك الإضافة يشعر بالميل إلى القول بزيادة الواو ، التي وردت بالفعل في نص الآية ، وقد يغرى بالجنوح إلى هذا القول ، ما دام أن معنى الآية — كما يقول « ابن جرير » — كان يكون صحيحا لو لم ترد فيها تلك الواو .

وهناك أقوال ثلاثة تدور عليها اختيارات العلماء :

« الأول » أن تلك الواو زائدة ، وقد أورده الفسفي « أحد رأيين فيها ، إذ قال ما نصه « قيل الواو لتأكيد النفي ، فإن الظاهر من أنها لتأكيد النفي أنها زيدت لذلك .

ونحن لا ندرى كيف تكون الواو زائدة في كلام فصيح أو قول عربي صحيح ؟ ثم كيف تكون مؤكدة للنفي ؟ وما طريقة هذا التأكيد ؟

وهل عثر على ما يثبت جواز زيادة الواو في شئ من كلام العرب الموثوق بكلامهم ، وبصحة نسبته إليهم ، وأن ما قد يكون مأثوراً من ذلك لا يستقيم معناه إلا على أساس الزيادة ؟ لا نظن ذلك ، وقد عرفنا ما استند إليه أنصار القول بجواز زيادة الواو ، وبيننا أنه سند ضعيف واه ، ونهنا إلى الوجه الصحيح الذي ينبغي أن يحمل عليه ما استندوا إليه ،

وتأويل الكلام : « وليكون من الموقنين أريناء ملكوت السموات والأرض » . فكذلك ذلك في قوله : « ولوافتدى به » اه .

وبالنظر فيما قاله « ابن جرير » عن هذه الجملة الشرطية ، مع ما قدمنا له في تفسير الجملة التي قبلها ، يتجه السؤال الآتي :

ما الذي أفادته الجملة الشرطية من المعنى وراء ما تضمنته الجملة التي قبلها ، تلك الجملة التي أحاطت بمختلف الفروض في ذلك السبيل الذي يود فيه الكافر أن يبذل كل ما يقدر عليه من مال ليحصل على العفو عنه وترك عقوبته ؟

الحق أنه — على حسب التفسير الذي سار عليه « ابن جرير » — تكون جملة : « ولوافتدى به » لم يقبل منه ، في معنى الكلام المعاد ، فإن معناها قد تضمنته الجملة التي قبلها .

هذا ما يتعلق بالأمر الأول ، من الأمرين اللذين يؤخذان على تفسير « ابن جرير » ، أما الأمر الثاني — وهو أمر تلك الإضافة ، التي هي زيادة لاتدهو إليها حاجة — فهو قوله : « ولو لم يكن في الكلام واو ، لكان الكلام صحيحا ، ولم يكن هناك متروك ، وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به » فإنه افترض شئ لم ترد به الآية ، ولا يتوقف عليه تفسيرها ، فهو حينئذ

لهذه الآية قد خفي على صاحب ذلك التفسير، فقال فيها برأيه، لكن القول بالرأى لا يصح أن يطلق أمره في القرآن حتى يتناول الرأي الذي ليس له مسوغ أى مسوغ.

«القول الثالث، أن الكلام في الآية على تقدير المثل، فقوله تعالى: «فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به» هو على معنى: ولو افتدى بمثله معه.

وصاحب هذا القول قد استوحى تقدير المثل هنا من قوله تعالى: «ولو أن الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة».

(٤٧ من سورة الزمر)

ولعله استوحاه أيضاً من قوله سبحانه: «إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم».

(٣٦ من سورة المائدة)

لكن ورود كلمة المثل (في هاتين الآيتين ووقوعها منهما في الموقع الأصيل، لا يمكن ليسكون مسوغاً لتقديرها في آية آل عمران) التي معنا، حيث لا موقع لها فيها، وحيث لا يدل عليها دليل.

لأنه لا يصح بحال أن يدعى في آية أن الكلام

ولكن على أساس أن الواو أصلية وليست بزيادة.

ونكتفي بهذا في إبطال القول بالزيادة.

القول الثاني: أن الكلام في الآية محمول على المعنى، وأن قوله تعالى: «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به» معناه «فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً». أى فيكون في الآية تقديم وتأخير. وبتعبير آخر أصبح وأصرح: يكون فيها «القلب» أى قلب الوضع الأصلي، الذي أشار إليه ذلك الوجه من التفسير.

وهنا نقول: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم ترد الآية على ذلك الوضع الأصلي؟ ولماذا اختارت أن تكون على ذلك الوجه المقلوب؟ لماذا لم تقل الآية: «فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً» حتى تكون مستقيمة لأداء المعنى الذي يريد منها صاحب الكشف؟

إننا نحشنا وبذلنا أقصى الطاقة في البحث لعلنا نعثر على ما يمكن أن يكون وجهاً سديداً لتفسير الآية، ذلك التفسير العجيب، لكننا لم نجد لذلك من أثر، ولم نعثر على سبب معقول يبيح القول بأن الآية مقلوبة الوضع، اللهم إلا شيئاً واحداً هو أن المعنى الصحيح

ويضرب للسألة العويصة والقضية الصعبة المشكلة ، التي يعز وجود من يفصل فيها فصلا حكيمًا ، كما كان يفعل في القضايا على بن أبي طالب ، فهو في تقديره ولا مثل أبي حسن لها .

ولكن قد يقال : لماذا كان الكلام في هذا المثال على تقدير لفظ مثل (أليس يمكن أن يكون المراد أبا حسن نفسه ، ولا شك أن المعنى على ذلك بين واضح) والجواب : - على ما قالوا - أن أبا حسن معرفة ، هو كنية على كرم الله وجهه ، والمعرفة لا تصلح أن تكون اسما (للا) التي تعمل عمل (إن) فلزم تقدير لفظ مناسب نسكرة لا يتعرف بالإضافة وذلك هو لفظ (مثل) (١) .

(١) هذا الوجه هو الذي يقتضيه التثنية بالمثال المذكور هنا في مقام تقدير لفظ المثل . وهناك وجه آخر لا يحتاج إلى هذا التقدير : وذلك بأن يؤول قوله : ولا أبا حسن لها ، باسم جنس يطلق على كل من يتصف بالمعنى الذي اشتهر به على رضى الله عنه ، ويكون المعنى : (قضية ولا فيصل لها) .

ومثل هذا يقال أيضا في : (لا هيثم الليلة للبطي) فهو على تأويل : (لا متقنا للحداء ولا محسنا للسوق أو الرعى) أى أن (هيثما) العلم يؤول باسم جنس على هذا النحو حتى يصلح أن يكون اسما (للا) .

ففيها على تقدير لفظ مطوى ، من غير أن يكون هناك دليل يدل عليه ، من الذى يستطيع أن يدعى أن لفظ (المثل) يلوح من بين الكلمات الواردة في آية آل عمران (أو أن معنى الآية متوقف عليه ، أو أن الضرورة قاضية بتقديره ؟

لكن الحال على خلاف هذا في الأمثلة التي أريد التنظير بها أو القياس عليها ، فإن الدليل قائم فيها على المعنى المراد ، وعلى تعيين اللفظ المطوى بالذات .

١ - وذلك أن من يقول (ضربت ضرب فلان) لا يريد إلا أنه ضرب مثل ضربه ، لأنه يستحيل أن يكون قد ضرب الضرب نفسه الذى كان من فلان هذا .

٢ - وكذلك إذا قيل : (أبو يوسف أبو حنيفة) فهو على تشبيهه أبى يوسف صاحب أبى حنيفة به ، في العلم والفقه وسعة الباع في الاجتهاد ، فأبو يوسف أبو حنيفة معناه أنه مثله .

٣ - وأما قولهم : (قضية ولا أبا حسن لها) (١) ، فهو قول جرى مجرى الأمثال ،

(١) يروى أن أول من قال هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حينما عرضت له قضية مشكلة ، فقد كان يرجو أن يكون حاضره فيها على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

٤ - ومثل هذا يقال في . (لا هيثم الليلة للبطي) فهو على تقدير . (لا مثل هيثم) .
وبهذا يتبين أن هذه الأمثلة لا يصلح التنظير بها ولا القياس عليها ، لتحقيق الفارق بينها وبين الآية التي هي موضوع البحث .

الوجه المختار في الآية :

هذا الوجه هو المقرر المعهود في (لو) الوصلية ، حسبنا أشرنا إليه في التمهيد ، ومقتضاه أن (الواو) في قوله تعالى : « ولو اقتدى به ، عاطفة ما بعدها على شرط مقدر ، هو نقيض ذلك المذكور بعدها وأولى منه بالحكم المصرح به ، فيكون تقدير الآية : أن الكفار الذين ماتوا على الكفر لن يقبل من أحد منهم ملء الأرض ذهباً لو لم يجعله فدية له من العذاب ، بل لو جعله فدية أيضاً .

ومعنى أنه لا يقبل منه ذلك لو لم يجعله فدية أنه لا يقبل منه لو كان قد تصدق به أو قدمه قرابة أو وجهه في أى وجه من الوجوه غير مریده الافتداء من العذاب ، فإذا كان لا يقبل منه ملء الأرض ذهباً لو أراد الافتداء به ، كما صرح الآية فأولى ألا يقبل منه في غير ذلك من الوجوه .

ببالة . أما رأى الزجاج وابن الأنباري - وهو الذي أورده كل من الزخشري والنيسابوري أحد احتمالات في الآية وأورده الفخر الرازي أيضاً أحد احتمالات ولكنه غير الوجه الذي خطر ببالة فهو من حيث الصناعة الإعرابية قريب من الوجه المختار هو عينه ، وذلك أن الوجه المختار وهو الذي سار عليه العلامة أبو السعود كما قدمنا مبنى على أن (لو) وصلية لا تحتاج إلى جواب خاص تصير به جملة مستقلة وليس بخلاف رأى الزجاج وابن الأنباري ، كما يتبين ذلك بشيء من التأمل .

وتحقيقه أن الكلام على رأى الزجاج وابن الأنباري - قد عطف فيه جملة : لو بشرطها وجوابها المقدر : (ولو اقتدى به أيضاً لم يقبل منه) على ما قبلها . أما على الوجه المختار فالمعطوف هو : (لو مع مدخولها وحده) على المقابل المقدر ، فيكون قوله تعالى : « ولو اقتدى به ، معطوفاً بالواو على مقدر معلوم ، وهو (لو لم يفتد به) كما بينا .

هذا - والمعنى المراد من الآية واحد على كلا الرأيين ، وهو أنه لا يقبل المال من الكافر في كلتا الحالتين .

والنتيجة أن قوله سبحانه « ولو اقتدى به ، ليست الواو فيه زائدة ، وليس الكلام فيه

وهذا هو معنى ما أورده الفخر الرازي أحد احتمالات ثلاثة ، وقال إنه شيء خطر

قيل إنه يريد : فإذا ذلك لا مهاء لذكره
فالواو زائدة .

ومنه أيضا ما قيل في بيت زهير بن أبي سلمى :
(٥) قف بالديار التي لم يعفها القدم

بلى وغيرها الأرواح والديم .
لأنه على معنى : (بلى غيرها) ولأن
الواو زائدة .

هذه هي خمس السكيات التي أردنا إيرادها هنا
وليس المقصود الحصر ، ولكنها هي التي
كانت حاضرة .

ونقول في الجواب عنها : إنه لا موجب
لجعل الواو زائدة في شيء منها :

(١) وذلك أن قول البائع للبشترى :
(وهو لك) معناه : (بعتك وهو لك) ، وإذا
لا تكون هناك ضرورة لجعل الواو زائدة
لغوا غير مفيدة شيئا ، فهي أصلية قد عطفقت
جملة على جملة .

ومن هذا القبيل ما نعهده يجرى بين الناس
في محادثاتهم ومحاوراتهم :

يبدى الرجل لصاحبه في أمر ما رأيا ،
أو يفضى إليه في ذلك برغبة ، فيقول له
صاحبه : (وهو كذلك) يوافقه على ما رأى ،
ويقره على ما رغب . فالواو في قوله :
(وهو كذلك) ليست زائدة ، وإنما هي
أصلية عطفقت هذه الجملة على معلوم من المقام ،

على مراعاة المعنى ، تلك المراعاة التي تؤدي
إلى قلب الوضع الأصلي الآكية . كما أنه ليس
الكلام فيه على تقدير (المثل) فإن هذه كلها
تسكفات لا حاجة إليها ولا ضرورة تقضيها
ولا موجب للخروج بالأسلوب - من أجلها -
عن المقرر في اللغة والمعهود في الاستعمال .

(تذييل)

(خمس كلمات ظن أن الواو فيها زائدة وهي
ليست كذلك) .

(١) قولهم : وربنا ولك الحمد .

جاء في اللسان في مادة (و) ما نصه :
قال ابن السكيت : قال الأصمعي : قلت لأبي عمرو
ابن العلاء : وربنا ولك الحمد ، ما هذه الواو ؟
فقال : يقول الرجل للرجل : بعني هذا
الثوب فيقول :

(٢) (وهو لك) ، أظنه أراد (هو لك) .
وقال أبو كبير الهذلي :

(٣) فإذا وذلك ليس إلا حينه
ولذا مضى شيء كأن لم يفعل

أراد : فإذا ذلك ، يعني شبابه وما مضى
من أيام تمتعه (أ هـ) .

ومن ذلك ما جاء في بيت الأسود
ابن يعفر .

(٤) فإذا وذلك لا مهاء لذكره
والدهر يعاقب صالحا بفساد .

فكأنه يقول له : (أنا أفرك على ما أبديت ، شأن الدهر أنه يعقب الصلاح بفساد (١) .
والامر في الواقع كما رأيت .

ه — أما بيت « زهير » فإنه يتبين مما قيل فيه إن الواو في قوله : « بلى وغيرها » ليست زائدة ، بل هي أصلية ، وذلك أن أبا عبيدة يقول : إن الشاعر قد أكذب نفسه ، فإنه بدأ فتنى أن الدار قد عفاها القدم ثم رجع فقال بلى ، أى قد عفاها ودورها وغيرت معالمها الرياح والأمطار (٢) .

ب — وكذلك الحال في عبارة : « ربنا ولك الحمد التي هي من صيغ العبادة المأثورة » فإنه لا مانع مطلقاً من أن تكون الواو فيها أصلية ، ويكون المعنى : « ندعوك أو نعبدك ربنا ولك الحمد » . وقد يرشد إلى ذلك قوله تعالى : « بل الله فاعبدوا كن من الشاكرين :

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٤٤١

دار المعارف .

د (٦٦ سورة الزمر .

(٢) لعل أبا عبيدة أراد أن يلتبس للشاعر عذرا في صنيعه هذا ، كما أثبت ذلك بعض شراح الديوان ، إذ قال : قال أبو عبيدة إن زهيراً تنى أولاً أن الدار قد عفاها القدم ، لما وقف عليها ورمى ببصره في جوانبها ، فرأى مسوقدا خفياً ، ونؤياً قد اندفن إلا أقله (والنؤى الحفير حول الخباء أو الخيمة لمنع السيل) . قال : فلما ظهر له ذلك استجذبت عنده فقال : لم يعفها القدم ، ثم رجع إلى نفسه فقال : « بلى وغيرها » الأرواح والديم ، وهو بهذا يريد أن يقول إنى إن كنت قد عرفت بها بذلك الأثر الخفى الذى ظهر لى فأنها تخفى على غيرى بمن لا يعرفها ، وذلك لدروسها وتغير معالمها بفعل الرياح والأمطار .

ج — وبيت أبى كبير ليست الواو فيه زائدة ، وإنما هي أصلية عطف ما بعدها على مقدر يفهم من المقام ، والتقدير : فإذا الحال الذى نحن فيه ، وذلك الحال الذى كنا فيه من قبل ، لابقاء لشيء منه ، ولا أثر له فى النفس إلا حين يكون ، فإذا مضى بوقته فكأنه لم يكن .

د — ومثل هذا يقال في بيت الأسود :

فإذا وذلك لا مهاء لذك كره

والدهر يعقب صالحاً بفساد

فإن الواو في : « وذلك » ، عاطفة ما بعدها على مقدر ، وأصله : فإذا عيشنا الحاضر ، وذلك العيش الذى مضى ، لا مهاء لذك كره أى لا حسن فى شيء منه ولا فضل ، ما دام

ويقول الأصمعي : « إن هذا قد جاء على عادة العرب ، فإنها تخبر عن الشيء ، ثم ترجع عنه ، فالشاعر أخبر أولاً أنه لم يعفها القدم ، ثم رجس فقال : بلى قد عفاها ، وذلك كما قال الطهوي .

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب
بلى إن من زار القبور ليبعدا
ومن هذا يتبين أنه سواء أ كان الأمر في بيت زهير ، على ما يقول الأصمعي . من أنه قد جاء على طريقة شعراء العرب : أنهم

يخبرون بالشيء ، ثم يرجعون عنه ، أم كان على ما يقول أبو عبيدة ، إن الشاعر قد رجس إلى حقيقة الحال ، بعد ما بنى حكمه الأول على التخيل والتوهم سواء أ كان هذا أم ذاك فلا سبيل مطلقاً اعتبار الواو في ذلك البيت

زائدة ، بل لا يكون لما قرره أبو عبيدة والأصمعي معنى صحيح ، إلا على أصالة الواو في ذلك البيت والله أعلم .

عبد الرحمن ناج

من إعجاز القرآن

يقول الله تعالى :

« وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ، قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » .

النحل الآية : (١٠١ - ١٠٣)

من ومنى ذكرى مولد الرسول :

محمد

وكرامة البشرية

للأستاذ محمد الدسوقي

١ — كانت البشرية قبيل مولد محمد صلى الله عليه وسلم قد ضلت طريقها إلى الله ، ففقدت حياة العزة والكرامة والفضيلة ، وعاشت حياة طابعها الفساد والانحلال والعدوان والطغيان .

إن الإنسان حين تنطمس بصيرته ، وينسى خالقه ينجر في تيار شديد من النزوات والآهواء ، ويطنى فيه عنصر الحيوانية طغيانا مروعا حتى يصير الإنسان كالأنعام ، أو أضل سبيلا ، وعندئذ لا يعرف حياة الحرية والكرامة ؛ لأنه أصبح عبداً لشهواته الباغية ، وعبودية الإنسان للشهوات والآهواء أشد فتكا بمعاني الحرية والعزة من عبودية الإنسان لأخيه الإنسان .

٢ — فلما ولد محمد عليه السلام كان مولده لإرهاصا بنهاية ذلك العهد المظلم في تاريخ البشرية ، وبداية لعهد جديد مشرق بالحرية والكرامة والفضيلة ، فقد بعثه الله إلى الناس كافة على رأس الأربعين من عمره برسالة العدل والمساواة والحق والخير والعزة .

بعث محمد ليعيد للبشرية كرامتها ، ويذكرها برسالتها ، ويقضى على كل ما قد يحول بينها وبين القيام بهذه الرسالة على أكمل وجهه وأكرم غاية .

لقد حررت رسالة محمد البشرية من إسار العبودية لغير الله ، فليس هناك إلا إله واحد

إن البشرية التي هجرت تعاليم السماء ، واتخذت الأصنام والأوثان آلهة من دون الله ، وآمنت بالعصبية والعنصرية ، وحكمت سياسة القهر والبغي ونصرة الأخ

سلفهم دون تدبر واع آيات الله ،
وخلوه من آية ما تشل حركة العقل في سيره
وانطلاقه .

٣ — وإذا كان الإسلام رسالة التوحيد
والنظر فإنه أيضاً رسالة الأخوة الإنسانية
والمساواة العادلة بين الناس قاطبة ، فالناس
مهما تباينت أجناسهم وألوانهم وتنامت
ديارهم وأوطانهم يرجعون إلى أرومة واحدة
« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما
رجلاً كثيراً ونساء » ، « كلكم لآدم وآدم
من تراب » .

والإيمان بهذه الحقيقة لإيمان بأن الكل
أمام الله سواء ، وأن الناس لا يتفاضلون
بالأشكال والانساب والمال والسلطان ،
ولكن بالنقوى والعمل الصالح « يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم
إن الله عليم خبير » .

وإعلان الأخوة والمساواة بين الناس
وأنهم جميعاً أمام الله سواء لا فرق بين حاكم
ومحكوم ، ولا بين سادة وعبيد ، إعلان بأن
الناس مقساوون في الحقوق والواجبات ،
وأن العصبية العنصرية من خلال الجاهلية ،
وأن هذه العصبية كانت وما تزال مصدر
امتهان لكرامة الإنسان .

يجب أن تعنوا له الجباه « وما أمروا
إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو » ،
« إن إلهكم لواحد ، رب السموات والأرض
وما بينهما » .

وعقيدة التوحيد هي السبيل اللائق للحياة
الآمنة الكريمة التي لا تعرف التسلط والقهر ،
ولا تؤمن بالخرافات والأساطير التي تغل
العقل البشري ، وتحصره في دائرة مغلقة من
الآوهام والأفكار الفاسدة ، ولذا فإن محمداً
عليه السلام برسائله العامة الخالدة قد رسم
لل بشرية طريق العزة والكرامة ، وطريق
الحياة المتجددة المتطورة .

إن الإسلام شريعة تجعل العقل مناط
التسكين ، وتفرض عليه أن يكون دائماً
ليجانباً يؤثر في الحياة ، وأن يكون مستعلماً
على الأهواء الفردية والنزوات الهابطة حتى
لا ينحرف عن الجادة في سعيه المثمر نحو
التقدم والنمو ، وليس أدل على ذلك من
دعوة القرآن — دستور الإسلام —
في آيات كثيرة للنظر والتفكير ، وربطه
بين الإشراف بالله وعدم التدبر والنظر
« ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا
الشیطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني
هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم
جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون » ، ونعيه
على الذين يلغون عقولهم وينهجون منهج

٤ - إن محمداً عليه السلام الذي جاء بهذه المبادئ السامية قد أيقظ البشرية من غفوتها وبدد الظلمات التي كانت تكسفت وجودها وتزرى بمكانتها ، وتجعلها أشبه بالقطيع في الغابة تقوده الشهوات الجائعة ، وتحكم علاقاته القوة الظالمة .

لقد وضعت تلك المبادئ البشرية على طريق الحياة السوى ، طريق الكرامة والعزة والقوة والفضيلة ، وكان المسلمون الأولون الدعاة الذين حملوا أرواحهم على أكفهم ، وانساحوا في الأرض ليوصلوا تلك المبادئ إلى الناس في مختلف الأصقاع والبلدان .

وابتدأت البشرية منذ أربعة عشر قرناً عهداً جديداً في تاريخها ، وقاد المسلمون حركات البعث والنهضة على تباين ألوانها ، وكانوا بحضارتهم التي تقوم على المذهب الإنساني وترعى خط الروح والجسد وتؤمن بالدين والآخرى المثل التي تحتذى ، ويكنى أنهم زودوا أوروبا التي كانت تعيش على فتات علوم الإغريق بأدوات التقدم والحضارة ، بحيث يمكن القول - دون إسراف أو مبالغة - بأنه منذ ظهور الإسلام إلى اليوم لم ينشأ في العالم أثر جديد لا يرجع إلى الحضارة الإسلامية بسبب قريب أو بعيد .

٥ - غير أن الحضارة الإسلامية - لأسباب لا مجال هنا لتفسيرها - أصابها

وتأكيداً لمحاربة العصبية العنصرية أو المذهبية بين القرآن ، أن دين الله واحد في أصوله ومقصدته ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا ، ووحدة الدين تفرض الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وتجعل التفريق بينهم ككفر بالله الواحد الاحد ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحدهم ونحن له مسلمون .

والإيمان بوحدة الدين في أصوله ومقصدته ، وعدم التفريق بين أنبياء الله ورسله ، هو السبيل لإنقاذ البشرية من أوزار التعصب الديني الذي جر على البشرية قديماً وحديثاً صنوفاً مختلفة من الصراع والقلق والاضطراب ، وأوضح مثل له اليوم ما تقوم به الصهيونية العالمية من نشاط محموم لتحقيق أحلامها العريضة في الوطن العربي .

إن اليهود بأسطورة الشعب المختار ، وتعصبهم للكرية ، ونازيتهم الشريرة التي لا تعرف عدلاً ولا رحمة ، ونظرتهم إلى غيرهم نظرة ملوثة بالحققد والكرامية والعداء ، سيدفعون بالبشرية إلى أتون حرب عالمية لا يعلم غير الله آثارها .

العلمية الرائعة ، حضارة مادية ، المادية لديها هي كل شيء . ولهذا فإن البشرية وإن سعدت بما قدمته تلك الحضارة إلا أنها شقيت بها أيضاً ، وآية ذلك سيطرة الخوف والجزع على الناس جميعاً من نشوب حرب لا تدع حيواناً ولا نباتاً .

٦ - وبعد فإن محمداً عليه الصلاة والسلام برسائله العامة الإنسانية الخالدة قد كرم البشرية أحسن تكميم ، ووضح لها طريق الحياة الآمنة الفاضلة ، وجنبها مزالق الهمجية والعنصرية وهي اليوم تعاني بعض ما كانت تعانيه قبل الإسلام ، فهي في حاجة إلى تلك المبادئ السامية التي ترد إليها أنها وتدفع عنها شره الانحلال والعنصرية والمادية ، وتذكرها برسالتها التي ناطها الله بها . وعلى المسلمين في هذا العصر تقع مسئولية جسيمة فهم حملة تلك المبادئ وأعلم الناس بها ، ولكنهم لن ينجحوا في القيام بهذه المسئولية المفروضة عليهم حتى يكونوا صورة حية واقعية لتلك المبادئ التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ؟

محمد المصطفى

المحرر الأول بالجمع اللغوي

الضعف والجود فتخلت عن الريادة والقيادة على حين أخذت الحضارة الأوروبية تشق طريقها وتفرض وجودها ، وتحمل منزلة الصدارة والزعامة ، ومع أنها حققت للبشرية خيراً كثيراً ، إلا أنها لم تحقق لها الأمان والأطمئنان والكرامة الإنسانية ، لأنها حضارة عنصرية تفاضل بين الناس على أساس من أشكالهم وأجناسهم ، وتجعل هذا سبيلاً للاستغلال والاحتلال والسيطرة والاستئلاء إن العالم يشهد اليوم صراعاً مؤلماً بين البيض والسود ، وفي أفريقيا تثن مناطق متعددة من وطأة الرجل الأبيض وجشعه واحتكاره .

وفضلاً عن النزعة العنصرية للحضارة الحديثة فإن طابعها المادي لم يجعلها حضارة إنسانية بالمعنى الكامل ؛ لأن الإنسان ليس جسماً مادياً فحسب ، ولذا فإن أية حضارة لا تلبى حاجات الإنسان المادية والروحية لا تكون حضارة إنسانية تحقق للبشرية الكرامة والعزة والأمن والسلام .

إن الحضارة المادية يجب أن تكون وسيلة لا غاية ، فإذا كانت غاية أضحت نفقة لا ففعة ولا بد أن تقود إلى الدمار ، وحضارة القرن العشرين بالرغم من مظاهرها الخلابية ومنجزاتها

فحاشا للفرلج

تبعات الإنسان محسوبة عليه وذلك هو العدل

للمستأذنه عبداللطيف السبيح

« واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ، وكانوا مجرمين » - آية ١١٦ هود .

وسخروها في استباحة المآثم والبخل بها
عن الحقوق .

ثالثا : أنهم كانوا فوق هذا الطغيان
ملازمين للإجرام كلما عرضت لهم فرصته .
ومن المعلوم - بداهة - أن من رضى هذا
لنفسه لا ينكره على غيره ، فكأن صاحب
هذا الظلم يعيش في ظلمات متراكمة من بين
يديه ومن خلفه .

ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله « وكانوا
مجرمين » ، استمروا على الإجرام ، وتلك
حالم التي انقضت عليها دنياهم ؛ ثم ماذا كان
لهم بعد هذه الوصمة التي سجلها الله عليهم ؟
كان لعيشهم أجل ، ولدنياهم نهاية ، ولترفعهم
عاقبة .. فذلك كله كان شؤماً عليهم ،
وهلاكاً حاق بهم ، وكانت عاقبة مكرهم أن
الله دمرهم أجمعين .

وهذا التدمير لم يكن على لون واحد ..
بل كان صنوفاً من البلاء ، وألواناً من

١ - في كل مقام من مقامات القرآن يجد
القارىء له ، والناظر فيه توجهها إلى اليقظة ..
وإشعاراً بأن تبعات الإنسان في مسلكه محسوبة
عليه في موقفه بين يدي الله .. فلا هو مفلت
منها .. ولا هي تحمل عنه إلى غيره ... وكثيراً
ما تصادفنا آيات صريحة في هذا التحديد ..
نحو : « كل امرئ بما كسب رهين » ، « كل
نفس بما كسبت رهينة .. الخ .

وفي آية الموضوع حلة على أهل الظلم ..
ووصفهم بأنهم كانوا في دنياهم مغمورين
في نعمهم .. ومتابعين للترف ، والمتاع
المهيب لهم ، فلم يكن منهم شيء يحسب لهم
في الحياة الآخرة .

فهم أولاً : ظالمون لأنفسهم بالكفر ،
وظالمون للرسول بالكذب والإساءات .

ثانياً : مغمورون بضلال النعم ،
فلم يقدروها بالشكر عليها ، ولا راعوها
بحسن التصرف فيها ، بل استخدموها في البطر ،

نعم ، يجوز على الله - تعالى - أن يظهر حله لعباده ، ويفرق بالمذنبين منهم إلى وقت ما . وهذه رحمته التي يبسطها لنا بالليل ليتوب مسيء النهار . أو يبسطها لنا بالنهار ليتوب مسيء الليل وهكذا إلى أمد .

ومقام الرحمة مقام فضل وإحسان . . فهو يهب لنا من فضله وإحسانه ما يشاء بكرمه هو ، وبحكمته . وأما ظله لنا في العذاب ، أو إهلاكه لبعضنا من غير انحراف لنا . فذلك هو المستحيل في حقه - تعالى - .

ربما صادف البعض منا بلاء سيئا ولا يدري سببه . . أو نزل المكروه بأناس ، ولا نعرف لهم ، ولا منهم تعرضا لأسبابه . . وربما خطر بالبال شيء من العجب لذلك . ولكننا نحسن لا نحيط بعلم الله دائما . ولا نقف على أسباب القضاء في كل شيء . . فإن ظهر لنا سبب من ناحيتنا أدركنا الحكمة ، واقتنعنا بالعدالة ، ورضينا . . ثم عدلنا عن التسبب فيه مرة أخرى .

وإن لم ندرك للقضاء أسبابا من ناحيتنا ؟ رجعنا إلى الله في حكمته ، وآمنا بقضائه . . لأن المرجع إليه . . كما منه البداية .

وهذه سنته فيما ذكر لنا من شأن عباد السالفين . . وفيها توعية ، لا يأذن الله أن تغفلها ، فإن الغفلة هي رأس البلاء كله . .

العذاب ؛ وكثيراً ما نقرأ عن تلك الألوان من العذاب آيات رهيبة . تهتز لها القلوب لو كانت خاشعة .

٢ - وفي سياقنا الآن لا يذكر نبأ الهلاك بخصوصه لأنه معلوم من سياقات كثيرة . بل يغنينا عن إعادته أن الله - سبحانه - يؤكد لنا عدله فيهم ، والعدل مع المجرمين لا يكون بالعفو عنهم ؛ لأن العفو عن المجرم المسيء إقرار للفساد ، وتشجيع على المآثم ، والله لا يحب الفساد في دينه . ولا في ملكه ، ولا بين خلقه .

وذلك العدل الذي يؤكد لنا ربنا هو قوله تعالى بعد الآية مباشرة « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

فإذا كانت لنا جنبايات على أنفسنا ، وانحرافات عن ديننا : فإن عدل الله لا يفلتنا من حساب إن شاء ، ولا يتجاوز بنا جزاءنا على ما فرط منا ، وعدل الله مقدس عن ظلمنا في جزائنا ، وقد حرم الله الظلم على نفسه ، بل حرمه علينا فيما بيننا مهما يكن الظلم تافها .

٣ - فستحيل عقلا على الله تعالى أن يهلك أمة من الأمم ، أو قرية من القرى حالة كونها مستقيمة على دينه وصالحه . مسلك الإصلاح في حياتها ، وفي مجتمعاتها . فكلما أخذنا بذنبه . .

الناس فيما يؤول شأنهم إليه . وإن كان هذا الجواب من باب التقريب .

والتحقيق الذى يفتى إليه بحث العلماء أن كل عبد من له اختيار مبنى على إرادته الشخصية ، ومقتضى ميله الذى هياه الله له أن ينجح إلى ناحية الخير ، أو ناحية الشر باعتبار له إنسانا له عقل وتميز .

وقد ذكرنا عند مناسبة سابقة أن علم الله - تعالى - سابق على وجود العبد فى دنياه . وهذا العلم السابق يحيط باختيار العبد الذى سيختاره فيما بعد .

فربك يعلم قبل وجودك أنك ستختار بإرادتك العمل الفلانى . . فيرتب الله على هذا العلم السابق ما يكون منك فيما بعد . . فإذا خلقت . . واخترت ما تختاره فى زمنه كان هذا الاختيار موافقا لعلم الله فيما سبق . . فالعلم الإلهى كاشف سابق ، وموافق لاختيارك حتما (لأن العلم لا يتخلف) .

فإن كان خيرا فلك جزاؤه لأنك مستعد لاختياره ، وقد اخترته .

وإن كان شرا فعليك جزاؤه ، لأنك مستعد لاختياره وقد اخترته .

وتكون الخلاصة أن الله قسم الناس إلى ميول مختلفة وعلى حسب الاختلاف الطبيعى تتنوع الميول فإذا سألت بعد ذلك : لماذا لم يخلق الله جميع الناس على نمط واحد

والله - تعالى - لا يحب الغافلين . . بل جعلهم مضرب المثل فى الكفر ، وفى المآثم .

٤ - ونحن فى هذا الموقف من الحديث نواجه سؤالا يتردد عند كثيرين - هو :

إذا كانت تبعة الإنسان فى أعماله محسوبة عليه ؛ فهل يمكن أن يكون الناس جميعا على هداية فى مسالكهم حتى لا تكون عليهم تبعات ؟

أو يمكن أن يقع الناس جميعا فى الضلال ، حتى يتساووا فى تحمل المسئوليات ؟ ؟

وجواب هذا أن مشيئة الله فيصل بين الأشقياء ، والسعداء . وقد مرت بنا آية تقول : فأما الذين شقوا فى النار ، لهم فيها زفير وشهيق ، يعنى لهم عذاب حار مرهق . تخرج منهم الأنفاس اللهبية ، وتدخل فيهم الأنفاس اللهبية : فضلا عما هناك من ويلات شداد وعذاب من محموم .

ومرت بنا كذلك آية أخرى تقول : وأما الذين سعدوا ، فى الجنة خالدون فيها ما دامت السموات والأرض . . الآية .

فذلك تقسيم للناس فيما يؤول أمرهم إليه بعد الحساب . . ولا يتأتى أن يكون شأنهم واحدا كما يقرر القرآن ، وهو ما ندين الله به كما تقرر . .

٥ - ولكن السؤال الذى يتردد لا يزال يتطلع إلى جوابه عن إمكان التساوى بين

بمجال الاجتهاد في الفهم بيننا وتطبيق النصوص
المجتملة فالخلاف فيها لا يعد تناقضاً ولا خروجاً
عن الأصول الأولى ولهذا الاختلاف بين
الناس في عقائدهم تكون عاقبة ذلك أن يرحم
المحقين ، ويعذب المبطلين ، وهذا هو ثمرة
الاختلاف وتليجته بالنسبة لكل فريق منهم .
ومن أجل هذا الاختلاف نفسه ولأجل
ثمرته في الجزاء المتنوع الذي يناله كل منهم
لم تتعلق مشيئة الله بمجعل الناس جميعاً أمة
واحدة فهذه أقدار إلهية ، وحكم عالية ،
سبقتها أسباب معلومة من ناحيتنا وفيها حكم
مرموقة ، ذلك تقدير العزيز العليم .

هكذا سبق القضاء العلوي أن تمتلئ جهنم
وتمتلئ الجنة من خلق الله : من الجن ، ومن
الإنس . . وهؤلاء هم أتباع الغواية ، عشاق
المآثم فإنهم جنود إبليس ، المتعبون لنزغاته
ولن يكون منهم إلا غواة ، وأتباع ضلالات
كما أكد الله ذلك في قوله مؤكداً : **سخطه على**
إبليس وحزبه بقوله سبحانه : **لأملأن جهنم**
من الجنة والناس أجمعين ، **لأملأن جهنم منك**
ومن تبعك منهم أجمعين .

وليس معنى أجمعين دخول جميع أفراد
الثقلين ، بل دخول الداخلين من الصنفين ،
لا جميع الصنفين فإن من عباد الله من سبقت
لهم الكلمة الحسنى من الله فلا يقتربون من
النار أبداً ؟

عبد اللطيف السبكي

في الاستعداد حتى يكونوا جميعاً أهل طاعة
أو على غير طاعة .

فالجواب الذي لا يتغير - هو أنه خلقهم
على حسب ما سبق في علمه أنهم سيختارون
لأنفسهم ولذلك تراه يقول عن الكفار
في تشبيههم لهم بالبهائم : **ولو علم الله فيهم خيراً**
لأسمعهم . **ولو أسمعهم لتولوا** ، **وهم معرضون** ،
يعنى خلقهم طبقاً لعلمه عنهم أزلاً .

وبناء على ما يكون منهم . فإنه قدر عليهم
أن يفعلوا . . وهذا تحقيق ما يقوله العلماء .
وعلى هذا يكون الحساب على الاختيار
الحاصل .

ثم يبين الله أن الهداية لهم جميعاً لم تتحقق ،
لأنها معلقة على مشيئته هو ، ولم تتعلق بها
مشيئته فلن تحصل للجميع .

وبناء على ذلك يقول تعالى : **ولا يزالون**
مختلفين ، ، أى فيما بينهم على حق ، وباطل فيما
يعتقدونه من شأن الدين ، وعقائده ، وتعاليمه .
لأن من رحم ربك من عباده ، فهؤلاء
وإن اختلفوا في فروع الدين لا يختلفون
في أصوله التي تقوم عليها العقيدة كالإيمان
بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم
الآخر والقضاء والقدر .

وأهل الحق من الأمم ، ومن أمة محمد
على هذه الأصول ، لأن الله ورحمهم فعصمهم
من التناقض في هذا ، وأما الفروع من أمر
العبادات ، والمعاملات وغيرهما مما يتعلق

ميلاد الأمة

للدكتور على العمري

ما كان في آباتهم وأجدادهم من بجايا وأخلاق ،
فيأخذون منها ، وينشأون عليها ، فإن الأمم
كذلك تسرى فيها الأخلاق التي كانت
في خلاليها الأولى التي تكونت منها .

وقد كان الشعب العربي اللبنة الأولى
في بناء الأمة الإسلامية ، ومهما قيل في العرب
الذين عاشوا في الجاهلية من أنهم عبدوا
الأصنام ، وخضعوا لعادات وتقاليدهم
وأخلاق غير مرضية فإنهم — ولا شك —
كانوا — مع ذلك — خيراً من شعوب
كثيرة ، سبقتهم في التاريخ ، أو عاصرتهم ،
حتى خضوعهم للأصنام كان يهون من شأنه
لإيمانهم بقوة غيبية قادرة ، يدينون في الحقيقة
لها ، ويؤمنون بها ، كما تحدث عنهم القرآن
الكريم ، فجاء فيه على ألسنتهم في شأن الآلهة :
(ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

ولا كذلك شعوب أخرى بالغت في شأن
الآلهة ، وعاشت عيشة كاملة في الخرافات
والأساطير التي تتصل بهذه الآلهة .

فإذا تجاوزنا هذا الأمر وجدنا للعرب
أخلاقاً سامية ، وصفات كريمة ، وصفات
رفيعة قل أن توجد مجتمعة في شعب آخر ،
الشجاعة ، والكرم ، والوفاء ، وحماية الجار

لم يكن يوم الإثنين الثامن من ربيع الأول
عام الفيل ، الذي وافق التاسع عشر من
أبريل في سنة إحدى وسبعين وخمسة بعد
ميلاد المسيح عليه السلام — لم يكن هذا اليوم
إبداً برسول عظيم لحسب ، وإنما كان
— مع ذلك — إبداً بميلاد أمة يجمعها
هذا الرسول على الحق والخير ، وترسم لها
هداية السماء طريقاً محددة واضحة المعالم ،
مأمونة العثرات لتسير فيها .

ولم يكن أحد في مكة يدري إلا أنه ولد
طفل في بني هاشم ، وأنه أشاع السرور بين
أفراد العشيرة ومن يتصلون بها من الجيرة
والأصدقاء ، وأشاع كثيراً من الرضا في أهل
مكة لأنه سيكون ذكرى والده الذي احتضر
في ريعان الشباب بعيداً عن أهله وموطنه .

ولئن كانت الأحداث الغريبة التي لفتت
الأنظار في ذلك اليوم اُعْتُبرت فيما بعد
إرهاصات بقرب ظهور نبي جديد ، فقد
كانت كذلك إشارة إلى أن أمة جديدة ستغير
وجه التاريخ ، وستقدم للإنسانية زاداً من
الحضارة والمعرفة والتقدم ، على وشك أن
تأخذ مكانها في الوجود الإنساني .

وإذا كان الأفراد ينزعون في أعراقهم إلى

واستجابوا راضين لحل أمانة الدعوة، وحايثها وتبليغها، ففتحوا المالك وكانوا القدوة الحسنة في سياسة الشعوب وإشاعة الحق والعدل فيها تلك الشعوب التي كان دخولها في الإسلام إيماناً بفضائله من جهة، وإعجاباً بأخلاق مبلغيه من جهة أخرى .

والإسلام - ولا شك - هذب نفوس العرب وأزال عنها كثيراً من الشوائب ، ولكنه في الوقت ذاته لم ينزع من هذه النفوس كثيراً من الأخلاق ، بل إنه أبقى على الفاضل منها ، وسار بها في طريقها الصحيح ، وقد كانت مهمة الإسلام تكون أكثر مشقة لو أنه جاء لقوم حرّموا هذه الأخلاق الرفيعة ، لأنه كان عليه - حينئذ - أن يغرس في نفوسهم من جديد كل هذه الأخلاق التي سادوا بها في الجاهلية ، وفي ظل الإسلام .

ومن البديهي أن الذين استجابوا للإسلام في عهد الرسول ، والذين حملوا عنه أمانة الدعوة كانوا صفوة الشعب العربي ، ولا أدل على ذلك من سيرهم التي تحدثنا عن صفاتهم النفسية ، كما تحدثنا عن أمر الإسلام فيهم .

ثم كان الذين استجابوا للدين الجديد من الشعوب الأخرى هم صفوة تلك الشعوب ، ومن هؤلاء وهؤلاء تكونت الأمة الإسلامية التي ولدت في الحقيقة يوم ميلاد الرسول . ولهذا الأمة من الأخلاق والتقاليد ،

ونصرة المظلوم وما إليها ، حتى الأخلاق الذميمة التي شاعت بينهم لم يكن مردّها إلى ضعف في نفوسهم ، أو دناءة في طبائعهم ، وإنما كانت إمرافاً في أخلاق كريمة ، فالعزة والانفة ، والاعتداد بالشرف كل ذلك حملهم على أنواع من الأخلاق لم تحط من نفوسهم ، وإن كانت غير مرضية في سلوك الجماعات .

لذلك شاعت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون خاتم أنبيائه ، وأكرم رسله عليه ، وأفضلهم عنده ، أن يكون هذا الرسول من العرب ، أرسل إليهم ليمتلوا عليهم آيات الله ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وليجعلهم طليعة الأمة الإسلامية ، والجاهلدين لهذه الرسالة يبلغونها ، ويكونون - بأنفسهم - وبأخلاقهم الإسلامية ، وفضائلهم النفسية - هذه الأمة .

حقيقة . أن العرب ما كانوا يكونون شيئاً لو لم ينزل فيهم القرآن ، ويجيئهم هذا الرسول الأمين .

فقد كان من المتوقع أن يظلموا قبائل متفرقة متناحرة ، يسود بينهم الجهل والجهالة وتمخضتهم الأمم من حولهم ، وأن يظلموا أعداء متنافرين على شفا حفرة من النار كما تحدث بذلك القرآن ، ولكن من الحق أيضاً أنهم حين دخلوا في الإسلام ظهرت فضائلهم وتكشفت نفوسهم عن معادن كريمة ،

هذه الأمة خير البرية ، ومظهر ذلك أن هؤلاء المؤمنين اختاروا مع رسولهم الفطرة ، وهياها الله لهم ، وأعانهم على السير في طريقها والتجلى بما توجبه من جميل الصفات والأخلاق والعادات ، والعقائد .

فهم وسط في كل شيء ، لم يغالوا مغالاة بعض الأمم ، ولم يفرطوا تفریط بعضها الآخر ، فمن الأفراد والجماعات في الماضي ، والحاضر والمستقبل من يلتزمون طرفا واحدا من كل أمر له طرفان مذمومان ، قوم يعبدون المادة ويرون أن الحياة مال وجاه ومتعة ولذة ، وهو ولعب ، وقوم يقصدون الروحانية ، ويرون أن المادة وما يتصل بها دنس ينبغي أن يتزهد الإنسان عنه ، كان كل من هذين الفريقين في الشعب اليوناني ، فكان فيه أنصار مذهب اللذة ، وكان فيه أنصار التقشف والعزوف عن متع الحياة ، وكان ذلك في المذاهب الشرقية التي ظهرت في فارس وغيرها . وكان اليهود ولا يزالون يعبدون الذهب ، وكان كثير من المسيحيين في القديم يترهبون ، ويعزفون عن متع الحياة . وهكذا ولكن المسلمين كانوا وسيظلون أمة وسطا ما تمسكوا بتعاليم دينهم ، لا يرفضون الدنيا ، ولا يهملون الدين ، وهذا السلوك هو الذي يلائم الحياة الفاضلة ، الحياة التي تستطيع أن تخلد ، وأن تعطي أصحابها ، وتعطي الآخرين أسباب البقاء .

وأنواع السلوك ما يستنفد أسفاراً كباراً ، ولكننا نؤثر أن نتحدث هنا عن شيء واحد هو بعض ما وصف به القرآن هذه الأمة من صفات كريمة رفيعة .

يقول الله تعالى في سورة البقرة مخاطباً المسلمين : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ويقول في سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ويقول في سورة آل عمران أيضا : « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، ويقول سبحانه في سورة (المنافقون) « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . ويقول عز وجل في سورة (البينة) : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » . فهذه صفات أربع وصفت بها الأمة الإسلامية في القرآن الكريم ، أنها أمة وسط لا تفرط ولا تغالي ، وأنها خير أمة ، أو خير البرية ، وأن المؤمنين هم الأعلون ، وأن العزة لهم دون سائر الناس .

وهذه الأوصاف على وجازتها تبين مكانة الأمة الإسلامية من بقية الأمم ، ومظاهر هذه المسكاة ، وأسرارها ، فهذه الأمة (خير أمة) والمؤمنون الذين تتألف منهم

عن المنكر لبقاء بناء الأمة الإسلامية سليما وأن الناس كلهم في خسار (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وأزرى على اليهود وأخبر أن لعنهم جاء على ألسنة أنبيائهم لأنهم تغاضوا عن المسمى فلم يأخذوا على يده : (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

والإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح ، هما الأساسان القويان اللذان قامت عليهما هذه الأمة ، وكانت بهما خير الأمم ، فبالإيمان بالله كانت أمة عزيزة لاتذل لاحد لانها لاترى في الوجود أحدا (أكبر) وإنما الأكبر هو إلهها لا أحد سواه ، وكان أفرادها هم الاعلون لأنه لا ينبغي أن يكون أحد أعلى ممن يعتصم بحبل الله .

تلك هي الأمة التي كان مولد محمد صلى الله عليه وسلم إيدانا بمولدها ، وكان محمد بصفاته العالية ، وأخلاقه الرفيعة القدوة لها ، والأسوة وقد نشأت أمة كاملة منحت العالم في تاريخها الأول أفضل ما في البشرية من أخلاق العدل والإخاء والمساواة ، وظلت كذلك حقبا طويلة من التاريخ ، وإذا كان شيء من الضعف (بقية المنشور على الصفحة التالية)

والناس حين ينصفون في أحكامهم ، ويرجعون إلى ضمائرهم لا يجدون خيرا من التوسط في الأمور ، سواء كانت هذه الأمور مبادئ للسلوك ، أو وسائل لتحصيل العيش أو شعائر للعبادة .

وقد شرع الإسلام لإتباعه كل ما ينير لهم طرق السلوك في كل شئونهم ، مع خالقهم ، ومع الناس ومع نفوسهم ، وكان الاعتدال في الشئون كلها هو أساس هذه الشرائع .

وحين وصف القرآن هذه الأمة بأنها خير أمة بين سر ذلك في نفس الآية ، فهي أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

وهي بهذا السلوك الكريم الرفيع تحافظ على أن تبقى للدين الكلمة العليا ، وأن يظل أتباعه متمسكين به فيبقى لهم سر تفوقهم على الأمم ، وبذلك يشعر كل فرد في هذه الأمة أنه مسئول عما يفعله الآخرون حفاظا على الدين وتعاليمه ، وهذا يقتضى أن تكون عند الأمر الشجاعة والإيمان والإخلاص ، تلك التي تحمله على أن يرشد أخاه إلى الخير ، وينبهه إلى ما يقع فيه من شر ، وأن يكون عند المدعو السباحة والتواضع ، والرغبة في التزام منهاج الدين ، تلك التي ترفع من نفسه الغضاظة حين يأمره أحد أو ينهاه .

قد حدثنا القرآن في كثير من المواضع عن ضرورة الأمر بالمعروف والنهي

ذكرى ميلاد الرسول بين التوافق والواجب

لدأستاذ محمد الناري البدرى

الدعوة إليه ، وتجل الحق ولكنها تعجز عن نصرته ، وتعشق المعروف غير أنها تخشى الأمر به ، فالعالم يضطرب بالباطل ، ويتخبط في الضلال ويتردى في هوة من المنكر ، فلا تقر بهم إلا على صنم قد هام في صنم . هؤلاء القلة يرتقبون أن تنزل السماء بالرحمة ، وتجوّد بمن يبشر بالهدى ، ويهّدى إلى الحق ، ويأمر بالعرف ، حتى تنكشف عن البشرية الغمة وتنجلي الظلمة ، وتشرق الأرض بنور ربها .

وعلى استحياء من جلال الميلاد المحمدي سجل التاريخ أن بيت آمنة بنت وهب شهد في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل ميلاد وليد تهلل له وجه الحياة

مما سجله التاريخ أن أوصاف الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم تميزت في أذهان الأحبار وعقول الرهبان استقاء من التوراة والإنجيل ، فشغلوا أنفسهم به ارتقاباً لظهوره وحرصاً على الاستباق إليه والإستئثار به ، كل يطلبه لنفسه ويرجوه لغايته ، بينما هو لا يزال في ضمير الغيب قدراً ، بشر به الرسل ونوهت بذكره الكتب .

وغير الأحبار والرهبان أمم تموج بهم الحياة من المستضعفين والمستعبدين والمحرومين يرتقبون منقذاً يشرق به أمل ويتحقق رجاء .

وغير المستضعفين والمستعبدين والمحرومين قلة تعرف الهدى ولا تستطيع مواصلة

بقية المنشور على صفحة ١٨٤

الضلالة من أبناء البشرية الذين مزقهم الأهواء وتحكمت فيهم شهواتهم ، فأبعدتهم عن الطريق القاصد ، وحادت بهم عن الجادة ولن يجدوا المصباح الهادي إلا في تعاليم الاسلام ، ولا الأستاذ الموجه إلى الخير في غمهم الأمة الإسلامية ؟

على العمادى

والوهن قد تسرب إليها فإن ذلك عارض لا بد أن يزول ، لأن بين يديها ما يعيد لها مجدها ، عندها تعاليم هذا الدين الذى ولدت يوم ولد وهى تعاليم لن تبلى ، ولن يخلق الزمن جدتها ولن يأتى الناس مهما سمى عبقرياتهم بتعاليم أفضل منها ، فلا بد أن يكون لها المرجع في نهاية المطاف ، وستكون هذه الأمة هى القائمة بأمر الله ، وهى الهادية لتلك القوافل

كل ما تقع عليه عينه ، أو يلتقي عنده حسه ،
أو يطوف حوله خاطره ، أو يهديه إليه عقله
فهو شاغله وسبيله إلى ربه : في الشمس وضحاها
والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ،
والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ،
والأرض وما طحاها ... في الإبل كيف
خلقت ، والسماء كيف رفعت ، والجبال
كيف نصبت ، والأرض كيف سطحت ،

في نواميس الكون وسنن الوجود ، اهتداء
إلى المعبود الحق بالفطرة السليمة ، والروح
العظيمة ، والنفس الصافية ، والقلب الذكي .

ولم تترك العناية للتاريخ وحده أن ينقل
لل بشرية ذلك النمط من الصفاء والاهتداء
فسجله رب العزة في كتاب لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه فقال : « ألم يجدك
يتيمًا فآوى ، ووجدك ضالًا فهدى ، ووجدك
عائلاً فأغنى » .

وفي هذا الإطار القدسي صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم - بعين ربه - دنياه من
السعي والكسب والمعاناة ، أجمع ما تكون
الدنيا عملاً وكداً ، وأرق ما تكون الحياة
عفافاً وغنى ، وتهياً لدينه ورسالة ربه بطول
التأمل والمناجاة ، أصدق ما يكون التمييز
صفاء قلب والنشراح صدر ، وشفافية نفس
وإرهاق حس . فاصطفاه الله على خلقه ،
واجتباه لحقه واختصه برسالته ، حتى إذا

ساعة استهل ساجداً لله ، كأنما يبشر ،
بالتوحيد ، حتى إذا شاءت القدرة أن تذيب
على العالم بشرى مولده هزت مهده فاهتزت
عروش ، واضطربت تيجان ، وتحطمت
أوثان ، وتهدمت أصنام ، واستشعر الكون
كله رهبة سر عظيم يؤذن بحياة غير الحياة
ويدخر في صدر الغيب أحداثاً يعنو لها
وجه الزمان .

وتلقت العناية الحارسة والرعاية الحافظة
وليدها في أطوار نموه ومراحل تكوينه :
وهو رضيع تتجافى المراضع عنه وتفتقد
الخير والبر في يتمه وفقره ... وهو غلام
يرعى الأغنام لقومه ويسعى لاهله ... وهو
شاب يتاجر في مال خديجة بالأجر ليستغنى
وليستعفف . وهو في كل مرحلة وطور على
مأدبة ربه ، وفي كلاءة عصمته وحفظه ،
فزه من كل مبادل قومه ومساوىء أترابه
وأفاض عليه من محاسن الأخلاق ، وحميد
الصفات ما جعله سيداً في قومه بغير ثراء ،
شريفاً برفقة الأصل والمخلق ، مطاعاً بهيبة
الحق والجد ، محكماً فيهم بالأمانة ، مشهوراً
بينهم بالصدق .

وعاش محمد من عمر الزمن حياة كانت
قسمة بين طلب الرزق وطلب الحق ، يطلب
الرزق بالسعي الدائب الذي لا يعرف الملل ،
ويطلب الحق بالتفكير المستغرق في التأمل ،

هذه هي الذكرى ؛ لم تكن ذكرى ميلاد حل ووضع ، ولا جنين استهل ، ولكنها ذكرى ميلاد رسالة ورسول ، ومشرق عقيدة ودين ، وكال شرعة ومنهاج ، ونظام حياة وسلوك ، وتوفيق بين دين ودنيا ، وملازمة بين جسم وروح . ومن هنا كان جلال الذكرى ، وكانت الحفاوة بها أبعد أثراً مما اعتاد كثير من المسلمين ، وأعق مفهوماً مما درجوا عليه . لقد اعتادوا الاختصار في الذكرى على الشكل والمظهر والسرد والعرض ، ودرجوا على إبراز الصور الباهتة والأضواء الخافتة معرضين عن إيماءات القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ، مغفلين جوانب الممارسة والعمل ، ولهذا لم تخلف هذه الذكريات أثراً في هذه النفوس على جلالها وكثرتها .

وذكرى مولد الرسول العظيم — وهي ذكرى الذكريات — قد جمعت بين سلامة الاعتقاد وصدق الايمان وإخلاص العمل ، وتلاقت في رحابها الدنيا بالدين في كيان متكامل يدور في إطار من الوسطية والقصد ، فالحياة منفصلة عن الدين لا يستقيم لها حال ولا يقر لها قرار ، فخير لا دين فالحكم للهوى ، والسلطان للشهوة . والدين بعيد عن الحياة فراراً من مجالات نشاطه ومواقع عمله ، ففي سبيل الرقي بمفهوم الحياة عن

بدأ الرقى ، وأذن له ربه في البلاغ استأنف مرحلة أخرى من مراحل الذكرى يتجلى فيها رسوخ العقيدة وقوة العزيمة والفناء في المبدأ .. فلا ملاينة ولا مهادنة فتلك عقيدة ، ولا استكانة ولا مسالمة فإنه الدين ... ولا مواربة ولا مجاملة فهذا هو الحق ، ولا ضعف ولا تراخي في البلاغ رغبا أو رهبا ، فإنها لجنة أبدأ ، أو لنار أبدا .

وأعلن على المسلمين شعار الإصرار والصمود — وهم بعد قليل وجمع المشركين كثير — وقال : (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته) إلى تفلت الحقد وطبع الله على قلوب المتكبرين فائتمروا به ليقتلوه ، فهاجر إلى يثرب حيث اتسعت لدعوته ، وأوى إلى الأنصار وقد

شرح الله صدورهم لدينه ، وعاهدوا الرسول على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، حتى أكمل الله دينه وأتم نعمته ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وسبج الرسول بحمد ربه ، وأشهد الأمة على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال .. ونزل قول الله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

السييل ، وليزعن الله من قلوب أعدائكم
المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن .
قالوا : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا
وكرهية الموت » .

ولا مفر من ذلك الواقع المر لا بتصحیح
هذا التصور ليستقيم المفهوم الصحيح للإسلام
ففرق كبير بين العقيدة والاعتقاد ، والدين
والتدين ، وتدين الأحكام وتطبيق الاحتكام
إليها ، ومعرفة الحق والخوف منه ،
والإعجاب بالفضيلة وممارستها وتلك مسئولية
الحكومات الإسلامية ، وتبعة القوامين
عليها ، ويوم يصبح الدين حقيقة في واقع
الحياة نظاما وتخلقا وسلوكا ، في الفرد
والأسرة والمجتمع والدولة يصبح للاحتفال
بالذكريات الإسلامية معنى ، وأثر . وغاية
ويتحقق به معنى التكريم .

محمد النادى البدرى

المستوى البيمى كانت العقيدة ومن أجل
نموها ورقها كان الدين .

ومن عجب أن كثيراً من المجتمعات
الإسلامية تصوغ حياتها على تصور أن
العقيدة بالميلاد والوراثة والدين بالتعلم
والتلقين ، والشرعية بالتأليف والتدوين ،
والمجد بالفخر بالأجداد تصوروا ذلك
التصور وأقنعوا أنفسهم به أو غادعوا ،
ثم استسلموا لهذه الخدعة فلا حصلوا دنيا
ولا حصلوا ديناً ، وتلك علة ما هم عليه من
تشتت وضعف جعلهم نهياً لكل قوى ،
ومغنيا لكل طامع ، وحولة لكل متسلط ،
مع كثرة العدد ، ووفرة الرزق ، وبسطة
الثراء ، ولكنها الكثرة التي تنبأ بها صاحب
الذكرى إذ يقول : يوشك أن تداعى عليكم
الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا :
أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله : قال :
لا . بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء

« من ذكريات المولد النبوى »

قال المرحوم أحمد شوقي :

لولا دعاوى القوم والغلواء
فالكل في حق الحياة سواء

الاشتراكيون أنت إمامهم
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى

عظمة رسول الله

للأستاذ محمود محمد شبكه

شباب قريش مثلبا لقي محمد من التعظيم والتسكريم حتى صار حكما فيما شجر بينهم من خصومات ومنازعات ، وهذه قصة الحجر الأسود وما دار حول وضعه من خلاف كادت السيوف أن تخرج له من أعينها ثم كان هذا الحكم الذي استراحت له النفوس وحقنت به الدماء وقبلته الأطراف المتنازعة عن طيب خاطر ، والذي دل على بصيرة نافذة وعقل متفتح وقلب مشرق مضى ، ثم جاءت الرسالة الكبرى ونزل عليه قول الله سبحانه : (يا أيها المدثر ، قم فأندر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر) .

وهنا تظهر عظمة هذا النبي الكريم وتبدو واضحة جليلة في اضطلاع بالعبء ونهوضه بالرسالة وتحمله الأعباء والمشاق وما أكثر ما لاقى من متاعب ومشاق ، وما أشد ما قاسى من صدود وإعراض وما أسرع ما وضع الكفار أمامه العقبات والعراقيل ولكنه ثبت ثابت الأبطال ووقف شامخا صامدا كالجبل الأشم ، والشدائد دائما هي المحك الأصيل والميزان الدقيق الذى توزن به

نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه هو المثل الأعلى فى الكمال والإنسانية ، وسيرته حافلة بالجلال والفضائل . وبالمواقف الخالدة التى تكشف عن العظمة الأصيلة ، والنبل الحكام والحلق الكريم ، فلقد كان عليه السلام عظيما فى صباه عظيما فى شبابه ، عظيما فى جميع أطوار حياته ، عظيما فى تصرفاته وأفعاله ، وكيف لا يكون كذلك وقد اصطفاه ربه لينهض بالرسالة وليؤدى الأمانة ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فلقد أدبر ربه وعلمه واصطنعه لنفسه ، وعصمه من شرور البيئة ومفاسدها على كثرة ما كانت تزخر به مكة من مغريات وما كانت تفيض به وديانها وبطاحها من مفاتن يتردى فى حماتها الشباب التماسا للذة الفانية ، وطلبا للبتة الرخيصة ، بل كثيرا ما كان يترك مكة بما فيها ومن فيها إلى الوحدة والخلة والمناجاة إلى غار حراء ، حيث تصفو الروح ويطمئن القلب ويكون الاتصال بالخالق .

ولقد أكبرت قريش محمدا الشاب ورأت فيه السمو والعفاف والطهر فما سمعهم إلا أن لقبوه بالصادق الأمين ، ولم يلق شاب من

ثم جعل الرسول الكريم يعرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج داعياً إلى الإسلام متحملاً ما توجه إليه بعض هذه القبائل من رد قاس عنيف ثم ما بال عمه أبي لهب يتبعه أينما ذهب لينفر الناس منه ويحذروهم من دعوته والاستماع إليه ومع ذلك لم يكثرث رسول الله بالمشيطين والمخذلين بل كان ماضياً في دعوته جاداً في تبليغ رسالته وكلباً أمعنوا في الإيذاء ازداد إيماناً وثقة وعزماً فلقد كان عليه السلام مضرب الأمثال في الثبات والشجاعة والإقدام وهذا موقفه فيما بعد في غزوة حنين حيناً وقف وحده يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . وكان سيدنا علي بن أبي طالب يقول : (كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحلق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه) .

كما تظهر عظمة رسول الله في عفوه عن ظلمه وصلته لمن قطعته وإحسانه لمن أساء إليه فصاحب القلب الكبير هو الذي يسمو على الحق ويترفع عن الانتقام ولا يهمل في قلبه إلا الخير ولا يصدر عنه إلا ما تمليه شفافته ورقة قلبه ، وهكذا كان الرسول حتى في أشد المواقف هتافاً بالئسار وطلباً للانتقام ، وليس أدل على ذلك من موقفه من الأسرى في غزوة بدر فقد كان عمر يتحمس للقتل ،

الرجال ، وهي البوتقة التي تصهر فيها معادنهم ليظهر الخبيث من الطيب والجيد من الرديء ، ولقد تفننت قريش في إيذاء الرسول . أيما تفنن وألصقوا به ألواناً شتى من الاتهام ، وجربوا معه جميع أسلحة الشر من الإغراء ومن التهديد ومن التشهير كل ذلك والرسول ثابت لا يتحول ، قوى لا يتزعزع ، ماض في دعوته لا يتوقف ، وكانت فاطمة رضي الله عنها تبكي حيناً ترى آثار الأذى على أبيها ولكنها عليه السلام كان يطمئنها ويقول لها : (لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك) .

وقد رأت قريش حيناً أعيانها الخليل وأعجزتها السبل أن تجرب مع الرسول وصحبه سياسة التجويع والمقاطعة فحاصرتهم في شعب بني هاشم ثلاث سنوات طوال ، أصابهم فيها ما أصابهم من الجهد والتعب حتى لقد أكلوا أوراق الشجر وخرجوا من حصارهم وهم أشد صلابة وأقوى إيماناً .

ولما يئس رسول الله من أهل مكة ، ذهب إلى الطائف لعله يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية ونفوساً تستجيب للخير ولسكنه وجد صدوداً وإعراضاً ولم يفته الأمر عند هذا الحد بل انطلق وراء السفهاء والصبيحة يرشقونه بالحجارة ويرمونهم بالحصى ولكنهم ما ضعف ولا استسلم وما فقد الأمل بل كان يقول : (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) ،

ولا تقم على قبره لإنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ، ، وكان سهيل بن عمرو يهاجم الرسول في بذاءة وفحش فلما وقع أسيراً في يوم بدر وجيء به إلى الرسول أراد عمر أن ينزع ثيابه حتى لا يقوم خطيباً ضد الرسول ولكنه عليه السلام نهاه قائلاً : (لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً) . ولما قتل النضر بن الحارث يوم بدر رثته أخته قبيلة بقصيدتها التي تعتب فيها على الرسول أن قتل أخاها والتي تقول فيها :

ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة

وأحقهم لأن كان عتق يعق
ولقد تأثر الرسول من هذا الكلام وقال :
(لو جاءت قبل مقتله ما قتل) كما كان عليه السلام عظيماً في تواضعه هذا التواضع الذي يزيد العظم رفعة ويكسبه مهابة ، فلم يكن رسول الله ملوكاً ولا جباراً وإنما كان نبياً رحماً لين الجانب رقيق القلب يكره أن يسمي على أصحابه ويستأثر بشيء دونهم تحقيقاً لقوله سبحانه : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنتم غفلاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وكان يقول حينما يقوم أصحابه له تعظيماً وإجلالاً : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً إنما أنا عبد كل

ويرى أنه الاليق بهم جزاء وفاقاً لما قدموا ، أما أبو بكر الصديق فكان يرى العفو وقبول الفدية ، وقد جنح الرسول إلى رأى الصديق تمهشياً مع طبيعته التي تؤثر العفو .

ولذلك كان هذا العتاب الشديد من الله سبحانه : « ما كان أنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، وحينما رجع إلى مكة ظافراً منتصراً في عشرة آلاف مقاتل ومكته الله من رقاب أهل الشرك ورؤساء الكفر ، وقد آذوه وأخرجوه من مكة ظلماً وعدواناً ، وكان في مقدوره أن يشكل بهم وينتقم منهم ، ولكنه عليه السلام أطلق سراحهم وعفا عنهم وقال لهم تلك الكلمة الخالدة : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، وكذلك عفا عن وحشى قاتل حمزة وهو الذى قال حينما رأى عمه صريعاً ممشلاً به : (ما وقفت موقفاً أغبط إلى من هذا) ، وعفا عن هبار بن الأسود وهو الذى طعن زينب الكبرى بناته حينما كانت مهاجرة إلى المدينة أصابها إصابة قاسية ، وعندما مات كبير المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول صلى عليه ومشى في جنازته وقام على قبره سماحة وكرماً حتى كان هذا النهى من الله سبحانه : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً

وطاب من صنوف الشراب والطعام أما حياة محمد في بيته فهي كما قالت عائشة : (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتالين حتى قبض رسول الله) .

وعن ابن جبير قال . أصاب رسول الله جوع يوما فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : أأرب نفس طاعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، أأرب مكرم نفسه وهو لها مهين ، أأرب مهين نفسه وهو لها مكرم ، وتحدثت عائشة إلى ابن أختها عروة بن الزبير فقالت : والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قال عروة فقلت لها : يا خالة فم إذن عيشكم ؟ فقالت : يا ابن أختي كان معظم عيشنا بالأسودين التمر والماء ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دخلت يوما على رسول الله وهو مضطجع على خشن فجلست فإذا الحصير قد أمر في جنبه وإذا عليه إزار ليس عليه غيره ، وإذا أنا بقبضة من الشعير بمقدار صاع في ناحية من الغرفة ، فابتدرت عيناى بالبكاء فقال عليه السلام : ما يبكيك يا بن الخطاب ؟ فقلت يا نبي الله ومالي لا أبكي ؟ وهذا الحصير قد أمر في جنبك وهذا ملبسك عليك إزار وليس عليك غيره ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا هذه القبضة من الشعير وذلك كسرى

كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) ، وحينما ارتعد أحد الأعراب من هيئته قال له : (هون عليك فلست بجبار إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة) ، وكان عليه السلام لا يأنف أن يمشى مع المسكين والارملة والعبد ويقضى لهم ما يحتاجون ويتلطف مع الصبيان ويداعبهم ، فلقد روى عن أنس رضي الله عنه أن الرسول كان يداعب أخا له صغيرا اسمه عمير وكان له طائر صغير يقال له : النغير فكان يقول له : يا أبا عمير ما فعل النغير .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : دخلت السوق مع رسول الله ليشتري سراويل فوثب البائع إلى يد النبي ليقبلها فجذب يده ومنعه قائلا : (هذا ما تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك وإنما أنا رجل منكم) ، ثم أخذ السراويل فأردت أن أحملها فأبى وقال : (صاحب الشيء أحق بأن يحمله) ، وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عما كان يصنع الرسول في بيته قالت : كان بشرأ من البشر يخصف فعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ، فإذا حضرت الصلاة خرج .

أما حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته فهي في الواقع صورة صادقة للعظمة والقوة والانتصار على النفس فقد جرت عادة الملوك والرؤساء أن يحموا حياة فيها الترف والنعيم وأن تحفل بيوهم باللائث والرياش وما لذ

ذلك قلن بل نختار الله ورسوله ، ولم يكن الرسول الكريم يلزم نفسه بهذه العيشة الخشنة عجزاً عن المال أو قصوراً عن الغنى فقد كان لديه من موارد الرزق ما يجعله يعيش في رخاء ونعيم فآله سبحانه وتعالى قد جعل له الحق في خمس غنائم الحرب قال تعالى : **وَاَعْلَوْا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**) ، كما جعل الله سبحانه لرسوله نصيباً فيما حصل عليه المسلمون من أموال بدون قتال ولا حرب مثل فيء بنى النضير وما تركه بنو قريظة وفي شأن بنى النضير يقول الله سبحانه : **(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)** وفي بنى قريظة : **(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَابِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأُرِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُمُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)** ، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يؤثر بذلك فقراء المسلمين وكان يقول : اللهم أحيى مسكيناً وأميتى مسكيناً واحشرنى مع المساكين

محمود محمد شيبكه

مدرس بدار المعلمين بطنطا

وذلك قيصري يعيشان في الثمار والنعيم والشباب الفاخرة وأنت نبي الله وصفوته من خلقه ، فقال عليه السلام : **يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ ، منها ، وجاء رجل فسأله فقال : ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاء نا نا شيء قضيناه فقال عمر : يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره رسول الله ذلك فقال رجل : أنفق ولا تحش من ذى العرش إقلاقاً فتبسم رسول الله وشاع السرور في وجهه ، وعندما جاءت إليه فاطمة تشكو إليه ما تلقي من خدمة البيت وتسأله خادماً تساعد في بيتها أمرها أن تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لها : لا أعطيك وأهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وكذلك فعل مع نسائه حينما تطلعن إلى الخيبر الكثير الذى أثرت به المدينة وتمتع به أهلها ولما تحدثن بذلك إلى رسول الله أعرض عنهن واعتزلن شهراً حتى نزل قول الله سبحانه : **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمَتِّكُمْ وَأَسْرِحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُمْ تَرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مَنكُنْ أَجْرًا عَظِيمًا)** ولما سمعن**

يَوْمٌ غَيْرَ مَجْرَى النَّاسِخِ

لِلْأَسَازِ أَنْوَرِ الْجَنَدِي

انهارت في القرن الرابع حين أغار الوندال البرابرة على روما فأسقطوها واستقبات أوروبا فترة القرون الوسطى المظلمة ، بينما ظلت الدولة الرومانية الشرقية في بزنطة تقاوم وتصارع دولة الأكاسرة ، وتسيطر على الشام ومصر والمغرب كله ، وظلت مجوسية فارس تصارع مسيحية روما ، وانتصرت فارس على الروم وحكت الشام ومصر ووقفت على أبواب بزنطة ثم استرد الروم الشام ومصر كرة أخرى .

وبلغت اليهودية قمة الصراع مع المسيحية ، وبلغت المسيحية قمة الصراع مع المجوسية ، ثم أصابها جميعا الوهن حين ضعفت بزنطة وفارس ، وحين أصيب المجتمع بالترف والانحلال ، والبذخ حتى كان لكسرى ابرويز اثنا عشر ألف امرأة وخمسون ألف جواد وكان بذخ الإباطرة الروم يزدى ببذخ الأكاسرة ويفوقه يقول : (جيبون) مؤرخ سقوط الدولة الرومانية : في أواخر القرن السادس وصلت الدولة الرومانية في ترديها وهبوطها آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحه عظيمه كانت أمم العالم ، في حين من الأحيان تستظل بظلها الوارف فلم يبق منها إلا الجزع الذي لا يزداد كل يوم إلا ذبولا .

ميلاد لا نستطيع معرفة الاثر الخطير الذي فرضه مولد (محمد بن عبدالله) إلا إذا ألقينا نظرة فاحصة على مجرى التاريخ في هذه المرحلة وعرفنا كيف كانت البشرية تعيش يوم ميلاد محمد حاضرا مضطربا بلغ غاية الاضطراب والسوء ويتطلع إلى فجر جديد يتمثل في دعوة جديدة يحمل لواءها واحد من الهداة وترد الناس إلى الحق والعدل والتوحيد .

وكان الصراع قد بلغ أشده بين الأديان وبين الحضارات وبين الأمم القائمة في هذه المرحلة ، كانت اليهودية والمسيحية والوثنية الإغريقية الرومانية والمجوسية الفارسية في صراع متصل ، وقد تعددت المذاهب ، وثار بينها الجدل العنيف والسجال العاصف ، والمناظرات الصاخبة حول فرعيات المسائل ، وكانت الروم والفرس دولتا العالم القديم الكبيرتان في صراع وحروب مستمرة لا تتوقف ، تدبيل الفرس من الروم وتفقتصر عليها ثم لا تلبث الروم أن تنقض على الفرس فتسكتسحها وقد بلغ الأمر بالشعوب حد الفزع والضيق والمسغبة وبلغ أمر الأكاسرة والقيصرة أعلى حظوظ البذخ والترف والاستعلاء والظلم . وكانت الحضارة الرومانية الباذخة قد

ينظرون إليهم كآله ، فوق القانون وفوق البشر ، (النار) معبودهم وقد تصارعت عندهم إله النور وإله الظلمة ودعوات ماني ومزدك متصلة بدعوة زرا دشت أو منفصلة عنها .

أما البوذية فقد أصيبت بالانحطاط وابتلعها البرهمية فتحولت إلى وثنية تحمل معها الأصنام أينما سارت وتبنى الهيكل ، وتنصب تماثيل بوذا ، أما المسيحية الغربية فقد أقامت إطاراً مسيحياً حشدت فيه وثنية اليونان وقوانين الرومان وأما الجزيرة العربية فقد كانت معقل الوثنية حيث (هبل الأكبر من حول الكعبة) .

هذا هو العالم الذي واجه (محمد بن عبدالله) عند مولده ، عالم مضطرب غاية الاضطراب في عقائده ومجتمعه وحضارته . بلغ الصراع فيه غايته بين القوتين الغالبتين ، اللتين أنهكتهما الحروب ، وبلغ الجدل فيه غايته بين أديانه ومذاهبه ، الوثنية في أرجها ظلم الحسكام والاباطرة والاكاسرة . انحطاط مركز المرأة ، تسلط الربا في المعاملات ، شيوع الإباحة ، غلبة العصبية القبلية والدهوية عند العرب ، المملكية المطلقة ، فساد المجتمع ، إهمان الإنسان الانحراف الجنسي ، الطمع ، شهوة المال ، القسوة إلى حد الوأد وقتل الاطفال ، الاحبار والرهبان أرباب من دون الله . الملوك طغاة مستبدون هذا هو عالم ما قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم !!!

ويقول العلامة درابر : لما بلغت الدولة الرومية من القوة الحربية والنفوذ السياسى أوجها ، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات هبطت في فساد الاخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهديب إلى أسفل الدرجات .

انعد بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا إستهتاراً ، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع ، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ، ومن لهو إلى لذة ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الاحيان إلا ليبعث على شهوة الطعام ولم يكن إعتدالهم إلا ليطول عمر اللذة وكانت مواعيدهم تزهو بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر تحف بهم خدام في ملابس جميلة خلاصة وغادات رومية حسناء ، ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة . وميادين للهو واسعة مهم ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع ، ولا يزالون يتصارعون حتى يخر الواحد منهم صريعاً وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هناك شيء يستحق العبادة فهو القوة) .

وبالجملة فقد كان القرن السادس والسابع ميلاد المسيح من أخطر أدوار التاريخ بلاخلاف في ذلك بين المؤرخين حيث عمت الفوضى والانحلال وسوء النظام وهسف الحسكام ، فقد كان الاكاسرة ملوك فارس يدعون أن دما إلهيا يجري في عروقهم ، وكان الفرس

فيه ، ولقد كان محمد ، خاتم الانبياء والمرسلين وكان الإسلام ، خاتم الأديان وكان كتابه « القرآن » خاتم كتب السماء .

* * *

كانت النبوءات والكتب القديمة تؤكد أن عصر نبي جديد ورسالة جديدة قد جاء ، وكانت أحداث التاريخ كله ووقائعه ، وأحوال المجتمعين الكبار في فارس والروم توحى بأن حضارة آسنة توشك أن تهوى فأين تستقبل البشرية وليدها الجديد .

لم تكن أرض فارس والروم صالحة وهى التى عصفت بها عواصف الوثنية والانحلال ، ولم تكن غير الجزيرة العربية بيئة صالحة لدعوة جديدة ومنشأ لامة جديدة تحمل لواء الدين الجديد وتنبئ الحضارة الجديدة .

نعم كانت « الجزيرة العربية » وحدها هى الأرض المتميزة بين صراع الأديان والحضارات والحروب والتى استطاعت أن تتجنب إلى حد كبير ذلك المضطرب الخطير الذى عاشته الدولتان الرومانية والفارسية ، فقد أتاح لها وضعها الجغرافى أن تسلم من الغزوات ، وأن تحتفظ إلى قدر كبير بطابع بداوة وأصالة وعصية لم تفقدها الأحداث صلابتها ، ولم يصبها من ترف الحضارة ، وحياء البذخ والانحلال ، ما أصاب دولتى

فإذا قلنا إن ميلاد محمد ، يوم غير مجرى التاريخ لم نكن قد بعدنا عن الحقيقة ، فقد كان العالم كله يتطلع إلى ضياء جديد ، وكانت الكتب القديمة حافلة بالبشارات والنبوءات والروى كلها توحى بمطلع النور ، ولكن أين وكيف ؟

لقد تواترت رسالات الانبياء هادية الناس إلى الحق ولم تتوقف ، وكانت كلها رسالات محلية للأمم مختلفة ، وكانت منطقة ما بين النهرين وبادية الشام أحفل هذه المناطق بالرسل والانبياء . ظهر أبو الانبياء إبراهيم بين النهرين ١٩٩٦ قبل الميلاد ، وظهر موسى فى القرن السادس عشر قبل ميلاد عيسى ، ومر على المسيحية ٥٧٠ عاما قبل ميلاد محمد . كانت رسالات الانبياء جميعا مقدمة لرسالة كبرى خاتمة للإنسانية جميعا ، وكانت البشرية تتطلع إلى شىء جديد ، إلى ميلاد نبي ، ليس مرسل إلى أمة واحدة ، أو شعب واحد ، بل مرسل للإنسانية كلها ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم متصل بالنسب والأواصر بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا

ومكة إلى ذلك كله مركز مرموق ، من ناحيتين ، من حيث هى مركز التجارة مع العالم كله ، شمالاً إلى الشام وجنوباً إلى اليمن ، ومن حيث هى مقر الكعبة تحج إليها الوفود فى كل عام .

وجتمع مكة قبل ميلاد النبى ليس أقل اضطراباً من مجتمع الحضارة فى فارس والروم ، فالربا والخمر ، والانحراف بكل صورته يسيطر على الحياة ، غير أن رأياً عاماً مثقفاً كان قد تكون وبدأ ينمو ، يشجب « عبادة الأصنام » ، قوامه : ورقة بن نوفل ، أعلم العرب فى عصره ، وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وابن قريشاً كانت حريصة على الوثنية ، حرصها على النفوذ والسلطان وامتيازات كامتيازات السكينة .

فى هذا المجتمع ولد « محمد بن عبد الله » : إنسان ذو نسب عريق الأصل والمحدد ، يتيم بسيط فى وضعه الاقتصادى : عربى فصيح ، آسر الشخصية ، أعده الحق لرسالة كبرى ، حين اختاره من العرب ، ليعد أمة حررها موقعها من الاضطراب فى صراع الحضارات والأديان ، وأهلها بطابعها البدوى لتتكون قادرة فى ثلاث وعشرين عاماً على تكوين مجتمع موحد ، خالص من العصبية ، وحين

الحضارة وبقيت لها من بداوتها وتقاليدها حصانة ومنعة ، أهلها لتقبل الدعوة الجديدة ، وجعلتها صالحة لحملها على نحو حقق من بعد معجزة باهرة حين استطاع « العرب » رفع رايات الإسلام من حدود الصين إلى حدود فرنسا فى أقل من قرن من الزمان فأقاموا دولة ضخمة لم يتحقق مثلها .

ولد محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة ، قلب الجزيرة العربية عام القيل ، فى ظل حدث من أخطر الأحداث القليلة التى عرفها العرب وأرخوا بها حين زحف أبرهة حاكم اليمن لهدم بيت إبراهيم وإسماعيل ، ثم ارتد عنها منهزماً ، وقد خلصت مكة - كما كانت من قبل - للوثنية ، وقد اضطرب أمرها بين اليهودية والمسيحية ، ولكنها ظلت معقل الوثنية بأصنامها الثلاثمائة من حول الكعبة ، وإن غلبت اليهودية حول « يثرب » ، والنصرانية على « نجران » ، وظل « هبل » ، الصنم الأكبر المصنوع من العقيق على صورة الإنسان فى مكانه يحج إليه عباده ، ولكل قبيلة صنم تعبد : اللات ، ثقيف ، ومناة للخزرج ، والعزى لسكنانة ، وإساف ونائلة لأهل الصفا والمروة وسواع لبنى هذيل ويغوث لبنى مذحج ، ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلام .

أصبحت العرب تؤمن بأن لها رسالة ، وأن رسالتها نشر الإسلام في الخافقين ، فانطلقت قوية صادقة ، في حماسة وصلابة وعمق إيمان ، توسع أفاق عالم الإسلام على نحو كان موضع العجب من جميع من درسوا تاريخ الإسلام ، ومن هنا ظهرت حكمة الله العالية الحققة ، حين ظهر الإسلام في أمة العرب ، أمة بدوية بعيدة عن صراع الحضارات والأديان احتفظت خلال الزمن بمقومات شخصيتها ، ثم اختار من هذه الأمة «إنساناً» أعلى ما يكون قدراً من كمال الشخصية نسبا ، وخلقا ، وبلاغة ، استطاع في ثلاثة وعشرين عاما أن يبني «أمة» ويوحدها على الحق والعدل والحرية ، مؤمنة بالله الواحد، محطمة للأصنام ، ساحقة للوثنية ، تسقط في يدها امبراطوريتين : الفارسية والرومانية خلال أعوام قليلة ، ويتحرر في ظل لواء الإسلام الذي رفعته أمم وشعوب رفع الإسلام عنها الظلم النفسى والاجتماعى ودعاها إلى التوحيد وإلى كلمة الله .

تلك هي الحقيقة الباهرة التي تتجلى حين يعود يوم ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم كل عام ، كيوم من الأيام الخالدة ، التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني ؟

أنور الجندى

اختار «اللغة العربية» لغة لقرآنه ، وأداة لبيانه ، ولم تلبث بعد الدعوة أن وصلت بطاقات النبي صلى الله عليه وسلم .

جميع الملوك والحكام تدعوهم إلى الله ، وكان هذا للبشرية علامة على بزوغ فجر عصر جديد يحرر البشرية من إسمارها .

واستطاع الإسلام أن يعطى الأمة العربية ، بالتوحيد والعدل والحرية مفهوما جديداً لكل القيم العربية فحولها من سلبية الفردية والتعصب والقبلية إلى إيجابية الحق والخير والإخاء .

كانت العرب تعبد الأصنام فتحولت إلى عبادة إله واحد ، وكانت العرب تتعصب للقبيلة فأصبحت تؤمن بفكرة ، تقاتل من أجلها وتضحى في سبيل نشرها ، وتجاهد في إعلاء قدرها .

وكانت العرب تؤمن بالمرودة والكرم وحماية الذمار وقرى الضيف ولكنها كانت تستعلى به غفراوتها ، فتحول مفهومها ولم يتحول إيمانها ، تحول إلى عمل خالص لوجه الله ، لا يستعمل به ، ولكنه يوجه إلى الله خالصا رجاء جزائه ومشوبته .

* * *

وهكذا حرر الإسلام مفاهيم العرب وقيمهم ، وغير معناها وهدفها ومدلولها .

المجمع الفاضل في رسالة نبي الهدى والرشاد للأستاذ مصطفى الطير

بالمز ، والتبس النفع بالضر وفشل الناس في معرفة سبيل الهدى ، فاحتسكوا في أمورهم إلى الهوى ، وبلغ من ظلمة الالتباس على الناس ، أنهم عبدوا الاوثان ظانين أنهم أحسنوا ، ووأدوا بناتهم صغيرات خوفا من العار معتقدين أنهم ما ظلدوا ، واقتتلوا لاوهي الأسباب والعلل ، فحكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكمن فصيلة طحنتها فصيلة ، شربوا الخمر فدعتهم إلى الأخذ بالثأر ، وانتهاك حرمة الجار ، وحب الاهتداء والافتخار ، فهي أم الكبائر ، وأساس فساد الضيائر ، تزين الإثم على أنه نجدة وشهامة ، وعزة وكرامة .

وكانت الروابط بين الناس مفككة ، فلا دين يجمعهم ، ولا حكمة تضم شملهم ، والحرب بين المسيحية واليهودية شديدة الاوار محتدمة الجدل وقد دخلهما التغيير والتبديل وفقدتا كل سند يربطهما بأصل التنزيل والعالم حينذاك يتنازعه الفرس والروم ، وقد كانتا تتنافسان على الملك والسلطان ، وتطحنان

في ذكرى مولد رسول الخير والكرامة يحلو الحديث عن أسمى المبادئ التي لم يأت بمثلها نبي ولا مصلح قبله ، وإن يدنو منها مصلح بعده ، فإن من الوفاء لأبي الزهراء أن نرفع من رسالته على طريق الحياة مصابيح تضيء للبشرية الغياهب وتجلو للناس الخفايا ، وتحل لهم المشكلات ، وتنشئ المجتمع المثالي الفاضل ، ومن الوفاء أن ننشر على سماع الزمان ما أدته رسالته من النجدة للبشرية العائرة ، والإنقاذ للإنسانية المعذبة ، بما جاءت به من العقائد السليمة ، ودساتير السلوك القويمة ، وتخليصها للعقول من محابسها ، وتحكيمها فيما عز وهان ، بالدليل والبرهان وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في وقت أظلمت فيه ليالي الفتن ، واشتدت ضروب الحن ، وعجز الناس عن وضع القوانين التي تحكمهم ، وعن إقامة الحكومات التي تستقيم بها موازين العدل بينهم ، وقد اشتبه الخلو

بالعقول أن تنظر فيما أبدعه من الروائع ؛
لتعلم أن الكون يفسد بتعدد الآلهة ،
وأعلمهم أنه تعالى منزّه عن الأولاد
والزوجات ، وأنه على أعمال العباد رقيب
شهيد ، فاستيقظت العقول النائمة ، وعلم
الناس أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا
يفترون ، وحاسبوا أنفسهم في كل ما يأتون
وما يذرون .

أمرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق
فاتحدوا ، وأصبحوا كزرع أخرج شطأه
فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ،
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، ونهضوا
بالعبء وهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ،
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا ، فامتد بجهادهم سلطان الإسلام ،
وعم نوره الافطار في أقصر زمان .

أمرهم بالعدل والإحسان ، ونهاهم عن
الفحشاء والمنكر ، فارتفعت كلمة العدل
والرحمة ، والمعروف والعفة ، وأصبح
الضعيف فيهم قويا حتى يؤخذ له بحقه والقوى
فيهم ضعيفا حتى يؤخذ منه الحق ، تقام فيهم
الحدود على السيد والمسود ، وعلى الشريف
والوضيع ، بحيث لا تقبل في حدود الله
شفاعة ، ولو كان الجاني من الأشراف ،
ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لمن شفعا

برحى الحرب بينهما الأمم المغلوبة
على أمرها .

أولاً إن الله رحمن رحيم ، لا يغفل عن
أحوال عباده ، ولا يتركهم حيارى يتخبطون
في ليل الأحداث وظلام الشبهات والأضاليل
فلهذا كفّل الوليد اليتيم محمدا ورباه ، وأدبه
وزكاه ، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة
بعثه هاديا للناس ومرشدا ومنقذا ومنجدا ،
فغير وجه الزمان ، واستبدل بعبادة الأوثان
عبادة الواحد الديان ، وبشريعة الكهان
شريعة الرحمن ، وبالشرائع المحرفة المبدلة
شريعة ثابتة عادلة ، وبمنهاج الحرب والنار ،
منهاج السلم والنور ، وبظلم الإنسان . العدل
والأمان ، واستبدل بفرقة الناس وحدتهم ،
وبسيرهم مع الهوى ، اتباعهم للهدى ، فسادت
السكينة والإخاء ، وعم الأمن والرخاء ،
وتوحدت القلوب بعد فرقة ، ودخل الناس
في دين الله أفواجا ، وأما شعوبا ، فعم
الصفاء ، وساد الأمن والرخاء .

وكيف لا يصلون إلى كل ذلك ، وقد جاءهم
بمناهج إلى تلك الأهداف منتبهة ، ودساتير
إلى تلك المعالي داعية .

لقد أرشدهم إلى وهن الانصباب والأوثان ،
وعجزها عن حماية أنفسها من الحداث ،
وبرهن لهم على وحشة الصانع ، وأهاب

إليهم ، والوفاء بالعهود والمعاهدات ، أمرهم بكل ذلك فامثلوا ، وكانوا أئمة وقادة في تواضع وحكمة ، وشهامة وهمة ، فرضى الله عنهم أجمعين ، ومثل هذا فليعمل العاملون .

ألا وإن رسالة الإسلام كل يوم جديدة ، ينطق بها القرآن على سمع الزمان ، وينشرها الدعاة والمرشدون في المعاهد والمساجد ، والمجتمعات والنوادي ، وبذلك بقيت تعاليمه غضة ناضرة ، زاهية زاهرة تنعش القلوب والأرواح ، وتسرى في القلوب والافئدة فتدب فيها الحياة ، وتسبح الله وتسعى في هداه ، ولن يصلح أمركم أيها المسلمون في الحياة ، إلا بالسير على هداه ، والعمل بكتابات الله ، ذلك السجل الإلهي الذي لا تنفى عجائبه ، ولا تنتهى غرائبه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، والخبر اليقين عن عاقبتكم ، هو الفصل ، وما هو بالهزل من أخذ به سلم ومن عمل به هدى إلى صراط مستقيم ، وهو المعجزة العلمية التي نهت العقول وصرفتها إلى النظر في الآيات ، ليس فيها كهانة كاهن ، ولا شعوذة مشعوذ ، ولا مجال فيها لسحر ساحر ، أو مطعن طاعن ، هو الحجة الباقية على الزمان ، الرافعة لشعار العلم والعرفان ، المؤيدة بكل ما يكشف عنه العلم على مر الزمان ، ألم يتحدث عن الكونيات منذ عشرات القرون حديث الحق فأيد حديثه عنها

في شريفة سترقت (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) .

أمرهم بطلب الرزق بالوسائل الشريفة فانبجروا برأ وبحراً ، وأنشأوا البساتين والمزارع والمتاجر والمصانع ، وتعددت أسباب أرزاقهم ، وتنوعت وسائل خيراتهم .

أمرهم أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة ، فأنشأوا الجيش الإسلامى أقوى دعامة للحق ، وأمنع حصن ضد الأعداء المتربصين ، وأنشأوا السفن الحربية وسلحوها بالمدافع منذ أول العهود الإسلامية الزاهرة ، فنصروا بالرعب والقوة برأ وبحراً ، وما ردت لهم راية . ما داموا بحبل الله معتمدين .

أمرهم بالصلاة والزكاة ، والصيام والعفاف ، والإحسان إلى الصديق والعدو ، والقريب والبعيد .

أمرهم بالمودة وحفظ حقوق الجار ، والتعاون في البأساء والضراء ومحاسبة النفس قبل محاسبة القضاء .

أمرهم بالصدق والأمانة ، ورعاية حقوق الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ، والمؤمن والكافر ، والبر والفاجر .

أمرهم بإنصاف أهل الكتاب والإحسان

ذهبا أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحداً يوم يلقاه ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولن ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ، فيقول بلى ، فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ، فيقول بلى يارب ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وعن يساره فلا يرى إلا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ، قال عدى رضى الله عنه : فرأيت الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت . لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، يخرج الرجل ملاء كفه ذهباً أو فضة فلا يجد من يقبله) أخرجه البخارى .

تنبؤه بفتح مصر :

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستفتحنون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً » أخرجه مسلم .

إلى غير ذلك من النبوءات التى تحققت والى سوف تتحقق ، ومن أهمها بقاء رسالة الإسلام إلى قيام الساعة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « وإن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً

أخيراً الكاشفون ، وقد كانوا من قبل ذلك يجهلون ، وسوف يعلمون من خفائاه ما هم عنه غافلون ، فبأى حديث بعده يؤمنون .

وحسبك فى إعجازه غير هذا أنه جاء به نبى أمى زكت أخلاقه ، وكملت سبحانه ، ووثق من مستقبل أمته فتحدث عنه حديثاً أيده الزمان ، وقام من صدقه فيه على نبوته واضح البرهان .

التنبؤ بفتح بلاد كسرى :

روى عدى بن حاتم قال : (بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال يا عدى هل رأيت الحيرة ، قلت لم أرها وقد أنبتت عنها ، فقال إن طالت بك حياة لترين الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، قلت فى نفسى فأين دعار (١) طيء الذين سعروا فى البلاد (٢) ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت كسرى ابن هرمز ، قال كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملاء كفه

(١) جمع داعر وهو الخبيث الفاسق .

(٢) من سحر النار أججها وأشعلها .

حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله ، . ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم .

وتلك بشرى ببقاء دين المجتمع الفاضل ما بقيت الدنيا .

وقال الكونت هنرى الفرنسى لسنا نحتاج في إثبات صدق محمد إلى أكثر مما يأتى :

شهادة الغربيين المنصفين للإسلام ورسوله :

(١) كان محمد أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، كالم يسترشد في دينه بمرشد سبقه .

(٢) وكان ينفر من عبادة الأوثان وقعدد الآلهة (٣) ومع كونه أمياً جاء معه قرآن يعجز فمكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثله لفظاً ومعنى ، وهو سر من الأسرار لا يدركه إلا من صدق بأذهنه من عند الله (٤) ولا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة حقا ، وما بقى فيه فمكر خاص به (٥) وما كان يعميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل إنه كان يحلب شاته بنفسه ويجلس على التراب ويرقق ثيابه ونعله بيده ، وكان قنوعاً ، خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول حياته فى المال ، وكل ما يأتبه كان يتصدق به وبلغ من السلطان غايته ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب إلى غير ذلك مما ذكره هذا المنصف الذى لم يعمه التقليد ولا الحقد.

وهذا هو المسيو دينيه الفرنسى الذى بلغ سبعين سنة من العمر قضى شطرا منها فى البحث العميق والمقارنة بين المسيحية والإسلام ، ثم هداه الله إلى الإسلام يقول : هذا الدين

قال الكاتب الإنجليزى الأشهر توماس كارليل فى كتابه الأبطال . لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المغير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا إلى أن قال : ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج فما الناس إلا بله مجانين وما الحياة إلا سخف وعبت وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق .

ثم قال : إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليا بخصائص الجير والجص والتراب وما شا كل ذلك ، فما ذلك الذى يبنيه بيت ، وإنما هو تل من الانقاض وكشيب من أخلط المواد نعم . وليس جديرا أن يبقى على دعائه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الانفس

الصلاة الإسلامية ذات مهولة ونبالة لم يسبق لها مثيل في صلاة غيرها ، كما أنها لا تدعو الوجوه إلى التظاهر والتكلف ، والعيون إلى الشخوص نحو السماء واستئزال الدموع الكاذبة مما يفعله غيرهم أمام صور القديسين .

ثم يقول : إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة في سبيل التفكير ، وكما أن الإسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس فهو صالح لجميع العقليات والمدنيات ، فكما يهيج نفس الرجل العملي في أسواق لندن حيث الوقت هناك من ذهب . يأخذ بلب الفيلسوف الروحاني ، اه .

أيها المسلمون . هذا دينكم فجدوه ، فإنه صفو الحياة ، وكلية الله ، ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، .

مصطفى محمد محمد الطبر

الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا أو ما إلى ذلك من الأشكال ، أما في المسيحية فإن لفظ الله تحيطها تلك الصورة الأدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانث عليه دلائل الكبير والشيخوخة والإنحلال ، فن تجاعيد بالوجه غائرة إلى لحية بيضاء ومرسلة مهملة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء ، ونسمع القوم يصيحون بحمى الله ، فكيف لا يخشون على هذا الهرم الهلاك ويطلبون له الحياة ، أما الله في دين الإسلام فلم يجرؤ أى مصور أن يصوره ، لأن الله لم يخلق الخلق على مثاله ، فإنه ليس له صورة ولا حدود محصورة ثم يقول : إن الشريعة الإسلامية ساوت بين الناس ولم تفرق بينهم إلا بعلو الهمة ومكارم الأخلاق ، فهذا بلال الحبشى أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين ، فإذا سمعوه سعوا إلى الصلاة مع ما عرف عليه العرب من التفاخر بالأحساب والأنساب .

ثم يقول إن الحركات والإشارات في

مولد النور

للأستاذ حسن جاد

وإذا أدهم الليل واعتكر الدجى
لم يستن نور السماء محدد

حتى أراد الله رحمة خلقه
والله يلطف بالعباد ويرفق
في ليلة نشر الربيع لواءه
وسرى النسيم بها عبيرا يذشق

والأفق عطرى الفضاء كأنما
في كل ناحية بخور يعبق
وازينت قباب السماء بموكب
فيه الملائكة الكرام تحلقوا
والأرض عرس ، والربى مجلوة
فاح العرار بها ، ورف الزنبق
والرمل نشوان المنى متهامس
والليل هيمان الرؤى متشوق
والشرك لهفان السؤال ، وقبصر
حيران مهبور ، وكسرى مطرق
دوت بأجواز الفضاء وجلجلت
بشرى تروع المشركين وتصعق

شاق الوجود صباحه المتألق
يوم بمولد نور طه يشرق

سر حسوته من السماء مريرة
نشوى بأنوار النبوة تخفق
تسامل الدنيا : متى ميعاده ؟
وبمضها شوق إليه مؤرق
وتبيت تحسد يومه أيامها

وتود لو عجلت إليه فتلحق
والكون مشبوب الضرام مفزع
قد لفه ليل الضلال المطبق
والحقد يوغل في النفوس ضراوة
والشر يغلى في الصدور ويمرق

والناس فوضى لا ترى من بينهم
إلا عبيد حجارة لا تنطق
جهل وظلم عارم ، وسفاهة
وتنازع . وتحلل ، وتفرق
ضلوا عن الحق القويم ، وصدمهم
داع إلى عصية يتمشدد

وبتيت ماسكا باذخاً بشرية
 تسع الحياة ، جديدها لا يخلق
 لا جاء إلا الصالحات ، ولا غنى
 إلا أصاب الحق فيه المملق
 إن الذين تنسكبوا دستورها
 ضلوا الطريق إلى السلام وأخفقوا
 وإذا استبدت بالسلام مطامع
 كان البشير به غراباً ينقع
 يا ويح هذا الغرب في غلوائه
 غاض الوفاء به ، وضاع الموثق
 يذكي الصراع على مبادئ غاية
 خرقاء يصرخ في دجاها أخرق
 ذرية الانياب ، ضارية الشرى
 يسبي بها الحمل الوديع ويسرق
 مشبوبة الاحقاد كل فريسة
 عزلاء يشويها لظاها المحرق
 هذى فلسطين ، وذلك جرحها
 لما يزل دمه المقدس يهرق
 والنادبات من القوافي وحدها
 لا يشتفى جرح بها أو يرتق
 الأمة العزلاء أين مكانها
 بما يصول به القوى الاحق ؟

طارت بالباب الحداة فوقفوا
 وتلفتت طرباً إليها الأينق
 وهوت لروعتها الغرائيق العلا
 وأندك إيوان ، وزلزل جوسق
 والنور يهزم في الشعاب ظلامها
 ويغير منه على البطائح فيلق
 وأشاع في الدنيا بهاء جلاله
 فجر عليه من النبوة رونق
 ولد الهدى والنور فأنجب الدجى
 عنها ، وطالعها الصباح المشرق

* * *

يا من أعاد إلى الوجود شبابها
 فكأنما ولد الربيع المؤنق
 وجرى على فمه البيان وهديه
 نبعاً تفجر أوحياً يتدفق
 ألفت ما بين القلوب ، فلم يعد
 باغ يصول ، أو مغيط يحنق
 وفتحت إسعاداً ، وكم من فاتح
 في فتحه حل الشقاء المحنق
 ما كان إلا للسعادة والهدى
 رح يسد أو حسام ديمشق

دانت لها الدنيا هدى وحضارة
وعنا لها تاج ، وطأطأ مفرق
جمعتها بعد الشقات بوحدة
جمع العروبة عهدا والموثق
اليوم باسمك للإله تضرعت
والليل داج ، والحوادث تطرق
كم هاتف بك في خضم همومه
والريح تعصف ، والسفينة تغرق
نجاه تكريماً لقدرك ربه
ررسا على شط الأمان الزورق

..*

يارب إن عز الرجاء فلم يزل
يومي إليك مغرب وشرق
فالطاف بأمتنا لأجل محمد
واكشف بفضلك ما يعانى المشرق
وانصر (جمالا) قائد العرب الذى
بكفاحه آمالنا تتمحق
من يعتصم بك يقو جانبه ؛ ومن
تهديه ينتج سعيه ويوفق

مضى جاد

السيف أبلغ فى الحقيقة منطقاً
إن كان لا يجدى الحقيقة منطق
والحق إن أعباه صدق مدافع
فالمدفع الرنان منه أصدق
والحيل أفصح من خيال شاعر
يختال فى أفق المنى ويخلق
بجد العروبة وحدة وتسليح
فالسيف أحرى ، والتضامن أخلق

..*

يا من يلاذ بجاهه ويباه
فيحل معقود ، ويفرج ضيق
ونؤم ساحته فينفحننا شذا
روض بأنفاس النبوة يعبق
وتهيج ذكراه المجلجلة الصدى
شوقاً يعمور ودمعة تترقرق
من فيض جودك نفحة يجلى بها
كرب ألم بنا ، ويفتح مغلق
بك يا رسول الله عزت أمة
أنت المحررها ، وأنت المعثق

مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ

أَسْمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

للدكتور محمد محمد أبو شهبه

روى الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحوا الله فى الكفر ، وأنا الحاشى الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب) هذا اللفظ للبخارى فى باب المناقب — باب ما جاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه البخارى أيضا فى كتاب التفسير — سورة الصف ولكن بلفظ « إن لى أسماء ... » .

الشرح والبيان

(جبير بن مطعم) هو الصحابى الجليل جبير بن المطعم بن عدى وكان أبوه من أشرف مكة ورؤسائها ، وقد قدم جبير على النبى صلى الله عليه وسلم بعد بدر ليسكلمه فى أسارى بدر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (لو كان أبوك المطعم حيا وكنتى فى هؤلاء النتنى ^(١) لتركتهن له) رواه البخارى فى صحيحه ،

ولما قدم جبير بعد بدر كان على دين قومه فسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بسورة (الطور) فأثر أسلوبها البليغ ، ومعانيها المحكمة فى نفسه فكان ذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبه ثم أسلم بعد وحسن إسلامه ، وحمل عن النبى بعض الأحاديث ، فرضى الله عنه .

« لى خمسة أسماء » .

(١) جمع تن كزمن وزهني أونتين كجريح الجرعى ، ووصفهم النبى بالنتنى لخبث عقائدهم .

والصادق المصدوق (١)، وكان بعض صحابة رسول الله إذا حدث عنه قال . د حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك من الأسماء ،

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية قال بعضهم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم عدد أسماء الله الحسنى : تسعة وتسعون اسما ثم قال . ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم ، وقد ذكر في كتابه المذكور أما كتبها من القرآن ، والأخبار ، وضبط ألفاظها وشرح معانيها واستطرد - كما هي عادة - إلى فوائد كثيرة .

وفي الحق - كما قال الحافظ الكبير ابن حجر - إن غالب الأسماء التي ذكرها وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية وذلك مثل عدده اللجنة للحديث الصحيح المشهور في التمثيل للنبي ومن سبقه من الأنبياء بالقصر المشيد البالغ الحسن في الهندسة والبناء والشكل إلا ما وضع لبنة منه فصار الناس يطوفون حول هذا القصر العظيم ويقولون

(١) الذي يصدقه من يسمعه لتوافر الدلائل على صدقه وقد كان المشركون وغيرهم كما في كتب الحديث والتفسير ، والسير - يكذبونه في الظاهر ولكنهم فيما بينهم وفي أنفسهم يعلمون صدقه .

ورواه البخاري في موضع آخر بلفظ . إن لي خمسة أسماء ، وليس المراد أن أسماء صلى الله عليه وسلم محصورة في هذه الخمسة فحسب وإنما المراد أنها أشهر من غيرها والموجودة في الكتب السابقة والأمم السالفة دون غيرها ، ثم إن هذه الخمسة مما خص به نبينا عليه الصلاة والسلام وأما غيرها فقد يشارك فيها غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ومما وقع من أسمائه صلى الله عليه وسلم في القرآن بالاتفاق : الشاهد ، والمبشر ، والنذير ، والمبين ، والداعي إلى الله ، والسراج المنير ، ففي الكتاب الكريم قال الله تعالى مخاطبا له . يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه ، وسراجا منيرا (١) ، وفيه أيضا ، المذكر ، والرحمة ، والنعمة ، والهادي ، والشهيد ، والأمين ، والمزمل ، والمدثر ، والرموف ، والرحيم ، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المروي في الصحيح . سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا جاف ولا سخاب بالأسواق ولا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المشهورة . المختار ، والمصطفى ، والشفيع المشفع (٢) ،

(١) الأحزاب الآية ٤٥ ، ٤٦

(٢) الذي تقبل شفاعته

ربك مقاما محمودا ، (١) فن ذا يحصى ألوف
ألوف الألوف التي ستحمده في هذا المقام !!
وهذا الاسم الكريم هو أشهر الأسماء
وأذكرها بين الناس .

« وأنا أحد »

أحمد أفعل تفضيل أى أكثر الناس حدا
فهو علم منقول من صفة ، وقد ثبت في الصحيح
أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحمد لم يفتح
بها على أحد قبله ، والأنبياء عليهم الصلاة
والسلام حمادون ، وهو أحدهم أى أكثرهم
حدا أو أعظمهم في صفة الحمد ، وهو صاحب
لواء الحمد يوم القيامة ، وهو صلى الله عليه
وسلم بلغ الغاية في الاتصاف بالمحمد والفضائل ،
والغاية في حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ،
وشكره على نعمائه ولم يرد هذا الاسم في القرآن
إلا مرة واحدة على لسان سيدنا عيسى عليه
السلام مبشرا به قال هو شأه : « وإذ قال
عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله
إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا
برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين ، (٢) .

يقول بعض المبشرين والمستشرقين إن
المبشربه أحمدون نبيكم محمد ، وكأنى برسول الله
صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حينما ألهمه الله

هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال النبي في آخره :
« أنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » ، فالظاهر من
سياق الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لا يريد
القسمية بهذا .

وليس من شك في أن كثرة الأسماء ولا سيما
إذا كانت تدل على خصائص شريفة ومعان
كريمة فاضلة تدل على شرف المسمى ، وعلو همته ،
وعظم أخلاقه .

« أنا محمد اسم مفعول من التحميد للبالغة
يقال حمده إذا نسبته إلى كثرة المحامد والفضائل
أو هو الذى حمد مرة بعد أخرى كالممدح
قال الأعشى .

إليك - أبيت اللعن - كان وجيفها

إلى المساجد القرم الجواد المحمد

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تكاملت
فيه الخصال المحموده ، والأخلاق الفاضلة
العظيمة ولا تنفك الألوف ، بل ألوف ألوف
بل مئات ألوف الألوف تلهج بحمده والثناء
عليه من لدن مبعثه إلى وقتنا هذا ، وإلى يوم
يقوم الناس لرب العالمين وفي المحشر حينما
يشفع في الناس ، ويرى بهم من هول الموقف
يحمده الأولون والآخرين ، وقد نوه الله
سبحانه وتعالى في الكتاب الكريم بهذه
الفضيلة والخصيصة الظاهرة فقال عز شأنه :
« ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك

(١) الإسراء الآية ٧٩

(٢) سورة الصف الآية ٦

من حميد ؟ فقال : نعم ١١
 أقول : وهذا هو الحق ، وليس بعد الحق
 إلا الضلال المبين ، وشهد شاهد من أهلها ١٢
 (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) .
 قيل المراد الذي يمحو ويزيل الشرك
 والعقائد الوثنية من الجزيرة العربية والأظهر
 أن ترك الحديث على عمومه فقد كان الكفر
 عند مبثته يكاد يكون عاما في الدنيا . ولم يسلم
 من ذلك إلا القليلون كالحنفيين وأهل
 الأديان الذين لم يبدلوا ويحرفوا ، ويكون
 المراد أن الله سبحانه محاببه معظم أنواع
 الكفر ، وأصبح معظم الناس مؤمنين
 موحدين فإنه صلى الله عليه وسلم لم يجاور
 الرفيق الأعلى حتى صارت الجزيرة كلها مؤمنة
 موحدة ، وحمل أصحابه الرسالة من بعده فلم
 يمض قرن من الزمان أو أقل حتى صار معظم
 الدنيا المعروفة آنئذ من المحيط إلى المحيط يذكر
 على مآذنها توحيد الله في اليوم خمس مرات .
 (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) .
 أي على أثرى وهو يوافق قوله في الرواية
 الأخرى (يحشر الناس على عقبي) أي أنه
 أول من يحشر يوم القيامة وفي الحديث
 الآخر (أنا أول من تنشق عنه الأرض) .
 (وأنا العاقب) قد ورد تفسيرها في الرواية
 الأخرى (وأنا العاقب الذي ما بعده نبى)
 فهو خاتم الأنبياء والمرسلين (وبعد) فأشهر

سبحانه أن يقول هذا الحديث فهو يأبى على
 شهادتهم من أساسها فهو محمد ، وأحمد .
 وعلى ما دخل التوراة والانجيل من تحريف
 فقد بقيت البشارة في بعضها ففي إنجيل يوحنا
 الإصحاح الخامس عشر منه : قال يسوع :
 إن البار قليط ، روح الحق الذي يرسله
 أبى يعلمكم كل شيء ، وقال أيضا : « من يحبني »
 يحفظ كلمتي ، وأبى يحبه ، وإليه يأبى ، وهنـده
 يتخذ المنزلة ، كلمتكم بهذا لأنى لست عندكم
 بمقيم و البار قليط ، روح القدس الذي
 يرسله أبى هو يعلمكم كل شيء ، وهى بشارة
 تكاد تكون نصا في الإخبار بنبيينا محمد وأحمد
 والذين ترجموا الانجيل كتبوا بدل
 البار قليط ، المعزى لأن الأولى تدل على
 صفة الرجل كثير المحامد أو كثير الحمد
 وقد سأل المغفور له الاستاذ الشيخ
 عبد الوهاب النجار صاحب كتاب « قصص
 الأنبياء » المستشرق « نلينو » الإيطالى
 عن هذه الكلمة البار قليط ، فقال إن :
 القسس يقولون معناها : المغزى : فقال له :
 أنا أسأل الدكتور « نلينو » الإيطالى عن
 هذه الكلمة البار قليط ، فقال : إن القسس
 يقولون معناها : المعزى : فقال له :
 أنا أسأل الدكتور « نلينو » الحاصل على
 الدكتوراه في الآداب اليونانية القديمة
 فقال : إن معناها الرجل الذى له حمد كثير .
 فقال له : هل ذلك يوافق أفعال التفضيل

صَوْرُ مِنَ الْمَعَارِكِ الْبَيَانِيَّةِ

بين خصوم الإسلام وأنصاره

الشعر في المعركة

للأستاذ عبد الحميد المسلول

حين انتقل الرسول الكريم ، صلوات الله عليه ، من مكة إلى يثرب فراراً بدينه ودفاعاً عن عقيدته ، وصونا لدعوته .. وحين أُلجأته ضرورات الكفاح إلى الحروب وإلى أن يقف موقفاً صارماً حاسماً مع هؤلاء الذين لم تنفع معهم الحكمة ولم تؤثر فيهم الموعظة الخسنة ، دخل الشعر في المعركة هجوماً ودفاعاً .

وكان معنى هذا ودلالته القريبة ، أن الدعوة دخلت في طور من أطوار القوة ولون من ألوان الاستقرار لم يتهيأ لها من

قبل ؛ فقد كثر أنصارها واشتد لذلك حقد أعدائها ، وكأنما لم تمكنهم سيوفهم فحشدوا بيانهم وأغروا شعراءهم بحرب هذه الدعوة ، والتعويق من نموها ، وصد الناس عنها ، ولكن أنى لهم هذه الأمانى الكذاب .

تجرد لهجاء المسلمين والنيل منهم ومحاولة الغض من أقدارهم كثير من شعراء المشركين مثل : عبد الله بن الزبيري ، وضرار بن الخطاب ، وأبي سفيان بن الحارث ، وأبي عزة الجمحي ، وعمر بن العاص .

(بقية المنشور على صفحة ٢١١)

هذه الأسماء (محمد) ولم يكن هذا الاسم مشهوراً في الجاهلية ، وإنما تسمى به بعض العرب قرب ميلاده لما سمعوا من الأحبار والرهبان وأهل الكتاب أن نبياً سيمبعث آخر الزمان يسمى (محمداً) فسموا أبناءهم بهذا رجاء ذلك ، قال عياض : وهم ستة لاسابع لهم ، وقال السهيلي في (الروض الأنف) لا يعرف من تسمى قبل النبي بهذا الاسم إلا ثلاثة ، والذي حققه الحافظ ابن حجر

أنه تسمى بهذا الاسم خمسة عشر شخصاً ، فلما ولد النبي ألهم الله جده بهذا الاسم تحقيقاً لما سبق به علم الله وذكر ابن اسحاق في السيرة أن أمه كانت رأت في المنام من يقول لها : سمي به محمداً ، فلعلها أخبرت جده بذلك فسماه ، والحمد لله الذي شرفنا بالإسلام ، والتصديق برسالة خاتم الأنبياء ؟

د. محمد محمد أبو سبهية

وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرفني به
مقول بين بصرى وصنعاء . فقال له : كيف
تهجوم وأنا منهم ؟ فقال أسلك منهم كما تسلك
الشعرة من العجين . قال : فكان يهجوم ثلاثة
من الأنصار : حسان بن ثابت وكعب بن مالك
وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب
يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام
والمآثر ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن
رواحه يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان
أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون
القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلبوا وفقهوا
الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .

والعجب أن هؤلاء الشعراء الذين وقفوا
للنبي صلى الله عليه وسلم هاجين محاربين قد
هداهم الله بعد الكفر إلى الإسلام فكانوا
بعد من المسلمين الصادقين ما عدا أبا عزة
البحمي الذي قتل يوم أحد لكفره ونقضه
العهود ، كان أبو عزة هذا شاعرا بملقا ذا
هيال وكان شديد الخصومة للنبي كثير الطعن عليه
والهجوم له وفي غزوة بدر أسر كافرا فوقف
بين يدي الرسول ذليلا ضارعا يقول : إن ذو
عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليه
ورق النبي لحاله وأخذ العطف على صغاره
ومن عليه من غير فداء واشترط عليه
ألا يعين عليه بشعره فعاهده وأطلقه ، وهو
في ذلك يقول :

ووقف هؤلاء من شعراء المسلمين حسان
ابن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب
ابن مالك . ومن يتصفح شعر هؤلاء المسلمين
الصادقين يجد فيه العقيدة الصلبة التي لا تضعف
والإيمان الثابت الذي لا يتزعزع ، ويحس
من هذه الأشعار بنفحات القوة ودلائل
التأييد الإلهي تسرى فيه وتنبض من خلاله .
وكان هؤلاء الشعراء المسلمين طرائقهم المختلفة
في صدع هؤلاء المشركين والرد عليهم ،
والتهوين من أمرهم ، وفضح ضلالهم وكفرهم
أو الإقذاع في سبهم وهجومهم كما يبدو واضحا
من قول أبي الفرج الأصفهاني (١) : كان
يهجو رسول الله ثلاثة رهط من قريش هم :
عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب وعمر بن العاص (٢) .

فقال قائل لعلي بن أبي طالب : اهج عنا
القوم الذين قد هيجونا ، فقال علي رضي الله
عنه إن أذن لي رسول الله فعلت ، فقال النبي
ليس هناك أو ليس عنده ذاك ، ثم قال
للأنصار : (ما يمنع القوم الذين قصفوا
رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنة)
فقال حسان أنا لها .

(١) الأغاني ٤ ص ١٣٧ .

(٢) زاد في أسد الغابة رابعا هو ضرار
ابن الخطاب .

ألا أبلغا عن النبي محمد

بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الرشد والتقى
عليك من الله الكريم شهيد
ولكن إذا ذكرت بدرا وأهلها

تأوب ما بي حسرة وتعود (١)
فلما كان يوم أحد دعاه صفوان بن أمية
ابن خلف الجحى ، وهو سيدهم يؤمئذ إلى
الخروج فقال له : إن محمدا قد من على وعاهدته
ألا أعين عليه فلم يزل به وكان محتاجا فأطعمه
ومناه فخرج فصار في بني كنانة فخرضهم وقال

يا بني عبد مناة الرزام

أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل لإسلام

قيل : إنه أمر يوم أحد فقال : يا رسول
الله من على ، فقال النبي : لا يلدغ المؤمن من
جحر مرتين وقال أبان بن عثمان ، قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا تمسح عارضيك
بمكة تقول خدعت محمدا مرتين فقتله (٢) .

وأما أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
فهو ابن عم الرسول ورضيعه ، وكان المأمول
أن يكون رده الرسول وظهيره وعونا له على

نائبات تنوب وأحداث تقع ، ولكنه تسعر
عداوة للرسول وحقدا عليه بعد أن أعلن
دعوته وأخذ في هجائه حتى اضطر حسان إلى
أن يهجوه هجاء مقذعا ثم أسلم عام الفتح وشهد
حنينا فأبلى فيها بلاء حسنا (١) .

من شعر حسان فيه :

وإن سنام المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم والدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منك
كرام ولم يلحق عجزك المجد
وإن امرا كانت سمية أمه

وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
ولهذا البيان الذي يوجع ويصدع ويأخذ
عليهم منافذ القول فيخرسهم يقول النبي صلى
الله عليه وسلم أمرت عبد الله بن رواحة فقال
وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن
وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتقى (٢) .

ومن شعر حسان في الرد عليه :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى
فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبدا
وعبد الدار سادتها الإماء

(١) ص ٢٠٦ نفس المصدر .

(٢) ج ٤ ص ١٤٣ الأغاني .

(١) طبقات الشعراء ص ٢١٢ .

(٢) ص ١٢٣ المصدر نفسه .

لعمرك لاني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
الكامل دج الحيران أظلم ليله
فهذا أوان حين أهدى واهتدى
هداني هاد غير نفى وقادنى
إلى الله من طرده كل مطرد
وقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم
حين سماعه هذا البيت أنت طردتني كل مطرد؟
يردد ذلك كأنه ينكرها (١) .
وكان لابن الزبير أشعار كثيرة في هجاء
المسلمين والتعريض عليهم والنيل منهم .
ومن ذلك قوله في يوم أحد : (٢)
كل بؤس ونعيم زائل
وبنات الدهر يلعبن بكل
والعطيات خساس بيدنا
وسواء رمس مثر ومقل
ليت أشياخي ببدر شهدوا
ضجر الخزرج من وقع الأسل
حين ألفت بقناة بركها
واستحر القتل في عبد الأسل
فقبلنا النصف من ساداتهم
وعدلنا مثل بدر فاعتدل
وحسان بن ثابت يرد عليه هذا الفخر
وينقضه ويذكره بيوم بدر . وقد قتلوا من

هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركا لخير كما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا
أمين الله شيمته الوفاء
فإن أبى ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وفاء
فن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فوقف حسان هنا موقف المدافع الذي
يتقى الضربة ويحترس من أن تنال منه الطعنة ،
وهو يقي الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه
ووالده وجده (وعند الله في ذاك الجزاء)
وهو جزاء يوفى بغير حساب .
ويروى أبو الفرج الأصفهاني (١) لما كان
عام الأحزاب وردهم الله بغیظهم لم ينالوا
خيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يحمى
أعراض المسلمين ؟ فقال كعب : أنا يا رسول
الله ، وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول
الله . وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول
الله . فقال : نعم . أجههم أنت فإنه سيعينك
عليهم روح القدس .
ولقد أسلم أبو سفيان عام الفتح ، ومن
شعره بعد إسلامه قوله :

(١) ص ٢٠٦ طبقات الشعراء .

(٢) نفس المصدر ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(١) ج ٤ ص ١٤٥ الأغاني .

والأسى على ما فرط منه . وهو حين يعلن
عن إسلامه يصرخ بأن كل ما فيه من قد اللحم
والعظام كلها آمنت وهو الفداء للذير الذى
يقوم بأمر به .

ويقول أيضا ، حين بلغه لوم الرسول له
فبات ليالى نابغية كأنه محموم :

منع الرقاد بلابل وهموم
والليل معتلج الرواق بهم
بما أثنانى أن أحمد لأمى

فيه فبت كأننى محموم
ياخير من حملت على أوصالها
عيرانة سرح اليدين رسوم
لنى لمعتذر إليك من الذى

أسديت إذا أنا فى الضلال أهم
أيام تأمرنى بأغوى خطه

سهم وتأمرنى بها مخزوم
فاغفر فدى لك والدى كلاهما

ذنى فإنك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة

نور أضاء وخاتم مختوم
مضت العداوة وانقضت أسبابها

ودعت أواصر بينتنا وحلوم
وكان هبيرة بن أبى وهب الخزومى شاعرا
من رجال قريش المعدودين . وكان شديد
العداوة لله ولرسوله فأخمله الله ودحه (١)

(١) أبعدته وطرده حتى صار الناس
لا يبالون به .

سادتهم سبعين وأسروا سبعين وشدوا عليهم
شدة صادقة .

حتى ولوا على أعقابهم ضلالا وهربا فى
الشعب أشباه الابل . .

ذهبت يا ابن الزبعرى وقعة
كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتهم ونلنا منكم
وكذاك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدة صادقة

فاجأناكم إلى سفح الجبل
إذ تولون على أعقابكم

هربا فى الشعب أشباه الرسل
نضع الخطى فى أكتافكم

حيث نهوى عملا بعد نهل
فسدحتنا فى مقام واحد

منكم سبعين غير المنتخل
وأسرنا منكم أعدادهم

فانصرفتم مثل إفلات الجبل
وقد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك ومدح النبى
صلى الله عليه وسلم فأحسن ومن قوله فيه (١) .

يا رسول المليك إن لسانى
راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجازى الشيطان فى سنن النى
من مال ميله مبتور

آمن اللحم والعظام بما قلا
ت فنفسى الفدا وأنت النذير

وإن اعتذاره هذا لتبدو فيه الحسرة

(١) نفس المصدر ص ٢٠٢

وله شعر كثير وحديث (١) وهو الذي يقول في يوم أحد :

قدنا كنانة من أكناف ذي يمن

عرض البلاد على ما كان يزجها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا

قلنا النخيل فأموها وما فيها
وقد ناقضه ورد عليه في هذه القصيدة
حسان بن ثابت بقوله :

سقم كنانة جهلا من عداوتكم

إلى الرسول فجند الله مخزها
أوردتموها حياض الموت ضاحية

فالنار موعدها والقتل لاقها
أنتم أحابيش جمعتم بلا نسب

أئمة الكفر غرتكم طواغيا
هلا اعتبرتم بخيل الله إذ لقيت

أهل القلب ومن أردبته فيها
كم من أسير فكسكناه بلا ثمن

وجز ناصية كنانة مواليها

ولله در حسان بن ثابت فقد كان اللسان
الصوال والمدره القوال للدعوة ينافح عنها
ويقف دونها وينصر الرسول بلسانه ، وكان
يواجه به الفحول ويعارض الوفود .

يروى أبو الفرج الأصفهاني (٢) أنه قدم
على الرسول صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم

وهم سبعون أو ثمانون رجلا ، وفيهم الأقرع
ابن حابس والزبرقان بن بدر وعطار
ابن حاجب وقيس بن عاصم وعمر بن الأهتم
وعيينة بن حصن ، فدخلوا المسجد ووقفوا
عند الحجرات ونادوا بصوت عال جاف :
أخرج إلينا يا محمد . فقد جئنا لنفاخرك وقد
جئنا بخطيبنا وشاعرنا نخرج إليهم مجلس
وقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى
لزين وإن ذمى لشين . فقال : ذلك الله . فقال :
أنا أكرم العرب . فقال صلى الله عليه وسلم
أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم .
فقال : ائذن لشاعرنا وخطيبنا فأذن وقام
شاعرهم الزبرقان بن بدر فقال :

نحن السكرام فلا حى يعادلنا

منا الملوك وفيها يؤخذ الربع
تلك المسكارم حزناها مقارعة

إذا السكرام على أمثالها اقترعوا
ونحن نطعم عند المحل ما طعموا

من العبيط إذا لم يظهر انقوع
فافتخر بفضائل جاهلية أبطل بعضها الإسلام
كأخذ ربع الغنيمة للرئيس دون أصحابه
ويسمى ذلك المربع ، كما افتخر بالغنى
والكرم الذى يعتمد على التكبر والاستعلاء .
وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان
فناقضه وبذه بقصيدته الرائعة :

إن الذوائب من فخر واخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

(١) ص ٢١٥ طبقات الشعراء .

(٢) الأغاني ج ٤ ص ١٤٦ .

فإنهم أفضل الأحياء كلهم
إن جدد الناس جد القول أو شمعوا
وقام عطار بن حاجب فقال :
أتيناك حتى يعلم الناس فضلنا
إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأننا قروع الناس في كل موطن
وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
ورد عليه حسان بقوله :

منعنا رسول الله إذ حل بيننا
على كل باغ من معد وراغم
هل المجد إلا السؤدد العود والندى
وجاه الملوك واحتمال العظام

فقال الأفرع بن حابس : والله إن هذا
الرجل لمسوقي له (١) . والله لشاعره أشعر
من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا
ثم أسلبوا ، وأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم
يتعلمون القرآن ويتفقهون في الدين .

فالبیان القوى المؤثر والمنطق الصائب
الجدل وحسن التأني للأمور بالقول البارع
جعل هؤلاء الذين جاموا مفاخرين ووفدوا
مكاثرين يذعنون للحق ويدخلون في دين الله
راضين مطمئنين .

ولقد أوتى حسان رضى الله عنه كما أوتى
غيره من شعراء الإسلام القدرة البارعة على
حسن البيان ومقارعة الخصوم فانتصروا
للحق حتى دخل الناس في دين الله أفواجا

عبد الحميد محمود المصاوي

(١) أى مسهل له وميسر في أمره .

يرضى بها كل من كانت سريره
تقوى الإله وبالامر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع في أشياءهم نفموا
فهماد الفخر عند حسان يدور على ما حبا
الله به المهاجرين والانصار من تبليغ الشريعة
وبيان السنة التي يرضاها المتقون ويطمئن
إلى شرعها المؤمنون . وقد كشف حسان
عن واقع المسلمين ووصف حالهم التي عرفها
العرب جميعا ، وبين أنهم إذا حاربوا ضروا
العدو وإذا أرادوا نفع الأشياء قدروا على
النفع ، وأن ما أعطوه لا يستطيع إصلاحه
وما أصلحوه لا يقدر واحد على إضعافه ،
فإذا نال بعض الناس هذه الصفات (فشكل
سبق لأدنى سبقهم تبع) ثم هم أعفاء قانعون
لا يزرى بهم طمع ولا يضنون بفضلهم عن
الجار وإذا حاربوا لا يفرحون لهزيمة العدو
ولا يجرعون إن أصيبوا ثم يتوجه إلى خصمه
في قوة واعتداد .

فإن في حربهم فاترك عداوتهم
سما يخاض عليه الصاب والسلع

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيوع
وهو يكشف القوة التي أعانته على المدح
فهو يحمل قلبا مؤمنا محبا وقد آناه الله لسانا
قوالا صارما .

أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فما أراد لسان حائك صنيع

خفايا في زوايا اللغة والأدب للأستاذ علي السباعي

— ٣ —

١٦ — بدا في المعاجم بدا يبدو بدوآ : فتبدى بمعنى وضح وظهر ظهر عند ظهر ، وتبدى أقام في البادية ، وتبادى تشبه بأهل البادية ، ولم تذكر تبدى بمعنى ظهر ، خطأ بعض المعاصرين شاعر مصر الكبير المرحوم حافظ بن إبراهيم حين وصف الشمس فقال :

لاح منها حاجب للناظرين
فنسوا بالليل وضاح الجبين
ومحت آيتها آيته
وقبدت فتنة للعالمين

ولكن جاء في شعر عمرو بن معدى كرب في الحماسية ٣٤ ص ٤٢ ج ١ :

وبدت لميس كأنها

بدر السماء إذا تبدى

وفي شعر سعد بن مطرف المجاشعي إلى ابنة عم له كان يهاها في الأطلال ج ١ ص ٢١٥ :

حاش لله أن أكون خليا

من هواه وقد تقطعت وجدا

كيف لا كيف عن هواه سلوى

وهو شمس الضحا إذا ما تبدى

١٧ — بذح قال المصباح (بذحت الشيء بذحا من باب نفع شققته ، والصواب كما في اللسان (بذح) بالذال المعجمة والحاء المهملة وانظره في (بذح ، وبذح) فقد نقل عن التهذيب (بذح لسان الفصيل بذحا : فلقه وشقه لثلا يرتضع) ثم قال الأزهري (وقد رأيت من العربان من يشق لسان الفصيل اللاهج بثناياه وهو الأحزاز عند العرب) ، في عبارة اللسان المطبوعة تحريفان عن المخطوطة أو المصورة التي فيها الرعيان بدل العربان والأجرار بدل الأحزاز ، وإنما لنعرف منذ الدراسة أن العربان جمعاً للعرب لم يرد ، وقد استبدل أستاذنا الأسكندري رحمه الله حين كنا نشرح خطبة طارق بن زياد (وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم للملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا) بعربان عربانا جمع عوب ، ولكننا لم نجد في المعاجم أيضا

وجعل المزهرة الكلمة من باب فاعيل
وما أراها كذلك وإنما هي فعنيل ولو كان لها
فعل رباعي (برتق) لكان وزنها فعنيل .

١٩ - البازي : قال في المعجم الوسيط :
البازي ضرب من العصفور وهذا بغير شك
خطأ مطبعي صوابه : ضرب من الصقور
ويترجم للبازي في بابين (بَزَا) و (بوز)
ومن أجل ذلك اختلفت لغاته ووزنه فهو
باز وبأز وباز وبازي ويجمع على أبوزة
وبيزان ، وبزة وبوازي ووزنه من بزا
فلع ومن بوز فعل .

٢٠ - بسـل الفعل في المعاجم بسـل
يبسل بسولا وبسالة : شجع فهو بسيل وباسل
والجمع بسلاء وبسل ولم يجيء في المعاجم
بواسل : كفوارس وهوالك ونواكس ،
فأنكرها المعاصرون : اليازجي في لغة الجرائد
والاستاذ بشر فارس في المقطم ونقد الأخير
شاعرنا العظيم الموهوب المرحوم أستاذي
على الجارم في قوله مؤبنا ملك العراق
المرحوم غازي الاول :

طرحنا رداء اليأس عنا بواسلا
وإن هزنا يوم الفراق وإن أدا

ولكنني وجدت الجمع في قول باعث بن
صريم الليشكري في الحماسة ١٧١ ص ١٤٩
من الحماسة ج ١ .

عزباناً ، فرجعت إلى كتب الصرف فأقيمتها
نقول (يكتمر فعلان في اسم على فعل صحيح
العين وليست هي ولا مه من جففس واحد)
وحفظت من المعاجم هذه الكلمات : أقط
في إحدى لغاته وأقطان ، وبلد وبلدان ،
وحبش وحبشان ، وحدث : شاب فتى ،
وحدثان ، حمل وحملان ، وخشب وخشبان
وذكر وذكران (في القرآن) ، وذهب
وذهبان ، وسلق . قاع مطمئن ، وسلقان ،
وعلم : ما يوضع من العلامات لسالكى الدروب
في القلوات وعلبان ، وليس هذا الجمع معجمياً
ولما أخذه من قول حميد الهلالي ص ٩٢ :

أقول وقد حال الأجارع دونها
وغيها علماه وأباهره

وفرق : مكيال معروف في المدينة يسع ستة
عشر رطلا وفرقان ، وفلق : مطمئن من
الأرض وفلقان ، ولحم لغة في لحم ولحمان ،
ونعم ونعمان ، ووزغ : سام أبرص
ووزغان ، وخلق : ثوب بال وخلقان .

ألا يسع بجمعنا الموقر أن يضيف إلى هؤلاء
عرب وعربان ، وعزب وعزبان مستنداً إلى
قرار الصرفيين السابق وتسهيلاً للبتعريين
والمستعربين ؟

١٨ - برنيق : جاء في المزهرة للسيوطي
ج ٢ ص ١٤٥ . برنيق : ضرب من الكمأة
ونقل اللسان عن المحكم أنها صغار سود

فقال جزء نعم وفي شواهدنا فجمع جزء
شاهدا وجمع عتبه غائبا .

٤ ، ٥ — ساج وس-واج وضاج
وضواج وكلاهما من يرفع صوته بالقراءة
وبهما جاء بيت أبي طالب :

فإني والسواج كل يوم

وما تملو السناسرة الشهور
يروى والضواج ، السناسرة : أصحاب
الأسفار ، الشهور : العلماء ويروى بدلها
الشهود .

٦ — ساقط : لئيم رذل وسواقط قال
أوس بن حجر :-

زعم ابن سلبى مرارة أنه

مولى السواقط دون آل المنذر
٧ — فارط وف-وارط : قال الزبرقان
ابن بدر ص ٢٣ في الاضداد لابن الأنباري
وردت بأفراس عتاق وفتية

فوارط في أعجاز ليل معسوس
٨ — غامض : فاجر من الرجال عن الخمل

وغوامض قال أبو محمد الفقعسي :

والغرب غرب بقري فارض

لا يستطيع جره الغوامض
٩ — قابس : يقبس الخير ويعلمه الناس

وقوابس قال المرقش الأكبر في المفصلية ٧٤
تركب بهاليل طويلا ومنزلا

وموقد نار لم ترمه القوابس

وكتيبة سفع الوجوه بوسائل
كالأسد حين تذب عن أشبالها

وفي قول الزبيان السعدي ص ٩٣ ج ٢
من مجموعة أشعار العرب لوليم بن الورد :

يحملن أسد الزأرة البواسل
مدرعين اللوغى سرابلا

يعنى خيلا تحمل فرسانا بواسل شجعان كـأسد
الاجمة قد لبسوا للحرب لباسها ، وقد وفقت
على جموع لفاعل وصف لمذكر عاقل تبطل
قول النحويين بشذود الفارس مع ماثلة
في قول ابن مالك - : فواعل لفواعل وفاعل
وفاعلاء مع نحو كاهل .

وحائض وصاهل وفاعلة
وشذ في الفارس مع ما ماثله
فمن ذلك - :

١ — رافد وروافد في قول ضمرة بن
ضمرة في المفصلية - ٩٣ -
وطارق ايل كمت حم مبيته

إذا قل في الحى الجميع الروافد
ورافد : معط أو معين .

٢ ، ٣ — غائب وغائب ، وشاهد
وشواهد ، قال عتبه بن الحارث لجزء بن سعد

في الخزانة ج ١ ط السلفية ص ١٩١
أحامى عن ديار بنى أبيكم
ومثلى في غوائبك قليل

- ١٠، ١١ - حاز وحواز وكاهن .
وكسواهن : في تفسير ابن الأباري - وهو
حجة - قول أفنون التغلبي في المفضلية ٦٥ :
ألا لست في شيء فروجاً معاويا
ولا المشفقات إذ تبعن الحوازيا
قال ابن الأنباري واحده حاز وواحد
الكواهن : كاهن ولم تذكر المعاجم الجمع .
١٢ - ناجع ونواجع : في البيان والتهيين
ج ٣ ص ٨٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام
هرون قال الوزيري :
وأعلم أنني سأصير ميتا
إذا سار النواجع لا أسير
ويروى في الأساس (نجمع) :
... سأصير رسما إذا انتجع
١٣ - سابق وسوابق قال بشامة بن حزن
النهشلي في الحماسية ١٥ ص ٢٢ :
إن تبتر غاية يوما لمكرمة
تلق السوابق منا والمصلينا
١٤ - خالف وخوالف : قال تعالى في
آية ٨٧ من النوبة ، رضوا بأن يكونوا مع
الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ،
وقال المفسرون والمعاجم : جمع خالفة
أو خالف وأميل إلى الأخير لأن قبل
آية الخوالف ، فاقعدوا مع الخالفين ،
٨٣ من السورة نفسها ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
- ١٨ - ناكس ونواكس ، وفارس
وفوارس ، وهالك وهوالك ، وخاطي
وخواطي .
شاهد ناكس ونواكس قول الفرزدق :
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار
وشاهد فوارس قول المتنخل اليشكري :
وعلى الجياد المضرا
ت فوارس مثل الصقور
وشاهد هوالك قول جندل الطعان :
فأيقنت أني عند ذلك نائر
غداة إذ أرو هالك في الهوالك
وشاهد خواطي* قولهم في المثل :
(مع الخواطي* سهم صائب) كما في الأمثال
للعسكري ، أما رواية الميداني فتحتمل أن
تكون الخواطي* جمع خاطئة (من الخواطي*
سهم صائب) .
ووقفت على جموع أخرى لم أعثر على
شواهد لها من ذلك :
١ - صاحب وصواحب عن المصباح
(فرس) نقلا عن ابن القطاع .
٢ - حاسر وحواسر نقلا عن النخص
ج ٦ ص ٧٩
٣ - عاجز وعواجز عن القاموس
(عجز) لغة هذيل .

- ٤ — حارث وحوارث عن اللسان (حرث) وفيه قال ميبويه ومن قال حارث قال في جمعه حوارث حيث كان اسما خاصا كزيد فافهم يعني أنه ليس من الباب لأنه علم لا صفة .
- ١١ — ناكس : أحجم فهو محجم ونواكس .
- وقد رأيت في اللسان (بزل) والمخصص في أسنان الأبل عن ميبويه وابن سيده أنهما أجريا بازل على بوازل لتقديرهما بازل ببازالة وما أظن أن في حاجة إلى هذا الإجراء لأن (صاهل وكاهل) هما هو لغير العاقل لا يحتاجان إليه فتقديرهما غير مستو ولا مستقيم .
- وبعد ، فإننا ننتظر رأى المجمع الموقر في هذا الجمع بعد أن جاء السماع بثلاثين منه فصيحة واضحة .
- ٩ — خاشع وخواشع .
- ١٠ — وفي اللسان (قرا) قار : متبمع .
- أو شهيد ومنه الحديث الناس قواري الله في أرضه أي شهداء .
- ٨٠٧ ، ٦٠٥ في الخزانة ط السلفية ج ١ ص ١٩٢ نقلا عن شرح أدب السكاك للجواليقي حارس وحوارس وحاجب وحواجب من المجابة وقولهم (أنا وحواج الله ودواجه) جمع حاج وداج : معين أو مكار وفي شرح شواهد الشذور للفيومي هند شرح شاهد الفرزدق السابق .
- د يتبع ،

على السبامى

(اللغة العربية تتحدث عن نفسها)

قال المرحوم حافظ إبراهيم :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن آى به وعظات

ثم يقول :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

طريقة القرآن في الدعوة والإقناع^(*)

للأستاذ أحمد مصباح

— ٤ —

زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، إن في ذلك
آيات لقوم يتفكرون .

وفي الأرض قطع متجاورات وجنات
من أعتاب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها
على بعض في الأكل ، إن في ذلك آيات
لقوم يعقلون . . الرعد : ٣ ، ٤

« أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء
يتقياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم
داخرون . . النحل : ٤٨

« ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو
الصماء ما يحسكن إلا الله ، إن في ذلك آيات
لقوم يؤمنون . . النحل : ٧٩

« ألم تر أن الله يزجي سحاباً ، ثم يؤلف
بينه ، ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج
من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها
من برد ، فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عن
من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . .

« يقلب الله الليل والنهار ، إن في ذلك
لعبرة لأولى الأبصار . . النور : ٤٣ ، ٤٤

« ومن آياته خلق السموات والأرض ،
واختلاف ألوانكم وألوانكم ، إن في ذلك
آيات للعالمين . ومن آياته مناكم بالليل والنهار
وابتغائكم من فضله ، إن في ذلك آيات لقوم
يسمعون . . الروم : ٢٢ ، ٢٣

(ج) ولم يغفل القرآن في هذا المجال طريقة
الملاحظة العلمية التي تؤدي إلى تعرف الأسباب
الكامنة وراء الظواهر والآثار ، فلفت النظر
إليها ، وطالب بفهمها في آيات كثيرة نسوق
منها قول الله تبارك وتعالى : (١)

« إن في خلق السموات والأرض ،
واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله
من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ،
وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات
لقوم يعقلون ، البقرة : ١٦٤ .

« وهو الذي مد الأرض وجعل فيها
رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها

• تحدثنا في المقالين السابقين عن عنصرين
من عناصر الفلاح في طريقة الدعوة ، هما :
(١) مراعاة الطبيعة البشرية وما جبلت
عليه من ميول .

(ب) استخدام المنطق في تفنيد الشبه
وإقامة الأدلة .

(١) من غير الممكن استيعاب الآيات
المتصلة بهذا الموضوع ، وقد حاولنا في اختيار
الآيات المذكورة هنا أن تكون شاملة لأنواع
الظواهر التي لفت القرآن أنظارنا إليها .

من قبلكم لعلمكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون . البقرة : ٢١ - ٢٢

« إن الله فائق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ذللكم الله فأنى تؤفكون . فائق الاصباح ، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً ، ذللكم تقدير العزيز العليم . » الانعام : ٩٥ - ٩٦

« الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... » إبراهيم : ٣٢ - ٣٤

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شىء موزون . وجعلنا فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين . وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون . » الحجر : ١٩ ، ٢٣

« وهو الذى مرج البحرين ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا . وهو الذى خلق

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . » الروم : ٢٣

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور . » فاطر : ٢٧ ، ٢٨

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ، ذللكم تقدير العزيز العليم . والقمر قد وناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون . » يس : ٣٧ - ٤٠

(د) ومن الأساليب التى عنى القرآن بها فى توجيه الدعوة ومحاولة الإقناع ، الأسلوب التلقينى وسوق القضايا على أنها مسلمة لا تحتاج إلى دليل ، ولا تحتل مناقشة ، وهو أسلوب له أثره عندما تزاح الأغشية التى صنعها أصحاب المصالح ويخلى بين الناس وبين الحق السافر الواضح ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تقرر الحقيقة وتذكر بالنعمة وتطالب بالشكر فى صورة الإيمان بالله وأتباع هديه نسوق منها قول الله تبارك وتعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين

« يا أهل الكتاب لم تحتاجون في إبراهيم ،
وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ،
أفلا تعقلون » . آل عمران : ٦٥

ولما لإثبات صدق الرسول صلوات الله
وسلامه عليه عن طريق ما أخبر به من قصص
لم يحضر أحداثه ، ولم يكن في زمانه ، ومن
ذلك قصة مريم التي قال الله بعد الانتهاء منها :
« ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ،
وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم
يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ،
آل عمران : ٤٤

ومن ذلك أيضا قصة يوسف عليه السلام
مع اخوته ، وقد جاء تعقيباً عليها :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ،
وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ،
يوسف : ١٠٢
ومنه قصة موسى عليه السلام ، وقد اتبعها
قول الله تبارك وتعالى :

وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى
موسى الأمر وما كنت من الشاهدين .

ولسكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ،
وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم
آياتنا ، ولسكننا مرسلين .

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولا كن
رحمة من ربك لتنذر قوما ما أمأهم من نذير
من قبلك لعلهم يتذكرون ، القصص : ٤٤-٤٦

(يتبع) أحمد إبراهيم

من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان
ربك قديرا . الفرقان : ٥٣ ، ٥٤

« الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل
من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة
ضعفا وشيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم
القدير . الروم : ٥٤

« يأياها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو
الغني الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد .
وما ذلك على الله بعزيز . فاطر : ١٥ - ١٧
« إننا أمره إذا أراد شيئا أن يقول له
كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت

كل شيء وإليه ترجعون » . يس : ٨٢ - ٨٣
« لله ملك السموات والأرض يخلق
ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن
يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ،
ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير .

الشورى : ٤٩ ، ٥٠

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد .
ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

سورة الاخلاص

(هـ) ومن الطرق التي استخدمها القرآن
في الدعوة والإقناع ، ولفت إليها النظر في
أكثر من موضع ، الاحتكام إلى التاريخ ،
لما لإثبات خطأ وقع فيه بعض المجادلين
كقول الله سبحانه رداً على اليهود والنصارى
عند ما ادعى كل فريق أن إبراهيم عليه
السلام كان منهم :

ما يقال عن الإسلام

الفتة الأولى

للدكتور محمد نزار الإصواني

عن الهوى ، بمحدث أو بسنة ، أى بعمل النبي عليه السلام ، ومع ذلك فكانت ثمة طائفة من الأحكام ، لا تحتاج إلى وحى سماوى من كتاب ، ولا قدوة نبوية من عمل الرسول ، لأنها تتعلق بأمور الدنيا البهتة ، وهذه يرجع الأمر فيها إلى الخبرة والتجربة ، والإجتهاد بالرأى ، والمشورة بين المسلمين لإختيار الأصلح ، مثل تلميح النخيل ، وحفر الخنادق في الحرب وغير ذلك مما هو مشهور .

من أجل ذلك رأى المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، وقد جمع بين الثقافتين ، وكان أستاذاً في الجامعة المصرية ، وانتهى به الأمر إلى أن يكون شيخ الأزهر ، أن الفكر الإسلامى الأصيل ينبغى أن يلتمس في الفقه لا في علم الكلام أو التصوف أو الفلسفة ، وأعلن ذلك الرأى في كتابه " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية " .

وهذا هو رأى الأستاذ جورج هنرى بوسكيه الذى كان استاذاً في كلية الحقوق والاقتصاد بجامعة الجزائر ، أعلنه في كتابه

الفقه الإسلامى أكثر العلوم بعداً عن التأثير بالثقافات الأجنبية ، وبخاصة الفلسفة اليونانية ولذلك يقال إن علم الكلام ، والتصوف ، والفلسفة قد تأثرت تأثراً شديداً بعلوم اليونان والفرس والهند والأفلاطونية المحدثة ، بل إن علم النحو العربى نفسه فيما يقال قد تأثر أيضاً بالنحو اليونانى ، وكذلك علم العروض أما الفقه الإسلامى فقد ظل زماماً طويلاً حتى تكونت مذاهبه في القرن الثانى ، إسلامياً محضاً ، وسر ذلك أنه يعتمد على القرآن وعلى السنة المبينة للكتاب ، طبقاً للحديث المشهور حين أرسل النبي عليه السلام معاذ بن جبل إلى اليمن ، فقال له : بهم تحكم يا معاذ ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيي ، قال النبي : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله إلى ما يرضاه .

كان ذلك في عصر النبي ، والأحكام تنزل قرآناً ، وتشريعاً واجباً الأخذ به ، فإن كانت الشرائع عامة فصلها النبي ، الذى لا ينطق

معرفته به وثيقة ، وقد نقل إلى الفرنسية مختصر أبي شجاع في فقه مالك ، وهو متن متأخر ، كما نقل في كتاب خاص كثيرا من النصوص وسمى الكتاب «الفقه من النصوص» ، وليس معنى ذلك أنه يحل المذاهب الأخرى ، ولكنه قل أن يشير إليها ، وجل اعتماده على المالكية .

و (الفقه) اصطلاح إسلامي يصعب نقله إلى اللغات الأجنبية ، ولذلك نجد كثيرا من المستشرقين يستعملونه كما هو « Fikh » والمصطلحات الآتية وهي بالفرنسية ، لها معنى مختلف ، فالقانون Loi ، والشرعية Loi Divine والحق Droit . ومن هنا سميت الكلية التي يدرس فيها القانون ، كلية الحقوق ، وهي تسمية فرنسية ، Faculté de Droit أما التسمية الإنجليزية فهي كلية القانون Faculty of Law .

* * *

من المفيد استعراض هذا التاريخ منذ نشأته في عصر الرسول ، حتى استقر الفقه اصطلاحا . فالقرآن تشريع سماوى ، ومازل فيه من أحكام يتعلق بعضه بكيفية العمل ، وبعضه الآخر بالعقائد . ولم يكن ثمة تمييز في العصر الأول بين عقيدة وشرعية ، ولكن لم يكد القرن الأول يأتي على نهايته حتى انفصل علم الشرائع والأحكام ،

« الفقه الإسلامى Le Droit Musulman » الصادر سنة ١٩٦٣ وفي ذلك يقول في استهلال الفصل الأول : إنه في مقابل علم التوحيد في الإسلام نجد علما تطورا تطورا كبيرا هو علم الشريعة ، الذى يبين للمسلمين ما يجب العمل به لا ما ينبغى اعتقاده ، وهذا العلم بالواجبات يسمى الفقه ، الذى يتميز به بلا مدافع الإسلام أكثر مما يتميز به علم الكلام أو التصوف ، إنه زبدة الإسلام و « نخاعه » بحسب عبارة شاخت .

والكتاب فريد في نوعه ، فهو يذيعه في أبناء قومه الناطقين باللسان الفرنسى وأغلبهم يجهلون الفقه الإسلامى ، فكان لا بد له من أن يوازن بين ما يجرى عندهم من فرائض القانون ، ومبادئ الحقوق والواجبات ، وما يجرى في الإسلام من فقه . ويمكن أن يعد الكتاب من أجل ذلك بحثا في الفقه المقارن .

ولكن للكتاب صفة أخرى هامة ، هو عنايته بالتحليل الإجتماعى والنظر في أحوال الجماعات الإسلامية التى نشأ فيها الفقه وكان يطبق عليها .

هذا فضلا عن إخضاع كتب الفقه الإسلامية للمناهج الحديثة ، فى التقسيم ، والتبويب ، والترتيب .

وكان المؤلف يعيش فى بيئة شمال إفريقية التى تتبصع مذهب مالك ، ولهذا السبب كانت

وتوفي بها (٩٣ - ١٧٩) ، وهو صاحب الموطأ (عبارة عن أحاديث مرتبة على أبواب الفقه) ، ومن أذاع مذهبه أسد بن الفرات صاحب المدونة في فقه مالك .

ثم محمد بن إدريس الشافعي توفي بمصر سنة ٢٠٤ ، حفظ الموطأ وعرف مذهب الرأي الحنفي ، ومذهب الحديث لمالك ، وهو صاحب كتاب الرسالة المشهور ، توسط فيه بين أبي حنيفة ومالك .

والرابع أحمد بن حنبل ولد ببغداد ١٦٤ هجرية وتوفي بها سنة ٢٤١ . وكان متمسكا بالكتاب والسنة ، ويرجع بعد ذلك إلى فتوى الصحابة ، ويقدم المصالح المرسلة على القياس الذي يعده أضعف الأدلة ، وقد أحيا مذهبه ابن تيمية في القرن الثامن الهجري وتلميذه ابن قيم الجوزية ، والمذهب منتشر اليوم في الحجاز .

ولا يفوتنا أن نذكر المذهب الجعفري في فقه الشيعة ، لأنه أيضا من المذاهب المهمة ، ولكن هذا المذهب لا يعتمد إلا الأحاديث المروية عن علي ، وهي في جملتها لا تختلف عن الأحاديث التي يرويها أهل السنة .

كل ذلك تاريخ مضى زمانه ، فقد طرأ على الفقه الإسلامي تطور في العصر الحاضر نجمله في ثلاثة أمور أساسية :
الاول : هدم التقيد بمذهب معين ،

عن علم الكلام ، أو علم التوحيد والصفات . ولم يكن الصحابة والتابعون في حاجة إلى تدوين هذين العلمين ، لقرب عهدهم من الرسول ، فكانوا يرجعون إليه ، أو يرجعون إلى صحابته بعد وفاته ، ولم تسكن رقعة الإسلام قد اتسعت واشتدت الحاجة إلى أحكام جديدة تبعا للظروف الجديدة التي واجهها العرب .

وقد قرر عمر بن الخطاب كثيراً من الأحكام بعد الانتصار على الفرس والروم ، وكان عمر نافذ البصيرة ، متما صرح الإسلام على الأصول الشرعية ، فكان تشريعه وفتاواه أساساً صالحاً اقتدى المسلمون به بعد .

حتى إذا جاء عصر التدوين ، وكثرت الفتاوى ، ورجع الناس إلى العلماء في المهمات ، واشتغل العلماء بالنظر والاستدلال والاستنباط ، وتمهيد القواعد والأصول ، وظهرت الاصطلاحات ، وكثرت المسائل والشبه والاختلافات ، سمى ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ، ومعرفة أحوال الأدلة إجمالاً في إفادتها الأحكام بأصول الفقه .

وقد تم هذا التدوين في أوائل العصر العباسي ، وظهر الأئمة الأربعة الكبار : أبو حنيفة ولد بالكوفة سنة ٨٠ ، وتوفي ببغداد ١٥٠ ، ومالك بن أنس ولد بالمدينة

وهذا الباب متفرق في كتب الفقه وغيرها ويصعب جمعه ، وهذا ما فعله الأستاذ بوسكيه مع المقارنة بما يجرى العمل به في فرنسا . يقول ما فخرا : إن تشكيل المحكمة في غاية البساطة ولذلك فهو شديد الاختلاف عن المعروف لدينا ، لأن الفقه لا يعرف سوى محكمة واحدة يرأسها قاض واحد ، فلا يوجد إذن هناك درجات مختلفة من المحاكم كما هو الحال عندنا (يريد في فرنسا) . ولا توجد كذلك هيئة محكمة ، بل يحكم القاضى منفرداً دائماً ، على نقيض المبدأ الفرنسى ، ولا يوجد كذلك تمييز فى الأحكام ما دامت المحكمة واحدة . وليس هناك طبقات متميزة فى الإسلام . وأخيراً فلا يوجد سوى قاض واحد لكل ولاية ، اللهم إلا إذا اضطرت الضرورة لتعيين أكثر من قاض ، وللقاضى مطلق السلطة فى إصدار الأحكام مدنية كانت أم جنائية ، وبغير استثناء إن سلطاته القضائية كانت من أجل ذلك غير محدودة ، وله إلى جانب ذلك سلطات أخرى فوق سلطته القضائية فله حق الإشراف على ثروة اليتامى ، والمحجور عليهم ، والنظر فى الحبوس ، وتوزيع التركات ، وعقد النكاح وغير ذلك .

والقاعدة المشهورة فى الإثبات هى : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » .

وقد بدأت مصر بذلك منذ زمن ، فأصدرت مصر كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) ، وها نحن نرى أن المؤلفات الحديثة أصبحت تضم المذهب الجعفرى أيضاً ، ولو أن الأستاذ بوسكيه لم يفعل ذلك لسبب بسيط هو اقتضاه على مذهب مالك .

والثانى : فتح باب الاجتهاد ، بعد أن ظلت المذاهب الأربعة التقليدية متبعة أكثر من ألف عام .

والثالث : أخذ بعض الدول العربية والإسلامية بالتشريع الأوروبى وهجر الفقه الإسلامى . ومن هذه الدول الجمهوريات الإسلامية فى روسيا ، وذلك بعد الثورة الروسية سنة ١٩١٧ ، وتركيا سنة ١٩٢٦ التى اصطنعت القانون السويسرى ، فيما عدا تحفظات بسيطة ، ثم ألبانيا . أما مصر فتعد اصطنعت القانون المدنى والجنائى الفرنسى ، وأبقت على قانون الأحوال الشخصية بحسب الفقه الإسلامى ، وألغت المحاكم الشرعية أخيراً . ووحدت المحكمة .

ولما كان الأستاذ بوسكيه يبحث الفقه الإسلامى على أساس اجتماعى فلا عجب أن يتطرق إلى وصف نظام التقاضى ، وهيئة المحكمة ، وتعيين القضاة ، وسبل الإجراءات مما يجرى عادة فى المحاكم الحديثة المدنية ،

٢ — الكتب التعليمية والتي يؤخذ بعضها عن بعض ، مثل الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل .

٣ — كتب الاختلاف ، أى بين المذاهب فقد جرت العادة أن يعالج كل مذهب مسائله بطريقته ، وأمثلة كتب الاختلاف بداية المجتهد لابن رشد ، الذى يذكر فى هقدمته أسباب الخلاف .

٤ — كتب الحيل وكتب الورع : الأولى تتحايل على الشرع مع الاحتفاظ بظاهر النص والثانية - تذهب على العكس - إلى الاحتفاظ بروح النص والتورع عن مخالفة باطن النص .

٥ — كتب العمل : مثل تحفة ابن عاصم وهو كتاب مستخدم كثيراً فى المغرب .

٦ — كتب النوازل والنوادر ، عبارة عن افتراضات شرعية ، مع حلها طبقاً لأصول الفقه .

٧ — كتب الفتوى ، عبارة عن رأى كبار الفقهاء فى مسائل بأعيانها .

٨ — كتب خاصة فى القضاء .

٩ — كتب فى السياسة الشرعية ، مثل الأحكام السلطانية للماوردي ، وبه فصل عن القضاء وعن الحسبة .

١٠ — كتب إسلامية عامة تبحث فى الأدب ، بوجه عام ، ومن أهم الكتب الإحياء للغزالى .

وبعبارة أخرى إن صاحب القول الضعيف عليه بإقامة الدليل لإثباته ، وصاحب القول القوى يعززه باليمن ، والفرق بين هذا الفقه الإسلامى والقانون الفرنسى أن أوثق الأدلة فى القانون الفرنسى هو الاعتراف المكتوب والوثائق المادية ، وإن قبل الدليل بشهادة الشهود ، فلا عبرة باختلاف الجنس أو عدد الشهود ، وإنما العبرة بالقيمة الذاتية للشهادة ، أما فى الفقه فالاعتبار الأول لشهادة الشهود ، على حين أن دور الدليل المكتوب ثانوى .

واتباعاً لطريقة الوضوح والمنهجية ، فإن المؤلف ، وبخاصة لأنه أجنبى ، يصنف المصادر التى يرجع الباحث إليها فى دراسته للفقه ، ولو أنه لم يضع ثبثاً كاملاً بهذه المراجع ، باعتبار صغر حجم الكتاب وأنه مؤلف للجمهور لا للمتخصصين ، إلا أن هذا الثبوت المرتب نافع ومفيد ، ويمكن استكمالته على هذا الأساس ، وهذه المراجع بعد القرآن والسنة هى :

١ — كتب الفقه فى عصوره الأولى وهى كتب ليست فى هيئة تعليمية ، وأهميتها ترجع إلى بيان تاريخ الفقه والتشريع ، مثل المدونة لابن القاسم فى فقه مالك ، وكتاب الام للشافعى .

غير أن النقد الرئيسى الذى نوجهه للدؤلف ، هو أنه على الرغم من تأليف كتابه فى ضوء الفقه المقارن ، أى بين العالم الإسلامى والغربى ، فقد اهتم بالتاريخ ، ومرورا سريعا بالعصر الحاضر ، وبخاصة ما تميز به العالم الإسلامى فى القرن العشرين من فتح باب الاجتهاد . ثم إنه أغفل اغفالا تاما ، من جهة أخرى ، تأثر الغرب بالفقه الإسلامى . إذ من المعروف أن مذهب مالك الذى كان سائداً فى الأندلس ، وفى شمال إفريقيا ، تسرب إلى أوربا ، وبوجه خاص إلى فرنسا حتى إن نابليون عند ما أراد وضع القانون الفرنسى كان متأثرا إلى حد كبير بما جاء فى مذهب مالك ، وبخاصة الأصل الخامس ، وهو المصالح المرسله ، وما يتفق مع العرف ما دام مستحسنا . واذكر أن المستشار عبد السلام فهمى كتب طويلا فى هذا الموضوع ، الذى توجد فيه أبحاث شتى فى اللغة العربية .

وليس هذا بغريب ، ما دام العالم كيانا واحدا ، يتأثر بعض أجزائه ببعضها الآخر .

أحمد فؤاد الأهوانى

على الرغم من أن المؤلف قد أحسن عرض أهم جوانب الفقه ، من وجهة نظر الإسلاميين وبعد الرجوع إلى المتون والشروح إما بالعربية وإما المنقول إلى الفرنسية ، وعلى الرغم من احترام المؤلف الواضح للإسلام ، على الأقل ظاهرا ، إذ كتب التاريخ الهجرى بعد التاريخ الميلادى فى آخر المقدمة (إبريل ١٩٦٢ - ذو القعدة ١٣٨٢) واختتم الكتاب بهذه الآية القرآنية « إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، سورة النحل بعض آية ٧٤ . وقد ذكرها مترجمة Dieu sait et vous ne savez pas غير أنه يمجّد المستشرقين ، ويذكر أن إهتمامهم بالفقه لم يظهر إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على يد جولدمان زيهير المجرى ، (١٨٥٠ - ١٩٢٠) وسنوك هرجرونج الهولندى (١٨٥٧ - ١٩٣٦) وقد ظهرت مؤخرا دراسات كثيرة بقلم المستشرقين منها كتاب شاخنت (مدخل إلى الشريعة الإسلامية) وغير ذلك . ولعل عذره فى ذلك أنه يكتب للجمهور يقرأ اللغة الفرنسية . وكما ذكر ، ليس فى الفرنسية كتاب فى الفقه يمكن الاعتماد عليه ، لأنها إما شديدة الإيجاز ، وإما مملوءة بالأخطاء .

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دؤستاذ محبى الدين الزلواى

- ١٦ -

إظهار الحق

للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى

- إن للإسلام فى بلاد الهند تاريخاً مجيداً منذ أن وصل صوته إليها ، فلم يأل علماءها المسلمون جهداً فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين الهنود وغيرهم والذود عن مبادئها وتعاليمها الرشيدة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه . فإن طابع الدعوة كان سليماً يعتمد إلى إنقاذ الطبقات الفقيرة والمنبوذة من قسوة النظام الإجتماعى البالى ، فلا عجب إذا اصطدمت هذه الدعوة بأغراض المبشرين الاستعمارية ، ولما استمرت هذه الحالة لم يجد المبشرون الإنجليز بدا من التهمج على الدين الإسلامى الذى يقف عقبة كأداء فى سبيل إتمام غزوهم الثقافى والعقائدى ، وتناولوا عليه زورا وبهتاناً بأن فى الإسلام ضعفاً وتخلفاً ، ومن أهم المسائل التى خاض فيها المبشرون الإنجليز فى الهند وتجمعوا بها على الإسلام خمس مسائل رئيسية ، وهى :
- ١ - أن القرآن ليس بكلام الله المنزل وأنه كلام محمد بن عبد الله . (عليه الصلاة والسلام) وكذلك تشكيكهم فى طريقة جمعه وتواتره !
 - ٢ - إن بعض آيات القرآن منسوخ وأن الفسخ دليل على أن القرآن ليس من عند الله لأن أحكامه بهذا قابلة للتعديل والتبديل !
 - ٣ - أن دعوى القرآن بأن فى التوراة والإنجيل تحريفاً وأن اليهود والنصارى حرفوا الكلم عن مواضعه ، دعوى باطلة !
 - ٤ - إنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء !!
 - ٥ - وأخيراً محاولتهم للبرهنة على عقيدة

الإنجليزية لما تسلطت على الهند تسلطاً قوياً وبسطت بساط الأمن والنظام في أول الأمر، وما ظهرت الدعوة من علمائها إلى مذهبهم، وبعد مدة أخذوا في نشر دعوتهم حتى ألفوا الكتب والرسائل في رد أهل الإسلام ووزعوها في أنحاء البلاد بين العوام، وشرعوا في الوعظ في الأسواق والميادين العامة، فلم يلتفت أحد من علماء الهند إلى رد تلك الرسائل، لكن استفحل أمر المبشرين واشتد نشاطهم، فعند ذلك توجه بعض علماء أهل الإسلام إلى ردهم، وإن كنت منزويًا في زاوية الخول، ولم أكن أهلاً لهذا الخطب العظيم. لكنني لما اطلعت على رسائل زمرة من العلماء ووصلت إلى مؤلفاتهم، استحسنيت أن اجتهد أيضاً بقدر الوسع والإمكان، فألفت أولاً الكتب والرسائل ليظهر الحال على أولى الأبواب.

واستدعيت مرة من القسيس (فندر — الذي كان يعد نفسه أبرع المبشرين في فن المناظرة وأقدرهم على التسكلم بالعربية والفارسية) الذي كان عالماً من كبار القساوسة المشغولين في الهند يومئذ لاطعن والجرح على الملة الإسلامية — كتابة وخطابة — للمناظرة معه في مجلس عام، فتقررت أن تقع بيننا المناظرة في المسائل الخمسة التي هي أمهات المسائل المتنازع عليها

التثليث بأن الله ثلاثة — الأب والابن وروح القدس — لكي يضعوا عقيدة التوحيد التي يؤمن بها المسلمون!

ولما صارت هذه المسائل مثار جدل كبير بين المبشرين وعلماء الإسلام، واشتد الطعن الشفوي والتلبيس على العامة بأباطيلهم، وكثرت كتبهم ورسائلهم التي يجرحون فيها الدين الإسلامي ونبيه ويرمونهما بنقائص عديدة، وخاصة في اللغات الأوردية والفارسية والعربية، وتكررت ندواتهم في المجتمعات والميادين العامة في أنحاء البلاد، خشي المصلحون من مسلمي الهند الغيورين الفتنة، فكان في مقدمة هؤلاء، مؤلف هذا الكتاب الذي رد على مفتريات وأباطيل هؤلاء المبشرين، فألف رسائل في اللغات الثلاث المذكورة.

ومن كتبه القيمة في اللغة العربية كتاب «إظهار الحق»^(١) وهو يتناول المباحث في المسائل الخمس السابقة، وجعل كل مبحث في باب مستقل، وأضاف باباً في بيان وتناول العهدين القديم والجديد من الإنجيل. وذكر المؤلف في مقدمته الظروف والأسباب المحيطة بتأليفه، حيث قال: إن الدولة

(١) الطبعة الجديدة لهذا الكتاب صدرت في المملكة المغربية عام ١٩٦٤ تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية بها مع إخراج وتحقيق الأستاذ عمر الدسوقي.

الذى ناظرت معه ، فألفت هذا الكتاب (إظهار الحق) وجعلته مرتبا على مقدمة وستة أبواب فكل مبحث فى باب مستقل ، وباب خاص لتناول العهدين القديم والجديد ويتضح من قراءته أن المؤلف (رحمة الله)

رجل عميق الإيمان بدينه وواسع الإطلاع على ديانات غيره ومتمكن كل التمكن من موضوعه وأن له عارضة قوية فى الجدل وسوق الحجة ، وأما كان يعرف مواطن الضعف عند معارضيه فيهمج عليها وأنه قرأ العهدين القديم والجديد ، كلمة كلمة ، وكل ما كتبه عنهما علماء اليهود والمسيحية ، وكان من أبلغ حججه تلك الاستشهادات التى أوردها من أقوال مؤرخيه ومفسريهم على تأييد قضيته (١) .

وقد قدم المحقق الجليل ، كتاب د إظهار الحق ، بكلمة ختمها بالإشارة إلى الفوائد المترتبة على نشر مثل هذا الكتاب فى أنحاء العالم الإسلامى اليوم فقال : وإذا كانت وطأة الاستعمار قد خفت اليوم فى بلاد الهند وأخذ ظله يتقلص من كثير من البقاع ، فإن لغو المبشرين المسيحيين لا يزال يجرى هل ألسنتهم فى إفريقيا وغيرها من البلاد ، ولذلك كان نشر مثل هذا الكتاب اليوم

البقية على صفحة ٢٣٨

بين المسلمين والمسيحيين ، وهى : التعريف ، والنسخ ، والتأليف ، وحقيقة القرآن ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فالتعقدت المناظرة فى محفل مشهور فى بلدة أكبر آباد فى شهر رجب سنة ١٢٧٠ هـ .

وكان بعض الأجابة معينتا لى فى هذا المجلس ويعاون القسيس بعض القسيسين . ومنهم القس فرنج وابتدأت المناظرة فى مسألة النسخ والتعريف فظهرت الغلبة لنا بفضل الله فى هاتين المسألتين اللتين كانتا من أدق المسائل وأقدمها فى زعم القسيس ، كما تدل عليه عبارته فى كتاب : د حل الإشكال ، فلما رأى ذلك سد هذا القسيس باب المناظرة فى المسائل الثلاثة الأخرى . (١) ثم سافرت إلى مكة واجتمعت بالعلامة السيد أحمد زبى رحلان ، فطلب إلى أن أترجم إلى اللسان العربى هذه المباحث فى هذه المسائل الخمسة ، لىكون نفعها عظيما وكانت الكتب التى ألفتها فى هذا الباب إما باللغة الفارسية أو باللغة الأوردية وكان سبب تأليفى فى هذين اللسانين ، أنهما منتشرة بين مسلمى الهند ، وأن القساوسة الوعاظ المقيمين فيها متمكنون فيها ، سيما القسيس

(١) جاء فى تقديم المحقق : دون ما جرى فى هذه المناظرة من حجج كلا الجانبين وقام بالتدوين السيد عبد الله الهندى المترجم الثانى للدولة الانجليزية بدار الحكومة فى أكبر آباد

انبثاء وآراء

الشيخ المدني :

كافح وهاجر ومضى شهيدا

إنا لله وإنا إليه راجعون في علم من أعلام العلم . كان خفاقا في مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية ، عم به النفع من زمن طويل ، وكان من بين الذين تولوا بعض التبعات والمسؤوليات في الجامعة الأزهرية الحديثة ، فكان له رأى سديد عرفه ولادة الأمور في طريقة تطوير الأزهر وفي منهاجه وما ينبغي أن يكون عليه ، ثم عرضت للأمة الكويتية الناشئة ، حاجة للانتفاع به أستاذنا شريفا ، ورائدا موجها لكتلياتها الجديدة (الحقوق) فاستعارته من الجامعة الأزهرية فأعارته إياها وهو أنضر ما يكون عودا ، وأقوى ما يكون صحة ، وقد خرج من مصر وكله هممة ونشاط .

لأنه سيكون مع البناء للجامعة الكويتية الحديثة ، كما سره أن يهاجر في سبيل الله تلبية لنداء العلم . واستجابة لصوت الشريعة هناك فلما أحس القوم بنجاحهم في الظفر به ، وحين حظهم في الحصول عليه ، رغبوا في مد الإعارة ، تأمينا لمشروعهم الحديث ، ولما يرضى وقتئذ على إستعارتهم له أكثر من ثلاثة أشهر ، وكان القدر وراء تفكيرهم وأملهم . يرى ما لا يرون ويعجل القطار لتلك الثمرة الناضجة ، والزهرة الناضرة ، فقد خج المغفور له أستاذنا الجليل لأداء فريضة الحج ، فأداها وأتم الشعائر ، واستمتع برحاب الله ، أتمه وعكة اضطرت عقبها إلى العودة توا إلى مستشفى الكويت ولم يزل بها حتى وافاه أجله المحتوم فرجع إلى وطنه محمولا على الأعناق ، وعاد من السفر القصير إلى السفر الأبدى الطويل ... وكان أمر الله قدرا مقدورا .

إنا لله وإنا إليه راجعون ، في فضيلة الشيخ محمد محمد المدني رئيس قسم الفقه للبيداه الإسلامية بكلية الشريعة والقانون والزميل العزيز بمجلس إدارة الكلية ، يعين على حل كثير من مشكلاتها ، ويقوم - رحمه الله عليه - بتصفية الجو في كثير من الأحيان في أدب وحكمة وحزم وعقل .

ومن قبل ذلك عرفته طالبا بمعهد الاسكندرية الذى قاد النظام فى الأزهر ، ففيه ألقى المغفور له الشيخ محمد شاكر بنظامه الجديد ، وتعهده ورعاه حتى كان شيوخه وطلابه يتميزون عن عداهم من شيوخ الأزهر وطلابه .

ولقد عرف الفقيد منذ حداثة فى طلب العلم بأنه المبع لإخوانه ، وأسوة فرقته ولم يزل كذلك لإمامهم ، ورائدهم ، حتى أتم الدراسة فى القسم الأولى آنذاك . ثم بدا له الاستجابة لطموحه ، فقفز إلى الشهادة الثانوية - وكان النظام وقتئذ يسمح بذلك - وتبعه فى هذا التفكير بعض إخوانه ، فمكثب الله لهم الفوز والنجاح ، ولا ينسى معهد الاسكندرية ما كان لهذه النتيجة من نشاط على وأدى ، دفع من بعدهم إلى اقتفاء أثرهم والتأسى بهم ، وكانت تلك الطريقة وهذا النشاط يعرفان فى المعهد بطريقة « المدنى » ، ونشاطه .

فلما انتقل المغفور له إلى القاهرة بعد حصوله على الشهادة الثانوية ، انتسب إلى القسم العالى فترة قصيرة ، ثم بدا له الانقطاع عن الدراسة النظامية ليتقدم إلى امتحان الشهادة العالمية النظامية من الخارج فاستطاع أن يحقق أمله ، ويظفر بأمنيته فانفسح له المجال والتحق بقسم التخصص شعبة البلاغة والأدب ، فخرج سنة ١٩٣٠ .

وهنا كانت الضائقة المالية تحيط بمصر ، فلم يجد عملا إلا فى سنة ١٩٣٢ . وكان من الظروف المواتية أن عين بمعهد الاسكندرية مدرسا بالمكافأة . فجد واجتهد وقام بعمله خير قيام ، وهنا يجب أن نذكر ملحة أملت بالأزهر وقتئذ فى عهد المغفور له الشيخ محمد الأحمدى الظواهري ، فقد فصل جماعة من المدرسين لأسباب سياسية ، وكان من بينهم المغفور له الشيخ محمود شلتوت . وقد عمل هؤلاء كل ما فى وسعهم ليرجع شيخ الأزهر عن قراره .

وهنا يظهر موقف جديد لفضيلة المغفور له الشيخ محمد المدنى ، فقد تزعم وقاد حركة التذمر مع المدرسين المنتدبين بثلاثة جنهات ، وهؤلاء قد استطاعوا إثارة الطلاب لانتشارهم فى جميع المعاهد ، وقوة اتصالحهم بطلابهم فوقع الإضراب المشهور ، وعم الاضطراب ، واتهى الأمر إلى فصل عدد من هؤلاء كان من بينهم الشيخ المدنى ، ولما لم يستقر الأمر عين المغفور له الشيخ المراغى سنة ١٩٣٥ ، فكان أول ما عمله إعادة المفصولين ، واختيار مجموعة منهم إلى القاهرة كان من بينهم الشيخ المدنى . وذلك لما كان يتوفر فيه من كفايات يحرص الرؤساء على الإفادة منها والاستفادة بها . . ومن هذا الوقت تأكد الاختلاط بين فضيلتي الشيخ شلتوت والشيخ المدنى .

فلما عين الشيخ شلتوت وكيلًا لكلية الشريعة أخذ معه الشيخ المدني مدرسا بها رغم اختلاف شعبة تخصصه . وقد قام فضيلة الراحل الكريم بتدريس هذه العلوم والتفوق فيها حتى عرفت كتاباته في النواحي الشرعية ، وامتثلت المجلات والصحف ببحوثه المختلفة ، وكان قلبه من الأقلام الأولى في معالجة المواضيع الجديدة سبابةً إليها في أي وقت من الأوقات ، ومجلة الأزهر الشريف عامرة ببحوثه المستفيضة ، وبنظراته الجديدة في الفقه الإسلامي . ولا يفوتنا أن نذكر ما كان لفضيلته في المضمار الشرعي في الصحف السيارة وفي الإذاعة ، والتليفزيون ، فله في هذه كلها سجل حافل ، وإنتاج ضخم . لو أردنا أن نقيس الرجال بإنتاج فضيلته لما وجدنا من يصل إليه ، ولا من يرجح عليه ، فقد أربت فتواه على أضعاف إنتاج المفتين ، وبحوثه الاجتهادية على الكثير من المعاصرين الباحثين .

وقد اسند إلى فضيلته رحمه الله ، من الوظائف الادارية ، شهد له بالكفاية النادرة والامتيان الفائق ، فولى افتتاح ، وسكرتارية الأزهر ، وعمادة كلية الشريعة :

وكان في كل هذه المناصب مضرب المثل ، وموضع الإعجاب والتقدير .
واليوم وقد خبا ذلك الضوء الهادي ، وغاض ذلك النبع الهادي وأندك ذلك الطود الشاخ ، ألقى إلى المسلمين جميعا عالما من أجل علماء الإسلام ، قد مضى في وقت نحن فيه أحوج ما نكون إليه .

ففي ذمة الله أيها الصديق الوفي ، والزميل النقي والعشير التقى وإننا لله وإننا إليه راجعون ؟

مصطفى مجاهد هجر الرصمى
رئيس قسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر

(بقية المنشور صفحة ٢٣٥)

لا يعد إحياء لفظة نائمة ، بل إن الفتنة يثيرها المبشرون في كل مكان يحلون فيه . وفضلا عن أنه يثبت عقيدة المسلمين ، وخاصة هؤلاء الذين يتعرضون للأسفار والاحتكاك بالمبشرين .
والحق أن هذا الكتاب من الكتب الفاصلة في النزاع بين المسلمين والنصارى

ووثيقة قيمة تثبت أن الإسلام دين الله وأن محمدا خاتم الأنبياء بالحجة التي يفهمها أعداء الإسلام .
ولم العدد القادم — حيث نتناول موضوعات هذا الكتاب وأبوابه وفصوله .
(يتبع)
محبي الدين الإسلامي

مؤتمر قادة الدعوة الإسلامية :

● رأس السيد حسين الشافعي نائب الرئيس ووزير الأوقاف ، مؤتمر علماء وقادة الدعوة الإسلامية . الذي عقد في قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر . صباح يوم الخميس ١١ صفر سنة ١٣٨٨ هـ وحضر الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور عبد العزيز كامل نائب وزير الأوقاف وكبار رجال الأزهر والأوقاف والجامعات .

كما حضره فضيلة مفتي الجمهورية وفضيلة الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة أعضاء مجلس مجمع البحوث وكبار رجال الفكر الإسلامي . وما يزيد عن خمسة آلاف من العلماء والوعاظ وأئمة المساجد ، وفي تمام الساعة الحادية عشرة بدء الحفل بتلاوة من آيات الذكر الحكيم ثم تقدم فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي وكيل الدعوة بوزارة الأوقاف فألقى كلمة أئمة المساجد : طالب فيها بإمدادهم بالمراجع الدينية وأن تتاح لهم فرص الاشتراك في الوظائف القيادية وغيرها .

ثم تقدم فضيلة الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ بالأزهر فألقى كلمة الوعاظ مبيناً سمو رسالة الوعاظ وأنها امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين .

ثم تحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن مرحلة التغيير فقال التغيير هو التجدد مع الأصالة ولقد حدثت تغييرات واضحة في قواتنا المسلحة وفي أوضاعنا الاقتصادية ونظمنا السياسية . وإذا كان التغيير قد شمل كل حياتنا فينبغي علينا أن نقوم برحلة في أنفسنا وفي مجتمعنا لنكون أكثر عوناً على الصعود فوق النكسة وأولى رجال الدعوة الإسلامية أن يسلكوا سبيل التجديد وأن يتصلوا بالأحداث العالمية والمحلية وأن يتفاعلوا مع القرآن .

ثم تحدث السيد حسين الشافعي فقال : - في هذا الاجتماع الذي يحضره أهل الفكر الإسلامي - وحينما نتكلم في الأزهر وفي هذه القاعة قاعة الإمام محمد عبده التي تحمل إسمنا عظيماً تجعلنا نستشعر الهيبة والمهم أن نكون صرحاء وواضحين فالراحة والوضوح هما صفة القائد المؤمن . وعلى الإمام أن يخدم موضوعه بحثاً وعلماً وأن يتعرف على الناس ويزيد اتصالاته وأن يتعرف على مشاكلهم ليتمثل قيادة روحية وفكرية صالحة وأن يتفاعل مع مشاكل المجتمع ، ثم قال سيادته . والرجل الذي يؤمن بالله هو الذي تعتمد عليه حقاً . فعلينا بكتاب الله وسنة نبيه قولاً وعملاً ولنعلم أن الدعوة إلى الله هي طريق الحق وهي خط الدفاع الباقي الذي لا يغلب .

ولنعلم جميعاً أنه لا بد للقوة من عقيدة تدفعها ولا بد للعقيدة من قوة تحميها .
وبعد انتهاء كلمة السيد حسين الشافعي ،
أعلنت توصيات المؤتمر وهي :

١ — إعطاء الأولوية في الدعوة الإسلامية لتعبئة الجهود من أجل القضية المصيرية ، واسترداد الأرض السليبية ، والمقدسات المغتصبة .

٢ — عقد دورة لمجمع البحوث الإسلامية لدراسة قضايا الدعوة الإسلامية على المستويات الإقليمية والعالمية .

٣ — مراجعة برامج الدعوة الإسلامية في السكليات والمعاهد المختصة بما يتفق مع متطلبات المجتمع .

٤ — عقد مؤتمرات نوعية لدراسة مناهج الدعوة بين قطاعات الشعب وقواه العاملة .

٥ — عقد مؤتمرات دورية لدراسة مشكلات الدعوة الإسلامية ودور المسجد والإمام والواعظ فيها .

٦ — اتخاذ الخطوات الإيجابية بناء على الدراسات السابقة لتكوين الداعية الواعي الذي يجمع بين شمول النظرة والتخصص الموضوعي تطبيقاً لما دعانا إليه الإسلام ،

وأجمعت عليه، الأمة في بيان ٣٠ مارس من العناية بالقيم الروحية والخلقية واتباع المنهج العلمي .

٧ — تأكيد الثقة بقائد نضالنا البطل المؤمن الرئيس جمال عبد الناصر مقدرين أعظم التقدير ما رعى به الدين ورجاله والأزهر الشريف .

مؤتمر تطوير المناهج الدينية بوزارة

التربية والتعليم

● دعا السيد الدكتور محمد حلمي مراد وزير التربية والتعليم بعض كبار رجال الدين والفكر والتعليم لدراسة تطوير مناهج التربية الدينية وطرق تدريسها ، توصلاً إلى تعميق المفاهيم الدينية في نفوس الطلاب .

وقد عقد الاجتماع الأول بقاعة الاجتماعات بديوان الوزارة يوم الأحد ١٢ مايو ١٩٦٨ لمناقشة الموضوع في معناه الواسع ووسع القواعد الكفيلة بمجعل مادة الدين ترتبط بأحساب الحياة الحرة الكريمة التي تفشدها البلاد للوطنين .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

regarding small children, and in the moral education for the grown-ups too. Threat, and even punishment, may be essential in some situations.

Islam takes good use of all possible means toward moral education. Some times the Quran resorts to the method of exhortation and conviction, and in some other times it uses the language of threat, which throws deep fear, and arises piety in the hearts of the believers.

The Holy Quran says what means :

“Has not the time yet come for the believers that their hearts should be humble for the remembrance of God and the truth that is revealed and that they should not be like those who were given the Book before, but time was prolonged for them, so their hearts hardened. And most of them are transgressors.”

Some times the Holy Quran threatens the disobedient and the transgressors with more horrible words, and warns them against the anger of God, or with a war waged on the part of God and His Messenger, or with severe punishment in the Hereafter or in the present life. we may cite these verses as examples to all these :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا

ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله .

(البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩)

It means : “O you who believe, keep your duty to God and relinquish what remains due for usury, if you are believers. But if you do it not, then be apprised of war from God and His Messenger.”

« والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهتماً .

(الفرقان)

It means : “And they who call not upon another diety with God kill not the soul which God has forbidden, except in the cause of justice, nor commit adultery ; and he who does this shall meet a requital of sin. The chastisement will be doubled on him on the day of Resurrection, and he will abide therein in abasement”.

« إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ، (التوبة)

It means : “If do go not forth (to fight in the cause of God) He will chastise you with a painful chastisement, and bring in your place a people other than you, and you can do Him no harm.”

(to be Continued)

the Quran is whole guidance and all-encompassing preaching, as the verse says :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ،
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم
إلى صراط مستقيم . » (سورة المائدة)

It means : "There has come to you from God a light and a clear Book, wherewith God guides all who seek His good pleasure to ways of peace and safety, and leads them out of darkness, by His will, unto the light, and guides them to a path that is straight."

If sermon, imitation, and stories are among the good means of moral education, how is punishment considered a legal means for such education ?

Where and when kind method of conviction toward moral behaviour fail, punishment then is the only solution to repel evil and replace it with goodness. There are some educational schools of thought call for the abolition of punishment ; but we have seen that, in some of the so-called free countries, there are generations of evil and immoral people. Punishment is not necessary for every person ; many people are changed into good citizens through good

imitation and effective preaching and teaching. In Islam, punishment should be preceded by kind guidance as the Holy Quran says :

« ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . »
(فصلت ٣٣ - ٣٤)

It means : "And who is better in speech than one who calls to God and does good, and says : I am surely of those who submit ? And not alike are the good and the evil- Repel evil with what is best when he between whom and you is enmity would be as if he were a warm friend."

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . »

It means : "Call to the way of your Lord with wisdom and goodly exhortation. . ."

Even though, there are many psychologically deviated persons who cannot be treated by mere sermons and goodly exhortation. Soul here is like body ; was surrounded with too much ease and luxury, it becomes weak. Some of rough treatment, in particular cases that invites it, would be necessary

The Basis of the Ethical System in Islam - III

By

ABDUL WADOOD SHALABI

We mentioned previously that preaching in Islam is one of the means of education in good morals. What are the practical results of this means ?

Human soul is responsive to the effects of the words. Since the effect of speech is temporary, repetition here is necessary for reminding and preaching. Effective sermon has a direct approach to the heart, but it has to be enforced with imitation and with good environment in order to give the sermon the desired results. For example, the parents may be honest, but the child may incline to steal he came into contact with bad company. Preaching and guidance here is necessary to direct the child back to good behaviour. The grown-up people are like small children in this respect. They need continuous preaching, for they may lack good examples of moral excellence, or these examples may be not enough to exercise them in good ethics. The Holy Quran used the method of preaching in abundance. We read such effective verses :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . . (الفساء ٥٨)

It means : "God does command you to render back your trusts to those to whom they are due; and when you judge between man and man, that you judge with justice."

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملأ بيتكم إيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . (النساء ٣٦)

It means : "Serve God, and join not any partners with Him; and do good to parents, kinsfolk, orphans, those in need, neighbours who are near, neighbours who are strangers, the wayfarers and what your right hands possess : for God loves not the arrogant, the vainglorious."

These are just few examples of the Quranic preaching. In fact

the prophet, they are apt to define the Sunnah as the usage of the community.

b) The fact that the study of the Sunnah has in the course of time evolved into a special science (Hadith) and thus a kind of specialization has been increasingly demanded as a basis for its utilization as an authentic reference. As the religion of Islam grew up and developed, this seemed to offer an easy way to exert one's own ideas over the community of Islam, i. e., deliberate forgeries were instituted and false sayings were attributed to the prophet Muhammad by Islam's enemies.

There was, however, a counterbalancing of different influences extended against these forgeries. One was the recorded compilations by early Muslims. Another was the works of the Muslim scholars who compiled and authenticated the Sunnah. Some of these works are Muatta of Malik Ibn Anas, Musnad Ibn Hanbal, Sahih Al-Bukhary, and Sahih Muslim.

The outcome of this work was the classification of every recorded

item of the Sunnah according to its status and authenticity.

3) The next source of Islamic jurisprudence that is of primary importance is the Ijamaa (the consensus of opinion) i. e. the agreement of qualified legal scholars in a given generation.

The validity of this principle is formally expressed in a Tradition which says : **« لا تجتمع أمتي على ضلالة »**

It means : "My community will never agree upon an error."

4) The last of the major sources of Islamic jurisprudence is that of Qiyas i. e. judgement by juristic analogy. In other words, the seeking of a solution on the basis of a limited and clearly defined use of analogical deduction from the general principles or particular cases found in the Quran or the Sunnah to a new case encountered on which the Quran and the Sunnah were silent.

Thus it is through Qiyas the principles enunciated in the Quran or in the Sunnah can be related to the various problems which must be encountered in everyday life

Individual opinions did exist, but only in absence of an applicable text in the Quran and the Sunnah, and still within the spirit of the two chief sources : Quran and the Sunnah.

Muslims are commanded to obey the prophet Muhammad because the Quran, as mentioned earlier, states quite clearly that Muhammad errs not, nor is he deceived. Whatever he utters, it is not of his own whim and fancy, It is naught, but a divine revelation from God.

The Sunnah

An arabic word which literally means method, has been applied by Muslims as a legal term comprising what the prophet Muhammad, peace and blessing be upon him, said, did, and agreed to.

The authority of the Sunnah derives from and is expressed and defined in the Quran as follows :

قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر التبين
للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون .
(سورة النحل)

It means : "And We have revealed to thee the reminder that thou mayest make clear to men that which has been revealed to them, and that haply they may reflect." (16:44)

This statement indicates the authority of the prophet Muhammad

and the function of the Sunnah in the interpretation of the Holy Quran.

The prophet Muhammad did not ask his followers to write down what he said or did, however this did not affect the status of the Sunnah, it only rendered more difficult the later recording thereof.

There has been a confusion for most western scholars on the subject of the Sunnah when discussing Islamic law.

There has been a confusion between the literal meaning of Sunnah and Sunnah used as a legal term. For example, Gibb has defined the the Sunnah as self-developed tradition of the Muslim Community, including all its social and legal uses, and not to the usage of the prophet Muhammad.⁽¹⁾ However, this confusion may be due to :

a) Since the Sunnah has been defined as that which the prophet Muhammad said, did, or agreed to the tendency has been to emphasize that if anything of utility did not contradict a principle of Islam, it would be sanctioned and accepted by the prophet and hence the realization that a specific deed or institution thus legalized did exist before

(1) H. A. R. Gibb, Mahammadanism. New York : Oxford University Press, 1949, PP. 61—62.

2) Secondary Sources, which include :

- a) Istihsan.
- b) Istislah.
- c) Urf.

The Quran

The Quran is the Word of God which was revealed to the prophet Muhammad by the Angel Gabriel. It was revealed in Arabic. And there are many verses which indicate that Quran was revealed in Arabic.

قال تعالى : ، إنا أنزلناه قرآناً عربياً
لعلكم تعقلون . (سورة يوسف)

“It means : Lo ! We have revealed it, as an Arabic Quran, in order that ye may, learn Wisdom”.
(12 : 2)

قال تعالى : ، ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآناً
عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون . ،
(سورة الزمر)

It means : “We have put forth for men, in this Quran every kind of Parable, in order that they may receive admonition. (It is) a Quran in Arabic without any crookedness (therein); that haply they may guard against evil”.
(9 : 28)

Quran is the first primary source of Islamic jurisprudence which treats

the problems of man on earth and guides him to the right path for life after death.

Quran deals with the relationships of man to God and the relationships of man to man as well. And whenever Muslims come to disagreements on something or get confused in any matter concerning their life here or after death they are commanded to solve their problems according to the word of God and His apostle.

قال تعالى : ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ،
فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك
خير وأحسن تأويلاً ، (سورة النساء)

It means : O Ye who believe ! obey God, and obey the Apostle, and those charged With authority among you. If ye differ in anything among yourselves, refer it to God and His Apostle, if ye do believe in God And the Last Day ; That is best, and most suitable for final determination”.
(4 : 59)

During the lifetime of the prophet Muhammad, peace and blessing be upon him, only the Quran and the Sunnah were recognized as binding, with the Sunnah deriving its authority from clear injunctions of the Quran.

The Major Sources of Islamic Jurisprudence

By :

DR. IBRAHIM M. SHALABY



Islam, certainly more than any other religion, has the character of a jural order which regulates the life and thought of the believer according to an ideal set of revelations communicated by Allah to the prophet Muhammad, peace and blessing be upon him.

قال تعالى : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، (سورة النجم)

It means : "By the star, when it goes down, Your Companion is neither, astray nor being misled, nor does he say (aught), of (his own) desire. It is no less than inspiration sent down to him."

(53 : 1 — 4)

"Islam is different from Judaism ; Islam, being a universal submission to God, has no concept of a particular Covenant or a specially chosen people. It also differs from the Christian view of the Kingdom of God in heaven and the separate Kingdom of Caesar on earth. And it differs from other religions, such as Buddhism and Hinduism. Islam

is a faith, a law, a way of life, a nation, and a state with a system of Jurisprudence that is continually evolving for the administration of this world and the satisfaction of human needs under the sovereignty of our Creator." (1)

Most of the Islamic Jurists would agree upon a classification of the sources of Islamic Law into two main categories.

These are :

1) The primary sources, which consist of :

- a) The Quran (the Holy Book of Islam).
- b) The Sunnah (the authentic Traditions of the prophet Muhammad).
- c) The Ijmaa' (the consensus of opinion).
- d) The Qias, (the judgment by analogy).

(1) Abd - AL - Rahman Azzam, The Eternal Message of Muhammad, A mentor book, The New American Library New York and Tronto, The New English Library Limited, London, 1964 P. XIX.

THE QURAN A MIRACLE

It is a crowning proof that the Holy Prophet who revealed the Quran was illiterate, scarcely able to read or write. He revealed a Book which is a poem, a code of law, a Book of Common Prayer, and is revered as a Miracle of purity of style, of wisdom and of truth. It is a Heavenly Book that cannot be imitated. Any human being of powers of eloquence and poetry cannot compose even a single chapter or sûra like that of the Quran.

For its beauty ; force and sweetness of its language ; for the clearness, depth and profoundness of its significance, for the charm, vividness and magnificence of its similes, metaphors and figures, for the immediate, penetrating and lasting effect of its admonitions, for this all it has no rival in any language, ancient or modern. The Quran disarmed all critics and all rivals.

MUHAMMAD'S CHARACTER

The Spiritual Greatness of the Holy Prophet Muhammad was boundless. He was :

- * The Most successful Spiritual Leader, Guide and Administrator of mankind.
- * The best of all Muslims, but still a man and not an angel

or supernatural being ; all his victories were won by natural means and by his own glorious personality.

- * The Greatest Man who ever lived on this earth.

* * *

The Prophet's success was due to his personal virtues, of which are :

- * His courage in upholding the Truth under all circumstances.
- * His untiring energy in preaching Islam and looking after the welfare of his followers.
- * Keeping his promises. He never broke a promise. Once he gave his word, he unflinchingly stuck to his resolution. His Word could be depended upon, under all circumstances.
- * He never uttered a Lie during all his life. He never misled anybody.
- * He was merciful to everyone. As he was always kind to his friends, he was also generous towards his defeated enemies.
- * He was the most patient and persevering man on earth. He was never upset by any reverse or obstacle in path.

righteousness rallied round him and the efforts of the Meccans and their confederates to destroy him and his community recoiled on their own heads.

Then gradually all the outlying parts of Arabia ranged themselves round his standard and the bloodless conquest of Mecca was the crown and prize of his patience and constant endeavour. Whole tribes gave their support to him collectively, and before his earthly ministry was finished, the soil was prepared for the conquest of the wide world for Islam.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا ، (سورة النصر) »

It means : "When comes the help of God and victory, and thou seest the people entering God's religion in crowds, celebrate the praise of thy Lord and pray for His forgiveness, surely He is ever returning (to mercy)."

(Quran, Chapter 110)

This chapter was revealed during the last pilgrimage of the Holy Prophet before the passing away of the Prophet for eighty days only.

Masses from all parts of Arabia came to Medina, accepting Islam in companies. History does not present

another example of the wonderful transformation wrought by the Holy Prophet within the short period of twenty years.

Then followed the revelation of this verse which contains the memorable declaration, which was promulgated in the 10th year after Hijrah during the Prophet's last Pilgrimage to Mecca which is known as "Farewell Pilgrimage."

قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً . (سورة المائدة) »

It means : "This day have I perfected for you your religion, and completed My favour to you and chosen for you Islam as your religion." (Quran, Chapter 5, V. 3)

It is a clear testimony to the perfection of religion in Islam, no such claim being made by any other book or religion. Thus the Prophet Muhammad was the last of the prophets, because religion being perfected, no prophet was needed after him.

The Holy Prophet was admittedly the last of the Prophets. He closed the long line of Apostles. God's teaching is — and will always be — continuous, but there has been and will be no Prophet after Muhammad. The later ages will need thinkers and reformers, but not Prophets.

to satisfy all the disputants. He ordered the stone to be placed on a piece of cloth, and ordered each tribe to share the honour of lifting it up, by taking hold of a part of the cloth. And thus his wise judgement settled the quarrel, and ended the threat of war.

MISSION

Muhammad was now approaching his 40th year and his mind was ever engaged in profound contemplation and reflection. Before him lay his country b'eeding and torn by terrible wars and intolerable dissensions, his people sunk in barbarism, addicted to the observation of rites and superstitions, were lawless and cruel. This case of immortality and scepticism filled his heart with feelings of pity and sorrow.

He was told not to seek seclusion but to arise and warn a people, sunk low in vice and immortality. He was told to make them perfect by warning them, of the bad consequences of their evil deeds. He was commanded to engage himself in devotion so that he should attain to perfection; here he was commanded to convey the message and to warn to make others perfect.

قال الله في كتابه العزيز : يا أيها المدثر ،
قم فأبذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ،

والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك
فاحصبر . (سورة المدثر - آية ١ - ٧)

It means : "O thou wrapped up (In a Mantle) , arise and warn, and thy lord do magnify, and thy garments do purify, and uncleanness do shun, nor expect, in giving, any increase (for thyself) , and for the sake of thy Lord, be patient,"

(Quran, Chapter 74)

He was ordered to lead his people from barbarism unto civilization, from ignorance unto knowledge, from hatred unto love, from darkness unto light, from death unto life.

The mission of the Holy Prophet Muhammad (May God's prayers and peace be upon him) was not confined to merely preaching Islam but to establishing peace and good-will among all Muslims and inviting all mankind to join him in worshipping the One God and casting away their hatreds and enmities.

EMIGRATION

As Quraish in Mecca had tried all sorts of inducement, attack, persecution, boycott, insult, threat and even bodily injuries to the Muslims, the Holy Prophet found it very hard for himself and his followers to stay in Mecca.

So he migrated to Medina, where all the forces of truth and

the chief town of Arabia. With his birth, the glorious sun of spiritual light had dawned on the universe.

He was born orphan, so that every orphan may be consoled by his example. His father Abdulla, who died about three months before his birth, belonged to the family of Hashim, the noblest family of the Quraish section. His mother Aminah, died when he was six years old. His grandfather Abdul-Muttalib, who was directly descended from Ismail, the son of Abraham, held the high office of custodian of the Ka'bah. After his mother, his grandfather took the most tender care of the little orphan, but he died two years later. From that time the doubly orphaned child remained in charge of his uncle Abu Taleb, who was alive when the Holy Prophet received the Divine Message for the regeneration of mankind.

During his youth he did not worship idols and led an almost solitary life. He had no desire for enjoying life in the vulgar predominant sense. Meanwhile, he was known for his correctness of manners and purity of morals, as were rare among his fellowmen. For this, by common consent he was called "Al Amîn" means the faithful.

MARRIAGE

Mohamed's honesty as a marchant made him the polestar of the Meccan

society. When he was twenty five years old, he went to Syria as an agent of a noble and rich widow called Knadîja. Having proved himself faithful in her commercial interests, he was soon rewarded with her heart in marriage. This marriage raised him in the eyes of his people, (for Knadîja refused several rich great men who wanted to marry her) as she gave him the loving heart of a woman, who was ever ready to console him during hours of despair.

REBUILDING OF THE KA'BAH

Of the public acts, related by historians, to show the influence of his wisdom to settle grave disputes among his countrymen is the following event :

In rebuilding the sacred temple of the Ka'bah in 605 after Christ, each of the four leading families of Quraish claimed for herself the honour of raising the sacred Black Stone, the most holy relic of that temple, into its proper place, and no agreement was possible and a war seemed imminent. An old chief advised the disputants to accept the judgement of the man who would be the first to enter from a certain gate. They all agreed upon that proposal and the first man was Muhammad, "Al Amîn". Muhammad gave them an advice, which served

The Birthday of the Prophet

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS

*Director of the Cultural Centre for Diplomats
Ministry of Culture, U. A. R.*

INTRODUCTION

Great events that happen to every community have a tremendous influence on its course of life, especially regarding its future and trend of living. History records these events to show the successive generations the right path to follow, and the devil's way to avoid.

As a community, Muslims have to benefit from their great events and in the course of their history, have to remember them, to know the causes of their advancement. It will also give the Muslims the answers as to the causes of their decline in certain occasions, to keep far away from them.

The Birth of the Holy Prophet Muhammad (God's Blessings and Peace ever be with his soul) stands at the head of these most important events, which we must remember and recall at all times, and commemorate them.

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « وذكروا
فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .
(سورة الذاريات - آية ٥٥)

It means : "And remind, for reminding benefits the believers".
(Quran, Chapter 51, Verse 55.)

The advent of the Holy Prophet Muhammad is considered as the rising of the sun. He revealed the religion of Islam, whose doctrines tend in general to promote the welfare and prosperity of mankind, as well as they cultivate charity and good-will to all people.

Europe acknowledged — in an honest wholehearted manner — the great everlasting debt, she owes to Islamic culture and civilization.

In the middle Ages, when Europe was sunk in feudalism and ignorance, Islamic civilization, under the Arabs, reached a high standard of social and scientific greatness, that kept the European society from utter decadence.

BIRTH AND EARLY YEARS

In the second half of the sixth century, in the year 570 after Christ, on the 12th day of the third Arabic Month 'Rabie the first' the noble child Muhammad was born at Mecca,

and His scriptures and His messengers — We make no distinction between any of His messengers—and they say: We hear, and we obey, (Grant us) Thy forgiveness our Lord. Unto Thee is the journeying. Allah tasketh not a soul beyond its scope. For it (is only) that which it hath earned and against it (only) that which it hath deserved”.

(2 : 284—286).

The mission of Prophet Muhammad was first achieved in the midst of a nation sunk in a degrading and senginary superstition, and steeped in barbarism to whom the Quran refers as follows :

هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.
الجمعة ٢

It means : “He it is who hath sent among the unlettered ones a messenger of their own, to recite unto them His revelations and to make them grow, and to teach them the Scripture and Wisdom, though hereto fore they were indeed in error manifest”, — 62 : 2.

He inspired them with the belief in one sole God of truth and love. He united them by the ties of brotherhood. Before that Arabian

peninsula was wrapt in absolute moral darkness. Spiritual life was utterly unknown. Neither Judaism nor Christianity had made any lasting impression on the Arab mind. The people were sunk in cruelty and vice. The idea of future existence, and of retribution of good and evil, were, as motives of human action, practically unknown. Only a few years before Muhammad's mission, such was the Condition of Arabia.

What a change had the few years of his mission witnessed ! A moral desert, where all laws, human and divine, were contemned and infringed without remorse, was now transformed into a garden. Idolatry, with its nameless abominations, was utterly destroyed. Islam furnishes the only solitary example of a great religion which though preached among a nation and reigning for the most part among a people not yet emerged from the dawn of an early civilization, has succeeded in effectually restraining its votaries from idolatry. This phenomenon has been justly acknowledged as the Pre-eminent glory of Islam and the most remarkable evidence of the genius of its Prophet. In the fulfilment of Muhammad's mission in his life time; lies his distinctive superiority over the Prophets and reformers of different times of history.

ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man. Thus Islam signifies a religion of right—thinking, right-speaking and right-doing, founded on Divine love, Universal charity and the human brotherhood.

The mission of Prophet Muhammad (Peace be on him) was indeed a miraculous revolution that brought about an unprecedented change among the warring tribes of Arabia, at one time engaged in blood feuds. The Prophet infused the true light to see the face of truth from the mirror of conscience and to understand the merit of mutual respect and love of service to fellow-men, as the highest form of submission to the Sovereignty of the Supreme. The life of the Prophet presents a picture of perfection for our guidance. He exemplified in himself every aspect of human behaviour to be a perfect model of man. The Prophet exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the pinnacle of greatness in the standard of human achievement and to reach the summit of satisfaction.

Islam with its seeds of human brotherhood, equality and justice, taking root in the soil of Arabia, blew the wind of change far and wide and swept the world to adopt

the precept of unity, fraternity and equality, as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be judged by his work alone. The following verses of the Qur'an expressed the power and sovereignty of God, and the universality of His religion:

«لله ما فى السموات وما فى الارض . وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير . آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .»

(البقرة ٢٨٤ - ٢٨٦)

It means: "Unto Allah (beloneth) whatsoever is in the heavens and whatsoever in the earth; and whether ye make known what is in your minds or hide it, Allah will bring you to account for it. He will forgive whom He will and He will punish whom He will. Allah is able to do all things. The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - المائدة ٣

It means : "This day have I perfected your religion (Deen) for you and completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion". 5—3.

Henceforward man would require no further prophets or Books for his guidance but would guide himself admirably well in the right path with the Holy Quran, and with the aid of his highly developed intuition and intellect.

The Holy Quran contains the principles of the religion of Islam. It is a concrete and complete system dealing with all walks of human life. It interprets the true nature of man and establishes peace and harmony between him and his nature; and regulates his course of life according to the nature framed of God. Prophet Muhammad (peace be on him) was the recipient of the Holy Quran and in him are found the precepts of Islam in their concrete and applied form. In his life and work, therefore, we get Islam in flesh and blood. His precepts and examples are most reliable guides to the theoretical as well as practical knowledge of Islam. The Holy Quran was revealed and revelation and prophet-

hood were made final when humanity reached abdescence — when human intellect with the help of the Quran was in a position to interpret life correctly and to mould its destiny thereby.

The chief object of the perfect religion should be the elevation of humanity towards that perfection which is the ultimate purpose of creation of man. The perfect religion, therefore, ought to place, on a systemetic basis, the fundamental principles of morality, regulating social obligations and human duties, which brings man nearer and nearer to the aim of his existence in the earth. It is the distinctive characteristic of Islam; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human progress but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain disposition, the cultivation of certain temper of mind which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place. The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances; their entire agreement with the light of reason, and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest developments of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Rabi'Awwal
1388

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

June
1968

The Mission of Prophet Muhammad

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

In historical order the Holy Qurân is the latest and the final of all revealed Books and as such it interprets not the growing and incomplete man but the mature and complete man. The Holy Quran was revealed in an historical age and its purity has been well preserved. The Arabic word of 'Deen' is defined in the Holy Quran as the 'Fitrat' or nature in which God has created man. In this context the Holy Quran says :

فَأَنصِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي
فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينَ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .
الروم ٣٠

It means : "So set thy purpose for religion (Deen) as a man by nature upright — the nature (Fitrat) of Allah in which He has created

man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not". 30—30.

'Deen', therefore, denotes the composite law of nature which holds and moulds the destiny of the universe. The universe is a composite whole and not a sum — total of isolated fragments. Every item of creation, every genus and specie bears a relation with the rest of the universe. Each depends upon the other and none is wholly independent. Nevertheless, each item of creation is dominantly governed by a particular set of laws and each of these is a science. The Holy Quran revealed when man and his nature were made complete, that is when humanity attained maturity as it is clear from the following verse:

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٠٥ مولد النور « تصيدة شعر »		١٦١ في ذكرى المولد	
للأستاذ حسن جاد		محمد المجاهد	
٢٠٨ من هدى السنة		للأستاذ أحمد حسن الزيات	
أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم		١٦٥ « الواو » التي قيل إنها زائفة وليست كذلك - ٣ -	
للدكتور محمد محمد أبو شبة		للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج	
٢١٢ صور من المعارك البيانية		١٧٣ من وحى ذكرى مولد الرسول :	
بين خصوم الإسلام وأنصاره		محمد وكرامة البشرية	
للأستاذ عبد الحميد المسلول		للأستاذ محمد الدسوقي	
٢١٩ خفايا في زوايا اللغة والأدب - ٣ -		١٧٧ تبعات الإنسان محسوبة عليه	
للأستاذ علي السباعي		وذلك هو العبد	
٢٢٤ طريقة التفران في الدعوة والإقناع - ٤ -		للأستاذ عبد الطيف السبكي	
للأستاذ أحمد مهنا		١٨١ ميلاد أمة	
٢٢٧ الفقه الإسلامي		١٨٥ ذكرى ميلاد الرسول	
للدكتور أحمد فؤاد الأهواني		بين الواقع والواجب	
٢٣٣ الكتب :		للأستاذ محمد النادى البدرى	
المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين - ١٦ -		١٨٩ عظمة رسول الله	
للأستاذ يحيى الدين الألوانى		١٩٤ يوم غير مجرى التاريخ	
٢٣٦ أنباء وآراء		للأستاذ أنور الجندى	
للأستاذ عبد الطيف عبد الغلام مصطفي		١٩٩ المجتمع الفاضل في رسالة نبى الهدى والرشاد	
		للأستاذ مصطفى محمد الطير	



English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The Mission of Prophet Muhammad	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — The Birthday of the Propeht . .	M. Abdel Moneim YOUNIS	5
3 — The Major Sources of Islamic Jurisprudence	Dr. Ibrahim M. Shalaby	10
4 — The Basis of the Ethical System in Islam - III	Abdul Wadood Shalaby	14

مطبعة الأزمهر

التمن أربعون مليا

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بذل لأشتراك»
٥٠ في المبرور العربية المتحدة
٥٠ ضائع المبرور
والمدرسين الطلاب تخفيض فاص

تصديق عن شيخنا الأزهر في (أن كل شهرية عربي

الجزء الرابع - السنة الأربعون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٨ هـ - أغسطس سبتمبر سنة ١٩٦٨ م

سما الله الرحمن الرحيم

البقاء لله

لأستاذ عبد الرحيم فوده

حسن إيمانه ، وصلح عمله . واستثمر قواه
ومواهبه وعمره في فعل الخير ، وارتفع
بقيمته وكرامته إلى المستوى اللائق بإنسانيته ،
كما يشير إليه قوله تعالى : « ولقد كرّمنا بني
آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ،
فإن ذلك يعظم قدره وأجره عند الله ، ويضمن
له حياة أجد وأسعد من هذه الحياة ، لأن
متاع الدنيا إذا قيس بمتاع الآخرة كان كما
يقول الله فيسه : « وما متاع الحياة الدنيا
في الآخرة إلا قليل ، ، وكما يقول سبحانه :
« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ، .

يعز على مجلة الأزهر أن تعزى قراءها
في وفاة رئيس تحريرها المغفور له الأستاذ
أحمد حسن الزيات ، فإن مصابهم ومصائبها فيه ،
لا يخفف وقعه عليهم وعليها إلا استحضار
الشعور بأن البقاء لله وحده ، وأن الموت
والحياة كما يقول الله فيهما : « كل نفس ذائقة
الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن
زح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، .

هذا إلى أن من مظاهر رحمة الله بالإنسان ،
وفضله عليه ، وإحسانه إليه أن جعل حياته
الدنيا سبيلا إلى حياة أعظم وأكرم ، إذا

يقرأ ويكتب ويطلع القراء بعصارة صدره
وعزادة فكره . ونضارة أدبه ، ويعمل
في مختلف ميادين العلم والأدب ، فزاول
التدريس في « الفرير » بمصر ، وفي المعلمين
العلماء بالعراق . و عمل في لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، وفي مجمع اللغة العربية ، وفي المجلس
الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وأصدر مجلتي
الرسالة والرواية ، وترجم قصصا وروايات
من الفرنسية ، وألف في تاريخ الأدب العربي
واشترك في إخراج المعجم الوسيط ، وجمع
في عدة أجزاء مقالاته الرائعة الممتعة التي كان
يصدر بها مجلة الرسالة ، فكانت براعة استهلال
لما كان ينشر فيها من بحوث ودراسات ،
أما عمله في مجلة الأزهر . فقد عرفه القراء .
لقد كان الزيات ثروة قومية يعتز بها تراثنا
القومي ، وحياة مخضبة تمتد بجمعنا العربي
بما ينمي ويقويه وينزيه .
رحمه الله . وأكرم مثواه ...

عبد الرحيم فوده

وقد كان فقيدنا — رحمه الله وغفر له —
ثروة ثرية من تراث العروبة وأدب الإسلام ،
وكان بصره بشئون الحياة ، وإلمامه بثقافة
العصر يندمج مع ما أوتي من حظ وافر
في البيان وعلم واسع باللغة ، وإحساس مرهف
بالجمال ، ثم يمتزج بمشاعره الإسلامية لينشئ
من هذا المزيج أسلوباً جديداً يميزه عن غيره
ويضعه في منزلة لا يزاخه فيها غيره ، وهذا
الأسلوب الذي عرف به الزيات في الكتابة يتسم
بالصحة والجمال والقوة ، ويتألق بأنافة الذوق
ووثاقة التركيب وقوة الجرس . وجمهرة
الزنان ، فكان القارئ الأديب يرى في التثام
كله . وانسجام نغمه ، ما يرى في عمل المهندس
الدقيق ، والمصور الانيق ، والموسيقي البارِع
فالانفاظ — على اختلاف أبنيتها متسقة ،
والمعاني — على يسرها وقرب تناولها —
شريفة نقية ، والخيال يوشى أفكاره ومعانيه
بألوان زاهية وصور طليّة ، حتى ليخال
القارئ أنه معه في معرض ربيع .
وقد عاش الزيات عمره الطيب الخصب

النقد للأدب تقويم وتقييم لفقيه الأديب العربي

الأستاذ أحمد حسن الزيات

هذا المقال هو آخر ما كتبه المرحوم الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات لمجلة الأزهر - وقد كتبه قبل أن يلقى قضاء الله بأيام . و (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

في جزء واحد من النقد بمعناه العام عند الفرنج فلم يعالج غير أبيات وفقرات من الكلام المنظوم والنثر المسجوع ، وأغفل القصيدة باعتبارها وحدة لا تتفرق . والكتاب باعتباره كلا لا يتجزأ ، ولم يحفل ما ألف بالنثر المرسل من الكتب والقصص ، وجر ذلك إلى أن الكتاب والشعراء أوغلو في البديع وتفننوا في الزخرف ، وأهموا فن القصص فتركوه لأدباء الشعب ولم يعنوا منه إلا بالمقدمات ؛ لأنها مظهر الصنعة وبحك القدرة فحرموا الأدب العربي فنا كانوا هم بسليقتهم أقدر الناس على التوفر له والافتتان فيه !

إن من يطالع على ما أثر عن السلف في النقد والموازنة يجد الخطأ في الأقيسة والخلل في الموازين والشطط في الأحكام ، وذلك لتحكم الهوى الخاص ورأسال الناقد الحكم

نقد العمل الأدبي معناه تقويم عوجه بالأداة الصالحة ، وتقييم مادته بالوزن الصحيح وأداة الناقد بهذا المعنى ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة . والناقد بهذا الاعتبار يشارك المشرع في صدق التمييز ، والفيلسوف في دقة الملاحظة ، والقاضي في قوة الحكم . ومن هنا كان نوايغ النقد في العالم أندر من نوايغ الشعر والكتابة .

والنقد بمعناه الفني لم يصبح عند الفرنج فنا مستقلا له قواعده ومذاهبه إلا في القرن التاسع عشر بعد أن ارتقى علم النفس وازدهر وانتشر ، ثم تابع رقيه حتى أدرك تمامه وبلغ أوجه فأثر في فنون الأدب أبلغ التأثير وعدل في بعض أنواعه كل التعديل .

أما عند العرب فقد انحصر - لأسباب لغوية - لا محل لذكرها في هذه الكلمة الموجزة -

على غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين . فهم يتكلمون فى اللفظ الجزل والركيك ، والاسلوب الرصين والمهلل ، والمعنى المسروق والمطروق ، والمطلع الجيد والردى والتخلص الحسن والقيح ، ويمجرون فى كل أولئك على أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والاجناس . وربما اكتفوا فى تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة العامة أو الإشارة المهمة أو الهتاف الموجز ، كقولهم . والله دره إذ يقول ... ، وهذا لما لم يسبق إليه أحد ، وما أحسن هذا البيت ! ، ولم يمنوا بالخطوط التى تميز كلاما من كلام ، ولا بالحدود التى تفرق بين شاعر وشاعر ، فلو نقلت ما قالوه من المدهح فى شاعر إلى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق .. والأمر كذلك فى كل ما ألفوه من المكتب على طراز اليتيمة للشماعى ، ودمية القصر للباخرزى ، وفريدة القصر للأصبهاني ، وريحانة الألباء للخفاجى ، وسلافه العصر للبحجى .

* * *

من ذلك يتضح أن فهم القدماء القاصر لحقيقة الفن الشعرى والكتابى حصر النقد البياني - كما قلت - فى الصور والأشكال . وهذا الحصر نفسه قد وجهه الأدباء إلى الاحتفال باللفظ دون المعنى ، وبالصورة

قبل الفكرة ، ففات أكثرهم أن روعة الكلام لا تكون بالرونق والاناقة والصنعة وحدها وإنما تكون مع ذلك بقوة التعبير عما تكنه الضمائر وتحسه المشاعر ، وبدقة التصوير لختلف الطبائع والعواطف والأخلاق والشهوات والصفات حتى ترى صور أصحابها الحقيقية أو المتخيلين تحرك وتعمل وتقول على مقتضى الغرائز الثابتة والفطر الأصلية ، وتكشف الغطاء عن طبيعة الشخص بكلمة تجرى على لسانه أو حركة تصدر عن يده ، ثم تكون روعة الكلام ببراعة الوصف لمناظر الطبيعة ومظاهر الكون حتى تحس فيها الحياة والحركة وتدرك ما بينها وبين النفس وانفعالاتها من اتصال وعلاقة . ثم تكون أخيرا بشدة التأثير فى الأقدمة حتى تستيقظ فيها روافد الأهواء والعواطف ، فضطرب النفس أو تغضب ، وتهادأ أو تشور ، وتفرح أو تحزن ، وتحب أو تبغض . ولو أن نوابغ الكتاب والشعراء فطنوا إلى ذلك لكان من هم الناقد أن ينظر فوق ما ينظر من الألفاظ والصور فى تنسيق المعانى وترتيب الأفكار فى جملة الكتاب أو القصيدة أو المقالة أو القصة أو الكلام على العموم ؛ لأن سلامة الجزء المنفصل ، أو بلاغة البيت المفرد ، لا تدل حتما على سلامة الكل أو على بلاغة القصيدة .

من ذلك يتضح أن فهم القدماء القاصر لحقيقة الفن الشعرى والكتابى حصر النقد البياني - كما قلت - فى الصور والأشكال . وهذا الحصر نفسه قد وجهه الأدباء إلى الاحتفال باللفظ دون المعنى ، وبالصورة

إلى القاع ، وانتقل من الشكل إلى المضمون وتذرع باللغة والعلم والمنطق في نقود العقاد والمازني وشكري ومن لف لفهم ثم كاد ينحصر اليوم في القصص والمسرحيات بما كان يكتب مندور ورشدي وحتى ومن جرى مجراهم .

ولعل النقص الذي يعتور النقد الفني الحديث أنه في جملته لا ينبثق من طبيعة الأدب العربي ولا من بيئته ، وإنما ينبثق من طبيعة الأدب الغربي وقواعده ومذاهبه فلو أن هؤلاء النقاد اتجهوا بعقليتهم المتحررة وثقافتهم المتجددة إلى دراسة أدبنا تحت الضوء الصادر عنهما لوجدوا فيه فنا مستقلا من النقد المبني على العلم والخبرة والاصالة ، يتمم ما بدأ به عبد القاهر وأبو هلال وابن الأثير .

أما ما نقرأه في الصحف العربية من حين إلى حين ما يسميه أصحابه نقدا فإنه لا يدخل في هذا الباب إلا كما يدخل المجون في نطاق الجدل أو العبث في سياق المنطق . كالرجل يقعد به العجز من اللحاق بالقادرين فيقف نفسه موقف القائد الحصيف ، يلزم هذا ويتنادر على ذاك ، ويزعم أنه هو وحده المسيطر على ثمرات الدهن فيحكم بذوقه

كذلك كان من هم الناقد البياني لو اتجه إلى المضمون أن يحلل ما ينشأ في نفس القارئ لروائع السكتاب والشعراء من العواطف، وأن يبين كيف يستطيع السكتاب أو الشاعر أن ينشئ هذه العواطف أو يوحياها . ومن ثم كانت كتب النقد عند الفرنج عملا فنيا قائما بذاته يبوئ أصحابه مقاعد النبوغ والخلود .

على هذه الحال من الشكلية والسطحية والتعسف مضى النقد العربي حتى بلغ جيلنا الماضي ، فكان الناقد منذ قريب يعمد إلى السكتاب القيم في التاريخ أو الفلسفة أو القانون قد ألفه مؤلفه من دمه وعصبه وعقله وعمره وماله فيقف منه موقف الحاسد اللاحق ينقد في بعض صفحاته فعلا عدى بغير حرفة ، أو اسما جمع على غير قياسه ، أو لفظا لم يجده في معجمه ، ثم يحكم على السكتاب كله بأنه سخي لا يقرأ وضعيف لا يعيش ، ومن هذا النوع أو قريب منه كان نقد طه حسين لنظرات المنفلوطي في أوائل هذا القرن !

ثم أخذ النقد الفني يتطور مع الوعي والتعليم والاطلاع على أدب الغرب في الربع الثاني من القرن العشرين ، فغاص من السطح

الخاص على هذه بالقبح وعلى تلك بالفجاجة ،
وأمره كله لا يخرج عن مألوف الطباع
الساخرة الفكهة : تصور الحق بألوان الباطل
لتضحك ، وتبرز الجليل في مظهر القبيح
للتسيء ! وعيب الناس طبيعة في بعض الناس ،
لا يكلفهم إلا تحريك اللسان إذا لقوا سامعا ،
أو تحرير القلم إذا وجدوا صحيفة .
هذا الضرب من النقد إما أن ينبعث عن
عن الحقد فيرمى إلى التجريح ، وإما أن
ينبعث عن الغرور فيسعى إلى الهدم !
أحمد حسن الزيات

استدراك

وقعت بعض أخطاء مطبعية في عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٨ في مقال فضيلة الدكتور
عبد الرحمن تاج منها في رقم ١٦٩ النهر الثاني السطر السادس قريب من الوجه المختار هو عينه
وصحته وليس هو عينه ، وفي السطر العاشر وليس بخلاف رأى الزجاج وصحته حذف وليس
وفي صحيفة ١٧٠ في النهر الأول السطر الرابع ولا ضرورة تقضيها وصحته ولا ضرورة
تفتضيها ، وفي السطر الخامس والعشرين من النهر الأول في صحيفة ١٧٠ أيضا والدهريعاقب
وصحته والدهر يعقب ، وهناك بعض أخطاء أخرى لا تنفي على القارىء .

فجاءت القردة

رسالة الملائكة

إلى إبراهيم ولوط
تأستاذ عبد اللطيف السبكي

- (أ) « ولقد جاءت رسلنا لإبراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاما ، قال ، سلام ... » ٦٩ - هود
- (ب) « ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ، وضاق بهم ذروعا ، وقال هذا يوم عصيب » ٧٧ - هود

١ - الملائكة : هم عباد الله المسكرمون ، لا يعصون الله ما أمروهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وهم سفراء الله إلى الناس في الجانب الروحي ، وفي الجانب الدنيوي .

ألا يمدوا أيديهم إلى الطعام ، وهو لا يزال يظنهم أناساً ، فساورة الخوف من تحاشيهم لطعامه ، والمفروض أنهم جياع من أثر السفر ، فربما يكون امتناعهم نذيراً بشر يخافه منهم فبادرته الملائكة بالطمأنينة على نفسه ، وبالإفصاح عن رسالتهم . قالوا : « لا تخف ... إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، .

٢ - بعث الله تعالى بعض الملائكة إلى إبراهيم - عليه السلام - لتبليغه رسالة من ربه ، فجاءوا في صورة رجال حسان الخلقة ، بهيجي المنظر ، ونزلوا عليه حيث يقيم في أرض فلسطين ، وألقوا عليه تحية السلام فأجاب بمثلها من خير ما يحيمهم ... ثم سارع إبراهيم فقدم إليهم طعامه ، لظنه أنهم ضيوف من الرجال ، وكان الطعام عجلا من البقر ، مشويا على النار ، أو على الحجارة الساخنة من غير نار ... والمشوى هو الخنيذ وليكن الملائكة لا تأكل طعاما كما نأكل ، فكان طبيعيا

وكانت امرأته - سارة - قائمة إلى جانبه ، تنهياً لخدمتهم على الطعام ، فلما سمعت مقالهم واطمأنت على زوجها فرحت ، وضجكت ، فساقوا إليها البشرى بأن الله سيرزقها بولد يسمى بإسحاق ، وضاعفوا لها البشرى بأنها بعد إسحاق سيكون منه سبط لها يسمى يعقوب . كانت هذه البشرى خير ما تنتظر ، لأنها تقدمت في السن إذ ناهزت التسعين ، وزوجها كذلك ناهز المائة ، فلا مطمع

البيت إنه حميد مجيد، يعنى لا تعجبني من أمر الله، فإنه قادر على كل شيء، ولا تستعدي أن يخصكم يا أهل البيت ببعض مكارمه فإله يحبيكم برحمته التي يغمركم بها في قضائه. ويضفي عليكم بركاته في الذرية وفي غيرها، إنه تعالى يفعل الخير الذي نحمده على فعله. وهو المجيد الذي يتعظم علينا بالمزيد من نعمه.

وسارة هذه لم تكن تحمل يومذاك أن إبراهيم أنجب ولده لإسماعيل من زوجته الأخرى هاجر وكان إسماعيل في فترة سابقة على هذه البشرية فلعلمها كانت تظن أن الوقت بعد إسماعيل قد أبعد الأمل في شيخوخة، زوجها... أو أنها كانت تظن أن المانع من جانبها أقوى، لطول انتظارها.

ولذلك وجهت الملائكة بشرها إلى هاجر لشدة تعلقها. فحسبها ما ظفرت به من صادق الخبر على لسان الملائكة عليهم السلام جميعا. ومن نفعات هذه القصة التي ورد ذكرها في غير موضع أن فائحة الكلام عند قدوم القادم على غديره أن تسكن بتحية السلام، كما صنعت الملائكة مع إبراهيم عليهم جميعا سلام الله.

وأن يسارع المزور بتقديم مكرمه إلى الضيف الوافد من سفر أو زيارة، في حدود طاقته، وقد ظلت مكرمة الضيف مشروعة في الإسلام منذ شريعة إبراهيم، وهل هي ليوم واحد، أو ثلاثة أيام قولان.

في الخلف حسب العادة... ولهذا تملكها العجب الذي يمزج بالفرح عندما يصادف المرء أملا كان يستعبده... وقالت في دهشة الفرح: يا ويلتا أمد وأنا عجوز، وهذا بعلى شيخا.

يعنى يا عجبي! هل يكون منى ولد بعد أن بلغت أنا وزوجى من الكبر ما بلغنا؟؟
« إن هذا لشيء عجيب ».

لم يكن عجبها إنكارا للبشرى. لأنها عرفت أنهم ملائكة، وأنهم قد علموا بشأنها من جانب الله - ولا جرم - وأنهم يبشرونها عن الله.

ويبدو أنها لم تسكن سمعت من قبل بوجود ولدت من رجل شيخ، فاستعظمت هذا الحادث على نفسها... فتهللت بالبشرى، وبالعجب لما تستقبله من الأمل الذي أصبح مرجوا بعد أن كاد يزايلها.

ولسكنها تعجب - كما قلنا - لأنها لم تسمع قبل ذلك أن عجوزا في سنها ولدت من زوج في سن إبراهيم ولم تفطن أن الله خصوصيات في بعض عبادته.

فهى بين البشرى، والعجب: مأخوذة بنزعة التواضع: أنها لم تبلغ مبلغ الاحصاء من عباد الله وعندئذ تفرق بها الملائكة وتبسط في مناجاتها. فيؤكدون لها البشرى من جديد ويخففون عنها من دهشتها بقولهم لها: « أتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل

خلفه من بعده وليس هذا مما نحن بسبيله .
ولمّا نعود إلى حديثنا عن الملائكة مع
لوط عليه السلام .

(ب)

تحدثت الملائكة مع إبراهيم - عليه السلام -
قطماً نوه من خوفه ، وبشروا زوجته بالبنتين .
ثم صار حوه بمأثم قاصدون إليه بعد ذلك :
« إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، آية ٧٠ من هود .
وإبراهيم رسول حلیم ، أواه ، منيب ،
كثير التأوه ، والضراعة ، راجع في كل أموره
إلى ربه : قلباً ، ولساناً ... وكان من شأنه
بعد أن فرغ من الطمأنينة أو البشرى أن
يراجع الملائكة في إقدامهم على إهلاك قوم
لوط خوفاً على لوط ، وهو ابن عمه ، ورسول
من ربه ، ويقول في شفاعته لأهل القرية :
« إن فيها لوطاً ١١ » ، والملائكة يقولون له
مرة نحن بمن أعلم فيما ... لننجينه ، وأهله :
« إلا امرأته ، كانت من الغابرين » ، يعنى هى
من الهاالكين . مرة يقولون له : ليصرفه
عن هذا القرفق والشفاعة لمن لا يستحقون
شفاعته « يا إبراهيم أهرض عن هذا ، إنه قد جاء
أمر ربك ، ولهم آتيم عذاب غير مردود ،
وهذا انحسم الجدل ، وأيقن إبراهيم أن لوطاً
وأهله المؤمنين به ناجون من مهلكة القوم ،
وأيقن أن هلاك القوم نفذ به القضاء فلا محالة
من وقوعه .

وهل العموم ، فهى : سنة إسلامية والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول « ومن كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

وكذلك من ملاحم القصة المستحبة أن الضيف
إذا قدم إليه طعامه أن يبادر بالإقدام عليه ،
فإن المكرومة للضيف من رب المنزل أن يقدم
إليه طعامه أو تحيته والمكرومة من الضيف
لرب المنزل ألا يقرئ عن التحية طويلاً ،
لئلا يسكون هذا مظنة الإعراض عن
تكريم رب البيت له .

ومن بعد ذلك تحققت بشرى الملائكة
لإبراهيم ، وزوجة سارة ورزقهما الله بإسحاق
ثم يعقوب والله تعالى يقول في هذا ووهبنا
له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ،
ويظهر أن إبراهيم عليه السلام - كان يغبط
نفسه كثيراً على إنجاب ولديه إسماعيل ،
وإسحاق لانهما كانا بعد يأس ومن ذلك قوله
« الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل
وإسحاق . إن ربى لسميع الدعاء » .

وطبعاً : كان وثيق الأمل فى يعقوب نافلة
كما وعده ربه على لسان الملائكة .

ومن أجل هذا كان يستقبل أمهله بالدعاء
لنفسه ، ولذريته ، فيقول : « رب اجعلنى
مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء »
وفى هذا المجال متسع لكلام يطول عن
الأسباط ، وهم يعقوب - إسرائيل ومن

ذكرها على لسان لوط لقومه في سور كثيرة كالاعراف ، وهود ، والانبياء ، والشعراء والنمل ، والعنكبوت ... وكلها لا تجدى نفعا في إصلاح هذه النفوس المنحطة عن كرامة الإنسان ، وهم لا ينتهون عن خسيستهم في إتيان الذكور دون الرغبة في الزوجات . حتى كانت الطامة عليهم بحضور الملائكة لآخذهم بعذاب الله ، بعد أن استحقوه بسوء ما يصنعون وحتى في هذه الساعة التي سيحقيق بهم الهلاك فيها : لم تكن تساورهم خشية ، ولا يكفهم توبيخ ، وهم فيما بينهم لا يتصدون في إسفافهم .

والآن يرون ضيوف لوط ، فيتهاقون هاهم في هرج ، والهرج هو السرعة في هرولة ، ورعدة . . . ولوط يصرفهم في جهد ، ويعزم عليهم أن يتزوجوا بناته . وكذلك يتزوجون بنات المؤمنين من قومه ، وسيحقق رغباتهم في الزواج ولن يرد واحداً منهم عن خطوبته ، فإن من كانت ترفض خطبته عن واحدة ، فإنه لن يتزوجها أبداً فهو يقرب إليهم الأمل ، وهو يذكى البنات بطهارتهن من دنس الفحشاء ومن لؤثة السمعة .

ويجأ بتوسله ورجائه إلى القوم أن يعزوه أمام ضيوفه ، ولا يجرؤ بما يخزيه من هذا الإسفاف ، وما فيه من تظاهر بالوحشية التي لم تنفع رسالته في مقاومتها ، وكان

ثم كان لقاء الملائكة للوط - عليهم السلام جميعاً - في المنطقة التي يقيم بها من الشام - وهي سدوم ، وما إليها - ولم يمكن لوط على سابق عهد بحضور الملائكة إليه بعد أن اجتازوا موطن إبراهيم

لذلك ظنهم ضيوفه كما سبق « لإبراهيم ، وظنهم قومه أيضاً رجالاً ضيوفاً ...

أما لوط فقد تخرج موقفه ، وضاق صدره وتوقع شراً من قومه ، لعله أنهم أشرار ، أدنياء ، يعتدون على أهراض الرجال في شذصياتهم ، ويخشى على كرامة ضيوفه - خاصة : أنهم حسان الوجوه .

وأما قومه فقد استفزهم الشيطان كعادتهم ، وجاءوا مسرعين ... للاعتداء الفاحش على هؤلاء الضيوف

وكثيراً ما نهام لوط عن هذه الفعلة النكراء المزرية بأفئاد الرجال ، والصبيان ، بل ومزرية بأعراض النساء ، فكان من قوله لأولئك الفساق : « أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خاق لكم ربكم من أزواجكم؟ بل أنتم قوم عادون ، ويقول لهم : « أتأتون الفاحشة ، ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون ، « أنتم لتأتون الرجال ، وتقطعون السبيل ، وتأتون في ناديك المنكر ... » .

وهكذا من تهذيرات ، وتشنيعات ورد

الباب ليقتحموا ، ولوط - عليه السلام - يتوجع من هول الموقف ... ويلهج بالسان الاسيف الضارع ، ويتمنى أن لو كانت له طاقة بهم ، لاستطاع دفعهم بالقوة ، حيث لم ينتج معهم الإقناع ، لو أن لى بكم قوة ... أو آوى إلى ركن شديد .

« ولكن لا قوة أستطيع بها ، ولا ركن لى من العصية التى أعز بها فى مقارعتكم » .

وعندئذ أصبح المغلوب على الحق أمام الغالب بالباطل .

واكن الله تعالى ينصر رسله ، ويفاجئهم بنصره وإن كانوا فى قلة ، على من يغالبهم وإن كانوا فى كثرة ، وقد وعد الله بنصر رسله والمؤمنين .

وعند ما تأزم الموقف أفصح له الضيوف عن حقيقتهم ، وقالوا له : « يا لوط : لنا رسل ربك ، ان يصلوا إليك ، وأذنوه أن يتنحى عن الباب أمامهم ، فاقترحوه بكثرتهم وقوتهم فضر بهم جبريل بجناحه فأعماهم جميعا ، وهذا هو قول الله تعالى « ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ، فذرقوا عذابي ونذر » . وكان هذا العمى مقدمة العذاب فيمن حضر ، وهو إنذار للجميع ؟ وللإسلام بقية

هــبـر الـلـمـيـض الـسـكـى

يزيده أسفا أن الجميع منهم على هذه الشاكلة من الغباء ، والإجرام ، والتشبث بالمنكر . يقول لهم لوط « اتقوا الله ، ولا تخزون فى ضيفي ، أليس منكم رجل رشيد ؟ » .

فلا تقوى عندهم لله ، ولا مروءة تذودهم عن مهانة الضيوف ، ولو تصنعوا كما يحدث عادة ... ولا عقل هند واحد منهم ، ولعل عاقلا واحدا يرشد كثيرين إلى الصواب ، لو وجد فهم ذلك العاقل .

بل مع هذا الزجر ، والتنبيه يجابهونه فى صفاقة بقولهم « لقد علمت ، ما لنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد » .

فإذا تمثلنا موقف لوط - عليه السلام - ساعة حوار مع القوم ، وحين التماسه للحياة أو المروءة فلا يجد شيئا من ذلك ... حين فتمثل هذا اللجاج بين من يترامون على الرذيلة فى أبشع أنواعها وبين من يدعهم إلى العفة فى أكمل معانيها ، يقين لنا إلى أى حد هبط القوم عن مستوى الكرامة ، وإلى أى درك من الهوان سقطت مروءتهم ، ورضيت نفوسهم .

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح يميت الإسلام

ثم يحيط القوم بباب الدار ، ويدافعون

بين الطب والشرعية

العدوى والتشائم والنفاؤل
للأستاذ مصطفى محمد الطير

« لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ، رواه البخاري ،
« زاد مسلم » ، « ولا غول » ، « زاد النسائي » ، « ولا تولة » ،

وبما لا شك فيه أن الله قد جعل لكل داء دواء ، لأن ذلك هو اللائق بحكمة الله ، وبقوله صلى الله عليه وسلم « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » ، رواه البخاري ، ولكن بعض الأمراض لم يتوصل الأطباء بعد إلى دواء يستأصله ، وإن وصلوا إلى تخفيف حدته حتى تخين منية المصاب به ، ولا يزالون جاهدين في البحث عن علاج له ورحمة للصابين به ، وعسى أن يهديهم الله تعالى إليه ، أما معظم الأمراض فإنهم وصلوا إلى علاجه بنجاح عظيم ، إلا مع من كتب الله عليه الموت ، فإن العلاج الذي عرف نجاحه مع غيره يصبح عديم الجدوى بالنسبة له قال تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

والشرعية الإسلامية تقر الطب على أن الأمراض قد تثقل بالعدوى ، ولا يمنع من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق « لا عدوى » ، فقد كان العرب قبل أن يشرفهم الله بالإسلام ينسبون كل شيء

من الأمور الثابتة تجربة وطبا أن بعض الأمراض ينتقل بالتخالطة من العليل إلى الصحيح عن طريق زفيره أو فضلاته المختلفة ، وأن لكل مرض خاصيته في العدوى ، وقد أثبت التحليل المعملي والمجهر والتجارب المختلفة أن لكل مرض معد كائنا صغيراً يسمى عليا (الميكروب أو الفيروس) وأنه بعد انتقاله مع فضلات المريض إلى الصحيح يسبب له المرض عند ما تنقضى على انتقاله مدة معينة تسمى مدة الحضانة .

ومن أجل ذلك يوصي الأطباء من يخاطون المرضى أن لا يستعملوا الأدوات التي يستعملها هؤلاء المرضى إلا بعد إغلائها أو تطهيرها بالمحاليل القاتلة للميكروب ، كما يوصونهم بفتح بعض النوافذ في حجرة المريض لتجديد الهواء بطريقة صحية . حاية لهم من العدوى .

وهناك بعض الأمراض لم يعرف له ميكروب يسببها ، وقد يكون له ذلك ، ولكن لم يكشف بعد ولا يزال سره عند الله تعالى الذي يعلم الغيب .

جانبا من تفكيره مشيئة الله وإرادته ، وأنه هو وحده الذى جعل المرض ينتقل إلى الصحيح فلهذا رد النبي صلى الله عليه وسلم رداً مفجعاً صحح به عقيدة الاعرابى كما صحح به واقع الأمر إذ قال فمن أعدى البعير الاول الذى أصابه الجرب دون أن يخالط حيوانا مصابا بالجرب ؟

وسكوت الاعرابى بعد هذا الجواب دال على اقتناعه بأن البعير الاول حيث لم يمرض بالعدوى من حيوان مريض بل بفعل الله ومشيئته وقدره فإن البعير الخالط للمصاب بالجرب يكون جربه بفعل الله وقدره ، وبذلك حصل مقصود الرسول من إرشاد القوم إلى أن مرد الأمور إلى الله ، وتثبيت عقيدة التوحيد فى قوم كانوا فى جاهليتهم القريبة قد نسوا الله ونسبوا الأمور إلى غير خالقها وفاعلها الحقيقى سبحانه وتعالى .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا ينفى أن الخالطة سبب عادى فى انتقال المرض ، بل لقد سبق الأطباء جميعا فى إقرار ذلك ، ووضع نظاما للوقاية العامة من العدوى بالأمراض البوائية أصبح يسمى نظام الحجر الصحى ، ومن ذلك قوله لا يوردن مريض على مصح ، وقوله الطاعون رجز أرسل على طائفة من قبلكم ، أو على بنى إسرائيل ، فإذا كنتم بأرض وهو بها فلا تخرجوا منها ، أو كنتم خارجها فلا تدخلوا عليها .

إلى أو ثنائهم ، فكانوا ينسبون إليها الأمطار والأرزاق والانتصار فى الحروب وشفاء المرضى وغير ذلك ، وكانوا يقدمون لها القرايين لتحقيق لهم بزعمهم ما يريدون ، فلما زالت دولة الأوثان وشرفهم الله بالإسلام كان لا بد من تنبسط أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم لإزالة ما علق بها من نسبة الأمور فيها إلى غير الله ، أو من السكوت فيها عن الله ، حتى لا يتسرب إليهم الشرك من أية نافذة وهم حديثو عهد بجاهلية .

ومن ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الأمراض تنتقل إلى الأصحاء من المرضى دون أن يمر بخواطرهم أن ذلك مبنى على مشيئة الله وقدره ، على قاعدتهم من نسيان الله فى أمرهم كله ، فأصبح محتوما أن يتعلموا أن مرد الأمور إلى الله ، وأن العدوى لا تكون بغير مشيئته فلهذا قال الرسول : ولا هدى ، قاصدا أنها لا تكون بغير مشيئة الله تعالى ، ويدل على أن ذلك هو مقصوده صلى الله عليه وسلم أن اعرابيا حين سمعه يقول لا عدوى ، سأله قائلا ويا رسول الله فما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فأتى البعير الأجرب فيجر بها ، قال فمن أعدى الاول ؟

أراد الاعرابى من سؤاله أن العدوى أمر ذاتى يأتى بمجرد الخالطة ، وقد طرح

صلى الله عليه وسلم « إن من القرف التلف ،
فعلى كل مسلم أن يعلم أن المرض لا يأتيه
بغير مشيئة الله تعالى ، وأنه سبحانه قد سلح
الإنسان بسلاح قوى يرد عنه عوادي المرض
وهو كرات الدم البيضاء ، فبى الحارس
الإلهى الذى يدفع عنه فيروسات الأمراض
ويقتك بها . وعليه أن يحتزم من إفرازات
مريضه قدر إمكانه ويترك السلامة بعد ذلك
فه تعالى ، وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه
وما كتب عليه فلا بد أن يصيبه ، فلا يغنى
حذر من قدر ، فقد جفرت الأفلام وطويت
الصحف .

(التشاؤم) .

ومن العادات الموروثة فى بعض الناس أن
يتشاءموا ببعض الأمور ، وأن يقعد بهم هذا
التشاؤم عن المضى نحو الأعمال النافعة ،
وهذا نقص فى الخلق عظيم ، فإن من شأنه أن
يحول دون جلب الخير ودفع الضر ، فالله
سبحانه لم يجعل ما يتشاءم به الناس سبباً لجلب
الشؤم عليهم لأنهم انطلقوا إلى تحقيق
ما يريدون من مصالحهم ، ولهذا كان لا بد
لصاحب الشريعة من أن يقاوم هذا التشاؤم
ويضع له حداً ، فأتبع قوله (لا عدوى)
قوله : « ولا طيرة ، أى ولا تطير ، والتطير
التشاؤم مأخوذ من الطير فإن العرب كانوا
إذا أرادوا الشروع فى سفر أو عمل أنفروا
أول طائر يلقونه ، أو أزجروه من عشه فإذا
طار جهة اليمين تغافلوا ومضوا لتحقيق

كما حذر من مخالط المصابين ببعض
الأمراض تحذيراً شديداً ، كقوله « فر من
المجدوم فرارك من الأسد » إلى غير ذلك
من النصائح الطبية الوقائية الدالة أووضح
الدلالة على إقراره صلى الله عليه وسلم نظرية
العدوى بالمخالطة ، على أن يعتقد أن هذه
العدوى لا تكون إلا بمشيئة الله ، فكم من
مخالط شديد المخالطة للرضى ينجس من
المرض لأن الله شاء له الوقاية ، وكم من بعيد
عن جو المرض فتك به مرض أصابه عفواً
بتقدير الله جل وهلا .

ومن ألفـوائد العظيمة لقول الرسول :

« لا عدوى ، على معنى إلا بمشيئة الله أن
لا يترك الأصحاء مرضاهم وأن يملوهم خوفاً
من فاعلية العدوى ، فتى عرف المخالطون
للرضى أن العدوى لا تنتقل منهم إليهم بغير
قدر الله امتلأت قلوبهم بالطمأنينة وقاموا
على خدمتهم مع الاحتياط قدر الإمكان
باتقاء إفرازاتهم المختلفة .

ولا شك أن إيمان المخالط بذلك يرفع من
معنوياته ، ويجعله أكثر مناعة على المرض
من ذلك الذى يرجف فسواده من فاعلية
العدوى وحتمية انتقالها ، فالخوف من العدوى
أقوى العوامل على ضعف أسباب المقاومة
الذاتية فى صاحبه ، وذلك أمر مسلم به طبياً
فما أشد فتك الوهم والخوف من المرض
بصاحبه وإن لم يخالط المرضى ، ولهذا قال

فمن ابتلى بالتشاؤم فليصرف عن نفسه
وساوس الشيطان ، وليعلم أن الرزق والخير
تابعان للطلب لا للهرب ، وأن ليس للطير
يمر ناحية اليمين أو اليسار أو نحو ذلك دخل
في تحقيق ما يريد أو عدم تحقيقه ، قال عكرمة :
كما جلوساً عند ابن عباس رضى الله عنهما ،
فر طير يصيح ، فقال رجل من القوم خير ،
فقال ابن عباس : لا خير ولا شر ، ولنعم
ما قاله للشاعر لبيد :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالخصى

ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وقد وصف النبي صلى عليه وسلم المضي
في المطلوب علاجاً للتشاؤم فقال : « إن
في الإنسان ثلاثة : الطيرة والظن والحسد ،
فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ، ومخرجه
من الظن أن لا يحقق ، ومخرجه من الحسد
أن لا يبغي » .

ومن أسوأ أنواع التشاؤم ما حدث من
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد فتح
المصحف فخرج له قوله تعالى . « واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد » ، وكان في وسعه
ألا يتشاؤم بشيء من القرآن ، فإنه جاء للعبطة
لا للتشاؤم ، لكنه أبى إلا أن يتشاؤم
بهذه الآية فزق المصحف — قبجه الله —
وأشأ يقول :

ما يريدون ، وإذا طار إلى غير جهة اليمين
تشاءموا وقعدوا عن تحقيقه . كما كانوا
يتيامنون بالسوانح وهي الطيور تمر من اليسار
إلى اليمين ، ويتشاءمون بالبوارح ، وهي
الطيور تمر من اليمين إلى اليسار ، ثم عم التطير
في التشاؤم سواء كان سببه الطير أو سواء .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد
بقوله ولا طيرة نفي ذات التطير أى التشاؤم
فإنه كان موجوداً ولا يزال عند بعض الناس
ولكنه يقصد النهي عنه ، ويريد أن يحول
دون إزعاج الطير من أعشاشها ، وقد صرح
بذلك في قوله « أقرؤا الطير على وكناتها ،
أى اتركوها قارة في أعشاشها ولا تخرجوها
منها لتتشاءموا أو تتفاملوا بها .

وكانت الفرس والعرب أكثر الناس
تشاؤماً ، ولا يزال كثير من الناس يتشاءمون
ويحجمون عن الإقدام يائسين من الظفر
بتحقيق رغائهم ، متقلبين في الشقاء والتعاسة
وإلى جانبهم هؤلاء السعداء والمتفائلين الذين
يقدمون على مطالبهم بعد أن يهيموا لتحقيقها
الأسباب ، ويشقوا بما عند الله من الخير ،
فلا يصددهم خوف ، ولا يكفهم خور في العزيمة
ولا يثنهم طير يمر ناحية اليسار أو غيره عن
الإقدام ، فيعودون الفوز بالمقاصد ،
وينقلبون بتحقيق الرغائب ، فإن الغنى في
الإقدام ، والخيبة في الإحجام .

أنعامهم وشيأهم وقال : « تلك غنيمة للمسلمين غداً إن شاء الله تعالى » ، وقد تحقق فأله وغنم منهم غنائم كثيرة ، فالإسلام يقر الفأل لأنه يشهد العزيمة ويدفع إلى الامام بخلاف التطير فإنه مرض نفساني يدعو إلى الاستخذاء والتقاعس عن الخير ، فلهذا نهى عنه الشرع ، وذلك دستور يقره الطب النفساني ويباركه .

ومن عقائد الجاهلية أن روح القتيل الذي لا يؤخذ بثأره تصير هامة ، وتصيح قائلة : اسقوني من دم قاتلي ، فإذا أدركوا ثأره امتنع ظهورها ، واستقرت روحه في قبرها . والهامة طائر يطير في الليل ويسمونه الصدى ، قال الزهرقان بن زيد يعني الهامة :

يا عمرو ألا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامة أسقوني
ويقول إبراهيم بن هرمة :

وكيف وقد صاروا عظاما وأقبرا
يصيح صداها بالعشى وهامها
وهذا الاعتقاد فاسد لا صحة له ، وقد كلف أصحابه ضحايا لا عداد لها ، فإنه كان يؤدي إلى قيام القبائل أو الأسر بعضها على بعض للأخذ بثأر أحد أفرادها ، فيفنى مهم العدد الكثير من أجل فرد واحد ، فلذلك نفى النبي صلى الله عليه وسلم الهامة قائلاً : « ولا هامة » ، ليرجع الأمر إلى القضاء ،

أنوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يا رب مرقني الوليد

فلم يلبث إلا أياما حتى قتل شرقة ، وعلق رأسه على قصره ، ثم على سور بلده ، وكان شؤمه عليه من جهة تمزيقه المصحف الشريف لامن جهة الآية الكريمة فقد تصادف السبر كما قد تصادف الفاجر .

أما التفاؤل فهو مشروع ، لأنه باعث على الجد ، ومعوان على الظفر بالمطلوب إذ هو سبب لقوة العزم على المضى ، ولهذا كان الرسول يحب الفأل الحسن ، ويتفأل في غزواته وحروبه ، سمع كلمة فأعجبته فقال : (أخذنا فآل من فيك) . وروى الترمذى وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج لحاجة يعجبه أن يصمغ : (يانجيسح يارشد) وروى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا طيرة وخيرها الفأل ، قالوا : وما الفأل يا رسول الله . قال : للكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » ، ولما وصل النبي بهيمه إلى حنين ليغزو هوازن قال له رجل : « إنى انطقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا » ، فإذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشيأهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم متفائلا بذكر

ومن عقائدهم أن الغيلان تترامى للناس في الفلوات على أشكال مختلفة ، فتضلهم عن سواء السبيل وتهلكهم وما يهلكهم سوى هذا الوهم الكاذب والخيال العاثر ، فهو الذي يضل حقوقهم ، فيضلون عن سواء السبيل الموصل إلى غايتهم .

كما اعتقدت نساؤهم أن حمل الفولة يحجب المرأة إلى زوجها ، والغولة خرز أو حجارة أو ودع أو نحو ذلك ، وكانت نساؤهم يفعلون ذلك ، فهى الرسول عن اعتقاد إضلال الغول ونفع الفولة بقوله د ولا غبول ولا قولة ، وقال في التميمية والودع د من علق تميمية فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا أودع الله له ، ودخل ابن مسعود على امرأته وفي عنقها شيء معقود . فجذبه فقطعه ثم قال : ولقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا .

جزى الله نبيينا على هذه النصائح والإرشادات الجليلة ما هو أهله من الصلاة والسلام والإجلال والتكريم ؟

مصطفى محمد الطميرى

فيحكم بقوله تعالى : د وكذبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس . الآية إن كان القتل عمداً ، أو يحكم بالدية إن لم يكن عمداً ، ما لم يعدل أولياء الدم إلى العفو عملاً بقوله تعالى : د وأن تعفوا أقرب للتقوى .

وبما يؤسف له أن هذا الاعتقاد لا يزال له بعض الظلال والآثار في بعض الأقاليم والقبائل العربية ، فإن عادة الأخذ بالثأر في مجتمعاتهم أكثر بروزاً من الرجوع إلى القضاء ، مع أن حكم الله أعدل ، والأخذ به ألزم ، والعدول منه إلى ما هم فيه مخل بالأمن ، ومسبب لاشتع الكوارث .

ومن عقائدهم أن شهر صفر هو شهر النحوس والفتن ، فكانوا يتشاءمون به ، فلا يعقدون فيه زواجا ولا بيعا ، ولا يسافرون لتجارة ولا يباشرون مقصدا من المقاصد الجادة ، كما أنهم كانوا يعتقدون أن الالم الذى يشعر به الجائع سببه حية عظيمة فى البطن تنهش من أحشائه وضلوعه ، أطلقوا عليها اسم الصفر فنقى الرسول صحة هذين الاعتقادين بقوله فى الحديث د ولا صفر ، فإن ذلك من الخراف الذى لا يليق بالعقلاء .

من هدى السنة

المساواة والمواواة

في الإسلام

للكتور محمد محمد أبو شهبه

روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن المعرور بن سويد قال : لقيت أبا ذر
بالربذة ، وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسأله عن ذلك ؟ فقال : إني سأيت رجلا
فغيرته بأمة ، فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر أعيرته بأمة ؟ ! إنك امرؤ
فيك جاهلية ! إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده
فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم .
رواه البخارى فى كتاب الإيمان — باب المعاصى من أمر الجاهلية ، والعتق —
باب قول النبي : « العبيد إخوانكم » ، وفى كتاب الأدب — باب ما ينهى من السباب واللعن

الشرح والبيان

يأتيه الخبر من السماء وسمع من قوله ، ثم
اثنى ، فانطلق أخوه واسمه أنيس حتى قدم
مكة وسمع من قول الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم رجع إلى أبي ذر ، وقال له : رأيت
يا أبا ذر بمكارم الأخلاق ، وكلاما ما هو بالشعر ،
فقال أبو ذر : ما شفيقتي بما أردت ، فتزود
وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى
المسجد الحرام فاتمس النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه لما
يعرفه من كراهة قریش لمن يحاول أن

« من هو أبو ذر ؟ »

هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى
واسمه جندب ، وقيل يزيد بن جنادة (بضم
الجيم والنون الخفيفة) ابن سفيان بن عبيد
بن حرام (بالمهملةتين) وغفار من بنى كنانة
وهو من السابقين الأولين للإسلام
ولإسلامه قصة ذكرها البخارى فى صحيحه :
ذلك أنه لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادى
فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي

أن توفي ، ثم خرج بعد وفاة الصديق إلى الشام فأقام بها حتى ولى عثمان رضى الله عنه ، ثم استقدمه بسبب شكوى معاوية منه لقوله بحرمة ما زاد من المال على قدر الحاجة ، ولأنه كنز ، فصار الصبيان والناس يجتمعون عليه لغرابة قوله فاستأذن عثمان فى الخروج إلى الربذة ، وقال : إن رسول الله أمرنى أن أخرج منها — المدينة — إذا بلغ البناء سلعا فأذن له ونزل الربذة ، وبني بها مسجدا ، وأقطعه سيدنا عثمان أرضا وصرمة (١) من الإبل ، وملوكين ، وقيل إن عثمان نفاه إليها والأول هو الأصح ، وكان يتعاهد المدينة ، ومسك بالربذة حتى توفي ، واتفق مرور عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وهو مقبل من الكوفة ، مع نفر من فضلاء الصحابة فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ، ودفنوه ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، وكان من أوعية العلم المبرزين فى الزهد والورع والقول بالحق ، وقد أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « فى أمى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده » ، وقال : « من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فليُنظر

(١) ما بين العشر إلى الأربعين (المصباح المنير) .

يتصل به ، فلما أدركه الليل رآه سيدنا على — كرم الله وجهه — فعرف أنه غريب فأضافه عنده ، ومكث ثلاثا وهو لا يسأله عن سبب قدومه على عادة العرب فى أدب الضيافة ، فلما كان اليوم الثالث قال له على : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال : إن أعطينى عهدا وميثاقا لترشدنى أخبرتك فأعطاه ما أراد فأخبره ، فقال له : لانه حق وهو رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإن رأيت شيئا أخاف عليك قت كأتى أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ، فانطلق ينفقه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتوك امرئ » فقال والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فتأدى بأهلى صوته « أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله » ، فهاهنا عليه القوم وضربوه حتى أوجعوه ، فأتى العباس فأكب عليه وقال : ويلكم ألا تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليه وأنقذه منهم : فلما كان الغد عاد لمثلها فعادوا هم لمثل ما فعلوا حتى أنقذه العباس ، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر ، وأحد ، والحنديق ، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فصحبه إلى

وقلت : يا ابن السوداء قلنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعيرته بأمه فقلت : من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، وهذا يدل على أنه حصلت بينهما مسابة ، فعيره أبو ذر بأمه .

(فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية) .

هذا من النبي صلى الله عليه وسلم تأكيد بما بلغه وكأن بلالا اشتكى إلى النبي فسأل النبي أبا ذر ليرى أصدق أم لا ؟ وهكذا ، القاضى لا يحكم بمجرد الاستماع من أحد الخصمين بل لابد من سؤال الآخر ، الجاهلية : تطلق ويراد بها ما قبل الإسلام لما غلب فيها من الشرك ، والجهل ، والسفه ، وفساد القيم الخلقية ، وتطلق ويراد بها ما بين مولد النبي إلى البعث وقد ورد هذا الاستعمال الثانى فى بعض الأحاديث . والمراد هنا الاول ، وفى رواية د كتاب الادب ، على ساعى هذه من كبر السن ؟ قال : د نعم ، وقد أثر هذا التأديب النبوى فى نفس أبى ذر حتى روى أنه وضع خده على الأرض ، وقال : لا أرفعه حتى يطأه بلال بقدمه !!

وفى الحق أن الإسلام قضى على العنصرية الجاهلية والتفاخر بالاحساب والانساب ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم : د من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ولما دخل

إلى أبى ذر ، وقال : د ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر د وروى عنه أنه كان يقول : كان قوتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من تمر فليست بزائد عليه حتى ألقى الله وقد وفى بما قال فرضى الله عنه وأرضاه (١) .

(لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك) :
الربذة : على وزن قصبه موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، الحلة : ثوبان من جفص واحد ، غلامه : عبده وقد بينت الروايات الأخرى أنه كان عليه برد ، وعلى غلامه برد آخر فقيل له لو أخذت البرد الذى على غلامك لصارك من البردين حلة ، فقال : لا ، ثم سئل عن السبب فى لباس مملوك مثل ما يلبس ؟

(فقال : ساببت رجلا فعيره بأمه) .

ساببت : شاتمت ، رجلا : هو بلال بن رباح مولى الصديق ومؤذن رسول الله ، وفى الادب المفرد للبخارى ، كان بينى وبين رجل كلام ، فعيره بأمه : أى نسبه إلى العار بسبب أمه ، وكانت أمه أعجمية فنلت منها

(١) صحيح البخارى - باب إسلام أبى ذر ، والإصابة فى تاريخ الصحابة ، والاستيعاب على هامش الإصابة ترجمة أبى ذر .

الامور أن يتعهدونها ويصلحونها ، ومنه : الخولى لمن يقوم بإصلاح البستان ، ويقال الخولى : جمع خائل وهو الراعى ، وبأتى التحويل بمعنى التكليف وعبر النبي بالخدم ليشمل المملوك ، وغيره ، وأن الكل فى البر والعطف سواء ، وقدم رسول الله «إخوانكم» للإشارة إلى أن الاخوة الإنسانية هى الأصل وأما الملكية أو الخدمة فأمر عارض ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « جعلهم الله تحت أيديكم » مجاز عن التصرف أو الملك ، وفيه تعطيف لاسيادهم أو خدومهم عليهم ، وبيان أن الله هو الذى فعل ، ولو شاء لعكس الأمر فصار المملوك سيديا ، والخدام مخدوما ، فلهذا درالكلام النبوى .

(فن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس) .

من فى «مأ» للتبويض أى فليطعمه من جنس ما يأكل ويلبسه من جنس ما يلبس أو بعضه ، ويؤيد ما رواه البخارى فى صحيحه بمسند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليأوله منه لقمة أو لقمتين أو أكله ، أو أكلتين فإنه على علاجه وحره ، فدل هذا على أن المراد بحديث أبى ذر المواطنة وأنه ليس بلام المساواة ولا يجلسه معه فالأمر متروك لتقدير المالك أو السيد ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حكيما غاية

النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا كان مما قال فى خطبته . « يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعممها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » إن الله عليم خبير ، (١) وفى حجة الوداع أكد مبدأ المساواة فقال : « أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . »

وقد طبق مبدأ المساواة عمليا لا نظريا كما هو شأن بعض الدول التى تدعى الحضارة اليوم ، فوصل بعض الموالى إلى المناصب الدينية والدنيوية الرفيعة ، ولو أخذت فى بسط ذلك لاحتاج إلى مقال برأسه . ولكن بحسبنا فى هذا أن بلالا كان المؤذن ، وكان الأذان يلى منصب الإمامة وأن سيدنا عمر بن الخطاب القرشى العدوى قال فى الصديق : هو سيدنا وأعتق سيدنا يريد به بلالا ١١

(إخوانكم خولكم) : الخول بفتح الخاء والمواو بمعنى الخدم أى خدمكم إخوانكم ، مبتدأ وخبر ، سموا بذلك لأنهم يتخولون

(ولا تكلفوهم من يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأهينوهم) : التكليف تحميل - النفس شيئاً فيه كلفة ، ما يغلبهم : أى عملاً ما تصير قدرتهم فيه مغلوباً ويعجزون عنه لعظمه أو صعوبته فإن حدث وكلفتموهم ما يشق عليهم أدائه وحدهم فأهينوهم ، وهذا من غرر الأخلاق والفضائل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم القدوة في هذا .

وبعد : فهذه صورة مشرفة تربينا أن الإسلام - وإن أباح الرق في أضيق صورته - إنما قصد به أن يكون تربية وتهذيباً وأعمارنا ، لا أن يكون استغلالاً أو استغلالاً ، وأن الإسلام بلغ في المساواة بين العرب والعجم ، والبيض والسود ما لم يبلغه كثير من أمم الحضارة اليوم ، وأن الخدم والأجراء لهم حق الآخرة الإنسانية على سادتهم ومخدوميهم ولعل في هذا وأزعا وواعظاً للسادة والسيدات الذين واللاق يستثنى إلى الخدم بل ويسرفون في الإساءة والذي نفسى بيده لو نفذ الإسلام عقيدة ، وعلماً ، وعملاً ، وسلوكاً ، السكائن المجتمعات الإسلامية خير المجتمعات وأفضلها ولسكننا السابقين في ركب الحضارة والتقدم ففى يكون هذا يا قولى المسلمين والعرب ؟

د . محمد محمد أبو شربة

الحكمة فى تشريعه هذا فالناس ليسوا سواء فمنهم من لا يأنف من لإجلال خادمه معه وهم ذوا الأخلاق العالية والنفوس المتواضعة ومنهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يأنف من ذلك ، وكذلك الخدم ليسوا سواء ؛ فمنهم من يبطره أو يفسد طباعه أن يجلسه سيده معه ، ومنهم - وقليل ما هم - من يزيده ذلك أدباً مع سيده ، وتفانياً فى خدمته ، ألا ما أعظم تقاريع الإسلام وما أصلحها لكل النفوس ، ولكل زمان ، ومكان .

وقد اختار السيد الزاهد المتواضع أبو ذر المساواة بينه وبين غلبانه وآثرها على المساواة والظاهر أن أبا ذر كان يرى لزوم المساواة فقد روى الطبرانى عن أبى أمامة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى أبا ذر عبداً فقال أطعمه بما تأكل ، وألبسه بما تلبس ، وكان لآ ذر ثوب فضة نصفين فأعطى الغلام نصفه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال قلت يا رسول الله أطعموهم بما تأكلون وألبسوهم بما تلبسون قال : نعم ، وقد وافقه النبى هللى ما فهم ، لانه الأفضل والالئق بأهمال هؤلاء السادة الأخيار ، وأما من ليس على شاكلتهم فهو فى فسحة من هذا .

العفاف خلق الإسلام الأصيل

نماذج صادقة لذوى العفاف الرائع
للدكتور محمد رجب الببيومي

وأحداثه وأشماره أوضح من أن يدل عليه
وأشهر من أن يحمله مبتدئ ناشئ يتلقى
الدراسة الأولى في الثقافة الإسلامية ! بل إن
كتاب طوق الحمامة الذي جعلهما يصدران
هذا الحكم الجائر ليضم فصلين طويلين عن
قبس المعصية وفضل العفة في الإسلام ، وبهما
من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
ما يكفي لإيضاح رأى الإسلام في التمسك
بالفضيلة والشرف والعفاف ! فلو أن الأستاذ
دوزى - على سبيل الجدل - لم يقرأ شيئاً
عن تعاليم الإسلام وقرأ هذين الفصلين
وحددهما لكان جديراً أن يبطل رأيه فيما
ادعاه ! فما ظنك بماسينيون وأبحاثه عن
التصوف الإسلامى والحب الإلهى ذائعة
مستفيضة ! ! أنفترض بعد ذلك كله أنهما
حكما على كتاب ابن حزم دون أن يقرأه ؟
وأن الأستاذ ماسينيون تكلم عن الحب الإلهى
في الإسلام دون أن يعرف عن أصحابه شيئاً !
ذلك أهون بكثير من أن نصعبهما بسواه .

لئن كان الحب العذرى نجس في الجاهلية لدى
المركش الأكبر وأضرابه ، بمن هدتهم الفطرة
العربية إلى الطهارة النبيلة ، والشرف الأثير

تظل كتابة المستشرق الهولندى الأستاذ
« وينهارت دوزى » جيدة مستقيمة ، حتى
يلم بميزة بارزة للإسلام فينحرف !

لقد ذهب في الجزء الثالث من كتابه عن
تاريخ المسلمين في أسبانيا إلى أن ابن حزم قد
هرف الحب العذرى العفيف وتذوقه لأنه
من أصل مسيحي في زعمه ، ولأن عرق
المسيحية العفيف قد نبض فيه برغم إسلامه
لجعله ينحرف منحنى العفة شافاً بذلك عن بقية
المسلمين ! ! وجاء من المستشرقين من أيده
وسانده ، ومهم الأستاذ ماسينيون ، وهو
من أعرق الدارسين للحب الإسلامى صوفياً
وعذرياً ، فماذا تقول في ذلك ؟ !

لو كانت مسألة العفة في الإسلام من
الأمور المتشابهة التى تلتبس فيها الآراء
وتحتاج إلى مجهر دقيق يبرز ما استتر من
النصوص والأحداث لعذرنا دوزى وماسينيون
فيما ذهبا إليه من التفسير ! ولو كان هذان
المستشرقان ممن لم يتعمقوا هذه النصوص
العربية ولم يتبينوا الوقائع المشاهدة لقلنا
عنهما : لقد فقدوا الدليل وأعوزهما البرهان ،
ولكن الحب العذرى في الإسلام برجاله

تشاكيا وطالت الشكوى وهو يبكي أحربكاه ثم
أنته بشراب وسألته أن يشرب فقال : والله
مادخل جوفى حرام قط ، ولا ارتكبت منذ
كنت ، ولو استحللت حراماً لكنت قد
استحللته منك فأنت حظى من الدنيا ! ولعل
من البدائى أن نشير إلى حديث رسول الله :
سبعة يظلمهم الله ، وفيهم : رجل دعت امرأه
ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إني
أخاف الله .

وقد كنا على أن نفيض فى أمثال عبد الرحمن
القس ، وعروة بن حزام ، وقيس وعروة
ابن أذينة ، وتوبة بن الخير ، وجميل بن معمر
وكثير هزة وسواهم من ذوى الحب العفيف
ولكن كتب الأدب تزدهم بذلك مفرقا فى
الآغافى ومتصلا فى كتاب ذم الهوى للإمام
ابن الجوزى بحيث أصبح الحب العذرى فى
الإسلام موضوعا كبيرا له أبطاله ووقائعه
وأشعاره ، ولن يجرؤ أحد على القول بتأثر
العذريين فى دولة بنى أمية بالحب الأفلاطونى
إذ لم تكن إذ ذاك صلة ما بين العرب
واليونان ! فالحب العذرى لا محالة مرتكز
على مبادئ الإسلام .

والحق أن اتجاه طوق الحمامة الفريد إلى
تحليل الحب والسموبه على نحو طريف لم يعمد
قبله فى الأدب الأوروبى قد دفع دوزى إلى
رأيه ، ليجعل ابن حزم متأثراً بالمسيحية

فإن ماولى ذلك من دعوة الإسلام المتكررة
إلى العفاف والصون ومحاسبة النفس ورقابة
السماء ، قد أكدت هذه المعانى وجعلت لها
أناساً وقبائل ويوناً تنسب إليها وتشتهر بها ،
وإذا كان الإسلام قد دعا إلى الجهاد بقوة ،
فإن الجهاد الأكبر جهاد النفس ومصارعة
الآهواء ، وبهذه التعاليم المثالية أصبح العفاف
مبدأ إسلامياً قوى الدعام وصارت الطهارة
والمروءة والترفع من سمات هذا الدين
العفيف ، وقد تحدث التاريخ لدينا عن جماعة
من العشاق تتأجج أشواقهم فى صدورهم ،
ثم لا يهيمون بشئ رعاية للشرف وامثالاً
لقواعد الإسلام ؛ كان عبد الرحمن بن عمار
المعروف بالقس عابداً متنسكاً وقد أوقعه
حظه فى سلامة المغنية فبادلته حباً بحب حتى
اشتهرت به فقبل عنها : « سلامة القس » ،
فقال له : أنا أحبك ، فقال لها : وأنا والله
كذلك ! قالت : فما يمنعك فوالله إن الموضع
لخال ؟ فقال فى إشفاق : لقد تذكرت قول
الله عز وجل : « الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين » ، وأنا أكره أن
تنقلب خلقتنا عداوة يوم الحساب !

وبرح الوجد بعروة بن حزام فقادت
أشواقه إلى منزل صاحبة ونزل ضيفاً على
زوجها بالشام ، فأكرمه وأحسن وفادته ثم
خرج وتركه مع عفراء يتحدثان فلما خلوا

اليوناني قديما عن الحب وأشاد به أفلاطون وبرزت قصص الإغريق مضمخة بعبير المرأة أحيانا ...

لا بالإسلام فيما يصدر عنه من قيم وآراء ، ولكن ذلك شيء والحق شيء آخر ، يقول الأستاذ الدكتور زكي مبارك في النثر الفني ج ٢ ص ١٦٦ ط ٢ .

ولكن صدى الإغريق قد انقطع عن أوروبا في العصور الوسطى حتى هبت نسائم العرب من الشرق تحمل أنباء الفروسية العربية ومن تقاليدها احترام المرأة وتمجيد الحب الطاهر والارتفاع بالغرائز إلى أوج الشرف والفضيلة والعفاف ، ثم انتقل التأثير الأندلسي من كتابة ابن حزم العاطفية فوجه العيون إلى طراز جديد من العواطف ، ودعا الكتاب إلى ممارسة فن جديد من الكتابة ، وكان أندريه لوشايان ، في منتصف القرن الثامن عشر للميلاد أول من كتب في ذلك فأصدر كتابه « فن الحب العف » ، وقد تعرض له الناقد الدكتور محمد غنيمي هلال بالتحليل فقال عنه في كتابه الأدب المقارن ص ٢٠٥ ط ٣ : « وفيه يذكر إدراكا للحب لم يكن للأدب الأوروبي به عهد حتى ذلك القرن ، وفيه ترتفع المرأة إلى مكانة لم تحظ بها من قبل في أوروبا ويخضع الفارس لها كما يخضع للسيد صاحب الإقطاع ، فالفارس يضحى في سبيل حبها ، ويبيكى في يسر حين يهدده الخطر في حبه ويعدضغه أمامها نبلا وسمو لا استكانة فيه ولا شر يسببه » . إلى أن يقول الدكتور ص ٢٠٨ .

« لقد طبع كتاب طوق الحمامة في ليدن سنة ١٩١٤ بعناية المأسوف عليه الأستاذ بتروف ، وقد أحدث ذلك الكتاب رجعة هنيئة في أوروبا ، وتناولته المجلات الأدبية بالنقد والتحليل ، وكان موجب تلك الضجة أنه لم يثبت أن كتابا ألف في فن الحب قبل ذلك الكتاب لا في اللغات القديمة ، ولا في اللغات الحديثة لأن أوروبا في القرن العاشر في الميلاد كانت معارفها قليلة جدا في الشؤون الوجدانية ، فكان من المستظرف حقا أن يكشف الباحثون أنه كان في ذلك العصر كاتب عربي يتناول حديث الحب والعشق والهيام في تفصيل شائق جذاب هو آية الآيات في فهم أسرار الأهواء والشهوات والقلوب » .

لم تسكن للمرأة الأوروبية في عصر ابن حزم إلى قرن بعده منزلة رفيعة تدعو إلى التسابق في استرضائها ، فالجتماع الأوروبي إذ ذاك لا يراها إحدى عناصره المؤثرة ولا يجد في محاسنها الخالبة ما يلهم أحاسيس كتابه ويذكر مشاعر شعرائه فيقدمون لها تراويل الولاء والحب في نغم ضارع لطيف !! نعم قد تحدث الأدب

والمحدثين ضروباً من الحب الذي الصادق ،
فإن التفقه في الدين والتفكير في العبادة يساعد
على إعلاء الغرائز وسمو العواطف .

لا عجب إذن أن يكثر الحب العذري في تاريخ
الفقهاء ، وهم قوم ذو تصون وعفاف ودين ،
بل إن العجب ألا يكون مع ما يحملون من
قلوب خفاقة وعواطف رقيقة ، ووجدان
مشبوب . لئن نجد جاهة من الفقهاء في الصدر
الأول من الإسلام ، يشتهرون بالصباية
ويترنمون بالشعر حتى اشتهروا بالخفة والظرافة ،
وضرب بهم المثل في ذلك فقليل ، أظرف
من فقيه ، هذا عروة بن أذينة الفقيه المحدث
وشيوخ مالك بن أنس يقول :

إن التي زعمت فؤادك ملها

خلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاعها

بلباقة فأدقها وأجلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبي

ما كان أكثرها . لنا وأقلها

فدنا وقال لعلها معذورة

في بعض رغبتها فقلت لملها

ويقول في قصيد مؤثر :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي

عمدت نحو سقاء الماء أبرد

هبنى بردت يبرد الماء ظاهره

فن لئار على الاحشاء تنقد

والقرائن التاريخية تحمل على الاعتقاد
أن هذا الإدراك للحب على نحو فريد في الآداب
الأوربية إنما ظهر في تلك الفترة بتأثير حب
الفروسية العربي بعد أن أشرب أهله روح
الإسلام فعبروا في شعرهم العربي عن عاطفتهم
العفة الخالصة ، وعن القواعد التي يذكروها
شايلان في كتابه السابق أن الحب لا يهيم
بسوى محبوبة واحدة . وأن المحب يظهر عليه
بهت الحشوع أمام حبيبتة ويضطرب قلبه
بمحضرها ولا يقصر في أى مطلب تريده منه
حبيبتة ولو تحمل في ذلك المشاق وخيالها
دائماً نصب عينيه إن غابت عنه ، وعليه
أن يكتفى به لأن إذاعة الحب بسبب من أسباب
القضاء عليه ، ثم عليه أن يكون كريماً غير
بخيل إذ الكرم صفة جوهرية لعاطفة الحب
الصادق ، وهذه كلها كما تعلم يفيض بها الشعر
العربي وينص عليها كل من تعرضوا لدراسة
هذه العاطفة من القدماء ومنهم محمد بن داود
وابن حزم .

وإذا كان لطوق الحماة وما نحا نحوه من
كتب للعرب ، هذا التأثير النفاذ فيما اتصل به
من الآداب ، فإن ما سلف من الحديث عنه
هنا محتوم ولو في بضعة سطور .

لم يكن ابن حزم بدعاً بين الفقهاء في مقاساة
الحب ، ولا بين الكتاب في الحديث عنه ،
والتأليف فيه ، فنحن نعلم عن كثير من الفقهاء

قَارُونُ هَذِهِ الْأَمَّةِ

بدرستاد علمى الجندى

قارون هذه الأمة لقب أطلقه المؤرخون
على أبى عبدالله الحسين بن عبدالله بن الحسين ،
المعروف بـ «ابن الجصاص الجوهري» .
ولمّا لقب بذلك لفرط يساره ، وكثرة
أمواله ، وسعة نعمته تشبها له بـ «قارون» ،

المضروب به المثل فى الغنى ، وهو الذى
يقول فيه القرآن الكريم : « وآتينا من
الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة
أولى القوة » .

وقد بلغ من شهرة « قارون الثانى » ، أو
« ابن الجصاص » ، بالثراء الضخم ، أن أصبح
من عجائب الدنيا !

يقول عبيد الله بن سليمان : سمعت سيدنا
ويقول الصولى : سمعت أبا الحسن بن عبد الحميد

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
مسعود أحد الذين انتهى لإلهم العلم بالمدينة
على عهد عمر بن عبد العزيز وكان أمير المؤمنين
يقول فيه : لجلس ابن عبد الله أحب إلى من
الدنيا وما فيها ! هذا عبيد الله يقول :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم
ولامك أقوام ولومهم ظلم
زادك إغراء بها طول بخلها
عليك وأبلى لحم أعظمك المم
وهم كثير ؟ محمد رجب البيوى

ألا من لنفس لا تموت فينقضى
شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت هجران الحبيب تأثما
ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه
رشاد ألا ياربما كذب الزعم
وهذا عبد الرحمن النفس ! وأبياته أشهر من
أن تذكر وهذا سواء وسواء فى بحر الإسلام
وهم كثير ؟

والزيت والجلبية ! فاكاد يراهم حتى ألهمه حرصه - وإن شئت فقل : حظه - أن ينثر ما كان معه في أوض البستان ، فلم يروه .

وأخذ هو وبقي في المصادرة والحبس ! وتقلب الفصول على البستان الجف ولم يفكر فيه أحد ! فلما أفرج عنه جاء إلى البستان ومعه غلام يثق به ، فأخذ يثير الأرض ، ويلتقط منها الجواهر واحدة بعد واحدة ، فلم يفقد منها شيء .

وكان ابن الجصاص باقعة في معرفة الجواهر - على اختلاف أنواعها - لا يند عن خبرته شيء منها !

وقد سأله الخليفة المقتدر : سم تعرف فضل الياقوت ؟

قال : أعرفه - يا أمير المؤمنين - بحسنه وصفائه في العين ، ورزاقته في اليد ، وبرودته في الفم ، وصبره على النار ، ونبو المبرد عنه ! وفيما عدا صنعة الجواهر ، وجمع المال وتدييره ، قد كان أجهل الناس ! بل كان أبله مغفلاً ، غارقاً في الخماقة إلى قمة رأسه ! وصدق أبو تمام حيث يقول :

ولو كانت الارزاق تجري على الحجا
هلكن إذاً من جهلن البهائم
فن حماقاته : أنه قال يوماً في دعائه : اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم ! وكان الواجب أن يقول : ما أعلم وما لا أعلم !

كاتب السر يقول : الذي صح - مما قبضه « المقتدر ، من مال ابن الجصاص - من العين والفضة والآنية والفرس والحيل والخدم - لا ضيعة في ذلك ولا عقار - ما قيمته ستة ألف ألف دينار و ستة ملايين ، !

ويقول ابن الجوزي . أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار و ستة عشر مليوناً ، وورقا وقاشا وخيلا ، وبقي له بعد المصادرة كثير : من دور وضياع وقشاش وبضائع ! وبهم هذه المصادرة الضخمة ، خرج المقتدر من الضيقة التي كانت تهتك ستره ! ولم يتسع إلا بما أخذ من أموال ابن الجصاص - كما يقول الثعالبى - !

وبما حدث في هذه المصادرة من العجائب : أنه كان من عادة ابن الجصاص ، إذا ضاق صدره وركبه الغم ، أن يخرج جواهر : من يواقيت حمراء وصفراء ، وزرق ، وحجاً كباراً ، ودرأفاخرأ ، لا تقل قيمته عن خمسين ألف ديناراً ! ويضع كل أوائلك في صفيحة يظل يلعب بها ، حتى يفسر عنه الانقباض ، وتزول الوحشة ! وهذه خاصة معروفة في الجواهر والذهب ! كما أن تلك العادة معروفة في أغنياء الناس ، من لا يحسنون شيئاً غير اكتناز الأموال والتسلي بجمعه !

وبينما هو يلعب - كعادته - بهذه الثروة في بستانه ، إذ دخل عليه الناس بالصياح

فقال : بلغنى : أنه هو الذى قد مات
فخزنت ! فلما صح عندى أن الذى مات امرأته
سرنى ذلك ! فأغرب الناس فى الضحك حتى
الزجاج نفسه !

ونزل مرة مع الوزير الخاقانى فى المركب
- وبيده بطيخة من كافور - فأراد أن يعطى
الوزير البطيخة ويبصق فى نهر دجلة ،
فبصق فى وجه الوزير ، وألقى البطيخة
فى دجلة !

فارتاع الوزير وقال : ويحك ! ما هذا ؟
فأخذ يعتذر قائلاً : أردت أن أبصق فى
وجهك وألقى البطيخة فى الماء ، فغلطت !
فقال الوزير : هكذا فعلت يا جاهل !
فكان أن غلط فى الفعل ، وأخطأ فى
الاعتذار !

ومع هذه الحماقة ، فقد كان بخيتاً محظوظاً
عند الخلفاء والملوك !

ويرى المؤرخون الاثبات : أنه كان يتظاهر
بالحماقة ليرى منه الوزراء ذلك فيأمنوه إذا
خلا بالخلفاء ! والمتساهل من المؤرخين
- كصاحب النجوم الزاهرة - يصفه بسلامة
الباطن . !

ولكن من أين حصل الرجل هذه الثروة
الضخمة ؛ وهو من العامة والسوقة ؟
وقد أجاب ابنه عن ذلك حين سئل عن

وقال يوماً لبعض أصدقائه : وحياتك الذى
لا إله إلا هو !

وقال يوماً : اللهم ، إنك تجحد من تعذيبه
سواى ! وأنا أجد من يرحمنى سواك ،
فاغفر لى !

وقال يوماً : اللهم ، امسحنى حورية ،
وزوجنى بعمر بن الخطاب !

فقالت له زوجته : كان الأولى سؤاله :
أن يزوجه من الرسول - عليه الصلاة
والسلام - إن كان لا بد أن تصير حورية !
فقال : لا أحب أن أكون ضرة لعائشة
رضي الله عنها !

ونظر يوماً فى المرأة . فقال لرجل بجانبه
انظر ذقنى : هل كبرت أم صغرت ؟ فقال له :
إن المرأة فى يدك . فقال : صدقت ، ولكن
الحاضر يرى ما لا يرى الغائب !

وكان يوماً يكسر لوزاً ، فظفرت لوزة من
يده ، فقال : لا إله إلا الله ! كل الحيوان
يهرب من الموت حتى اللوز !

واجتمع الناس عنه أبى إسحق الزجاج
العالم اللغوى الأشهر يعزونه فى امرأته !
فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول :
يا أبا إسحق ، والله لقد سرنى هذا !

فدهش الناس والزجاج ، وقال له بعضهم :
كيف ترك ما غبه وغمنا ؟

فقال خمارويه : أحضره .

فأخرج ابن الجصاص صحيفة فيها نفقة
الجهاز ، وإذا هذا الكسر يساوى أربعائة
ألف دينار ! فوهبها له خمارويه !

وكان فى الصحيفة ألف تسكة ، ثمها
عشرة آلاف دينار ! فذا الظن بالحلى والحلل
وغيرها ؟ !

قال القضاعى - رارى الخير - : وإنما
ذكرت ذلك ليستدل به على أشياء :

منها كرم خمارويه ! ومنها كثرة مال ابن
الجصاص حتى إنه قال : بئى كسر فى الجهاز -
وهو أربعائة ألف دينار - لو لم يذكره به
« خمارويه » ، ما ذكره ! ومنها عمارة مصر
فى ذلك الوقت حتى عثر فيها على ألف تسكة ،
كل تسكة بعشرة دنانير ، حصل عليها فى أيسر
وقت بأهون سعى !

ثم يقول القضاعى : ولو طلب فى زماننا
خمسون تسكة لم يقدر عليها ؟

ويقول المقرئى - معقبا على ذلك - :
ولا يعرف فى أسواق القاهرة اليوم تسكة
بعشرة دنانير توجد فى الحال ولا بعد شهر ،
إلا أن يعتنى بعملها !

وسبحان من يرث الأرض ومن عليها
ويغير ولا يتغير ؟

على الجنزى

مصدر ثروة أبيه ، بأنه كان وكيلا لملك مصر
« خمارويه بن أحمد بن طولون » ، فى شراء
الجواهر وغيرها مما يحتاج إليه هو ونساء
القصر ! وكان دائما يقيم فى دهاليز من دهاليز
القصر لا يفارقه ، لحاجتهم إليه !

لجأت إليه يوما قهرمانة معها عقد جواهر
فيه مائة حبة ، لم يرقبله ولا بعده مثله حسنا !
كل حبة تساوى مائة ألف دينار ! وطلبت
منه أن يخرط الجواهر حتى تصغر !

فكاد يطير من الفرح ! وخرج فى الحال
وجمع التجار واشترى كل ما قدر عليه ، حتى جمع
مائة حبة على حسب وصف القهرمانة . وأخذ
فرق الثمن بين مائة حبة صغيرة من الجواهر
ومائة حبة كبيرة ! وكان الفرق بينهما هائلا !
ألست ترى معنى أنه كان « حويطا لا عبيطا » ،

ولما تم عقد الخليفة المعتضد العباسى على
قطر الندى ، الطولونية بنت خمارويه . حملها
أبوها إلى بغداد ، ومعها معها شيدبان . وابن
الجصاص ، وحمل معها من الجهاز ما لم يرمثله
ولم يسمع به !

ولما دخل ابن الجصاص على خمارويه
يودعه - وكان هو القائم بتجهيز العروس -
قال له : هل بئى بيدى وبينك حساب ؟ فقال
ابن الجصاص : لا .

فقال : خمارويه : انظر حسنا . فقال ابن
الجصاص : بئى كسر من الجهاز .

التراث الإسلامي

في الحضارة الغربية
للدكتور محمد مختار القاضى

في الطب

- ١ -

طبيباً^(١) وأن جبريل بن بختيشوع جمع من وراء هارون الرشيد والمأمون والبرامكة ثروة قدرها ٨٨٨٠٠٠٠٠٠ درهم وهى تساوى في نظر المستشرق الأمريكى ول ديورانت ٧١٠٤٠٠٠ دولار. وأن عدد الأطباء النصارى الذين كانوا في خدمة الخليفة المتوكل ٥٦ طبيباً^(٢) وأن الأطباء كانوا يخضعون لنظام الرخص والامتحان، وكان من بين المشرفين على امتحان الأطباء في بغداد زكريا بن الطيفورى الذى عهد إليه الأفشين بهذه المهمة^(٣).

ولقد بلغ تقدم المستشفيات في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى درجة لم تبلغها أوروبا نفسها في القرن العشرين ويكفى أن تعلم أن مستشفى المنصور التى أسسها السلطان قلاوون - وهى أضخم مستشفى في العالم في ذلك العهد - كانت تضم أقساماً منفصلة تختلف

اهتم المسلمون منذ بداية العهد الإسلامى بأصول الحضارات الأجنبية وحاولوا جهمهم أن يفيدوا منها، ثم لم يلبثوا أن علوا فيها علواً كبيراً. وفي مجال العلوم الطبية استقدم العباسيون أول الأمر أطباءهم من جنديسابور وهى مركز من مراكز الثقافة الأجنبية ورعواهم في بلاط بغداد وربما كان الطب بعينه أول حلقة في سلسلة الاتصال بين المسلمين والثقافات الأجنبية. ولقد شمرت أشرطة بختيشوع بالطب في جنديسابور وبغداد كما شمرت في الأندلس أسرة أبى زهر، فظهر منها أبو مروان عبد الملك محمد بن زهر صاحب كتاب التيسير وابنه أبو العلاء، ومروان ابن أبى العلاء صاحب كتاب الاقتصاد في إصلاح الانفس والأجساد، وأبو بكر محمد ابن عبد الملك صاحب رسالة في طب العيون، وابنه أبو محمد عبد الله، وقد عاش هؤلاء بين القرنين الخامس والسادس الهجرى. ويحكى ابن أبى أصيبعة أنه كان في بغداد وحدها سنة ١٩٣ هـ ٨٦٠

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٢٢.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٠.

(٣) أبو الفرج ص ٢٤٤.

كلف زكريا بن الطيفوري بامتحانهم وإجازة من يستحقون (١) .

وكان المحتسب (يقوم بوظيفة رجال الضبطية القضائية في أيامنا) يراقب الأطباء والصيادلة والعقارين والعطارين والحجامين، وكان للأطباء نقيب في بغداد والاندلس وسوريا ومصر .

وقد حكى الأستاذ أحمد حسن الباقوري المدير الحالي للجامعة الأزهر أنه لما كان وزيراً للأوقاف اطلع على حجة وقف يقف فيها صاحبها مالا وفيراً لينفق منه على اثنين أو أكثر من الموظفين يكون مهمتهما المرور وراء أسرة المرضى فيسأل أحدهما الآخر دون أن يشعر المريض أن الأمر مصطنع : ما قال الطبيب في علة هذا المريض ؟ فيجيبه الآخر : قال لأنها ستبرأ في أسبوع أو أسبوعين . وهذا الحديث قصد به إحياء الروح المعنوية عند المرضى والعلاج بالإيحاء النفسي وهو أمر لا تزال أوروبا وأمريكا تحبوان فيه كما يحبو الطفل بعد مرور بضعة قرون على سلوك العرب هذه الطريقة للعلاج ويذكر بعض كتاب الغرب أن تأسيس المستشفيات الحديثة في أوروبا إبان القرن الثالث عشر الميلادي كان أثراً من آثار

باختلاف الأمراض ، وأقساماً للناقلين ومعامل للتحليل وصيدلية وعيادات خارجية ومطابخ لتقديم الغذاء على الطريقة العلمية وحمامات ومسكنة ومسجد وواقعة محاضرات ، كما كانت به أماكن مخصصة للمرضى المعقول زودت بمناظر أسر العيون .

أما العلاج فكان بالجماع لجميع الطبقات من موسرين وفقراء ، أحراراً وعبيداً وكان يعطى لسكل نائه عند خروجه من المستشفى مبلغ من المال حتى لا يجهد نفسه بعمل سريع أما أولئك المصابون بالأمراض فكان يرفه عنهم بالموسيقى الهادئة أو برواة القصص المحترفين . ويزودون بكتب التاريخ في بعض الأحيان (٢) .

وفي القرن العاشر الميلادي أخطأ طبيب في علاج مريض فات ، فاستدعى ذلك أن يعاد النظر في أمر الأطباء ، وتقرر عقد امتحان لهم سوى من كانت شهرته فوق مستوى الشبهات (٣) . وكان ثابت بن قرة يقوم بامتحان الأطباء في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعل مثل ذلك بالصيادلة ، فعلمه الأفشين في بغداد حيث

(١) قصة الحضارة لول ديورانت مجلد ٤

ج ٢ ص ٣٦١ .

(٢) طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣) أبو الفرج ص ٢٢٤ .

على بن عيسى البغدادي فى القرن. العاشر الميلادى بحثا فى أمراض العيون ترجم إلى اللاتينية ، وفعل مثله عمار الموصلى ، وظل كتاباهما مرجعا فى طب العيون إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر (١) ، وألف على بن العباس كتاب د الملكى ، الذى ترجمه إتيان الانطاكى إلى اللاتينية سنة ١١٢٧ ، ونشره فى ليون ميشيل كابلا سنة ١٥٢٣ (٢) .

وألف ابن الجزار (ق ١١١م) زاد المسافر ويهوى شروحا فى الطب الباطنى ، ولكن مترجمه واسمه قسطنطين نسبته إلى نفسه (٣) .

وظهر فى القرن الحادى عشر الميلادى قسطنطين الأفريقى فأدخل طب العرب إلى إيطاليا ، وإليه يعود الفضل فى شهرة مدرسة ساليرم ، وألف هو عدة كتب نذكر منها كتاب De marborum cognitione . وكتاب De remediorum الذى طبع غير مرة ، وكانت طبعته الأولى بيسال سنة ١٥٣٦ م (٤) .

الحروب الصليبية ، إذ كانت فى الظاهر تقليداً للمستشفيات الفخمة فى الشرق مثل المستشفى التى أقامها نور الدين بدمشق أو السلطان قلاوون بالقاهرة ، فقد أعجب الرحالة الأوربيون بنظام هذا المستشفى الأخير ، فأسس أنو سنت الثالث فى روما فى أوائل القرن الثالث عشر مستشفى سان سبيريتو (الروح القدس) ، وأسس لويس التاسع مستشفى وملجأ باسم دى كانزافان فى باريس على أثر عودته من حملته الصليبية (١) ، فقد عرف البابا أنو سنت الثالث حال التقدم الطبى فى الشرق من الصليبيين الذين كانوا يحاربون فى الشرق بأمر منه ، وعرف الملك القديس لويس التاسع مقدار تقدم الطب عند العرب عندما أسره هو وعشرة آلاف من جنوده فى المنصورة وعالجه من مرضه طبيب عربى (٢) .

لقد كان بناء المستشفيات أثراً من آثار الحروب الصليبية ، أما عن أثر المؤلفات ، فإنه لا يمكن تقديره إلا إذا أحصينا جميع ما ألف العرب وجميع ما ترجم عن العرب وهو أمر لا يخضع للعد والحصر ، وإنما نستطيع أن نضرب له الأمثال ، فلقد ألف

(١) سير مايرهوف ص ٣٢٢ .
(٢) سيدو ج ٢ ص ٧٧ ، وهذا الكتاب مؤلف من خمسين جزءا وسبق أن طبعت نسخته المترجمة إلى اللاتينية فى البندقية سنة ١٤٩٢ (لوبون) .

(٣) سير مايرهوف ص ١٢٦ .

(٤) لويون ص ٦٣١ .

(١) مايرهوف ص ٣٤٩ و ٣٥٠ .

(٢) ول ديورانت مجلد ٤ ج ٤ ص ٥٨ .

كتبه إلى علي بن ويهوذان صاحب طبرستان (١) أو إلى عضد الدولة ابن بويه (٢) .

وأشهر رسالة له هي رسالته في الجدرى والحصبة وفيها تكلم عن الأمراض المعدية وفرق بين المرضين وشرح أعراض كل مرض في كافة مراحل وطريقة علاجه .

ولقد ترجمت للرازي عدة كتب طبية هي أشهر ما عرف في العصور الوسطى ، وظل الرازي إلى القرن السابع عشر حجة في الطب بلا مدافع . وكتابه الحاوي أكبر موسوعة في اللغة العربية ، ويقال إنه انقطع خمس عشرة سنة لكتابته ، والظاهر أنه مات قبل أن يتمه وقد جمع الرازي في هذا الكتاب مقتطفات أخذها عن الأغريق والعرب وختمه بنتائج محصلة من تجاربه . وما زالت بين أيدينا مذكراته العلاجية التي يصف فيها بغاية العناية سير مرض أولئك الذين طبهم ، (٣) .

وترجمت أكثر كتب الرازي إلى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات ، ولا سيما

وكتب يوحنا بن ماسويه في القرن التاسع الميلادي رسالة في الجذام ، وكتب في الأدوية الطبية طبعت مرارا ، ونشرت أهم كتبه : Canones Universales في البندقية سنة ١٤٧١ م .

ومن أشهر أطباء العرب أبو بكر الرازي (محمد بن زكريا) ظهر في الري في القرن التاسع الميلادي وخدم صاحب الري ودبر ماريستانها الجديد ومارستان بغداد ، وله كتب تزيد على المائة والثلاثين (١) .

وأشهر كتبه المطولة في الطب كتابه (المنصوري) الذي أملاه إلى منصور بن إسماعيل (٢) وإلى الري ويعرف في أوروبا باسم Liber Almansoris ، وهو في عشرة أجزاء .

وكتاب (الحاوي) ، وهو من عشرين جزءا لم يبق منها الآن إلا عشرة أجزاء موزعة في مكاتب العالم .

وكتاب (الملوكي) أو الملوكي وهو المعروف في العالم الأوروبي باسم Reglus ،

(١) مقال P.Craus, S.Pines في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) التمدن الإسلامي ج ٣ ص ٢٠٢

(٣) S. Pines, P. Craus في دائرة المعارف الإسلامية .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤١٦

و ٥٠٤ .

(٢) الفهرست ص ٤١٥

اللائحة أن مؤلفات علماء اليونان الطبية لم تنل من الخطوة إلا قليلا ، وأنها اقتصرت على بعض جوامع السكلم لبقرات وبعض الخلاصات لجالينوس .

ويقول عنه خودا نجلش (١) :

وكان أبوبكر الرازى طبيب الخليفة المقتدر وكان معروفًا فى أوروبا إلى القرن السادس عشر ونشرت أبحاثه عن الجدرى والحصبة سنة ١٨٤٨ ، وقام بترجمتها والتعليق عليها الدكتور جرينيل (Greenhill) ، ٩

د. محمد مختار الفاضل

(١) الحضارة الإسلامية ص ١٦٨

فى البندقية سنة ١٥٠٩ م ، وفى باريس سنة ١٥٢٨ م وسنة ١٧٤٨ م ، وأعيد طبع ترجمة كتابه فى الجدرى والحصبة سنة ١٧٤٥ م (١) ، وظلت كليات الطب فى أوروبا تعتمد على كتبه زمنا طويلا ، وكانت كتبه مع كتب ابن سينا أساسا للتدريس فى جامعة لوفان فى القرن السابع عشر الميلادى ، كما ثبت ذلك من لائحة الجامعة الصادرة سنة ١٦٩٧ م ، وقد ظهر من هذه

(١) غوستاف لوبون ص ٤٨٩ ، ويحدد فى موضع آخر أن كتاب الحادى طبع سنة ١٤٨٦ لأول مرة ورسالة الجدرى طبعت أيضا ١٧٦٦

القول فى دين الله عن جهل

ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليعضل عن سبيل الله له فى الدنيا خذى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد .

طريقة القرآن في الدعوة والإقناع للأستاذ أحمد مصنا

— ٥ —

التي تتحدث عن هذه المعبودات الباطلة من أنها لا تملك شيئاً ، بل هي نفسها مملوكة لغيرها ، ومن أنها تميز عن الإبانة والإفصاح فضلاً عن القدرة على هداية معبوديها ، وتقارن بينها وبين من هو مطلق اليد ، ومن هو قادر على إضاءة الطريق وتوضيح الهدف ، مثل قول الله سبحانه .

« ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو يففق منه سرّاً وجهراً ، هل يستوتون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .

« وضرب الله مثلاً رجلين ، أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، . النحل ٧٥ ، ٧٦ .

ويناقد القرآن قضية الوحدانية وما شابهها على يد المشركين الذين أشركوا مع الله غيره في العبادة ، وتصوروا أن آلهتهم بعض التصرف في هذا الكون مع أنهم ملك الله سبحانه ، والعبد لا يشارك سيده في ملكه ولا في تصرفه فيقول :

(و) واستخدم الكتاب الكريم في الدعوة والإقناع طريقة التمثيل بالأمور المحسوس ، تقريباً للمعاني ، وتدعياً للقضايا التي يعرض لها ، ومساعدة للطبيعة البشرية التي يصعب عليها في كثير من الحالات أن تنفذ إلى باطن الأمر إذا طمست أمامها المعالم ، وتشابكت أغصان الباطل بغية إخفاء الحق .

من هذا الضرب ما نجده في الآيات التي تكشف الزيف عن المعبودات الباطلة لمعجزها عن ألقه الأمور وأصغرها ، مثل قول الله سبحانه :

« يأبى الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، الحج ٧٣ .

وقوله جل شأنه :

« مثل الذين اتخذوا من دون الله آلياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أرهن البيوت لبيوت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، العنكبوت ٤١ .

ومن هذا الضرب كذلك ما نراه في الآيات

فيذهب جفاء ، وأما ما يرفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ، الرعد ١٧ .

(ز) ومن الأساليب التي استخدمها القرآن في الدعوة والإقناع مطالبة الإنسان بالاحتكام إلى نفسه في تصرفاته الاجتماعية التي تنصل بالغير ، وتوجيهه إلى التفكير فيما يكون عليه الأمر إذا كان هو نفسه أو من يهيم أمره من أقرب الناس إليه في مكان الشخص الآخر الذي يتصرف معه ، ولا نعرف أسلوباً أحكم من هذا الذي يدعونا إليه كتاب الله ، فعن طريقه يسكون احترام الإنسان لشعور الآخرين احتراماً منبعه اليقين النفسي ، وخير ما يوضح ذلك قول الله سبحانه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ، وَاعْلِبُوا أَنْ اللَّهَ غَفِي حَمِيدٌ ، البقرة ٢٦٧ .

وعن طريقه يحافظ الإنسان على حقوق الضعفاء الذين شاء القدر أن يكونوا في رعايته وتحت وصايته ، وليس لهم من القوة ما يدفعون به عن أنفسهم إذا أساء معاملتهم أو بغى على حقوقهم ، وما أجمل قول الله في ذلك :

« وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ

« ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ، الروم ٢٨ .

ثم يناقش القضية نفسها من زاوية أخرى فيقارن — عن طريق المثل كذلك — بين ما يكون عليه الأمر من اضطراب وقلق إذا توزعت الملكية بين شركاء متشاكسين ، وبين ما يكون عليه من استتباب واستقرار ودعة عندما تخلص الملكية لواحد مطلق التصرف لا ينازعه غيره ، وذلك قوله تعالى :

« ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً سلماً لرجل ، هل يستويان مثلاً ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون ، الزمر ٢٩ .

ويتحدث الكتاب الكريم عن الصراع بين الحق والباطل ، وما يكون عليه الباطل من زيف يدعو إلى الظن بأنه الغالب اظهوره وخفاء الحق عند النظرة العجلى ، وفي أول أدوار الصراع ، فيقول في أسلوبه الممتع وبيانه الحكيم الذي لا يحتاج إلى توضيح :

« أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد

خاتمة

والآن ، وبعد هذه الجولة ، مع الآيات الكريمة التي غلبت على ظننا أنها تتصل بموضوع الدعوة في عناصرها المختلفة ، لنا كلمة نود أن نوجهها إلى هؤلاء الذين يستهويهم نتائج العلوم الحديثة من نفسية واجتماعية إننا نحب أن نهمس في آذانهم بأن ما وصل إليه علماء النفس وعلماء الاجتماع من مبادئ وأسس اتخذها علماء التربية ومن وكل إليهم توجيه الجماهير الإنسانية منارات يسرون على ضوئها ، ليست جديدة بالنسبة للمسلمين إذ أن كتابهم المقدس سبق هذه الأبحاث بقرون وقرون ، وقرر ما وصلوا إليه في أسلوب أوضح وبيان أفصح ، وأرجو أن يكون قد وضح من الفصل الذي معنا مدى تطبيق هذه المبادئ في مجال الدعوة .

وإذا كان علماء النفس وعلماء الاجتماع يقررون أن الناس يختلفون في مستوياتهم العقلية والوجدانية والعاطفية ، وأن ذلك يتطلب اختلاف الوسيلة عند مخاطبتهم أو محاولة جذبهم إلى مبدأ أو فكرة فإن القرآن الكريم قد سبقهم في تقرير ذلك وفي تطبيقه ، فلقد رأينا أنه استخدم :

١ - الأسلوب التلقيني ، عندما يسوق القضايا على أنها سلسلة لا تحتاج إلى دليل ، ولا تحتتمل المناقشة ، وهو الأسلوب الذي

ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليستقوا الله وليقولوا قولا سديدا ، النساء : ٩
وعن طريقه كذلك لا يتسرع الإنسان في الحكم على الناس ، وإنما يتأنى ويذكر قبل إصدار الحكم ، وخير ما فقرأ في ذلك قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن أتىكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيرا ، النساء : ٩٤ »

(ح) وإذا كان علماء الدعاية اليوم يؤكدون أن التكرار والجدة من عوامل الإقناع ، فلسنا في حاجة إلى استنباطاتهم ، ففي كتاب الله الكريم نجد كلا الأمرين واضحا جليا ، ونظرة فاحصة إلى ما سبقنا من آيات في كل باب من أبواب الموضوع تؤكد للقارئ أن الكتاب الكريم استخدم التكرار المنتج الذي يحمل دائما طابع الجدة .

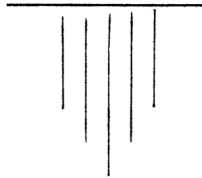
ومن المفيد أن نشير هنا إلى قصص القرآن وما حواه من تكرار القصة الواحدة في أساليب مختلفة ، موجزة تارة ، ومطولة تارة أخرى ، وفي كل موضع - رغم تكرار الهيكل العام للقصة - نجد جديدا يلفت النظر ويعين على الفهم العميق .

٣ — أسلوب الإرهاب والتخويف :
وهو الذي ينفع مع هذا النوع المتغطرس
المتكبر ، الذي يلوى عنقه ، ويولى دبره إلى
الحق ، ويصر على عدم السماع وعلى المكابرة
رغم بيان الحق وظهور الدليل .
يصلح للجماهير التي لا نصيب لها من ثقافة
تمكنها من أن تزن الأمور وتفهم الأدلة ،
والتي تعودت على أن تسمع لأصحاب الكلمة
وأرباب النفوذ في مجتمعاتها ، ولا تفكر إلا
في الخضوع لما تسمع .

٢ — الأسلوب المنطقي : عند ما يسوق
المقدمات وينطق بالنتيجة أو يطالب السامع
باستنتاجها ، أو عند ما يزيل الشبهة التي أدت
إلى اختلاط الأمر أمام المصدعو ، وهو
الأسلوب الذي يصلح لأرباب الثقافة ومن
عندهم قدرة على الفهم والتمييز .

٤ — أسلوب الترغيب : وهو مفيد
في كثير من الأحيان ، ومع العدد الكبير
من أفراد الإنسانية الذين يريدون ثمننا لئلا
تصرف يحدث منهم .
ومن هنا يرى القاصي أن الكتاب الكريم
قد عالج الإنسانية في مستوياتها المختلفة ،
واستخدم في كل مقام ما يناسبه من مقال ،
وبذلك يسر لكل إنسان طريق الفهم
والاستفادة . وصدق الله حيث يقول : « ولقد
يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر » .
تم البحث والحمد لله رب العالمين ؟
أحمد إبراهيم مهدي

على أن لهذا الأسلوب المنطقي هدفا آخر
أحسنا به في جولتنا مع الآيات الكريمة ؛
ذلك هو إضعاف موقف المجادل والمكابر
الذي تبعه لفيف من الجمهور دون علم ،
وبذلك تفتح الأعين ، وتزول الغشاوة ،
وينفض الجميع من حوله .



هَذَا أَوَانُ الْجِدِّ

للدكتور علي الهماري

في أخبار الملك العادل نور الدين محمود
ابن زنكي الذي قيل في بيان عظّمته ومكانته
بين ملوك المسلمين : لولاه أى شىء صلاح
الدين !؟ يريدون صلاح الدين الأيوبي .

وليس طبيعياً أن يكون العدو جائها
على صدر الوطن ، وأن يشرّد أخوة لنا
في الدين واللغة والعروبة ، ويلقى خيرة شبابنا
مصارعهم من أيدي أعدائنا ، ثم تتوقع في كل
لحظة أن يهاجم هذا العدو ديارنا أقول : ليس
من الطبيعي في هذه الظروف القاسية أن نعيش
كما لو كان الأمر يعنى به سوا ما !!

إن لإخوتنا وأبناءنا الواقفين على خط
النار ينتظرون اليوم الحاسم الذي يزيحون
فيه هذا الكابوس عن صدورنا ويردون
للأمة العربية كرامتها ، وإن قادتنا جادون
في الإعداد ليوم النصر .

فما بالنا نلبس هذا الشعور الجاد في بعض
مظاهر حياتنا فلا نجد له أثر !؟

في الوقت الذي ينادى فيه قادتنا بالنسك
بقيم الدين ، وبتعميق هذه القيم في نفوس
الجنود وأفراد الشعب كافة ، وفي الوقت

في أخبار هذا الملك أن الفرنج لما حاصروا
(دمياط) في سنة ٥٦٥ هـ كان شديد الاهتمام
بذلك حتى إن بعض طلبة الحديث قرأ عليه
يوماً جزءاً من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فيه حديث مسلسل بالتبسم ،
فطلب منه القارئ أن يبتسم حتى يتصل
التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إني
لاستحي من الله أن يراني مبتسماً والمسلمون
تحاصروهم الفرنج بشهر دمياط !!

وقد كان كثير من فرسان العرب
ورؤسائهم في الجاهلية والإسلام يمتنعون عن
الطيب والنساء حتى يأخذوا بشاراتهم ،
أو تقتضى الحرب بينهم وبين أعدائهم .

وهذا هو السلوك الطبيعي الذي ينبغي أن
يسلكه الأفراد والجماعات والأمم والشعوب
على كل فرد أن يشعر شعوراً كاملاً بما يحيط

ومن أعجب ما قرأت أن خرجا سينمائيا يدافع عن هذه (الميوعة) بأنه يفكر أولا في (الربح) ، وكأن الربح المادى هو كل ما يعنيه الآن ، وكأننا لسنا في حرب قاسية ينبغي أن نجند لها كل إمكانياتنا .

يقال إن شبابنا يعانون ضيقا نفسيا مما هو فيه ، ويعاني تمزقا بسبب النكسة ، وهذا حق ، فنفس الشباب بها جراح عميقة ، وقلوبهم يكاد الآسى يفطرها مما صارت إليه أحوال وطائم العزيم ، فهل تعالج هذه الجراح بالأغاني المخنثة ، والرقصات الخلية ، والمناظر المرذولة يشاهدونها في السينما وفي المسرح وفي التليفزيون ؟

ليس هناك هلاج لمثل هذه النفوس أنجح من التمسك بالقيم الدينية ، وبالأخلاق الجادة المحاربة التي تهزم أول ما تهزم نقائص النفوس ورزائلها .

وإذا أصيب شاب بحرج هقيق في نفسه لأن شرذمة من شذاذ الآفاق استطاعت بالغدر وبمعاونة قوى أخرى أن تستلب قطعة عزيزة من الوطن ، فهل نصبح هذا الشباب ونمسيه بمثل هذه الأغاني من فلانة ومن فلان الذى يشبه فلانة ؟

الذى ندرك فيه حق الإدراك أن كسب المعارك ليس بالسلاح خصب ، وإنما هو - مع ذلك - بالإيمان والخلق الفاضل .

في هذا الوقت نرى بعض أجهزة التوجيهية تشغل نفسها ، وتشغل الناس بأمور لا تتفق مع طبيعة الظروف التي تمر بنا

فثلا ، يشار جدل عقيم حول (أفلام الجنس) ، ومدى ضررها ، أو ضرورتها ، وكأن الموضوعات التي تصلح للمعرض على الجماهير قد نفذت ، ولم يبق إلا أفلام الجنس فنختلف حول ضررها أو نفعها .

ماذا ينقصنا ، بل ماذا ينقص شبابنا لو لم يشاهدوا هذه الأفلام العارية الرخيصة ؟ إن ما تبنيه الخطب الجادة ، والكلمات الهادفة والتوجيهات الحازمة تهدمه هذه السفاهات التي تكون - عادة - أعرق أثرا في النفوس ، وبخاصة نفوس الشباب .

ثم أرانا لم نطور الأغنية ، ولم نطور المسرحية إلى ما ينبغي أن تقوم عليه حياة شعب يعاني هزيمة من عدو حقير .

فلا زالت الرخاوة ، والليونة السميكة تسيطر على أغانينا ، كلمات وأداء . ولا زالت مناظر الحب الرخيص هي التي تضيع في مسرحياتنا وأفلامنا .

إننا - حينئذ - نبعده عن مسرح الأحداث
فإذا خلا إلى نفسه ازاداد جرحه عمقا لأننا
لم نفعل أكثر من أن دللنا عواطفه ، وميعة
افقالاته ، وسرنا به إلى طريق لا يجمد فيها
الجواب عن تساؤله الطامىء وتلفه الخائر ،
ولا يجمد فيها إشباعا لرغبته التى اتجهت كلها إلى
سواء المعركة .

وربما استقر فى أذهان أناس منا أن
استمرار إذاعة أناشيد الحرب يدعو إلى الملل
ويأتى بنتيجة غير التى نهدف إليها ، وهذه
مغالطة لا يراد منها الخير ، فإن هذا السلوك
مع ما يدعو إليه أسلم عاقبة ، وأجدى نفعا
من هذا الذى نسير عليه الآن .

على أننا لا ندعو إلى هذا ، وإنما ندعو
إلى التنويع ، وإلى التجديد ، ولكن فى إطار
السلوك الذى تحتمه علينا ظروفنا .

ليؤلف محترفو التأليف للأغاني بأساليب
جديدة ، وبمعان جديدة ، وفى موضوعات
جديدة ، وليكتب كتاب القصة بأساليب
وأهداف أخرى غير تلك التى شاعت ،
ولا زالت تشيع فى قصصنا .

إننا لم نحس بتغير يذكر فى أغانينا منذ
النكسة إلى الآن ، فما زال الحب هو الموضوع
الأصيل ، وما زال اللقاء والهجر ، وإعمال
الحيلة للوصول إلى الحبيب ، ما زالت هذه
هى السمات البارزة فى أغانينا ، وفى أفلامنا .

لكن فضائل الدين ، وأخلاق الرجولة
هى السائدة فى كل أعمالنا ، ويشعر كل فرد
فى أمتنا شعورا حقيقيا بهذه المسألة التى يعيش
فيها وطننا الكبير ولناخذ القوة من أبطال
أمتنا ، فى سلوكهم وأخلاقهم ما يملأ حياتنا
قوة وفضيلة ، وما يدفعنا إلى خوض المعارك
غير طاشين بشيء غير مجد الوطن وكرامته .

قد شمرت هن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد
لا بد مما ليس منه بد

د هل المعمرى

الفكر العربي القديم

مقابل الفكر الإغريقي
لأستاذ محمد مفيد الشوباشي

عقدنا في مقالنا السابق مقارنة بين الأدب العربي القديم والأدب الإغريقي ، وقلنا عن الأول أنه واقعي إنساني وعن الثاني أنه خرافي وثني . ودحضنا الفكرة التي تقول أن الأدب الإغريقي كان يتصور الكائنات الجامعة كائنات حية ، على خلاف الأدب العربي ، وقلنا أن العرب القدامى تعاطفوا مع الطبيعة أكثر مما تعاطف معها الأهلقي ، فقد كانوا يناجون الليل والنجوم ومنازل الأحباب ، ويخيل إليهم ، افراط حساسيتهم أنها تشعر بمتاعبهم وآلامهم وتشاركهم فيها .

ونحن نضرب هنا الأمثلة التي تؤيد ما نقول فن هذه الأمثلة ، قول زهير بن جناب السكلي : وذى دار سلمى قد عرفت رسومها فعمجت إليها والدموع ترقق وكادت تبين القول لها سألتها وتخبرنى لو كانت الدار تنطق

ومن ذلك أيضا قول ذى الرمة : أدارا بجزوى هجت للعين عبدة فدمع الهوى يرفض أو يترقق وقفنا وسلمنا وكادت بعرف لعرفان صوتى دمنة الدار تنطق وقول عنزة الذى سبقت الإشارة إليه ، وهو يقرىء دار عبلة التحية : يادار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلى ومن دلائل حب العرب لبعض الحيوانات وإعجابهم بجمالها تشييبهم لحبيبتهم بالجأذر والغزلان .

وكان العرب أشد عطفا على جياذم ، وأكثر مشاركة لها فى متاعها وأوجاعها . ومن شعرائهم الذين اشتهروا بذلك هنترة بن شداد ، فهو يعنى أشد العناية بإطعام مهره . وشاهد ذلك بيمته السالف الذكر :

لا تذكرى مهرى وقد أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر

ومن دلائل عطفه على الخيل قوله :

والخيل تشهد لي أني أكفكفها

والظعن مثل ثمرار النار يلتهب

ومن ذلك قوله عن مهره :

ما زلت أرميهم بشجرة نخره

ولبانه حتى تسربل بالدم

فازور من وقع القنسا بلبانه

وشكا إلى بعيرة وتحمحم

فالمهر يشكو متاعبه وآلامه بعبراته

وتحمحمه ، بل إنه يكاد ينفجر شاكيا لولا

أنه عاجز عن الكلام .

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولكان لو عرف الكلام مكلمى

والشاعر العربي يتصور أن الحيوان

يشاركه في عواطفه ويحب مثله . قال المتنخل

الشكري .

وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

وقد صمد هذا التقليد على الزمن ، وانتقل

إلى العصر الإسلامي ، فالبيت التالي يدل على

إحساس الشاعر بمحنة العصفور وهو تحت

وابل المطر :

ولمى لتعروني لذكراك رجفة

كما انتفض العصفور بالله القطر

ويدرك الشاعر العربي حتى حب الوحوش

بعضها لبعض ، وهو يحسدها إذا رأى أليفين

منها لا يروعهما الذعر .

وهو يتعنى لو يعيش عيشتها :

يا ليقنا فردا وحش نبيت معا

نرعى المتان ونخفي في خوافها

وليت كدو القطا حلقن بي وبها

فوق السماء فعشنا في مراقها

أكثر من ليتنى لو كان ينفعنى

ومن منى النفس لو تجدى أمانها

ويذكر أبو نواس الألفه يذنه وبين الكلاب

لذا قال عن مغامرة له .

للى بيت حان لا تهر كلابه

على ولا ينكرن طول ثوائى

ويبالغ أحمد الشعراء فيؤثر صجة الذئب

على صجة الإنسان :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت لإنسان فكدت أطيء

وحسان المتنبى يحادثه وينصحه :

يقول بشعب بوان حصانى

أمن هذا يسار إلى الطعان ؟

أبوكم آدم سن المعاصى

وعليكم مفارقة الجنان

ونحن لا نجد في الأدب الإغريقي ما يعبر

عن مثل هذه المشاعر . ولسنا نبالي إذا قلنا

أن تعاطف الإغريق مع الطبيعة لا يرقى إلى

ما بلغه تعاطف العرب من رقعة العاطفة

والسوء الوجدانى ولا يعيب شعراء العرب

- كما يزعم المتعنتون - أنهم لم يصوغوا ملاحم

الرمز الغامض المتشعب التأويل . وفلسفة العرب تلتقى على الحياة والنفس البشرية نظرات ثاقبة تكشف من أسرارها ما لا تكشفه المذاهب الفلسفية الوهمية مهما حسن تصميمها وقد يكون ضوء الفئار المتقطع أقدر على هداية السفن من الضوء الثابت .

وتدل أمثال العرب القدامى وحكمهم على أنهم لم يؤمنوا بالجزئية إيمان الإغريق بها ؛ فهم ليسوا أسرى القدر يخضعون له عاجزين وإنما هم يناضلون في سبيل تحقيق أهدافهم إما باللين والحكمة ، وإما بالشر والقوة . وقبلما يمجدا الإنسان لهم قولاً يدل على استسلامهم للقدر ، أو على تحكم القدر فيهم ، ومن العبارات القليلة التي تدل على ذلك قول زهير بن جناب :
« إن للإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة ،
فقصّر دونه ، وجمارز لموضعه ، وواقع عن
ييمه وشماله ، ثم لا بد أن يصيبه » .

ولكنه يقول مع ذلك :

« إياكم والخور عند المصائب ، والتواكل
عند الغرائب ... »

إن الشاعر الجاهلي يتحدث الدهر فيقول :
يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل قادر لوبيته
لو كان الدهر بلي أبليته

أو كان قرني راحدا كفيته
ولا شيء يغت في عضده ، ويقعده عن

تنظيم مختلف مشاعر هذا التعاطف واكتفوا بالتعبير عنها في أبيات متناثرة هنا وهناك ، فبحسبهم أنهم عبروا عنها ببلاغة أنفذ إلى شغاف القلوب من بلاغة شعراء الإغريق ، وقد تكون الكلمة المعبرة أشمل دلالة ، في أحيان كثيرة ، من الإسهاب والإطناب ، وفي رأينا أن تعبير العرب عن خواطرهم ومشاعرهم - وهو ما قيل عنه أنه تقريرى مباشر - أقرب إلى الذوق المعاصر السليم ، لأن المرحلة التي قطعها في ميدان الأدب كانت أكثر تقدما من المرحلة التي قطعها التعبير الأدبي الإغريقي .

وفي الحق أن العرب لم يكن لهم مذاهب فلسفية متكاملة كالتي كانت للإغريق ، ولكن في الحق أيضا أن الخواطر الفلسفية التي عبر عنها أدباؤهم في شعرهم ونثرهم كشفت من حقائق الوجود ، وطبيعة النفس البشرية ما لم يكشفه الفكر الإغريقي ، ونعيد هنا ما قلنا من أن الأدب على أنواع ، ولكل نوع منها اتجاهاته وخصائصه ويمزاته ، والذي يتمتعن الأدب العربي القديم في حيده وأمانه يرى معنا أنه أكثر تقدمية مما سبقه من آداب لأنه خطا أول خطوة تقدمية في طريق الواقعية التي يتصف بها الأدب المعاصر السليم .

والشعر العربي القديم يتميز - كما قلنا بالوصف الصادق الناطق ، ويستغنى به عن

النضال ، سوى المشيب ، فإذا حل هذا قال الفقد الزمانى يصف قومه فى الحرب :
الضيف الثقيل أثر مضيغه الموت على مشينا مشية الليث
بلية العجز : غدا واليـث غضبان
إذا ما المرء صم فلم يـناج ويصف طعنهم فى الأعادى بقوله :
وأودى سمعه إلا ندايا بضرب كـفهم الرق
ولاعب بالعشى بنى بـتيسه غدا والزق ملان
كفعل المرء يفتـرس العظايا وقال أعرابى يوصى باستعمال القوة :
فذاك الهم ليس له دواء ، أو صيكم بالناس شرا ، ضرباً لـزاً ،
سوى الموت المنطق بالمنايا وطعنا ووخزا ، كـموم نـزرا ، وانظروهم
والعرب القدامى لا يخضعون إلا لشيء شـزرا ... اقـصروا الأعنة ، وطرروا
واحد من تصاريـف الزمان ، وهو الموت الأسنة ...
فهو وحده الذى لا مهرب منه . قال قيس وأدرك العرب بذهنهم الصافى ، وسليقتهم
ابن الخطيم : أن اللين قد يكون فى بعض الأحيان
مـتى يأت هذا الموت لا تلف حاجة أنـجـع من القوة ، فقدموه عليها .
لنفسى إلا قد قضيت قضاءها صفحنا عن بنى ذهل
وهو لا يهاب الموت ، بل يزيد لقاءه وقلنا القوم لإخوان
فى الحروب : عسى الأيام أن يرجعـ
فإنى فى الحرب الضروس موكلـ من قوما كالذى كانوا ...
بإقدام نفسى ما أريد بقاءها فإذا أخفق السعى الحميد فلا مناص من
وقال ابن جناب : استعمال القوة :
أين أين الفرار من حذر المـ فلما صرح الشر
ت إذ يتقون بالأسلاب ؟ غدا والشر عريان
كان العرب القدامى يؤمنون بالقوة . ولكن ولم يسبق سوى العدو
لإيمانهم بها لم يكن عقيدة فلسفية بل ضرورة ن دناهم كما دانوا
قضت بها حياتهم القبلية الخشنة . وقد انصرف وبعض الحلم عند الجمـ
جانب كبير من شعرهم إلى التفاخر بها . ل للذلة إذعان

وفي الشر نجاهة حية-

من لا ينجيك إحسان

ولا يميل العربي الجاهلي إلى الحرب لذاتها، كما كان يميل إليها الإغريق، بل يسؤوه خوض غمارها، ولا يقدم على ذلك إلا خضوعاً لحكم الضرورة:

ولكن حكم السيف فيكم مسلط

فترض إذا ما السيف أصبح راضياً وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا

بني عننا لو كان أمراً مدانيا

ولكن حميته وسرعة اشتعال غضبه، قد تدفعه إلى البدء بالحرب قبل المعاتبة والتفاهم ولذا ضرب المثل القائل:

«سبقت السيف العذل،

وكثيراً ما يعبر الشعر الجاهلي عن النفور من الحرب، قال المرقش الأكبر:

يا بؤس للحرب التي

وضعت أراهم فاستراحوا

وكثيراً ما تتردد الدعوة إلى السلم في أبياته وأشهر أصحاب تلك الدعوة زهير بن أبي سلمى قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقمتم
وما هو عنها بالحديث المبرمج

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

وتضر إذا ضرتبتموها فتضرم
ولكنه فرق بين السلم والاستسلام فقال:

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه

يهدم، ومن لم يظلم الناس يظلم
والمقصود بالظلم هنا الظلم في الحرب.

وقال يمتدح مسعى الخارث بن هوف وهرم
ابن سنان، في سبيل الصلح بين قبيلتي عبس
وذبيان قال:

يمينا لنعم السيدان وجدتما

على كل حال، من سحيل ومبرم
تداركننا عبسا وذبيان بعدما
تفانوا، ودقوا بينهم عطر منشم

وهو يدين الفردية والذاتية كما يدين الحرب
فلا خير في الفرد الذي لا يقوم على خدمة
المجموع:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله

على قومه يستغنى عنه ويذمم

وأدرك غرب الجاهلية أن الخير ينمو
غرسه ويزداد، قال شاعرهم جذيمة الوضاح:
مستعمل الخير لا تفنى زيادته
في كل يوم، وأهل الخير تزداد

وهم لا يسلمون بالأمر الواقع إذ يدركون
أن كل شيء يتطور، فالليل ينجلي عن الصباح

والغمة تنجلي عن الفرج ... وقد يحدث
العكس ، فالدهر يصلح ، ثم يفسد ما أصلحه
على التوالي . قال دويد بن زيد :

التي على الدهر رجلا ويدأ
والدهر ما أصلح يوما أفصدا
يفسد ما أصلحه اليوم غداً

والعربي يحب الناس ، ويستوحش إذا
ما أعرضوا عنه ، وضنوا عليه بالتحية ، قال
الجيم بن صعب :

من كل ما نال الفتي

قد نلته ، إلا التحية ...

ولكن الجاهلي لا يغفل عن عيوب الناس
برغم حبه لهم . قال الأفوه الأودي :

بلوت الناس قرناً بعد قرن
فلم أر غير ذى قيل وقال
ولم أر في الخطوب أشد هولاً

وأصعب من معاداة الرجال
ولم يغفل الحكيم العربي عن تمسذ الجمع
بين الأضداد ، فهو ينصر الحق ، ولا يرى

إمكان الجمع بينه وبين الباطل : قال عامر
ابن الظرب :

« من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ،
فالحق لم يزل ينفر من الباطل ، والباطل
ينفر من الحق ... » .

والعربي لم يغفل عن تولد الأشياء بعضها
من بعض ، وعن ردها إلى أصولها ، وقد
شاع بينهم المثل الذي يقول : « العصا
من العصية » .

والإفاضة في ذكر الأمثال والحكم العربية
القديمة أمر يطول ، ونحن إذا أفعمنا النظر
فيها وجدنا أنها ، بالرغم من افتقارها إلى
الشرح والتفصيل ، تعد بذوراً لكثير من
المذاهب الفلسفية المعاصرة ، وقد كانت ،
على أية حال ، خطوة تقدمية في عصرها ،
أو خطوة في عالم التجديد .. وتمكفي المقارنة
بينها وبين شعر هيسبيود التروبي الاقتناع
بصحة ما ذهبنا إليه .

محمد مفيد الشوباشي

إعتناق الإسلام والردة

وأثرها على قوانين الأحوال الشخصية

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ - على الرغم من أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة العامة التي تسرى على علاقات الأسرة في مصر ، إلا أن المشرع المصري - منذ زمن غير بعيد - يجعل لقوانين الطوائف غير الإسلامية سلطاناً في بعض مسائل الأحوال الشخصية بالنسبة لغير المسلمين ، وبشروط معينة منها شرط اتحاد الخصوم في الطائفة والملة عند دفع النزاع إلى القضاء على أن إسلام أحد الزوجين يستتبع تطبيق الشريعة الإسلامية على النزاع دون الشرائع الدينية الأخرى ؛ بمعنى أنه إذا كان الزوج مسلماً عند عقد الزواج وكانت الزوجة مسيحية أو يهودية فإن الشريعة الإسلامية تحكم منازعاتهما العائلية ، وكذلك الأمر فيما إذا كان الزوج غير مسلم عند عقد الزواج ثم اعتنق الإسلام ، وسواء كان إسلامه قبل رفع الدعوى أو أثناء السير فيها ، وإذا كانت الزوجة مسلمة فإنه لا يجوز زواجها بغير المسلم ، وإذا كانت غير مسلمة عند زواجها ثم اعتنقت الإسلام بعد ذلك عرض الإسلام على زوجها ، فإن أسلم استمرت

في علاقتها الزوجية معه ، وإن رفض اعتناق الإسلام فرق القاضي بينهما ... تلك هي الأحكام المعمول بها في محاكمنا في مصر .

٢ - وتضمن الشريعة الإسلامية أحكاماً كثيرة فيها يسر وتخفيف على الناس ورحمة ، الأمر الذي يجعل تطبيقها على غير المسلمين أملاً يرغب فيه كثير منهم فيعتنق الإسلام ... واعتناق الإسلام - في مثل هذه الأحوال - قد يتم عن إيمان صحيح به وعقيدة راسخة صادقة ، وقد يتم - على العكس - ل مجرد السكيد للخصم الآخر أو للاستفادة من تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية على النزاع ...

فثلاً لو أن نزاعاً حدث بين زوجين قبطيين كاثوليكين وأراد الزوج الافتراق عن زوجته والزواج بأخرى أو أرادت الزوجة الافتراق عن زوجها والزواج بأخر ، لم يكن ذلك جائزاً إلا عند وفاة أحدهما ، لأن شريعة الأقباط الكاثوليك - وهي التي تسرى أحكامها على هذا النزاع لاتحاد الزوجين طائفة وملة ، لا تجيز انحلال الرابطة الزوجية إلا بالموت فحسب ؛ وعندئذ قد يلجأ الزوج إلى اعتناق

بالاديان للاستفادة بها من أحكام الدين الجديد ١٠٠ وهذا رأى غريب وغير صحيح لأن حرية العقيدة من النظام العام وهى تتيح لغير المسلم أن يعتنق الإسلام ، ومن غير المعقول ومن غير المقبول أن نطبق شريعة غير إسلامية فى بلد إسلامى على زوج اعتنق الإسلام بحجة أنه كان عند زواجه غير مسلم ، خصوصا وأن الشريعة الإسلامية هى الشريعة الأصلية فى هذا البلد وهى شريعة الأغلبية فيه ؛ وإذا كانت هناك فئة تتلاعب بالاديان فإن ذلك لا يقتضى حرمان من يعتنق الإسلام عن عقيدة من الاستفادة بأحكام الإسلام .

وقد ذهب رأى آخر إلى الاعتداد باعتناق الإسلام فى غير أحوال الغش نحو القانون ، بمعنى أنه إذا كان هذا الاعتناق مقصودا به التحايل على تطبيق قاعدة قانونية دون أخرى وثبتت نية الغش أمام القاضى أهدر آثار هذا الاعتناق ! وإثبات نية الغش ، عند أصحاب هذا رأى يرجع فيه إلى معيار شخصى فى ذات من اعتنق الإسلام ، وهو أمر لا يبدو - عديم - صعبا ، بل هو ما تعرض له المحاكم كل يوم فى مجال التصرفات المالية .

وقد اتجهت محكمة النقض المصرية إلى رفض هذا رأى فى أكثر من حكم لها على أساس أن الإيمان صلة بين الشخص ومولاه لا يطلع عليها سواه وبالتالي يتعذر استقراء النوايا

الإسلام ، والإسلام يحجز الطلاق بعبارة الرجل؛ وقد تلجأ الزوجة إلى اعتناق الإسلام والإسلام لا يحجز للزوج غير المسلم أن يبقى زوجا لزوجة قد أسلمت .. وقد يحدث - بعد ن يتم الحكم فى الدعوى على أساس إسلام أحد الزوجين أن يظل الزوج الذى أسلم مخلصا للإسلام مؤمنا به حتى آخر رمق فى حياته ، وقد يحدث أن يرتد الزوج الذى أسلم إلى دينه القديم أو إلى دين آخر ... ومعنى ذلك أن اعتناق الإسلام قد يتم عن عقيدة ، وقد يتم تلاعبا بالاديان ... وكذلك الردة عن الإسلام .

٣ - ولا شك أن التلاعب بالاديان أمر يدعو المفكرين إلى إيجاد الوسائل القانونية للقضاء عليه . وقد اتجه رأى بعض المفكرين إلى أن سد الباب على المتلاعبين بالاديان يقتضى عدم الاعتداد باعتناق الإسلام إن تم بعد عقد الزواج ! فمن كان غير مسلم ثم أسلم لا تطبق على منازعته العائلة الشريعة الإسلامية وإنما تسرى عليها أحكام الشريعة الأخرى غير الإسلامية التى كانت تحكم النزاع فيما لو لم يعتنق الإسلام ، على أساس أن عقد الزواج أبرم فى ظل شريعة معينة فيبقى محكوما بقواعد تلك الشريعة حتى لا يكون هناك مساس بالحقوق التى اكتسبها الطرف الآخر من عقد الزواج وحتى لا تكون هناك فرصة للمتلاعبين

لو قال أنا مؤمن أو مسلم ولم ينطق بالشهادتين فقد يقصد بذلك أنه على الحق في دينه اليهودي أو النصراني ، أو قال لا إله إلا الله وتبرأ من دينه القديم فقد يعنى ذلك أنه خرج من اليهودية أو النصرانية واعتنق عقيدة التوحيد بحسب دون أن يدل ذلك على أنه دخل في الإسلام وآمن بمحمد رسولا لله. (البدائع ٧ ص ١٠٣) .

٣ - والواقع أننا إذا أردنا أن نعالج التلاعب بالأديان تعين علينا أن نعرف السبب الذى يسمح فى التشريع المصرى باتخاذ اعتناق الإسلام والردة عنه وسيلة للتلاعب بالأديان ثم نعالج هذا السبب أو نقضى عليه. ويبدو لنا أن هناك سببين رئيسيين يسمحان فى التشريع المصرى لأهل الذمة باتخاذ اعتناق الإسلام والردة عنه وسيلة للتلاعب بالأديان هذان السببان هما : .

السبب الأول: وجود الامتيازات الطائفية ذلك أن التشريع المصرى - لأسباب تاريخية وسياسية - كان يكفل لبعض الطوائف غير الإسلامية امتيازاً فى القضاء مستقلاً عن الدولة وامتيازاً فى التشريع لا تطبق به غير قانونها الملى . وقد ألغى الامتياز القضائى بالقانون رقم ٤٦١ لسنة ١٩٥٥ م الذى ألغى المجالس المحلية ، غير أن الامتياز التشريعى لا زال باقياً إلى اليوم فى معظم منازعات الزواج والطلاق وبمقتضاه تطبق حالياً ثمانية

فيها بخلاف بحث النية فى التصرفات المالية فإنه أمر قد يتمكن القاضى من معرفته نظراً لأن جميع أطراف التصرفات المالية يمكن استدعاؤهم أمام القاضى ومناقشتهم بخلاف أطراف العقيدة الدينية حيث لا يجد القاضى أمامه سوى من اعتنق العقيدة بحسب ، ومن ثم كان الإيمان إقراراً بالجنان وتصديقاً باللسان لا يعلم به سوى الديان ، وبالتالي يجب اعتبار الشخص مسلماً تجرى عليه كافة الأحكام الدينية الخاصة بالمسلمين إذا أقر باعتناقه الإسلام ديناً وكان المظاهر الخارجية الرسمية لاعتناق الإسلام متوافرة ، ومن العبث تحليل بواعث اعتناق الدين الجديد والظروف التى أحاطت به والجرى وراء شهادات خادعة للطعن فى عقيدة الشخص والأنتماء من إيمانه .

والحق أن الفقه الإسلامى - وبالذات المذهب الحنفى المعمول به بهذا الصدد - لا يتعارض مع ما استقرت عليه أحكام النقص، إذ يعتبر الشخص مسلماً طالما كانت المظاهر الخارجية لاعتناقه الإسلام متوافرة ، فيحكم بإسلام اليه - ودى أو النصرانى إذا أتى بالشهادتين وتبرأ من دينه القديم ، وذلك حتى يفتنى كل احتمال فى البقاء على دينه القديم ، وبصرف النظر عن نواياه ومقاصده من اعتناق الإسلام أما إذا كان هناك احتمال ظاهر فى أنه لا يزال باقياً على دينه القديم فلا يحكم بإسلامه ، كما

في مسائل الطلاق والنفقات وتعدد الزوجات والسبب الثاني الذي يسمح في رأينا بالتلاعب بالأديان هو أن القانون المصري لا يعاقب على الردة عن الإسلام ، ولا شك عندنا أن تطبيق حكم الإسلام الذي يقضى بعقاب المرتد بالإعدام إذا لم يرجع عن رده بعد عرض التوبة عليه من شأنه أن يقدم حلا حاسما للتلاعب باعتناق الإسلام والردة عنه ... ولا ينبغي أن يقال إن إعدام المرتد يمس حرية العقيدة ، لأن حرية العقيدة - كغيرها من الحريات مقيدة بأن تمارس في حدود القانون . والقانون تنظيم للعلاقات الاجتماعية يعكس المبادئ السائدة في المجتمع ؛ والقانون - والدستور نوع منه - ينبغي على ذلك أن يكون معبرا عن شعور الرأي العام وحاميا لمقدسات الجماعة . ولا شك أن الرأي العام يريد حماية حرية العقيدة ويريد في نفس الوقت ألا يكون هناك تلاعب بالأديان ، والتوفيق بين هذين الاعتبارين ممكن وميسور إذا قلنا إن ممارسة حرية العقيدة ينبغي أن تتم في حدود القانون . على أن يصدر قانون يعاقب على الردة عن الإسلام بالإعدام أو يتضمن قانون العقوبات نصا بهذا المعنى . إن من يدخل الإسلام طائعا مختاراً ينبغي أن يلتزم بكل أحكامه ، ومن هذه الأحكام أن من بدل دينه فاقتلوه إلا أن يتوب ، ؟

د . عبد الناصر توفيق الطاهر

قوانين غير إسلامية على الطوائف غير الإسلامية في مصر إن اتحد الزوجان طائفة وملة .

ومع بقاء هذا الامتياز التشريعي لا بد أن تكون هناك مشا كل عند تغيير الملة أو عند تغيير الطائفة ، بخلاف ما إذا ألغى هذا الامتياز التشريعي وتوحدت القواعد القانونية المطبقة على المصريين مسلمين وغير مسلمين ، ففي هذه الحالة لن يكون لتغيير الملة أثر ولن يتخذ اعتناق الإسلام أو الردة عنه وسيلة للتلاعب بالأديان ، لأن الحكم في النزاع سيكون واحدا بصرف النظر من ديانة الخصوم .

وقد اتجه الرأي أخيرا إلى إعداد مشروع قانون للأحوال الشخصية لغير المسلمين مستمد من أحكام شريعة الأقباط الأرثوذكس وهي شريعة أغلبية غير المسلمين في مصر .

وصدور مثل هذا القانون من شأنه توحيد القواعد القانونية التي ستطبق على غير المسلمين والتقدم خطوة نحو إلغاء الامتيازات التشريعية لبعض الطوائف ، غير أن هذا التشريع لن يقضى على مشكلة تغيير الدين تلاعبا به طالما أن القواعد التي ستطبق على المسلمين وهي مستمدة من الشريعة الإسلامية تختلف عن تلك التي ستطبق على غير المسلمين مما يدعو بعض الأشخاص إلى اعتناق الإسلام رغبة في الاستفادة من أحكامه وبصفة خاصة

استيطان اللغة العربية في مصر

للدكتور أحمد مختار عمر

— ٢ —

میزان القوى متعادلا معظم الوقت ، ولم تتمكن لغة من اللغتين من إحراز نصر يذكر ، وكانت الاسباب التي أدت إلى هذه النتيجة ما يأتي :

١ — حسن معاملة العرب للمصريين : فعلى عكس ما ذكره المؤرخون الأقباط تؤكد أوراق البردي - التي يرجع عهدا إلى الفتح الإسلامي ، والتي اكتشفت حديثا - حسن معاملة العرب الأقباط ومسلكتهم المشرفة حيال أهل الذمة ، ولدينا وثيقتان تنطقان بذلك اكتشفهما الاستاذ جروهمان ، يرجع تاريخهما إلى عام ٢٢ هـ (٦٤٢ م) ، وقد علق جروهمان عليهما بقوله : إن هذه المعاملة إزاء شعب مغلوب قلبا نراها من شعب مستنصر ، . وقد كتب ميخائيل السورى بطريرك اليعقوبيين في أنطاكية يقول : « إن رب الانتقام استقدم من المناطق الجنوبية أبناء إسماعيل لينقذنا من أيدي اليونانيين ، وقد أصابنا خير ليس بالقليل بتحررنا من قسوة الرومان وشروطهم ... ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة بيننا » .

٢ — استمرار استعمال اللغة اليونانية

إذا نحن أردنا أن نحلل العوامل الرئيسية التي تحكم في الصراع بين اللغات (١) ، ونرتب الأحداث المرتبطة بها ترتيبا تاريخيا ، وحاولنا - إلى جانب ذلك - أن نبرز نقط التحول في تاريخ اللغة العربية في مصر إبان تلك الفترة - فإننا نقترح مراحل ثلاثا مرت بها اللغة العربية ، وانتهت كل مرحلة بشيء من النصر ، وأعقب آخر مرحلة النصر الكامل لها . هذه المراحل من الممكن أن تحدد على الوجه الآتي :

١ — مرحلة المناوشة . المبارزة .

٢ — مرحلة التقدم .

٣ — مرحلة النصر .

أما مرحلة المناوشة : فتحدد بفترة ما بين الفتح الإسلامي (سنة ٢٠ هـ) ونهاية القرن الأول الهجري (٧١٨ م) ، وفيها وجد تبادل بين اللغتين العربية والقبطية وتأثير من كلا الجانبين على الآخر ، وعلى الرغم من تأييد اللغة العربية بالعرب الفاتحين ، فقد كان

(١) راجع الجزء الأول من المقال في عدد

صفر سنة ١٣٨٨ هـ .

شديدة على الجنود ألا يستكينوا إلى الراحة ، وأن يظلوا في وضع استعداد دائم . كذلك أمروا ألا ينزلوا الريف إلا في وقت الربيع ليسمنوا خيولهم ويعطموها .

٥ - ويجب أن نذكر اسم عمر بن عبدالعزيز مرة أخرى في هذه المرحلة لأنه كان أول من ألغى ضريبة الرؤوس على الأقباط الذميين إذا اعتنقوا الإسلام ورفض أن يأخذ بمشورة من نصحوه باستمرار تحصيل الجزية نظرا لازدياد من يعتنقون الإسلام . وقد رد عليهم بقولته الشهيرة: «إن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا» . وقد أغرت هذه السياسة بعض الأقباط بالدخول في الإسلام ولكن مرة أخرى لم يظهر أثر هذا العامل خلال هذه المرحلة .

٦ - إن حركات الدخول في الإسلام سارت بطيئة في أنحاء البلاد خلال هذا القرن ، ولم تحدث موجات ذات بال ماعدا تلك التي سبقت الإشارة إليها ، وماعدا موجات الدخول في الإسلام التي قام بها العرب الجاهليون المقيمون بمصر . وقد أشار المؤرخون بالنسبة للقسم الأخير إلى أن عددا كبيرا من هؤلاء العرب لم يترددوا في تأييد إخوانهم الفاتحين ، وفي تعويض عمرو بن العاص عن خسائره خلال الفترة الأولى من الصراع .

وكانت النتيجة الحتمية لتلك العوامل

(أو القبطية) بوصفها لغة رسمية حتى عام ٨٧ هـ (٧٠٦ م) عندما أصدر والى مصر إذ ذاك وهو د عبد الله بن عبد الملك ابن مروان أوامره بإحلال العربية محلها . وليس من المتوقع أن يتم تغيير كهذا بين يوم وليلة ، ولذا فنحن نقترح السنوات العشر الأولى من القرن الثانی أو نحوها ، حينما أصبحت اللغة العربية لغة المصالح الحكومية ، إما بالكلية ، أو كلغة أولى في الوثائق ذات اللغتين .

٣ - أما العامل الثالث من عوامل التعادل بين اللغتين العربية والقبطية خلال القرن الأول الهجري فيرجع إلى وضع الأقباط الوظيفي في الدولة ، فقد ظلوا في وظائفهم العامة كما كانوا من قبل وذلك حتى العام الأخير من القرن الأول حين ظهر اتجاه بقصر الوظائف القيادية على المسلمين .

ويقال : إن هذه التعليقات كانت صادرة من عمر بن عبد العزيز . ولكن يبدو - على أى حال - أن هذه الحركة شاملة في أى عصر من عصور التاريخ بدليل أننا نجد أسماء قبطية كثيرة تتردد في وثائق البردى التي نشرها جروهمان .

٤ - كان هدد العرب قليلا طوال هذا القرن إذا قيس بعدد السكان الأصليين ، بالإضافة إلى القلة العددية كانت هناك أوامر

ملحوظ بعد أن تسامح باقي أفراد القبيلة بمخصب الأرض وكثرة خيراتها وقد حقق تهجير هذه القبيلة أهدافا كثيرة أهمها المساعدة على انتشار الإسلام ؛ لأنها سكنت موقعا آملا بالسكان الاقباط على عكس ما حدث من قبل لمعظم القبائل العربية التي لم تختلط بسكان الريف والقرى لإقليلها . وقد أدى هذا بالتالى إلى سرعة إدماج العنصر العربى فى العنصر المصرى وأصبحنا نرى عربا تزوجوا من نساء قبطيات اعتنقن الإسلام ، كما أصبحنا نرى علاقات اجتماعية طيبة بين العرب وغيرهم .

٣ - ازدياد عدد الداخلين فى الإسلام فرادى وجماعات نتيجة لقوة الحركة الدينية ، ونشاط الدواسة الإسلامية والعربية فى مصر فى ذلك الوقت ، وامتلاء مصر منذ أواخر القرن الأول بعلماء الدين والقراء والمفسرين والمحدثين بشكل ملفت للنظر .

واسنأ نزع أن بانتهاء هذه الفترة كان كل شخص يعرف اللغة العربية ، ولكننا نزع على الأقل أنه بانتهاءها كان كل شخص يعرف العربية يحس بمكانته فى المجتمع ويشعر أنه ابن من أبنائه ، بخلاف من أصر على تمسكه بلغته الأصلية ، ومن لم يحاول تعلم اللغة العربية أحس بانفصال عن المجتمع ، وشعر بغربة لا يمكن أن يحس بها الشخص فى وطنه .

وأما مرحلة النصر فقد شملت بقية القرن

المتضاربة أن حققت اللغة العربية بعض النصر على حساب اللغة القبطية التى فقدت بدورها شيئا من قوتها فى صراعها من أجل الحياة وأن بقاء اللغتين جنبا إلى جنب ، وفشل إحداهما فى القضاء على الأخرى لا يعنى أنهما كانتا فى حالة ركود . فمن المتوقع أن يكون قد حدث بينهما نوع من التأثير المتبادل ، ومن غير المشكوك فيه أن تكون كل لغة قد تركت معالمها على الأخرى .

وأما مرحلة التقدم فمن الممكن أن تحدد نهايتها بعام ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) . والعلامة المميزة لهذه المرحلة أنه بنهايتها كان ميزان القوى قد اختل لصالح اللغة العربية التى حققت نجاحا كبيرا . أما أهم الأسباب التى أدت إلى هذه النتيجة فهى كما يلى :

١ - لإزدياد حركة التعريب فى الدولة ، ووجود الأماكن القيادية فيها .

٢ - تتابع هجرات القبائل العربية إلى مصر بعد أن سمعت بخصب تربتها وغنى أرضها . وقد حدث هذا بشكل مطرد خلال تلك الفترة ويمكن التمثيل له بقبيلة قيس ، التى رحلت إلى مصر فى عام ١٠٩ هـ (٧٢٧ م) بأعداد كبيرة ونزلت بالحواف الشرقى . وقد صرف لهم الوالى مرتبات من أموال الصدقة والعشور وأمرهم بالورع وتربية الإبل والخيول . وتضاعف عددهم فيما بعد بشكل

ونتيجة لكل هذه العوامل المختلفة صارت اللغة العربية مألوفاً للأقباط وتعودوا سماعها . لقد أصبح من المستحيل على أى إنسان أن يقاوم هذا الاتجاه ، أو يقف في وجه تيار العربية . وحتى لو حاول ذلك فستقرع العربية أذنه في كل لحظة وستصبح لغته الأم بمرور الوقت .

وما أن انتهى القرن الثالث الهجرى حتى كانت اللغة العربية قد ثبتت أقدامها في مصر وحلت محل القبطية كغة أولى . ولم يكد يأتى القرن الرابع حتى أصبحت اللغة القبطية غريبة حتى على الأقباط أنفسهم . وصار من المحتم على رجل الدين المسيحى أن يخاطب ويكتب باللغة العربية إذا أراد أن يفهمه جمهوره وقد ذكر سويرس بن المقفع في مقدمة كتابه سيرة الآباء البطاركة ، الذى كتبه في القرن الرابع الهجرى باللغة العربية السبب في كتابته بالعربية دون القبطية ، ونص عبارته : « فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الإخوة المسيحيين وسألهم مساعدتى على نقل ما وجدناه منها (يعنى سيرة الآباء البطاركة) بالقلم القبطى واليونانى إلى القلم العربى الذى هو اليوم معروف عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى واليونانى من أكثرهم » .

ولا تعنى هزيمة اللغة القبطية اختفاءها

الثالث ، ومعظم القرن الرابع أو جميعه . وتلتها مرحلة من الهدوء والاستقرار بدأت مع القرن الخامس ، ويرجع ذلك للعوامل الآتية :
١ - ازدياد الهجرات العربية خلال هذه المرحلة ، ومن أشهر القبائل المهاجرة في تلك الفترة قبيلة « السكيز » ، التى انتشرت في أنحاء متفرقة من مصر عام ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) ، ونزلت طائفة منهم في أسوان وشمالى النوبة . كذلك من أشهرها قبيلتا هلال وحليم اللتان هاجرتا في القرن العاشر ونزلتا الصعيد .

٢ - فى عام ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) صدرت أوامر الخليفة العباسى إلى واليه بمصر بتسريح الجيش العربى وشطب أفرادَه من ديوان الجند ، وقد أدى هذا إلى تقليل النفوذ الرسمى للعرب في مصر ، ولكنه في نفس الوقت قوى من مركزهم الاجتماعى وبالنسبة من مركز اللغة العربية . فلقد كانت النتيجة الحتمية محاولة العرب الجديدة البحث عن وظائف مدنية لهم ، أو الاشتغال بالأعمال الحرة كالزراعة والتجارة ، والعمل على الاندماج في السكان الاصليين ، والسعى لاكتساب صداقتهم ، وإنشاء علاقات أشرية معهم .

٣ - كذلك سادت الدولة قدما في إجراءات تعريب الوظائف وتقديم المسلم على الذى في شغل المناصب القيادية .

سعر العرفتم ٢- حسن جاد للدكتور عبد الرحمن عثمان

(١)

التقيت بالشاعر حسن جاد في الفصل الدراسي في كلية اللغة العربية عام ١٩٣٦ ، ولعله من الخير أن أتناول هذه الفترة من جانبها الأدبي الذي أثر في ثقافة الشاعر ، وصاغ ذوقه صياغة تبدو واضحة النبرة في فنه الذي سنعرض له .

ولست أريد أن أتوسع في عرض التفاصيل التي أواها مؤثره في شعره ، لأنني أؤثر هنا أن أكتفي بظاهرة أدبية أظنها كانت معاوناً

للشاعر هي تجويد قصائده وانتخاب ألفاظها والاجتهاد في تنسيقها حتى تلائم الروح الساري في المجال الأدبي حينذاك ، وأهني بالظاهرة الأدبية ذلك النشاط الجم الذي كنا نشهد ثمراته في الصحف والمجلات والنوادي الأدبية بما انتظم الشباب في المدارس والجامعات حتى استجابت له مواهب وملكات كأنما كانت معه على موعد ، ففقت براعمها وأمدتها بفيض من الإحسان والإبداع .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

التام من مصر في ذلك الوقت ؛ فن الثابت أنها ظلت باقية كلغة حديث حتى القرن الخامس الهجري على الأقل . وقد نبه المقدسي إلى ذلك صراحة حين أشار في كتابه « أحسن التقاسيم » أنه لاحظ أثناء زيارته لمصر (في النصف الثاني من القرن الرابع) أن الأقباط كانوا يتكلمون اللغة القبطية (١) . وأكثر من هذا فقد عاشت اللغة القبطية

لفترة أطول في صعيد مصر ، وبخاصة داخل الأديرة ، وفي الأماكن النائية . كذلك لا تعني تلك الهزيمة اندثار اللغة القبطية في مصر ؛ فقد بقيت لها حياة جزئية في شكل بقايا وآثار اختلطت باللغة العربية وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها .

أما إلى أي مدى بلغ هذا التأثير فهو ما سنخصص له بحثاً قادمة إن شاء الله ؟

دكتور أحمد مختار عمر

(١) لا بد أنهم كانوا يتكلمونها كلغة ثانية .

وما صانع في عقيدة يؤمن بها ، وأشهد أنه كان المثال الخليل للعالم الذي يرتفع بنفسه فوق الشبهات ، والإنسان الكريم الذي يؤمن بقيمة إنسانيته إيماناً قلباً وجدناه عند من عرفناه من زملائه وإخوانه .

إن خلق العالم وخلق الأديب قدس التقيا في أستاذنا عبد الجواد ، فهو حين نلخص فيه القول : حساسية مفرطة وترفع نبيل ، وكنت أود أن أدرس فن شيخنا الذي تأثرنا به ، إلا أن أخانا الدكتور على حسن العماري سبقنا إلى دراسة فنه في بحوث نشرتها مجلة الأزهر منذ سنوات ؛ ومع ذلك فإنني أستاذن الدكتور العماري في عرض نموذج من شعر أستاذنا لأبرهن به أن مدرسته - التي تأثر بها شاعرنا حسن جاد الذي نتحدث عنه - كانت مدرسة تعتمد على الصقل والتجويد والتفسيق في إطار الشكل والمضمون على السواء .

يرثي أستاذنا عبد الجواد صديقه الشيخ عبدربه مفتاح في مجلة « نور الإسلام » ، جمادى ١٣٥٧ - يونية ١٩٣٨ ، فيقول :

أغالب دمعى ، وهو لى جد غالب
وأترك وجدى ، وهو ملء جوانبى
وكيف التلى عن أخ إن بكيت
بكيت حياتى ، أو بكيت مآربى
بغى الناعب الناعى الثرى فلقد نعى
إلى صفوة الإخوان أفضل صاحب

وقد أتاحت لنا المصادفة السعيدة أن نلتقي على أستاذ يشارك مشاركة جادة في تنشيط الوعي الثقافى وإيقاظ الميول الأدبية ورعايتها لأن له ذوقاً أدبياً رقيقاً إلى جانب دراسته الواعية للاتجاهات الفنية فى الشعر الحديث ، فهو يعرف اتجاه البارودى ومدرسته كما يعرف اتجاه العقاد وزميليه ، ولكنه مع معرفته هذه كان يؤثر أن يستجيب الشاعر لطبعه بحيث يقدم للجمهور فنه النابع من وجدانه ومشاعره غير معتمد على طريقة السابقين له أو المعاصرين ؛ لأن الفن ابتكار وخلق ، وهو قبل هذا وبعده حديث النفس عن أفراسها وآلامها بأسلوب يواكب ما تزخر به من أفراس وآلام .

وقد كان أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد ومضان يدرس لنا الأدب وفن الكتابة ، وكان يختص الشاعر حسن جاد بالكثير من عنايته وتوجيهه ، ويرى فيه النبتة الغضة التي ستتموا وتورق وتثمر ، وطالما كان يسأله عما استحدث من الشعر ، لأن أستاذنا الجليل كان شاعراً جيد الصياغة ، وإن يكن وقار العلماء قد صرفه عن الإكثار والمضى في قرض الشعر إلى النقد والتوجيه والرعاية ، فقد طالما ذهبنا إليه في منزله لنستمع بحلو حديثه وصائب آرائه وحسن توجيهاته ، وقد اتخذ هذا أبناء وأصدقاء فما كنتم عنا شيئاً يراه ،

الفنى يرفعها إلى مقام التأثير على القارئ ومس
مشاعره الدقيقة مسا غير رقيق ؛ فأما جمال
نسجها ونصوع ديباجتها فهو أمر لا يحتاج
إلى تعليق .

في هذه المدرسة الذوقية المتأنقة جاشت
الينابيع في وجدان شاعرنا حسن جاد ،
وفي ذلك الجو الثقافي الجاد تنوعت لديه
الافكار واحتشدت في خاطر الصور ، وهلى
هذين الاساسين قام فنه الاصيل ، واستوى
عند الذوق والتأمل جميعا ؛ ولم ينخدع صاحبنا
بالومضات الفنية التي كانت تعتاده وهو
في صدر حياته ، وإنما كان يعرضها هلى
موازن الثقافة ويعمقها بمختلف أنواع
المعرفة ؛ فقد صحب حسن جاد الشعراء
الجاهليين والامويين والاندلسيين والعباسيين
وأصاخ إلى فنونهم طويلا ، وناقش الاصول
التي قامت عليها تلك الفنون ، ثم وثق علاقته
بمن استراح إليهم وجرى معهم في ميدان ،
وكان أحب شعر إلى نفسه هو شعر البحترى
لجاء فنه سلسا هذبا لا جهامة فيه ولا التواء .
وتلك إشارة مريضة إلى خصائص شعره
نكتفي بها الآن إجمالاً على أن نحدد ما تحديداً
أدق حينما نمضى في التعرف إلى فنه الشعري
بعد قليل .

ولأنى خليط الشاعر وصديقه في الدراسة
والمسكن حينما كننا طالبين في الكلية أستطيع

نعمى الفرج المرجو عند وليه
نعمى الظافر المنصور عند المناصب
نعمى الطاهر الاوفى عدو ثرائه
مفيض الايادى الغر مثل السحاب
صريع من الابطال خلى رفاقه
ترى ناحباً منهم يلوذ بناحب
يخضخضهم هول المصاب كأنما
أصيبوا بحمى من لظى الوجد صالبا
يكون بساما إذا اعتكر الدجى
وأشرق ، جلى من سواد الغياهب
فتى كان فيما عاشه د عبدربه ،
وقد ملأ الدنيا عبيد الرغائب
بنفسى د صلاح ، إذ أصيب بوقدة
مضى يتقيها بالدموع السواكب
يصبح : أبى ، والموت دون جوابه
ومن لصلاح بالحنو المجاوب
أعلاه بالقول والوجد غالب
وما نفع قولى فى السكبود الذرائب
فيالك من طفـل مضى بفؤاده
هوى فى القبور لا هوى فى الملاعب
وعاجله هم الحياة كأنه
من المهد لم يخلق لغير النوايب
وتلك مريضة دامعة صدرت عن وجد
صادق وأسى عميق ، فكل بيت منها موصول
بسكوامن الحزن فى قلب صاحبها ، وموصول
بمصادر أحزانه وهداه على المصاب ، والصدق

وصاحبها الشاعر يزحف الآن في سأم نحو الخامسة والخسين من عمره فقد تغير فيه كل شيء ؛ واستبد به القلق وهموم العيش ، حتى لكان في أرى فيه شخصاً يختلف كثيراً عما كنت أعهد فيه من قبل ، فقد ضربت بيننا الأيام عشر سنوات لم نلتق فيها أبداً ، وذلك فترة طويلة تعيد تشكيل المرء وصياغته ، حتى يبدو مختلفاً في تصرفاته ونظراته إلى القيم والمثل حتى كأنه شخص آخر ؛ ولكن شيئاً واحداً فيه استطاع أن يثبت أمام تصاريف الأيام فلم تقو على نسخه أو تغييره أو لعل أواه أنا باقياً كما كنت أعهد ، ذلك هو « الصفاء النفسي » الذي يلقي به الأصدقاء . وعندى أن فن حسن جاد يتسم بسمات ثلاثة تظهر في تناجيه ظهوراً قوياً ، وهي : الانطلاق المرح ، ثم الانقباض الموجه من أحداث الحياة ، ثم الاتجاه إلى الله والفزع إليه من ظلم الأصدقاء والرؤساء في مجال العمل ؛ أو يتحدد آخر للراحل التي مر به شعره : قبل تكوين الأسرة وبعدها ، ثم افتقاده للسعادة التي كان يشدها . وفي هذه الأدوار الثلاثة سفتناول فنه بما يتاح لنا جهد في مقالات تالية ؟

د . عبد الرحمن عثمان

أن أتحدث عن شعره حديث العارف الذي أرجو ألا ترشوه الصداقة أو تشتط بقلبه اعتبارات الصحبة والزمالة ، وإذا لمس القارئ شيئاً من المحابة فإن إدراكه لمصادرها جدير أن يرده إلى ما ينبغى أن يصير إليه المنصفون أقول ذلك لعلنى أن المرء مهما بالغ في الحيلة وأسرف في الحذر حينما يتحدث عن صديق فإن هناك من المعاني التي ترتكز في جوهرها على الصداقة أو الخلطة ما يسرى في خفاء ووناء إلى ستر العيوب وإذاعة الحسنات ، وتلك سنة طبيعية لا يمكن للنفس البشرية أن ترتفع عنها أو تميزها في سر وحسم . وهذا الاحتراس الذي أجده ضرورياً في الكتابة عن الأصدقاء أشرع في الحديث عن شعر الصديق الشاعر حسن جاد .

وفي هذه الدراسة العاجلة لفن الشاعر أجدني مضطراً إلى الحديث عن الأدوار التي تأثر بها شعره من لدن أن عرفته حتى يومنا هذا ؛ وطبعاً أن الحديث عن تلك الأدوار سيكون في إطار عام لا تفصيل فيه ولا تحديد ، ويكفي أن يشير إلى القارئ إشارات تعينه على فهم طبيعة كل مرحلة وأن يضعه على الطريق القويم حين يريد التفصيل والتحديد في دراسة شاملة لشعر صاحبنا في مختلف مراحل حياته .

مكتبة خالدة

١- مكتبة بغداد العباسية
للمستاذ محمد جبر أبو سعد

يمثل عصر كل من الخلفيتين العباسيين ..
هارون الرشيد ، وابنه ، المأمون ، فترة
زاهرة وخطيرة في التاريخ الإسلامي الطويل ؛
فقد كان شغف هذين الرجلين بالعلوم والمعارف
واحترامهما الشديد لكل المشتغلين بها دون
تفرقة بين المسلم وغيره حيث رفع العلم
من شأنهم جميعاً ، كان لذلك أثره البين في إنباض
الحركة العلمية وتشجيع سائر ألوان الفشاط
الثقافي من تأليف وترجمة إلى غير ذلك .
وقد أفاضت المصادر التاريخية - على اختلاف
نهجها ونزعتها - في إبراز مظاهر اهتمام الخلفيتين
بالشؤون العلمية والثقافية ، وإن كان المأمون
قد فاق أباه في هذا المضمار نتيجة لاشتغاله هو
شخصياً بمسائل العلم وتعلقه بالفلسفة وعلم
الكلام ..

(١) الفهرست ص ٨٠٧ ، وغيرهما - طبع
القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ، إخبار العلماء بأخبار
الحكماء ص ١٦٩ ، ١٨٧ - طبع القاهرة
سنة ١٣٢٦ هـ ، معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٧
طبع القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ ، صبح الأعشى
ج ١ ص ٤٦٦ طبع القاهرة سنة ١٣٤٠ هـ .

(٢) الفهرست ص ٣٨٢ .

وما نحن بصدد الآن هو الحديث عن بيت
الحكمة ببغداد كمظهر واضح يلقي ضوءاً كاشفاً
على النهضة العلمية والوثبة الثقافية اللتين تميز
بهما العصر العباسي إبان خلافة الرشيد
والمأمون ..

وقد ورد ذكر هذه المكتبة في ثنايا كتب
التاريخ والطبقات ، وأطلق عليها في بعضها

في ترجمتها للمأمون يجعلنا لا نشك في أن المأمون قد أحاط هذه المكتبة بأعظم اهتمام ، وشملها بأكبر عناية حتى بلغت في عصره شأوا لم تصل إليه من قبل أو من بعد ، وهذا بالطبع لا ينبغي أن هارون الرشيد - الذي أنشئت المكتبة على عهده - قد جمع إليها ما كان قد نقل إلى اللغة العربية من كتب الطب والعلم ، وما ألف من العلوم الإسلامية والعربية ، مع ما سعى يحيى بن خالد في جمعه من كتب الهند وما وصلت إليه يد الرشيد من كتب الروم ، روى ابن أبي أصيبعة والقفطي في ترجمة يوحنا بن ماسويه أنه كان مسيحي المذهب مريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجدته بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سبأها المسلمون ، ووضعها أمينا على الترجمة (١) .

فإذا انتقلنا إلى عصر المأمون وتحدثنا عن جهوده في إثراء المكتبة وزيادة مقتنياتها من نواتج ثقافات الأمم وحضاراتها وجدنا أنه طلب المؤلفات والكتب المختلفة من البلاد الأخرى ، وبذل في سبيل ذلك الكثير من الأموال ، كما أنه عمل على تشجيع العلماء على التأليف ، والمترجمين على الترجمة ، بل إنه

وبنسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة (١) .

على أن ذكر هذه المكتبة ارتبط أكثر ما يكون بالمأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ : ٨١٣ - ٨٣٣ م) ، ولهذا الارتباط ما يبرره ولنقرأ معا ما كتبه صاعد الأندلسي عن هذا الخليفة العالم ، قال : « فأقبل (أى المأمون) على طلب العلم في مواضعه ، واستخرجه من معادنه ، بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فدخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا إليه بما حضروهم من كتب (أفلاطون) و (أرسطاطاليس) و (أبقراط) و (جالينوس) و (أقليدس) و (بطليموس) وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخار لها مهرة الترجمة وكلفهم لإحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم في تعليمها ، فنفقت سوق العلم في زمانه ، وقامت دولة الحكمة في عصره ، وتنافس أولوا الفباهة في العلوم لما كانوا يرون من إحظائه لمنتجها ، واختصاصه لمقلديها إلخ (٢) .

وهذا الذي ذكره صاحب طبقات الأمم وكثير غيره مما فاضت به الكتب القديمة

(١) طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ - طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ ، إخبار العلماء بأخبار الحسنة ص ٣٨٠ .

(١) المصدر السابق ص ١٥٤ ، وانظر إخبار العلماء بأخبار الحسنة ص ١٦٩ .

(٢) طبقات الأمم ص ٧٥ - ٧٧ - ط القاهرة

إليه ، فسادت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها ، فأرسلها إليه واغبط بها المأمون ، وجعل سهل بن هارون خازنًا لها ^(١) .

وهذه الرواية التي ذكرها ابن نباتة تنطوي على دلالات كثيرة ، أجدرها بالتقدير تصميم المأمون على الوصول بمكتبته إلى درجة السكال ، غير أن القفطى أورد أنشاء الترجمة لأرسطوطاليس فصا يختلف عما ذكره ابن نباتة ، قال : « إن المأمون راسل ملك الروم ، وكان قد استطال عليه وأذل دين الكفر ، وطلب منه كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس فطلبها ملك الروم فلم يجد لها ببلاده أثرًا ، فاعتم لذلك وقال : يطلب منى ملك المسلمين علم سلفى من يونان فلا أجده ؟ أى عذر يكون لى ؟ أم أى قيمة تبقى لهذه الفرقة الرومية هند المسلمين ؟ وأخذ فى العوالم والبحث ، فحضر إليه أحد الرهبان المنقطعين فى بعض الأديرة النازحة عن القسطنطينية ، وقال له : هندی علم ماتريد ، فقال له : أدركنى . فقال : إن البيت الفلانى فى موضع كذا الذى يقفل عليه كل ملك قفلا إذا ملك ما فيه قال فيه على ما يقال مال الملوك المتقدمين وكل ملك يحى يقفل عليه حتى لا يقال : قد احتاج

أمر بتفرغ هؤلاء جميعا لمهمتهم العلمية الخالصة وأجرى عليهم الأرزاق عن سعة وإغداق ، روى ابن النديم : « إن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن فى إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلبا - كندا - صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل ، وقد قيل إن يوحنا ابن ماسويه من نفذ إلى بلد الروم ^(٢) .

وذكر ابن نباتة فى ترجمته لسهل بن هارون : « إن المأمون جعله كاتبًا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرص ، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت بمجموعة فى بيت هندم لا يظهر عليها أحد أبدا ، لجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأى واستشارهم فى حمل الخزانة إلى المأمون ، فكلهم أشاروا بعدم الموافقة إلا مطرانا واحداً فإنه قال : الرأى أن تجعل ^(٢) بإنقاذها

(١) شرح العمون شرح رسالة ابن زيدون

ص ١٦٦ - ط القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

(١) الفرست ص ٣٣٩ .

(٢) هكذا ولعلها تعجل .

القنطلى ، ولكن الذى لاجدال فيه أن المأمون طلب من ميخائيل الثالث ملك الروم كتب القدماء المخزونة عنده (١) . وأن جزءاً كبيراً من هذه الكتب وصل فعلاً إلى بغداد على يد بعثة من ثقافة العلماء ، قامت أثناء ذلك بنسخ ما لا يتأتى لملك الروم لإخراجه من الكتب ، كما تؤكد لنا هذه الروايات على تعددها أن من أظهر مقاصد المأمون وأقصى رغائبه جلب الكتب واستيرادها من أى مكان وجدت فيه وإيداعها خزانة الحكمة في بغداد ..

هلى أن لما قام به المأمون في هذا الصدد جانباً آخر مضيئاً ؛ فقد أقبل المترجمون في ذلك العصر على هذه السكنوز المستورة فنهلوا من ينبوعها ونقلوا منها إلى لغة الضاد فنونا شتى في الفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات والآداب وغير ذلك مما يمثل أرقى ما وصل إليه الفكر اليونانى في أزهى عصوره ، فأثروا بترجماتهم الرائعة الخزانة المأمونية أيما إثراء ، ووسعوا محتويات بيت الحكمة توصيها منقطع النظير ، فصار فيها من الكتب ما تفردت به على ما سواها . لقد حوت هذه المكتبة إلى جانب الأسفار اليونانية التى تحدثنا عنها قبل ، كتباً مؤلفة

إلى ما فيه لسوء تدبيره ففتحها ، فقال له الراهب : ليس الأمر كذلك ، وإنما في ذلك الموضوع هيكل كانت يونان تتعبد فيه قبل استقرار ملة المسيح ، فلما تقرررت ملته بهذه الجهات في أيام قسطنطين بن الانة ، جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس وجعلت في ذلك البيت وأغلق باباً وفعل عليه الملوك أقفالاً كما سمعت . فجمع الملك مقدمى دولته وعرفهم الأمر واستشارهم في فتح البيت فأشاروا بذلك ، فاستهزأ الراهب في تفسيرها إذا وجدت إلى بلد الإسلام ، وهل عليه في ذلك خطر في الدنيا أو لائم في الآخرة ؟ فقال له الراهب : سيرها فإنك تثاب عليه ، فإنها ما دخلت في ملة إلا وزلزلت قواعدنا ، فسار إلى البيت وفتحها ووجد الأمر فيه كما ذكر الراهب ، ووجدوا فيه كتباً كثيرة ، فأخذوا من جانبها بغير علم ولا فحص خمسة أحمال ، وسيرت إلى المأمون فأحضر لها المأمون المترجمين ، فاستخرجوها من الرومية إلى العربية ، ثم تنبه الناس بعد ذلك على تعطلها بعد المأمون ، وتحملوا إلى أن حصلوا منها الجملة الكثيرة ، ولما سيرت الكتب إلى المأمون جاء بعضها تاماً وبعضها ناقصاً ، فالتناقص منها ناقص إلى اليوم لم يجد أحد تمامه (١) ..

(١) محاضرة للرحوم الأستاذ محمد كرد على ، نشرت بمجلة المجمع العلمى بدمشق مجلد سنة ١٩٢٧ م .

وقد يجادل البعض في تفصيلات رواية

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٩٠ ، ٣٠٠

بلغات أخرى، فكان فيها كتب فارسية وهندية و سريانية وقبطية فضلا عن المؤلفات العربية ونادرا ما اجتمع هذا الحشد العظيم من الثقافات العالمية في خزانة أخرى عميقة (١) ..

بل إن هذه المكتبة التي تجمع فيها هذا التراث العالمي الخالد، لم تعدم أن تضم فيما تضمنه التحف الخطية الفادرة التي تعز بها وتفخر، روى ابن النديم: «إن حمير كانت تكتب بالخط المسند على خلاف أشكال ألف وباء وتاء، ورأيت أن جزءا من خزانة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أكرمه الله من التراجم، وكان في جملته القلم الحيري فأثبت مثاله على ما كان في النسخة (٢)، وفي مكان آخر من الفهرست (٣)، نقل ابن النديم مثالا للخط الحبشي وجده في خزانة المأمون، كما ينقل ابن النديم أيضا أنه كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحيري من أهل وزل صنعنا عليه ألف درهم فضة، كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه. شهد الله والمسلكان (٤) ..

ولنتقل الآن إلى نقطة أخرى في البحث لنبحث عن رجال هذه المكتبة وأعمالهم

المتنوعة فيها، أو المتعلقة بها. وقد شارك بالعمل فيها نخبة من كبار رجال الترجمة والتأليف في ذلك الوقت، وقد سبق أن قلنا إن الذي تولى إدارتها في عهد الرشيد أبو سهل الفضل بن نوبخت، كما نلاحظ ما يشبه الإجماع على أن سهل بن هارون هو أشهر من تقلد إدارتها في عصر المأمون، واشترك معه في تلك المهمة سلم، بل إن المرحوم الاستاذ محمد كرد علي يقول: «إن سهل بن هارون كان له منصبان هما الإشراف على خزانة المأمون أي خزانة كتبه الخاصة، والنظر على دار الكتب التي سميت دار الحكمة أو بيت الحكمة (١)، كما ساعد في إدارتها سعيد بن هارون، قال ابن النديم في ترجمته إنه «كان شريك سهل بن هارون في بيت الحكمة (٢)، وليس هناك ما يدعو إلى القول بأن الثلاثة تعاقبوا على إدارتها لأنه يمكن الجمع بينهم مع انفراد كل منهم باختصاص معين فيها، كذلك كانت هذه وظيفة المنسوخ وقد تولاهم. كما أشرنا سابقا - إعلان الشعوبي، ولا بد أنه كان هناك غيره من النساخ حتى يواجهوا ذلك النشاط المتزايد للمؤلفين والمترجمين ..

وبما يدل على أن المكتبة قد استكملت وجوه الاستعداد الفني أنه كان بها موظف خاص بتجليه الكتب، وقد اضطلع بهذا العمل «ابن أبي الحريش، أورد صاحب

- (١) من محاضرة منشورة بمجلة المجموع العلمي العربي بدمشق مجلد سنة ١٩٢٧ م .
(٢) الفهرست ص ١٧٤ .
(٣) الفهرست ص ٢٩ .
(٤) الفهرست ص ٨٠ ، ٧٨ .

ذكر بعضهم في السطور السابقة ، ونذكر غيرهم الآن كبنى موسى بن شاكر المنجم الثلاثة ومحمد وأحمد والحسن ، ويحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم المأمونى ، وحنين بن إسحاق العبادى ، وابنه إسحاق ، وابن أخته حبش ابن الحسن الأعسم ، وغيرهم ، وكل أولئك العلماء الذين كانوا على اتصال مستمر بخزانة الحكمة قد استوفيت تراجمهم وأخبارهم وأشير إلى كتبهم المنقولة والمؤلفة فى عدد من المراجع القديمة كالفهرست لابن النديم ، وطبقات الأمم ، لصاعد الأدلسى ، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ، وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وغيرها ، وليس هنا مجال الإفاضة فى الحديث عنهم أو عن أعمالهم ، فليراجع ذلك فى مظانه المشار إليها (١) ..

وهناك مسألة جديرة بالإشارة إليها فى هذا الموضوع من البحث ، وتلك هى : هل كان دور هذه المؤسسة العلمية مزدوجا ، بمعنى أنه ألحقت بها مدرسة تلقى فيها دروس العلم على طلبة متخصصين أو غير متخصصين ؟ الواقع أنه لم يرد فى مطاوى النصوص المتعلقة بالمكتبة ما يدل على ذلك أو حتى ما يوحى به ، ويقول المحروم الأستاذ أحمد أمين : « وقد بالغ

الفهرست فى ترجمته » وكان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون (١) .

فأما عن رجال التأليف ، فلدينا مثال لواحد منهم ذكره ابن الأنبارى فى طبقاته (٢) ، قال : « إن المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، وكل بها جوارى وخداما للقيام بما يحتاج إليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تنشوف نفسه إلى شيء . وصير له الوراقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف الحدود ، وأمر المأمون بكتبه فى الخزائن فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس .. » وذكر القفطى فى ترجمة الخوارزمى : « وكان منقطعا إلى خزانة كتب الحكمة للمأمون ، وهو من أصحاب علم الهيئة (٣) ، ولعل انقطاعه كان لاشتغاله بالتأليف .

وأما المترجمون فكانوا مجموعة مختلفة تمثل ثقافات متنوعة ضمت العربى والفارسى والسريانى والرومى وغيرهم ، وكل منهم كان يقطن أكثر من لغة ، ولقد قامت على أيديهم حركة النقل الناهضة فى ذلك العصر الزاهر ، وأثرت اللغة العربية بفضل نشاطهم الوافر ، وحفظ التاريخ أسماء وتراجم لكثير من هؤلاء ، وقد مر

(١) الفهرست ص ١٤ .

(٢) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ص ٢٧ .

١٢٨ - ط القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ .

(٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٧ .

(١) فى كتاب عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعى المجلد الأول - ط القاهرة سنة ١٩٢٨ م سجل قيم للمكتب المترجمة فى ذلك العصر من مختلف اللغات وأسماء مؤلفيها .

على ما هو المشهور تاريخيا ، ويمززه نص كهذا أنقله عن القلقشندي ، قال عن مكتبة بغداد : « كان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ، ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد ، وقتل ملكهم هولاكو المعتصم آخر خلفائهم - أي العباسيين - ببغداد ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، وأعفيت آثارها (١) . »

لكن خالف في ذلك بعض الكتاب ، يقول صاحب فوات الوفيات في ترجمة نصير الدين الطوسي : « وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطبعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصرفه ، وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما وانخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأروعاء وملاها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد (٢) . »

وسواء نقلت الكتب من مكتبة بغداد على يدهولاكو لتعمير خزانة مراغة ، أو أُلقت بواسطة طيش الغازين المغول فإن مكتبة بغداد قد خبا لمراقها واختفى إشعاعها منذ ذلك التاريخ . . محمد جبر أبو سمرة

بعضهم فزعم أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة يتصل بها مكتبة ومرصد ، وليس بين أيدينا من النصوص ما يؤيد ذلك ، وكل ما تدل عليه أنها كانت مكتبة ، والغالب أنها ملحقة بقصر الخليفة لا في مكان خارجي ، إذ لم ينقل إلينا في تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة ، وقد اعتاد الخلفاء أن يفعلوا هذا في قصورهم ، فكان في قصر قرطبة مكتبة ، وفي قصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله مكتبة (٣) .

بقيت المسألة الأخيرة في البحث وهي تاريخ هذه المكتبة ؛ ولقد عرضنا أنها أنشئت في عصر هارون الرشيد ، فتي كانت نهاية المطاف بها ؟

يبدو أن انتقال مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى سامراء بعد العهد المأموني كان له أثر في انصراف العلماء والباحثين - إلى حد ما - عن التردد على مكتبة بغداد ، ولا غرابة في هذا إذا علمنا أن هؤلاء العلماء والباحثين كانوا وثيقي الصلة بالخلفاء ، ومنفذ ذلك الوقت لم تستعد المكتبة عصرها الذهبي لإبان حكم المأمون ، وهكذا أخذ النسيان يطوى ذكرها حتى الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦ هـ : سنة ١٢٥٨ م ، وارتكابه كثيرا من الفظائع والأعمال الحمجية ضد الإنسانية كان منها - للأسف - تخريب هذه المكتبة الخالدة وانطفاء جذوتها تماما ،

(١) ضحى الإسلام - ج ٢ ص ٦٤ - طبع القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦ طبع القاهرة سنة ١٣٤٠ هـ .

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٩ طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ .

ما يقال عن الإسلام

الإسلام

قوة في انتظار كلمة
للككتور عفيفي عبد الفتاح

والخريطة ، كما يشعر بذلك في حوى عنوان
المقال .

وليس في ذلك من عجب ؛ إنما العجب
من لمحات في عرض مقال الكاتب تدل على
أنه بعيد كل البعد عن الجو الذي يتحدث
عنه فهو ينظر إلى الإسلام في العالم العربي ،
وفي القرن العشرين ، فلا يكاد يلمح إلا مظهره
الاستاتيكي ، في المساجد والمآذن وبيوت
العبادة ، ولا يكاد يعرف عن كيانه الإجتماعي
إلا ما يمثله شيخ الصحراء الرومانتيكي ،
وحريره بين قرى البادية

على أنه لا يقف هناك طويلا فهو يعود
ويرى - وفقا لآخر - إحصاء ما يرى على
١٠٠ مليون مسلم يتحدثون العربية ويتساءل
عما عسى أن يحمل ذلك من معنى ، وعما عسى
أن يكون تقدير أهمية المسيحية في هذا العالم
(العربي) الحديث .

ثم يعود مرة أخرى ليرى أن الأفضل
لطالب العلوم السياسية والأقرب للنجاح أن
ينصرف إلى الإسلام ليدرس مكانته في العالم .

بهذا العنوان نشرت جريدة التايمز الإنجليزية
مقالا عن الإسلام في عددها الخاص بالعالم
العربي الصادر في ٨ / ٣ / ١٩٦٨ بقلم السيد
مونتجمري وات أستاذ اللغة العربية
والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره .

والكتابة عن الإسلام وعن العالم العربي
ظاهرة بارزة في صحافة الدول المعنية بالتقصي
عن موازين القوى السياسية والاقتصادية ،
لشعوب الشرق الأوسط وشعوب الدول
النامية بوجه عام .

ثم هي ، قبل ذلك ، ضرورة خلقها شعور
الدول الاستعمارية بتقلص نفوذها بعد الحرب
الكبرى الأخيرة وحاجتها الملحة للصراع
في الميدان الاقتصادي للاحتفاظ بمسؤولها
المادي والأدبي الذي عاشته من قبل .

ويتحدث السيد (مونتجمري) - في غير
نظام - عن جوانب شتى من تاريخ الإسلام
والعروبة ؛ مستمدا شواهد من التاريخ البعيد
والقريب في غير نظام أيضا - وبأسلوب من
لا يثير الانتباه لانتهاز الفرص أو أخذ الحذر

إن الإسلام لم يقف علمياً في فترات تاريخه، ولم يلاق مفكره أمام حرية الفكر عنقا أو إرهاباً. وإذا كانت أوضاعنا اليوم دون مستوى الدفع الذي يفرضه الإسلام، فالسيد الكاتب أول من يعرف السر والسبب، ويعلم أن الغرب كان دائماً، ولا يزال، حرباً على الإسلام وعلى الشرق من أجل الإسلام، وأنه يخشى أن يرى في الإسلام قوة تفتقر الكلمة حسب تعبير الكاتب!

ولقد استمد الشرق من الغرب - راضياً أم كارهاً - بعض نظم التعليم، وإذا كان الكاتب يشيد بما في ذلك من فضل، فإن عليه أن يذكر ما جر على الشرق والمسلمين من ويلات نعانها بألم ومرارة، ونشكو من أخطارها. ويرى الكاتب أن الإسلام يواجه تحدياً المشاكل العملية الناشئة من توحيد العالم عن طريق وسائل المواصلات وتطور الصناعة القائمة على الإنتاج بالجملة.

والكاتب غافل، على ما يبدو، عن الجهود الموصولة التي تمثل انتفاضة عاتية من شعوب الإسلام التي تحررت حديثاً، في مجالي العمران والتصنيع. وغافل كذلك عن الحقد المسعور في صدور قومه من جراء تلك الانتفاضة. وليس لي أن أقول له: ابت قليلاً يلحق الهيجا حمل (١).

وهنا يرى أن الإسلام - كقوة تحظى بتراث أدبي وفكري عميق يواجهه نفس المشاكل التي تواجهها المسيحية وجميع الديانات الكبرى في العالم.

ولكنه يأخذ على الإسلام - وحده - أن أساليب فكرة لم تعد ملائمة للعصر، وأن تعاليمه تحتاج إلى إعادة صياغتها حتى تلائم ذوى التربية العلمية الحديثة.

وأشهد أني لا أفهم تماماً ما يعنى بأساليب الفكر، ولا من يقصد بذوى التربية العلمية الحديثة، ولا على أى مثال من تعاليم الأديان الأخرى يمكن أن تقوم صياغة تعاليم الإسلام، ولقد كان حرياً به ككاتب جامعي أن يتجنب الهوة التي تنزل إليها أفلام الكتاب المغرضين، فيخلطون بين الإسلام في منطقته وتعاليمه وبين حال المسلمين والأوضاع التي هم عليها اليوم. وليس لي أن أسأله: هل الحضارة الأوروبية التي يرمز كثيراً إليها وليدة فكر مسيحي؟ (أقصد متأثراً بتعاليم المسيح)؟

وهل هناك دين من الأديان له حضارة تابعة منه سوى الإسلام؟ وهل ينكر أثر الإسلام في حضارة أوروبا؟ إن أساليب الفكر الإسلامي عرفت المنهج الحديث للبحث العلمي قبل عصور النهضة الحديثة، وهي التي جعلت من الإسلام قوة تنبض في قلوب ربيع سكان العالم أو قوة تفتقر الكلمة كما يقول:

منها فكيف يسوغ له أن يقول عن اللغة العربية إنها تعبیر عن المجتمع الإسلامی وكواجهة للوحدة الكبرى بين المسلمين ؟ (علما بأنها لغة ربيع المسلمين في العالم) .

وعلى الرغم من حديثه عن القومية كظاهرة غير ذات خطر ، فإنه يبدي مخاوفه منها ، فيقول : إن وراء المناقشات تكمن المتاعب لبضعة ملايين من العرب المسيحيين في مصر ولبنان ، ولا نفهم لماذا المتاعب ، أليس الأولى له أن ينظر إليهم في وحدتهم المناسكة ضد العناصر الدخيلة عليهم والمؤازرة بقوى الاستعمار وأسلحته .

إن سكان البلاد العربية - كما عرفهم التاريخ كتلة متراسة تجتمع على المحن وتظهر على الأحداث وتتعاطف على الشدائد ، تحدث جميعا باللغة العربية . وتحترم فيما بينها حرية العقائد .

وذلك نفسه طابع المسلمين أيضا فيما بينهم ويجد الكاتب شواهد ذلك في مشاكل سياسية اليوم واتضامن شعوب الإسلام حولها .

ونعود إلى حذر الكاتب وتخمينه وشوارد أفكاره إذ يتحدث عن بعث الإسلام ويتيح لخياله أن يتصور انطلاقة هذا العملاق الممتد من الخليج إلى المحيط ، أين تبدأ يا ترى نقطة الانطلاق الرئيسية للإسلام ؟

يقول : يعتقد بعض المراقبين مجازفة أنها

ومن هذه الغفلة يقول الكاتب : إن في هذين المجالين بدأ الجمود يعرف طريقه إلى العالم الإسلامی . ولعله بذلك يقصد منطقة خاصة في البلاد العربية يرى فيها - كما يقول : الموقف الرجعي المتطرف الذي ورثه المسلمون من جاهلية الجزيرة العربية . ومع هذا التقدير فالكاتب متعسف ومبالغ ، شأنه في الحديث عن جمود مسلمي الهند والباكستان . ولا ينسى الكاتب أن يتحسس عناصر القوة التي تنتظر الكلمة : أمي في القومية الإسلامية ! أم في القومية العربية ؟

أما الأولى فقد عقدت بشأنها عدة مؤتمرات عقب إلغاء الخلافة بغية لإنشاء نظام جديد ولكن هذه المؤتمرات انتهت أوزارها على غير جدوى ، وإن يومنا هذا تشعر كل دولة إسلامية بأن استقلالها محبب إليها ولا يمكن التفريط فيه . كذا يقول .

وأما القومية العربية فليس لها جذور بعيدة في العالم العربي فالقومية في واقعها - عند الكاتب - نمط من أنماط التعليم اقتصرت أساسا على الأقلية ذات الثقافة الأوروبية . وإذن لا قيمة لقوميات أخرى . كذا يقول :

والكاتب مضطرب في تفكيره مشوش في منطقه - فإذا كانت الوحدة الإسلامية لا جدوى منها ، فن أين ينتظر الإسلام الكلمة ؟ وإذا كانت القومية العربية لا جدوى

أن أنه بفكرتين تستبدان بعقلية الكتاب فتدفعانه إلى متاهة عن الواقع :

١ — يعتقد الكتاب أن ما يسميه بالثقافة الغربية أو المنهج الأوروبي حد يفصل تماماً بين الغربيين وغيرهم من سكان العالم .

وذلك خطأ فادح يذء عن قصر نظر وسوء إدراك للأمر ، فإن سكان مجاهل العالم لم يعودوا بعيدين عن ثقافة الغرب ، فضلاً عن العرب والمسلمين ، ولقد كشفت أحداث السياسة في العالم النامى قوى تتفجر بالآفكار الخصبة والثقافة الحية ، وإن السير في طريق التقارب الثقافى بين الشعوب لم يعد صعباً ولا مشكلاً ، ولم تعد بالتالى فجوة بين الشعوب تسمح بالتنفرقة التى يفهمها الكتاب ويبالغ فيها .

٢ — والفكرة الثانية تقوم على ما يفهم الكتاب من أن الإسلام لا يزال ملتزماً بطبيعته الأولى قابلاً فى أحيائه القديمة ، فهو لا يتفعل بالأحداث ولا يمتزج بالحضارات حتى ليكن تصور دنازاليا وبعيدا عن الحياة وذلك تصور فج بعيد كل البعد عن حقيقة الإسلام ومظهره التاريخى وواقعه الحى .

إن الإسلام - حقيقة - قوة . وهذه حقيقة تنتظر الكلمة ، ولكنه عند ذلك دين الحياة الكريمة ودين القوة والمنعة ودين الإخاء

حتى نهاية هذا القرن ، ربما تكون فى شرق أفريقيا أو غربها .

وعلى كلا الفرضين لن يستفيد من ذلك العرب الذين يهتدون أنهم - كهرب - المسلمون الأصليون .

ويحاول الكتاب بذلك أن يضع فاصلاً بين العرب والمسلمين ، ويرى أن الآخرين أمثل فى عملية التكيف بالعالم المعاصر ، فقد كان من الصعب على العرب - فيما يرى - أن يخلقوا زعيماً من بينهم قادراً على التغلغل فى أعماق نفوسهم ، فلينتظر إذن هذه الزعامة من المسلمين ، لكن ليس من الذين تعلموا تعليماً حديثاً وعلى المنهج الأوروبي فكان من الصعب عليهم التعبير بطريقة تحرك إرادة العمل فى أعماق الجماهير ، ولم يسبق لزعيم منهم حتى الآن أن يربط بين سياسته وبين روح التضامن الإسلامى .

فالحاجة إذن ماسة إلى زعيم مسلم ، متسلح بتهاليم الإسلام الخالصة فإذا قدر له أن يظهر فسيصبح الإسلام لإحدى القوى السياسية الكبرى فى العالم . وعلى أساس من هذا الفرض يمكن أن يتنبأ الكتاب مع السير دهاملتون جيب ، باحتمال ظهور الإسلام وإعادة بنائه كقوة عالمية .

ويمنى - قبل أن أنتهى من تعقيبى هذا -

والحرية ودين النهوض والسمو ، وإنه عند ذلك دين الحضارة المثالية التي تنشدها الإنسانية .

وأشكر الكتائب مخلصا لهذه العبارة :
(ومن أبرز لإنجازات الدين الإسلامي أنه خلق روح الجماعة والأخوة بين جماهير الناس على اختلاف أجناسهم) . فهي شهادة أعز بها في محاجة بني جلده .

وأخيرا أطمئنه على القوة التي تنتظر الكلمة فلقد صمدت هذه القوة القرون الطويلة في مواجهة الشر والبغى والأذى والعدوان ، وخرجت منها خالصة المعدن صافية الجوهر وستأخذ طريقها نحو الامام ونحو سمو .
إن شاء الله ؟

د . عفيفي عبد الفتاح

ويبدو من عرض الحديث أن السيد الكتائب مدفوع للساس ببعض الجوانب في الإسلام والعروبة ، فهو يتناولها في غير نظام ويدرسها في غير منطق وينتهي منها في غير نتيجة .

ومع ذلك أشكره :

أشكره لأن لمساته الناقدة للإسلام (وحده) ليس لها في أعماق نفسه من مبرر إلا أن الإسلام (وحده) هو الدين المتصل بشرايين الحياة والمتجاوب مع طبيعتها في أطوارها الناهضة ، ولأنه (وحده) الدين

« دستور عمر لنفسه »

قبل أن يضع عمر الخليفة الثاني دستوراً للولاة وضع دستوراً لنفسه : قوامه أن الحكم محنة للحكومين ، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ، ولين لا وهن فيه ، وأن الخليفة مسئول عن ولاته واحداً واحداً في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يعفيه من اللوم أنه أحسن الاختيار .

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دُرستاز محبى الدين الزلواي

- ١٧ -

إظهار الحق

للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى
و تتممة المقال السابق ،

عرفنا من المقال السابق أن كتاب : « إظهار الحق » ، على أربعة أبواب :
فالباب الاول فى بيان كتب العهد العتيق والجديد . والثانى فى إنبات التحريف ، والثالث فى مبحث النسخ ، والرابع فى إبطال التثليث . ويعتبر الباب الثانى منه من أهم أبوابه حيث يلقى ضوءا على تحريف اليهود للتوراة ، أحيانا بالزيادة وأحيانا بالنقصان وأحيانا بالتبديل اللفظى ، وعلى تجنبهم على كتب الله ورسله ضلالا وبهتاناً . وقد أورد المؤلف خمسة وثلاثين شاهدا لإنبات التحريف اللفظى بالتبديل فى التوراة بأيدى اليهود ، كما أورد خمسة وعشرين شاهدا لإنبات تحريفهم فيها بالزيادة ، وعشرين شاهدا لإنبات التحريف بالنقصان ، وقال إن النسخ المشهورة

عرفنا من المقال السابق أن كتاب : « إظهار الحق » ، هو أخطر كتاب صدر إلى الآن فى باب الرد على مفتريات المبشرين الغلاة على الدين الإسلامى ، وكشف مؤامرات الاستعمار الثقافى ضد العقيدة الإسلامية السليمة التى تقف عقبة كأداء فى طريق غزوه الثقافى والعقائدى وعرفنا أيضا الظروف والأسباب المحيطة بتأليفه والفوائد المترتبة على نشر مثل هذا الكتاب اليوم . وفيما يلى نماذج من المسائل الرئيسية التى تناولها المؤلف فى كتابه لتسكون أمام القارئ العربى صورة واضحة لما قام به هذا المصلح الهندى الكبير من جهود فى هذا الشأن ثم قدم ثمارها باللغة العربية ، تعميا للفائدة وخدمة للإسلام والمكتبة العربية .

العبرانية بحذف هذه الالفاظ وتلك الفقرات (١):

وفي عهد السلطان المرحوم د بايزيد خان ، أسلم بعض أحبار اليهود ، ومنهم العلامة عبد السلام الذى وضع رسالة هامة فى الرد على اليهود وسماها بالرسالة الهادية ، وهى مشتملة على ثلاثة أقسام ، فالقسم الثالث منها فى بيان تحريف اليهود كلمات التوراة بالتغيير اللفظى ، ويقول فيه . لعلم أنا قد وجدنا فى أشهر تفاسير التوراة المسمى عندهم بالتلمود ، أن فى زمان د تلمى ، الملك ، وهو بعد د بختنصر ، ، أن تلمى الملك قد طلب من أحبار اليهود التوراة فهم خافوا على إظهارها لأنه كان منكرأ لبعض أوامرها ، فاجتمع سبعون رجلا من أحبار اليهود فغيروا ما شاء من الكلمات التى كان ينكرها ذلك الملك خوفا منه ، فإذا أقرأوا على تغييرهم ، فكيف يؤتمن ويعتمد على آية واحدة (٢) .

وقال المؤلف الفاضل فى الرد على مغالطات اليهود لاستبعاد وقوع التحريف فى كتبهم بحجة أن نسخ السكتب المقدسة كانت منتشرة شرقا وغربا فلا يمكن التحريف فيها : كان موسى عليه السلام قد كتب نسخة التوراة وسلمها إلى الأحبار وسائر كبار بنى إسرائيل

للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ ، الأولى العبرانية وهى المعبرة عند اليهود وجمهور علماء البروتستنت ، والثانية الفسخة اليونانية ، وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر ، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية ، وهى إلى هذا الزمان أيضا معتبرة عند الكنيسة الشرقية وهاتان النسختان تشتملان على جميع السكتب من العهد العتيق ، وهى السكتب الخمسة المشهورة الآن ، بالتوراة ، منسوبة إلى موسى عليه السلام ، وكذلك ستة كتب أخرى تنسب إليه ، عند البعض ، بهذا التفصيل : كتاب المشاهدات ، كتاب الخليقة الصغير ، كتاب المعراج ، كتاب الاسرار ، كتاب الشهادة ، كتاب الإقرار .

والثالثة النسخة السامرية ، وهى المعتبرة عند السامريين ، وتشتمل على سبعة كتب من العهد العتيق ، أى السكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وكتاب يوشع ، وكتاب القضاة ، لأن السامريين لا يعترفون بالسكتب الأخرى من العهد العتيق . وأن هذه النسخة تزيد على النسخة العبرانية فى الالفاظ والفقرات الكثيرة التى لا توجد فيها الآن . وصرح كثير من محققى علماء البروتستنت من أمثال : كيكات ، وهيلز ، وهيو بي كينت ، بأن اليهود حرفوا النسخة

(١) إظهار الحق ج ١ ص ٢١٨

(٢) انتهى كلامه بإفظه (إظهار الحق) .

وعبدوا الاصنام ، ومن بق منهم على ملة التوراة من السكينة هاجر إلى مملكة يهودا . وعاشت هذه الأسباط من هذا العهد إلى مائتين وخمسين سنة ، على الكفر وعبادة الاصنام ، ثم أبادهم الله ، بأن سلط الاشوريين عليهم فأسروهم وفرقوهم . فن عهد يوربعام إلى آخر عهد السلطنة الإسرائيلية ما كان لهذه الأسباط غرض بالتوراة . وأما حال سلطنة يهودا فقد جلس على عرشها ، بعد موت سليمان عليه السلام إلى ثلثمائة واثنين وسبعين سنة ، عشرون سلطانا ، وكان معظمهم من المرتدين عن ملة التوراة ، وقد شاعت عبادة الاصنام في عهد رحبعام ووضعت الاصنام تحت كل شجرة وعبدت وفي عهد د آخذ ، بنيت المذابح للبعل في كل جانب من بلدة د أورشلیم ، وسدت أبواب بيت المقدس . وكان البيت عرضة للنهب والتلف عدة مرات في تلك العهود . وفي عهد د مذابن حزقيا ، الذي تولى عرش مملكة يهودا من سنة ٦٠٩ إلى سنة ٦٤٤ قبل الميلاد ، وضع الوثن الذي كان يعبد في بيت المقدس .

وهكذا كان حال الكفر والشرك في مملكة الأسباط . ولما تولى د يوشيا ، بن آمون الحكم وأراد إحياء الموسوية لم ير نسخة التوراة ، واستمر البحث عنها لمدة سبع عشرة سنة ، ثم ادهى د حلقيا ، السكاهن في العام

وأوصاهم بالمحافظة عليها ووضعها في صندوق الشهادة وإخراجها إلى الناس مدكل سبعة أعوام في يوم العيد لأجل سماح بني إسرائيل . فكانت هذه النسخة موضوعة في الصندوق ، فلما انقرض جيل موسى تغيرت حال بني إسرائيل فكانوا يرتدون عن وصية موسى أحيانا ويعملون بها أخرى ، ولما فتح سليمان عليه السلام الصندوق في عهده ما وجد فيه غير اللوحين اللذين كانت الأحكام العشرة فقط مكتوبة فيهما ، كما هو مصرح في الآية التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك الأول وهي كالآتي : « ولم يكن في التابوت إلا اللوحان الحجران اللذان وضعهما موسى بحوربت ، حيث عهد الرب بني إسرائيل وأخرجهم من أرض مصر » (١) .

وبعد موت سليمان عليه السلام وقع انقلاب هظيم في صفوف بني إسرائيل حيث تفرقت الأسباط إلى سلطتين ، فصار د يوربعام ، سلطانا على عشرة أسباط من بني إسرائيل وسميت تلك السلطنة بالسلطنة الإسرائيلية ، وصار د رحبعام ، بن سليمان سلطانا على السبطين وسميت تلك السلطنة بسلطنة د يهودا ، وشاع الكفر والارتداد بين السلطتين ، لأن د يوربعام ، بعد ما جلس على كرسي الحكم ارتد وارتدت الأسباط العشرة معه ،

وقتها المعين مثل فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ، بل يطرأ على الأحكام التي تكون عملية محتملة للوجود والعدم ، وغير مؤيدة وغير مؤقنة ، وتسمى الأحكام المطلقة ويشترط فيها ألا يكون الوقت والمسكف والوجه متحد ، بل لا بد من الاختلاف في الكل أو البعض من هذه الثلاثة . وأضاف المؤلف المحقق قائلا : وليس معنى النسخ المصطلح أن الله أمر أو نهى أولا ، وما كان يعلم عاقبته ثم بدله رأى فنسخ الحكم الأول ، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد في الأمور المذكورة ، بل معناه أن الله كان يعلم أن هذا الحكم باقيا على المكلفين إلى الوقت الفلاني ثم ينسخ . فلما جاء الوقت أرسل حكما آخر ظهر منه الزيادة أو النقصان أو الرفع مطلقا ففي الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول لكن لما لم يكن الوقت مذكورا في الحكم الأول ، فعند ورود الثاني يتخيل لفصود هلمنا في الظاهر أنه تغير ثم ضرب المؤلف أمثلة على ذلك من أفع الحياة والفترة والمصالح الإنسانية .

وفي الحق إن هذا الكتاب من الكتب الفاصلة في النزاع القائم بين المسلمين وأهل الكتاب ، حول مسائل التحريف والنسخ والتثليث ، وختم النبوة بمحمد عليه الصلاة

السلام ؟ محمد العبيد المولوي

الثامن عشر من حكم يوشيا أنه وجد نسخة للتوراة في بيت المقدس ، كما هو مصرح في الباب الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني ، والباب الرابع والثلاثين من أخبار الأيام ، ولكن لا يعتمد على هذه النسخة المزعومة ، ولا على قول حلقيا لأن البيت نهب مرات قبل عهده وصار بيت الأصنام وسدتها ، وما سمع أحد إلى سبعة عشر عاما من حكم يوشيا اسم التوراة ، وما رآه مع أن الملك وأتباعه يبحثون عنها في كل مكان ، فليست نسخة حلقيا السكاهن إلا من جمعه من الروايات التي وصلت إليه من أفواه الناس ، بعد أن فهم عزم يوشيا لإحياء الملة الموسوية (١) .

ويقول المؤلف في إثبات النسخ وتعريفه وأقسامه : النسخ في اللغة الإزالة وفي اصطلاح أهل الإسلام بيان انتهاء مدة الحكم العملي الجامع للشروط ، لأن النسخ لا يطرأ عندنا على القصص ولا على الأمور القطعية العقلية مثل أن صانع العالم موجود ، ولا على الأمور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل ، ولا على الأدعية ولا على الأحكام التي تكون واجبة نظرا إلى ذاتها مثل آمنوا ولا تشرکوا ، ولا على الأحكام المؤيدة مثل ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا . ولا على الأحكام المؤقنة قبل

إنشاء وإدارة

والمعاهد المختلفة الذين انقطعت مواردهم بسبب العدوان، وقد بدأت المقررات الشهرية تصل إليهم .

وستستمر اللجنة في عملها لرعاية هؤلاء الطلبة حتى إزالة آثار النكسة .

● حمل البرق إلى مجلة الأزهر التماسا بإنشاء كليات نظرية لجامعة الأزهر بأسوان خدمة لآبناء الصعيد وجمهورية السودان ودول شرق إفريقيا ووسطها تكون هذه الكليات نواة لجامعة أسوان الأزهرية .

● تقرر إقامة مسجد ضخم بجامعة القاهرة تبلغ تكاليفه ٤٠ ألف جنيه تشترك فيها الجامعة مع وزارة الأوقاف ستكون مثذنة المسجد أكثر ارتفاعا من برج الجامعة وسيصل ارتفاعها إلى ٦٠ مترا سيقام المسجد عند مدخل كلية الآداب من ناحية المدينة الجامعية وسيضم إليه مبنى مكتبة إسلامية تكون مرجعا للأساتذة والطلاب وستعلاها قبة يبلغ ارتفاعها ٣٥ مترا، وتبدأ أعمال بناء المسجد خلال ٣ أشهر وستستغرق عاما كاملا .

يراعى في التصميم والتنفيذ أن يكون المسجد أحد فروع الجامعة مهمة أصلية

● صدر القرار الجمهورى رقم ١١٠٠ لسنة ١٩٦٨ م فى ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٨٨ هـ يقضى بمد خدمة فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لمدة سنة اعتباراً من ١٦ / ١٠ / ١٩٦٨

● حصلت رسالة د. المعاني الإنسانية فى القرآن، على درجة د. الدكتوراه، من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

قدم الرسالة الدكتور أحمد إبراهيم مهنا رئيس قسم البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية .

● صدر للمستشرق د. توماس كاخاروفا، كتاب عن حياة وعمل المفكر الأديب المصرى رفاة الطمطاوى .

دفاعه الطمطاوى أحد أبناء الأزهر النابهين الذين كانوا على رأس البعثات المصرية الأولى إلى أوروبا . وترجم كثيرا عن الأدب الفرنسى .

● شكلت لجنة برئاسة مدير جامعة الأزهر فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى لعون الطلاب الفلسطينيين ورعايتهم . هؤلاء الطلاب الذين يدرسون فى جامعات العالم

لميلاد جديد؟ أجاب غفه بأنه سؤال لا نعرف جوابه على التحقيق !!! .

أقول للأستاذ كيف لا نعرف جوابه وهو من البدهيات التي علمت من الدين بالضرورة من حيث كانت نصوص الشرع الصريحة متواترة فيه متضافرة على تأسيسه وتعميقه لأنه جزء الحقيقة الكبرى التي خلقنا من أجلها ... حقيقة توحيد الخالق تعالى وهاكم البيان مع التركيز والإيجاز .

تقرر نصوص القرآن أن هناك حياة أخرى هي أهم من حياتنا هذه وأن الحياة الدنيا ليست النهاية وأن مستقبلنا الموطد ومستقرنا المؤكد ليس على ظهر هذه الأرض وفي القرآن الكريم آيات ذلك فوق الحصر .

(ب) من الوجهة العقلية المحضة يتحتم أن تكون ثمة حياة ثانية لإذ العقل الراشد واللفظة المعتدلة تقضى بأنه لا بد من مجازاة المحسن وفاء لإحسانه وعقاب من أساء حتى تتمحق العدالة ويستقيم لها ميزانها . وحيث إن المشاهدة قاطعة بأن كثيرا من المحسنين والمسيئين قد يتخطفهم الموت قبلما يتم هذا الجزاء عقابا وثوابا فلزم العقاب والثواب فيما بعد . ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسدين .

وضرورية وتنحصر في توفير كل الوسائل العلمية أمام أعضاء هيئة التدريس والطلاب لتعميق القيم الروحية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم الفقه .

كتب إلينا السيد عثمان محمد عثمان المأميد بكلية الشريعة والقانون تعليقا على ماورد بصحيفة الاخبار المصادرة في ٢٤ / ٥ / ٦٨ في باب يوميات الاخبار لمحمد زكي عبد القادر قال صاحب اليوميات : « ... وأسأل عن الخير والشر ، والسر والعلن ، والفضيلة والرذيلة ، والجنة والنار والعقاب والثواب ، فلا أعرف لها حدودا ولا كيانا أو تضطرب الحدود ويضطرب السكبان وأحس أنني ذرة ضائعة في ملكوت أوسع من كل ما بلغتة العقول » .

ثم أبان عن أن الموت والحياة خالدان وفق التجربة .

وهذا القول الأخير لا يزيد من قول القائل : إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

وسأضرب صفحا عن الخوض في الجدل حول هذه القضايا .

ثم ألقى الأستاذ سؤالا : أترانا حينما نولد يكون الميلاد بداية حياتنا أم يكون استمرارا لوجود قديم أترانا حينما نموت يكون الموت نهاية حياتنا أم يكون تهيئة

ولذلك فعلى من يتصدى لأمور كهذه أن يفكر مرات قبل إصدار ما يصدر كما لا يسوغ حصر أنفسنا وأفكارنا في دائرة التجارب والحس فقط إزاء المغيبات .

كان لوفاة الأستاذ أحمد حسن الزيات وقفاً ألبيا في نفوس عارفى فضله . وقد وصل إلى المجلة عدة قصائد تسجل هذا الحدث الجليل ووقعه في نفوس أصحابها .

نقتطف من هذه القصائد أبياتا للأستاذ عبد البارى أبو العينين المفتش بالزربية والتعليم ؛ يقول :

لأنه منتهى العدالة والإنصاف يحاسب على
على الذرة والحردل .

(ج) على أن الإنسانية لا يمكن أن تكون قد خدمت نفسها هذه الأزمان المتعاقبة إذ آمنت بالله واعتقدت في الآخرة . وانطلاقاً من ذلك فإن قضية الميلاد الجديد — أى البعث — لا مربية فيها لأنها أساس الدين وعماد الإيمان ولا يسوغ بحال التشكيك فيها أياً ما كانت الداعى .

ولو كان ما ساقه الأستاذ محل اجتهد لكان الخطب وخف المصاب أما وقد مس العقيدة فإن الأمر جلل والخطب جد خطير .

دموع العروبة والإسلام

على فقيد العروبة والإسلام د أحمد حسن الزيات ،

فمز لغانا يا قريض وقل لها
ثبكت محيطا لا يحسد له بر
وقل لرجال الضاد غاب أميركم
د وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر ،

وإن كنت يا أم اللغات فقدته
ففيك أريج الزهر إن ذهب الزهر
وحسبك نفع الزهر حيا وميتا
ولو غاب عنك الزهر لم يغيب العطر
سأسكب د يا زيات ، دمعى تفعماً
ومن عجب أبكى فيبكي معى الشمر

أحقا توارى الكاتب الفذ يا قبر ١٤
وحقا ثوى في جوفك الثائر الحر ١٤

مضى د أحمد الزيات ، يا قبر إذ مضى
تشيده الدنيا وينتخب الدهر

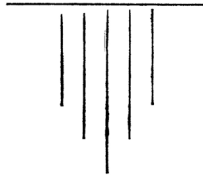
وكيف وسعت البحر يا قبر لأننى
لأعجب من بحر يغيبه قبر ١٤

فضى الكاتب العملاق يا مصر وانزوى
وأنت كأم شب في قلبك الجبر

تبذل الأفراس فيك مآتما
وغاض المعين العذب والمنتدى قفر

ولولا التي مزقت قلبي ومهجتي
ولكن أمر الله ما رده أمر
فتم يافقيد الشرق في القبر آمنا
ونم مطمئن للقلب وليدتم الثغر
سلام على البحر الدفين فطالما
تندت لنا منه الآلى والدو
سلام على قبر يضم رفاته
ومن قبل ضيمته النزاهة والطهر
عليك سلام ما سكبت مدامعى
ولان راعنى هجر فوعدنا الحشر
عبد البارى أبو العينين
المفتش بالتربية والتعليم
وجاء فى د قلبه ، على لسان الأستاذ
نجاتى عبد الرحمن :

قلم هو الحرب العوان إذا انبرى
وهو السلام إذا جرى لسلام
تصغى فتسمع عند وقع صريه
طعن السنان وأطرب الانغام
عذب إذا أصفيته محض الوفا
مر إذا بادلت به بخصام
فى كف أروع ما تقلد غيره
من عدة أو صارم صمصام
يدعو إلى جمع الشتات ولا ينى
فى الحق أو يخشى شديد ملام
فى ذمة التاريخ طول جهادكم
ونضالكم فى ذمة الأهوام
خطب السكناة فيك خطب فادح
فجعت به فى أرفع الاعلام
نجاتى عبد الرحمن
عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى



punishment, or is it entirely refuted so that man had better reiterate it? The answer to this is also present, and furthermore, too clear to cause a bit of confusion. It is incumbent on a man who has neglected a subsidiary side of worship to redress the shortcoming of his faith. Enormities are atoned for by repentance, while lesser sins are expiated by prayers, fasting, almsgiving, enjoiment of justice and forbiddance of evil. Unless he makes amends for his sins, a man's faith in all will be defective.

Then we come to the "flight" in the Hadith. Some commentators take it in the exact sense of the word and interpret the Hadith in the light of the circumstances in which the Prophet, blessed be he, delivered it. They apply it to the Prophet's early followers who fled

with him to Medina. True believers they were, undisputedly, and theirs would be the due requite of true believers. But the man among them who availed himself of the opportunity of the flight to run in pursuit of a private passion, that is, a woman whom he desired to marry, this man the Prophet exposed for he acted a lie on his Lord, on the Prophet, blessed he be, and on his distressed fellow-fugitives.

However, the elite of commentators take this flight in a figurative sense that symbolises man's incessant strife to release his life and faith from sinning and infidelity, particularly in times of adversity and self-contention. Hence they look at this Hadith as one of three which represent the pivot on which Islam turns.



In the Arabic tongue, by 'intent' can be meant both the intimate purpose and the intended thing. Some commentators, however, distinguish intent from purpose by restricting the former to private intimacy and demonstrating the latter as an outer object or scheme that may even involve work of other men. From their point of view, the priority of intent is essential for the validity of a legal or religious devotion, to the extent that intent will suffice a Muslim and mediate for him in case of his obliviousness or inability to carry out what he has intended to do.

Other commentators are of opinion that this Hadith is applicable to all works. They believe it to allude frankly to two sorts of intents : one that conforms to the outward behaviour of its fosterer, and another that conceals itself behind a feigned contradictory appearance. They tend to understand "intent" as the sort of man inherent on the inside of the flesh and blood, as conscience or as the emotional side of faith. Hence they do not agree with those who understand "intent" as the casual or temporary intimate background of an action done by man.

Again, some commentators say that a Muslim should utter his

intent, particularly when the matter concerns devotion or worship, with a view both to cultivating faith deeper in the feeling and to securing the compliance of the outward with the inward. But other commentators deny the necessity of such utterance.

Savants agree, then, that intent is pertinent to the heart. In Surah 8 (The Spoils, Al-Anfal), Verse 2, it says that which may translate:
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ
 (The true believers are those whose hearts are filled with awe at the mention of Allah)" Again, the prophet blessed be he said :

لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ
 (He is short of faith who is short of honesty; and he is untrue to Allah who is untrue to his covenants)" Here a question may arise whether such definition and such disavowal of faith are absolute or they are genuinely figurative demonstration of the perfectness or imperfectness of men's faith. This, however, has a slight bearing on the argument; for perfectness of faith is both obligatory and preferable. Another question may arise concerning requital when man is more or less observant of religious duties. Is such observance acceptable and requitable the good by its reward and the evil by its

From the Tradition of the Prophet :

Intent, The Muslim's Inward⁽¹⁾

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Prophet, blessed be he said:
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينسكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

(It is intent rather than labours that account; and indeed man is judged by that he intends. Therefore, whoever is flying the land and going where Allah and His Apostle have bidden him is really a fugitive on Allah and His Apostle; and whoever is in fact flying after a fortune to gain or a woman to marry is but a fugitive on his own).

This Hadith is one of three looked at by commentators as the pivot on which Islam turns. The other two Hadiths are : *الحلال بين والحرام بين* (Both the lawful and the unlawful are equally manifest) and *من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد* (He is to be refuted who does a thing discordant from our ways). Islamic behaviour shows itself, then in three aspects : self-subjection to

the obligatory and the preferable Divine and Prophetic enjoinders and interdicts; embracement of sincerity to Allah, the Prophet and men; and guardedness against falling into heterodoxy.

It says in the Glorious Qur'an, Surah 67 (Sovereignty, Al-Mulk), Verse 2, that which may translate:

والذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .
(He created life and death, عملًا

that He might put you to the proof and find out which of you acquitted himself best). In order to acquit himself well, commentators say, a Muslim should behave himself with sincerity on the inward and correctitude on the outward. And they warn him that misconduct on his part will by necessity imply his disregard of Allah's commandments and prohibitions, his disdain of the value of a work in itself, and his slight of Allah's promises and threats.

(١) المراجع : (١) صحيح البخارى .

(ب) شرح حديث : إنما الأعمال بالنيات لابن تيمية .

breaks it, and if he hates a person, he becomes sever in his enmity".

So we see that Islam considers

moral excellence the highest degree of faith.

(Concluded)

(Continued from page 4)

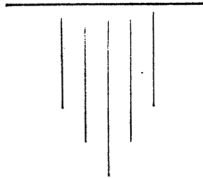
part of the globe is ransacked by the agents of the Caliphs for the hoarded wealth of antiquity; these are brought to the capital and laid before an admiring and appreciating public. Schools and academies spring up in every direction; public libraries are established in every city free to every comer; the great philosophers of the ancient world are studied. The rulers themselves participated in literary meetings and philosophical discussions. Every city sought to outrival the other in the cultivation of arts and science. From every part of the globe students, and scholars flocked to 'Bagdad', to 'Cairo' and to 'Cordova' in search of Knowledge, and to listen to the words of the Arab Sages!

(Continued from page 8)

a democratic character, and the ability to effectively participate in a democratic society.(1)

Within the modern society the school, as the major secondary institutional agent of education, strives not only to acquaint its students a personality style which will enable the individual more effectively to participate in and contribute to his society.

(1) Ephraim Vern Sayers and Ward Madden, Education and the Democratic Faith, Appleton-Century Crofts, Inc., New York, 1959.



God, the Almighty, says : O you who believe, then He commands to them what he requires from them, such as to say afterwards :

“ . . . Keep your duty to God, if you are truthful.” The Prophet stated clearly that strong faith invites strong and sound ethics. and wise versa. He said, for example : “Modesty and faith are closely related to each other ; if one is out, the other is out too.” He also said : “I swear by God that he is not a believer, I swear by God that he is not a believer.” The people said : whom do you mean, O Messenger of God ? He said : He whose neighbour is not secure against his harm.”

Therefore, the Prophet threatens those who practice the obligation kinds of worship and still do not act contrary to good morals. It is reported that a man said : O Messenger of God : There is a woman who is known by her dedication to prayer, fasting, and charity, but still used to touch her neighbours with bitter insults. The Prophet said : “She is in hell.” The man said : And there another woman who does no prayer or fast or give charity as much, but she treats her neighbours kindly. The Prophet said : “She is in Paradise.”

The close relationship between ethics and religion is best expressed

by the Tradition of the Prophet when he asked his companions : “Do you know who is the bankrupt ? They said : The bankrupt among us is he who owns no money or property. The Prophet said (The bankrupt is the one who comes in the Day of Judgment with prayer, charity, and fasting, but at the same time, his record of actions is full of harm, insults, murder, and acquiring of illegal money. The rewards of his good deeds, will be turned over to the people by him, until his rewards are all taken out from him. Then if there is no reward left for him, the punishment for the sins of his wronged persons will be diverted to him, until he will be cast in hell.”

Certainly bad deeds if they persist and reach the dangerous limit, they, will abrogate faith, and the deed of them cannot be called a Muslim. Therefore, the prophet said : “These descriptions give one the position of hypocrite, even if he performed the obligations at prayer, fasting, and pilgrimage and claring to be a good Muslim : if he speaks, he talks lies, and if he gives a promise, he breaks it, and if he is charged with a trust, he betrays. “In another tradition, the prophet said : “Four things make one acomplete hypocrite: if he is charged with a trust, he betrays, if he speaks, he lies, if he gives a promise he

family slaughtered a lamb for him, when he said to them; did you give some of the meat to our Jewish neighbour? For I heard the prophet saying: Gabriel recommended me with good treatment to the neighbour so much that I thought that he was about to leave for him a share in inheritance.

Islam also orders us to keep our relations to one kin even if there were non-Muslims. The Qur'an says regarding the disbelieving parents :

« وصاحبهما في الدنيا معروفا » .

It means : "And Keep good company to them both"

Islam established the fact that the glory of nations depends upon their morals. The Prophet told his people that their kingdom and authority cannot last because of their family position, but because of the moral excellence only. It is reported that Anas ibn Malik said : We were sitting in the house of some immigrants and helpers when the Prophet came, and we hastened to him, every one wishes to sit down beside the Prophet. But the Prophet kept standing holding the door and said : "The leaders are from Qurayish. I have to you a great right and the leaders of Quraysh have the same right : If they ask for mercy, they will be given what they asked for; if they rule, they shall rule

with justice, and if they gave a promise, they shall fulfil it. Whoever acts otherwise let the curse of God, His angels, and all people be upon him." This saying of the prophet means that the real position of the ruler depends upon his good deeds. If ruler claims that he is a Muslim, while he rules unjustly, has no mercy upon his subjects, or does not fulfil his promises, he, then, cannot be called a good Muslim, and, thus, he deserved be cursed.

Al-Hasan reported that the Prophet said : "If God intends goodness for a people, he will entrust for them a wise ruler, and makes the generous people among them the keepers of their wealth; and if He intends harm to a people, He will make the foolish the rulers among them, and entrust their misers with their wealth." Ibn Taymiya, the famous scholar said : "God establishes with firemen the just nation even if it was a disbelieving nation, and destroys the unjust nations even if it was Muslim nation."

What is the relationship between morality and the obligatory kinds of worship ?

Faith is safety against evil. Whenever God asks His servants for a good deed or turns them away from an evil deed, He calls upon the faith in their hearts. Quite after,

the companions went to the man to ask him about his good deeds for which he deserved such high privilege. The man said : "I used to stay night and day with no malice or hatred in my heart toward any Muslims".

Forgiveness, politeness, respect for the elders, mercy for the young, generosity, patience, cleanliness, brotherhood, unity, seeking knowledge, taking benefit at time, continuous work for earning livelihood, enjoining what is good and forbidding what is bad, sincerity in worship, helping the needy and the unfortunate all these are recommended virtues by Islam, among other moral excellences which Islam asks all people to behave according to them.

Are these virtues meant to be observed toward Muslims or toward all people irrespective of their religions ?

Islam obligates Muslims with special kinds of worship which are exclusive to them. Ethical teachings, however, must be practised regarding Muslims and non-Muslims alike. Truth, for example, is obligatory in speech and transaction whether toward a Muslim or otherwise. Likewise is faithfulness, generosity, cooperation. Discrimination in treatment, though it is practised in

some religions, is not known in Islam, which is established for all humankind, and which asks its followers to treat all people on the footing of complete equality. It is reported that a Jew came to the prophet to claim his debt against him, and said : O, people of Abdol-Muttalib, for as so used to defer the payment of your debts. Omar Ibn Al-Khattab was so exasperated that he was about to pull his sword against the impolite Jew. The prophet calmed down Omar and said : "I and him ought to be treated by you, O Omar in another way: You must advise me with due payment, and ask him to be polite his claim".

The Prophet ordered Muslims to be just even toward the disbelievers and the evil people. He said : "the appeal of the wronged person is liable to be answered by God even if he was an evil person, for his punishment returns back to his own self". And : "The appeal of the wronged is answered by God even if he was a disbeliever".

By such texts, the Muslims are ordered to treat the followers of other religions with kindness and justice.

One of the wonderful examples in this respect is what is related about Ibn Omar ibn Al-Khattab. His

The Basis of the Ethical System in Islam - IV

BY

ABDUL WADOOD SHALABI

Does Islam obligate its followers to follow a specific course of morality?

No doubt that Islam asks Muslims to act according to every moral excellence without specification. The prophet explained the objective of his message by saying:

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .

"I have been sent to complete the moral excellences". Whatever people consider it to be a virtue is recommended by Islam. However, the prophet called Muslims to special virtues in special circumstances. Truth is one of the virtues Islam cared for so much. The prophet was asked whether a Muslim may be a liar, he answered: "No, the Muslim cannot be a liar".

Keeping and observing the trusts is also a great virtue in Islam. It was reported that the prophet said: "No faith for whom who has no faithfulness when charged with trusts; and no religion for whom who does not fulfill his promises".

Faithfulness in Islam is wide

enough to include faithfulness regarding the rights of God, good treatment to people, and observing the senses of the body to function in the right way of behaviour.

Sincerity is very important virtue in the eyes of Islam. Acceptance of the actions of people depends on the grade of their sincerity. The person who does his good actions just for show and reputation, his actions will not be accepted by God, and he becomes liable to God's punishment. The Prophet said: "Actions are judged by intentions; and to every person the reward or punishment of what he intends". and: "On the Day of Judgment, the world will reviewed: what ever in action was done for God, it will be accepted, and whatever what was done for other than God, it will be cost in full". The prophet also told his companions one day that a man who will enter paradise, will come to them through the door. The companions looked over and saw a poor and humble person entering through the door. The same thing happened for two other successive days. Then

"the Manus or the Arapesh of the Iatmul adults taught their children all that they knew themselves."(1) However, in modern societies which are pervaded by the advancement of science, technology, and the explosion of knowledge, parents no longer have the time or the competency to assume the responsibility of the total education of their children. The complexity of modern society necessitates the establishment of the school as an institution to help society preserve, extend and renew its existence by inducting its children into the way of life cherished by it. In this sense, "Education is chiefly the function of the societally sponsored school system from nursery school to the post graduate college."(2)

Generally speaking, the school's function is to transmit culture from one generation to another, in order to guarantee the continuity of the society in which the school is

operated. Once this general societal function of the school is fulfilled, there remain considerable choice & notable variation as to the scope, the form, the content, the control, and the aims of education. For example, the function of the school can be geared to educate the intellectually elite or the masses; learning may take place through imitation or through formal teaching; the curriculum may be organized to discipline the mind, or to train the individual for a vocation. Again, the school may be controlled by the family, a religious group, a central government or by the local community. The aims of education may be social responsibility and character training where the ideal of the gentleman is emphasized,(3) or the aims of education may be achievement of collectivism, loyalty to the state obedience, and industry.(4) The aims of education can be also the cultivation in the individual of

(Continued on page 13)

(1) Margaret Mead, "Our Educational Emphasis in primitive Perspective, "Education and Culture, (ed.), George Spindler, Holt, Rinehart and Winston, New York, Chicago, 1963, p. 311.

(2) John F. Cuber, Sociology A Synopsis of Principles, Appleton-Century-Crofts Inc., New York 1955 p. 521.

(3) George Z. F. Bereday, Comparative Method in Education, Holt Rinehart and Winston, Inc., New York, Chicago, 1964, p. 119.

(4) George S. Counts and Lucie Lodge, The Country of the Blind, Boston Houghton Mifflin Co., 1949 p. 244-280; and George Z.F. Bereday and Jaan Pennar Praeger, The Politics of Soviet Education, (ed.), Praeger, New York, 1960, pp. 48-88

a sheep sheared, a young girl taught to handle her body modestly when she bathes, which foods may be served together, and to whom - up through the elaboration of art, literature, music, and philosophy of which each people have been so proud.”(1)

Further, Harsh and Schrickel assert :

“Culture determines in some degree not only what the individual learns but also the relative significance he attaches to the various forms of behavior he learns.”(2)

Thus, “that which is most central or innermost in the individual is often common to the majority of those sharing the same culture,(3)” since, “the enduring moral, religious, and philosophical beliefs of a person constitute his innermost or ‘true’ self.”[4] It is this manner that culture influences the indi-

vidual’s identity and shapes the individual’s personality along the lines prescribed by the society in which he lives. Since the school is a segment of the society, it contributes in part to the personality development of individuals.

The School’s Function

All societies, whether primitive or advanced, perpetuate themselves through some process of education, Spindler points out that education is the process of transmitting culture “including skills, knowledge, attitudes, and values as well as specific behavioral patterns.”(5)

The school is usually the agency of formal learning. In addition to the school some learning is directed by the family, peer groups, the mosque, mass media and other agencies. For example, the Manus tribe in the Admiralty Islands do not have schools, books, or teachers, yet their children learn the tribe’s language, beliefs, customs and traditions through their parents, peer groups, and tribe community. Margaret Mead points out that

(1) Margaret Mead, *Cross Cultural Approach to the Study of Personality*, “Psychology of Personality, J. L. Mc Cary, (ed.), Logos Press, New York, 1956, p. 205.

(2) Charles M. Harsh and H. G. Schrickel, *Personality Development and Assessment*, The Ronald Press Co., New York, 1950, p. 345.

(3) *Ibid.*, p. 344.

(4) *Ibid.*, p. 7.

(5) George D. Spindler, “Anthropology and Education : An Overview, “Education and Culture, (ed. , Holt, Rinehart and Winston, N. Y., Chicago, San Francisco, Toronto, London, 1963, p. 58.

the sum total of what is learned by individuals in a particular society, consciously or unconsciously, by operation or by imitation, as members of society. Tylor's definition of culture, though it is old, is still cited frequently by most sociologists and anthropologists. "Culture is," as Tylor defines it, "that complex whole which includes knowledge, belief, art, morals, law, custom, and any other capabilities and habits acquired by man as a member of society."⁽¹⁾

Culture, on the one hand, must provide the individual with knowledge and skills necessary to help them solve their problems and guarantee their physical survival. On the other hand, the associated forms of human life provide a satisfactory social atmosphere to meet the individual's psychological needs and to pave the way for developing healthy personalities. As to the individual, Ralph Linton points out that "The individual is a living organism capable of independent thought, feeling, and action, but with his independence limited and all his responses profoundly modified by contact with

the society and culture in which he develops."⁽²⁾

In addition, Gottlieb and Brookover maintain that "Since nearly all human conduct is either in relation to other persons or is affected by relation with others, personality is essentially a social phenomenon. As people live in groups and share common experiences, they develop common and mutually expected behavior patterns. These common aspects of the behavior of persons living in a specific society are known as culture."⁽³⁾

Thus individual identity is strongly influenced by cultural factors. Margaret Mead states that.

"The child, from its earliest days of life, and very probably prenatally also, begins to learn this culture pattern which is exemplified by every act of those with whom it comes in contact. Technically, the word 'culture', as used by anthropologists, is an abstraction which applies to the entire body of learned behaviors from the humblest and most private act—the way in which an ox is fed,

(1) Edward B. Tylor, *The Origins of Culture*. Harper and Brothers Publishers. New York, 1958. p. 1.

(2) Ralph Linton, *Op. cit.* p. 29

(3) Wilbur B. Brookover and David Gottlieb, *A Sociology of Education*, American Book Company New York, 1964, p. 19.

The School's Function in Society

BY :

DR. IBRAHIM M. SHALABY



قال تعالى : و اقرأ باسم ربك الذى خلق ،
خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ،
الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ،

It means : Read : In the name of thy Lord who createth, Createth man from a clot.

Read : And thy Lord is the Most Boundteous, Who teacheth by the pen, Teacheth man that which he knew not.

Culture, personality and Society

In the fields of anthropology, sociology, and psychology, the terms culture and personality have been given numerous and frequently varying definitions. Whatever the definition, most students of human behavior agree that there are profound and complex relationships between culture, society, and personality.

"It is now becoming apparent that the integration between the individual, society, and culture is so close and their interaction so continuous that the investigator who tries to work with any one of

them without reference to the other two soon comes to a dead end"(1)

In spite of the complex relationships between culture, personality, and society, social scientists are inclined to differentiate between them analytically for the sake of study. For example. Ely Chinoy notes that "human society cannot exist without culture, and culture exists only within society."(2)

Ralph Linton in his book, The Tree of Culture,(3) differentiates between society, culture and the individual. He refers to society as an organized group of people, and to culture as integrated learned behavior.

This learned behavior refers to

(1) Ralph Linton, The Culture Background of Personality, Appleton-Century-Crofts, Inc., New York, 1945, p. 5.

(2) Ely Chinoy, Society, Random House, New York, 1961, p. 20.

(3) Ralph Linton, The Tree of Culture, Alfred A. Knopf Publishers, New York, 1959, pp. 29 35.

energies of the Arabs Poetry, Oratory and judicial astrology formed the favourite objects of pursuit among the pre-Islamic Arab world. The prophet cultivated among them a holy spirit of knowledge and learning. He would often say the ink of the scholar was more holy than the blood of the martyr. And he repeatedly impressed on his disciples the necessity of seeking for knowledge, and he taught them that he who leaves his home in search of knowledge, walks in the path of God, and he who travels in search of knowledge to him God shows the way to paradise. Even within his life time was formed the nucleus of an educational institution with all branches of knowledge. This nucleus in after years grew into great universities and educational centres at Bagdad, Cairo and Cordova. In spite of the upheaval during the periods of early Caliphs, science and literature were by no means neglected in the metropolises of Muslim world. It is reported that Imam Ali, and his cousin Ibn Abass gave public lectures on mathematics, history, poetry and grammar; whilst other companions of the Prophet taught the arts of recitation and elocution etc. Some of them gave lessons even in calligraphy, which was an invaluable branch of knowledge in those times.

Naturally such sentiments on the

part of the Prophet and the disciples gave rise to a desire for learning. The practice of religion, the conservation of a devotional spirit, and the special cultivation of those branches of learning which were of practical value in the battle of every day life, were the primary objects of the Muslim's attention. With the precepts of the prophet to light their path, they kept in view the development of humanity and devoted themselves to the cultivation of science and learning in all its branches. From 'Medina' a stream of unusual intellectual activity flowed to distant places.

It was towards the close of the Omeyyade Rule that several Muslim thinkers came into prominence whose lectures on many subjects then upper most in the minds of people attracted great attention. Their ideas and conceptions moulded the thoughts of succeeding generations. It was in the second century, however, that the literary and scientific activity of the Muslims commenced in earnest, and the chief impulse to this was given by the settlement of the Arabs in towns. The Arabs had carried with them into distant regions unexampled intellectual activities.

Under the Abbaside period we find the Muslims the repositories of the knowledge of the world. Every

(Continued on page 13)

The Role of Islam in Spread of Knowledge

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The first of the Qur'an to be revealed - verses 1—5 of the Sûrah 'Al-Alaq'-itself bore testimony to the supreme value of knowledge and learning. Commenting on the meanings of these verses, Imam Zamakhshari explains : 'God taught human beings that which they did not know, and this testifies to the greatness of His beneficence, for He has given to His servants knowledge of that which they did not know. He has brought them out of the darkness of ignorance to light of knowledge, and made them aware of the inestimable blessings of the knowledge of writing for great benefits accrue therefrom which God alone compassionated ; and without the knowledge of writing no other knowledge (علوم) could be comprehended nor the sciences placed within bounds, nor the history of the ancients be acquired and their sayings be recorded, nor the revealed books be written ; and if that knowledge did not exist, the affairs of the life could not be regulated'.

Prophet Muhammad (peace be on him) preached of the value of knowledge. His devotion to knowl-

edge and science distinguishes him from all other prophets and reformers of the world. He preached : Acquire knowledge, because he who acquires it in the way of the Lord, performs an act of piety ; who speaks of it, praises the Lord ; who seeks it, adores God ; who dispenses instruction in it, bestows alms ; and who imparts it to its fitting objects, performs an act of devotion to God. knowledge enables its possessor to distinguish what is forbidden from what is not ; it lights the way to heaven ; it is our friend in the desert, our society in solitude, our companion when bereft of friend ; it guides us to happiness ; it sustains us in misery ; it is ornament in the company of friends ; it serves as an armour against our enemies. With Knowledge, the servant of God rises to the heights of goodness and to a noble position, associates with sovereigns in this world and attains to the perfection of happiness in the next world⁽¹⁾.

The teachings of Islam gave a new impulse to the awakened

(1) Quoted from Muaz Ibn Jabal in the Kashf uz zunûn, and in the Mustatirif.

Correction and Apology

In my article published in the June 1968 issue, of Al-Azhar Magazine, under the title "The Birthday of the Prophet" there occurred some obvious mistakes. The readers may please note the following corrections :

Page 9 paragraph 1 line 2 read :

" The Holy Prophet to whom the Quran was revealed ".
for " the Holy Prophet who revealed ".

Line 3 read :

" Was illiterate, he could neither read nor write "
for " Was illiterate, scarcely able to read or write ".

Line 4 read :

" He received " for " He revealed ".

Line 5 read :

" Which is not a poem ".
for " Which is a poem ".

The above mentioned paragraph should be corrected as follows :

"It is a crowning proof that the Holy Prophet, to whom the Quran was revealed, was illiterate, he could neither read nor write. He received a Book which is not a poem, a code of law, a Book of Common Prayer, and is revered as a Miracle of purity of style, of wisdom and of truth. It is a Heavenly Book that cannot be imitated. Any human being of powers of eloquence and poetry cannot compose even a single chapter or sûra like that of the Quran."

M. Abdel Moneim Younis

Director of the Cultural Centre for Diplomats,
Ministry of Culture, U. A. R.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Jumâdal-Akhira
1388

ENGLISH SECTION

EDITED BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

September
1968

HOMAGE TO OUR LATE CHIEF EDITOR

AHMED HASSAN AL-ZAYAT

With profound feelings of sorrow, we inform our readers, the sad demise of our Chief Editor and well-known Arabic writer, Ahmed Hassan Al-Zayat, who passed away on June 12, 1968. He was born at "Domyra" village in the "Diqahlia" Province of Egypt, at the last quarter of the 19th Century. After completing his primary education at the famous city of 'Tanta' he came to Cairo and joined Al-Azhar. The Late Ahmed Hassan Al-Zayat graduated as 'Licentiate at law' from France. He worked several years as a lecturer in the Teacher's Higher Institute in Bagdad.

In 1933 he started his popular journal 'Al-Resala' which had a dedicated role in the service of Islamic knowledge and Arabic literature. He continued to work as the founder Editor of it, in modesty, for 20 years. After a pause of a few years the Ministry of Culture, U.A.R., resumed the publication of 'Al-Resala' under the Editorship of Zayat. He was also appointed as the Chief Editor of Al-Azhar Magazine.

His mission was to uplift the Arabic language and its literature. His well-prepared and well-styled articles had inspiring impact on readers. Besides all these noted works he was the author of many books in Arabic, some of which are prescribed as text books at many universities. He was the working member of Academy of Arabic Language, and the Supreme Council for Arts. He received, in 1963, the state award of Gold Medal for literature.

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الفكر العربي القديم مقابل الفكر الإغريقي	٢٨٣	للأستاذ عبد الرحيم فوده	٢٤١ البقاء لله
للأستاذ محمد مفيد الشوباشي		٢٤٣ النقد الأدبي تقويم وتقييم	
٢٨٩ اعتناق الإسلام والردة		للفقيه الأدب العربي	
وأثرهما على قوانين الأحوال الشخصية		للأستاذ أحمد حسن الزيات	
للدكتور عبد الناصر توفيق الطاول		٢٤٧ • نفحات القرآن •	
٢٩٣ استيطان اللغة العربية في مصر - ٢ -		رسالة الملائكة إلى إبراهيم ولوط	
للدكتور أحمد مختار عمر		للأستاذ عبد الطيف السبي	
٢٩٧ أدب وتقد : شعراء عرقهم		٢٥٢ بين الطب والشرعية	
(حسن جاد)		للأستاذ مصطفى محمد الطير	
للدكتور عبد الرحمن عثمان		٢٥٨ • من هدى السنة •	
٣٠١ مكتبات خالدة :		المساواة والمواطنة في الإسلام	
مكتبة بغداد المباسة - ١ -		للدكتور محمد محمد أبو شهبه	
للأستاذ محمد جبر أبو سمعه		٢٦٣ العفاف خلق إسلامي أصيل	
٣٠٨ • ما يقال عن الإسلام •		للدكتور محمد رجب البيومي	
الإسلام قوة في انتظار كل		٢٦٧ تارون هذه الأمة	
للدكتور عفيفي عبد الفتاح		للأستاذ على الجندي	
٣١٣ الكتب :		٢٧١ التراث الإسلامي في الحضارة العربية	
المؤلفات العربية لطاء الهند المسلمين - ١٧ -		للدكتور محمد مختار القاضي	
للأستاذ يحيى الدين الألواني		٢٧٦ طريقة القرآن في الدعوة والإقناع - ٥ -	
٣١٧ أنباء وآراء		للدكتور أحمد مهنا	
للأستاذ عبد الطيف عبد العظيم مصطفى		٢٨٠ هذا أوان الجدد	
		للدكتور على الماري	

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Homage To Our Chief Editor . .		1
2 — Correction and Apology.		2
3 — The Role of Islam in Spread of Knowledge.	A. M. Mohiaddin Always	3
4 — The School's Function in Society	Dr. Ibrahim M. Shalaby	5
5 — The Basis of Ethical System in Islam	Abdul Wadood Shalaby	9
6 — From the Tradition of the Prophet	Soliman Barakat	14

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

«العنوان»
إدارة الجوامع الأخرى
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرور العربية المتحدة
٥٠ ضاحج الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بصدد رعن مشيخة الأزهر في (نور كل شهر عجمي)

الجزء الخامس - السنة الأربعون - رجب سنة ١٣٨٨ هـ - أكتوبر سنة ١٩٦٨ م

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المسجد الأقصى .. أيتها المسلمات !!

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ - كان الإمام ، بمحمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في القدس ، وكان في هذا الحادث إشارة - أو بشاراة - بأن نور الإسلام الذي اختفق بين شعاب مكة وهضابها سينبت في جوانب الدنيا ، ويشرق فوق هذا المسجد وما حوله من ربوع الهام ، وكأنما أود الله بذلك أن يشعر النبي صلى الله عليه وسلم بما يسليه ويعزبه مما كان يعاينه ويقاسيه ، فقد احتمل من أذى قومه ومن أذى القوى التي كانت ترهب به وتناكب عليه من غير قومه ماتنوء بحمله الجبال ، ثم عظم الخطب والكرب

بموت زوجته وموت عمه في هذا العام القاسي الحزين ، فسكان الإمام به ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، تسرية لهم . وتفريحا لغمه ، وتجليه لما ينتظره وينتظر دعوته من مستقبل مشرق ومصور وضوء .

وقد عاد - صلى الله عليه وسلم - من هذه الرحلة في تلك الليلة . وقلبه ممتلئ إيماناً بما رأى من آيات ربه ، واطمئناناً إلى مصير دينه ، وثقة بأن النور الذي بعثه الله به ليخرج الناس من الظلمات إليه سيزحف في كل اتجاه ، ويشرق من كل أفق ، ويتألق فوق كل أرض ، ومن ثم لم يستجب لرجاء أم هانيء ، وهي

أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الصخرة ولمع من خلالها برق فقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة .

٣ — وتحقق في عهده ومن بعده ما رآه صلى الله عليه وسلم يبصره أو بصيرته ، خففت راية الإسلام فوق ربوع فارس واليمن والشام ، ودخل المسلمون بيت المقدس ليحرروا أرضه من احتلال الروم ويطهروا جوه من دنس اليهود . فقد كان هؤلاء على قلوبهم مكروهين من الشعب ، ولهذا فص في وثيقة الصلح التي فتحت بها المدينة على ألا يسكن بها أحد منهم وكان ذلك استجابة لرغبة السكان الذين ضاقوا بهم ، وبالحياة معهم .

ويذكر التاريخ أن عمر رضى الله عنه بعد أن أتم عقد الصلح شخص إلى بيت المقدس ، وسار حتى دخل كنيسة القيامة ، ولما حان وقت الصلاة قال للبطرق : أريد الصلاة . فقال : صل موضعك ، فأبى عمر رضى الله عنه أن يصلي داخل الكنيسة ، وخرج فصل على درجة من درجات سلم بابها ، ولما انتهى من الصلاة التفت إلى البطرق وقال : لو صليت داخلها أخذها المسلمون من بعدى وقالوا : هنا صلى عمر : ثم كتب بالآ تودى الصلاة جماعة على الدرجة التي صلى فوقها ، وألا يؤذن

تتعلق به وتمسك بشو به وتتضرع إليه أن يكتم هذه الرحلة عن قومه ، وتقول له : إنهم يكذبونك وينسكرون مقاتلتك . وأخاف أن يسطوا بك ، بل مضى — عليه الصلاة والسلام — إلى المسجد ، غير عابئ بما سيلقاه ، ولا آبه لما سيقال عنه .. وكان هناك ما كان من استهزاء المشركين به ، وارتداد بعض المسلمين عنه ، فلم يساوره أى شعور بالضعف أو الخوف ، لأنه كان موقناً بما رأى ، مؤمناً بأنه كما يقول الله فيه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » .

٢ — ثم أذن الله لدينه ولرسوله وللمؤمنين أن ينتقلوا إلى أرض أخصب . وجو أطيّب . وأفق أرحب ، فكانت الهجرة إلى يثرب ، ثم كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترك مع أصحابه فى حفر الخندق ، فقد عرضت لهم صخرة صلبة لاتأخذ فيها معاولهم ، ففككوا ذلك إليه ، فأخذ عليه الصلاة والسلام المعول من سلمان ، ثم قال : بسم الله وضرب الصخرة فقطع منها ثلثها ولمع من خلالها برق رأى فى ضوءه بلاد الشام فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام . والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة . ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، ولمع من خلالها برق رأى فى ضوءه بلاد فارس فقال : الله أكبر .

الإسلامي والقومي لتحرير أرضهم وحرزهم حتى تم لهم ذلك مع صلاح الدين الأيوبي .

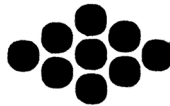
هـ — واليوم . وقد وقع المسجد الأقصى في قبضة اليهود ، ولعبت الصهيونية دورها القذر في الفتك بالأرواح وانتهاك الحرمات وامتهان المقدسات يمجدهم العرب والمسلمون أنفسهم أمام أخطر مؤامرة تدبر للفتك بهم والقضاء عليهم فيجب أن يرتفعوا بإيمانهم إلى مستوى المسؤولية ، وأن يندفعوا بكل ما يملكون من طاقة وجهد لتلبية نداء الواجب الديني والقومي نحو هذه الأرض فإن دماء آبائهم وأرواح شهدائهم تهيب بكل مسلم أن ينهض لحماية الإسلام وبكل عربي أن يثار لشرف العروبة .

المسجد الأقصى أيها المسلمون . . . معدن الأنبياء . ومعقد الإسراء . وأولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال . .

عبد الرحيم فودة

عليها . وقال بعد ذلك للبطرقي : أرني موضعا أبني فيه مسجداً . فأشار إلى الصخرة في ساحة المسجد ، وكانت غارقة في الاتربة والأقذار وكان المسجد خراباً يباباً . فأزال عمر التراب عن الصخرة واشترك معه المسلمون في إزالتها ، ثم بنى مسجده الذي عرف باسمه ، وبني بعد ذلك مسجد الصخرة وعدة مساجد وزوايا في رحاب هذا الحرم الذي أسرى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وبارك الله فيما حوله .

٤ — وبقي المسجد الأقصى وبقيت كنيسة القيامة وبقيت كل المساجد والمعاهد في هذه الأرض المقدسة تؤدي وظائفها في رعاية الإسلام حتى امتحن المسلمون بالحرب الصليبية . ووقع المسجد الأقصى في قبضة الصليبيين ، ففرق في لجج من دماء المدافعين عنه ، وهامت حوله أشلاء الضحايا من العرب والمسلمين ، وامتزجت بتراب الأرض المقدسة مهجهم وأكبادهم . فكانت هذه الضحايا وهذه الدماء ناراً مقدسة تثير في نفوس العرب والمسلمين الشعور بالواجب



تحقيقات في الأسراء والمعراج للأستاذ مصطفى الطبر

مقدمة :

يشكرون فيه ربهم على تكريمه تعالى لمحمد وأمة ويمجدون فيه ذكرها ، ويذكرون فيه محامد الرسول الشريفة ، فأنعم به من عييد كريم .

كيف كان الإسراء والمعراج :

معظم العلماء على أنهما في اليقظة ، فلو كانا مناما كما جرح إليه بعض العلماء لما عجبت قريش ولما كذبوه ، إذ لا غرابة في أن يرى النائم أنه اخترق الآفاق وارتفع إلى السبع الطباق ، ولقد أجمعت الأمة على أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج ، وذلك يدل بأبلغ الدلالة على أنهما كانا في اليقظة لأن التكليف لا تكون مناما .

ومعظم العلماء على أنهما بالروح والجسد ، فإن قوله تعالى : « أسرى بعبد » يدل على ذلك . إذ العبد لا يقال إلا على الروح والجسد وكذلك قوله « صاحبكم » في قوله تعالى : « ما ضل صاحبكم وما غوى » فإن صاحب لا يطلق إلا على من يصحب بالروح والجسد وقد عاد الضمير عليه في موضوع المعراج في قوله تعالى بعد ذلك : « ولقد رآه نزلة

شرف الله محمدا صلى الله عليه وسلم تشريفا لم ينله أحد من المرسلين ، ورفعه درجات لم يعطها أحدا من العالمين ، فقد أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى ما فوق السموات ، حيث كله سبحانه ونجاه دون سفير بينهما ، وغمره بأنواره الإلهية ، وأراه من آياته الكبرى ، ثم أعاده بعد هذا التكريم والإجلال إلى مكة في الليلة التي حدثت فيها تلك العظام .

وقد كان صلى الله عليه وسلم أثناء الإسراء والمعراج مصحوبا ببعثة ملكية مؤلفة من جبريل وميكائيل تشريفا لمقامه ، وحفظا له من المؤثرات الكونية .

وقد بدأت هذه الرحلة المباركة بعد أن شق الملكان صدره الشريف ، وأعداه لها إهدادا يعطيه المناعة ضد ما ينافي طبيعة الإنسان أثناءها .

ولا ريب في أن تكريم الله لرسولنا العظيم بهذه الرحلة المشرفة فيه تكريم لأمة ، فمن أجل ذلك اتخذ المسلمون ميقاتها عيداً لهم ،

الأرض في منطقة انعدام الوزن ، ويجر خلفه رجلا داخل غلاف يقيه العوامل الضارة . أفلا يستطيع ربه الذي ألهمه هذا الاختراع أن يصنع لنييه خيرا منه وأعظم نفعا وأبلغ وقاية .

على أن الحوارق الثابتة للأنبياء والصلحاء كثيرة ، فأدم خلق بغير أبوين ، وعيسى خلق بغير أب ، والنار التي من شأنها الإحراق جعلت على إبراهيم بردا وسلاما ، وعرش بلقيس نقله الذي عنده علم الكتاب من الين إلى الشام في أقل من رجوع البصر ، ومريم العذراء كانت تأتيا الفاكة في غير أوانها ، وكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، وكانت تهز النخلة التي لا ثمر عليها فتساقط عليها رطباً جنيا ، وموسى ضرب البحر بعصاه فشق فيه اثني عشر طريقا عبر فيها بنو إسرائيل من مصر إلى سيناء ، ثم ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا في سيناء وتسمى الآن عيون موسى ، ولا يزال بعضها موجودا ، وقد انشق القمر لبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ففي الصحيحين من حديث أنس د أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر شقين

أخرى عند مدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، أى ولقد رأى صاحبكم شديد القوى عند مدرة المنتهى الخ .

فإن قيل إن للكون ضوابط وقوانين لا تسمح برحلة بشر عبر السموات ، فكيف يتيسر للنبي صلى الله عليه وسلم الإسراء والمعراج بجسده وروحه ، مع أن الإنسان يتعرض في رحلة كهذه للصواعق والأشعة الكونية وانعدام الضغط الجوي وغيرها من أسباب الموت المحقق .

والجواب مأخوذ من واقع قصة الإسراء والمعراج التي رواها الثقات . فقبل أن يركب النبي صلى الله عليه وسلم البراق ويبدأ الرحلة جبريل شق صدره وقلبه ، وغسل قلبه ومنحه من اسباب الحماية الإلهية ما يجعله مستطيعا أن يتحمل هذه الرحلة الكونية وأن يتغلب على كل العوامل الضارة ، وأن يصعد ويهبط بسرعة فائقة بدون ضرر كما تصنع الملائكة ، إذ لا معنى لهذه العملية التي أجراها جبريل بمساعدة ميكائيل إلا ما قلناه ، ولهذا بدأت الرحلة عقب انتهائها ، كما أن وجود جبريل وميكائيل معه صلى الله عليه وسلم يساعد على تمام الحفظ والصيانة ونجاح الرحلة دون ضرر .

وإذا كان الإنسان في عصرنا الذي نعيش فيه استطاع أن يصنع جهازاً يدور حول

لم يؤمنوا ، روى أبو داود وغيره عن ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كفار قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال : فجاء السفار فأخبروهم بذلك ، ومع هذا فقد استمروا كفارا بعد ظهور هذه الآية العظيمة ، ولم يؤمنوا إلا عام الفتح .

ومع أن المقصد الأساسي للإسراء والمعراج هو أن يرى محمد آيات ربه الكبرى ليستعد روحيا بذلك للرحلة الثانية من الدعوة وهي مرحلة الهجرة ، فقد صاحبها آيات ظهر أمرها لقريش من شأنها أن تبعثهم على الإيمان به لو أرادوا الحق ، لكن هنادهم صرفهم عن الحق وأسكرو بصائرهم فهم يعمهون .

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم بناديهم فحدثهم أن الله أمرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وكنتم عنهم رحلة المعراج ، فاضطرب المجلس وأعظموا الأمر وأنكروه منه ، ثم رأوا أن يسألوه عن أوصافه زيادة في إحراجهم ، لأنه لم تسبق له رؤيته قبل هذه الليلة ، ولم تعطه غرابة الرحلة وعجائنها الفرصة ليتعرف تفاصيل بيت المقدس ، فشرع ينفثه حتى التبس عليه باقي

حتى رأوا حراء بينهما ، إلى غير ذلك من خوارق العادات .

(آراء أخرى)

يرى بعض العلماء أن الإسراء والمعراج كانا يقظة بالروح دون الجسد ، وشاركهم في ذلك الصوفية والحكماء . غير أنهم يقولون إن ذلك كان بانسلاخ الروح عن الجسد مع اتصالها به بقدر يصح الحياة ، ولا مانع من إطلاق العبد على الروح ، فإن الجسد لا قيمة له بدون الروح ، وهذا مع كونه أمراً خارقاً للعادة ومجلاً للتعجب غير أنه لم يذهب إليه أحد من السلف .

(لماذا لم يحدثا أمام قريش)

قد يقال إن الإسراء والمعراج آية عظيمة فلو ظهرت أمام قريش لبعثتهم على التصديق بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما أنهم طلبوا منه هذه الآية بقولهم : « أو ترقى في السماء » ، والجواب أن الإسراء والمعراج حصل بعد ما ظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم من المعجزات ما فيه الكفاية لمن يريد الإيمان ، وأقواها القرآن الكريم الذي أعجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله في حين أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فالزيد من طلب الآيات لا يقصد به سوى الإعانات للإيمان عند حصول المطلوب ، فقد طلبوا منه أن يريهم القمر منشقا نصفين ففعلوا .

مارآه كثير من المفسرين ، ولهذا كان موضوع رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء والمعراج موضعا للخلاف بين المفسرين وعلماء التوحيد ، فمنهم من أثبتها مستقلا بحديث البخارى من رواية شريك بن عبد الله (ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدره المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتقبل حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده فيما أوحى خمسين صلاة) الحديث فإنه ظاهر فى إثبات هذه الرؤية ، ومن يقول بذلك عبد الله بن عباس ومنهم من نفاهها ومن هؤلاء السيدة عائشة ، فقد قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) ولما قال لها مسروق : يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى . ألم يقل الله ، ولقد رآه بالأنف المبين ، ، ولقد رآه نزلة أخرى ، قالت ما معناه إنها أول من سأل الرسول عن ذلك ولأنه أجابها بأن هذه الرؤية لجبريل على صورته التى خلق عليها .

ويستدل من نفوها بما رواه مسلم عن أبي ذر قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك . قال : نور أنى أراه ، ومن طريق هشام وهمام كلاهما عن قتادة عن عبد الله قال : « قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسأله ، فقال عن أى شيء وكنت تسأله قال : كنت أسأله هل رأيت

النعمة فكرب لذلك كربا شديدا ، فجلاه الله له ، فجعل ينظر إليه ويصفه ، فقال القوم واللات والعزى لقد أصاب فى نعته ، وكان العقل السليم يوجب الإيمان بعد ظهور هذه الآية ، ولكنهم لم يؤمنوا بل قالوا أخبرنا عن غيرنا التى بالشام فأخبرهم بخبرها ، وذكر لهم أنها سوف تصل عند شروق الشمس يوم الأربعاء المقبل يقدمها جمل أورق عليه غرارتان سوداوان ، فاشتدوا فى ذلك اليوم للقائها ، فقال قائل : هذه الشمس قد أشرقت ، وقال آخر : وهذه العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق عليه غرارتان سوداوان ، ولا شك أن هذه الآية ناطقة بصدقه . مقتضية للإيمان من استقام ذوقه وصحا ضميره ، لكنهم ظلوا سائرين فى الجهالة ، موغلين فى التكذيب . (هل رأى النبی ربه)

أثبتت أحاديث الإسراء والمعراج مكاملة الله تعالى لنبيه ببلا وسيط ، وفى جملة هذا الكلام الشريف أنه سبحانه فرض علينا خمس صلوات لها ثواب خمسين صلاة ، وليس فى هذه الروايات نص على أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه كما أن قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدره المنتهى عندها جنة المأوى ، ليس نصا قاطعا فى هذه الرؤية لاحتمال هود الضمير المنصوب فى رآه إلى شديد القوى وهو جبريل عليه السلام ، وهو

ربك فقال : أبو ذر قد سأله فقال :
رأيت نورا .

ومن أثبتوا الرؤية اختلفوا فمنهم من قال
رآه بعينه وهو مروى عن ابن عباس
وابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل
وغيرهم ، ومنهم من قال رآه بقلبه استنادا
إلى حديث أبي ذر برواية النسائي عنه قال
« رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه
ولم يره ببصره » إلى غير ذلك من الأحاديث
وبما أن الرؤية القلبية صريحة في أحاديثها
فلذا تكون ثابتة بالنص ، فلهذا تعتبر أمرا
متفقاً عليه حتى ممن نفوا رؤية الله تعالى لأنها
لا تتعارض مع نص أو دليل عقلي أما رؤيته
بالعين فليس فيها نص صريح إلا في رؤية نوره
تعالى دون ذاته ، ومن أجل ذلك تكون رؤية
الرسول لذات الله تعالى هي التي ينبغي أن
يجرى فيها الخلاف ، وهي مسألة لا خطورة
في الخلاف فيها من ناحيه العقيدة .

(فضل الصلاة)

فرض الله جميع التكاليف وحيا ينزل به
الروح الأمين على الرسول الأكرم صلى الله
عليه وسلم ما عدا الصلاة ، فقد فرضها سبحانه
مكاملة مع حببيه محمد صلى الله عليه وسلم دون
وسيط حين شرفه بالعروج إلى الملائكة الأعلى
وأعظم قدره بالمناجاة ، وذلك دليل على عظيم
فضلي هذه العبادة وجليل منزلتها عند الله

تعالى ، وقد تفضل سبحانه فجعلها خمس صلوات
في اليوم والليلة ليكون أداؤها أيسر على
عباده ، وحتى لا يتعارض أداؤها مع القيام
بشئون المعاش إذا كانت أكثر من ذلك ،
وقد تفضل فأعطى فاعلمها أجر خمسين صلاة
إذا أخلص في أداؤها ، وكيف لا تحظى بهذه
المنزلة الرفيعة ومن شأنها أنها تنهى عن الفحشاء
والمنكر ، ومن بركات إله المعراج أن الله
منحنا فيها صك الكرم والرحمة والغفران حين
أخبر رسوله بأن من هم بحسنة فلم يعملها ،
كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشرين ومن
هم بسئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها
كتبت عليه سئة واحدة .

(النيل والفرات في المعراج)

جاء في بعض روايات البخاري لحديث
الإسراء والمعراج ما يأتي من رواية مالك
ابن صعصعة ، وإذا أربعة أنهار نهران
ظاهران ونهران باطنان ، فقلت ما هذا
يا جبريل ، قال : أما الباطنان فنهران في الجنة
وأما الظاهران : فالنيل والفرات ، وقد ذكر
الشرح أن هذه الأنهار تخرج من أصل سدرة
المنتهى وذلك يوم أن نهر النيل الذي يروى
مصر ونهر الفرات الذي يروى العراق
وسوريا يفتعان من سدرة المنتهى ، مع أن
منابعهما في الأرض حيث تهطل الأمطار ،
في تلك المنابع فتتبخروا وتجري مياهها في جري

(ليلة الإصراء وليلة القدر)

يرى المحققون أن ليلة الإصراء في حقه صلى الله عليه وسلم أفضل الليالي ، لما ناله فيها من الشرف والفضل والتكريم ، أما من جهة الثواب على العبادة للرسول ولأمته فإن ليلة القدر أفضل : فإنها خير من ألف شهر ومن قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاء العشر الأخير من رمضان شد مثوره وقام ليله وأيقظ أهله لرجاء ليلة القدر فيها ، ولم يؤثر أنه فعل ذلك ليلة الإصراء والمعراج والله أعلم ؟

مصطفى محمد الحميري الطبر

النيل الأفريقي ويجرى الفرات الآسيوى ، وبما أن هذه الرواية جاءت في صحيح البخارى فلهذا يجب أن يحمل النيل والفرات فيها على أنهما نهران آخران يسميان بهذا الاسم ويجريان هناك صادرين عن سدره المنتهى ولا علاقة لهما بالنيل والفرات الأرضيين ، أو أن الله مثل له هذين النهرين تذكيراً بنعمة الله فيهما كما مثل له أموراً مختلفة للتذكير والعبرة ، فقد ورد في حديث المعراج أن الرسول مر على قوم كلما حصدوا زرعهم عاد كما كان ، وأن جبريل قال له : هذا مثل المجاهدين في سبيل الله تضاعف حسناتهم إلى سبعمائة ضعف - إلى غير ذلك من الأمثال المختلفة التى رآها الرسول وسجلت في أحاديث الإصراء .

قال تعالى :

و سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو الصميع البصير ، .

عام الحزن في حياة الرسول للدكتور علي العمري

يسرا ، وقد جاءهم اليسر ، ونقض بعض سادة قريش صحيفة المقاطعة .

كل ذلك احتمله الرسول صلى الله عليه وسلم وإن ضاقت نفسه بكثير منه .

فلما كانت السنة العاشرة من مبعثه فاجأته حادثتان ضاقت بهما أشد الضيق ، وحزن من أجلهما أوجع الحزن وأبلغه .

في شوال من السنة العاشرة مات كافلة وراعيه ، والذائد عفه عنه أبو طالب ، وبعده بقليل ماتت سيدة النساء زوجته خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - فأقل الخروج من بيته ، وسمى هذا العام (عام الحزن) .

كان أبو طالب النصير الأكبر للنبي بعد موت جده عبد المطلب ، وقد كانت كفالة أبي طالب له صلى الله عليه وسلم من أجل النعم التي امتن بها الله عليه ، جاء ذلك في قوله تعالى : « ألم يمدك يتيماً فأوى » ، وإيواؤه أنه حين مات أبوه وهو صغير ، ولم يترك مالا ولا مأوى هيأ الله له قلباً رحيماً هو قلب جده عبد المطلب ، فلما مات هذا ضمه الله إلى عمه أبي طالب فكفله ، وأحسن تربيته ، وكفاه المؤنة .

تسع سنوات صعب قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة منذ بعثت كانت كلها مشقة بالآلام والمتاعب ، وقد لقي فيها من عناد قومه وإصرارهم على محاربة الدين الذي جاء به ، ومن صلفهم وكبرياتهم ، وإيذائهم له ولأصحابه ما تعيا بمحله الجبال الرواسي .

كان الرسول شديد الحرص على أن يؤمن هؤلاء السادة من العرب ، وعلى أن يتقبل الدعوة الجديدة أقرب الناس إليه من عمومته وبنى أعمامه ، وقد أهمه ذلك الأمر مما شديداً وصفه القرآن الكريم أبلغ وصف حيث يقول : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » .

وهاجر أصحابه من مكة أحب بلاد الله إليهم طلباً للأمان في بلاد بعيدة فشق ذلك عليه ، ولكنه ظل ينتظر وعد الله له بالنصرة والظفر .

وأجمعت قريش كلمتها على أن يقاطعوها بنى هاشم وبنى المطلب ، فحصرهم في شعب ثلاث سنين لا يكلمونهم ، ولا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم شيئاً ، فصبر النبي وصابر ، واليقين يملأ قلبه بأن الله سيجعل له ولعشيرته من هذا الأمر مخرجاً ، وسيجعل بعد عسر

إحدى بناته ومسحت عن وجهه التراب ،
فجعل الرسول يقول لها : (أى بنية لا تبكين
فإن الله مانع أباك) ويقول فيما بين ذلك :
(ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات
أبو طالب ، ثم شرعوا) .

أما خديجة فقد كانت بمالها وجاهها الردء
المسكين للرسول منذ تزوجها قبل أن يبعث
بخمسة عشر عاماً ، فلما جاءه الوحي وجد
منها العصد القوي ، والنصير المخلص الأمين ،
والمواسي في أحلك المواقف .

وروى الشعبي عن مسروق بن عائشة قالت :
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة
أنفى عليها بأحسن الشفاء . قالت : فغرت برما
فقلت : ما أكره ما تذكرها ، حمراء الشدة فبين
قد أبدلك الله خيراً منها . فقال : (ما أبدلني
الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي
الناس ، وصدقني إذ كذبني الناس ، وآستني
بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها
إذ حرمني أولاد النساء) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (كمل من الرجال
كثير ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث :
مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ،
وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام) .

قال العلماء : والقدر المشترك بين الثلاث
الذسوة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسل ،
وأحسنن صحبته في كفالتها ، وصدقته .

وكان أبو طالب - مع تمسكه بدين
عبد المطلب - حفيماً بالرسول ، وبدعوته ،
يدفع عنه أذى قريش ، ويغمره بالعطف
والحب ، ويخصه دون أبنائه - أحساناً -
بالمودة والبر ، وكانت قريش تعرف
لأبي طالب مكانته ، وتوقره وتجله ، وتهاب
أن تنال من النبي خشية من غضبه لابن أخيه .
ولم يقف أبو طالب عند حد المدافعة
عن محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كان يدفع
أيضاً عن أسلم من ضعفاء قومه ، ولما أوصلت
قريش إلى (النجاشي) قطلب إليه أن يرفع
حاميته عن هاجر إلى الحبشة من المسلمين ،
ولم يستجب النجاشي إلى طلب قريش كتب
إليه أبو طالب يشكره ، ويمدحه ، ويحمضه
على العدل والإحسان إلى من نزل عنده
من قومه .

بل وصل برأبي طالب بمحمد ودعوته
إلى أن دعا بني عبد المطلب ، وحشهم على التمسك
بتعاليم الرسول ، وقال لهم : لن تزالوا بخير
ما سمعتم من محمد ، وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه
وأعينوه ترشدوا .

فلما مات أبو طالب اجترأت قريش
على الرسول ، ونالت منه ما لم تكن تناله ،
أو تقدر عليه ، وقد زوى أن سفيهاً من سفيهاء
قريش ألقي على الرسول التراب بعد موت
أبي طالب ، فرجع الرسول إلى بيته فأتت

وبكى هتده ، وبكى المسلمون لبكائه ، فقيل له في ذلك . فقال : (أدركتني رحمتها فبكيت) . ولم يشك رسول الله لحظة واحدة في أن الله ناصره ومأنعه ، ودافع عنه ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم كان يدرك تمام الإدراك أن الأمور مرهونة بأسبابها ، وأنه فقد برفاة أبي طالب وخديجة ركنين من أقوى الأركان التي يستند إليها وهو يمضى في تبليغ دعوته .

وقد التمس الرسول بعد فقد هذين النصيرين النصر ، ولكنه لم يجد بعدهما من البشر نصيرا . لما بلغ أبا لهب ما يعانيه الرسول جاءه . وقال له : يا محمد . امض لما أردت ، وما كنت صانعا إذ كان أبو طالب حيا فاصنعه ، لا ، واللات لا يوصل إليك حتى أموت ، وأنفت قريش في أول الأمر على صنيع أبي لهب ، وهاجوه ، ولكن جماهة من شياطينهم احتملوا على أبي لهب ، حتى أوغروا صدره على الرسول ، فنع عنه حمايته ، وقال له : والله لا برحت لك عدوا أبدا ، واشتد عليه هو وسائر قريش .

وكان طبيعيا بعد ذلك - وقد ضاقت به مكة - أن يلتمس النصر في غيرها ، فكانت رحلته صلى الله عليه وسلم إلى (الطائف) آملا أن يجد في أهله من يعينه على المضى في دعوته ، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدا من أشrafهم إلا جاءه وكله ، ولكن

فأسية ربت موسى ، وأحسنن إليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل ، وخديجة رغبت في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وبذلت في ذلك أموالها ، وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل (١) .

لا غرو أن يحزن الرسول أشد الحزن على ناصريه المدافعين عنه ، ويلزم بيته ، ويقل الخروج منه ، ويسمى العام الذي توفيا فيه عام الحزن .

والحزن على وفاة عزيز ، بل والبكاء على فراقه لا يتعارض مع الإيمان ، بل والإيمان الراسخ الوثيق .

والرسول بشر قبل كل شيء ، فلا بد أن يطوف بنفسه ما يطوف بنفوس البشر مما لا يتعارض مع الإيمان ، وربما كان حزنه صلى الله عليه وسلم من قبيل الوفاء ، وهو خليف بأن يفي أكمل الوفاء وأجمله لمن أحسنوا صحبته ، وأيدوا دعوته .

وربما كان مظهر آصرة قلبه ، ونيل عواطفه وقد كان صلى الله عليه وسلم أرق الناس قلباً روى أنه لما مر (بالأبواء) في عمرة الحديبية وكانت أمه مدفونة هناك ، قال : (إن الله أذن لمحمد في زيارة قبر أمه) فأتاه فأصلحه ،

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٩

ولكن الثقة في الله غالبية ، فليس ما يحزننا أشد الحزن هو انها ولا استضعافها ، وإنما هو الخوف أن يكون بالله غضب عليها ، وهو صلى الله عليه وسلم - على يقين - أن الله غير غاضب عليه ، فهو لا يبالي بما يلقاه من الناس مهما اشتدت قسوتهم ، وبلغ عتوهم وجبروتهم .

وكان ما لقيه رسول الله من ثقيف أشد بما لقيه فيما بعد يوم أحد ، فلا غرو أن يغتم الرسول لذلك ، وقد ضاقت به الطائف كما ضاقت به مكة .

أيام وشهور بالغة السوء والقسوة عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ توفي حمه أبو طالب وزوجته خديجة ، ولكن رحمة الله وعافيته أوسع له - كما قال في دعائه - وكأنما أرادت السماء أن تختم هذه الحوازب بتدبير تعود به الدعوة إلى جدتها ، وكأنما أرادت أن تجد البرهان على صدق هذه الدعوة وأن تشرح صدر الرسول ، وتؤكد له أنها ماتخلت عنه فكانت معجزة الإسراء والمعراج ؟

• • • على العمري

الله لم يشرح قلب أحد منهم للإسلام ، وخافوا على أنبائهم أن يستجيبيوا للرسول فطلبوا إليه أن يخرج من بلدهم ، وأغروا به ، سفاءهم ، فلقى منهم الرسول أذى شديدا ، فرجع إلى مكة وهو محزون .

وهو في مقامه بالطائف ، وبعد أن يئس من استجابة القوم له دعا بدعائه المشهور : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين : أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

وأشد ما يبط العناء به هذا الدماء هو الحالة النفسية التي كان يعاني منها الرسول في تلك اللحظات ، فليس أقسى على النفس الكريمة من أن تشعر (بهوانها على الناس) وأنها من (المستضعفين)



موقع الإسراء والمعراج من رسالة النبي ودعوة الإسلام للمؤستاذ انور الجندي

يقع حادث الإسراء والمعراج بين أحداث الدعوة الإسلامية في موقع فريد ، ويأتي في طريق الأحداث المتوالية على نحو واضح الدلالة في إرادة الله باختبار توقيته . فهو طاقة نور وتبشير لنفس النبي الكريم بعد أحداث قاسية مرهقة ، وهو امتحان واختبار للكشف عن معادن المؤمنين ومقدمة لموقف حاسم في طريق الدعوة هو حادث الهجرة ، وهو تكريم لفريضة من أجل فرائض الإسلام وهي الصلاة ، فقد شرعت كل الفرائض بالوحي ينزل إلى النبي أما الصلاة فقد استقدم النبي ليتلقى الأمر بها في موكب له خطر ما للصلاة من مكانة في دعوة الإسلام .

* * *

كانت السنوات الثلاث السابقة لحادث الإسراء والمعراج من أشق السنوات على المسلمين ، تلك هي سنوات حصار المسلمين في شعاب مكة ، بعد عقد صحيفة المقاطعة التي فرضت فيها قريش أن لا تبسح ولا تباع ولا تتعامل مع المسلمين فأجبر النبي مع حفنة من

المسلمين إلى مقاطعة كاملة من أقصى ما فرض على جماعة قليلة من ذوى النفوذ ، وما كادت تلك السنوات أن تمضي ، ويخف هذا الضغط بنقض الصحيفة ، حتى وقع في طام واحد حادثان فاجعان كانا يعسدا الأثر في مجرى الدعوة الإسلامية : هما موت أبي طالب وموت خديجة . ففقد النبي والمسلمون نصيرين من أكبر النعماء .

فقدوا النصير الذي وقف في وقف سادة قريش بطغيانهم وعدوانهم ، وفقد السيدة التي ناصرت الدعوة وأيدت الرسول وملأت قلبه بالأمان وكانت بلسان الجراحه ، وشفاء لما كان يلم به من حين إلى حين من متاعب الجهاد .

ولقد كان الأمر أمره في محيط الدعوة ، فقد أغرى سفهاء قريش بالنبي والمسلمين حتى جروأ أحدهم فألقى التراب على رأس النبي ، فلما دخل النبي إلى بيته ورأته ابنته أخذت تزيله وتبكي فلم يلبث النبي أن قال في إيمان الواثق : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك والله ما نالت مني قريشاً شيئاً أكرمه حتى مات أبو طالب .

قريش إيذاء للنبي والمسلمين ، وأغراها صبره صلى الله عليه وسلم وصموده ، وثباته على المحنة بالاسترسال في إعاناتها وغيرها ، واتجه النبي إلى قبائل العرب في منازلها فألقى كلمته ، وأتى كلباً ، وأتى بني حنيفة وبني عامر ابن صعصعة ، فلم يستمعوا إليه ، ولم يردوه ردأجيلاً ، وطمع بنو عامر في الأمر فأخذوا يفاوضونه فيما يكون مكانهم إذا هو انتصر ، فلما قال لهم : إن الأمر لله يضعه حيث يشاء ، انصرفوا عنه .

فهذه القبائل كلها ، تقف هذا الموقف وهذه قريش تمنع في الأذى وتزداد الأمر كله غاية في الدقة ، ورسول الله يترقب النصرة وتجيء من أى مكان إذن فلا بد من حدث ضخم يملأ نفس النبي بالرضى ويدعم الإيمان ويكشف عن عظمة هذا النبي ومكانته فكان حادث الإسراء والمعراج .

• • •

قالت أم هاني : إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله فلما صلى الصبح وصليتنا معه قال : يا أم هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيتم بهذا الوادي ثم جمعت بيت المقدس فصليت فيه . ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين .

فلما ضاق الرسول بأمر قريش ، خرج إلى الطائف وحده ، يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجد منهم قبولاً ، بل وجد نكراً ، فقد أساءوا إليه وأدموا قدميه من أثر الحجارة التي قذفوه بها ، فلجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فجلس إليه .

هنالك اتجه النبي إلى ربه بقلب المؤمن الوثاق في نصر الله ، وقد تجمعت الأحداث وتعمدت الأمور يقول كلماته تلك الرائعة :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، .

وفي نشوة هذا الدعاء ، وفي ظلال الأحداث عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة . قال له رفيقه زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم مكة وقد أخرجوك ، قال يا زيد : إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه .

ومضى رسول الله في دعوته ، وازدادت

* العروج إلى السموات العلا ، وتجاوز
سدره المنتهى ، حيث تلقى كلمات من ربه
ومن بينها فرضية الصلاة .

وقد كانت هزة الحادث بالغة الأثر في
نفوس المسلمين على السواء ، ثبتت الصادقين
وبثت عناصر القوة في نفوسهم وأعدتها
لموقف حاسم هو موقف الهجرة وبدء المرحلة
الجديدة في بناء الدعوة الإسلامية ، وهي بناء
المجتمع الإسلامي في يثرب ذلك أنه لم تكند
تمضي على حادث الإسراء شهور قليلة حتى
بدأ تباشير الاستجابة من مجتمع يثرب .

يقول : ابن شهاب الزهري أن حادث
الإسراء وقع قبل المبعث بخمسة عشر شهرا ،
وقال ابن إسحق أنه كان قبل الهجرة بثمانية
عشر شهرا . وقيل قبل الهجرة بعام واحد ،
يقول المقرئ : وعورض من قال أنه كان
قبل الهجرة بسنة بأن خديجة صلت معه بلا
خلاف وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ،
والصلاة إنما فرضت ليلة الإسراء وأجيب
بأن صلاة خديجة كانت غير المكتوبة .

واصل رسول الله بعد حادث الإسراء
دعوته وجاء موسم الحج ، فبدأ يلتقى بالقبائل
يحدثهم في أمر الإسلام ، وهم أبو لهب وراعه
يقول للناس : لا تسمعوا إليه ، إنه كذاب
إنه ساحر ، إنه كاهن ، إنه شاعر ، فكان

فقلت له : يا نبي الله لا تحدث به الناس
فيكذبوك ويؤذوك .
قال : والله لأحدثنهموه .

وطار خبر الإسراء والمعراج إلى كل ناد ،
وتحدث به الناس دهشين ، بين مصدق
ومكذب قالوا : إن العير تطرد شهرا من
مسكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، أذهب
محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة .
وذهب الناس إلى أبي بكر يسألونه رأيهم
في هذا الأمر .

قال أبو بكر : والله لئن كان قال لقد
صدق ، إنه ليخبرني الخبر يأتيه من الله من
السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار
فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .
وجاء أبو بكر إلى النبي واستمع إليه يصف
بيت المقدس ، وكان أبو بكر قد جاءه فلما
أتم النبي صفة المسجد قال أبو بكر :
صدق يا رسول الله :

كان حادث الإسراء والمعراج مصدراً
ومقدمة لأمر كثيرة ، ودلالة على نقطة
تحول في تاريخ الدعوة ، فقد أهدى إلى النبي
تكريماً بالغ الأهمية في أمرين لم يسبق إليهما
نبي مرسل :

* الصلاة إماماً بالأنبياء والرسل في بيت
المقدس .

رؤيا منامية ، وليكن أهميته وخطورته وجلاله ، تؤكد أنه كان بالروح والجسد معا وأنه كان من أجل تلقى أخطر فريضة في فرائض الإسلام وهي « الصلاة » .

وإن تكريم الله سبحانه وتعالى لنبيه في رحلتين (الاولى) من مكة إلى بيت المقدس هي « الإسراء » و (الثانية) من بيت المقدس إلى السماء هي « المعراج » ، لتحمل أكثر من دلالة وعبرة ، ولتكشف مع تطور العلم الحديث عن حقائق جديدة ، فإكان عسيراً على الفهم عن طريق العقل في أمر معراج النبي ، يصبح اليوم مع تقدم العلم مقبولا ويسيرا على الفهم والاعتقاد .

هذا كله بالإضافة إلى الدلالات التي تستخلص من عبدة الإسراء والمعراج ، يفرض أن يكون هذا الحادث قد تم للنبي صلى الله عليه وسلم بالروح والجسد معا ؟

أنور الجنري

الالباء إذا استمعوا إليه صدقوه وشهدوا بأنه على الحق لا يحول بينهم قول أبي لهب حتى استمع إليه من يثرب سويد بن الصامت وإياس بن معاذ ، وهما من أول من لقي النبي في موسم الحج ، فلما عادوا أخبروا قومهم ، فأقبل في العام التالي نفر من الخزرج ، فلما استمعوا إلى النبي قالوا : هذا والله هو النبي الذي تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فلما انصرفوا إلى قومهم ، وافوا الموسم عام قاهل وهم اثنا عشر فبايعهم رسول الله بيعة العقبة الاولى ، وبعث معهم أول سفير في الإسلام مصعب بن عمير .

ولقد أثار حادث « الإسراء والمعراج » جدلاً كثيراً حول إسراء النبي ومعراجه ، وهل كان بالروح أم بالجسد ، ولا شك أن هذا الأمر ، لم يكن يحدث ما أحدث في عصر النبي من إنكار المشركين ، لو أنه كان أمر

معجزة الإسراء

للمؤلف عبد الحميد المسعودي

ولقوا من الطغاة العتاة أشد ألوان القهر
والكيد والعناء . فما هتوا لما أصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ،
والله يحب الصابرين .

ما أظلم هذا الإنسان وما أشد ججوده
وعناده وأكثر عتوه وفساده . ما قام نبي
يدعو إلى الله على بصيرة ، ولا نهض مصلح
يبنى أن يغير الأوضاع ويهذب الطباع ويبدل
الناس بالكفر إيماناً وبالسوء إحساناً وبالجور
عدلاً وبالفجور طاعة إلا قام دونه دعاة
السوء وأرباب الفساد ممن طمس الله على
قلوبهم وأعمى بصائرهم وأظلم أبصارهم يناهضون
دهوته ، ويحاربون رسالته ، ويتناولون
بالإبطال والتفنيده شريعته . وما تزال المعركة
قائمة منصوبة ، وتار الحرب ملتهبة مشبوبة
تبذل فيها أقصى طاقات البشر وأعتى قوى
الإنسان حتى تهبط عناية الله ، وتتجلى على
عباده ألطافه ورحمته . فإذا الحق ثابت راسخ
والباطل زاهق زائل (بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) .

والله تعالى يصور لنا ضيق العصاة بالرسول

الأنبياء هم رسل الله إلى عباده بعثهم بالحق
والخير ، وأرسلهم بالطهر والنور والهداية
في هذه الدنيا المائجة بالشروع القاصية بالآثام
والمفاسد والضلال والزور .

هم النور السماوي الذي يشرق على الأرض
فيبديد ظلماتها . ويذهب أحقادها وحماقاتها .
ويعلموها برا وعدلاً ، وسماحة وأمنناً ،
وإخاء ومحبة .

هم الرحمة السامية المقدسة التي تعصم الإنسانية
من الدمار : وتحفظها من التصدع والانحيار .
وتقيها من التردى في السيئات والأوزار ،
وصدق الله جل شأنه إذ يقول لرسوله الكريم
(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

عباد مكرمون . وجند طائعون طاهرون
أرسلهم الله إلى الخلق لإيقادهم من الضلالة ،
وتخليصهم من الجحالة ، وتوجيههم إلى عبادة
الواحد القهار : رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان
الله عزيزاً حكيمًا حملوا رسالة السماء وكابدوا
في سبيلها أقصى ضروب الإيذاء والابتلاء

في وجهه وآذوه وأثتمروا به وأغروا به
سفهاءهم وشذاذهم . وفي خلال هذا الصراع
الدامي والعواصف الهوجاء من إنكار
وحرب . ومدى إمعان في العدو وإيغال
في الجروح وقعت معجزة الإسراء . وهو
انتقال النبي صلوات الله عليه ليلا بقدرة ربه
وسلطان خالقه من مكة إلى بيت المقدس
لتزاد روحه صفاء ونفسه نقاء برؤية الآيات
الكبرى من خلق الله ومظاهر قدرته ...
وهي مسافة لا يقطعها الراكب في أقل
من أربعين ليلة . وفي ذلك يقول رب العزة
(صبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا
حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع
البصير) .

فكان هذا التكريم من رب العزة في هذه
الفترة الحرجة من فترات الدعوة تأييدا لنبيه
وتثبيتا لحبيبه ومصطفاه ولكن المنحرفين مع
هذا كذبوا وجحدوا وكابروا وعاندوا (فلما
جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) .

هذا رسولنا العظيم يسرى به وبه من مكة
إلى بيت المقدس في رحلة سامية مقدسة يرى
فيها من عجائب الخلق وبدائع الصنع ما يرى
وأولئك الضالون المعاندون الذين تمردوا

وكيدهم لهم وإيغالهم في حربهم والتمرد عليهم
بقوله جل شأنه : ولقد أخذنا ميثاق
بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا . كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى أنفسهم فزجوا به كذبوا
وفريقا يقتلون . وحسبوا ألا تكون فتنة
فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا
وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون)
وقوله جل شأنه : أفكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم . ففريقا كذبتم
وفريقا تقتلون .

تلك حال البشرية مع الأنبياء والمرسلين .
وهي حالها مع القادة والمصلحين في كل زمان
ومكان ، لا تزال الطباع الإنسانية تنزع إلى
الشر وتجنح إلى العناء . وما يزال في الدنيا
أخيارا وشرفاء يؤثرون الحق ويعملون له .
والنصر دائما في النهاية للحق وللخير .
(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى
عزيز) .

لقد تجلت قدرة الله تعالى في نصر حبيبه
ومصطفاه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه
عليه ، حين كذبه قومه وناضله أسلحه وعشيرته .
وتماروا بالندى فقالوا أبشرا منا واحدا
تتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر .

فقد دعاهم إلى ما يحبههم وأرشدهم إلى ما يرفع
من أقدارهم ويذكى من إنسانيتهم فوقفوا

يفهم طبيعة الإعجاز إنه قد حدث إسرائا
ولكنه بالروح لا بالجسد . وقال آخرون
إنه رؤيا في المنام . كأنما يلذع نفوسهم
ويعشى عيونهم أن يسلبوا بمخوارق العادات
ويعترفوا بالمعجزات والكرامات الأنبياء
 والمرسلين . وفيهم كان الاعتراض على الرسول
والتكذيب والتفنيذ وتشنيع قریش واستهزاء
المنافقين ؟ أمن أجل رؤيا في المنام ؟ أم من
أجل أن الروح قد سبحت إلى مشاهد ومعالم
بعيدة عن مقر الجسم والموطن الذي يعيش
فيه الإنسان ؟

أهذا يدعو إلى العجب والغرابة وإلى أن
يقولوا إن محمدا يزعم أنه ذهب إلى بيت
المقدس وعاد من ليلته . والمسافة لا يقطعها
الراكب في أقل من أربعين ليلة ؟

إنه لا مناص من التسليم بأن الإسرائا كان
في حال اليقظة وأنه حدث بالروح
والجسم معا .

قال بعض المؤمنين بمن لم يتعمقوا في الفهم
إنه لا غرابة في هذا الإسرائا بعد تقدم العلم
وارتقاء الطيران واستعمال البخار حتى لقد
أصبحت هذه المسافة تقطع في ساعات قليلة .
هذا أيضا ضلال في الفهم وخطأ في الحكم
وانحراف في الرأي من غير قصد وربما
ولا إدراك . فهناك فرق بين اختراع يتوصل
إليه الإنسان بتفكيره واستنباطه . ويمكن

على الحق وتأبوا على الهداية حين يفاجئون
بما يلجم أفواههم ويملك ألبابهم يسألون عن
غيرهم وإبلاهم وماتم فيها وأين هي ومتى تقدم..
والأإنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون .

حين علم هؤلاء الناس بأمر الإسرائا
وما وقع للرسول صلوات الله عليه ليلا دب
فيهم الشك واستحكم لديهم الإنكار فأخذوا
يسألون أسئلة فيها عنيت ومعاندة بما يدل على
سوء النية وخبيت المقصد . سألوا عن تجارتهم
التي كانت قادمة من الشام . عن العير وعدتها
وأحمالها . وهن صفات بيت المقدس ومحترباته
كل ذلك ليجدوا مطعنا يشهرون به ومظبرا
لعجز الرسول عن إجابتهم إلى بعض ما سألوا
فيتخذوا من ذلك ذريعة لتكذيبه فيما أخبر
به . لكن هناية الله أدركت رسوله وردت
عنه كيد الكائدين وعنيت المتعنتين . يقول
(ص) لما كذبتني قریش قتت في الحجر فجلا
الله لي بيت المقدس فطفقت أنظر إليه
وأحدثهم عن آياته .

أنكر الضالون الجاحدون الإسرائا في القديم
وأنكروه في الحديث . وسخروا من ذلك
وتهموا واستهزأوا وتجهموا . ومثل هؤلاء
المعاندین قد لا تجدى لديهم حيلة ولا ينفع
معهم إقناع لأن العناد قد طمس على قلوبهم
وحجبهم عن نور اليقين ... وقال بعض
المحجوبين بمن لم يتذوق أسرار المعجزة ولم

عنه بأسباب مادية تخضع لقوانين عليية
 ومعارف إنسانية ، وأمر يريده الله للإنسان
 لا دخل لعقله فيه ولا لإرادته وتفكيره .
 وهذه المعجزات ليس لها وسائل ولا مقدمات
 ولا أسباب وأدوات مما يدخل في مقدور
 العباد ونطاق حيلتهم . أما المخترعات الإنسانية
 فلا بد أن تبنى على قواعد وقوانين عليية
 توصل إلى ما يراد تكوينه من مخترعات
 وصناعات .
 تلك لمحة من حديث الإسراء . فآين الآن
 أرضه التي جرت عليها أحداثه وتمثلت فيها
 مشاهدته ؟ آين البقاع المقدسة والشرى
 الطيب الطاهر ؟
 أطبقت عليها عصابات فاجرة غادرة وساندها
 حراب الاستعمار لتكون قاعدته وركيزته .
 فآين المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها
 آين فورة الدم وحماسة العقيدة ؟
 آين العزائم التي ترد الأرض المغصوبة
 والبقاع المنهوبة . وتمحى حى الاوطان
 السليبية وتلشر البهجة على الديار الحزينة
 الكشيبية ؟
 إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ؟
 عبد الحميد محمود الملاحوت

قال تعالى :

« والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إنا هو
 إلا وحى يوحى . عليه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى ،

فجاءت القفلة

الملائكة مع لوط على قومه

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(كان يحىء الملائكة إلى لوط تأييداً له وشوفاً على قومه
الفاسقين) .

طاقته التي أمده الله بها ، حينئذ يكون
العون له من الله بشئٍ رباني فوق طاقة البشر ،
ويكون النصر من عند الله على القوم
الظالمين .

وهذا وعده سبحانه في قوله : « حتى استيأس
الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا بضم الكاف ،
جاءهم نصرنا ؛ فنجى من نشاء - بفتح الناء -
وضم النون - ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين ، يرد بأسنا بضم الياء والسين -
وكذلك كان الشأن بالنسبة لرسول الله لوط
عليه السلام .

فقد أسرف قومه في عصيانهم ، واعتادوا
الفعلة الحبيثة التي لم يسبقهم إليها أحد من قبل
وهي المتعة الجفسيمة بالرجال والصبيان ،
وإعراضهم عن النساء ، واستنقذ لوط
في وعظهم كل ما يستطيعه من أساليب التفاهم
وعظاً ، وملاينة وتخويفاً ، وتوبيخاً .

ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ،
وضاق بهم ذرعاً ، وقال هذا يوم مصيب ،
٧٧ - هود .

من سنة الله تعالى مع أنبيائه أن يبلوهم
بالمشاق من الجهود ، وأن يعرضهم للعنت
والكافرين ، وهذا البلاء من تمام الدعوة ،
ومن أمارات الصدق في الرسالة فإن صاحب
الحق يستमित في سبيله ولا ينصرف عنه
في هواده ، بل هو مستهين بكل ما يصادفه ،
مهما تكلف لأجله من تضحيات ، وتلك
خصيصة المجاهدين المحققين .

واقة تعالى لم يكن يختار للرسالة إلا من كان
على هذه الشاكلة ، أو من هو في الذروة
من البطولة والإقدام .

وحينما يشتد البلاء على الرسول ، ويتحمل
ما يقتضيه السكفاح من بلاء ، ويكون أوفى
بما عهد الله إليه من صبر واحتمال ، واستنفد

فإذا لم يجد للترغيب أثراً عندهم أخذوا زكراً منهم
بتقوى الله ، وبالمرءة ، فيقول لهم :
« اتقوا الله ، ولا تخزون في ضيفي » .

ولما لم يجد للترغيب ، ولا للترهيب أثراً
كذلك . أخذ يعنفهم ، ويندد بعقولهم فيقول
« أليس منكم رجل رشيد ، فهذا تأسف
من جانبه ، وتوبيخ لهم ، لأنهم على كثرتهم
لا يوجد فيهم واحد يتعقل . ويرشدهم
إلى ما ينبغي عمله .

بل هم يقابلون جدله بقولهم في صرامة
المعاندة « لقد علمت ، ما لنا في بناتك
من حق ، ولا رغبة » وإنك لتعلم ما نريد ،
أى ما لا نحمد عنه مع ضيوفكم الحاضرين .
وهكذا تجد المقتون بباطله ، لا يلوى
على نصيحة ولا يكثر بناصح ، وكلما زدته
إرشاداً ، يجابهك بعناده ، ويتخيل أنك أنت
السفيه ، وأنه هو الحليم الرشيد .

وأخيراً أخذ لوط يواسى نفسه بلوعة
المتحسر لعجزه عن المقاومة ، ويود لو كانت
له وسيلة تجديه في هذا الموقف البغيض فيقول
« لو أن لى بكم قوة . . أو ، آوى إلى ركن
شديد ، ليت لى قوة بدنية أضعكم بها ، أو قوة
عددية تناصرنى عليكم . . أو ليت لى مكاناً
حصيناً آوى إليه ، واستكن فيه مع ضيوفى .

وحينئذ كان الفرج المقدور هندا لله .
حيث سمع لوط مناجاة الملائكة له ، إذ

وأخيراً بعث الله ملائكته لتنفيذ ما سبق
به القضاء عليهم « إنا مهلكوا أهل هذه القرية
إن أهلها كانوا ظالمين » ، « وإنهم آتاهم عذاب
غير مردود » .

وحينما وصل الملائكة إلى لوط في قريته
- سدوم - ظنهم ضيوفاً وافدين عليه .
ووجدهم رجالاً حسان الأشكال ، في بهجة
غير معهودة في الناس .

وهنا أصبح لوط في ثورة ذهنية عارمة .
فهو حريص على إكرام ضيوفه ، وهو
في اضطراب الحواطر لما يخشاه على الضيوف
من ضلال قومه . . ولذلك لم يكن في بهجة
بضيوفه ، بل حسب ما يحسبه من هموم
تلاحقه ، ومقاومة لا يرقضها عن طيب
خاطر إلا بمقدار ما يؤديه من حق الرسالة
عليه . . ورد في مفاجأته لنفسه - هذا يوم
عصيب - !! .

وما كان ضيوفه يستقرون في بيته حتى توافد
عليه الأشرار من كل حذب ، وما تخلف
من هؤلاء السفلة إلا من كان في غيبة
عن الديار .

ثم أخذوا يناوئونه في اقتحام داره ،
وهو يصرفهم بحيله ومحاولاته ، ويرغبهم
في الزواج بالبنات من ذريته ومن ذرية
أتباعه المؤمنين .

ويقول لهم : « هؤلاء بناتى هن أظهر لكم ،
فتزوجوا منهن بشريعة الله » .

خرج لوط في ليلته ، ولم تخرج امرأته معهم ، لأنها كانت كافرة به . أو هي خرجت معهم ، ولكنها تلفتت إلى الرواء ، حين سمعت ما سمعت من أهوال السباء فأصابها ما أصاب القوم من بلاء الهلاك .

كان ذلك العذاب في صباح الليلة .. وإنما يختار الله للإهلاك وقت الصباح ، لأنه خير وقت للاستقرار ، وأطيب ساعات النوم ، ويقال : إن لوطاً لما سمع من الملائكة أن الله سيهلك الكفار صباحاً كان يود أسرع من ذلك فيقول له الملائكة : « أليس الصبح ب قريب » ثم كيف كان العذاب ؟ جواب ذلك في قوله - سبحانه - « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ، منضود ، مسومة عند ربك » .

أمر الله ملائكته أن يرفعوا مباني سدوم وما يليها من القرى الظالمة حيث كانت على أفق رفيع ثم أسقطوها على عكس وضعها فكانت أرضها أعلاها ، ومشارفها أسفلها ، وذهب القوم جميعاً في تلك الصعقة كأنهم الهباء ، أو دون الهباء ، وهذه طامة أشنع أتت على القوم في صباح كانوا يأمنونه . بل كانوا متواعدين على الحضور فيه مع من كانوا بالأمس في غيبة عن الديار ، ليتعاونوا على الإثم والعدوان وليشاروا لأنفسهم في العمى الذي أصابهم بالأمس .

أنفصحوا له عن حقيقةهم ، وبشروه بانتصارهم له الآن .

« قالوا : يا لوط .. إنا رسل ربك .. لن يصلوا إليك » .

فانظر مقدار ما يكون من حسن التقاؤل عند لوط بعد أن غشيه من الكرب ما غشيه جاءه النصر بعد أن استيأس ، وبدأت تنفجر أزمته بعد أن استحكمت حلقاتها . وذلك هو وعد الله تعالى لرسله ، وللمؤمنين المجاهدين .

وعندئذ كان القوم في هجماتهم على الباب ، وهي آخر محاولة منهم لاقترامه على الضيوف . فأمره الملائكة أن يتنحى هو ، ويخلى بينهم وبين الدار ، وظن القوم أنهم تمكنوا ، فكانت الطامة الأولى أن جبريل - عليه السلام - ارتفع وضر بهم بأجنحته على وجوههم فعميت أبصار الحاضرين منهم جميعاً .

وهذه المعجزة التي شهدوها في أنفسهم تأييداً من الله لرسوله لوط ، وهي قول الله : « ولقد راودوه عن ضيفه ، فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ، ونذر » .

وكان من مفاجأة الملائكة للوط عليهم جميعاً السلام ، أن يخرج من القرية ليلاً مع المؤمنين به « فأسر بأهله بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد ، إلا امرأتك ، إنه مصيبها ما أصابهم ، إن موعدهم الصبح » .

يهددون به لوطا إذا نصحبهم . فأخرجهم الله
من دنيائهم بالمهانة التي تسكون للعاهر المسخوط
إذا حافت به جريمتهم بين الناس .

أما لوط عليه السلام ، فقد نجاه الله مع
المؤمنين به ، فأنجينا أهله إلا امرأته ،
كانت من الغابرين - الهاالكين - ، وأمطرنا
عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
ونجينا - لوطا - من القرية التي كانت تعمل
الخبائث ، لهم كانوا قوم سوء فاسقين ،
وأدخلناهم في رحمتنا إنه كان من الصالحين .
وهكذا كان القصص عن بنات لوط مثار
العبرة في أولئك المعرضين عن الزواج
بالباطرات من بنات جنسهم ، والمنهاتين
على الشهوات الجنسية في غير ما أحل الله .
وإن الزهادة التي كانت عند قوم لوط وكانت
السبب الأكبر في تدمير بلادهم على رؤوسهم
لهي الزهادة الفاشية في بعض البيئات
من المعاصرين .

وهذا هو التزهد يعتبر خلا في حياة المجتمع
ولا إذا بانتكاس النظام الذي تستقيم عليه
الحياة المستقرة .

ولإذا كان الزواج رابطة بين الجنسين ،
وجعا بين كل اثنين ، وقد جعل الله له سبيلا
ميسورة فإذا يبعدنا عن هذا الاندماج : إلى
التحلل منه بغير ما هو ملائم للطرة الإنسانية .
ذلك الرجم - لا شك - من عمل الشيطان ،

وقد يؤتى الإنسان الحذر من مأمته ،
فيصيبه الشر ، ويحذر به البلاء . في ساعة
كان يظنها خيرا ونجاحا له ، أو من مكان
كان يتوسم فيه الأمان ، أو من أعوان كان
يتخذهم دروعا يتوق بهم البلاء فيكونون هم
سبب البلاء .

ثم كان بعد التدمير لهذه القرى مطر شديد
لم تعهده الدنيا من قبل ، إذ لم يكن ماء
من صحاب بل كان حجارة ليست من تراب
الأرض ، وهي حجارة مطبوخة كأها مسواة
على النار ثم هي معلة بعلامات تميز
بين أنواعها وتميز بين فلان وفلان فكل
أمرئ منهم ما يخصه باسمه ... وهي منضودة
يعنى متتابعة لا تخف ولا تنقطع كما يحدث
في قطرات المطر من الماء وكل ذلك لمزيد
التنكيل بهؤلاء المجرمين ، ولا يعتبر هذا
كثيرا عليهم ، فإنها جريمتهم القذرة ، التي
استباحوها طويلا . . . فاستحقوا جزاء
وفاتا ، وكانت شوما يحقد بهم في أحسن
أوقاتهم ولقد صبحهم بكرة ، عذاب مستقر ،
البنيان فذوقوا عذابا ونذر .

ولعل حكمة الله في نزول المطر عليهم
بتلك البقاع .

أولا : أن يستأصل من كان بعيدا عن
البنيان في فلاته ، أو مزرعته .

ثانيا : أن يحقق فيهم الرجم الذي كانوا

عنصر الصدق في المعاهدة النبوية الأولى

للدكتور محمد مهيب البيهقي

ما يجب أن تبرأ منه سيرة نبي طاهر كان التكلف أبغض الأشياء إليه ، إنما ندعو إلى أن نعلم النظر في جميع الظواهر التاريخية التي نمر بها في سيرة الرسول ، وهنا يكون مجال التحليل الصادق الذي يكشف عن الغائب ويشير إلى المستور .

ولنضرب المثل على ذلك بما سنخوض فيه من حديث المعاهدة النبوية الأولى وهي التي عرفت في التاريخ النبوي ببيعة العقبة الثانية ، وبمقتضاها تمت الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة ، لدى الذين تبوءوا الدار والإيمان من الأنصار إذ يحبون من هاجر إليهم ،

من يدرس سيرة محمد صلى الله عليه وسلم يرى أن كل موقف من مواقفه عليه السلام ، يصلح وحده أن يكون دليلاً صادقاً على نبوته ، إذ كانت جميع أعماله الرائعة تحمل صدقها الصريح ، وتنادي ببراءتها من الزيف والافتعال ، ومهما كتب الكاتبون في القديم والحديث من مؤلفات تحليلية لسيرة النبوية المطهرة ، فإنها لا تزال محتاجة إلى كتب أخرى تضيء بعض الجوانب الخافية - وما أكثرها - في حياة محمد ، لذلك كان من المستحب أن يخص الكتاب مواقف السيرة بتحليل جديد يضيف الطريف إلى التليد ، ولسنا ندعو إلى الافتعال في التعليل والتحليل فهذا

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

العشرين .
« ولما لا ندري ، أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم وشدا ، .
اللهم أغشنا بغوثك من هذه النكسة ، وأعنا بحولك على العائشين بالآخلاق وأهدنا ، وانصر العرب على أولئك المفسدين أجمعين ؟

عبد اللطيف البكي

والشيطان لا يوحى بخير ، ولا يتخلف عن مجلبة الشر ، لأنه للإنسان عدو مبين .
ولقد أصبح الجرم الذي هدم على قوم لوط ديارهم جرماً مستساغاً في بلاد أوربية متحضرة حتى بلغ من الشذوذ عندهم أن جعلوه مشروعاً كشرعية الوجبة بالانثى وكأن الزمن قد استدار بنا إلى الوراء ، فقوم لوط بالأمس يتمثلون اليوم في حياة المتحضرين بالقرن

أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي ،
ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور
وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح
عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي
غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العقبى حق
ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، .

هذا الابتهاال الحار الدامع ، يصور أعنف
ما يعتلج في نفسه السكرية من شجون ! وقد
لجأ إلى ربه إذ لا يجد أقرب إليه من ذى
الجلال والإكرام ، وكأنى به صلى الله عليه
وسلم وقد شعر ببرد الراحة حين نقض همومه
المترامة في كليات موجزة رفعها إلى السماء
فرفعت عنه ما استطاعت أن ترفه ، وأخذ الأمل
يتجدد في خاطره دانيا قريباً إذ أسلم قلبه إلى
الله وهو مؤمن ! ولم يكن يأسه من ثقيف
بمانعه أن يتابع الدعوة في القبائل المختلفة فأخذ
يعرض دينه في المواسم الحاشدة بمكة ، بل
إنه جاوزها إلى كندة وكلب في خيامهم
النازحة فما وجد من سميع فواصل الدعوة
في بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة ، فلم
يتقدم خطوة واحدة إلى الأمل ، والمسلمون
على حالهم بمكة فله مضطهدون يعذب الأرقاء
ويموت بعضهم تحت العذاب ، ويحارب
الأحرار في وسائل الرزق من تجارة وصيد
حتى تفاقم الأمر ! وطافت الحوالمك الغاشية
بمطارح العيون حتى ما تجد قبساً من الضياء

ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ،
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة !
كانت ليالى حوالمك ، تلك التي أخذ فيها
محمد صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه هلى
القبائل داعياً إلى دين الله ، وقد فقد عمه
أب طالب وزوجته خديجة ، وتجرأ المشركون
على تسفيهه ، حتى ترصده بعض الرعاع ،
فدفع بالتراب على رأسه الشريف ، ودخل
رسول الله محزوناً إلى بيته ، فبسكت فاطمة
لمرآه ، فأخذ يصبر بنته الباكية ، معمرضاً
لأزمات الآباء التي تصطرع في نفوسهم لدى
بكاء الأبناء ، وبخاصة إذا كان البكاء لضعف
الأب وقلة حيلته ! وقد خرج إلى الطائف
وحيداً لا صديق معه ! وكأنه أراد أن يكتف
الأمر ما استطاع كيلا يشمت به المشركين
إذا رجع دون إجابة ، خرج إلى الطائف
يدعو ثقيفاً إلى دين الله ملتصقاً بالمنعة
والاحتماء ، ولكنهم كانوا كمشركى مكة صم
القلوب عمى العيون لم يسمعوا نداء الحق ولم
يروا نور الإيمان فجبهوه وسفوهه ، وأغروا
به وعاءهم يتعقبونه هازئين ساخرين ، ففر إلى
بستان بعيد يحتمى بجداره وقد رفع يده إلى
السماء ليقول : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة
حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين
أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من
تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته

وسيفسح لمن يريد أن يقتصر بهم على أعدائه في أحلام الملك والرئاسة حين تتم له الكلمة ليجد من ذلك وسيلة نفسية إلى الإذعان المصمم ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم يجتمع بمن استجابوا إليه ليلة العقبة الثانية وهم أمه الأواحد بعد أن تألفت عليه شتى القبائل ، يجتمع بهم في هذه الليلة الحاسمة ليبرم معهم معاهدة التناصر والاحتواء ، يجتمع إليهم فلا يقول لهم ستكونون أصحاب الأمر والنهي في القبائل إذا تم النصر ! ولا يقول لهم ستكونوا وزراء وأرباب القوة التنفيذية في المعسكر الإسلامى ، بل يصدقهم القول فيعلن أنه رسول الله ، وأن جزاءهم أخروى لا دنيوى .

والقوم بعد حديثو عهد بالكلام عن الآخرة ، لم يعلموا هنا في عصر الشرك ما يجعلها منابر رغبة ، وموضع ارتقاب ! ولكنهم يستمعون لمحمد إذ يتحدث عن جنتها ونارها فيصدقون ! ثم يعقدون المعاهدة الخطيرة بريئة من الاحتيال ، ساطعة واضحة تنطق بنصوحها السافرة بأمانة رسول الله ، ولعل من الأنسب أن نلم هنا ببعض حديثها التاريخى معتبرين .

في الليلة الثانية عشر من ذى الحجة جعل فريق من أهل المدينة يقبلون تحت ستار الليل في حذر شديد إلى العقبة ، لم يجيئوا

إلا ما يبرق من نور الإيمان ! ثم أذن الله بأن يشرق شعاع من يثرب يكون طليعة لجزء صادق للدعوة المحمدية !

فكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية مبرغ هذا الفجر الباسم ، أتيح بها نصر الله لنبيه تصديقا لقوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء » .

وسننظر الآن في المعاهدة النبوية الأولى التى تمت في بيعة العقبة الثانية ، بعد خطوب حالكة ألغنا إلى بعضها بإيجاز مقتضب لئرى ما تكشف عنه من يقين صاحب الدعوة وبرائه من التحايل ، وكسب القلوب بالوعد والمهرية ، ، إذ أن هذه المعانى النفسية وحدها من أدلة الصدق الحقيقى الذى يعتنقه محمد صلى الله عليه وسلم عن ثقة وإيمان ! إننا لنأمل في واقع أمره عند إبرام هذه المعاهدة فنجد مضطهدا محاربا بمكة وقد رد فيا حولها من القبائل قريبة أو بعيدة أعنف رد ، ثم ينظر فيجد الكثرة الكاثرة من حوله يستهزئون به ويقعدون له كل مرصد ، والقلة القليلة من معه يتساقطون جوعا وضعفا ، وقد بعدت عليهم شقة النصر .

هذه الظروف الخائفة إذا اعترضت زهيا غير صادق ، فإنه لا محالة سيضطرب إلى تأليف القلوب بالوعد الخادعة والأمانى الخالصة ،

العباسي وحده ! ليعلم الميثريون أن بني هاشم مسلمهم ومشركهم على رأي واحد في وجوب نصرته عليه السلام ، وأن وفاة أبي طالب لم تفرق الكلمة الهاشمية .

فلئن شذ أبو لب فها هو غير فرد واحد تغلبت عليه أمراته فأبردت حمية الدم في عروقه أما بنو هاشم فرئيسهم العباس بن عبد المطلب ينطق بلسانهم ، ويعلن رأيهم الصريح إذ يؤكد أن محمدا صلى الله عليه وسلم في منعته من بلده وعزة من قومه ، وليكرر ذلك مرتين ليعلم السامعون أن القول فصل وما هو بالهزل ، هذا ما رآه في اختيار العباس بالذات ، وقد ألقى كلمته الموجزة الحاسمة ، وترك المجال لرسول الله ليتلو القرآن ويقرر مبادئ الإسلام ، ويقول في صراحة : أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأموالكم .

فنهض البراء بن معرور وكان سيد قومه ، أسلم بعد العقبة الأولى ورجع إلى يثرب مبشرا بدين الإسلام ، حتى إذا استدار العام قدم مع القوم ليأخذ مكانه في البيعة الثانية رئيسا يهض بالعبء عن دراية ، ويهتف بالحق عن إخلاص نهض البراء بن معرور ليقول في لهجة قاطعة : والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أنفسنا ، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب ، وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر ،

جماعات جماعات ، ولكن فرادى فرادى كيلا يعلموا أحدا بما سيدبرونه من أمر ، حتى إذا اكتملوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين جلسوا يرمقون الطريق بأبصار قلقنة تنتظر قادماً ذا خطر ، ولم تمض لحظات حتى كشف الليل عن طائفتين يشقان ستار الظلام في طريقهما إلى العقبة ! هما : محمد رسول الله وعمه العباس .

تلاقت الوجوه وتصاصت الأكف ، وتعارف المجتسعون ثم نهض عم رسول الله ليقول : يا معشر الأوس والخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ، وهو الآن في هز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللبق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكموه إليه ، وما ذوه من خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ، فمن الآن فدهوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

هذا ما قال العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على الشرك ، لم ينضم إلى قافلة الإسلام كأخيه حمزة ! وقد يعجب بعض المتسرعين حين يرى عما مشركا يأخذ العهد لابن أخيه ، وكان في حمزة العم المسلم كفاء وغناء ، وقد نسي أن بعد نظر الرسول قد هداه إلى اختيار

يا رسول الله إن نحن وفينا ، فتكون الإجابة النبوية في لفظة واحدة هي الجنة ، فيصيح الجميع أبسط يدك نبايعك أو مدوا إليه أيديهم فبايعوه ، ولما فرغوا من ذلك قال لهم رسول الله : اخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم ، فاختر القوم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فقال النبي لهؤلاء النقباء : أتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي .

فقالوا جميعا : بايعنا على السمع والطاعة في أمرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ، ثم تفرق القوم كما جاءوا فرادى قبل أن تنزع أضواء الفجر .

هذه قصة المعاهدة النبوية الأولى كاردتها كتب التاريخ ونحن نلم بها الآن ، لننتخذ منها وحدها الدليل على صدق محمد وإخلاصه ، ولنتقارن بينه وبين من يضعون المعاهدات السياسية ، مرتكبة إلى حقوق ذاتية تكون أجرا حاديا مكافئا للتعاون والتناهر ، فتفسح مجال الإغراء بما تبسط من وعود ، وتزلف من أحلام ، وإن كلا الفريقين ليرتقب الخير العاجل لنفسه سائرا إليه على بساط من التوبة والتضليل ، أما محمد فلا يعد بشيء دنيوى ولا يتحمل حقوقا خاصة لفريق

وفي مثل هذه المواقف الحاسمة لا بد أن تكون الصراحة المطلقة ديدن المجتمع وأداة التفاهم السافر ، البرى من الشك والالتباس وبهذه الصراحة الكاشفة اعترض أبو الهيثم ابن التيهان وقال في جلاء : يا رسول الله إن بيننا وبين اليهود جبالا وإنما قاطعوها ؛ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهر الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله وقال : بل اللهم الدم ، والهدم الهدم ، أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسلم من سلمتم .

ثم نهض القوم للبايعة فاعترضهم العباس ابن عبادة الأنصارى قائلا : .

يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا نعم ؟ قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا انهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتل أسلمتوه فن الآن ، فهو واقع خزي الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتكموه إليه على نهك الأموال ، وقتل الأشراف تخفوه فهو والله خير الدنيا والآخرة ثم سكك العباس ابن عبادة الأنصارى متطلعا في الوجوه فاستمع إلى من يقولون في صوت واحد نبايعه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . وقطع صوت آخر يسأل : فالنا بذلك

الإسلام في مصاولة الحرب النفسية

للواء الركن ، محمود شيت خطاب

(١)

الحرب هي القتال الناشب بين دولتين لا يقوى على المقاومة ويضطر إلى قبول أو أكثر للحصول على مقاصد سياسية شروط المنتصر .
بقوة السلاح .
وتحطيم الجيش ، يشمل تحطيم قوته المادية
وبتعبير آخر ، هي كل كفاح ينشب بين
القوات المسلحة لدولتين أو أكثر ، إذا
توفرت لدى إحدها أو ليهما جميعاً إرادة
إنهاء ما يقوم بينهما من علاقات سلبية .
وإرادة القتال ، هي الرغبة الأكيدة
في خوض الحرب من أجل مثل العليا
وأهداف سامية ، وتحمل أعباء الحرب
بذلا للأموال وتضحية بالأنفس واستهانة
الجيش المعادى تحطيماً كاملاً ، بحيث
والهدف الأصلي من الحرب ، هو تحطيم

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

خاص ! وهنا يشع جوهره الصادق كاشفاً
عن منبع اليقين في ذات نفسه ، ولو كان
- حاشاله - إنساناً وصولياً ، لا تهز الفرصة
السانحة مع أهل المدينة بعد أن جافاه القريب
والبعيد ولا تمتد ببساط الآمال مع حلفائه
إلى حد يجعلهم وخدم أصحاب حق أ كيد
في السيطرة والرياسة تلتزمه المعاهدة
وتقوم عليه المبايعات ! ولكنك قبل كل شيء
رسول الإنسانية الصادق ، وصاحب الخلق
العظيم ، وقد نهض برسالة تقوم على المساواة
العادلة ! ومن مبادئها الرفيعة ألا يخص
بالجاه النافذ فريقاً دون فريق ، لأن الأرض لله
يورها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ؟
و . محمد رجب البيومي

لكل فرد من أفراد المسلمين عامة ولكل عربي خاصة في هذه الظروف التي يجتازها المسلمون والعرب بعد الذي حدث في حرب حزيران ١٩٦٧ .

ولكن لا بد أن نركز على الحرب النفسية لمعرفة معناها وأهدافها ووسائلها .

الحرب النفسية مصطلح عسكري حديث يرادف تعابير : حرب الدعاية ، وحرب الآراء ، وحرب الأعصاب ، وحرب الإعلام ، والحرب الباردة ، والحرب العقائدية ، والحرب السياسية .

ويراد بالحرب النفسية ، تغيير عقول أفراد الشعب وإرادتهم ، لتوضيح إلى عقول العدو وإرادته .

ويتم هذا التغيير باستخدام علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية .

والحرب النفسية تهدف إلى :

(أ) التشكيك بالافكار والمعتقدات :

(ب) زعزعة الإيمان بالنصر وإشاعة الهزيمة .

(ج) تأجيح الاحقاد باستفارة الطائفية والتفرقة القومية والعقائدية .

(د) إثارة الكراهية بين الشعب وحكومته .

بالاضرار والعقبات وصعباً على البأساء والضراء ، حتى يتم تحقيق تلك الاهداف السامية والمثل العليا ، مهما طال الامد وبعد الشوط وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

والحرب النفسية ، هي الجهود السلبية والايجابية التي يبذلها العدو في أيام الحرب والسلام لتحطيم المعنويات .

والمعنويات ، هي القوى الكامنة في صلب الإنسان ، التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به .

وهذا التعريف يشمل الشعب كله لا الجيش وحده .

وإذا أردنا إيضاح هذا التعريف وتبسيطه فيمكن القول ، بأن الفرد في الشعب ، يجب أن يكون شجاعاً لا يخب ، قوياً لا يضعف عزيزاً لا يهون ، صامداً لا يتراجع ، صابراً لا ينهار ، متفائلاً لا يقنط ، مستعداً للتضحية بماله وروحه من أجل مثله العليا .

وما يقال عن الفرد في الشعب ، يقال عن الشعب كله ...

— ٢ —

تلك هي تعاريف موجزة لمصطلحات عسكرية شائعة ، أصبح تفهمها ضرورياً

إن تعاون القيادة والعسكريين في إحباط محاولات العدو الدخائية في الميدان هو الكفيل الوحيد للوقاية من شرورها الوبيطة .

وقد استعان الحلفاء والمحور في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) بأساليب الحرب النفسية في الميدان ، فنجح الحلفاء في التأثير على معنويات الإيطاليين مما أدى إلى استسلامهم بأعداد ضخمة للحلفاء ، ولم ينجحوا في التأثير على معنويات الألمان واليابانيين .

أنشأ — مثلاً — الروس محطة إذاعة يعمل فيها قسم من الأسرى الألمان ، وكانت هذه الإذاعة توجه أحاديثها إلى القوات المسلحة الألمانية ، تشككهم في الحكم النازي وتدعوهم إلى الثورة بهنلر وحكمه .

وكان المشير ألفون رونشتد قائداً عاماً في الجبهة الغربية ، وكان يعتمد بالعسكرية البروسية ويؤمن بتفانيها ، وكان ولاؤه السكامل لمهنته العسكرية بعيداً عن التباينات السياسية التي كان لا يستمتع بها أبداً .

وفي يوم من الأيام سمع الإذاعة الألمانية الصادرة عن روسيا ، فقال قولته المشهورة على مسمع من هيئة أركان حربه : « يستثمر العدو الخيانة ، ولكن لا يشرف الخونة » . ولكن الإيطاليين ، كانوا يقبلون على سماع

(هـ) محاولة كسب العناصر المحايدة والمترددة .

(و) التخويف من الموت والفقر والمجهول .

(ز) بث الذعر وإطلاق الإشاعات .

(ح) المبالغة في قوة العدو وإظهار قوته بمظهر القوة التي لا تقهر .

— ٣ —

فما هي وسائل الحرب النفسية التي تحقق بها أهدافها ؟

يستعين العدو في الحرب بنشرات الاستسلام التي يوزعها بالطائرات على القوات المقاتلة في الميدان وفي الصفوف الخلفية وعلى القواعد المتقدمة والامامية والرئيسية .

ويستعين العدو في الحرب بمكبرات الصوت ، وبالإذاعة أيضاً ، للبحث على الاستسلام .

والقيادة الحصيفة المسيطرة ، هي التي تمنع العسكريين من التقاط منشورات العدو والإصغاء إلى مكبرات صوته وإذاعته .

ولكن منع القيادة العسكرية هذا وحده قد لا يكفي ، فلا بد من أن يقتنع العسكريون بأخطار التقاط منشورات العدو والإصغاء إلى أقواله ، خاصة حين تكون الحرب مشتعلة الأوار .

مشيدة ^(١) ، وقال تعالى : « قل لو كنتم في ييوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » ^(٢) .

إن المؤمن حقاً ، يعتقد اعتقاداً راسخاً ، أن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما أصدق قولة خالد بن الوليد رضي الله عنه حين حضرته الوفاة : « شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أورمية ، ثم ها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلانامت أعين الجبناء » ^(٣) .

والمؤمن حقاً لا يخاف الفقر ، لأنه يعتقد اعتقاداً جازماً ، بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » ^(٤) ، وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ^(٥) ،

الإذاعات المعادية ، ويذيعون فيما بينهم أخبارها ، ويصدقونها في كثير من الأحيان ! وفي أيام السلام ، يستعين العدو لتحقيق أهداف الحرب النفسية بنشرات الاستسلام والمنشورات الصحفية ومكبرات الصوت والأفلام السينمائية والمعارض والمصصقات والصور وبالإذاعات وبث الإشاعات وبالنخبين والجواسيس وبالوعيد والوعد وإشاعة الذعر والخوف والتشكيك .

— ٤ —

فكيف يصاول الإسلام الحرب النفسية ؟ لعل أهم أهداف الحرب النفسية هي : التخويف من الموت والفقر ومن القوة المضاربة المنتصر ، ومحاولة جعل النصر حاسماً والذهوة إلى الاستسلام ، وبث الإشاعات والأراجيف . والتشكيك بالمعتقدات ، وإشاعة اليأس والقنوط :

المؤمن حقاً لا يخشى الموت : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ^(١) . وقال تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ^(٢) ، وقال تعالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم في بروج »

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧٨) :

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٤) :

(٣) أنظر أسد الغابة (٢/٩٥) - طهران - ١٣٧٧هـ وانظر الاستيعاب (٢/٤٣٠) القاهرة .

(٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٢) .

(٥) الآية الكريمة من سورة الطلاق (٢ : ٦٥) .

(١) الآية الكريمة من سورة الأعراف (٧ : ٣٤) ومن سورة النحل (١٦ : ٦١) .

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٥) .

أن الانتصار في معركة قد يدوم ساعة ،
ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة : د إن
يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ،
وتلك الايام نداؤها بين الناس ، (١) .

والمؤمن حقاً لا يستسلم بعد هزيمته ، لأنه
يعلم بأن بعد العسر يسرا ، وأن بعد الهزيمة
نصر : د والله العزة والرسولة وللمؤمنين ،
ولكن المنافقين لا يعلمون (٢) ، وقال تعالى :
د ولا يحزنك قولهم : إن العزة لله جميعاً ، هو
السميع العليم (٣) ، وقال تعالى : د أم حسبكم
أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء
وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه : متى نصر الله ، ألا إن نصر الله
قريب (٤) .

والمؤمن حقاً ، لا يصدق الإشاعات
والأراجيف : د يا أيها الذين آمنوا ، إن

وقال تعالى : د فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم
من الطيبات لعلكم تشكرون (١) ، وقال
تعالى : د وأنفقوا مما رزقناكم من قبل
أن يأتي أحدكم الموت ، (٢) .

والمؤمن حقاً لا يخشى قوات العدو الضاربة
فما انتصر المسلمون في أيام الرسول القائد
عليه أفضل الصلاة والسلام وفي أيام الفتح
الإسلامي العظيم ، بعدد أو عدد ؛ بل كان
انتصارهم انتصار عقيدة لا مرأ . قال تعالى :
د قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ، كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله
مع الصابرين (٣) ، وقال تعالى : د يا أيها النبي
حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم
عشرون صابرون يغلّبوا مائتين ، وإن يكن
منكم مائة يغلّبوا ألفاً من الذين كفروا
بأنهم قوم لا يفقهون (٤) .

والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه
ما دام في حماية عقيدته ، لذلك فهو يعرف

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران
(٣ : ١٤٠) .

(٢) الآية الكريمة من سورة المنافقون
(٨ : ٦٣) .

(٣) الآية الكريمة من سورة يونس
(١٠ : ٦٥) .

(٤) الآية الكريمة من سورة البقرة
(٢ : ٢١٤) .

(١) الآية الكريمة من سور: الانفال
(٨ : ٢٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة المنافقون
(١٠ : ٦٣) .

(٣) الآية الكريمة من سورة البقرة
(٢ : ٢٤٩) .

(٤) الآية الكريمة من سورة الانفال
(٨ : ٦٥) .

دين^(١) ، ، وقال تعالى : « أفغير دين الله
يبلغون ؟ »^(٢) ، ، وقال تعالى : « هو الذي
أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره
على الدين كله ، ولو كره المشركون »^(٣) ١ ،

والمؤمن حقاً ، لا يقنط أبداً ، ولا ييأس
من نصر الله ورحمته : « لا تقنطوا من
رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً »^(٤) ، ،
وقال تعالى : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا
الضالون »^(٥) ، ، وقال تعالى : « وإن تصبهم
سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون »^(٦) ،

جاءكم فاسق نبأ فتبينوا^(١) ، ، وقال تعالى :
« لئن لم يكن المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجعون في المدينة لنگرينك بهم ، ثم
لا يجاورونك فيها إلا قليلاً »^(٢) ، وقال تعالى
« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف
أذاعوا به ، ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى
الأمر منهم ، لعلهم الذين يستنبطونه
منهم »^(٣) .

والمؤمن حقاً يقاوم الاستعمار الفكري
ويصاوم الغزو الحضارى الذى يناقض دينه
وعقيدته ومقومات حضارته ، لأن له من تعاليم
دينه وتراث حضارته ، ما يصونه من تيارات
المبادئ الوافدة التى تذيب شخصيته وتمحو
آثاره من الوجود : « إن الدين عند الله
الإسلام »^(٤) ، ، وقال تعالى : « لكم دينكم ولي

(١) الآية الكريمة من سورة الكافرون
(١٠٩ : ٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران
(٨٣ : ٢) .

(٣) الآية الكريمة من سورة التوبة
(٣٣ : ٩) .

(٤) الآية الكريمة من سورة الزمر
(٥٣ : ٣٩) .

(٥) الآية الكريمة من سورة الحجر
(٥٦ : ١٥) .

(٦) الآية الكريمة من سورة الروم
(٣٦ : ٣٠) .

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات
(٤٩ : ٦٠) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الاحزاب
(٣٣ : ٦٠) .

(٣) الآية الكريمة من سورة النساء
(٨٣ : ٤) .

(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران
(١٩ : ٣) .

وأشهد أننى لم أقرأ ، حتى فى كتب التعبية^(١) وكتب سوق^(٢) الجيش الفغية الصادرة فى النصف الثانى من القرن العشرين . أوضح تعبيراً وأدق تعريفاً وأكثر شمولاً وأوجز عبارة ، مما جاء فى القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة ، تعريفاً لهتدف الإسلام فى مصاولة الحرب النفسية ، ولإرادة القال وللعنويات العالمية أيضاً .

تلك هى عظمة الإسلام ، حتى فى مجالات مصاولة الحرب النفسية ، ولكن ياليت قولى يعلمون !!!

محمود شبت خطاب

(١) التعبية : التكتيك (Tactics) .

(٢) السوق : الاستراتيجية (Strategy)

وقال تعالى : د وإن مسه الشر فيشوس قنوط^(١) .

إن المؤمن الحق ، هو الذى يحرص على الموت ، فى كل الظروف والأحوال ، دفاعاً عن عقيدته ومبادئه وترائه ، وشرف أمته حرص غيره على الحياة ؛ د الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم^(٢) .

(١) الآية الكريمة من سورة فصلت

(٤١ : ٤٩) .

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران

(٣ : ١٧٣ ، ١٧٤) .

قال تعالى :

د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون .

انتشار الإسلام

فَجِيلَان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٣ —

الخاص بطبيعة أولئك الذين وجهت إليهم الدعوة الإسلامية في إقليم جيلان .

بخصوص هذا الافتراض فإننا نقول : إنه لا توجد طبيعة بشرية سوية لا تقتنع بالدين الاسلامي وتتقبله عن صدق وإيمان . إن الاسلام هو دين الفطرة والعقل ، وهاتان الخاصتان تجعلانه مقبولا لدى كافة الطبائع البشرية السوية على اختلاف المستويات ، وليست لدينا أدنى إشارة توحى بأن مواطني جيلان كانوا بمجموعة من الشواذ ، حتى نجد مندوحة للقول بأن شذوذهم هذا قد حال بينهم وبين الاستجابة لجهود الدعاة الإسلاميين .

كما أنه من المستحسن عند هذه النقطة أن أنقول : إن عدم الاستجابة لدعوة الاسلام لا يعنى بالضرورة أن أولئك الذين وجهت إليهم الدعوة لم يقتنعوا بصوابها ، وليس أدل على هذه الحقيقة من أن الكثيرين من الذين قادوا حركات المقاومة ضد الدعوة الإسلامية كانوا مقتنعين في قرارة أنفسهم بالاسلام كعقيدة سليمة ودين قويم ، ولكن منعتهم من الانقياد لما يعتقدونه عوامل

أدت بنا الدراسة إلى تساؤل طرح نفسه في نهاية المقالة السابقة ، هذا التساؤل يدور حول حقيقة السر في أن الجهود التي بذلت لنشر الإسلام في المنطقة لم تقابل بالاستجابة المرجوة ؛ فهل يوجد هذا السر في طبيعة الدين الإسلامي أم أنه متصل بطبيعة أولئك الذين وجهت إليهم الدعوة الإسلامية ؟ وهذه محاولة ، تعتمد على الاجتهاد مع الاستعانة بالإشارات التاريخية للإجابة عن هذا التساؤل .

إن السر بعيد كل البعد عن طبيعة الدين الإسلامي ، إذ أن الواقع التاريخي ينطق بأن طبيعة هذا الدين البسيطة السمحة كثيراً ما حملت أقواما — رغم اختلاف مشاربهم وابتعاد منابهم — على اعتناقه دون جهد دعائي أو معاناة في الاقناع ، فالدين الإسلامي بطبيعته تقبل عليه العقول وتتقبله ، وذلك يعود في المرتبة الأولى إلى اتفاق تعاليمه ومبادئه مع الطبائع البشرية السوية ، ولذا فما يوصف به الدين الاسلامي بحق أنه دين الفطرة .

وحيث إن هذا الاحتمال قد سقط ، فلنحاول إذن النظر في الافتراض الآخر وهو

أن النظام القبلي ، بما تسوده من عصبية ، كان هو الاطار العام الذى يحدد أبعاد العلاقات فى المنطقة .

هذا هو الجانب الخارجى أو الظاهرى للعلاقات الاجتماعية ، ولنا أن نتخيل فى ضوء ما سبق مدى ما كانت تحكم به هذه العلاقات من تمزق وانقسام ، ولا يفوتنا فى التحليل الاجتماعى لمواطنى المنطقة أن نشهد إلى العلاقات الداخلية لهذه الطوائف والجماعات ، وهذه العلاقات بدورها كانت على قدر كبير من التمزق والانقسام وانهايار الاخلاق . وان نجد فى هذه المناسبة أفضل من الاستعانة بما قاله أحمد زعماء الجيل موجهها حديثه للعلويين : « أيها الأشراف ، إنكم وردتم بلادنا هذه ونحن جهال نتسافك دمانا ، ونقطع أرحامنا ، ونتصارع ونتعادى ، ولا نعرف عن محرم ، ولا نتورع من مأم ، .. »

هذا التحليل للعناصر المكونة للجمتمع فى المنطقة يصل بنا إلى القول بأنه لم يكن موجوداً أمام الدعاة قالب اجتماعى متقارب وقد نشأ عن هذا الاختلاف صعوبة المهمة التى أخذ المهتاة أنفسهم بالعمل من أجلها ؛ فإلى أى الفئات يوجهون جهودهم ، وما هى الجوانب التى تستأهل الأولوية فى التركيز ، وكيف يبشرون بالمبادئ الاجتماعية التى نادى بها الاسلام ؟؟ .. الخ .

آخر بعيدة كل البعد عن الطبائع البشرية السليمة .

لنا بعد تنفيذ هذين الافتراضين أن نتلمس الحقيقة من خلال مظنة أخرى ، ولنحاول فى هذه المرة أن نتلمسها فى طبيعة التركيب الاجتماعى الذى كان سائداً آنذاك فى المنطقة إن دراسة هذا التركيب لإبان تلك الفترة تكشف لنا عن الجانب الأكبر فى هذه الحقيقة ، فقد كان المجتمع الديلبى ، وكذلك الجلبى ، محكوماً بأوضاع طبقية جائرة ، كانت هذه الاوضاع تعطى الجاه والثروة لعدد من الفيوخ (السكذخداية) وتضع كل العبء على الجماهير . هذا الوضع الاجتماعى الجائر كان يعكس بدوره صورة أخرى من صور العلاقات الاجتماعية فى المنطقة ، ونعنى بها انقسام مواطنى جيلان إلى طبقتين : قلة تحكم وتتحكم ، وعلى رأس هذه القلة الأسرة الجسناية المالكة التى وجدت فى استمرار هذه الطبقية خير ضمان لاستمرار امتيازاتها وبجانب هذه القلة كانت توجد الأغلبية وهى الجماهير التى لم يكن لها أن تملك من أمر نفسها إلا القليل .

يضاف إلى هذا الانقسام الاجتماعى ماسبق أن عرفناه من توزيع مواطنى المنطقة بين عدد من العقائد ، وتكاد تكتمل أمام أنظارنا ملامح الصورة الاجتماعية إذا ما عرفنا

ابن زيد مع وهسودان بن جستان ، ومحمد ابن زيد مع جستان بن وهسودان ، ولما لم يجد كل منهم لدى معاصره التمسح لما دعا إليه اكتفى منه بموقف التأييد والمعاوضة وليس لنا أن نتوقع من هؤلاء العلويين أن يهتموا على زعماء الديلم ضرورة اعتناق الإسلام ، إذ أنهم لو أصروا على مثل هذا الموقف لسكانت مغامرة مقدرا لها الفشل والإخفاق .

كان يحيى مطاردا من العباسيين ، وكان أول شيء يتطلبه هو أن يجد في المنطقة حماية وأمانا وكان جستان هو أقدر من يوفر للزعيم العلوى ما يريد . وقد حدث بالفعل أن استعجاب جستان لما طلبه الزعيم العلوى فنهجه حق اللجوء السياسى ، وليس لنا أن نتوقع من يحيى وهو فى مثل هذا الظرف الحرج أن يثير الجماهير ضد جستان . وذلك بالتركيز على العلاقة بين الحاكم والمحكوم من وجهة النظر الإسلامية أو برفع شعار الإصلاح الاجتماعى الذى رسم حدوده الإسلام ، وهذا يعنى أن يحيى اكتفى بدور الداعية إلى الإسلام ، ولم يعمل على ، أو لم تهيم له الظروف ، أن ينعوا منحنى المصلحين الاجتماعيين ، أى أنه لم ينجح فى ربط جماهير الديلم بنفسه وجدانيا ، وخاصة أن الفترة التى مكثها بينهم لم تستوعب لقصرها من نشاطه الكثير ، ومن ثم فإنه

ولا يعترض على هذا الاستنتاج بأن الدعوة الإسلامية قد واجهت فى كل المناطق التى اتجهت إليها صورا متعددة من التناقضات التطبيقية ، كما أنها جابهت فى انتشارها الكثير من الأمراض الاجتماعية ، ولكن هذه الأمراض وتلك التناقضات لم تقف حجر عثرة أمام نجاح الدعوة الإسلامية ، بل لا نكون مباهين إذا قلنا : إن نجاح الدعوة الإسلامية يقاس بمقدار تغلبها على مثل هذه التناقضات ، وبالمدى الذى تحققت فيه استئصالها لما فى المجتمعات من أدواء .

هذه حقيقة لا غبار عليها ، ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار ظرفا موضوعيا آخر يتصل بالدعاة الذين مارسوا نشاطهم فى المنطقة موضوع الدراسة ، وقد هيا هذا الظرف للتناقضات والأمراض الاجتماعية دورها الفعال فى تعويق الدعوة الإسلامية والوقوف بها دون النجاح المأمول ، هذا الظرف هو ما نعرفه من أن الدعاة - باستثناء عمر بن العلاء - كانوا علويين ، وهذه الصفة جعلتهم فى نظر الدولة العباسية خارجين عليها ، وقد دفع هذا الوضع الدعاة إلى اختيار الجانب الأقوى الذى يستطيع توفير الحماية لهم والوقوف بجانبهم ضد المخططات العباسية .

دعا يحيى بن عبد الله جستان الديلمى إلى اعتناق الإسلام ، وكذلك فعل كل من الحسن

الأمر الذي يحمل في طياته إمكانية إلحاق الضرر بالدعاة أنفسهم ، وقد نتج عن هذا الاتجاه تجرد الدعوة الإسلامية أمام الديالمة من المضمون الاجتماعي الذي كان من الواجب أن يحتل المسكاة الأولى نظراً للظروف التي كانت ترزح تحت وطأتها الجماهير .

هذا المسلك في الأسلوب هو الذي جمد الكثير من فاعلية الدعوة والدعاة ، حيث إنه لم يقدم العقيدة الإسلامية في صورتها الاجتماعية التي يستحوذ بها على اهتمام الجماهير ، وليس للدارس في ظروف كهذه أن يتوقع للدعوة الإسلامية نجاحاً أكثر من الذي تحقق لها فعلاً إذ أن العقيدة المتوارثة تقف على رأس المقدمات لدى الإنسان ، ولهذا لا يغير المرء ديانته مجرد التغيير ، بل لابد لذلك من اعتقاد سابق بأن التغيير خير لحاضره وتأمين لمستقبله ، فإذا لم ينجح الداعي في إبراز هذا الجانب بالقدر الكافي فليس له أن يتوقع لجهوده الكثير من النجاح .

وهكذا يستطيع الدارس أن يستشف أهم العوامل التي قللت من فاعليات النشاط الدعائي الذي بذل من أجل نشر الدين الإسلامي في المنطقة على امتداد أكثر من قرن من الزمان ، وهذه العوامل تدور حول الظروف الاجتماعية المعقدة التي كانت سائدة في المنطقة

يبدو للدارس أن دعوة يحيى لم تقابل بما كان يرجى لها من تأثير وإقناع .

واجه كل من الحسن بن زيد وأخيه محمد ظروفًا قريبة من تلك التي واجهها من قبل سلفهما يحيى بن عبد الله ، وذلك أن كلاهما كان في حاجة ماسة إلى قوة حربية يستطيع بها مواجهة تحدى العباسيين وأنصارهم ، وكان الديالمة ، وعلى رأسهم رجال الأسرة الجستانية المالكة يشكلون العنصر الرئيس في هذه القوة الأمر الذي حتم على الزعيمين العلويين أن يغضوا الطرف عما كان يغص به المجتمع الديلي من تناقضات وأدواء ، أي أن دعوتهما افتقدت عنصر الإنارة الذي كان ضرورياً لجذب اهتمام الجماهير إلى هذا الدين الجديد ، ومن ثم كانت الاستجابة لجهودهما محدودة الآماد .

هذه المواقف المتشابهة التي التزم بها كل من الزعماء العلويين في دعوتهم مواطى المنطقة لاعتناق الدين الإسلامي تضع أيدينا على العامل الثاني الذي عرقل نجاح الدعوة الإسلامية هناك ، ونعني به أسلوب الدعاة . فإنه نظراً للظروف الخاصة التي واجهت هؤلاء الدعاة كان على كل منهم أن يختار في دعوته بين جماعة وأخرى ، وأضحت مهمة الاختيار صعبة ، إذ ربما أدت إلى إغضاب هذه الجماعة أو تلك

إحساسه بأن الفشل الذي منى به يعود أساساً إلى أنه قد قاد جنود الالدين أغلبهم بالعقيدة الإسلامية ، فلو أنه نجح في أن يحوّلهم إلى الدين الإسلامي لاستطاع في هذه الحالة أن يحقق هدفه بنجاح ، إذن فليبدأ بتوجيه كل طاقته إلى نشر الإسلام في المنطقة وقد قضى الناصر في مهمته هذه أكثر من عشر سنوات تعتبر أروع سنوات عمره وأغناها بالنتائج الإيجابية .

تصور المصادر التاريخية الناصر في صورة الرائد الأول الذي نشر الإسلام بين الديالمة هذا مع أن الدراسة التي بهن أيدينا قد أسفرت عن إبراز الكثير من الجهود التي سبقته في هذا المضمار ، ووضحت مقدار ما حققته هذه الجهود من نجاح ، ولنا أن نقف وقفة قصيرة لدى أقوال بعض المؤرخين عن هذه القضية .

يقول المسعودي عن الناصر (مروج الذهب ٢٨ ٥١١) : « وقد كان أقام في الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ، ومنهم جاهلية ، وكذلك الجليل ، فدعاهم إلى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا ... وبني في الديلم مساجد » .

ويقول ابن أبي الحديد عنه : « وهو الذي أسلمت الديلم على يده » ، ويقول عنه صاحب الحقائق الوردية (٢٨ ٢٩) : « فاستقر الإسلام ببركته في تلك الديار ، وطمست

وما ترتب عليها من أسلوب خاص التزم به الدعاة في نشاطهم ، وستبدو لنا هذه الحقيقة أكثر وضوحاً حينما نتناول الجهود التي قام بها الناصر الكبير في نشر الدين الإسلامي بين الديالمة ، هذه الجهود التي قدر لها أن تحقق أهدافها كاملة ، محدثة في المنطقة أخطر تحول شاهده على امتداد تاريخها القديم والحديث .

الناصر الكبير ، وهو الحسن بن علي ابن الحسن من حفدة الحسين بن علي ، من أبرز الرجال العلويين الذين وفدوا إلى طبرستان مع تأسيس الدولة العلوية بها في سنة ٢٥٠ هـ ، ومنذ ذلك التاريخ جعل الناصر لإقليم طبرستان مركزه الرئيسي ، ومنه قام بعدة رحلات إلى الأقاليم المجاورة حيث مارس نشاطه في سبيل القضية العلوية ، كان الناصر مع محمد بن زيد في المعركة التي هزم فيها الأخير والتي آذنت بسقوط الدولة العلوية في المنطقة ، وذلك في شوال سنة ٢٨٧ هـ تركزت جهود العباسيين وأنصارهم بعد سقوط الدولة العلوية على تعقب الناصر ومطاردته ، بيد أنه نجح في الإفلات من هذه المخططات المعادية له ووضع الناصر نصب عينيه العمل على إعادة الدولة العلوية ، فذهب إلى بلاد الديلم ، ومنها قاد عدة حملات عسكرية تهدف إلى استعادة طبرستان ، ولكنه فشل ، ومن ثم اتجه إلى العمل بأسلوب جديد . كانت نقطة التحول في تفكير الناصر هو

رسوم الكفر والضلال ، وينقل صاحب الحدائق عن الناصر نفسه أنه قال : « إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر ، ولا يعرفون خالقا ولا يدينون ديناً ، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف في العطف بهم حتى دخلوا فيه لإرسالا وأقبلوا إلى إقبالاً .

إذا أخذنا هذه النصوص بمنطوقها الحرفي فلنا أن نقول إنها تجزم بأن المنطقة التي كان يقطن بها الديلم لم تكن تعرف الإسلام قبل الناصر ، وأنه لذلك قد زاول نشاطه الدعائي في حقن بكرة تماماً ، هذا الذي يمكن فهمه صراحة من النصوص السابقة يقنا في مع النتائج التي أسفرت عنها الدراسة السابقة التي اهتمت بدورها على مصادر أصيلة وموثقة ، والتي عرفنا منها أن مسجداً قد بني في المنطقة حوالى سنة ١٧٥ هـ ، أي قبل مجيء الناصر إلى المنطقة بأكثر من مائة عام .

مهما يكن الأمر ، فمن المستطاع التوفيق بين منطوق هذه النصوص والنتائج التي أسلمتنا إليها الدراسة على أساس أنه نظراً للأعداد الهائلة التي اعتنقت الإسلام بفضل جهود الناصر ، والتي ظهرت بجانها نتائج الجهود السابقة ضئيلة للغاية ، فقد اهتم هؤلاء المؤرخون بالناصر واعتبروه الناشر الإسلام بين الديلم ، وهذا لا ينفي بالضرورة النتائج التي تمخضت عنها جهود السابقين .

ولكن كيف حقق الناصر مثل هذا النجاح الكبير ، وكيف تغلب على العقبات التي واجهت إسلامه ؟ موعداً مع هذه النقاط وغيرها في المقالة التالية التي نواصل بها مانحن بصدد من انتشار الإسلام في جيلان .

د . عامر غنيم أبو سهيم

يقول تعالى :

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ،

(الفتح الآية : ٢٨)

التراث الإسلامي

في الحضارة الغربية

للدكتور محمد مختار القضاة

في الطب

- ٢ -

أما منهجه في الطب فكان يقوم على التجربة ، ثم هو بعد ذلك يحاول دوس الحالات المختلفة التي يجد فيها أثراً للعلاج الناجح . وعنى ابن سينا في كتاب القانون بطرق الوقاية من الأمراض والوسائل الصحية العامة والحفاضة وطرق العلاج بالحقن الشرجية ، وبالحجامة والسكي والاستحمام والتدليك ، وبالتنفس العميق والصباح من حين إلى حين لتقوية الرئتين والصدر والهاة . وفي الكتاب الثاني ملخص لما عرفه اليونان والعرب من النباتات الطبية . ويبحث الكتاب الثالث في بعض الأمراض وطبائعيها كالتهاب البلورة والديلة (أى الاميبيا وهو تجمع الحديد في جوف البلورة) والنزلات المعوية والأمراض التناسلية وفساد الشهوة والأمراض العصبية بما فيها الحب . ويبحث الكتاب الرابع في الحيات والجراحة وأدهان التجميل والعناية بالشعر والجلد . وقد تكلم في الكتاب الخامس عن العقاقير الطبية مفصلاً طريقة طبخ سبعمائة وستين نوعاً من العقاقير .

في مقال مضى ذكرت طرفاً مما قدمه العرب لعالم العصور الوسطى وعصر النهضة من أسس بذيت عليها مكتشفات الطب الحديث ومخترعاته ، ووقفت عند بعض أطباء المسلمين والآن أستأنف الحديث نفسه بادئاً بابن سينا الطبيب الفيلسوف المعروف بالرئيس ابن سينا . ولست أتعرض لتاريخ الرجل في هذا المقام وإنما أتعرض لمؤلفاته العلمية وأثرها في العالم الأوربي في العصر الذي يسمونه هناك عصر النهضة .

ألف ابن سينا كتاب « القانون في الطب » وكان دستور الطب الغربي إلى القرن السابع عشر (١) ، وظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في البندقية سنة ١٤٨٤ ، ولم ينقطع العلماء عن شرح مؤلفاته حتى القرن الثامن عشر . وأن جامعة « مونبلييه » لم تنقطع عن شرح كتبه إلا في أوائل القرن التاسع عشر (٢) .

(١) دائرة المعارف الإسلامية العربية .

(٢) لوبون ص ٤٩٠ .

صحيح في الديكي والانخلع^(١). وتظهر براعته في وصف الأمراض، ويعرف بتحليلاته في الورم الحزى والالتهاب التامورى والشلل المعوى والشلل البلعوى^(٢). وقام الدكتور بارافاكي Paravaci بمساعدة طبيب يهودى يدعى يعقوب بترجمة الكتاب إلى اللاتينية سنة ١٢٨١ م نقلا عن ترجمة عبرية، وذلك ليستفيد من الكتاب دندولو Dandolo دوق البندقية^(٣) وطبع بها سنة ١٤٩٠ ثم أعيد طبعه مراراً بعد ذلك.

ومن الكتب الطبية الإسلامية التي استفاد منها الأفرنج في نهضتهم الأخيرة كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، لأبى القاسم الزهراوى ويمتاز عن سواه بالقسم الجراحى الذى ترجم إلى اللاتينية سنة ١٤٥٣، كما ترجم إليها مرات غيرها، وطبعت ترجمته الأولى في سنة ١٤٩٧ م، وأحسن ترجمة له طبعت في بال سنة ١٥٤١.

وقد نشر القسم الجراحى من كتاب الزهراوى Channing في اكسفورد في القرن الثامن عشر ونشرت صور الآلات الجراحية كما رسمها الزهراوى.

وعلى الجملة فالكتاب قاموس في الطب، جمع فيه صاحبه خلاصة ما وصل إليه اليونان والكلدان والهنود والفرس والعرب، ونقد طرق الطب والعلاج عند هؤلاء وأضاف إليها من تجاربه الكثير.

وفي لأحة جامعة لوفان الصادرة في سنة ١٦١٧م ما يقنعنا بأن هذه الجامعة قد اتخذت من كتب الرازى وابن سينا أساساً للدراسات الطبية.

أما اليونان فلم يذكر عنهم في هذه الأحة إلا حكم أبقرط المأثورة وأوليات الطب لجالينوس^(١).

ولأنك لتجد في كلية الطب بجامعة باريس صورة الرازى إلى جانب صورة ابن سينا الطبيب الفيلسوف، واستفاد الإفرنج أيضاً من كتاب التيسير في المداواة والتدبير لعبد الملك بن زهر. ألفه لابن رشد الفيلسوف في أواسط القرن السادس للهجرة وكان ابن زهر مجرباً مصلحاً موثقاً لعلم المداواة. قال إن في البدن قوة كامنة ناظمة للأعضاء كافية وحدها للشفاء من الأمراض على العموم وجمع ابن زهر دراسة الجراحة والطب والصيدلة معاً.

وتشتمل مباحثه في الجراحة على بيان

(١) لوبون ص ٤٩٢.

(٢) ول دورانت في قصة الحضارة ص ٣٣.

(٣) خودا بخش ص ١٨٢.

(١) لوبون ص ٥٢٧.

(٢) لوبون ص ٤٩٢.

الزهر اوى إلى مرتبة أبقرط وجالينوس .
وقد ترجمه إلى اللاتينية جيراردو الكريمنى
(كريمونا فى إيطاليا) تحت عنوان
Alsaharavius أو Açaravius ونقله
إلى العبرية دشم طب، ونشرت الترجمة اللاتينية
على مراحل فى سنة ١٤٧١ طبع منها كتاب
الخادمين Liber Servitoris وموضوعه
تحضير الأدوية المفردة . وفى سنة ١٥١٩
طبع كتاب النظر والعمل Liber Theoretical
et Practical ثم طبع الجزء الثلاثون
باسم « الجراحة » Chirurgia وهو أهم جزء
فى الكتاب وطبع ككتاب جراحى فى الطب
فهو يحوى وسوم الآلات الجراحية ، وقد
جعل من الجراحة علماً قائماً بذاته مستقلاً
عن فروعه الأخرى ، وأقامها على أساس
تشريعى . وبذلك يكون قد وضع أسس
الجراحة فى العصر الحديث .

وقد ألحق الجراح الفرنسى جى دى شولياك
(١٣٠٠ - ١٣٦٨ م) النسخة اللاتينية
بأحد مؤلفاته (١) .

واكتشف ابن النفيس الذى عاش فى دمشق
فى منتصف القرن الثامن الهجرى الدورة

وأحدث طبعة للكتاب كانت سنة ١٨٦١ م
وأبو القاسم الزهر اوى المتوفى سنة ١١٠٧ م
هو أشهر جراحى العرب ، وتخيل أبو القاسم
كثيراً من آلات الجراحة ورسمها فى كتبه ،
ووصف أبو القاسم عملية سحق الحصى فى المثانة
على الخصوص فعدت من اختراعات العصر
الحاضر على غير حق .

ولم يعرف أبو القاسم فى أوربه إلا فى القرن
الخامس عشر ، وذاع صيته فيها ، قال العالم
الفزيولوجى الكبير هالر : « كانت كتب أبى
القاسم المصدر العام الذى استقى منه جميع
من ظهروا من الجراحين بعد القرن الرابع عشر (١) »
وأشهر مؤلفاته « التصريف لمن عجز عن
التأليف » وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب :
الباب الاول فى مسائل السكى والباب الثانى
فى العمليات التى تحتاج إلى الموضع وفى جراحة
الاسنان والعيون والفتق والولادة وسحق
الحصى فى المثانة ، والباب الثالث فى السكسر
والانخلاع ، وعلى ما فى هذا الكتاب
من ضعف فى التقسيم نرى ما فيه من المعارف
العلمية دقيقاً جداً .

ويمتد كتاب « التصريف لمن عجز عن
التأليف » موسوعة طبية جامعة ارتفع بها

(١) جوستاف لوبون فى حضارة الإسلام

الدموية، وإن كان بعض الغربيين ^(١) يفسهها إلى وليم هارفى ^(٢).

وقد أثبت العلماء الغربيون أنفسهم أن أطباء الإسلام هم أول من استعمل الكاويات فى الجراحة وأول من وجه النظر إلى شكل الاظافر فى المصدورين ، وكشفوا علاج اليرقان والهواء الأصفر ، وعالجوا الجنون بمقادير كبيرة من الأفيون ، وقطعوا النزيف بصب الماء البارد ، وأعادوا السكتف المخلوع بالطريقة المعروفة فى الجراحة الآن برد المقاومة المفاجئ ، ووصفوا لإبرة الماء الأزرق وهو قدح العين ^(٣) ، وأشاروا إلى حماية تفتيت الحصاة ^(٤).

وأطباء الإسلام هم أول من استعمل المرقد (البنج) فى الطب ^(٥). يقال إنهم استخدموا له

وتنطوى وصايا مدرسة ساليرم على نصائح فى علم الصحة ، ولا أحد يجهل أن هذه المدرسة التى عدت أول مدرسة فى أوروبا زمنا طويلا ، مدينة للعرب بشهرتها ، ذلك أن النورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا فى أواسط القرن الحادى من الميلاد ، أحاطوا مدرسة الطب التى أنشأها العرب بما أحاطوا به المعاهد الإسلامية من الاعتناء الكبير ، وأن قسطنطين الإفريقى ، الذى كان من عرب قرطاجة ، عين رئيسا لها ، وأنه ترجم أهم كتب العرب الطبية إلى اللغة اللاتينية ، فانتظمت من هذه الكتب وصايا مدرسة ساليرم التى ظلت سبب شهرتها الفاتكة زمنا غير قصير ^(٦).

هذه هى حال العرب فى الطب فى العصور الوسطى أحب أن أختتمه بحال أوروبا فى العهد نفسه من الناحية الطبية ، قاصا على انقارىء نصا من كتاب الاعتبار لإسامة بن مقفد . قال معرفا بالصليبيين ^(٧) (ومن عجيب طبهم أن صاحب المنيطرة كتب إلى عمى يطلب منه إنقاذ طبيب يداوى مرضى

(١) لمحة عن تاريخ الطب لبلال كسلاندستين ص ٣٨ و ٣٩ - ترجمة الدكتور أحمد زكى الحكيم ضمن مجموعة الألف كتاب .

(٢) عملية استخراج الكتراك من العين بالإبرة وقد برع فيها أبو القاسم الزهرائى .

(٣) Wuestenfeld Coschichte der Arabischen Aerzte und Natur - Farschur. Gottingen. 1840.
Lucien Leclerc, Histoire de la Médecine Arabe.

(٤) ابن خلسكان ج ١ ص ٣١٢ .

(١) لوبون ص ٤٩٣ .

(٢) ص ٩٩ .

حضارة اليمين في عهد دولة سبأ

للدكتور محمد علي حيدر

ذكر القرآن الكريم دولة سبأ حينما تعرض لتصدع سد مأرب فقال تعالى :
 « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل . . . »
 فما هذه الدولة؟ وكيف نشأت وتطورت وما أهم ملامح الحضارية ؟؟
 لقد كان قيام هذه الدولة يعود إلى تلك الهجرات القبلية التي انثالت على بلاد اليمن وتمركزت بجوار دولة كانت آيلة السقوط وهي « الدولة الميعينية » وبعد أن أحست هذه القبائل بالقوة وأنها قادرة على إحداث نوع من التغيير في السلطات الحاكمة أغارت على هذه الدولة وأسقطتها إلى الأبد وأقامت « دولة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

من أصحابه ، فأرسل إليه طبيباً نصرانياً يقال له ثابت فسا غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا له : ما أسرع ما داويت المرضى ! قال : أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة وامرأة قد لحقها نشاف فعملت للفارس ليبيخة ففتحت الدملة وصلحت وحميت المرأة ورطب مزاجها فجاءهم طبيب أفرنجي فقال لهم : هذا ما يعرف شيئاً يداويهم .

وقال للفارس : أيهما أحب إليك : تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟ قال : أعيش برجل واحدة ، قال أحضروا لي فارساً قويا وفارساً قاطعاً فحضر الفارس والفأس وأنا حاضر لحط ساقه على قدمه خشب وقال للفارس :
 اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها فضربه وأنا أراه ضربة واحدة ما انقطعت فضربه ضربة ثانية فسال مسخ الساق وماه من ساعته وأبصر المرأة فقال هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها : احلقوا شعرها فحلقوه وعادت تأكل من ماكلهم الثوم والخردل فزاد بها النشاف فقال : الشيطان قد دخل في رأسها فأخذ موسى وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فأتت في وقتها فقلت لهم : بقي لكم إلى حاجة؟ قالوا : لا . فجئت وقد تعلمت من ألبهم ما لم أكن أعرفه ؟
 • مختار القاضي

كانت تشمل مورداً هاماً من موارد الدولة فع أن هذه البلاد لم تكن بها أنهار إلا أن الجبال المنتشرة في كثير من أرجائها كانت تصد الرياح الموسمية مما نجم عنه نزول الامطار التي جعلت الأرض تجود بالمحاصيل الزراعية التي من أهمها : البن والفاكهة والقمح والتوابل .

واحتسرت الين التجارة بين الشرق والغرب فكانت المنتجات الهندية تنقل إلى ساحل عمان ، ومنها كانت تنقل عن طريق البر إلى البحر الأحمر حيث يقوم الينيون بنقلها في المراكب إلى مصر فيعتبرها المصريون بأثمان مرتفعة . وكانت صعوبة الملاحة في البحر الأحمر تجعل طريق البر مفضلاً في نقل التجارة صوب الشمال فكانت القوافل التجارية تبدأ سيرها من حضرموت وتوجه إلى مأرب - عاصمة سبأ - ومنها إلى مكة فالبصرة ثم إلى ساحل غزة على البحر الأبيض المتوسط .

وظلت التجارة تمثل عصب الحياة الاقتصادية لليمن إلى أن تحولت التجارة الهندية من الطريق البري إلى الطريق البحري على أيدي المصريين في عهد البطالسة فقد قام البطالسة بمشروعات تجارية تهدف إلى الأخذ بنصيب كبير من التجارة الشرقية ومن أهم المشروعات التي قاموا بها في هذا الصدد تعبيد الطريق

سبأ ، التي كانت من أطول الدول التي تعاقبت على الين إذ استمر حكمها حوالي تسعة قرون (١٠٠٠ - ١١٥٠ ق م) .

وقد تمتعت بلاد الين بالوحدة الإقليمية في ظل هذه الدولة فلم تكن هناك حدود فاصلة بين شمال الين وجنوبه مثل تلك الحدود المصطنعة التي نسج خيوطها الاستعمار في العصر الحديث وامتدت حدود الين على طول تلك الجهة الممتدة على طول المحيط الهندي جنوباً ، كما كان يحدها الحجاز من ناحية الشمال والبحر الأحمر من جهة الغرب . وكانت أهم الأقاليم : حضرموت ، وعلان ، ونجران .. ومن أشهر المدن : صنعاء التي تعد من أقدم المدن في العالم وسرواح إلى الشرق من صنعاء ومأرب التي اقترن اسمها بالسد المشهور في التاريخ .

ولم يسكن الشعب في تلك الفترة يحيا حياة بدائية لم يتعرف فيها على آثار التقدم الاقتصادي والاجتماعي ولكنه أسهم بنصيب غير قليل في هذا المضمار إذ اشتغل السكان بالزراعة والتجارة حتى أطلق المؤرخون على بلاد الين في تلك الحقبة لقب (الين السعيدة أو الين الحضراء) وهذا التعبير إن دل على شيء فإنما يشهد إلى الماضي الحضاري الذي عاشته هذه البلاد .

فقد اعتمد الاقتصاد اليني على الزراعة التي

بين قنا والقصير وإعادة شق القناة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر فصارت السفن تأتي من الشرق رأساً إلى مصر دون حاجة إلى وساطة اليمن وترتب على ذلك أن انتقل ما كان بأيدي اليمنيين إلى المصريين الذين أسهموا في ضرب الاحتكار التجاري لليمن وتدميره .

ونجى من ذلك أن قلت إيرادات دولة سبأ ولم تعد تحتفظ بمشآتها الهامة ومناسد مأرب الذي أهمل وانتهى به الأمر إلى التصدع والانحيار ، وكان تصدع هذا السد الذي أقيم لأغراض اقتصادية (١١٥ ق م) مؤذناً بانحيار اقتصاد دولة سبأ ، فهاجر كثير من السكان إلى الشمال بعد أن تغيرت بهم الأحوال وبدلوا بجنقيهم جنتين ذواتى دأكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل .

وكانت العلاقات المياسية بين دولة سبأ والدول المعاصرة تقوم على الصداقة والاحترام وأقدم إشارة تاريخية إلى هذا ترجع إلى تلك النقوش التي عثر عليها والتي تشير إلى أحداث وقعت فيما بين (٧٤٥ - ٦٨٥ ق م) ومن مراجعة هذه النصوص تبدو ووابط الصداقة والود بين حكام دولة سبأ ، وأباطرة آشور .

ومن أشهر ملوك سبأ بصفة عامة ملكة سبأ التي ورد ذكرها في التوراة والقرآن

الكريم فقد ورد في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول في الآيات (١ - ٤) أن ملكة سبأ سمعت بخبر سليمان فأنتت أورشليم (القدس) في موكب عظيم واختبرت سليمان ببعض الأمور فأخبرها بكل كلامها ولما رأت حكمته والبيت الذي بناه وطعام مائدته وجلس هيده ... آمنت بآله سليمان ، وعادت إلى بلادها بعد أن أبصرت أضعاف ما سمعت .

أما القرآن الكريم فيحكي تفاصيل زيارة هذه الملكة إلى سليمان ويتحدث عن أسبابها ونتائجها في الآيات (١٩ - ٤٤) من سورة النمل وخلصتها : أن سليمان عليه السلام تفقد الطير فلم يعثر على الهدهد الذي كان من الغائبين ، ولم يمض زمن طويل حتى حضر الهدهد وذكر له أنه جاءه من سبأ نبأ يقين ، وقال لسليمان : دإنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم من السبيل فهم لا يهتدون .

ولما علم سليمان بأخبار هذه الدولة التي تسيطر عليها امرأة قال : د سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، ثم بعث بكتاب إلى هذه الملكة يدعوها للإسلام والطاعة ، فجمعت أولى الأمر في الدولة واستشارتهم قائلة : د أفترن في أمرى ما كنت قاطعة

ومن تدبرنا الآيات التي حكمت زيارة ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام نستخلص الدروس والعبر الآتية :

(أ) كانت بلاد اليمن في عهد دولة سبأ على جانب كبير من الغنى والثراء فقد وصف القرآن الكريم عرش الملكة بأنه « عرش عظيم » ولكن هذه الدولة لم تستطع الصمود أمام قوة سليمان وملكه .

(ب) ولم يعلم سليمان شيئا عن أحوال هذه الدولة التي كانت تعبد الشمس من دون الله إلى أن جاءه المهدد فأخبره بها بدليل أنه قال له : « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » وهنا صمى على أن يدعوها للإسلام

(ج) أما الحكم في هذه الدولة فكان يقوم على أساس الشورى فكان نظاما دستوريا أقرب إلى الديمقراطية منه إلى الدكتاتورية إذ لم تخضع الدولة لفرد واحد إرادته قانون ومشيمته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد وإنما كان هناك نوع من تبادل وجهات النظر بين الحاكم والمحكوم وقد تجلت هذه الحقيقة من قولها لقومها : « أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون » فالملكة وهي رئيسة الدولة لم تبرم أمرا ولم تتخذ قرارا بمس كيان الدولة ومعتقداتها إلا بعد أن جمعت قومها واستشارتهم

أمرا حتى تشهدون . فأجابوها بأنهم قوم أولوا بأس شديد وأن الأمر كله لها تصنع ما تشاء إزاء طلب سليمان .

واستشعرت الملكة القوة في بادئ الأمر فقررت المقاومة وعدم الاستسلام أو الإذعان لسليمان لأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . . وهنا لجأت إلى المهادنة فبعثت إلى سليمان بهدية على سبيل الإغراء فرفضها بياها لأنه لم يرد عرض الحياة الدنيا وإنما يعنيه أن تنتشر مبادئ الإسلام ومن ثم قال لمن حملها إليه : « أتمدوني بما لى فآتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون » .

وحدث تطور خطير في موقف سليمان وتبدل من اللين إلى القوة ومن الدبلوماسية إلى الاستعداد لإخضاع هذه الملكة التي لاح عنها التردد وعدم الاستجابة لمطالبه التي حددها بالآلا تعلو عليه وأن تأتية مسلمة طائفة وقد عبر القرآن عن أسلوب القوة الذي اختطه سليمان لنفسه فقال على لسانه :

« فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » ولم تجد الملكة طريقا إلا الاستجابة فحضرت صاغرة إزاء هذا التهديد وعندما أبصرت الصرح الذى شيده سليمان حسبته لجنة وكشفت هن ساقها ثم انقادت وأسلمت لله رب العالمين .

عود الى قضية السجع والقرآن والباقلاني

للكبير عبدالرؤف مخلوف

نشرت لي المجلة الغراء - مجلة الأزهر - في أعداد شوال سنة ١٣٨٦ هـ، وجمادى الأولى ورجب من سنة ١٣٨٧ هـ . مقالات تحت عنوان «السجع والقرآن والباقلاني»، خلاصتها أن السجع ظاهرة فنية في مجال اللغة العربية ، إن لم يكن في مجال كثير من اللغات ، وأنه يضي على الأسلوب حين يحكم نسجه ، ويتوقف فيه ، صفته الفنية والبلاغة والجمال ، حتى لهرق به الأسلوب إلى درجة الإعجاز كما في القرآن الكريم .

وخلاصتها أيضاً أن الباقلااني - في كتابه «إعجاز القرآن» ، لم يحالفه الصواب حين نفي أن يكون في القرآن سجع ، وحين وضع له تعريفاً لا يتابعه عليه أحد ، لأنه يرى أن

السجع لا يكون إلا والمعنى يتبع اللفظ الذي يحقق التسجيع .

وفي عددي ذي القعدة وذو الحجة من سنة ١٣٨٧ هـ كتب السيد الدكتور محمد احمد الغمراوي تحت عنوان « قضية السجع ونظم القرآن ، وقرر أن السجع في القرآن الكريم جزء من قضية النظم فيه ، وقضية النظم هي قضية الإعجاز ، وأنه ينبغي أن ينظر فيها في ضوء إعجاز الأسلوب في القرآن المجمع على إعجازه من قدامى المفسرين وعلماء البيان وعلماء الكلام .

ثم عرض سيادته للإمام أبي بكر الباقلااني وأنه جمع بين البصر بالكلام والبيان جميعاً ، واستشهد على أنه من كبار علماء البيان

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وحصلت على موافقتهم ، وقد عبر القرآن عن هذا أدق تعبير حين اختار كلمته تملكهم ولم يقل تحكمهم لأن اللفظ الذي آثره القرآن يفيد الملك فقط دون التحكم والتسلط فهي إذن كانت تملك ولا تحكم .

تاريخ اليمن وحضارته في الماضي البعيد تظهر بجلاء إلى أي حد أسهمت هذه البلاد في بناء الحضارة والرقى في ظلي وحدتها الإقليمية وسيادتها على جميع أراضيها . .

محمد علي صبر

وبعد فهذه ومضات مريضة وخاطفة من

ثم انتهى إلى أنى ، كدت أنسب تكلف السجع للقرآن إن لم أكن نسبته فعلاه معتمداً على أنى قلت ، إن القرآن يلجأ إلى الاجتماع ويعمد إليها ويقصدها .

وقرر أنى ، غفلت عن أن المتكلم في القرآن هو الحق سبحانه ، فكل ما في القرآن مراد بالبداهة لله عز وجل ، وليس هناك قصد ولا عمد إلى قول دون قول أو أمر دون أمر ..

ثم ناقش الآيات التي استأنست بها في إثبات السجع في القرآن الكريم لينفى أن فيه أجماعاً فنناقش آيات « موسى وهرون ، وآية » في جنات ونهر ، وآية « ولولا كلمة سبقت من ربك لبكان لزما وأجل مسمى ، الخ ... ما جاء في المقالين مما لا تؤيده الدراسات الفنية المتصلة باللغة عامة وبالقرآن خاصة .

وبنا أن نقاش السيد الدكتور فيما أورد من مسائل وديا أقرر أنى أكن للإمام أبى بكر الباقلائي كل تقدير وإجلال لكثرة ما نافع عن الملة ، ودافع عن الإسلام ، خير أن ذلك الإجلال للعلماء لا يمنع أن يناقشوا فيما يذهبون إليه من قضايا حين تقوم الحجة على مخالفتهم ، ولا ينال ذلك من مقامهم ، أو يقتقص من مكانتهم .

وأول ما نقول للدكتور في أمر تعريف السجع هو أن الباقلائي انفرد بذلك التعريف

« بأسلوبه وما ضمنه من قضايا بيانية » إلى مقدمة طويلة لا اختلاف عليها ، ولكننه خلص من ذلك كله إلى إنكارى على الباقلائي ما ذهب إليه في قضية السجع .

وقرر الدكتور الغمراوى أنى في إنكارى على الباقلائي وأبه في السجع لم أحاكمه إلى تعريف السجع عند أهل عصره ، وإنما حاكمته إلى تعريف محدث يقسع ليجمع من كثير من القرآن سجماً ، وقرر سيادته أنى بذلك خالفت ما اصطلاح علماء البيان عليه في السجع وأن ذلك يذهب بالضابط الذى كان معتبراً إلى اليوم في تمييز السجع من غيره ..

ثم قرر أن الفن كالعلم يكون أوقى كلما كانت وسائل التمييز فيه أكثر وأدق ... وقرر أن إثبات السجع في القرآن يخطر على بال المسلم الناشئ أو غير الناشئ مظنة التكلف في القرآن ... وأن هذا قد يكون ثغرة يدخل منها الشيطان على المسلم فيشككه في قرآنه أن يكون سلم من التحريف إن لم يكن وسيلة لتفكيكه فيه أنه من عند الله .. والشيطان من وراء الإنسان يحرك فيه الغرور والاعتزاز بنفسه الأدبية ..

ثم قص سيادته علينا قصة الشيخ الذى عرفه وموقفه من قوله تعالى : « واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا ، ... وكيف التبس عليه اتباع كلمة « رسولا ، بكلمة « نبيا » .

لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه ، وقد جرى عليه كثير من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك قوله لما قدم المدينة : أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام . وكان صلى الله عليه وسلم ربما غير الكلمة عن وجهها للدوازنة بين الالفاظ ، واتباع الكلمة أخواتها كقوله : أعيذه من الهامة والسامة وكل حين لامة ؛ وإنما أراد ملية ... قصداً للتوازن وصحة التسجيع . يقول أبو هلال : (فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف) ولابن الأثير مثل ذلك ، وهو لاحق للباقلاني ، وللجاحظ قريب من هذا وهو سابق على الباقلاني . فهو لاء ثلاثة نفر ، سابق ومعاصر ولاحق للإمام أبي بكر ، كلهم لا ينكر التسجيع ، ولا يعرفه تعريف الإمام ، وإذن حين استشهدت بتعريف الأستاذ الناقد الشاعر البليغ الذي يعتبر حجة في فنون النقد لم أكن بذلك خالفت الكثير الغالب من القدامى والمحدثين ، بل الإمام هو الذي تفرد بتعريف التسجيع على النحو الذي أنكرته عليه .

وعلى هذا لا يكون صحيحاً ما قال الدكتور الغمراوي من أني أحللت تعريفاً مستحدثاً محل تعريف الباقلاني - وإنما الذي أحللت هو تعريف يكاد يكون متفقاً عليه من رجال

وليس أحد من القدامى ، ولا المحدثين يشترط في التسجيع أن يكون متكلفاً يتبع فيه المعنى اللفظ وافرقة بين تعريف الظاهرة الفنية في ذاتها ، وبين أن يسمى الناس استعمالها ، ولا يتوقفون لتحقيقها على النحو السليم الذي يضفي على الأسلوب جمالا وفنية : إن العيب في ذلك لا يكون عيب الظاهرة في حد ذاتها ، وإنما عيب الذين ينحرفون بها عما يجب أن تكون عليه ، وعلى هذا فانحرف الكهان أو غير الكهان باستخدام ظاهرة التسجيع لا يثبت به أن التسجيع ظاهرة فنية سيئة أو مرذولة أو لا تكون إلا كذلك ؛ وقد أدرك أبو هلال العسكري - وهو معاصر للباقلاني ذلك فقال بعد حديثه عن الازدواج : وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج ، مخالف في تمكن المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق ، ألا ترى أن قوله عز اسمه : والعاديات صبحا فالمريرات قدحا ، فالغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ، - قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن : والسماء والأرض ، والفرض والفرض ، والغمر والبرض ، ومثل هذا من التسجيع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف ، - يقول أبو هلال - وإذا سلم التسجيع من التكلف ، وبرى من التعسف

في قيود التعريف للكلام المسجوع - اللهم إلا أن يكون ذلك في منطق الأستاذ الدكتور اتباطا للباقلاني الذي وضع نفسه في موضع الفشاز بن النقاد بما قال في الاستبصار .

وأما ما تعلق به الدكتور حين رأى أقول : إن القرآن يلجأ إلى الاستبصار ويعمد لها ويقصدها ، وما بنى عليه من أنى غفلت عن أن المتكلم في القرآن هو الحق سبحانه ، فسأله لا تستحق الوقوف عندها ، فما أشك أبدأ أن المتكلم في القرآن هو الله جل جلاله ولكن جريت على ما يجري عليه العرف اللغوي من صحة أن يقال : يقرر القرآن ، وينص القرآن ، ويحكي القرآن - إلى آخر أمثال هذه التعابير التي لا تخرج عن استخدام طريقه المجاز التي يستخدمها القرآن نفسه - ولا أقول يستخدمها الله - في مثل قوله تعالى : واسأل القرية ، وأظن السيد الدكتور يفضل أن نقول : يستعير القرآن كلمة كذا لكذا على أن نقول يستعير الله كلمة كذا لكذا ... وإن كان الفعل كله لله .

ومسألة أنى خالفت ما اصطلاح عليه القدماء وأحللت محله تعريفاً مستحدثاً ، وإن في ذلك ما يذهب بالضابط فسأله فيها نظر . فلو كان حتماً الإبقاء على كل قديم مهما يكن نصيبه من الصحة لبقيت الأرض مسطحة لأن القدماء رأوها كذلك ، وظلت الذرة لا تتجزأ لأن القدماء رأوها كذلك ، بل على مذهب (البقية ٥١ ص ٣٨١)

البيان ، ولا نقول إن الباقلاني من رجال الكلام وإن كتب في إعجاز القرآن .

أما قول سيادته : ولو استطاع الدكتور - يريدني - أن يثبت أن السجع عند أدباء القرن الرابع لم يكن كما عرفه الباقلاني أو أنه خلا من التكلف في ذلك فلم يكن للباقلاني أن يتخوف أو يخشى الشبهة من ناحيته على القرآن ، لكان قد ذهب بالمبرر الذي من أجله رأى الباقلاني أن يحمل مقام القرآن هن أسلوب يكثر من أصحابه التكلف فيه ... فإني أقول : في هذه العبارة أمران :

أولهما : الخلط بين تعريف السجع كظاهرة لغوية ، وبين استخدامات الكتاب للظاهرة ، ولا يحتاج على الظاهرة بأن يسمى الناس استخدامها . ثانيهما : أن الذي عليه أن يثبت إنما هو سيادته ، فعليه أن يدلنا على أحد - قديماً أو حديثاً - وضع التكلف شرطاً في تعريف الاستبصار ، وكيف أثبت أنا شيئاً هو في ذاته منفي لا وجود له ، وما قد قدمت من تعاريف معاصري الرجل (ما لم نجد فيه اشتراط التكلف أو اشتراط تبعية المعنى للفظ .

وليس عجز من عجز عن المجيء بسجع برى من التكلف مما يقوم حجة على رد السجع كأحد مظاهر الجمال ، والفنية في الأسلوب حتى ليرقى به إلى حد الإعجاز كما في القرآن الكريم ، وليس بجي هؤلاء بكلام مسجوع متكلف مما يحمل على أن نضع التكلف قيداً

ابن برى المصرى

من اعلام النحو واللغة فى مصر

للكاتب عبدالعالء سالم مكرم

السكامل . فإنه اشتهر بعلم النحو . وله فيه آراء وبحوث بما جعل العلامة ابن برى يمنحه إجازة فى هذا الفن (١) .
يقول صاحب النجوم الزاهرة : وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فن أجابه حظى عنده ، (٢) .

على أن هذه المنزلة التى وصل إليها السكامل فى علم النحو لم تصل إلى الدرجة الكبيرة التى وصل إليها أخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام فى هذا المضمار ، فقد قرأ المعظم عيسى كتاب سيديويه على التاج الكندى ، وألم بشرحه الكبير للسيرافى ، وكتاب سيديويه مدرسة قائمة بذاتها ، فكل من فهم هذا الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على أمراده وغاص إلى درره كان حرياً به أن يتصدر فى النحو ، وأن يكون علماً من أعلامه ولم يقف أمر المعظم عند هذا الحد ، بل إنه نبغ فى القراءات ، والقراءات والنحو متلازمان فقرأ كتاب الحجة لابن على الفارسى

كان ابن برى يعيش فى مصر فى ظل دولة بنى أيوب . وقد ورث بنو أيوب من الفاطميين الذين سبقوهم حبهم للمعرفة ، وتنافسهم فى طلب العلم . والحياة فى مجال البحث والدراسة .

وكان النحو فى مقدمة العلوم التى اهتم بها ملوك بنى أيوب ، لما له من فضل كبير فى تقويم الالسنه ، وفهم القرآن ، ومعرفة أسرار السنه ، فضلاً عن أنهم أكراد ، واللحن فى ألسنتهم سليقة وطبيعة ، فرأوا أنهم أحوج إلى تعلم النحو واللغة ممن سبقهم من الفاطميين ليكونوا قريبين من الشعب العربى الذى يخضع لحكمهم .

وقد بلغ بالملك العزيز أن يقتل لطلب العلم بين الإسكندرية والقاهرة ، ولا يجد حرجاً فى أن يجلس مجلس التلميذ أمام معلميه . وكما أخذ هذا الملك الحديث فى الاسكندرية من الحافظ السلفى والفقه من أبى طاهر ابن عوف الزهرى أخذ النحو بمصر عن العلامة ابن برى النحوى (١) أما الملك

(١) المرجع نفسه ص ٢٢٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٧

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٢٧

وانفقوا أيضا على تاريخ وفاته فذكروا أنه
توفي في شوال ٥٨٢ هـ .

٢ - ثناء العلماء عليه :

قال عنه أبو المحاسن في « نجومه » ،
« كان بارعا في علم النحو والعربية ، وكان
حجة ثقة (١) وقد تحدث عنه القاضي الأكرم
في « أخبار النحاة » فقال عنه : « لقد شاع
ذكره واشتهر أمره ، ولم يكن في الديار
المصرية مثله (٢) » .

٣ - مصادر دراسته :-

قرأ ابن برى العربية على مشايخ عصره من
المصريين أو القاديين على مصر ، فنبغ نبوغا
كبيرا واستطاع أن يفرد بالنحو واللغة
في عهده (٣) .

ولعل نبوغ ابن برى في النحو يرجع إلى
أنه قرأ كتاب سيبويه ، وفهم علله ، فضلا
عن دراسة السكيتب النحوية التي شاعت
في عصره دراسة مستفيضة مكنته من أن
يكون أمام هذا الفن ، مما جعل الخلفاء
يسمعون به في ديوان الإنشاء ، فكان إليه
التصفيح في هذا الديوان ، فلا يصدر كتاب
عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي

على شيخه تاج الدين السكندى . وقرأ أيضا
عليه كتاب « الإيضاح » لابن علي الفارسي
حفظا (١) .

في هذه الحياة الفكرية المتوثبة ، وفي هذه
البيئة العلمية الناهضة في مصر والشام عاش
ابن برى يتأثر بما يحيط به من شتى ألوان
المعرفة ، ويؤثر في بيئته بما وصل إليه من
نبوغ في الدراسات النحوية واللغوية .

وابن برى شخصية لم تظفر بعد بالدراسة
والبحث ، فحتى هذه اللحظة - على الرغم من
تعدد البحوث في اللغة والنحو والتراجم -
لم أجد باحثا تناول هذه الشخصية الفذة
بالبحث والدواصة .

ولعل في هذه المخطوط العريضة التي أرسىها
لشخصية هذا الرجل ما ينير الطريق إلى علمه ،
ويهدى الباحث إلى فضله .

١ - نسبه :

هو عبد الله بن برى بن عبد الجبار ،
أبو محمد المصري النحوى ، اللغوى ، وأصل
أجداده من « القدس » (٢) واتفق المؤرخون
على تاريخ ولادته في سنة ٤٩٩ هـ (٣) .

(١) المرجع نفسه ص ٢٦٧

(٢) أنباء الرواه ٢ ص ١١٠ القفطلى

(٣) حسن المحاضرة (السيوطى) ١ ص

ص ٢٢٨ .

(١) النجوم الزاهرة ٦ ص ١٠٣

(٢) معجم الأدباء ١٢ ص ٥٦

(٣) أنباء الرواه ٢ ص ١١٠

وقد انتفع بعلمه عدد كثير من هؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد أعلاماً في هذا الفن ونجوماً في سمائه .

قال صاحب الإنباه : إنه روى جماعة من تلاميذه متصدرين متهين (١) .

وقد كان ابن برى يعرف لجامع عمرو وقدره وأنه المدرسة الأولى التي أضاءت لمن حولها منذ الفتح الإسلامى ، فاختاره ليكون مقر دراسته لهذا الفن ، فكان التلاميذ يردون إليه ويشربون من رحيق علمه (لأنه كان متصدراً بهذا المسجد) (٢) .

وقد انضم إلى حلقة ابن برى في مسجد عمرو ملوك مصر وأمراؤها ، وقد قدمت سابقاً أن الملك الكامل كان تلميذا لابن برى ، وأنه تلقى عليه علم النحو واللغة ، ونبغ فيهما وأجازه ابن برى لنبوغه (٣) .

وقد سمع الملك العزيز بمصر النحو من العلامة أبى محمد بن برى النحوى (٤) .

ومن أشهر تلاميذ ابن برى الذين كان لهم أثر مشكور في علم النحو ، وجهد مذكور في علم اللغة والقراءات ، أبو موسى الجزولى . وكان أبو موسى إماماً في النحو ، ملابداً قافقه

إلا بعد أن يتصفحها ، ويصلح ما فيه من خلل خفى (١) .

٤ — شيوخه :-

من شيوخه الذين كان لهم أثر كبير في تكوينه النحوى أبو طالب عبد الجبار ابن محمد المعافى المغربى ، كان إماماً مجتهداً في اللغة والأدب واستقل عليه ببغداد خلق كثير ، وانتفعوا به ، ولما هرب أن في مصر دولة تشجع العلم وتكافئ عليه وتقدر النحو وتهب الجوائز للنابعين فيه أقبل إليها ودخلها في سنة ٥٥٩ هـ وقد تتلمذ عليه فيها أبو محمد عبد الله بن برى (٢) .

ولابن برى شيخ آخر ، تلقى عليه علم العربية . وهو محمد بن عبد الملك الصنترينى أحد أئمة العربية ، والمبرزين فيها ، وقد قرأ عليه ابن برى ، وله من المؤلفات النحوية كتاب « تلخيص الأعراب في عوامل الإعراب » (٣) .

٥ — تلاميذه :-

ولهذه الحكاية التى وصل إليها ابن برى قصده الطلبة من كل مكان ليأخذوا عنه علوم النحو واللغة .

(١) الإنباه ٢ ص ١١٠ .

(٢) معجم الأدباء ١٢ ص ٥٦ .

(٣) النجوم ٦ ص ٢٢٨ .

(٤) النجوم ٦ ص ١٢٧ .

(١) الإنباه ٢ ص ١١٠ .

(٢) وفيات الأعيان (ابن خلكان)

٢ ص ٣٨٤

(٣) بغية الوعاة (السيوطى) ص ٦٨

المناقشات والمسائل النحوية فنقلها الجزولى مفردة فجاءت كالمقدمة فيها كلام غامض وعقود لطيفة ، وأشارت إلى أصول صناعة النحو غريبة ، فنقلها الناس عنه ، واستفادوها منه ^(١) .

ولشهرة هذه المقدمة ، وتسابق العلماء على شرحها ، وفهم أسرارها وحل غامضها ، واشتهر بها الجزولى فسميت بالجزولية .

ومع هذه الشهرة فإن الجزولى كان متديناً ورعاً ، فكان إذا سئل عنها : هل هى من صنعك ، ومن تأليفك ، قال : لا ، لأنه كان يعلم أنها من : « خواطير الجماعة عند البحث ومن كلام شيخه ابن برى » ^(٢) ، فلم يشأ أن ينسبها إلى نفسه ، وإن كان له فيها فضل الترتيب والتفسيق .

على أية حال كانت ، فإن أثر ابن برى فى تلميذه الجزولى أثر كبير ، دعاه إلى أن يسجل عنه كل طاله من آراء . ولما عاد إلى المغرب اشتهرت مقدمته هناك ، وتسابق الطلاب على درسها وفهمها ، وأخذ النحو عنها ، وأقام بمدينة « بجاية » زمناً طويلاً ، والناس يشغلون هليه ، لأنه كان متصدراً فى الجامع للإقراء ، ولدراسة النحو ويبدو أنه يدرس مقدمته ، ويشرحها لتلاميذه .

دخل الديار المصرية ، وقرأ على الشيخ أبى محمد ابن برى ، ويظهر كما يحدثنا الرواة أنه قرأ عليه كتاب (الجمل للزجاجى) ^(١) وكتاب (الجمل) فى نظر علماء مصر لا يقل أهمية عن كتاب سيديويه ، فطالما اشتغل علماءهم به شرحاً ودرساً ، وتعليقاً ، وقد قالوا عنه : إنه من السكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا انتفع به ويقال : إنه ألف بمكة المسكرمة . وكان إذا فرغ مؤلفه من باب طاف أسبوعاً ودعا الله سبحانه أن يغفر له ، وأن ينفع به قارئه ^(٢) وشهرة الجزولى فى النحو ترجع إلى كتابه (المقدمة) الذى سماه (القانون) واشتهر فيما بعد (بالجزولية) .

وقد أتى فى هذه المقدمة بالعجائب ، وهى فى غاية الإيجاز مع الاشتغال على كثير من النحو ، ولم يصبق إلى مثلها ، وقد بلغ بالنحاة الذين لم يكونوا قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مرادها فيها فإنها كلها وموز وإشارات ^(٣) ويظهر أن هذه المقدمة إجابات نحوية لابن برى عن كثير من المشكلات النحوية التى كان التلاميذ يوجهونها إلى أستاذهم ، وهو يقرأ لهم السكتب لسيديويه (وقد نتجت فوائد من هذه جمة

(١) وفيات الأعيان ٢٠ ص ١٢ طبع بولاق

(٢) كشف الظنون ١٠ نهر ٦٠٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٢٠ ص ١٢٠ .

(١) المصدر السابق .

(٢) وفيات الأعيان ٢٠ ص ١٢٠ .

في غاية من الصحة والجودة ، وإذا حشاها
أتى بكل فائدة ، (١) .

ويمكن لنا أن نفسر جودة كتيبه ودقتها ،
بأن حبه للشخص ، وولعه بالعمق في بحوثه
جعلت كتيبه في غاية من الدقة ، كاملة
في الجودة ولهذا السبب لم تكثر تصانيفه
لأن كثرة التصانيف قد تبعد عن الجودة .

لهذا فإن صاحب الإنباء يقرر : أنه كان
قليل التصنيف لم يشتهر له سوى مقدمة سماها
« الباب » ، وجواب المسائل العشر ،
وحاشيته على كتاب الصحاح ، (٢) .

٧ - أخلاقه :

ينسب إليه بعض المؤرخين أنه كان مع علمه
وغزارة عقله ذا غفلة (٣) .

وقال عنه ابن العماد : « كما يلبس الثياب
الفاخرة . ويأخذ في كره العنب والبيض
فيسقط على رجله ماء العنب ، فيرفع رأسه
ويقول : العجب إنما تمطر مع الصحو » (٤) .

وفي نظري ، إن هذه فرية نسبت إلى
الرجل من غير وجه حق ، لأن ذكاه ،
وغزارة عقله ويقظة فكره التي شهد له بها

فقد ذكر ابن خلكان أنه تصدر في الجامع
للإقراء ، وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير
أتى فيه بغرائب وفوائد (١) وإن كان الجزولي
أشهر تلاميذ ابن برى ، فإن لابن برى تلميذاً
آخر غطت شهرته على الجزولي لبراعته
في النحو ، واكثرت تأليفه فيه ، صاحب
الألفية المشهورة التي سجلها ابن مالك في مقدمة
ألفيته حيث قال :

وهو بسبق حائز تفضيلاً

مستوجب ثنائى الجميلاً

واقه يقضى بهيات وافرة

لى وله فى درجات الآخرة

ذلك هو العلامة (يحيى بن معطى) وإن لم
يقتل على ابن برى إلا أنه أخذ عن تلميذه
الجزولى ، وكانت روح ابن برى العلمية
في الجزولى ظاهرة واضحة ، بل إن المقدمة
التي اشتهر بها هي من وحى أستاذه
ابن برى .

وإذا كان يحيى بن معطى قد درس هذه
هذه المقدمة على أستاذه الجزولى فمن غير
شك أقر أنه أخذ عن ابن برى من طريق
غير مباشر .

٦ - كتيبه ومؤلفاته :

أما كتب ابن برى ومؤلفاته ، فقد تحدث
هنا صاحب الإنباء فقال : « وكانت كتيبه

(١) الإنباء ٢ ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) معجم الأدباء ١٢ ص ٥٦ .

(٤) شذرات الذهب لابن العماد ٢

حكايات فى التغفل أجهل عنها وعن ذكر شئ منها ،
ولا أدل على مكاة الرجل بين قوميه أنه
لما حضرته الوفاة ، وعرضت كتبه للبيع
حضرها الجم الغفير من الإجلال بمصر فى ذى
القعدة سنة ٥٨٢ هـ .

ومن غير شك أن تهافت هذا الجم الغفير
على كتبه دليل ملموس على قيمة هذه الكتب
التي تضمنها مكتبته ، ومنزلة هذا الرجل
فى نفوس مواطنيه ، لأن حفظ آثاره ،
والتنافس على اقتنائها دليل الحب والتقدير .
و . هـ . الم . عالم على مكرم

المؤرخون تحول بينه وبين الوقوع فى هذا
السخف وكيف يجوز فى المنطق ، ويثبت
فى العقل أن رجلا يشق فيه خلفاء الدولتين
فيتمولى ديوان الإنشاء للمراقبة النجوية
فى عهد الفاطميين .

ويجلس ملوك بنى أيوب فى حلقته كما
يجلس التلاميذ ، ثم تصدر منه هذه الأعمال
الصيانية التي إن دلت على شئ ، فإنما تدل
على تغاهة العقل ، وبلادة الحس والإدراك .
وقد تنبه إلى هذه الفرية صاحب الإنباه ،
فنفاه عنها وأنصف الرجل وأعطاه حقه
من الإجلال ، حينما قال : . ويحكى عنه

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٥)

وإذا فلا خوف على القرآن ، وإعجازه
حين نقرر أن فيه من ظواهر اللغة الفنية
ظاهرة السجع ، وأنه تهدى فيها إلى ما لم يتهد
له إنسان ، وتلك هى السبيل إلى إثبات الإعجاز
بمعنى عجز البشر عن أن يأتوا بمثله . وما أمر
السجع إلا كأمير الاستعارات ، والتشبيهات ،
وجميع مظاهر الفنية اللغوية ، كلها موجود
فى كلام البشر ، وموجود فى القرآن الكريم ،
ولكنها فى القرآن على نحو ، وعلى منهج ،
وعلى نمط لا يتطلع إليه إنسان . فما بال
الباقلاى يفرد السجع بالردود وغيره من الفنون
والظواهر الأخرى على بعد ما بينها من حيث
الفنية والتهدى إلى حسن الصنعة فى القرآن
وفى كلام الناس ١١ (الحديث موصول)

و . عبد الرؤوف مخلوف

الدكتور يجب أن يتوقف البحث ، ويجمد
كل شئ على ما هو عليه ، وكأن الكلمة
الآخرة قد قيلت فى كل شئ ، وكأنما صدقت
كلمة من قال : لم يترك الأول للآخر شيئاً !!
وظنى بالسيد الدكتور لا يرى ذلك بل هو
يتبعه على لا يرى ذلك ، وإذا لا أكون
أتيت أمراً إذا حين أعدت النظر فيما قال
الباقلاى ، وحين نقضت عليه تعريفه للسجع .
وأما أن الأمر أمر القرآن وإعجازه فإن
إثبات السجع فيه - وهو ثابت - إنما يؤكد
قضية الإعجاز حين نرى عجز كثير من أهل
الفصاحة والبيان عن أن يأتوا فى إنتاجهم
إلا بسجع متكلف ، بينما يأتى القرآن منه بما
يفوت قدر البشر ، ويتجاوز طاقاتهم ، الأمر
الذى يثبت معه أنه تنزيل من حكيم حميد . .

شعراء عرفتهم ٢- حسن جاد للدكتور عبد الرحمن عثمان

ملح ، ولا يمكن أن نقصد به تغييراً يطرأ على الجوهر أو يتناول الأصول الفنية الثابتة . فالمرحلة الأولى التي عبرها شاعرنا تتمثل في أيام دراستنا في الكلية وفي الدراسات العليا وهي فترة تزيد قليلاً على عشرة أعوام متصلة أحسب أنها كانت من أنضر أيام الشاعر وأغناها بالابتسام والمرح على ما كان يتخللها من جمامة في العيش وشح في الموارد ، ونضوب في أوجه الرزق ، وكنا نغالب هذا الضيق الذي كثيراً ما تضيق حلقاته بمرح غير مصنوع واستعلاء غير مقنع ، ورضاً لا نجد بعضاً منه الآن ونحن في يسر من الرزق !! ، وذلك هو سر الشباب الذي كان يسمح على فاقتنا بإبتسامته العذبة ومرحه القوي .

لقد كنا نتسامع بالمال ولا نجد ، وكنا نقرأ عن الثراء ونفتقده ؛ وكان الشاعر المرحوم عبد الحميد الديب معنا في هذه الفترة يغنينا كل ليلة وهو يبكي بمحنته فنضحك سعداء بحظنا في العيش ، ونحمد الله على أننا نتجه إلى هدفنا العلى بخطى ثابتة وعزم لا يفتر

في المقال السابق أشرنا إلى أن فن الشاعر حسن جاد قد تحدد في ثلاث مراحل ؛ وفي كل مرحلة كان يتميز شعره بمزايا فنية تسكاد تطبعه بطابع جديد ، حتى لكأنه لون مختلف كل الاختلاف عن اللونين الذين نراهما في المرحلتين الآخرين ؛ وذلك أمر طبيعي حين يخضع الشاعر لهوائف نفسه ، ويستجيب لدواعي انفعاله ، وحين يصيخ للظروف المحيطة به . ويتمحرك في إطارها . واختلاف الفن الشعري في المراحل التي يجتازها الشاعر لا يمتد أثره إلى الأصالة الفنية التي هي صفة ملازمة لا تفارق صاحبها مهما عرض له من تأثير بفعل البيئة أو تعاقب الأحداث ، لأن الأصالة الفنية تستمد بقاءها من الملصقات الثابتة التي هي وليدة « الميثل المثقف » أو الموهبة البصيرة .

ويجب أن يكون واضحاً في هذا المقام أننا نقصد بالتغيير الذي يطرأ على فن الشاعر ذلك التغيير الذي نراه في الاتجاه بإيثار نغمة على أخرى تحت تأثير ظرف عارض أو حادث

ترشحه السكلية في دائرة « حديقة الحيوان » ،
أو « سوق الخضار » ، في العتبة ، ويؤكد له
أن نجاحه في المعركة « مضمون » ، بفضل
مؤازرة إخوانه في الإشادة بخصاله حين
يخطبون جمهور الناخبين ... ١١ ؛ وفي هذا
الموقف اللطيف يقول شاعرنا :

ترشح « إبراهيم جاد » ، ولو شطأ
ونفديه حتى لو غدا بيننا قطا
ضمنا له فوزاً على كل نائب
متى اشترطوا فيه القراءة والخطا
سيكسب أصوات الدجاج بأسرها
فإن هي لم تسعفه لم يعدم « البطا » ،
إذا ما أشاروا بالبنان لنائب
أشرنا لإبراهيم بالأصبع الوسطى

والجمال الرائع يكمن في البيتين الثاني والرابع
فإن فيهما من بديع الصنعة وحلو اللفظة وخفة
الروح ما يشير إلى صفاء الحس واستقامة
الطبع والابتسام للحياة ، فقد كان شاعرنا
في ذلك العهد خفيف الظاهر قليل الهموم
متفائلاً لم تؤثره أحداث الحياة بعد .

إن بواكير شاعريته تبدو ناضجة في هذه
المرحلة نضجا قوياً . ونضجها يرجع إلى
تمسك الشاعر في أصول صناعة البيان .
والتمرس بتأديجها العالية ، ويرجع كذلك
إلى ما اختص به صاحبنا من دقة الحس

فلقد كنا نتمنى عن الظفر بالمال بما أصاب
الديب من الإملاق .. ١١ أو عسانا كنا نتعمل
بالأمان حين نفرغ من دراستنا الأخيرة
لنستقبل الحياة بعدها أساندة في السكلية كما
كانت تبشرنا به قوانين دراستنا العليا
حينذاك .

وفي هذه الحياة الساذجة المرحية ، ومن
هذا اللون الجميل الحالم ، فاضت الينابيع الثرة
في صديقنا الشاعر حسن جاد ، وجرى فنه
وخاء يهمس بأفراح الحياة ، ويتجاوب بالفرح
والبهجة ؛ وكانت بصاحبنا مقدرة على صنع
المواقف المضحكة حين تعز المواقف أو تبطل
فهو يختار نماذج من زملائه في الفصل الدراسي
ويجعل منهم موضوعاً لشعره المضحك الفكاهي .

فهذا زميلنا المرحوم إبراهيم محمد جاد يزعم
لنا أنه أشعر شعراء السكلية ، وما نزال نكسب
له المدح ونطري شعره حتى يستجيب إلى
رغباتنا ويستجيب شعر حسن جاد في عبارات
تصاحح حولها بالإعجاب والثناء ، وفي
الوقت نفسه نتعمد لإشادتها أمام حسن لنثيره
على إبراهيم ، وبهذا يجد شاعرنا موضوعاً
طريفاً يقول فيه شعراً هو أحلى ما نقرأ من
دهابات الشعر الحديث .

فإذا ما قرب وقت الانتخابات النيابية
أشار شاعرنا على غريمه الذي يمتاز بسلامة
الصدر وصرعة التصديق لكل ما يقال أن

تفزع الأرض والخلائق منه
مثلاً يفزعون من د عزريلا .
أترأه من قوم يأجوج وافي
بعد ما همد سدم وأميلا ؟

هو إن قام كان هيكل رضوى
وإذا سار خلته أسطولا
لا يرى غير آكل في صباح
أو مساء ، أو حامل مأكولا

لم ينم عمره حفاظا على الأكل
وخوفاً من نومه أن يطولا
وإذا ما عراه لإغماء سقم
شموه د كوارعا ، أو بقولا

قد علا بطنه فصار كجبل
ذات تسع تجن في البطن فيلا
وبدا في شملها رأس دب
يتردى ما يشبه د الزميلا ،

شق فيه فم د كخزان أسوان ،
وإن عز أن يكون مثيلا
يسع الضرع في نواحيه والزوع
وتبدو في ماضيه قليلا

وله الحية د ككفسة ، الشارع
تحوى قامة وفضولا
شيب فرعها هموم طعام
ما نراه بغيره مشغولا

يرحم الله بلدة وسعته
سوف يفتي بأرضها المحصولا

ولطف الشعور ، وهذه الموهبة وذلك التمكن
جاءت بواكير فنه شهية المذاق ساحرة المنظر
سريعة التأثير في نفوس القراء والسامعين
على السواء .

ونحن إذا تتبعنا في دراسة نقدية نماذج
الشعرية المبكرة نجد فيها استقصاء الخاطرة
على نحو يذكرنا بطريقة الشاعر ابن الرومي ،
ونحس معها بما نحسه حين نقرأ للبحترى
روائمه الفاتنة الآسرة ، ونشعر تجاهها بذلك
الشعور الذي يستولى علينا ونحن نسمع
قصائد مهيأر الديلى صاحب الطريقة السهلة
في ترسل وانسياب ، ولكننا مع توفر هذه
المزايا في شعر حسن جاد لا نستطيع أن
نرجعها إلى رذيلة التقليد ، إذ من الظلم أن
نغفل من إياه الذاتية التي يجر بها شعره فزمية
بتقليد ابن الرومي والبحترى ومهيأر ، لأن
التقليد سبيل العاجز ، وصاحبنا - على تأثره
بفن هؤلاء الشعراء الكبار - صاحب طريقة
لا تشبه بطرائق الآخرين وإن التقت ببعضها
في إطارها العام ، وقصيدته التي عنوانها :
د أكل ، تصلح شاهدا على ما نذهب إليه
في كل ما عرضناه :

د أكل ،

استجرنا بالله منه أكولا
عرك الله ، هل رأيت الغولا ؟

رويدك نحن نخشى أن
تحاسبنا على الملح
فلم تغرم لنا شيئاً
سوى ماء بلا رشح
بيوت القرية انقرحت
مآقيها من النوح
على ما ضاع من دوز ،
وما قد طار من دج ،
وصت الدار قد سرقت
دجاجتها من السطح
وأم الخير قد شقت
ملابسها من الردح ،
إذا أقسمت لي حقاً
بلا من ولا شرح
بأن الأكل من حل
فقد أعفيك من قدحى

* * *

وما أظن في هذه القصيدة إلا أن صاحبنا
الشاعر كان وهو ينظمها يحاول في أصالة
وصدق أن يجرى مع ابن الرومي في افتراءاته
وتزيده على الناس ، والحق أنه استطاع بهذا
التجنى أن يجاذب أبا الحسن طرف الثوب ،
وأن يمضى معه في كذب عذب وخيال
جموح ؟

الدكتور

عبد الرحمن عثمان

[٥]

قالشاعر في هذا النموذج قد تعمق الفسكرة
وأحاط بجوانب الأكل لإحاطة مستقصية ،
فقد جعله آكلاً في طرفي النهار ، وحاملاً
وما كولا ، فيما بينهما ، وليست هناك صورة
أكمل من هذه الصورة يظهر لنا حرص ذلك
الأكل على الطعام ، فإذا نام خشى أن يطول
نومه فيحول بينه وبين رغبته المتجددة في
الأكل ؛ على أن هموم الطعام وشغفه به
يشيب ناصيته إذا شابت نواصي الآخرين
من المعارك التي يغشونها لبلوغ آمالهم في الحياة
العزيزة الماجدة .

وإذا كان أعذب الشعر أ كذبه كما يقال ،
فإن أعذب كذب نواه لحسن جاد في وصفه
لولية بخيل استضافه هو وأصدقائه ، فقد
عمد إلى التجنى على المضيف ونعته بالسرقة
والكزازة حتى تبرز الصورة على أتم ما يكون
الوضوح ، يقول الشاعر :

وذى شح يداريه
ويستحي من الشح
ويستجدي الشاء كسائل
مضنى من البرح
أقام اليوم مأدبة
لينعت بالفقى السمح
وقضى الليل يحسبها
تسكالياً إلى الصبح
فن طرح إلى جمع
ون جمع إلى طرح

ما يقال عن الإسلام

أول ترجمة لاتينية للقرآن

للكاتب أحمد فؤاد الأهواني

لم يظفر كتاب بمثل ما ظفر به القرآن من احتياط ، يحفظ نصه ، ويمنع تبديله . فهو كتاب منزل على نبيه ورسوله محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، مصدقا لما أنزل من قبل من كتب سماوية . حُرِفَ مع الأسف ونَبِه القرآن على تحريفها ، وذكر اختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل وحين كثر قتل المسلمين الذين يحفظون القرآن في صدورهم . جمع القرآن في صحف عند حفصة زوجة النبي ، احتفظت به في خلافة أبي بكر ثم طلبه عثمان بن عفان وأمر بنسخ أربعة مصاحف وزعت على الأمصار ، ولا يزال القرآن حتى اليوم محفوظا في الصدور مرتلا بالأنفوس ، ومسموعا في كل مكان ، ومسطرا على الأوراق .

حفظه وتلاوة ما تيسر منه في الصلاة المفروضة وقد سمي القرآن بالنور ، وسمى بالهدى ، ومن أقوال الرسول عليه السلام أنه ترك للمسلمين أمرين لن يضلوا ما استمسكوا بهما كتاب الله ، والسنة . ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي ، وانتشر وتمت الفتوحات في القرن الثامن ، وازدهرت الحضارة الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر ، ثم بدأت أوروبا تستيقظ من سبات الضعف والجهالة ، ومواجهة الخطر الداهم الوافد من الشرق . وهذا التفكيك إلى أن السرف في عظمة الإسلام ، يتمثل في الكتاب الذي يؤمن به المسلمون ، وهو القرآن سبب هدايتهم . وعلة تماسكهم . وهندئذ بدأت أولى المحاولات لترجمته ، ومعرفة مضمونه ومن هنا جاءت أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم .

ولم يكن من الميسور أن ينهض شخص واحد بإجراء هذه الترجمة . فقد بدأت في أول الأمر عملا جماعيا يشترك فيه بضعة أشخاص ومن الملاحظ كذلك أن ترجمة القرآن

وانتشر الإسلام بسرعة مذهلة ، شرقا وغربا ، من حدود الصين إلى شواطئ المحيط الأطلسي ، وبلغ الأندلس ، وشمال إفريقيا فضلا عن الشام ، وآسيا الصغرى . وقارس والهند ، وأفغانستان . ومعنى انتشار الإسلام انتشار القرآن في الوقت نفسه ، لضرورة

ارتد عن الإسلام ، ولذلك لم يكن يتقن اللاتينية إتقانه اللغة العربية ، مما دفع بطرس الفاضل أن يضم إليه معاوناً آخر ، يسمى أيضاً « بطرس » ، من دير كليني ، كانت مهمته أن يصقل أسلوب الترجمة بعبارة أخرى إن الهيئة كانت مكونة من خمسة أشخاص لكل منهم دوره ، على النحو التالي :

- (١) طرس الفاضل ، رئيس هيئة الترجمة .
- (٢) روبرتوس الإنجليزى ، شماس كاتب يعرف اللاتينية والعربية .
- (٣) هرمان الدلماسى ، شماس كاتب يعرف اللاتينية والعربية .
- (٤) بطرس الطليطلى ، عربى مرتد عن الإسلام ، وهو المترجم الاصلى .
- (٥) بطرس الكليني ، يهذب العبارة اللاتينية .

كانت الغاية من هذه الترجمة أن تكون بين أيدي الصليبيين لتوجيهها ضد المسلمين ، لم تكن الترجمة مقصوداً بها الدقة والأمانة ونقل نص من لغة إلى لغة أخرى لمعرفة روحه ومعانيه ، بقدر ما كان الغرض منها تلوس مطاعن ضد الإسلام ، وإثارة دهاية معادية له . ولذلك وجهت الترجمة إلى القديس برنارد ، قبل القيام بالرحلة الصليبية الثانية . كان القديس برنارد (Saint Bernard)

كانت جزءاً من الحركة العامة لترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية فقد تحققت هذه الترجمة بالفعل في أسبانيا حيث كانت مركز حركة النقل .

كان الحافز لترجمة القرآن ما حدث عليه الراهب دير كليني ، المسمى بطرس الفاضل Pierre le venerable (ولد سنة ١٠٩٢ وتوفي سنة ١١٥٦ م) . وكليني (Cluny) من قرية باللوارد في فرنسا ، ولا تزال موجودة ، وهى بقايا أبرشية كليني ، دير للبندكتين أسسه ولهم الأول سنة ٩١٠ ميلادية . وسافر بطرس راهب دير كليني من فرنسا إلى أسبانيا فيما بين السنوات ١١٤١ - ١١٤٣ ورأس هيئة للقيام بترجمة القرآن . وأكبر الظن أن المطران ريموند الطليطلى رئيس أساقفتها هو الذى عاونه فى ذلك . أما هيئة الترجمة فكان على رأسها روبرتوس وتنسيس الإنجليزى (Robertus Retensis) ، والذى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس شمامسة بامبلين (Pampelune) ، وكان يساعده شخص يدعى هرمان الدلماسى .

كان هذان الكاتبان عالمان باللغتين اللاتينية والعربية ، ويبدو أن مهمتهما إلى جانب الكتابة إبداء الرأى فى تفسير بعض الآيات الصعبة الفهم . ولكن المترجم الحقيقى هو بطرس الطليطلى ، الذى كان فى أكبر الظن هربياً مسلماً

يعتمد عليها زهاء خمسة قرون من الزمان ، فهي التي قدر لها أن تصبح معروفة في أوروبا في العصر الوسيط ، وأن تستخدم وجمع إليها إما مباشرة ، وإما بطريق غير مباشر ، في المجادلات الموجهة من المسيحيين ضد المسلمين ، والتي لم يقدر لها أي نجاح . بل إنها سادت كذلك في عصر النهضة .

ذلك أن تلك الترجمة هي التي نشرها بيلياندر (Bibliander) في مدينة بال بسويسرا سنة ١٥٤٣ ، في كتاب له عنوان طويل ، ويشتمل على هذه الترجمة مع نصوص أخرى ، منها ما هو ضد الإسلام ومنها ما هو معه . ويبدأ العنوان بقوله مبادئ محمد العربي Machumetis Saracenorum Principis وهو عنوان طويل نجتزئ منه بالألفاظ الثلاثة الأولى . وقد نشرت من هذا الكتاب طبعة أخرى في سنة ١٥٥٠ .

ويعتقد المستشرقون الذين بحثوا تاريخ ترجمة القرآن أن الترجمة الإيطالية التي قام بها أندريا أرفابيني (Andrea Arrivabene) بعنوان « قرآن محمد » (L'Alcorano di Macometto) والتي ظهرت سنة ١٥٤٧ ، إن هي لا تنقل إلى الإيطالية من النص اللاتيني لروبرتوس رتفيس .

أما الذين يذهبون إلى أن أرفابيني لم ينقل عن روبرتوس ، فيعتمدون على العنوان

(١٠٩١ - ١١٥٣) راهباً فرنسياً وله بفوتتين على مقربة من ديجون ، وأصبح رئيس دير كليرفو (Clairvaux) وفيما بين سنتي ١١٣٠ و ١١٤٥ أنشئ زهاء تسعين ديراً على نسق دير كليرفو ، حتى أصبح أثر برنارد عالمياً . ومن المشهور أنه أنشأ فرسان المعهد ، وكان للقديس برنارد نفوذ في انتخاب البابا أنوسنت الثاني ، الذي أصدر أمراً بقيام الحملة الصليبية الثانية ، والتي التحق بها لويس السابع ، ولكن فشل الحملة كان سبباً في التعجيل بوفاته .

وحيث كان الهدف من ترجمة القرآن ما ذكرناه آنفاً ، فلم يكن من الغريب أن تسوقها النوايا العدائية ، كما زخرت بكثير من الأخطاء وسوء الفهم ، وقد صدرت من تلك الترجمة عدة نسخ لتكون بين يدي المبشرين المسيحيين ورجال الدين .

وللمرء أن يتساءل أكانت أولى تلك الترجمات ترجمة بمعنى الكلمة للقرآن ؟ .

للجواب عن ذلك لا يتردد الباحث في الحكم عليها بأنها لم تكن ترجمة بمعنى الكلمة لسببين . الأول أن النص اللاتيني بعيد الشبه عن النص العربي ، والثاني أن كثيراً من الأجزاء لم تكن أكثر من تلخيص .

وعلى الرغم مما في تلك الترجمة من قصور وانحراف وأخطاء ، فإن العالم المسيحي ظل

فكر المسيحيون في التقارب بين الكنيستين الشرقية في القسطنطينية والغربية في روما ، مما دفع بشخص يسمى نقولاس دى كوزا إلى الذهاب في بعثة إلى القسطنطينية سنة ١٤٣٧ والذي يهنا في أمر نقولاس هو ترجمته للقرآن ، ولكن لا بد لنا لكشف الغطاء عن حقيقة هذه الترجمة من أن نعرف بنقولاس أولا ، وبالظروف التاريخية والسياسية التي أحاطت به ثانياً .

ولد قولاس (N icolaus) بمدينة كوزا على مقربة من تريف سنة ١٤٠١ ، وتوفي سنة ١٤٦٤ ، درس الحقوق بهيدلبرج ، وتعلم الرياضيات واللغة العربية ، ونال إجازة الدكتوراة في بادوا سنة ١٤٢٤ . ثم دخل السلك الكهنوتي . واشترك في الجمع المسكوني الذي عقد في بال (بسويسرا) سنة ١٤٣١ . ثم أرسل إلى القسطنطينية في بعثة بابوية لمحاولة إقناع أمبراطورها وبطريقها بالحضور إلى روما . ورسم سنة ١٤٤٨ كاردينالا وعاش يحلم بالتوفيق بين المسيحيين والأتراك المسلمين ولكنه فشل في مهمته نظراً للخلاف التاريخي بين هذه الشعوب . ومن آرائه الفلسفية أن الطبيعة الإنسانية إلهية ، وأن الإنسان مركز الكون ، وأن الإنسانية سائرة في طريق التقدم العلمي . وله مؤلفات غزيرة يهنا منها كتابه « القرآن في الميزان » .

الفرعى لكتابه ، والذي يقول فيه إنه ترجمة جديدة من العربية إلى الإيطالية (Tradotto nuavamente dall'Arabo in Italiana) ويغنى أن نضيف أيضاً أن كتاب أرفاينى كان يشتمل إلى جانب ترجمة القرآن على سيرة محمد ، وعلى بدء التاريخ الإسلامى ، وبعض النظرات إلى بؤس الرقيق المسيحيين على أيدي الأتراك ، وأخيراً تحليل للقرآن . وقد نقل كتاب أرفاينى إلى الألمانية بعنوان « قرآن الأتراك » (Der Türken Alcoran) باعتبار أن المسلمين المتصدين زعامة الإسلام في نظر الغرب كانوا الترك . وطبع بنيرنبرج سنة ١٦١٦ ، وفي طبعة ثانية سنة ١٦٢٣ .

تغيرت الظروف التاريخية ، فبعد أن كان العرب هم أول من دحا إلى الإسلام ونشره في ربوع العالم المعروف ، إذا بالأتراك العثمانيين يحملون راية الإسلام في مواجهة أوروبا ابتداء من القرن الخامس عشر . والإشارة السابقة إلى قرآن الأتراك ، يفسرها هذا التحول التاريخي . الواقع أنه جرت اتصالات في أوائل القرن الخامس عشر بين أوروبا المسيحية والشرق الإسلامى ، وبخاصة نحو مدينة القسطنطينية التي أصبحت أشبه بجزيرة مسيحية تعيش في بحر إسلامى يعمر مياهه وأمواجه الأتراك العثمانيون . وبإزاء خطر وقوع القسطنطينية في أيدي المسلمين

أو نصارى ، وأن تعاليم الإسلام الواردة في القرآن محرفة عن التوراة والإنجيل ، فيكون الإسلام فرقة دينية نشأت عن النصرانية واختلفت عنها في بعض تعاليمها . وهذا الاتهام المذكور في القرآن ، ومردد عليه بأن لسان الذى يلحدون اليه أجمعى وهذا لسان عربى مبين . وقد ذهب يوحنا الدمشقى في القرن الثامن الميلادى إلى أن الإسلام بدعة مسيحية . وإلى مثل ذلك يذهب نقولاس دى كوزا فيقول إن محمدا بدأ من موقف مسيحى ، على يد معلمين من النساطرة ، وتأثر إلى جانب ذلك بتأثيرات يهودية ، ثم تطور ليستخدم قوته النامية فإذا كان الإسلام في نظر نقولاس نسخة محرفة من المسيحية فإن عودة الإسلام إلى المسيحية يصبح أمراً مفهوماً . وهذا يفسر لنا كيف أرسل البابا بيوس الثالث خطاباً إلى السلطان محمد الثانى يدعوه إلى اعتناق النصرانية ، وأن يرأس الكنيسة الشرقية في القسطنطينية ولكن السلطان لم يهتم حتى بالرد على هذا الخطاب .

ويعيننا الآن أن نذكر رأى نقولاس في القرآن ، نلخصه فيما يلى ، ونذكر المصادر التى اعتمد عليها في معرفته بالقرآن وترجمته له وأخيراً نرد على هذه المسائل رداً موضوعياً فنقول هن النقطة الاولى .

« القرآن في الميزان ، Cribatio (Alchorani) ، كتبه صاحبه في أثناء سفارته إلى القسطنطينية للتقريب بين الكنيستين . وكان الغرض الذى يبغيه نقولاس من قوله « القرآن في الميزان » بحكم العنوان اللاتينى ، الذى يعنى الفحص النقدى ، أو التصفية ، ليس طعناً في القرآن كغيره من كتاب العصر الوسيط ، بل محاولة دقيقة للتمييز في القرآن بين العناصر المسيحية وغير المسيحية . وبدلاً من رفض القرآن جملة وتفصيلاً أراد نقولاس أن يميز بين كلام محمد الذى يتلقى الوحي من الله ، وكلامه هو ، أى بين الوحي وغير الوحي .

وهذه الفكرة ، أو هذا الطعن ، ليس جديداً . فهو مذكور في القرآن ، حين اتهم العرب النبي أن القرآن ليس وحياً من عند الله وإنما هو نظم شاعر . وقد رد الله تعالى على هذه المفتريات بما لا حاجة للإمالة فيه أما القول بأن بعض ما فيه متفق مع ما جاء في التوراة والإنجيل ، فهذا شئ لم ينسكه الإسلام ، لأنه جاء مصداقاً لكلام الرسل من قبل .

ويترتب على ذلك فرية ثالثة قالها العرب في أثناء نزول القرآن ، ورددها المسيحيون في جدلهم الدينى ضد الإسلام ، ونعى بها أن محمداً استقى معلوماته الدينية من يهود

الدفاع عن الإيمان ، والذي ألفه هذا الراهب الدومنيكي ، ونشره سنة ١٣١٠ ، وطبع بفينسيا سنة ١٦٠٩ . رحل ويكولدوس ، وأصله من فلورنسا إلى الشرق عدة مرات ، وعاش زمنا في بغداد ، وكان يعرف العربية وينقل بعض آيات من القرآن بدقة ، وكان يعرف الإسلام معرفة جيدة أكثر من معرفة أى كاتب آخر في العصر الوسيط . ومن هذا المصدر استقى نقولاس معلوماته .

ولما كان نقولاس لا يعرف العربية ، فلم يتسنى له الاطلاع على القرآن إلا في مترجمات جافة شوهته وأفقدته الروح . ولا غرو فإن معجزة القرآن في لغته وبيانه وبلاغته ، ولذلك فإن رأى الذى أعلنته مرارا ولا يزال أتعيد به وأدفع عنه أن القرآن لا يترجم . هذا فضلا عن أن التراجم التى رجع إليها نقولاس دى كوزا لأنها لم تكن دقيقة فقد غيرت المعنى .

والخلاصة أن القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين لا يمكن أن يترجم ، وقد كانت أول ترجمة لاتينية له مشوهة محرفة ضللت كثيرا من الكتاب والمفسرين طيلة ستة قرون من الزمان على الأقل .

أحمد فؤاد الأهواني

يذهب نقولاس إلى أن درافع محمد كانت حسنة ، وكانت عينه متجهة صوب الطريق إلى الله ، وهو الطريق الذى تجلى لموسى وعيسى ولقد سعى محمد أن يهدى الوثنيين إلى هذا الطريق . وكان القرآن الذى بشر به كتابا له قيمة دينية أصيلة ، يشتمل على الحق : لأنه متأثر بالتوراة والإنجيل ، وإذا كان فيه أمور خارجة عما جاء في العهد القديم والجديد فليس لهذه الأمور قيمة كثيرة .

وقد انحرف محمد عن الإنجيل فى وأى نقولاس لأسباب ثلاثة : الأول تضليل مقصود من النسطرة واليهود ، والثانى مدبر بغية تعليم العرب الأميين ما يلائم تفكيرهم ، والثالث تضليل لخدمة أغراضه الخاصة أو مصالحه السياسية . وخلاصة ما يراه أن القرآن مزيج من الحق والباطل ، ولذلك وجب استخلاص عناصر الحق من القرآن .

أما عن النقطة الثانية ، وهى مصادره التى رجع إليها ، فهى أولا ترجمة القرآن التى قام بها بطرس الفاضل ، كما يذكر فى مقدمة كتابه وكانت تلك الترجمة زاخرة بالأخطاء بحيث شوهت الأصل وحرفته .

وهناك مصدر ثان إلى جانب تلك الترجمة وهو كتاب ريكولدوس (Ricoldus) المسمى

الكتاب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة^(١)

للشيخ أحمد بن مصطفى الشهير بـ بطاش كبرى زاده ،

المتوفى سنة ٩٦٨ هـ - سنة ١٥٦١ م

دُرُستاز محبى الدين الألوئى

وإن كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» هو موسوعة في «موضوعات العلوم» بمعنى أنه يشتمل على تفاصيل كثيرة عن كل علم من العلوم ، كما أنه موسوعة في تاريخ العلوم العربية وفي تراجم عدد كبير من الأشخاص والمؤلفين ، وقد ألف هذا الكتاب فيما بعد غزو المغول للعالم الإسلامى وتدميرهم لبغداد ، وفي خاتمة عصر النضج في الحياة العقلية عند المسلمين . وفي ضوء هذه الاعتبارات يعتبر هذا الكتاب أهم مصدر للحياة العلمية لعلماء

إن الأمة العربية والإسلامية ، تعيش اليوم حاضراً حافلاً بالتطورات والتقلبات العصرية وتستشرف آفاق التقدم والنهضة في جميع المجالات ، وتطلع إلى مستقبل مشرق ، يتفق وحضارتها العريقة القائمة على الرسائل السماوية التي أفارت للبشر طريقهم السوى إلى سعادتي الدنيا والآخرة . وكل أمة في محاولتها الدائمة للتقدم ، وفي سعيها المتواصل للرقى لابد لها أن تلتق بأنظارتها ، حيناً فآخر ، إلى ماضيها المجيد ، تستفيد منه العبر المؤثرة لتكون لها فبراسا يميز الطريق في الظلام الحالك إلى المستقبل الذي تنو إليه . واليوم يهتم العالم بالحياة العقلية لدى العرب والمسلمين ، وبالآثار العربى والإسلامى ، لمقارنة هذا التراث بما عند الأمم الأخرى من حضارة وتراث ..

(١) طبع بحمد آباء (ج ١ - ٢) في سنة ١٣٢٩ هـ . ثم أعيد طبعه بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م في أربع مجلدات (طبع دار الكتب الحديثة) مع مراجعة وتحقيق الأستاذين : كامل كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور .

لهم حضارة جديدة بالبقاء ، وقائمة على مقومات خاصة جعلتها تسبق حواجز الزمن لكي تصل إلى مدارج السكال . وكيف وصلت النهضة الفكرية العربية إلى هذه الدرجة بهذه السرعة ؟ فالشيء الذى يلفت النظر فى هذا المضمار ، هو أن الإسلام دين علم وحضارة ، وأنه قد أمد أتباعه بطاقة روحية جعلت منه ثورة حقيقية فى جميع مناحى الحياة ، وهو إلى جانب ذلك دين إيمان وعمل يجمع بين الحماس الروحى والإخلاص السلوكى ، كما أنه دين يخاطب العقل ويقبل الاجتهاد ويدعو إليه ويعطى العقل حرية التفكير والعمل ، ويمنح المجتمع الحرية الفكرية التى هى دعامة الرقى العلمى .

ولقد حث الإسلام على طلب المعرفة وعلى العلم والتعلم ، وأن « المدينة المنورة » كانت منشأ الحركة العلمية الأولى فى تاريخ الإسلام . وكان الدافع إليها الحماس الدينى للمحافظة على كتاب الله وصلة رسوله . فنشأ علمان رئيسيان من العلوم العربية هما علم التفسير وعلم الحديث ، فهما أيضاً كانا سبباً فى نشأة علوم العربية والإسلامية الأخرى . ولما تفرق الصحابة فى شتى أنحاء البلاد بعد فتحها أمام الدعوة الإسلامية ، كانوا نواة للمدارس العلمية التى تأسست فيها مع أن المساجد كانت هى مراكز الحياة التعليمية فى جميع البقاع وفى القرن الثانى الهجرى دونت

المسلمين ، كما أنه يرسم ملامح الحياة العقلية عند المسلمين ويحفظ معالمها فى أبهى صورها .

إن المهتمين بالآثار العربى وحضارة الأمة العربية الإسلامية يجدون أنفسهم أمام حقيقة واضحة تسبب لهم الكثير من بواعث التأمل العميق . فإن الإسلام قد ظهر وماهى إلا فترة قصيرة حتى شمل شبه الجزيرة العربية جميعاً ، فلم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وأعلام الإسلام ترفرف على أنحاء شبه الجزيرة ، ثم خلفه خلفاؤه الذين حفظوا الدين والدنيا ، فإن هى إلا فترة وجيزة أخرى حتى رأينا الإسلام يخضع أعظم الامبراطوريات التى عرفها العالم القديم ، فبينما كان جنود القتوحات يفتحون البلاد للدعوة الإسلامية ، كان جنود العلم يدونون العلوم المختلفة ويضعون القواعد ويرسونها لأقوى نهضة فكرية علمية عرفها تاريخ البشرية حتى عصرهم .

ولما قارب القرن الثانى الهجرى على الانتهاء كانت العلوم العربية - جلها أو كلها - قد وضعت أصولها ومبادئها وبُنيت دعائمها على أسس متينة ، فتوسع نطاق نشاط العرب فى العلوم اللغوية والدينية ، وفى علوم الفلسفة بمختلف شعبها وفى علوم الطب والرياضيات والكيمياء والهندسة وغيرها . وأن حضارة فكرية تبلغ هذه الدرجة فى تلك الفترة القليلة

لطاش كبرى زاده ، يقدم لنا موسوعة في تاريخ العلوم العربية ، مرتبة وفقا لنظام تصنيف للمعرفة البشرية ، ومبينة أهم المؤلفات في كل علم من العلوم المعروفة في عصره .

ومن أراد أن يطلع على عظمة الحضارة العربية والراث الإسلامي ، وعلى مدى التقدم الذي وصلنا إليه ، فعليه أن يقرأ هذا الكتاب فسوف يعرف عن الأمة العربية وحضارتها في ظل الإسلام الشيء الكثير . ونستطيع أن نقدر مقصد المؤلف من تأليف هذا الكتاب من عبارته الآتية : إن العلوم مع تكثر فنونها وتعدد شجونها منحصرة في أربعة أنواع ، وذلك أن الأشياء وجوداً في أربع مراتب : في الأعيان ، وفي الأذهان ، وفي العبارة . وفي الكتابة . فالعلوم المتعلقة بالأول من حيث حالها في نفس الأمر هي العلوم الحقيقية التي لا تتبدل باختلاف الأزمان ، وتجدد الملل والأديان ، وهذه تسمى علوماً حكيمية ، إن جرى الباحث عن أحوالها فيها على مقتضى عقله ، وعلوماً شرعية ، إن بحث عنها فيها على قانون الإسلام والعلوم المتعلقة بالثانية هي العلوم الآلية المعنوية : كالمنطق ونحوه والعلوم المتعلقة بالآخرين ، هي العلوم الآلية : اللفظية والخطية . وهذه هي العلوم المعتمدة في ديننا ، هذا الورود شريعتنا هذه على لسان العرب

أصول جميع العلوم العربية الإسلامية ، كما بدأت فيه أيضاً حركة ترجمة العلوم الأجنبية من فلسفة وطب ورياضيات وكيمياء وفلك وهندسة ، ثم أثمرت هذه الحركة ثمرة الثمرة اليانعة حين بدأ علماء العرب يؤصلون المبادئ ويضعون القواعد ، ويؤلفون ويعلمون لهذه العلوم حتى نشأ فيهم الفلاسفة والأطباء والكيميائيون وغيرهم ، وأضافوا إلى الحضارة الإنسانية والهضة الفكرية تراثاً ضخماً في هذه العلوم ، وكان إسهامهم فيها طورياً طبيعياً أسلم إلى حضارة النهضة الأوروبية الحديثة وسبيلها . وجدير بالذكر أن المذهب العلمي التجريبي والتراث العلمي ، اللذين ابتكرهما العرب ، هما اللذان مهدا للحضارة الغربية الحديثة ، باعتراف كل المنصفين من المستشرقين وغيرهم . .

وفي القرنين الثالث والرابع وصلت العلوم العربية إلى عصر النضج وكثرت المؤلفات والمترجمات كثرة جعلت ابن النديم يؤلف كتابه المشهور (الفهرست) ليكون بمثابة موسوعة تسجل المؤلفات في كل علم من العلوم . ومن الناحية الزمنية فتفصل ستة قرون بين ابن النديم ، وبين طاش كبرى زاده ، فإذا سجل لنا كتاب ابن النديم ، الحياة العقلية للمسلمين حتى وقته تسجيلاً حاضراً بحيث أمدنا بمعلومات قيمة عن الكتب العربية والمترجمة في جميع العلوم فإن مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،

والتعلم والتعليم - ٢ - في شرائط المعلم ووظائفه
٣ - في وظائف المعلم - ٤ - في بيان النسبة
بين طريق النظر وطريق التصفية . وأن
المقدمات الثلاث الأولى بمثابة المنهج التمهيدي
هند العلماء المسلمين ، كما أنها تتضمن مبادئ
علمية وأسس المنهج العلمي الحديث . ثم يقدم
المؤلف كتابه إلى طرفين ، فالأول في الإرشاد
إلى كيفية تحصيل طريق النظر ، والطرف
الثاني في العلوم المتعلقة بالتصفية . ويشتمل
الطرف الأول - حسب تقسيم المؤلف -
على ست دوحات : - ١ - في بيان العلوم
الحظية - ٢ - في علوم تتعلق بالألفاظ
٣ - في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات
٤ - في العلم المتعلقة بالأعيان - ٥ - في الحكمة
العملية - ٦ - في العلوم الشرعية . وأما الطرف
الثاني فيتضمن الدوحة (٧) وهي في العلوم
المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العلم بالعمل .

وطريقة المؤلف في ذكر المؤلفات ،
أن يبدأ بالمؤلفات الأصلية ثم المختصرات
والشروح ، وحينما يذكر الكتاب ، يتحدث
عن مؤلفه ويبين أهمية هذا الكتاب ومكانته
بين الكتب الأخرى في الموضوع الذي
يتناوله . وقد فصل المؤلف تفصيلاً واسعاً
في العلوم العربية والإسلامية ، ففي الدوحة
الثانية ، تناول علوم اللغة العربية ، وفي
السادسة العلوم الشرعية ، وهكذا . ولقد

وعلى كتابته . ثم إن الثلاثة الأخيرة من هذه
الأنواع لا سبيل إلى تحصيلها إلا السكسب
بالنظر . وأما النوع الأول منه ، فقد يتحصل
بالنظر ، وقد يتحصل بالتصفية (١) .

وبعد هذه المقدمة يقول المؤلف : دواعي
أن تحصيل العلوم لا يمكن إلا بتصورها
إسماء ورسمها وموضوعها ونفعها ، أحببنا أن نبين
في هذه الرسالة الأمور المذكورة في كل علم
أصلاً وفرعاً ، ونبين أسماء الكتب المؤلفة
فيها وأسماء مؤلفيها ، ليكون لنا في تحصيل
العلوم وترغيباً في طلبها وإرشاداً إلى طرق
تحصيلها . ثم يوضح الغرض من ذكر
المؤلفين : « فلعرفة منافهم وأحوالهم ليستفاد
بذلك في تأديب النفس بآدابهم ، ولعرفة
مراتبهم وعصورهم لإنزالهم منازلهم ولإعطائهم
حقوقهم ، وذكرهم أيضاً نوع من الوفاء
بمقوقهم لأنهم السلف والائمة ، كما يستفاد
بمعرفةهم في الأخذ برأي أورعهم إذا تعارضت
الاقوال (٢) » .

وبعد بيان مقصده من تأليف الكتاب
يشرح المؤلف في حصر العلوم على الإجمال
ثم يفصلها . وأن الكتاب بصيغة عامة ذو
هدف تربوي . ويتضح هذا الهدف من مقدماته
الأربع القيمة فهي : ١ - في بيان فضيلة العلم

(١) ج ١ - ص ٦٨ .

(٢) ج ١ - ص ٧٣ .

تتمج في النهاية ما يزيد على ثلاثمائة علم . وإن
 نظرة عامة على تصنيف « طاش كبرى زاده » ،
 تلقى ضوءا على تراث العرب والمسلمين
 الفكري في زمنه لكي نقارن هذا التراث
 الفكري بالتراث الفكري الأوربي في ذلك
 العصر ، بل وبعده بقرون . وبعبارة أدق
 أن هذا الكتاب مرآة تعكس فيها المعرفة
 البشرية جميعا حتى عصره . وإذا مرّح المرء
 بترائهم الضخم الثمين الحى ، وماذا فعل
 الأوروبيون بترائهم المتنثر الواهى ، فيعبر
 بالآلم فيحس بالدهشة .
 وأن التمسك بأجداد هذا التراث والعودة
 إلى قواعده كفيلا لأن يعطى العالم العربى
 والإسلامى دفعة إلى الامام ، فإن رائده
 فى هذه الدفعة دين الله الذى أنزله لسعادة
 البشرية فى دنياها وأخرها . . فطرة الله التى
 فطر الناس عليها . . لا تبدل لخلق الله ...
 ولن نجد لسنة الله تبديلا.

محى الدين الالوانى



يقول الله تعالى :

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا
 الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت
 بمسمع من فى القبور ،

(فاطر : الآية ١٩ - ٢٢)

أَنْبَاءٌ وَأَرْاءُ

المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية:

● يعقد في القاهرة في الفترة من ٥ رجب سنة ١٣٨٨ إلى ٢ شعبان سنة ١٣٨٨ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٨ إلى ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٦٨ م .

شيخ الأزهر بالتناوب مع فضيلة الدكتور محمد هبده الله ماضي وكيل الأزهر ، ويقول أمانة المؤتمر فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .
برنامج المؤتمر :

● الجمعة ٥ رجب سنة ١٣٨٨ هـ يلتقي علماء المسلمين الأجلاء في رحاب الجامع الأزهر الشريف لأداء فريضة صلاة الجمعة السبت : حفل الافتتاح بقاعة مجلس محافظة القاهرة بميدان الجمهورية بالقاهرة حيث تعقد الفترة الأولى للمؤتمر وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد تبدأ مناقشة البحوث المقدمة للمؤتمر وسيعقد المؤتمر جلستين يومياً الأولى صباحية في تمام الساعة العاشرة صباحاً والثانية مساءً في تمام الساعة السادسة مساءً وفيما يلي أبحاث الفترة الأولى حسب ترتيبها في البرنامج .

المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقد تلقت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية موافقة أكثر من اثنتين وثلاثين دولة إسلامية آسيوية وأفريقية وأوروبية . تشترك في المؤتمر بوفود من علماء المسلمين ومفكرهم ، وسيعقد المؤتمر على فترتين الأولى وتستمر عشرة أيام ويشترك فيها الأعضاء الوافدون مع السادة أعضاء مجلس المجمع من داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها ، وتكون اجتماعاتها بقاعة الاجتماعات بمبنى محافظة القاهرة بميدان الجمهورية ، وتقعها مباشرة الفترة الثانية وتستمر أسبوعين وتقتصر عضويتها على السادة أعضاء المجمع ويتولى رئاسة المؤتمر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

- ١ - مكانة القدس في الاسلام
لفضيلة الشيخ عبد الحميد الساج
- ٢ - مكانة بيت المقدس في الاسلام
للأستاذ هبده الله حميد حسن

- ٣ — مكانة بيت المقدس في الإسلام
للدكتور اسحاق الحسيني
- ٤ — دور اليهود في العدوان على قاعدة
الإسلام في المدينة
للدكتور عبدالعزيز كامل
- ٥ — موقف اليهود من الإسلام والمسلمين
في العصر الأول
لفضيلة الشيخ عبد الله المشد
- ٦ — موقف اليهود من الإسلام والمسلمين
ونبي الإسلام في زمن النبوة الشريفة
للأستاذ محمد هزه دروزه
- ٧ — المسلمون ومشكلة فلسطين
للأستاذ عبد الله كنون
- ٨ — موقف اليهود من الإسلام والمسلمين
في العصر الأول
للأستاذ محمد طه يحيى
- ٩ — اليهود من كتبهم المقدسة أعداء
الإنسانية
للشيخ كال أحمد عون
- ١٠ — إرادة القتال في الجهاد والإسلام
للواء محمود شيت خطاب
- ١١ — الجهاد
للشيخ محمد أبوزهرة
- ١٢ — الجهاد
للدكتور عبد الحلیم محمود
- ١٣ — الجهاد في الإسلام
للشيخ عبد الله غوشه
- ١٤ — الجهاد في سبيل الله
للشيخ حسن خالد
- ١٥ — الاسرائيليات في التفسير والحديث
للدكتور محمود يونس
- ١٦ — الاسرائيليات في التفسير والحديث
للشيخ محمد حسين الذهبي
- هذا وبعد انتهاء المناقشات للبحوث الختامية
للفترة الأولى يوم الاحد ١٤ من رجب سنة
١٣٨٨ الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٦٨ م
لاعلان التوصيات والقرارات .
- وتبدأ الفترة الثانية للؤتمر يوم الاربعاء
١٧ رجب سنة ١٣٨٨ هـ بقاعة مجلس المجمع
بإدارة الأزهر وتناقش فيها الأبحاث الآتية
حسب ترتيبها في البرنامج :
- (١) جمع القرآن وتدوينه
للشيخ على الخفيف
- (٢) ذكرى نزول القرآن وتحقيق
في تاريخه
للأستاذ عبد الله كنون

(٣) القرآن وجمعه

للدكتور إبراهيم اللبان

(٤) نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره

للشيخ محمد هلى السائس

(٥) نظرة إلى العقوبة في الإسلام

للشيخ محمد أبو زهرة

(٦) التربية الخلقية والاجتماعية في السنة

النبوية

للاستاذ عبد الحميد حسن

(٧) شخصية المسلم

للدكتور عبد الحليم محمود

وتنتهى الفترة الثانية يوم الخميس ٢ من شعبان

سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٤ من أكتوبر

سنة ١٩٦٨ حيث تعلن قرارات المؤتمر

وتوصياته :

● سددت الجمهورية العربية المتحدة

نصف القرض السوفيتى الاول الخاص

بأعمال الصدد العالى والذى تبلغ قيمته

٣٤ مليون جنيه .

● افتتح في مقر الجامعة العربية بالقاهرة

معرض للصور الفوتوغرافية يصور العدوان

الإسرائيلى على مدينة السلط الاردنية .

● يعقد في القاهرة في نوفمبر القادم المؤتمر

العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية وسيحضر

المؤتمر ممثلون لجميع لجان تضامن الشعوب

الإفريقية الآسيوية في العالم ولجان مجلس

السلام العالمى .

● أذاع راديو بغداد فتوى لفضيلة

مفتى العراق تعتبر تأييد منظمة فتح واجبا

دينيا .

● أعلن السيد ونيس القذافى رئيس

وزراء ليبيا ، أن الحكومة الليبية تعزم

العمل على إنهاء وجود القواعد الاجنبية

في ليبيا وتحويلها إلى قواعد وطنية ، كما أكد

دعم الحكومة الليبية للقضية الفلسطينية ودعم

الجهة الاردنية لتمكينها من مواصلة الصمود

تجاه الاعتداءات الإسرائيلية .

● علق عضو بالجمعية الفرنسية على

العدوان الإسرائيلى على مدن القناة بقوله :

إن الدعاية الإسرائيلية خدعتنا خلال ربع قرن

عن خرافة الأمة المضطهدة وأن كل عدوان

جديد لها يزيد من اقتناع الرأى العام العالمى

بأن إسرائيل تهزأ بالرأى العام الذى حمى ولدها

وأن إسرائيل ستجد نفسها من الآن فصاعداً

تقف وحدها بعيداً عن تعاطف الرأى

العام العالمى .

● يدرس الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة اقتراحاً بدعوة وفد من منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا لزيارة القاهرة، لتبادل وجهات النظر ووضع خطه عمل خلال هذه الفترة الحاسمة في مواجهة الصهيونية العالمية .

صناديق الغدور في المساجد الكبرى هذا العام ١٢٠ الف جنيه سيخصص لفرش المساجد بالسجاد ، وقد تم التعاقد بين الوزارة ومصانع المحلة الكبرى على تصنيع عشرة آلاف متر من السجاد كدفعة أولى لهذا الغرض ؟

● بلغ نصيب وزارة الأوقاف من حصة عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

تصويب الخطأ

لمقال العدوى بين اطب والشرعية بالعدد السابق

الخطأ	الصواب	الصحيفة	العمود	السطر
على معنى إلا بمشيئة الله	على معنى لا عدوى إلا بمشيئة الله	٢٥٤	الأول	١٣
وأن يهملوم	وأن لا يهملوم	٢٥٤	الأول	١٤
فيعودون الفوز	فيعودون بالفوز	٢٥٥	الأول	٢٤
(يا نجيح يا رشد)	(يا نجيح يا راشد)	٢٥٦	الأول	١٧
إني انطلقت	إني انطلقت	٢٥٦	الأول	٢٣
أن حمل الغولة	أن حمل التولة	٢٥٧	الثاني	٧
والغولة خرز	والتولة خرز	٢٥٧	الثاني	٨
ونفع الغولة	ونفع التولة	٢٥٧	الثاني	١١
ولا غول ولا قولة	ولا غول ولا تولة	٢٥٧	الثاني	١١

- | | |
|--|---|
| <p>7 - الأساس the Foundation, which is almost an equivalent of the "Substance" of the Book ;</p> <p>8 - الرقية the Spell ; as demonstrated by the Prophet, the Surah should be recited over the sick ;</p> <p>9 - الشفاء the Cure ; as demonstrated by the Prophet, the Surah should be recited over the sick ;</p> <p>10 - الصلاة أو الدعاء Prayer : thus the</p> | <p>Surah is in a way referred to by Allah ;</p> <p>11 - السؤال Request, man's request for true guidance coming next in the Surah to praise of Allah and acknowledgement of allegiance to His partnerless Lordship over the Creation ; and,</p> <p>12 - الشكر Thanksgiving, which is almost an equivalent of praise.*</p> <p>(to be continued)</p> |
|--|---|



مراجع البحث *

- (١) صحيح البخارى .
- (٢) تفسير سورة الفاتحة ، للذخر الرازى - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .
- (٣) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ؛ طبعة كتاب الشعب .
- (٤) جواهر القرآن - للغزالي .
- (٥) فاتحة الكتاب - الشيخ محمد عبده ؛ طبعة كتاب التحرير .

- c) worship that livens up Monotheism in the believer's heart and establishes it deep in his soul;
- d) manifestation of the road to blessedness in the here-below and felicity in the here-after; and,
- e) consideration of the cases and fates of the faithful, who took themselves to obedience of their Lord, and the infidels, who turned their backs upon the call to their Maker.

All these Qur'anic sign-posts which leave nothing of man's worldly and heavenly affairs, the Exordium of the Book is also inclusive, of though without going literally into detail. No wonder, then, that such is the unrivalled rank of this Surah, and that it is known by the following names :

- 1 - فاتحة الكتاب The Opening of the Book, for with it begins the Qur'an, whether the print or the teaching of it;
- 2 - أم الكتاب the Substance of the Book, for all that is in the Qur'an is implicit in it;
- 3 - سورة الحمد the Surah of Praise, opened as it is by "Praise be to Allah";
- 4 - السبع المثاني the Seven "Mathani", composed as it is of seven

Verses, and the Arabic term "Mathani" being equally translatable as follows :

- a) laudatory, the Surah being essentially a eulogy in praise of Allah;
- b) twice-revealed, the Surah being actually revealed twice to the prophet;
- c) oft-repeated, the Surah being recited no less than 17 times a day during the compulsory prayers alone;
- d) binary, the Surah embracing both praise of Allah and His willingness to answer His servants; the Surah being coupled together with any other Surah in prayers; the Surah confronting with its seven Verses the seven doors of Hell; and or the one Verse of the Surah securing for the reciter the reward of a reciter of one seventh of the Qur'an;
- e) exceptional, the Surah being conferred on the Qur'an alone of all the Holy Books and on Muslims alone from among the people of heavenly faiths;
- 5 - الكافية the Impartible, the Surah being indivisible whether in recital or in prayers;
- 6 - الوافية the Adequate, no other Surah in the Qur'an being so competent as to replace it;

From the Tradition of the Prophet :

AL - FATIHAH

The opening chapter of the Qur'an

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Prophet blessed be he said :

ألا أعلمك أفضل سورة في القرآن ؟
« الحمد لله رب العالمين » ، هي السبع
المثنى والقرآن العظيم الذي أوتيته .

“Would I tell you of the Surah that of all the Qur'an deserves most reverence ? It is ‘praise be to Allah Lord of the Creation’, the Oft-repeated Seven Verses. Why, it is the essence of the Qur'an revealed to me”.

Whether in pith and marrow, or in its ultimate aim, the Qur'an is but calling men to Allah, Lord of both the here-below and the here-after and Creator of both the lofty heavens and the low earths. The Surahs and the Verses of this light - giving Book, therefore, run in the following trends :

- 1 - demonstration of Allah, exalted be He ;
- 2 - illustration of the straight Path that man should follow to meet Him ;

3 - exposition of man when ultimately he finds both himself and all that he has done brought before Allah ;

4 - relating stories of precedent peoples, both those who had answered the call of Truth and those who had turned a deaf ear to it ;

5 - argument demonstrative of the cause of Faith against the infidels' perversity, bigotry and short-sightedness ; and,

6 - introducing the lawful and the unlawful and the bounds set by Allah for man to keep within and not transgress.

By the nature of things, intrinsic in these trends are :

- a) Monotheism ;
- b) promising the faithful good reward and warning the refusers of the deadly issues of their obstinacy and ill-disposition. This applies to both individuals and nations ;

إلما قد سلف ، إن الله كان غفوراً رحيماً .
(الآية ٢٣ من سورة النساء)

It means : "Prohibited to you (for marriage) are : your mothers... and two sisters in wedlock at one and the same time, except for what is past; for God is Oft-forgiving, Most Merciful."

(Verse 23, Ch. 4)

7 — Slavery was practiced and was legal as we know. Many women who were forced into slavery for one reason or another were further humiliated by masters who coerced them to live in prostitution so they could make money for their masters. This inhuman action was allowed and was legal in Arabia and other parts of the world. Islam saved such unhappy women and brought an end to their involuntary servitude :

وذلك قوله سبحانه : ... ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء إن أردن تحصننا لتبينوا
عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرهن فإن الله
من بعد إكراههن غفور رحيم .
(الآية ٣٣ من سورة النور)

It means : "... But force not your maids to prostitution when they desire Chastity, in order that ye may make a gain in the goods of this life. But if anyone compels them, yet, after such compulsion, is

God Oft-forgiving, Most Merciful (to them) ".

(Verse 33, Ch. 24)

8 — Women treated as slaves and property could have no opinions for themselves or for other people. This was the case before the coming of Islam. But in the Islamic era the situation was completely reversed. Woman was given freedom to express her opinion, even if the opinions differed from those of the man with whom she argued. More than that, she could argue with the prophet himself. We are proud to see an example of such an argument in our Holy Book. It should be read and remembered forever. And further, we are very proud that the pleading of the woman who argued with the prophet was recognized and her request was granted :

يقول الله عز وجل : قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ،
والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير .
(الآية الأولى من سورة المجادلة)

It means : "God has indeed heard (and accepted) the statement of the woman who pleads with thee concerning her husband and carries her complaint (in prayer) to God : and God (always) hears the arguments between both sides among you : for God hears and sees (all things).

(Verse 1 Ch. 58)

(to be continued)

بما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه
أو أكثر ، نصيبا مفروضا .
(الآية ٧ من سورة النساء)

It means : "From what is left by parents and those nearest related there is a share for men and a share for women, whether the property be small or large, . . . a determinate share."

(Verse 7 Ch. 4)

4 — Wors than her lack of inheritance rights, woman in some cases was herself inherited by somebody as a piece of property. When a man died, his eldest son or other male relatives had the right to possess his widow or widows (but not his mother in case of the son). He could marry her if he pleased without any obligation to her, give her in marriage to others without her consent, or prohibit her from marriage altogether. Islam made this illegal and saved woman from this unjust action :

وذلك قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا
لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها . . .
(الآية ١٩ من سورة النساء)

It means : "O ye who believe. Ye are forbidden to inherit women against their will."

(Verse 19 Ch. 4)

5 — And lest some people misunderstand the last Qur'anic words

quoted above (i. e., "against their will"), and think that if the widow willed to marry her step-son Islam would allow such a marriage, the Holy Qur'an makes it clear that it is unconditionally prohibited :

يقول الله سبحانه : ولا تنكحوا ما نكح
آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان
فاحشة ومقحاً وساء سبيلاً .

(الآية ٢٢ من سورة النساء)

It means : "And marry not women whom your fathers married, except what is past; It was shameful and odious, an abominable custom indeed." (Verse 22, Ch. 4)

6 — It was legal and common for a man to marry two sisters at the same time regardless of the ill-feeling each of the sisters might have toward each other. This practice overlooked the destructive power of jealousy, for two sisters would no doubt compete with one another for the attention of one husband. It also disregarded the effect of this tense situation on such a family and on the family from which both sisters came. Islam has made this practice absolutely forbidden in order to keep the family healthy and a source of happiness :

يقول الحق تبارك وتعالى : حرمت عليكم
أمهاتكم . . . وأن تجمعوا بين الأختين

WOMAN'S POSITION IN ISLAM - I

BY : DR. AHMED I. MOHANNA

Woman Before Islam :

History tells us that in pre-Islamic times, woman was humiliated and degenerated. Anyone familiar with that period who reads the Holy Qur'an would know that Islam raised the position of woman from the very low to the very high. Islam instituted the following reforms :

1 — Before Islam the female child was very undesirable. The Holy Qur'an tells us plainly the kind of attitude the Arab had when he received the news that a daughter was born to him, and describes the action he often took to relieve himself from the state of disgrace he faced. Then the Qur'an follows this with a very strong expression of disapproval :

«وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً
وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به، أي يمسكه على هون أم يدسه في التراب؟
الاسماء ما يحكمون، (سورة النحل ٥٨، ٥٩)»

It means : "When news is brought to one of them, of (the birth of) a female (child), his face darkens, and he is filled with inward grief !"

"With shame does he hide himself from his people, because of the bad news he has had ! Shall he retain it on (sufferance and) contempt, or bury it in the dust ? Ah ! what an evil (choice) they decide on?"
(Verse 58 - 59 Ch. 16)

2 — It was common practice among many of the Arabs to rid themselves of their daughters by burying them alive. Islam considers such action a sinful, unforgivable crime :

«وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت،
(الآيتان ٨ ، ٩ من سورة التكاوير)

It means : "When the female (infant) buried alive, is questioned. For what crime she was killed."
(Verses 8 - 9 Ch. 81)

3 — Before Islam, woman had no right to inherit anything from her parents, children, husband, or relatives. All property left by deceased relative went to male heirs only. Islam recognizes woman's rights and gives her a share in such property :

نجد ذلك في قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب

"Almost without exception the Negro is cast in menial and servile roles in motion picture and television dramas, in advertisements, and in literature. It is the common belief among many white people that all Negroes are sexually immoral, carry concealed weapons; can sing and dance; prefer a diet of pork chops and watermelon; are lazy; love big words, flashy cars, and colorful clothes; are childish; dependent, and superstitious.(1)

It is to break away from such a stereotype and to create a new identity that the Nation of Islam has in part established its educational system. Most of the people who join the Nation of Islam, as reported by Charles Eric Lincoln and E. U. Essien-Udom, are by and large the poor, the dis-advantaged, and culturally deprived who are trying for a new identity. Most Chicago Muslims were born in the South. The majority of the migrants probably did not complete elementary school, and very few completed high

school. Some were illiterate and most had no skills for industrial occupations in the Northern cities.(2)

Both Lincoln and Udom came to the conclusion that the movement recruits its members mostly from Negroes with criminal records and those frustrated with life. But once these frustrated Negroes become members in the Nation of Islam they have a feeling of belonging and pursue their way out from the Negro image in the white American culture as they continue to develop the Muslim identity. It is the thesis of this study that the Muslims' effort to develop a new self-image seems to be aided by the educational system of the Nation of Islam. This system represents a deliberate attempt at cultural renewal by incorporating new cultural elements into the Muslims' life such as the teaching of a new religion, a new language (Arabic), and with the intent of changing the Negro's self image in the United States.

(To be Continued)

(1) Ward Goodenough, "Education and Identity," *Anthropology and Education*, (ed.), Frederick C. Gruber, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1961, pp. 84 - 102.

(2) E. U. Essien - Udom, *Black Nationalism, A Search for an Identity in America*, Doctoral Dissertation, the University of Chicago 1961, p. 254. (University Microfilm, Inc., Ann Arbor, Michigan).

University of Islam in Detroit, the University of Islam in Chicago, and the University of Islam in Atlanta. The Muslim schools in Los Angeles, Philadelphia, New York, and Boston hold only one-day-a-week classes (Saturday). Vontress states briefly that the goal of Muslim education is "to perpetuate and reinforce the philosophy which Muslims preach and teach in their mosques."⁽¹⁾ Vontress also indicates that education decision-making was done primarily by Elijah Muhammad, "and he alone is the decision and policy maker. There is no board of directors, no superintendent of schools, and no treasurer."⁽²⁾

Vontress points out that although Elijah Mohammad depreciates the worth of Negroes who have been educated in the public schools, many of the Muslim teachers possess degrees from American public universities. Vontress also has reservations about the quality of Muslim teachers. "Although the teachers interviewed at the University of Islam are college-trained, there is some doubt that they are qualified to teach every course which they must teach."⁽³⁾ Vontress bases his

doubt on the fact that some teachers interviewed do not hold area certificates in the subject they teach.⁽⁴⁾

Although the Muslim parents pay tuition fees for their children, most of the schools, expenses are paid by the Muslim organization. "The existing physical facilities are inadequate for the swelling enrollment."

As for the academic success : "The students are no better or worse than Negro students found in most Northern inner-cities. Their Beta and Gamma Otis scores are in the main below average. Even so, the students are finishing high school."⁽⁵⁾

*The Role of the Muslim School
in Cultural Renewal and Identity
Development*

The role of the school in the Nation of Islam and its conscious attempt to help students to refute the traditional white stereotype of the Negro presented in the literature and the mass media can provide an example of the processes of cultural renewal and identity transformation. The extent of this traditional stereotype has been emphasized by Kyle Haselden. In his book, *The Racial Problem in Christian Perspective*, he writes :

(1) Ibid., p. 86.

(2) Ibid., p. 86.

(3) Ibid., p. 87.

(4) Ibid., p. 87 - 88,

(5) Ibid., p. 89.

Though the schools are called Universities of Islam, they operate only elementary and high schools. The enrollment in the University of Islam in Chicago had increased from fifty students in 1945 to three hundred and fifty students by 1960.(1) Udom gives no enrollment figures for the University of Islam in Detroit. Udom states that :

“Boys and girls receive instruction in the same building but in separate classrooms. Segregated instruction has been part of the tradition of the schools since its founding. However, in the kindergarten and the first grade, the sexes are integrated “because they are innocent” at that age.”(2)

Udom maintains that the core of the curriculum is essentially the same as that of the public schools, except that Arabic is taught from the fourth grade up. The students receive not only academic grades for attendance, conduct, cooperation, effort, and reliability.(3)

When Udom questioned the Muslim students about their ambitions he received little cooperation from them. Of those who did answer, the boys

seemed much more interested in a college career than the girls. However, most of the students expressed desires to obtain careers which could be found within the Nation of Islam, for example, the jobs of doctor, lawyer, or teacher in a University of Islam.

In speaking of the performance of the muslim schools, Udom states that “within the limitations shown above, the performance of the school appears to be reasonable.”(4)

In his research on Muslim schools, Clemmont E. Vontress indicates that the Muslims operate eight schools in the United States. He states : “At this writing, there are eight such schools in this country. They are located in Atlanta, Los Angeles, Detroit, Philadelphia, New York, Boston, Washington, D. C., and Chicago.”(5)

However, Vontress does not indicate whether these eight schools hold regular sessions or one-day-a-week - classes. At the time of the present research the schools which hold regular sessions were the

(4) Ibid., p. 203.

(5) Clemmont E. Vontress, “Threat, Blessing, or Both, The Black Muslim Schools.” Phi Delta Kappan, Vol. XLVII, No. 2, October, 1965, p. 86.

(1) Ibid., p. 257.

(2) Ibid., p. 257.

(3) Ibid., p. 264.

The Educational System of the "Nation of Islam" in America

BY :

DR. IBRAHIM M. SHALABY



— 1 —

This study focused on the educational system within the Nation of Islam as an example of the processes of cultural renewal and identity development. The Muslim movement under the leadership of Mr. Elijah Muhammad has as its ideal the establishment of one school in connection with every temple. Charles Lincoln states that the aim of Muslim schools is to prepare students to reclaim their roles as black men, and also states that the ultimate goal of the schools is to produce future leaders for the movement who are steeped in the Muslim tradition.(1)

Udom quotes Elijah Muhammad's remarks on the goals of the Muslim schools. Muhammad says that :

"We should acquire an education, that will make our people put to

better use the knowledge they acquire... an education that will make our people willing and able to go and do for self.(2)

The further objective of Muslim education is :

To re-educate the so-called Negro, who has been the victim of centuries of mis-education... to attain his rightful place in the sun as a Black Man... A cardinal fact of its teachings is to give the students a feeling of dignity and appreciation of their own kind.(3)

The first Muslim school, The University of Islam, was established in Detroit in 1932. The second was established in Chicago in 1934.

"Both schools have been in continuous operation ever since."(4)

(1) Charles Eric Lincoln, The Black Muslims in the United States, a doctoral dissertation, University Microfilms, Inc., Ann Arbor, Mich., 1960, pp. 222 - 225.

(2) E. U. Essien-Udom, Black Nationalism, Dell Publishing Co., Inc., New York, 1964, p. 254.

(3) Ibid., p. 355.

(4) Ibid., p. 253.

grateful servant. And We decreed for the Children of Israel in the Scripture : Ye verily will work corruption in the earth twice, and ye will become great tyrants. So when the time for the first of the two came, We roused against you servants of Ours of great might who ravaged the country, and it was a promise performed. Then we gave you once again your turn against them, and we aided you with wealth and children and made you more in soldiery. (Saying) : If ye do good, ye do good for your own souls, and if ye do evil, it is for them (in like manner). So, when the time for the second came (We roused against you others of our servants) to ravage you, and to enter the Mosque even as they entered it the first time, and to lay waste all that they conquered with an utter wasting." XVII : 2—7.

For these reasons, it is the urgent duty of the Muslims and the

peace loving people all over the world to take necessary steps for restoring the right of the people of Palestine, who have been wrongfully driven out. The following verse of the Holy Quran may be taken as referring to their present position there :

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية
الظالم أعلمها واجعل لنا من لدنك وليا
واجعل لنا من لدنك نصيرا » (النساء ٧٥)

It means : "How should ye not fight for the cause of Allah and of the feeble among men and of the women and the children who are crying : Our Lord ! Bring us forth from out this town of which the people are oppressors ! Oh, give us from Thy presence some protecting friend ! Oh, give us from Thy presence some defender." S : IV,V : 75.



ancestral home land are, also, supported both by International law and justice. Under International law Palestine was recognized as a state, with territory, with fixed boundaries and with a population. The British mandatory organized a Civil Administration which it called the Government of Palestine. The Government of Palestine took part in many important International conferences and became a member of several International Agencies.

The population of Palestine in 1919 was 95% Muslims and christian Arabs and 5% of native Jews. It is a historic fact that Zionist terrorist gangs, with the aid of British troops, expelled more than one million Arabs of Palestine from their homeland occupying their homes and properties, robbing them of all their personal possessions. Jews owned less than 1% of Palestine yet they Plundered and occupied all private and public property in 80% of Palestine. These facts are proof that Palestine had all the qualifications of a state under International law. The minority of Jews, with the aid of world Zionism and imperialism, by force and violence, violated the territorial integrity of Palestine and the political independence of Arab majority of Palestine. The principles of International Law and Justice establish beyond any shadow of doubt

that the occupation of 95% of Palestine by a minority of Jews, by cunning and treachery, was illegal.

The Sûrah, Al-Isrâ (XVII) of the Qur'an begins with the verse relates to the story of the Prophet's Journey by night from Mecca to Jerusalem, whence he was ascended to the heavens. This was followed by verses, relate to the story of Israelites:

وآتيناهم موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً .
ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبداً
شكوراً ، وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً
كبيراً ، فإذا جاء وعد أوليها بعثنا عليكم
عباداً لنا أولى بأس شديد فجازوا خلال
الديار وكان وعداً مفعولاً ، ثم رددنا لكم
الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين
وجعلناكم أكثر نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد
الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تقيماً .
سورة الإسراء ٢-٧ .

It means : "We gave unto Moses the Scripture, and we appointed it a guidance for the children of Israel, saying : Choose no guardian beside Me (They were) the seed of those whom We carried (in the ship) along with Noah. Lo ! he was a

place toward which the Muslims turn their face in prayer) of Prophet Muhammad (peace be on him) and his followers.

2 — Here is the place of Sacred Rock (Al-Sakhra). It is on this Rock that Prophet Muhammad (peace be on him) placed his foot when he ascended to heaven in the Night of Ascent.

3 — The Prophet classed the Mosques of Mecca, Jerusalem and Medina as of equal value to Muslims.

4 — Jerusalem is the second most holy city of Islam. It is considered next in importance to Mecca.

5 — Traditions stated that the Prophet ascended to heaven on his horse "Al-Buraq" from the Rock. His foot-print (Qadam Muhammad) may be seen still.

6 — There is a round hole in the middle of the Rock where the Prophets' body, it is said, pierced its way upward and nearby is shown the saddle of Al-Buraq in the shape of several marble fragments.

Palestine is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. The passing years only retained original place of Al-Quds (Jerusalem) in the faith of Islam, and increased the respect and reverence in which it is held by all Muslims. After the first World war and disintegration of

Ottoman Empire, Jerusalem became capital of Palestine. This state changed with the usurpation of Zionist Israelites to Palestine by the help of imperialistic powers in 1948. The Zionist Israelites have dispersed its peaceful inhabitants, desecrated its sanctity, wiped out its mosques and cemeteries, obliterated its land-marks in order to establish a racially fanatic and despotic state. They also threatening Arab and Muslim countries, and their holy lands by the sinister plans of world Zionists to lay their hands on countries stretching from the Nile to the Euphrates or even from the Atlantic ocean to the Gulf.

Today Jerusalem appeals to the Muslims all over the world to perform their obligatory duty towards this holy city. It is now occupied and ruled by an enemy determined to irrevocably change its Physical appearance and drive out its sons ruthlessly. These objectives are being pursued in many ways with the utmost speed. Now Jerusalem struggles to survive. Only the immediate and concerted action by every one concerned the world over will save Jerusalem from demographic and spiritual obliteration by the hands of Zionist Israelites.

The right and the obligation of Palestine Arabs to liberate their

الكتاب أما آتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من
فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر .
(سورة النمل ٣٨ - ٤٠)

It means : "He (Solomon) said :
O chiefs ! which of you will bring
me her throne before they come
unto me, surrendering ? A stalwart
of the Jinn Said : I will bring it
thee for you before thou rise from
thy place Lo ! I verily am strong
and trusty for such work. One with
whom was knowledge of the Scrip-
ture said : I will bring it thee
before thy gaze returneth unto thee.
And when he saw it in his presence
(Solomon) said : This is of the
bounty of my Lord, that He may
try me whether I give thanks or
am ungrateful".

(XXVII : 38 - 40)

This story should remove such
doubt about the Ascent of Prophet
Muhammad (Peace be on him).
If a stalwart of the Jinn was able
to bring the throne of the Queen
of Sheba unto Solomon from Yemen
before he could rise from his place,
and one, with whom was knowledge
of the Scripture, has done such
work before Solomon's gaze retur-
ned unto him, then how it will be
difficult to believe that the Lord of
the worlds carried His Choicest

servant and His messenger by night
from Mecca to Jerusalem ?

The Quran describes both the
sacred Mosque of Jeurusalem and
the Holy Mosque of Mecca as
'blessed one'. The holy Mosque of
Mecca is mentioned in the Quran
as the first house built for mankind
for worship. The Quran Says :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ،
مباركا وهدى للعالمين . »

It means : "Lo ! The first Sanc-
tuary appointed for mankind was
that at Becca (Mecca) a blessed
place, a guidance to the people".
About the sacred Mosque of Jeru-
salem, the Qur'an says :

« ... المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . »

(. . . Farther Mosque (Jerusalem)
the precincts of which we have
blessed . . .)

The event of Ascent also con-
nected Jeurusalem with Mecca. It
was, therefore, necessary that the
talk on the Ascent should call upon
the Islamic World to work for res-
toring the right of the people of
Palestine and to save the holy city
of Jerusalem from the sinister plans
of the Zionists. The celebration of
the 'Night of Ascent' should remind
the Muslims all over the world the
following facts : 1 — Jerusalem
had been the first 'Qibla' (the

when the Prophet and his followers were facing cruel persecutions and threats from their opponents. The opposition to his preaching had grown rigid, the Prophet had little success among Meccans.

After a year of the event of the Ascent, the Prophet and his followers migrated to Medina. It should be remembered that the 'Hijrah' does not mean flight or even migration. It was a clear division of the Prophet's mission, and a greeting to the new future of true faith. The Muslims were promised by God to enter Mecca in peace and safety : —

« لتدخلن المسجد الحرام ، إن شاء الله

آمنين . »

(You shall indeed enter the Sacred Mosque, if Allah will, in full security). This entry was materialised soon and the Prophet entered his native city as conqueror without bloodshed and he proclaimed a general amnesty. Thus, the miraculous Ascent of the Prophet and his migration, were so arranged by Allah, the Almighty, for very good reasons.

Some people are making doubts and suspicions about the nature of the Ascent, whether the Prophet was carried by night to Jerusalem whence he was caught up through

the heavens, by bodily and spiritually or it was a spiritual Ascent? In fact there could not be such doubt about the ability and the command of the Lord of the Universe. The Holy Qur'an says :

« إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء . وإليه ترجعون . » (يس ٨٢-٨٣)

It means : "But His command, when He intendeth a thing is only that He saith unto it : Be ! and it is. Therefore Glory be to Him in Whose hand is the dominion over all things ! Unto Him ye will be brought back." (S:XXXVI, V: 82-83).

The beginning of the verse by the word "Subhân" (سبحان) is indicating that the Cherisher of the Universe is Exalted over disability. Moreover, the Qur'an and the other Scriptures narrate the miraculous story of Prophet Solomon (Peace be on him) with birds, Jinn and the throne of the Queen of Sheba etc. The Qur'an mentioned in the story of Solomon with the Queen of Sheba :

« قال يا أيها الملأ أيسكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفریت من الجن أنا آتيناك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

RAJAB
1388

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

OCTOBER
1968

THE 'ASCENT' OF THE PROPHET Connected the Islamic world with Jerusalem

By

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

At this moment of time, the Muslims all over the world celebrating the 'Night of Ascent' of the Prophet, it is necessary that the celebration should remind them their connection with the 'Palestine', and their obligation to this country. It also should appeal to them to hurry in defence of 'Jerusalem' and the Arab lands against the Zionist-Imperialist conspiracy. What important event happened at this Night ? This was the night of 27th Rajab in the year 11 of the Prophet's Mission. In the 'Night of Ascent' the Prophet was carried from the Sacred Mosque of Mecca to the Sacred Mosque of Jerusalem. The Holy Qur'an says :

سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ بِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا
حولهُ لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير
(الإسراء ١)

It means : "Glorified be He who carried His servant by night from the Inviolable Mosque (Mecca) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our signs. Lo ! He, only He, is the Hearer, the Seer." (S : XVII, V : 1)

The story of the Ascent of the Prophet was a great miracle of his Prophethood as well as a good news fortelling a victory of Muslims over their enemies. It is recalled that this historical event took place

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
التراث الإسلامى فى الحضارة الغربية - ٢ -	٣٦٤	المسجد الأقصى أيها المسلمون ! !	٣٢١
• فى الطب • للدكتور محمد مختار القاضى		للأستاذ عبد الرحيم فوده	
٣٦٨ حضارة اليمن فى عهد دولة سبأ		٣٢٤ تحقيقات فى الإسراء والمعراج	
للأستاذ محمد على حيدر		للأستاذ مصطفى محمد الطير	
٣٧٢ عود إلى قضية الصجج والقرآن والباقلانى		٣٣٠ عام الحزن فى حياة الرسول	
للدكتور عبد الرؤوف مخلوف		للدكتور على العمارى	
٣٧٦ • ابن برى المصرى •		٣٣٤ موقع الإسراء والمعراج من رسالة النبى	
من أعلام النجوى واللغة فى مصر		ودعوة الإسلام	
للدكتور عبد المال سالم مكرم		للأستاذ أنور الجندى	
٣٨٢ أدب وقدر : شعراء عرقتهم		٣٣٨ معجزة الإسراء	
- ٢ - (حسن جاد) - ٢ -		للأستاذ عبد الحميد المسالوت	
للدكتور عبد الرحمن عثمان		٣٤٢ • نضات القرآن •	
٣٨٦ • ما يقال عن الإسلام •		الملائكة مع لوط على قومه	
أول ترجمة لائينية للقرآن		للأستاذ عبد الطيف السبكى	
للدكتور أحمد فؤاد الأمانى		٣٤٦ عنصر الصدق فى المعاهدة النبوية الأولى	
٣٩٢ الكتب :		للدكتور محمد رجب البيوى	
• مفتاح السعادة ومصباح السيادة •		٣٥١ الإسلام فى مصالوة الحرب النفسية	
للأستاذ محمى الدين الألوانى		للواء الركن محمد دشتى خطاب	
٣٩٧ أبناء وآراء		٣٥٨ انتشار الإسلام فى جيلان - ٣ -	
للأستاذ عبد الطيف عبد العظيم مصطفى		للدكتور حامد غنيم أبو سعيد	

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The 'Ascent' of the Prophet . . . Connected the Islamic world with Jerusalem	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — The Educational System of the 'Nation of Islam' in America . . .	Dr. Ibrahim M. Shalaby	7
3 — Woman's Position in Islam — 1 .	Dr. Ahmed I. Mohanna	11
4 — Al - Fatihah The Opening Chapter of the Qur'an	Soliman Barakat	14

الثن أربعون ملجا



مجلة الأنهر

مجلة شهرية جامعة

بقيادة د. محمد شحنا الأنهر في أول كل شهرين

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل لا شتر»
٥٠ في المائة العربية
٥٠ ضائع الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس - السنة الأربعون - شعبان سنة ١٣٨٨ هـ - نوفمبر سنة ١٩٦٨ م

لشمالها الرحمة والرحمة

على هامش المؤتمر للأستاذ عبد الرحيم فوده

على كل مسلم ، ويمليه حق الوطن العربي
على كل مواطن يعيش فيه ، وتعليمه الإنسانية
على كل إنسان يشعر بقيمة الإنسانية .
وحرة الكرامة الآدمية ، فإن ما فعله
ويفعله اليهود في فلسطين وفي الأرض
التي وثبوا عليها كالذئاب الضارية بمصر وشرق
الأردن وسوريا يؤكد - بما لا يدع مجالا
للشك - أنهم أخطر شر تعرض له العروبة
والإسلام وأكبر خطر على السلام العام ،
فقد استأسد هؤلاء الجبناء في الأرض المقدسة
وفعلوا بها وبأهلها ما يثير الشعور بالنقوز
والاشمئزاز والاستياء العام ، ولم يعأوا بمجلس

يطالع القراء في هذا العدد من هذه المجلة
صورة بمجلة لما ألقى في المؤتمر الرابع
من بحوث ، وما دار فيه من أحاديث ،
ويشعرون من خلال ذلك بما يجب عليهم .
وعلى كل عربي ومسلم لمواجهة الخطر الأكبر
الذي يترتب بهم ، ويتأهب للوثوب عليهم
والقضاء على هروبهم ودينهم .

ولا شك أن الشعور بالواجب هو الأساس
اللازم لأداء الواجب ، وقد ظهر من بحوث
المؤتمر ومناقشات أعضائه ، كما ظهر من جرائم
الاستعمار والصهيونية في الأرض العربية
الإسلامية أن الجهاد واجب عام يعلية الإسلام

كأهله - لولا أيمانه بدينه وشرف مهمته ورسالته ، ثم هو - بحكم موقعه وموضعه بين شعوب العالم - يمثل السد المنيع أمام الصهيونية . والقلعة الباسلة أمام الاستعمار .

فواجب الشعوب العربية والإسلامية أن تعرف له دوره وقدره ، وأن تذكر له ما قاساه وعاناه في صراعه مع التتار ، ومع الصليبيين طلائع الاستعمار ، ومع الاستعمار سنة - الصهيونية ، ومع الصهيونية سليمة اليهودية ، فقد استطاع بمواقفه الصلبة وكفاحه الشاق وحفاظه على عروبه ودينه أن يصون قوميته ومقدسات دينه وأن يخرج من كل الازمات التي ألت به واصطلحت عليه نقي الجوهر . قوى الروح سليم القامة . وفيه الهامة . وإذا كانت الهزيمة العسكرية الاليمة أمام إسرائيل قد جرحت قلبه العظيم ، فإنها لم تجرح كبريائه ولم تنل من عزيمته وإصراره على المقاومة والصمود والنصر ، ولكن شعوره بالآلم من هذه الهزيمة الاليمة يجب أن يكون له رد فعل حميق يتجاوب به ضمير كل عربي وشعور كل مسلم ، وأن ينعكس أثر ذلك في حشد القوى والعزائم للوقوف معه والقتال بجانبه والاستبسال في سبيل الغاية السريمة العظيمة التي يعمل لها ويكافح في سبيلها ، ذلك لأن المحنة التي يقاسيها الآن ليست كاللحن التي قاساها وعاناه في صراعه القديم ، والعبء الذي

الآلم ، ولا بقرارات هيئة الأمم ، حتى أصبحوا - بعون من وراءهم - بلاء يجب أن يدفع . ووباء يجب أن يباد .

ولو كان الأمر أمرهم دون غيرهم لسان خطبهم . ولكنهم الطليعة الوضيعة لمطامع الاستعمار ، والأداة الفاجرة لتنفيذ خططه ، والقناع الكاذب لإخفاء وجهه ، ومن ثم أصبح واجبا على المسلمين والعرب ، وعلى الشعوب التي تشترك مع المسلمين والعرب في العمل على خدمة الحرية وإقرار السلام أن ينهضوا جميعا لمواجهة هذا الخطر المنربص بهم جميعا ، فإن هؤلاء الذين وثبوا إلى هذه الأرض - في ظلال الصهيونية والاستعمار - هم كما ينطق الواقع روح الشر في العالم ، وكما يقول الله : « والذين يفتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » ، « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين » ، « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ولاشك أن شعب مصر تحمل في سبيل العروبة والإسلام الكثير من التضحيات ، وأنه بذل - عن طيب خاطر - ما ينوء به

والصهيونية معركة حياة أو موت ، فيجب أن تجند لها كل القوى ، وأن تحشد فيها كل الموارد . وأن تبذل في سبيلها المهج والأرواح ، فإن ذلك هو السبيل إلى النصر وسيكون الله معنا لأننا نكافح عن حق . ونزدود عن شرف . وندافع عن كرامة . ونجاهد أعداءه وأعداء دينه ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، ولا يزال وعده قائما . إن الله لا يخلف الميعاد ، .

عبد الرحيم فوره

يتحملة الآن ليس كالأعباء التي تحملها في تاريخ كفاحه الماضي ، والجهد الذي يبذله لا يقاس بما تتلقاه إسرائيل من معونات صهيونية وأسلحة أمريكية .

لأنه يقف أمام أنذل وأحقل من عرفتهم الأرض ، ومن وراء هؤلاء الأنذل تقف قوة الاستعمار الغربي وتقف قوة أمريكا لتمدهم بالأسلحة والأموال ، وتغريهم بالعدوان على هذه الأرض التي تألفت بضياء النبوة ، وأشرقت بنور الإسلام ، فواجب العرب والمسلمين في كل بلد يعيش فيه عرب ومسلمون ، أن يكونوا كما قال الله : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وكما يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (كالبنيان يشد بعضه بعضا) إن معركتنا مع الاستعمار

يقول الله تعالى :

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، .



افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر :

من بلاد العراق إلى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية للاستاذ محمد النادى البدرى

ومعراجه ، وأوقعت في قبضة الاستعمار الصهيوني العنصرى أجزاء من الأرض العربية في مصر وسوريا والأردن ، وتجمعت للعدو جيوش على مشارف الحدود ، وتعالى التصايح بنذر الحرب .

ومن هنا طرحت مشكلة الأرض المقدسة نفسها على المؤتمر ، فكانت محوره وقطب رحاه ، فخصصت الفترة الأولى جميعها لهذه المشكلة لأنها تعنى كل مسلم في كل موطن من مواطن الإسلام .

وفرضت وجودها على بحوث المؤتمر ودراساته ، فقدم العلماء من أجلها بخمسة وعشرين بحثاً تناولت كل جوانب القضية الفلسطينية دينياً وتاريخياً وسياسياً عن مكانة بيت المقدس في الإسلام ، لفضيلة الشيخ عبد الحميد السايح ، والدكتور إسحاق موسى الحسيني ، والأستاذ عبد الحميد حسن . وعن موقف اليهود من الإسلام والمسلمين ،

كل دورة من دورات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية تتميز بطابع وتنفرد بمخاصية .

وفي كل دورة من هذه الدورات توضع تقاليد ، وتتأصل أهداف ، ويتسع نطاق العمل وتقبلور رسالة المجمع وتؤكد ضرورته في نفوس المسلمين .

والدورة الرابعة التي انعقدت تميزت بطابع في مجال التحضير لها وإدارة أعمالها ، وانفردت بمخاصية في نوعية البحوث التي قدمت ، والمشكلات التي عرضت ، والمناقشات التي دارت ، والحلول التي اقترحت ، والقرارات والتوصيات التي اتخذت . وكان مرجع هذا التميز البارز والتفرد الواضح أن هذه الدورة انعقدت في جو غائم مشحون بهوامل القلق والاضطراب ، محوط بدوافع التربص والاستعداد ، بعد جولة غادرة مكنت للصهيونية من قبلة المسلمين الأولى ومصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من المؤتمر الرابع لقضية فلسطين وكان فتح باب البحث والمناقشة أمام العلماء والباحثين من خارج مجلس المجمع إلى جانب أعضاء المجمع أنفسهم ، وهي المرة الأولى التي تعرض فيها بحوث ويشارك باحثون من غير الأعضاء .

ولهذه الأهمية كذلك كانت هذه هي المرة الأولى التي تفرد فيها الفترة الأولى من المؤتمر لمشكلة واحدة وقضية واحدة .

وقد لا يكون من باب المصادفة أن تنفرد أجهزة مجمع البحوث الإسلامية وحدها بعناء الإعداد لهذا المؤتمر والتجهيز له ، وأن تتحمل وحدها مسؤولية العمل وتبعاته بكفاءة وجدارة في نطاق الإمكانيات المتاحة .

في رحاب الجامع الأزهر :

ولقد جرت سنة العمل في مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية أن يكون اللقاء الأول بين الأعضاء في صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ، إشعاراً بالهدف الاصيل من إنشاء هذه المؤسسة الإسلامية ، وهو العمل من أجل الجماعة الإسلامية ، وتقديراً للأزهر العتيق ذلك الرمز الخالد للدعابة على تراث الإسلام وخدمة الثقافة الإسلامية على مدى العصور ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

في العصر الأول والأوسط والعصر الحاضر للدكتور عبد العزيز كامل والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور والأستاذ محمد هذه دورته والشيخ عبدالله المشد والأستاذ محمد طه يحيى والشيخ أسعد مدني ، كما كان منها بحث عن المسلمون ومشكلة فلسطين ، الأستاذ عبد الله كنيون ، وبحث عن اليهود من كتابهم المقدس ، للشيخ كمال أحمد عون .

وفي الجهاد قدمت بحوث من اللواء الركن محمود شيت خطاب والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور عبد الحليم محمود وسماحة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية والشيخ عبد الله هوشة والشيخ عبد اللطيف السبكي والإمام علي كاشف الغطاء .

وهن الإمبراطيات في التفسير والحديث قدم بمحاث من الدكتور محمود يونس والشيخ محمد حسين الذهبي .

إلى جانب بحوث أخرى عن الصهيونية العالمية للأستاذ وفيق القصار ، والصهيونية وفلسطين للدكتور سيد نوفل ، والفشاط الصهيوني في شرق أفريقيا للأستاذ إبراهيم حاجي محمود ، واليهود في القرآن للشيخ عبد الستار السيد .

ولهذه الأهمية كان تخصيص الفترة الأولى

والإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء .

مفل الوفود :

وفي صباح يوم السبت الخامس من رجب ١٣٨٨ / الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٨ شهدت قاعة الاجتماعات بمحافظه القاهرة وفود علماء المسلمين من آسيا وأفريقيا وأوروبا .

فن آسيا حضر السادة : عبد الحميد السايح وعبد الله فوشة ، ومحمد عادل الشريف عن الأردن ، والدكتور محمود يونس ، وأحمد شيخو ، ومحمد طه يحيى عن أندونيسيا ، ولطفي دوغان ، وإسماعيل أزهرلى عن تركيا وعبد الستار السيد عن سوريا ، وعبد الله الشيخلى ، ومحمود شيت خطاب ، ومحمد المهدي الخالصي ، والإمام على كاشف الغطاء ، وكاظم محسن الكفائي ، وهادي السيد سليمان ، وقاسم حسن هاشم ، وعبد الصمد نجم الشريف ، وصاحب هادي السلطاني عن العراق من أهل السنة والشيعة ، وأحمد الننتو عن الفلبين ، وراشد الفرحان ، ومصطفى الزرقا ، وأحمد عبد القادر عن الكويت ، وسماحة الشيخ حسن خالد ، ومصطفى كمال حماده ، ونديم الجسر ، ووفيق القصار ، ومحمد علي الجوزو وعن لبنان ، ووان عبد القادر إسماعيل عن ماليزيا ، وعبد الكريم سايتو

ففي يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ١٣٨٨ التقت وفود العلماء في ساحة الأزهر الأغر تحوطهم عواطف المسلمين الذين تقاطروا من كل مكان لاداء فريضة الجمعة بالجامع الأزهر ، وللحفاوة بعلماء المسلمين الذين يجتمعون حول كتاب الله ، ويتعاونون على الدعوة لدينه ، وكان في امتهقبا لهم السيد حسين الشافعي نائب الرئيس وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر والدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وأصحاب الفضيلة أعضاء المجمع وعلماء الأزهر ، وبعد الاستماع إلى آيات الكتاب الكريم ألقى فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي خطبة الجمعة وأم المصلين ، وبعد الانتهاء من الصلاة غادرت وفود الوفود تمر ساحة الجامع الأزهر وسط جموع زاخرة تلتف حولهم وتحثي بهم .

تكريم الوفود :

وفي المساء أقام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر حفل شاي بفقندق كليوباترا تكريما لأعضاء الوفود ، وقد حضر الحفل جمبع كبير من المسؤولين وشيوخ الأزهر وعلمائه ، والمشتغلين بالشئون الإسلامية والعربية ، ورجال الصحافة

السيد / حسين الشافعي ينوب عن الرئيس

الرئيس جمال عبد الناصر

وقد أُناب السيد الرئيس جمال عبد الناصر السيد حسين الشافعي نائب الرئيس ووزير الأوقاف وشئون الأزهر في حضور حفل الافتتاح وكان في استقباله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر، والدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وحضر حفل الافتتاح السيد أمين هويدي وزير الدولة والاستاذ السيد يوسف نقيب المعلمين، وسعد زايد محافظ القاهرة ورجال السلك السياسي والدبلوماسي الإسلامي والعربي ومديرو وعمداء وأسانذة جامعة الأزهر والجامعات المصرية، وجمع كبير من العلماء والشيوخ وكبار رجال الأزهر ومثلو الصحافة والإذاعة والتلفزيون ووكالات الأنباء العربية والأجنبية.

وفي الساعة العاشرة والثلاث بدى الحفل بتلاوة من آيات الله من الشيخ محمود خليل الحصرى ثم افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحفل بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة العلماء أعضاء المؤتمر وضيوفه، داعياً لهم بالتوفيق والسداد في توحيد كلمة المسلمين ونصرة قضائهم.

وعلاء الدين عادمين عن اليابان، وقاسم غالب عن اليمن، والدكتور إسحاق موسى الحسيني، وعبد يعقوب عن فلسطين، ويوسف الصديقي القاضي وعلى الهاشمي عن البحرين، وأبو بكر صالح عبد الله، ونور محمد إسماعيل عن الصين، وإسماعيل الحاج عبد الحليم محمد، ووان أحمد بن وان واور هن الملايو، ومحمدى جانج هى عن كوريا ويحيى بن عبد الله، وحمير أمين سليمان، وعبد الوارث الصوفى عن عمان.

وحضر المؤتمر من أفريقيا السادة : قاسم هنسا عن توجو، ومالك بن نبى، ونعيم النعيمى عن الجزائر، وسورى إبراهيم كانو وعبد القادر ساكو عن سيراليون، ومصطفى سيس عن السنغال، والدكتور كامل الباقر وإبراهيم سوار الذهب وحسن مدثر عن السودان، وإبراهيم حاجى محمود عن الصومال والمعلم جمعه بن أحمد عن كينيا، وإدريس السكتانى عن المغرب، والحاج باسل أوغستو وم. ا. أوسينى عن نيجيريا، وأحمد كعبو سمبو عن أوغندا، وطه محمد نور عن أريتريا وأبو صالح بوسورين هن موريشيوس.

وحضر من أوروبا وروسيا : السادة : حسين سليمان جوزو عن يوغسلافيا وضياء الدين باباخانوف عن روسيا.

إمكانياته وقدراته ، مشيرا إلى ضرورة العمل المشترك من بلاد العالم الإسلامي كله لدعم المجمع وتقويته ماديا وبشريا .

وفي ختام الكلمات ألقى السيد حسين الشافعي نائب الرئيس ووزير الاوقاف وشئون الأزهر كلمته مرحبا بأعضاء المؤتمر وضيوف الجمهورية العربية المتحدة ، مشيدا بالجهود التي بذلت في المؤتمرات السابقة ، والعناية بمجوانب الحياة الإسلامية في الشريعة والاجتماع والاقتصاد ، مؤكدا على الأبعاد الأساسية للتعبة .

ثم اختتم الشيخ محمود خليل الحصري حفل الافتتاح بآيات من الذكر الحكيم .
وفيما يلي نص الكلمات التي أقيمت :

ثم أفتاب فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر في إلقاء كلمة الأزهر ، ثم أعقبه سماحة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية فألقى كلمة الوفود ، داعيا فيها إلى الوحدة الجامعة لشمع المسلمين ليعودوا إلى مكان الريادة والقيادة ومركز القوة والمنعة الذي كان عليه الأسلاف والأجداد ، وذلك بالرجوع إلى دين الله والاعتصام بمجمله والاهتداء بكتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ألقى الدكتور محمود حب الله كلمة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية التي تناول فيها رسالة مجمع البحوث الإسلامية ، ومؤتمراته الثلاثة السابقة ، وما قام به من بحوث ودراسات وما نهضت به أجهزته من أعمال في نطاق

كلمة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم :

المؤمنة تستقبلها بوجفة لأنها تعرف خطورة ما تواجهه هذه الدورة ولأنها تعلم هول ما أخرها عن مياعدها ، وأبطأها عن أوانها ، وما كان للجمع أن يعقد في العام الماضي دورته والمجتمع الإسلامي في دوار نكسة ، وذ هول مفاجأة وبغطة هزيمة ، فصدمة القلوب بما كان شغلت العقول عن رتيب ما يكون .

افتتح المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ، حامداً الله سبحانه وتعالى على شرف اللقاء بأئمة العلم الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذي بين للناس ما نزل إليهم من معجز وحى ، ومحكم هدى ، وحسبكم شرفاً أيها العلماء أن تحملوا بعده أمانة رسالته حفاظاً عليها ، واجتهاداً فيها ، واستنباطاً ، منها ، وبلاغاً لها ، وبهذا كفتم ، كما كان صلى الله عليه وسلم - مرد كل أمر من الأمن أو الخوف ، وصدق فيكم قول الله سبحانه : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

ولست في حاجة إلى تشخيص ما ألم بالعرب والمسلمين من ألم ، فكل نفس ذاقته وقعه ولمست لذعه ، ولا تزال العقول في دهشة العجب من شذوذ هذا الغلب وزاد من مراوة الجرعة أن كان ذلك ألام صهيونية أفافة ، قطعها الله في الأرض ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، وكنا نحب أن تأتى هذه الدورة وقد أخذنا بالتأثر واسترددنا النصر ، ولكن شاء الله أن يطيل أمد المحنة ، حتى ننضج وعياً ونستكمل إفاقة ، ونفقد تجربة وشاء الله أن يبرز دوركم أيها العلماء في مواجهة هذه الأحداث ، تشخيص داء ، وتحضير دواء وحكمة مناولة ، حتى

وبعد - فإن اجتماع هذه الدورة جاء على ظمأ لريها وشوق لرقياها ، فقد احتشد لها حنين دورتين ووجد عامين ، فالقلوب لها متعطشة ، والعقول عليها متلهفة ، والنفوس

ولكنه موضوعية اقتداء ، ولا هو جغرافية مواطن ولكنة نفاسة معادن .

ولأشك وحضراتكم معى أننا لوانتصرنا ونحن على ما كان فى مجتمعنا من خلل وانحراف لازددنا جرأة على محارم الله ، ولجعلنا النصر شهادة على صدق التحلل وسلامة الانحراف وصواب الانفلات من حضرة الله ومبادئ الإسلام .

ولهذا كانت الهزيمة غيرة علينا من الله ، لأن فىنا وجسدان الدين وإن لم يكن لنا سلوك الممتقين ، لحاسبنا ربنا لنرجع إليه ، وابتلانا لتقبل عليه ، وذلك قانون الأحباء يحتم مرادة الجرعة تقريبا لحلاوة الشفاء .

فعلينا معشر العلماء أن نبين للناس : أن الله لا يتغير من أجلنا ولكن يجب أن نتغير نحن من أجل الله ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وعلىنا أن نفهم المسلمين أننا لسنا أصدق إيماناً ولا أحسن إسلاماً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم حينما خالفوا عن أمر الله غرروا يوم حنين ، ومخالفة لأمر الرسول يوم أحد هزموا رداً عن الغرور وردعاً عن المخالفة ، ولكن انتصر الإسلام مقدس المبادئ مطاع التوجيه : ، فليحذروا

تجلوا للناس حكمة الله فى هذا الابتلاء ، وتقرءوا عليهم قوله سبحانه : « ما كان الله ليزد المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليظلمكم على الغيب » .

ولهذا كان لقاءكم - علماء المسلمين - فى هذه الدورة أخطر ما واجهتم من لقاءات ، لأنه جاء على ترقب الدنيا كلها لما تواجهون به الموقف من تحليل وحلول وتوعية وتعبئة وتخطيط وإهاجة .

وهل قددر نجاحكم فى مهمتكم تزداد ثقة المؤمنين برهمن إيماناً ، وبكتبته دستورا ، وبرسوله هاديا ومخلصا ، وبكم مجتهدين راسخين .

أيها الأخوة العلماء ، إن فكيكة النسكسة التى واجهت أمة العرب وشعوب الإسلام لم تكن محنة سياسية بقدر ما كانت محنة دين فمن الجائز على سياسة البشر أن تخطىء تخطيطة أو تخور مواجهة ، ولكن ليس من الجائز أن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، فحين صدم المسلمون بما كان عجيبا أن يتخلل عنهم ربهم ويسلمهم لإلهم . ولو أنهم أنصفوا لعرفوا موقعهم من دين الله ولأدركوا أن ليس الإيمان بالثقى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وليس الإسلام شكلية أسماء

ما بين الأسباب والاختذ بها وبين التوكل على الله والاعتماد عليه ، فالأسباب مخلوقة لله ولكن مدده الغيبي لا يكون إلا لمن استكمل الأسباب لمواجهة عدوه إعدادا ماديا يأمر به الله في قوله سبحانه دأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به هدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، وإعدادا غائيا يمثله قوله سبحانه د قل هل تربصون بنا إلا لأحدى الحسنيين، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيديننا فتربصوا إنا معكم متربصون ، وإعدادا استمداديا يشرحه قول الله سبحانه : د إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتقفوا وبأوتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسمومين .

وهذا البيان يفقه المسلمون المجاهدون أنهم هم الذين يحددون مدد الله لهم على قدر ما أعدوا من أسباب وبمقدار ما في قلوبهم من إيمان وما في عزائمهم من جلد وصبر وما في سلوكهم من تقوى وورع .

وعلينا ، معشر العلماء ، أن نبصر أمة العرب وشعوب الإسلام أن صليمية الأمس التي دحرت أمام بطولاتنا قد جعلت من

الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وعلينا ، معشر العلماء ، بعد هذا أن نبين للمسلمين كيف يستقبلون سجال الحسرب من يوم لنا ويوم علينا ، فالذى لنا لا يغرننا بل يقويننا والذى علينا لا يهدنا بل يهدينا .

وما على المسلمين حين يبتلون بهزيمة إلا أن يدخلوا مع نفوسهم في حساب على ضوء من قوله سبحانه : د وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وذلكم هو دور الثبات وانتصار الإرادة ، وأما دور حساب النفس والإقرار بمواطن الضعف فيحكيه قول الله سبحانه د وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

وحين كان لهم هذان الدوران استحقوا أن يقول الله فيهم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين . د وقد احسنوا ثبات قلوب واعترافا بذنوب فاستحقوا الحب بالصبر ، واستحقوا بالإحسان النصر .

وعلينا ، معشر العلماء ، أن نبين للناس لبس

عليه لا يرفع عنهم الحرج حتى تفيض أعينهم
من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون .

وعليها ، معشر العلماء ، أن نهيب بالأغنياء
وأهل اليسار حتى يعينوا بما آتاهم الله من
فضله فعمار عليهم أن تكون لهم أموال ويبيت
المقدس في أسر الاحتلال وحذروا هؤلاء
من أن يصدق فيهم قول الله : إنما السبيل
على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن
يكونوا مع الحوالم وطبع الله على قلوبهم
فهم لا يعلمون ، .

أيها الأخوة العلماء - ليحمل كل منا بلاغ
هذا المؤتمر للناس ولنجمع أمرنا على خطة
حزم وخطوة هزم ، لها من الدين سد وباقه
مدد واهتفوا في آذان الحاكين جميعا : أن كفى
ما كان من اتساع هوات ، واعتساف خلافت
وواجهوا الأمر بصفو قلوب ، وتنسيق
جهود ، وتكامل إمكانيات والتحام طاقات ،
حتى نستحق أن نكون المعنيين بعباد الله
الذين أنذر الله بهم اليهود في قوله سبحانه :
« فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة
وليتبروا ما علوا تبيرا ، .

وختاماً - حيا الله عنا جميعاً سيادة الرئيس
جمال عبد الناصر الذي جعل المؤتمر تحت
رعايته وشرف مهمته بإقامة السيد حسين

صهيونية اليوم رأس حربية يقذفها من وراء
ستار أعداء البشر ومدمنو الاستعمار .

ولا خلاص لنا حاكين ومحكومين إلا بما
رسم الله سبحانه في قوله : « إن الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص .

وإن المعركة التي لا بد منها كما تتطلب سياسة
مخططون وقادة يرسمون ، وقوادا يقدمون ،
وجنودا يستبسلون ، تتطلب قبل ذلك جهادا
بالرأى يشير وينهر ، وجهادا بالكلمة تهيج
وتثير ، وجهادا ببذل ذى الوسع وإيثار
ذى الخصاصة .

وميدان المعركة لا يقتصر على ميادين الحرب
فكل مرفق من مرافق الدولة ميدان ، يتطلب
استبسال إخلاص وأمانة أجهزة ، وفدائية
تفاني ، وكل بيت من بيوتنا ميدان يتطلب
تضحية بالترف قربانا للشرف ، وكل نفس
حرة في وجدانها ميدان يتأهب للزحف
ويستشرف للنداء .

وإن الحق سبحانه لم يجعل لأحد عذرا عن
الجهاد ، حتى الضعفاء والمرضى والذين
لا يجحدون ما ينفقون ، فإن رفع الحرج
عن هؤلاء مشروط بدور أن ينصحو الله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل ، والذين
يأتون على الأمر ليحملهم فلا يجد ما يحملهم

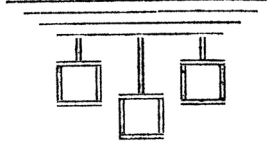
الشافعي نائب الرئيس ووزير الأوقاف والأزهر عن سيادته في حضور حفلة الافتتاح سائلا المولى جللت قدرته أن يكتب لحياته السداد والتوفيق حتى نستعيد طهر القدس من أدوان الرجس في ظلال من حق الإسلام ومجد العرب .

رشاد البلاغ وسداد التوجيه وحياء الله عنى وعنكم كل حام للإسلام ومبشر به ، ومجتهد فيه ، وحسينا وعدا على صدق الجهاد قول الله . « إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مصطفى مأمون

وحياء الله مقدمكم وبارك مؤتمركم وألهمكم



كلمة الوفود

لسماحة الشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية

« بسم الله الرحمن الرحيم »

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وإمام
الابرار المجاهدين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فأحييكم جميعاً باسم الاخوة
الإسلامية التي جمع الله بها قلوبنا على الحق
والخير . وأسأل الله سبحانه أن يياوك
اجتماعكم وأن يجعل فيه خيراً لامتنا التي هي
خير أمة أخرجت للناس .

وأشكر الأزهر الشريف جامعة الإسلام
الكبرى على جهاده المبرور المشكور في خدمة
دين الله ونشر مبادئه وتركيز دعائمه وهداية
الناس إلى ما فيه من عناصر الفلاح والنجاح
والقوة ..

ثم أشكر السادة الفضلاء القائمين على أمر
المؤتمر لاختيارى متحدثاً في هذا المقام الكريم
باسم إخواني وأصدقائي وأحبابي وزملائي
أعضاء المؤتمر ، ذلك تكريم لشخصي أيسجل به
الشكر وأقدم به عظيم التقدير .

والحديث باسم الوفود إلى مؤتمر المسلمين
الكبير لا يعني إلا تأكيد ما قرره الإسلام
بأصاليته - كما هو معروف - من نحو أي اعتبار
لفوارق الجنس واللون ، واعتبار
المسلمين إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
أدناهم وهم يد على من سواهم ، بهذا الروح
الإسلامي البناء وقف سلمان وصهيب وبلال
بجانب محمد وأبي بكر وعمر وغيرهم صفاء ملتزم
الشمل ، متراس البناء في وجه أعداء الله
وخصوم كلمته . يمتزج منهم الدم بالدم والفكر
بالفكر والعاطفة بالعاطفة ، فكانوا أعصاراً
على البغي دكوا بناءه ونكسوا لواءه وقتلوا
أوليائه ، ومعهم يد الله التي تبارك المؤتلفين
على كلمته المتجمعين على شريعته المستمعين
إلى قوله : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .
وهذا أيها السادة سر الإصلاح وسر الصلاح

مشرقاً بالأجاد وحوافز النضال ، وديننا سمحاً وصارماً وعزيراً فيه كل مبادئ الكمال إننا بهذا كله قادرون على النصر إذا فهمنا وضعنا وآمننا بمستقبلنا ، واتصلنا بقضيتنا اتصالاً تشترك فيه القلوب والعواطف والضمائر والمشاعر مناجياً قادة وشعوباً ووضعنا كل إمكاناتنا في معركتها وخرجنا إلى ساحاتها بقلوب مفسولة من كل رواسب الخلاف وشوائب الحقد .

إن انعقاد مؤتمر الكركم الموقر ضرورة عربية وإسلامية ووطنية في هذه الظروف التي يواجهها العرب والمسلمون فيها أخطر الصعاب ، والمسلمون كلهم ينتظرون منكم بيان حكم الله إزاء قضية فلسطين ونشر هذا الحكم على الرأي العام العربي والإسلامي في مثل فلان الصبح ولا نخال هذا الحكم يترخص أى ترخص في الدعوة العامة لكل مسلم ولكل عربي إلى الجهاد المقدس الذي أصبح اليوم فريضة على العرب والمسلمين لتحرير الأرض وصيانة العرض والشأر للكرامة واسترداد المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وتطهير مدارج النبوة ومنازل الوحي ومجتمع الأنبياء ومنطلق الإسراء ومشاهد الروح القدس تطهير هذه البقاع جميعها من أيدي الصهيونية عدوة الإنسان وعدوة الحق وعدوة العدل وعدوة الله .

وسر الفلاح ، وحدة بريئة من الخلف بعيدة عن الانانية ناجية من العصية ، غيرة على الحق مجاهدة في سبيله ، وهي الوحدة التي لو بقيت شعارنا ودثارنا ومنارنا لبقينا طلائع الإنسانية قوة وريادة وقيادة . وظللنا في المكان الطليعي الذي تركه لنا أجدادنا الكبار ، هداة الناس إلى الفضيلة .

ولكن نفوسنا بمرور الزمان ومؤثرات الحياة غفلت عن هذا الروح فعجزت أيدينا عن أن تظل قابضة على مقود المجد وكان أن مرت بنا مآس سجلها التاريخ دما ثم سارت بنا الأحداث إلى قضية فلسطين .

هذه المأساة الإنسانية التي تمثل بغى الإنسان وكفره بالقيم واستهتاره بمبادئ العدالة وإخلاده إلى صوت السلاح ، عادياً لا يؤمن بالله ، قاسياً لا يحس بالرحمة ، ولوبيقينا معتمدين في طلب حقوقنا المسلوقة على منطق العدالة والحق في ردهات المؤسسات الدولية فإننا سنبقى متطلبين في الماء جذوة نار !

لقد ثبت أن ما أخذ بالقوة لا ترده إلا القوة ، وأن الأعناق المتتوية كبراً وغروراً لا يقوم صعرها إلا ضربات الحق منا - نحن العرب والمسلمين - إننا قادرون على تحقيق النصر بإذن الله وعونه ثم بإمكاناتنا مالا ورجالا وبلاداً شاسعة فياضة بالثراء وتاريخاً

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة
أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا
من المشركين » .

سدد الله خطانا وجمع على الحق كلمتنا
وكتب النصر وتحقيق آمال العروبة والإسلام
على يد الوعيم البطل الحر الرئيس (جمال
عبد الناصر) وأبدى إخوانه المخلصين من ملوك
ورؤساء العرب والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مصطفى خال

مفتي الجمهورية اللبنانية

والرأى المتزن الصريح المؤمن هو أول
خطوة في طريق النصر . والرأى المرجو هو
رأى علماء الإسلام هو رأيكم يا من تستمدون
كلمتكم من كتاب الله وسنة رسوله فليرع .
الله جمعكم واجتماعكم وليكتب لكم التوفيق
فيما أنتم بسبيله وليرتفع بكلمتكم الفاصلة
إلى مستوى الأحداث . ولينفذ بقبسها
إلى دنيا العرب والمسلمين ، وليجعلها حذاء
للملايين المسلمين والعرب تسير بهم إلى ميدان
الجهاد المقدس الذي يصل بنا إلى مكان
كان لنا .

قال الله تعالى :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

(التوبة : الآية ١١١)

كلمة فضيلة الدكتور محمود حبيب الله

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

في حفل افتتاح الدورة الرابعة لمؤتمر الجمع

— كما كانوا — أعزة أمجاد ، لا تهددهم
قوة ، ولا ينال منهم عدو .

ولأنه يهيء الفرصة لفرجة ذلك الشعور
إلى عمل إيجابى من أجل بناء المجتمع الإسلامى
بناء ربانيا يحكمه الدين والعلم ، وتسوده
الفضيلة والعدل والرحمة .

ولا تحكم الحياة بالدين إلا إذا تجملت للعقل
حقائقه ، وأشرقت فى القلوب تعاليمه فى
طهرها الأصيل ونقاها الخالص ، والطريق
إلى ذلك هو البحث العلمى الجاد والدراسة
المحصنة ، وهذا دور بجمع البحوث بعلمائه
وباحثيه .

ولا تتطور الحياة تطوراً سليماً فى ظل
الدين حتى تدرس تطوراتها ، وما يستحدث
فيها ويعرض على أصول الإسلام وقواعده
السكلية ؛ فإن كان لذلك ما يبرره أخذه ،
وإن دعت الضرورة إليه عدل وغيره ليدخل
فى إطار التشريع الإسلامى ، أو أخفه منه
بقدر الضرورة ، والاجتهاد فى فقه الإسلام
هو الوسيلة إلى ذلك ونلك رسالة بجمع
البحوث الإسلامية بعلمائه وأهل رأى فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله
سيدنا محمد المبعوث هدى ورحمة للعالمين ،
وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه واتبع سنته .
أيها السادة :

أحييكم باسم الإسلام الذى جمعكم على الحق
والخير فى هذا المؤتمر الإسلامى الجامع .

أحييكم باسم الأزهر الشريف ، كعبة العلم ،
وحصن الدين ، وحامل لواء الدعوة إلى الله ،
ومبلغ رسالة نبيه إلى الناس — أزهركم
وأزهر الإسلام والمسلمين ، الذى تجتمعون
اليوم فى رحابه ، وعلى أرض الكنانة التى
تستقبلكم أهلاً ، وتسعد بكم علماء عاملين ،
وتقوى بكم أخوة فى الله .

وأحيي فيكم وبكم مطالع يمن وبشائر خير
تتجدد كلما استأنف بجمع البحوث الإسلامية
دورة جديدة من دورات مؤتمره السنوى ،
لأنه يؤكد إرتباط المسلمين بدينهم ويبرز
ضرورة هذا الارتباط ، ويقوى الشعور
المشترك بوجوب الرجوع إلى أصول الإسلام
وقواعده وآداب سلوكه ، ليصبح المسلمون

البحوث من إمكانيات وخبرات، ولتقدم له رصيذاً في مجالات البحث من واقع ما تعيش فيه من ضيق أو سعة من نعيم أو بؤس، من جهل أو علم.

هذه القوى المحلية يمكن أن تتلاقى أفكارها وآراؤها، وتبادل مصالحها ومنافعها وتتذاكر قضاياها ومشاكلها في شكل مؤتمرات تضيق إلى حدود القرية وتوسع إلى حدود الدولة لحدود القارة، ثم تتجمع على الصعيد العالمي، وبذلك يتحقق الربط بين المجمع والبيئات الإسلامية، ويصبح العالم الإسلامي بحق هو المجال الميسداني لبحوث المجمع ودراسته وأفكاره. ولا بد لذلك من أجهزة إدارية وفنية على مستوى هذه المسئولية.

كذلك يحتاج المجمع إلى رصيذ عالي ضخم لتمويل حلقات البحث وأروقته أولاً، ثم تمويل مشروعات البحث العلمي والكتاب، والمدرسة والمعهد والملاجئ والمستشفى، ومقاومة الثقافات الدخيلة التي خلفها الماضي، ووقف تيار المد الجارف الذي يفد من كل جانب ليغير معالم الثقافة الإسلامية بصورة مخيفة تدعو إلى القلق وتندثر بالخطر.

هذه كلها مشروعات تفرضها رسالة المجمع ويحتم تنفيذها وجوده، وهي مشروعات لا بد لها من ميزانية مالية ضخمة تتطلب تصافر

وليس من مهام مجمع البحوث الإسلامية تبرير الواقع أو تطويره فحسب، ولكن من مهام المفكرين وذوى النظر فيه أن يسبقوا الحوادث، وأن يتصوروا المستقبل، وأن يحاولوا التدرج بالحياة في مدارج الكمال ليسكون اليوم خيراً من الأمس، وليسكون الغد خيراً من اليوم، وذلك يدعهم إلى التخطيط لهذا التصور، والتعاون على جعله واقعاً تنهض به الحياة ويرقى به المجتمع

تلك — أيها السادة — بعض غايات المجمع وأهدافه، وهي غايات وأهداف لا تزال بعيدة كل البعد عن الواقع العلمي، ولا يزال المجمع بعيداً كل البعد عن تحقيقها، لأن تحقيقها يحتاج إلى قدرات وإمكانيات لم يتوفر لمجمع البحوث الإسلامية شيء منها بعد.

فبجال بمجمع البحوث الإسلامية واسمع وفسيح، لأن مجاله هو العالم الإسلامي كله بمشاكله وعلاقاته داخل الإطار الإسلامي العام، وهذا يتطلب أن تكون لأجهزته العاملة قسوة بشرية تكون على مستوى المسئولية العالمية الملقاة على عاتقه بحكم تكوينه، لتصبح ركائزه وقواعده ورسيدته في كل مكان وفي كل بيئة إسلامية مهما قل حجمها أو صغر وزنها السياسي والاجتماعي، لتشارك في أعمال المجمع مشاركة إيجابية في حدود ما تستطيع، وبقدر ما يقدم لها مجمع

والعاملين فيه قوة على العمل ومغالبة للصعاب فكافحوا بما يملكون من طاقات محدودة ، فقام العاملون في أجهزته ويقومون بالإشراف على طعنات القرآن الكريم ، وتدير الحصول عليه الأفراد والجماعات في مختلف بلاد العالم الإسلامي ، ويراقبون ما يصدر من المكتب والقصاص ذات العصلة بالتراث الإسلامي ، وما إليها من موضوعات تدخل في الطباعة والنشر ، هذا إلى جانب استقبال وفود الراغبين في طلب العلم من أبناء العالم الإسلامي وتمهية الدراسة العلمية لهم في معاهد الأزهر وكلياته ، وتوفير أسباب الرعاية الثقافية والاجتماعية لهم طوال إقامتهم لطلب العلم .

وإيفاد العلماء إلى أقطار المسلمين ، والإشراف على المعاهد العلمية الإسلامية في الخارج ، وإمدادها بالمدرس والكتاب والخبرة الفنية ، وإنشاء المكتبات الإسلامية وتيسير ثقافة الإسلام لطلابها والراغبين بها .

وقدم الأعضاء لمجمع البحوث إنتاجاً علمياً جليل القدر ، عظيم النفع ، يرتبط أوثق الارتباط بالحياة العلمية والعملية للمسلمين ، ووصل المجمع فيها إلى قرارات تعتبر من مفاخر العصر ، لما اشتملت عليه من تحريجات فقهية ودراسات جديدة واجتهادات لا تقل في كونها وحجمها عن الجهد الذي بذله السادة الأوائل من علماء المسلمين ، الذين

الجمود وتعاون المسلمين جميعاً حتى يتيسر لمجمع البحوث الإسلامية الوفاء بما عليه من التزامات في هذه المجالات جميعاً ، للتعريف بالإسلام مبرأ من كل دخيل نقياً من كل شائبة ، وليحافظ على التراث الإسلامي وينفي عنه خبث الانتحال والزيف . وليبلغ كلية الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليعنى بطبوعات القرآن الكريم والسنة المطهرة . . . وليؤدي ما عليه من واجب تفرضه أخوة الإسلام نحو الأقليات المسلمة لتعريفهم بالإسلام وحضارته وثقافته ، وتمكينهم من بناء المعاهد والمساجد وما إليها من خدمات دينية واجتماعية هم الآن أشد ما يكونون حاجة إليها .

وذلك مطلب سبق للمجمع أن اتخذ فيه قرارات في مؤتمراته السابقة ، وأعلن هن الرغبة في إنشاء صندوق الدعوة .

كل ذلك طالب به بمجمع البحوث ودعا إليه ، ولكنه حتى اليوم لا يكاد يملك من ضروريات البقاء ومستلزمات العمل شيئاً .

أيها السادة :

وليس معنى قصور الإمكانيات البشرية والمالية أن يتوقف بمجمع البحوث الإسلامية عن نشاطه أو يتخلى عن واجبه ، لأن الإيمان بالله والرغبة في العمل والأمل في المستقبل منحت وتمنح للسادة الأعضاء والقائمين على شؤون مجمع البحوث الإسلامية

والفوائد والودائع والتأمين والمعاشات الحكومية. ونظام المصارف وأعمال البنوك، وصناديق البر والجمعيات التعاونية .

كل ذلك وغيره من موضوعات كان لمجمع البحوث الإسلامية فيها مجال ومجال وكان له فيها قرارات حكيمة أخذت كلها طريقها إلى كافة المسلمين بكل وسائل البيان والإعلام .

وكانت بحوث في الشريعة الإسلامية وأبعادها وارتباطها الوثيق بحياة الإنسان ، والفقه الإسلامى وتطوره وتضخم حجمه على مر الزمن ، بسبب ما يجد من أحداث ، وما يجد لها من أحكام ، وكان الاجتهاد لاستنباط هذه الأحكام وكفائه لكل من استكمل شروطه ، وكان اجتهاده في محل الاجتهاد ، وبقاء الاجتهاد ما بقى القادرون عليه ، لانه السبيل الوحيد لمراعاة المصالح ومواجهة الاحداث المتجددة . وذلك باختيار المناسب من أحكام المذاهب الفقهية ، فإذا لم يوجد فالاجتهاد الجماعى المذهبى ، فإن لم يوجد فالاجتهاد الجماعى المطلق وكان ذلك كله مجال بحث مستفيض .

ولم ينشأ أكثر هذه البحوث عن رغبة في البحث لذات البحث ، وإن كان ذلك حسنا ومطلوبا لذاته ، ولم ينشأ من أجل المراتب الذهبى للباحثين كذلك ، وليكنها كانت في جملتها استجابة لواقع بلبل أفكار المسلمين ،

فقر لهم بالسبق والفضل ، ويشهد لهم علماء العصور الحديثة بأنهم كانوا القادة والراة لرجال التشريع في تاريخ القضاء بوجه عام .

ولقد أخذ بعض هذا الإنتاج طريقه إلى الحياة العملية والتبليغ والتوزيع ولا يزال كثير منه ينتظر دوره ، ونرجو أن يكون قريباً .

أيها السادة :

إن من خلال عرض موجز للبحوث العظيمة التى صدرت من مجمع البحوث الإسلامية والقرارات التى اتخذها المجمع فى مؤتمراته الثلاثة تتبين مدى الجهود التى بذلت لخدمة الحياة العلمية للمسلمين : فى المال والاقتصاد ، وفى التنظيم والتشريع ، وفى الثقافة والحضارة والاجتماع ، وفى الآداب والسلوك والعلاقات الدولية ، وما إلى ذلك مما يدخل فى صميم الحياة ومتطلباتها .

فى المال والاقتصاد : كانت بحوث الملكية الخاصة فى الإسلام وحقوقها وحدودها ، والتملك وشرعيته وأبعاده ، والمشروع وغير المشروع من الموارد المالية للفرد وللدولة ، وحق الدولة فى الملكية الفردية وعليها ومدى إمكان توجيهها والإفادة منها ، وملكية العين والمخاف .

وكانت بحوث فى الزكاة والصدقات ، وحق الفقراء فى أموال الأغنياء والقروض

وفي المجال الدولي قدمت بحوث قيمة عن العلاقات الدولية في زمن الحرب والسلام، وعن الجهاد وأسبابه ونتائجه وقواعد السلوك فيه وآدابه وانتهى فيها بجمع البحوث إلى قرارات تبرز يسر الإسلام وسماحته، وتؤكد همومه وعالميته، وأنه دين يعالج وجدان الإنسان وعقله، ويدرك قصوره وضعفه، فيعذره قبل أن يعذله، ولا يلجأ إلى عذله، حتى تعجز الحيلة معه ويستعصى على الإصلاح أمره.

وكانت بحوث عن المجتمع الإسلامي وخصائصه وما ينبغي أن يكون عليه، وما يجب أن يكون بين أفراد من تعاطف وتراحم وتعاون، وما يجب أن يحكم سلوك الأفراد والجماعات من قيم أخلاقية فاضلة وهدل مطلق في القضاء، وعدالة اجتماعية في الحياة - كل هذا بمحمة بجمع البحوث الإسلامية واتخذ فيه قرارات حكيمه تعتبر نماذج حية للمجتمع الإنساني الكريم.

ولم يغفل المجمع في دوراته الثلاث الضرورة الملحة لقيام المسلمين بواجبهم نحو التعريف بالإسلام وتبليغ دعوته، وضرورة إنشاء صندوق لتمويل هذه الدعوة وإعانة الأقطاب الإسلامية بصفة خاصة على إقامة المساجد والمعاهد، وإنشاء المستشفيات والملاجئ، وتوفير وسائل الرد على العدوان السافر الذي

وأوقع كثيرا منهم في شك وارتياب، لجماء هذه الأحكام الفقهية بيانا للمسلمين وضياء ليهتدوا بها إلى مواقع المذاهب الاقتصادية الحديثة من دين الله وليسكروا على هدى وبصيرة.

وعن الكتاب والسنة كانت بحوث حول القرآن الكريم ومكانته بين المسلمين وأنه الأصل الأول بينهم في التشريع والتوجيه، ولزوم الأخذ بالرسم العثماني والحرص عليه، وأن القرآن بآياته وكتابه وسوره وموقع كل منها من القرآن أمر توقيفي تلقاه الرسول الكريم من رب العالمين وبلغه كما تلقاه وكما هو عليه الآن، وأن تفسير الكتاب المبين بالرأى المجرد لا يجوز، وأن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله.

كل ذلك كان مدار بحث مستفيض ودراسة أصيلة للباحثين ووصل فيها بجمع البحوث الإسلامية إلى قرارات مسببة مدعومة بالأدلة والاسانيد.

وهذا الجانب من البحث كذلك كان نتيجة لمواقف تلقفها بعض الكتابين من أفواه دخلاء على الثقافة الإسلامية، أساءوا فهمها فأساءوا الحكم فيها وعليها. واهتق هذا الزور بعض ضعفاء المسلمين، وكان لابد لمجمع البحوث الإسلامية أن يصحح هذا الفهم وأن يبين للمسلمين طريق الرشاد.

هذه صحائف الأمانس ، تلقى الضوء على ماض مجيد يبشر بخير كثير عند ما تتوفر وسائله ومقوماته ، أما حاضر اليوم فإنه يحمل صحائف جديدة وأحداثا عظاما تستحث الملمم وتستوجب التعاون وتضافر الجهود إذا ما أريد أن تكون مجابهة الواقع ذات فعالية وأثر .

وسيسير منهج العمل في هذه الدورة على غرار الدورات السابقة فتناقش بحوث المؤتمر على فترتين .

تبدأ الفترة الأولى من اليوم وتنتهى بنهاية اليوم السادس من أكتوبر ويشترك فيها السادة المدعوون مع أعضاء المجمع ، لمناقشة البحوث الخاصة ببيت المقدس وقضية فلسطين ومشكلة اللاجئين العرب ، وموقف اليهود من الإسلام والمسلمين في العصر الأول ، وموقف الصهيونية من الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر ، وغير ذلك من موضوعات تجدها مدونة في جدول الأعمال .

وتبدأ الفترة الثانية بعد ذلك وتنتهى بنهاية الأسبوع الرابع من يوم الافتتاح وينفرد بالعمل فيها السادة أعضاء المجمع البحوث لمناقشة الموضوعات الباقية .

يقوم به بعض الكتاب للنيل من الإسلام والمسلمين .

وأخيرا تلك الحربة المسمومة التي وضعها الاستعمار وأعداء الإسلام في ظهر العرب والمسلمين باستيطان الصهيونية فلسطين واحتلال أراضيها والاستيلاء على البيت المقدس ، كانت تلك القضية ولا تزال موضع بحوث ودراسات وقرارات من أول دورة عقدها مجمع البحوث الإسلامية إلى الدورة السابقة .

أيها السادة :

هذه حصيلة علمية موجزة للجهود المخلصة لقلة من العلماء لا يمكن أن تكون من إمكانيات العمل سوى ما منحهم رب العزة من إيمان به وتوفيق إلى مرضاته ، ورغبة صادقة في العمل من أجل الإسلام والمسلمين .

وهي حصيلة علمية أبلغها مجمع البحوث كافة المسلمين بكل ما استطاع من وسائل الإعلام والإبلاغ ، ونفذ منها - والحمد لله - ما تسمح بتنفيذه الإمكانيات المادية المتاحة ، كما كان لبعضها نتائج يمكن أن تأخذ طريقها إلى واقع الحياة العملية إذا وجدت من القوى ما يقيم هذا اللون من الحياة .

أيها السادة :

أيها السادة :

أربع سنوات مضت مهدت الطريق إلى
إجماع من المسلمين يوحى بوجوب تقوية مجتمع
البحوث ودعمه ، وكفالة الإمكانيات له حتى
ينهض برسالته ويحقق غايته .

وأبانت عن إرادة جادة وعزم صادق على
العمل والكيف من جانب أعضاء المجتمع
والمشاركين في دورات مؤتمره والقائمين على
شئونه والمشرفين على نشاطه .

ثم عن رغبة إجماعية بخلاصة من علماء المسلمين
في شتى أقطار الأرض تسترخص التضحية
في سبيل إنجاحه وإبلاغه أهدافه ...

فتى تتحول هذه الإرادات والرغبات إلى
واقع عملي يحني المسلمون طيب ثمراته ؟
نرجو أن يكون ذلك قريبا .

أيها السادة :

إن الحياة تجد في السير ، وتسرع الخطا ،

وعجلة الزمن لا تفتقر أحدا ، ولا بد لنا من
السير الحثيث في العمل ، والقرار الحكيم
في الرأي ... وعلى العالم الإسلامي دولا
وحكومات النصيب الأكبر من هذا العبء ،
ويوم تتسكتل الجهود من خلف هذه الحركة
المباركة يومئذ يعلون أن وجود مجتمع البحوث
الإسلامية كان ضرورة تفرضها إرادة الحياة
وأن قيامه كان خيرا وبركة على الإسلام
والمسلمين .

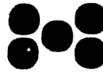
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون ، .

« وستردون إلى عالم الغيب والشهادة
فينبشكم بما كنتم تعملون ، .

واقه ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الدكتور محمود حب الله



كلمة السيد حسين (عليه السلام) نائب رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين ، بعثه الله بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله يأذنه وسراجا منيرا ، فهدى به بعد الضلالة ، وتركنا على طريق الحق والهدى .

السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وضيوف الجمهورية العربية المتحدة :

يسعدني أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وأن أحمل إليكم تقديره لما تبذلون من جهد كريم ، ندعو الله جميعا أن يجعله دائما نورا يضيء روائع تراثنا ، ويفتح الطريق أمام تعاون وثق بين المسلمين جميعا ، ومن أحسن قبولاً من دعا إلى الله وعمل صالحا وقال : إني من المسلمين .

أيها الأخوة :

لقد هنيت مؤتمراتكم السابقة بمجوانب من الحياة الإسلامية : تشريعية واجتماعية واقتصادية ... ولكن مؤتمركم هذا يعقد في ظروف غير مسبقة ، يمثلها امتداد العدوان الصهيوني على أرض العرب والإسلام

وانتزاع المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله من أيد مؤمنة أمينة ... المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي عليه الصلاة والسلام ، من أجل ذلك خصصتم مؤتمركم هذا للقضية المصيرية الكبرى ، وأنتم في هذا تستجيبيون استجابة مؤمنة للرحلة التي تمر فيها أمتنا دفاعا عن مقدساتنا وأرضنا السليبة .

ولقد فجرت حرب يونيو ١٩٦٧ ، يناهض جبهة من الوعي هي الصعيد الإسلامي ، فمعددت الدعوات والمؤتمرات من أجل الحق السليبي ، وتنادى علماء الإسلام وجامعاته بالتعاون ، وتحركت الوفود الإسلامية تدفع دم الحياة في جسد الإسلام وتنتقل بين عواصمه وتلاقى شعوبه وتجدد العهد على العمل الواهي الدائب ، وجاء هذا تحركا تلقائيا وعميقا ، وتعبيرا صادقا عن إيمان وصفه الله تعالى بقوله : « ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم » .

٣ - البعد العسكري : الذي يتمثل في قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » .

كل ذلك استعدادا للمعركة الكبرى المقدسة ضد أعدائنا وأعداء الله وآخرين من دونهم .. فليس هناك في حياتنا الآن صوت أعلى من صوت المعركة ولا نداء أقدس من ندائها .

لأنها الهدف الذي يذكره الزارع في حقله والعامل في مصنعه والعالم في مخبره والواعظ في عظته ... لأنها الأمل الذي تتطلع إليه أهين الشباب طعاما واعيا يجمع بين عمق الإيمان ووضوح الرؤية وسلامة الاستعداد والتنظيم هدف تمثل في شدة إقبال الشباب على الكليات العسكرية ومعسكرات التدريب وتدريبات الدفاع المدني ...

وهذه المعركة يفبغى للعالم كله أن يعي في وضوح أننا لا نخوضها فقط دفاعا عن مقدساتنا وهي وحدها تكفي هدفا نبيلاً لأقدس معركة ؛ ولما كان العدوان امتد أيضاً إلى المقدسات المسيحية في الأرض المباركة ، هذه المقدسات التي صانها آباؤنا عبر القرون يلتقي فيها العابدون فيجدون الأمن والسلام .

وتحدث هذه اليقظة في الوقت الذي تدعم فيه الجامعات الإسلامية الروابط فيما بينها ، وتظهر في أفق الإسلام جامعات جديدة تتلقاها الجامعات العربية بالترحيب ، تعاونا في هيئات التدريس والبرامج ، ويتابع الأزهر رسالته التاريخية تطويرا يستهدف ربط التراث التقليد بأفاق العلم الحديثة لتخريج جيل من العلماء الذين يجمعون بين أصالة الماضي ومتطلبات الحاضر ، سير إلى المستقبل وتعهدا لبذور الإسلام في الأرض الطيبة . كل هذه - أيها الأخوة - مؤثرات جديدة في حقل الفكر تمتد على صعيد العالم الإحلاى كله .

وتتواكب هذه المؤثرات من الجهد العلمي مع تعبئة تأخذ ثلاثة أبعاد أساسية :

١ - البعد الروحي : مصداقا لقول الله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » . وتمثل هذا إجابة إلى الله لأنه هو البر الرحيم .

٢ - البعد الاقتصادي : وبدونه لا تستطيع أمتنا الإسلامية أن تأخذ مكانها في ركب الحياة المتطور ... وهذا البعد يقتضي منا جهدا هائلا وبحوثا وتكويناً لأجيال من المتخصصين .

أيها الأخوة العلماء المؤمنون :

لقد قرأت بحوثكم التي تم طبعها قبل المؤتمر ، ولست فيها هذه الأقباس المضئنة التي ذكرتني بأبوتنا الماجدة ، وأحسست حرارة الإيمان الذي أرجو أن يؤتي ثماره تفاعلا وتحملا مشتركا لمسئولية ضخمة ، ونحن والحمد لله نقدر جميعا هذه المسئولية الخطيرة .. وهذه مسئولية نرجو الله أن يرضانا أهلا لحملها حتى نستعيد مقدماتنا وأرضنا السليبية من أعدائنا انزاعا يعود به لإخواننا إلى أرضهم التي أخرجوا منها بغير حق ، وحقوقهم التي اختلط عرقهم بترابها ، وثوى فيها وفات أجدادهم وارتفعت فوقها مآذنهم ..

أيها الأخوة :

أدهو الله جلّت قدرته أن يجعل عملنا خيرا من قولنا ، وأن يجعل غدا خيرا من يومنا ، وتدعوه - جل وعلا - بما هلبنا أن ندعوه به : « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا » . سائلين الله نصرا عزيزا ، وما النصر إلا من عند الله . وفقكم الله ورعاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ من رجب ١٣٨٨ هـ

٢٨ من سبتمبر ١٩٦٨ م

لقد صانها أبناؤها من عدوان التتار والصليبيين الذين جاءوا متستريين وراء صليب المسيح عليه السلام النبي الداعي إلى المحبة ، وباسمه - وهو برىء - خاضت خيولهم في دماننا وتعاقبت بعد هذا موجات الغدر الاستعماري والصهيوني التي بلغت ذروتها في عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ولقد تعودنا من علمائنا هرب التاريخ أن يعملوا من أجل حق الإسلام ، يدفعون عنه هدوان المعتدين ، ويدفعون شعوب الإسلام إلى ميادين الشرف والمضحية ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم .

لقد كان القاضي « بهاء الدين بن شداد » يصحب « صلاح الدين الأيوبي » في حروبه عند الصليبيين ورأينا « العزيز بن عبد السلام » ، وأبا الحسن الشافلي ، والإمام « ابن تيمية » الحرائي ، ورأينا هؤلاء وغيرهم كثير في حروبنا ضد التتار ... رجال يرحقون إلى المشرق والمغرب ، منهم من قوى بعد جهاده في قلب إفريقيا أو في الأرض المقدسة أو في ميادين المعارك في مشارق أرضنا ومغربها فشكل أرض الإسلام له وطن ...

رحمهم الله .. أمضوا حياتهم علماء وطلبوا ميته الشهداء وضربوا أرواح الأمثلة للربط بين العلم والعمل ، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

مكانة بيت المقدس في الإسلام

للأستاذ عبد الحميد حسن

عضو مجمع البحوث الإسلامية

كنعانية قديمة وجدت قبل داود عليه السلام بنحو تسعمائة سنة .

وقد حارب بنو إسرائيل الكنعانيين وضربوا أورشليم وأشعلوا فيها النار . وفي

سنة ٦٦ م قام اليهود بفتنة ضد الحكم الروماني فأخدها الرومان وفي سنة ٧٠ م في عهد الرومان هدمها ديتاوس ، ثم هدمها مرة ثانية

دهريانوس ، الروماني ٧٦ - ١٣٨ م ، وبني مكانها سنة ١٣٥ م مدينة أسماها باسمه الأول دإيلياء دهريانوس ، ليحج كل أمر يهودي وظل اسم دإيلياء ، سائدا نحو

مائتي سنة إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين ، الروماني في القرن الرابع الميلادي وهو أول من اعتنق النصرانية من أباطرة الرومان فألغى اسم دإيلياء ، وأعاد اسم دأورشليم ، وأكن اسم دإيلياء ، ظل مستعملا إلى الفتح الإسلامي كما جاء في العهد الذي كتبه عمر ابن الخطاب لأهل بيت المقدس .

وأورشليم قد دثرت وحلب محلها القدس ثم بيت المقدس وهو الاسم الذي أطلق عليها منذ الفتح الإسلامي سنة ٦٣٨ م ، إلى الآن .

بيت المقدس اسم سجله الإسلام في صفحة مشرقة من صفحات التاريخ . وقد وضع المسلمون الدعائم الراسخة لهذه البقعة المباركة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ومدينة بيت المقدس هي عاصمة فلسطين . وتاريخ هذه المدينة ينطوى على حقبة طويلة من أمجاد الإسلام .

وتقع هذه المدينة في وسط فلسطين فوق تل صخري على بعد نحو خمسة كيلو مترات من مدينة دإفا ، وهي قسان :

المدينة الجديدة وهي حافة بالمباني والطرق الحديثة . والمدينة القديمة وهي زاخرة بآثارها الدينية . وتضم معظم الأماكن المقدسة وأهم ما للمسلمين دالمسجد الأقصى ، وهو الحرم المقدس لهم وللمسيحيين كنيسة القيامة ولليهود كما يقولون حائط المبكى الذي يزعمون أنه ملك لهم .

وكان اسم المدينة دأورشليم ، وهو الاسم الكنعاني وكانت مركزا لسيادة الكنعانيين الذين سكنوا البلاد قبل إسرائيل . فالمدينة

ارتباطا وثيقا برسالات الله إلى عباده وبانفتاح نور الهداية الدينية .

والسنة النبوية حافلة بما للمسجد الأقصى من مكانة وبفضل الصلاة فيه . من بينها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى .

وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يا رسول الله أفقتنا في بيت المقدس ، أى هل شرع السفر إليه ، فقال : ليتوه فصلوا فيه ، فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله .

وإلى جانب ما في الكتاب والسنة بشأن مكانة المسجد الأقصى نجد أنه قد اتصل اتصالا روحيا بالقلوب .

ونجد بعد ذلك تجاه بيت المقدس مرحلة أخرى تنتقل من العواطف والمشاعر إلى الواقع العملي وإلى الدفاع عن العقيدة الإسلامية وحماية المقدسات التي يعتز بها المسلمون .

ففي ضوء المبادئ الإسلامية الثابتة وهدى الدين القيم وأهدافه السامية وعلى أساس من إقامة ميزان العدل وإشاعة الحرية والمساواة ورفع مشعل الهداية القلبية جاء الفتح الإسلامي لبيت المقدس : مرة في أيام عمر بن الخطاب

ولبيت المقدس مكانة في الإسلام ، فقد جاء التنويه بها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وتجلت كذلك في مشاعر المسلمين وهو اطفهم الدينية وفي تعلقهم القلبي والروحي بهذا الأثر الديني العظيم . وظهرت هذه المكانة أيضا في حرص المسلمين في فتوحهم على أن ينقذوا بيت المقدس ويصونوا معاملته في خلافة عمر بن الخطاب . ثم في أيام صلاح الدين الأيوبي ثم في عنايتهم به وبتجديد نواحيه وبصيانتها على مر الأيام .

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر بيت المقدس في قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ، (١) وهذه الآية الكريمة تشير إلى المسجد الأقصى وهو أهم المقدسات الإسلامية في مدينة القدس . والمسجد الأقصى وثيق الصلة بمحدثين من الحوادث ذات الشأن في التاريخ الإسلامى وهما الإسراء والمعراج .

فالإسراء رحلة أرضية والمعراج رحلة سماوية والمسجد الأقصى كان مركزا في كلتا الرحلتين فهو في الأولى نهاية الإسراء وفي الثانية بدء المعراج . والرحلتان ترتبطان

القدس في عهد الاحتلال اليهودي

لفضيلة الأستاذ عبد الحميد السائح

وضربوا المسجد الأقصى المبارك ، فأصابوا بابه الأوسط بمدفعيتهم حتى حطموه إرباً إرباً ، وأصابوا إحدى مآذنه إصابة مباشرة وهي مثذنة باب الأسباط ، وأصابوا قبعة الأقصى نفسه ، وقبة مسجد الأقصى المكرمة إصابات مختلفة ، كما أصابوا عدداً من الكنائس المسيحية مثل كنيسة يوحنا ، وهي المعروفة بالصلاحية ، وهدموا بعض الأيرة والكنائس كما هدموا المسجدين الموجودين في ساحة المبكى ، وأحدهما مسجد البراق الشريف ، فضلا عن هدمهم لجميع الأبنية في المكان المعروف في حارة المغاربة من أوقاف أبي مدين الغوص والمحصفين من المغاربة ، وهدمهم لعدد آخر من الدور والمساكن ، وكانوا يملون السكان نصف ساعة ليخرجوهم وأفراد أسرهم ، وحمل أمتعتهم ، هذا عدا عن نصف البيوت والممتلكات لا وهي الأسباب .

وقد انتهكوا حرمة جميع المقدسات بالدخول إليها في حالات منافية لأبسط قواعد الآداب بما أثار السكان من مسلمين ومسيحيين ودفعهم لتقديم مذكرات الاستنكار

تناول مما حثته في فصول بحثه : مكانة القدس في الإسلام ، الأربعة الأولى تاريخ المدينة وصلة العرب بها قبل إسرائيل وبعدها . ثم أعقب ذلك بفصول أربعة أخرى تضمنت تحقيقات في الإسراء والمعراج وتحويل القبلة وفضل الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى .

وكانت الفصول الستة التي يفتنى بها البحث تتضمن أحداثاً سياسية هامة أبرزت الحق العربي في البلاد وبخاصة في الأماكن المقدسة وضمنها قراره لسانيكو .

ونقدم من هذا البحث الفصل الذي تحدث فيه فضيلته عن :

القدس في عهد الاحتلال اليهودي

وتهود المدينة

مفروض في اليهود ، وهم من أهل الكتاب أن يحرموا مدينة القدس ، وما فيها من مساجد ومعابد ، ليذكر فيها اسم الله ، لكنهم فقدوا كل شعور إنساني فضربوا المدينة من الجوع وقصفوها بالمدفعية ، فأحرقوا كثيراً من المخازن التجارية ، بما فيها من بضائع وسماع ، ونهبوا ما وصلت إليه أيديهم ،

في الدعوة للمقاومة بشق أساليبها ، مع أن مقاومة المحتل حق مشروع أقرته الدول المتمدينة واعترفت به الأوساط الدولية . خصوصاً أن في المقاومة معارضة على تطبيق ميثاق هيئة الأمم وقراراتها المتعددة التي تمنح من ضم القدس العربية ، والسير في تغيير معالمها والاعتداء على السكان وحقوقهم المختلفة .

ولا تزال سلطات الاحتلال بمنة في خططها الجهنمية التي تقضى على مظاهر الإسلام والعروبة في المدينة وإظهارها المدينة اليهودية ، ولا يزالون يفكرون في هدم مسجد الصخرة المشرفة لإقامة بناء الهيكل مقامه ، ولذلك فإنهم بواسطة سلطات الجيش الإسرائيلي أخذوا مفتاح أحد أبواب المسجد الأقصى وهو الباب المسمى بباب المغاربة (١) ووضعوا أيديهم عليه ، فصاروا يسمعون لمن يشاءون بالدخول إلى ساحات المسجد وإلى المسجد نفسه في كل وقت دون إذن أو مراقبة من قبل دائرة الأوقاف الإسلامية ، وهذا وحده

والاحتجاج ، وإعطاء صور عنها لقناصل الدول الموجودين بالقدس العربية .

وقد قرروا أيضاً ضم القدس العربية بما فيها من مقدسات إلى القسم الآخر المحتل سابقاً من القدس وبذلك خالفوا قواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة التي تمنع المحتل من أن يضم إليه أية أرض احتلها ، ولو فعل ذلك فلا يترتب على عمله أى أثر قانوني .

وأخيراً لجأوا إلى إعلان استملاكهم مساحة من الأرض العربية تبلغ ٣٣٤٥ دونماً (٢) ، وهذه الأرض هي الوحيدة التي بقيت للعرب في القدس وتصلح لإقامة أبنية عليها ، وقد استملاكوها لإسكان آلاف المهاجرين اليهود فيما ينشئون عليها من مزارع بما يدل دلالة واضحة على استخفافهم لجميع مقررات الأمم المتحدة واتفاقيات جنيف التي تقضى بالمحافظة على السكان وممتلكاتهم ، وبما يشهد بنواياهم التوسعية عدم رغبتهم في أى معنى من معاني السلام بينهم وبين العرب - حسب زعمهم - .

وقد لجأوا أيضاً إلى إخراج عدد من السكان الذين يرون في وجودهم في المنطقة المحتلة لإزعاجهم وخطراً يهدد سلامتهم وأمنهم ، لعدم انصياعهم لإرادتهم ولا استمرارهم

(١) وكان الناس قديماً يسمونه باب النبي ، وباب البراق ، ولعله الباب الذى دخل منه الرسول عليه الصلاة والسلام وأما سيدنا عمر فقد دخل من باب شرف الأنبياء الذى يسمى الآن باب فيصل كما أشار إلى ذلك منجى الدين ابن الحنبلى ، تاريخ قبة الصخرة صفحة :

برغم كل ذلك فإن الحُكام الصهاينة ينفذون الآن مخططهم في تهويد مدينة القدس العربية باستملاك الأراضي والمباني العربية لإسكان عشرات الآلاف من اليهود فيها، ولأنهم ماضون في حمل وإلغاء كافة المؤسسات العربية والإسلامية في القدس والعبث بها، فبعد أن ألغوا جميع المشاريع المدنية التي كانت قائمة قبل الحرب، واستبدلها بالتشريعات الإسرائيلية السارية المفعول من قبل الحرب في إسرائيل خلافاً للأعراف والإرادة الدولية .

ألغوا بلدية القدس العربية وجميع الدوائر العربية الرسمية واستبدلوها ببلدية ودوائر يهودية .

هدموا أحياء بكاملها وعشرات المباني خارج وداخل سور مدينة القدس القديمة فشرذوا مئات العائلات المقدسية التي يعود تاريخ وجودها في القدس إلى أقدم العصور التاريخية .

استباحوا حرمة الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وفي مقدمتها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

هدموا المساجد والكنائس ومنها: مسجد البراق والمغاربة وكنيسة السريان السكاكوليك .

إن سياسة التهويد والاعتمادات الإسرائيلية لا تقف عند حد :

يكون منطلق خطر على المسجد الأقصى، وعلى مسجد الصخرة، وهم المعروفون بجميع أساليب الخداع والكذب والافتراء .

لذلك كله فإن الواجب الإسلامي يقضي على جميع المسلمين في المشارق والمغارب أن يهبوا للعمل يدأً واحدة وفي أسرع وقت ممكن لانقاذ القدس والمسجد الأقصى وسائر المقدسات، وإلا فإن الساكت على هذه الحالة والمتجاهل للقيام بواجبه يكون قد أسهم في بقاء حالة لا تقرها شريعة الله ولا يقبلها الاسلام من أتباعه ومؤيديه .

إن حُكام إسرائيل الذين ملأوا الدنيا ضجيجاً كاذباً في رغبتهم في السلام وفي عدم المزيد من التوسع وفي أن دولة إسرائيل واحدة الحرية والديمقراطية كشفوا ويكشفون الآن عن حقيقة نواياهم في المزيد من التوسع ليس فقط بإصرارهم على رفض الانسحاب من المناطق العربية المحتلة حديثاً وإنما فيما يطبقون بالنسبة لمدينة القدس العربية من سياسة بالغة الخطورة والإجرام .

فبرغم قرارى الدورة الطارئة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الصادرين في شهر آب سنة ١٩٦٨ القاضيين بعدم شرعية ضم مدينة القدس العربية لإسرائيل، وبرغم قرار مجلس الأمن الإجماعي القاضي بالانسحاب، وبرغم ميثاق الأمم المتحدة بمنع الضم والإلحاق،

حواله ، والمؤمن بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) ، والذي يحزنه أن يرى القدس بلد الإسراء والمسجد الأقصى ، أولى القبلتين في أيدي الصهاينة الأشرار .

إلى العالم المسيحي المؤمن برسالة السلام والمحبة المتجسدة بعقيدته نحو عهد المسيح رسول السلام .

إلى كل الدول المناهضة للظلم والطغيان ، إلى الهيئات والمؤسسات الوطنية والمقدمية في العالم ، إلى الأحرار والشرفاء والمناضلين أينما وجدوا الذين طالما انتصروا لقضايا الحق والحرية ، إلى كل مكافح من أجل كرامة سان ومن أجل منع حمامات الدماء واذاب الجماعة في أي بقعة من بقاع الأرض كما فعلت وتعمل الصهيونية المعتدية على أرض فلسطين العربية المقدسة بحماية الإمبريالية العالمية .

إلى كل مناضل ضد قيام نازية جديدة متمثلة في الحركة الصهيونية ، ووليدة الاستعمار العالمي لإسرائيل إلى جميع المناوئين للحرب العاملين لاستتباب السلام العادل القائم على حق الشعوب في العيش بكرامة في أوطانها ، إلى كل مؤمن مناضل مجاهد يتطلع إلى ساحة

الحكام الصهاينة يمدون العدة للاستيلاء على الحرم القدسي بحجة أنه (جبل البيت) بعد أن سبق لهم ورفعوا العلم الإسرائيلي فوق قبة الصخرة المشرفة .

كذلك هم يمدون العدة للاعتداء على المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية بالقدس ووضعها تحت إشراف وسيطرة وزارة الأديان الإسرائيلية ، وهم ماضون في فرض أفسى الظروف الاقتصادية المرهقة لإفلاس المؤسسات الاقتصادية العربية في القدس ، وبخاصة السياحة بعد أن عزلوا القدس عن سائر أنحاء الضفة الغربية المحتلة بالحواجز والرسوم الجمركية .

فإلى الضمير العالمي الذي طالما هزته آلام البشرية ومآسيها والذي انتفض ضد النازية والفاشية والذي يرفض الاحتلال واقتلاع الشعوب من أوطانها وتقتيل وقشريد الأطفال والنساء والشيوخ وتعذيب النفس البشرية .

إلى الإنسان العربي المعتر بقوميته وبكرامة أمته وتاريخها الحضاري المجيد ، الطامح إلى إعادة بناء المجتمع العربي الموحد المتقدم المزدهر وإلى تأهيل الأمة العربية للمساهمة مع كل شعوب الدنيا في خير البشرية ورخائها .

إلى الإنسان المسلم في العالم الإسلامي الكبير المؤمن بقوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الذي باركنا

عن مسرح التاريخ ، كما يناشدكم الوقوف
بجانب الأمة العربية ومؤازرتها الرد العدوان
الإسرائيلي الأمبريالي على حريتها وكرامتها
وطنها ويهيب بكم العمل بسرعة وبجد لإرغام
حكام إسرائيل على توقيف تنفيذ مخطط تهويد
مدينة القدس العربية .

عبد الحميد السامح

التحرير والاستشهاد ، ويفدى البلاد المقدسة
بدمه وروحه .

إليكم جميعاً فتوجه بهذا النداء للاستيقاظ
على حقيقة الصهيونية وعلى حقيقة دولة
الصهيانية ، وخلفاء النازية والفاشية منفذى
سياسة الإمبريالية ضد الشعب العربى ،
ويناشدكم الانتصار للشعب العربى الفلسطينى
الأسير الشريد الطريد المهدد بالقضاء وبالغيباب

(بقية المنشور على صفحة ٤٢٨)

الشهداء والرحمات . والمزائم والانتصارات .
وصمدت وستصمد على تقلبات الزمن لثرى
قريباً إن شاء الله ما قدره الله لها من حرية
وقدسية وذكر خالد مقترن بنصر الحق وعلو
المنزلة وبالعزة والكرامة .

وقد استمرت إسلامية عربية منذ فتحها
عمر بن الخطاب . ولم تدخلها إسرائيل إلا بعد
 وعد بلفور المشؤم . وستظل إن شاء الله
إسلامية عربية . فالقلوب ترهاها وعناية الله
تحدوها ، ولينصرن الله من ينصره إن الله
لقوى عزيز ، ؟

عبد الحميد السامح

عضو الجمع

[٣]

وأخرى فى أيام صلاح الدين الأيوبي واستجده
الثالثة إن شاء الله فى عصرنا الحاضر لإنقاذ
هذا القطر الحبيب من أيدي الغاصبين المعتدين
وإعادته إلى العروبة وإلى المسلمين حتى ينعم
بالحياة الراضية التى وضع الإسلام أصولها
وأقام دعائمها .

وإن أجدى الوسائل للتغلب على المعتدين
على البقاع المقدسة هى أن نعتصم بحبل الله
ونوحد صفوفنا وأهدافنا ونسير نحو والغاية
التي ننشدها . فالخطوة واضحة . وبذلك نعيد
للأماكن المقدسة مكانها وجلالها .

هذه هى مدينة المقدس التى حظيت بأجداد
الإسلام . وتعاورت عليها الأحداث وخبرت
العدل والظلم والغضب والحلم . وشهدت

الصهيونية وأهدافها

للدكتور الدكتور سيد نوفل

الأمين العام المساعد بجامعة الدول العربية

قدم الدكتور سيد نوفل بحثاً بعنوان الصهيونية وفلسطين
تناول فيه النقاط التالية

تعريف بالصهيونية وأهدافها - المؤتمرات الصهيونية الأولى - مساعي الصهيونية لدى الدول الكبرى - محاولة استغلال الجميع - التركيز على بريطانيا - أمر بـ «كا» وتصريح بلغور - اليهود يضعون مشروع التصريح - تحليل وتقنيـة التصريح - لماذا أصر الصهيونيون على إتخاذ فلسطين وطناً قومياً - معارضة يهودية للسياسة الاستعمارية الصهيونية - الموقف في نهاية الحرب العالمية الثانية - أولاً : في المجال الدولي - ثانياً : في المجال اليهودي - ثالثاً : في المجال العربي - النضال العربي بعد الحرب العالمية الثانية - العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ - عدوان الخامس من يونيو «حزيران» لعام ١٩٦٧ - خداع الصهيونية وتضليلها - الأمم المتحدة والعدوان - سياسة إسرائيل التوسعية - الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون العدوان الصهيوني على حقوق الإنسان - الأساس العنصري للصهيونية - خاتمة : واجب الدعوة الإسلامية ضد الأباطيل الإسرائيلية الصهيونية - واجب الجهاد المقدس لانتصار الإسلام وتحرير المسجد الأقصى .

وفيما يلي تعريف بالصهيونية وأهدافها :
الصهيونية نسبة إلى صهيون ، وهو الجبل أو التل الشرقي من جبلين أو تلين تقوم عليهما القدس القديمة . وقيل إنه كان حصناً احتله داود وامتدت من حوله عاصمة مملكةه التي سميت باسم « صهيون » . وهذا الاسم ، كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، موجود قبل وجود الإسرائيليين ، بل قبل وجود الكنعانيين ، وأطلق على الجبل الذي أقيمت عليه القدس ، وأصبح اليهود عليه قداصة ، وزعموا أن آلهم « يهود » يسكنه ، ويمارس سلطانه من فوقه . وفي العصر الحديث انتسبت إلى « صهيون » حركة غلاة اليهود لاستعمار فلسطين استناداً إلى جمعهم حول قومية منتحلة هي ، القومية اليهودية ودين وصلوه بها ، وأحياء اللغة العبرية التي ماتت منذ القدم . والمباعدة بين اليهود وبين البلاد التي يقتسبون إليها قومياً ووطنياً ، وتهجيرهم إلى فلسطين تمهيداً للسيطرة عليها ، ومنطلقاً إلى المطامع الاستعمارية الإستعمارية في العالم العربي وسائر العالم الآسيوي الأفريقي ...

٢ - وإذا رجعنا البصر نحو الماضي ، تبيننا أنه لم يكن لليهود وجود مذكور

في القدس حين زارها لآخر القرن الثاني عشر الميلادي سوى يهودى واحد .

وقال موسى بن نهمان جيروندى اليهودى أنه لم يجد في القدس عندما نزل فيها لآخر القرن الثالث عشر سوى عائلتين يهوديتين .

وتدل سجلات المحكمة الشرعية في القدس على أن عدد اليهود في فلسطين كان ١١٥ في عام ١٥٧٢ م ، و ١٥٠٠ في عام ١٦٨٨ . ولم يتجاوز عددهم ذلك بكثير طوال القرن الثامن عشر . وظهرت الزيادة في القرن التاسع عشر لبان المد الاستعماري الأوروبي وظهور طلائع الحركة الصهيونية الاستعمارية . وقد بلغ عددهم في عام ١٨٤٢ الفين . وحاولوا في عام ١٨٢٧ م شراء الأراضى ، ولكن الأهالى عارضوا ذلك . وأيد مجلس القدس الشريف معارضتهم . وأقر حاكم مصر في ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ وجهة النظر هذه التي رفعها اليه مصطفى السعيد متمسكاً بالقدس الشريف . وقد جاء فيها بالنسبة لالتباس اليهود مانصه :

« فالتاسم بذلك لا يوافق حكم الشريعة ماعدا تعاطى البيع والشراء بالتجارة . (١) »

٣ - وكان أول من نادى بالقومية

(١) سجل المحكمة الشرعية بالقدس ، الإذن

الشرعى ص ٢٣ لسنة ١٢٥٣ هـ .

في فلسطين إلى القرن التاسع عشر طوال ثمانية عشر قرناً ، فضلاً عن انتهاء الحكم اليهودى فيها منذ القرن السابع قبل الميلاد . وقد كان هذا الحكم في واقعه حلقة من سلسلة الغزوات الأجنبية لفلسطين وسائر البلاد العربية ، ولم يبق سوى فنرات متقطعة قصيرة لا يتجاوز مجوهرها سبعين عاماً . . فلقد وجد « شيشنق » أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين المصرية فلسطين مع مصر ، وحرر فلسطين من دولة اليهود الأولى . . ومن بعد ذلك انقسم اليهود إلى قسمين متناحرين حتى قضى سرجون الثانى ملك آشور ، في عام ٧٢١ قبل الميلاد ، على مملكة إسرائيل في الشمال ، ثم قضى الملك السكلدانى نبوخذ نصر ، في عام ٦٠٤ قبل الميلاد ، على مملكة يهوذا في الجنوب . وكانت المملكة في القسمين لونا من التجمع القبلى أو المذهبى . ومنذئذ لم ترق لليهود دولة في فلسطين . بل إن الوجود اليهودى ذاته في فلسطين صفى عدة مرات أشهرها النصفية التي تمت أثناء العهد الرومانى في القرن الأول الميلادى . ومنذ فجر الإسلام استكملت فلسطين عربيتها وإسلامها شأن سائر البلاد العربية الإسلامية ، وانتهى بالإسلام الحكم الرومانى في فلسطين بعد الحكم السلوقى والحكم اليونانى أو المقدونى والحكم السكلدانى والحكم الاشورى والحكم اليهودى . .

وقد ذكر السانخ اليهودى بتاحيا أنه لم يكن

"Hoveveh Zion" "Lovers of Zion"
للتشجيع الاستيطان في فلسطين وإحياء
اللغة العبرية . وبذلك وضعوا بذور الصهيونية
السياسية . وجندوا أنفسهم لخدمة هذه
الجمعيات بالتجوال في أوروبا وجمع الأموال
لها لشراء أراض في فلسطين لإنشاء مستعمرات
صهيونية . ووجدوا في البارون ادموند دي

روتشيلد "Baron Edmond de Rotschid"

والبارون ادموند دي هيرش
"Baron Edmond de Hirsch"

جميع أسباب العون لهم . وانشأ البارون
ادموند دي هيرش ، جمعية الاستعمار اليهودي
"Jewish Colonization Association"
مفصلاً بهذه التسمية عن الأهداف
الاستعمارية الأولى للصهيونية ، وقد ساعدت
هذه الجمعية ، مع ما بذله البارون روتشيلد ، على
هجرة طائفة من اليهود إلى فلسطين .

٥ - ويعتبر البارون د ثيودور هيرتسل
Dr. Theodor Hertzl ، أبا الصهيونية
السياسية الاستعمارية بمعناها العدوانية . وقد
فكر هيرتسل الاستعانة بشعار براق ، ألا
وهو الاشتراكية Socialism وقال في ذلك :
" سأجعل من جميع اليهود اشتراكيين . وبذلك
تنشأ حركة مضادة تحارب الحركات المختلفة
بما فيها اللاسامية ، ثم نصب نفسه في عام
١٨٩٥ داعية للدولة اليهودية ، متخذاً سبيلاً
لذلك مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة " وبدافع
من هذا كتب هيرتسل ، في منتصف يناير

اليهودية ، والدولة اليهودية ، د موسى هيس
MOSES HESS ، (١٨١٢ - ١٧٨٥) ،
الملقب بالاب الحقيقي لفكرة " اليهودية قومية
سياسية " . وهو يهودى ألماني استهوته
أفكار السيطرة والاستعمار ، وكان له دور
فعال في الثورة الألمانية عام ١٨٤٨ ، وعندما
سادت أمورها هرب إلى فرنسا .

وفي فرنسا كتب عام ١٨٦٢ كتاباً بعنوان

روما والقدس ROME & JERUSALEM ،

دعا فيه إلى أن تكون القدس لليهود بمثابة
روما للمسيحيين ، وقال إن الدين اليهودي
قومية يهودية قبل كل شيء . . وأن على كل
يهودى مسئولية إعادة بناء إسرائيل . وقال
" إن كان صحيحاً أن التحرر اليهودي في المنفى
يتعارض مع القومية اليهودية ، فواجب
اليهود أن يضحوا بالأول في سبيل الثانية " .

كما طالب فرنسا أن تبسط نوطاً من الانتداب
أو الحماية على فلسطين لمصلحة اليهود حتى
تصبح دولة يهودية ، ودعا إلى مثل هذه
الدعوة غيره من اليهود المعاصرين له .

٤ - وفي عام ١٨٨٤ ، ولأول مرة في

التاريخ ، اجتمع في كاتوفيتز KATOVITZ ،
بألمانيا بالقرب من الحدود الروسية ، طائفة
من غلاة اليهود في بلاد مختلفة ، وقروا
د استعمار فلسطين بفلاحين يهود . ونظم
الذين اختاروا فلسطين أنفسهم في جمعيات
د محبو صهيون ،

حسب القوانين المرعية في البلاد التي يقيمون بها ، وتقوية شعورهم بما سمي شخصيتهم وعاطفتهم القومية المرتبطة بالعقيدة اليهودية .

(ب) التشجيع المنظم لهجرة الصهيونيين من المقاتلين والزراعيين والعمال وذوى المهن إلى فلسطين واستقرارهم فيها .

(ج) الإعداد لحملة للحصول على تأييد الدول الكبرى لأهداف الصهيونية .

وبهذا وضع المؤتمر الصهيونى الأول ، المخطط للعام للصهيونية في حاضرها ومسقبلها متفرعا إلى ثلاث شعب : التنظيم ... والاعتراف .. والاستعمار .

وبالرغم من أن هيرتسل كان يريد جعل فلسطين دولة يهودية ، إلا أنه لم يمانع في قبول نوع من الوطن المؤقت لليهود ، سواء كان في سورية أو شبه جزيرة سيغاف أو العريش أو طرابلس أو في قبرص أو البرتغال أو موزمبيق ، أو في الكونغو البلجيكية أو أوغندا ، لكن هذه الفكرة استبعدت من بعد وأجمع الصهيونيون على التدبير لاستعمار فلسطين ، وقد بذل هيرتسل الجهود لدى كل من رجا فيه المساعدة ، وتجول لهذه الغاية في عواصم الدول الأوروبية ، مستغلا عمله : مراسلا لصحيفة (نويه فراى بريسي : Neue Freie Presse) النمساوية .

(كانون الثانى) لعام ١٨٩٦ . كتيبا بالألمانية وجهه إلى البارون « ادموند دى روتشيلد » ، عنوانه « الدولة اليهودية » ، The Jewish State " " Der judenstaat " واقترح عقد مؤتمر صهيونى لهذه الغاية .

٦ — وكان الاثر الذى تركته دهوة هيرتسل للدولة اليهودية متباينا ، فأكثرت من اليهود ، وخاصة في أوروبا الغربية ، سخروا من قوله إن اليهود أمة وارتاب بعضهم في قواه العقلية ، لكن غيرهم قابلوا دعوته بحماس ، وبخاصة دعوته لعقد مؤتمر صهيونى . وقد بعث إلى اليهود في البلاد المختلفة ، كي يوفدوا ممثلين لهم في المؤتمر بمدينة (بال Basel) بسويسرا يوم الاحد ٢٩ من أغسطس (آب) لعام ١٨٩٧ .

٧ — وهكذا انعقد المؤتمر الصهيونى الاول ، وحضره ١٩٧ مندوبا ، وحددت مهمته في خطاب هيرتسل الافتتاحى حين قال : (نحن هنا لنضع حجر الاساس للبيت الذى سيأوى إليه الشعب اليهودى) . وحدد المؤتمر (حجر الاساس للصهيونية بأنها تسعى إلى تأمين وطن للشعب اليهودى معترف به شرعيا في فلسطين) .

وانتفيذ ذلك وضع المؤتمر الخطة التالية :
(١) تنظيم اليهود في جماعات وتوحيدهم

الصهيونية على دربه (١) ؟

د. سبيرانوفيل

(١) راجع في ذلك :

- مذكرات تيودور هرتسل - مارفن لوفينثال

Marvin Lowenthal : The Diaries of Theodor Hertzl.

- يوليوس هوبر : أوديسا صهيوني أمريكى :

Julius Hober : The Odyssey of an American Zionist.

- موسى منوحين : اضحلال اليهودية فى زماننا :

Moshe Menuhir : The Decadence of Judaism in Our time.

- الان تيلون : مقدمة لإسرائيل :

Alan Taylor : Prelude to Israel.

وكان هيرتسل ملابدا ، ومع ذلك فقد دعا إلى التجمع الصهيونى حول الدين اليهودى خدمة للطامع السياسية العدوانية .

ومن أقواله الدالة على أسلوبه فى الاعتماد على الدعاية والسلاح والواردة فى يومياته :
يوم ١٢ مايو ١٨٩٨ قوله :

(الضجة هى كل شىء . والحق أن الضجيج يودى إلى الأعمال الكبيرة . تاريخ العالم لا شىء سوى ضجيج : ضجيج السلاح والآلة-كار التقدمية . يجب أن يفيد الناس من الضجيج) .

ومع هيرتسل ومن بعده ، سار زعماء

قال الله تعالى :

« لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . »

(المسائدة . الآية : ٧٨ ، ٧٩)

جوهر القضية الفلسطينية

للأستاذ الدكتور الباقر

سريع جامعة أم درمان الإسلامية

تتأول هذا البحث حقيقة قضية فلسطين . تلك الحقيقة التي موهت تماماً من السياسة العرب وغيرهم إبان إنشاء تلك الدولة ، وكشف عن دور الوضعيات ، التي أكدت السياسة مفهومها في أذهان العرب وغيرهم لإبعاد قضية فلسطين عن جوهرها الحقيقي الذي هو جوهر ديني محض .

و تلك هي وضعيتها كما أريد لها أن تكون لقد أريد لها أن تكون قضية سياسية مجذورها ومظاهرها ، فهل هي كذلك . . ؟ هذا ما ينفيه الدكتور ويقول :

جوهر القضية :

لماذا نتجاهل نحن جوهر القضية لنغرقها في خضم من الوضعيات السياسية بينما تعلن إسرائيل عن إيمانها بهذا الجوهر ونبدأ منه ، لقد جاء في إعلان قيام دولة إسرائيل : ... نحن أعضاء مجلس الشعب ... نعلن قيام الدولة اليهودية .

كما جاء في نفس الإعلان أن : دولة إسرائيل تناشد الأمم المتحدة معاونة الشعب اليهودي على بناء دولته .

وهكذا تعلن دولة إسرائيل الغاصبة أنها

وسواء صدقت بريطانيا في نواياها التي أذاعتها على العالم أجمع بأن وعد بلفور ، لا يعني إنشاء وطن لليهود وإنما يراد به السماح لثوطين يهودي ، في فلسطين ، أم لم تصدق ؛ فإن الميزان السياسي سرعان ما انقلب بعد الحرب العالمية الثانية وسلمت بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . واستطاعت الصهيونية العالمية أن تعطي لبريطانيا ثمناً في مقابل الوطن القومي ، بأن حفزت الولايات المتحدة الأمريكية للدخول معها في الحرب العالمية الأولى ، ثم كان أن أبت الولايات المتحدة إلا السيطرة على المنطقة بدلاً من بريطانيا . واستسلمت بريطانيا لذلك .

وباحتضان أمريكا لإسرائيل ظهرت

فمن يكون إذن الطرف الثاني في الصراع؟؟؟
 إن الاحتكام إلى قانون الاغلبية باعتباره
 أقرب معايير العدل إلى الإنصاف الطبيعي
 يؤكد ، وما في ذلك شك ، أن إقامة دولة يهودية
 في فلسطين إنما يعنى التمهيد للإسلام
 والمسلمين ، فمنذ ذلك بان التفوق السكاني
 (والحضارى) في الأرض المقتضية إنما هو
 للإسلام والمسلمين ، فمنذ قيام الدولة الإسلامية
 في المنطقة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى
 وسكان المنطقة يتحضرون ويحكمون
 إسلاميا ، أى على امتداد تاريخى يبلغ زهاء
 ١٣٠٠ عام ، اللهم إلا فترة الغزو الصليبي
 التى لا تتجاوز المائتى عام ، بينما لم تتجاوز
 فترة الحكم اليهودى ١٤ عاما حتى لو سلمنا
 بوجهة النظر اليهودية . ومن هذا فإنه لا مناص
 من التسليم بأن قيام دولة اليهود الدينية إنما جاء
 تحديا للمسلمين فى أرض فلسطين (منبريا)
 للإسلام وحضارته قاطبة ، وما مناصرة
 الغرب لليهودية من طريق تأييد دولتهم على
 أرض إسلامية إلا استعراذ (باطنى) للعمل
 الصليبي القديم مهما تقنعت هذه الباطنية
 بوضعيات سياسية ، ألم تترد على أسنة القادة
 الغربيين عند ما تحقق لهم النصر على الدولة
 العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى عبارة
 (الآن قد انتهت الحروب الصليبية) لقد كانوا
 يقصدون بذلك أن العمل الصليبي يتعين على

دولة دينية ، قوامها التأكيد للشعب اليهودى
 فى مواجهة ما عداه من شعوب المنطقة .

وتلك هى حقيقة ، فليس يخاف على نابه
 أن وصف الصهيونية بأنها حركة سياسية ،
 إنما جاء ارتباطا بوسائلها التى تتخذها إلى
 تحقيق الغاية ، إن وسائل الصهيونية سياسية
 حقا لذلك وصفت بأنها حركة سياسية ، بيد
 أن غايتها هى نفس غاية اليهودية ، فاليهودية
 كالصهيونية تماما تنادى بالعودة إلى أرض
 الميعاد (صهيون) مع اختلاف فى الوسيلة
 فاليهودية تربط العودة بطابع دينى بحث ،
 فهى تربطها بظهور المسيح المرتقب ، وعندئذ
 يسترد اليهود سلطانهم بينما تلجأ الصهيونية
 تحقيقاً لهذه الغاية إلى العمل السياسى .

واختلاف الوسائل لا يغير حقيقة الجوهر ،
 إن اليهودية (دين) يجتمع المؤمنون به
 حول عقيدة معينة ، والصهيونية هى (ذات
 اليهودية) غير أنها تسعى إلى بلوغ غاية
 اليهودية بالعمل السياسى .

ووثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل ، تؤكد
 ذلك ، فهى لا تخفى أن (دولة إسرائيل)
 ليست إلا مجرد تسمية لدولة يهودية .

إن الصهيونية إذن وسيلة الدين اليهودى
 إلى تحقيق ذاتى ووسيلة اليهود إلى إرساء
 وحدتهم فى مواجهة ما عداهم فى المنطقة .

اقتصاديا . غير أن النصر النهائي (مرهون)
 باستجابة أسبابه إلى جوهر القضية ومن ثم
 إلى ربطها بالإسلام والمسلمين ، وعلى
 الجامعات الإسلامية في مشارق العالم الإسلامي
 ومقاربه ، وعلى المؤسسات التربوية أن
 تهمل في صدر أهدافها التبصير بجوهر
 هذه القضية ، والدعوة إلى أسباب النصر
 الإسلامية بدءاً من هذا الجوهر ، وعلى
 المنظمات الإسلامية المختلفة وفي مقدمتها هذا المجمع
 العلمي العظيم أن توجه النداء إلى العالم الإسلامي
 كله وتدق له ناقوس الخطر . ليهب الجميع
 دفاعاً عن تراث الإسلام والمسلمين . عن
 حاضرهم ومستقبلهم .

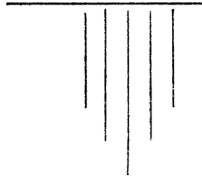
ونحن في جامعة أم درمان الإسلامية —
 والإيمان يملأ جوانبها — نمضي قدماً في التبصير
 بالقضية العربية الإسلامية بدءاً من حقيقة هذه
 واقع الموقف ؟

دكتور طاهر البافر

الغرب طالما تطل على الأرض دولة إسلامية ،
 ولقد كانوا يرون في الخلافة العثمانية استمراراً
 لدولة الإسلام ثم ألم تعمل اليهودية من ثانياً
 (الماسونية) على تصفية الدولة الإسلامية
 في تركيا - في تلك الحقبة .

ذلك إذن هو جوهر القضية الفلسطينية
 دولة يهودية دينية بغاياتها في ضمائر مفصليها
 من الصهاينة ، وإن بدت في ثوب من الوضعيات
 السياسية ، وصليبية في ضمائر خلفاء الصليبيين
 وأن قنعوها بأساليب العصر .

أما نحن المسلمين فلا نزال نتجاهل هذه
 الحقيقة ، غارقين في خضم من الأساليب التي
 تستجيب إلى وضعيات القضية ، صحيح أن هذه
 الوضعيات ، وهي أمرو واقع ، تقتضي ما يليق بها
 من أساليب (دبلوماسية) واقتصادية كاللدعوة
 لحق عرب فلسطين عن طريق المؤتمرات
 والمنظمات الدولية وكمحاصرة إسرائيل الغاصبة



المسامون ومشكلة فلسطين

لأستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تناول هذا البحث :

الواقع التاريخي للمسلمين حين يتعرضون للعدوان - فلسطين
ليست مشكلة عربية وإنما هي مشكلة إسلامية - التحدى السافر
الذى تقابل به الدول الغربية قضية فلسطين .

وفى إلى قضية فلسطين بالنسبة للعالم الإسلامى :

إن قضية فلسطين بكل احتمالاتها هي قضية إسلامية لا عربية فقط ، والصهيونية ما هي إلا رغبة الاستعمار ، والاستعمار ما هو إلا صورة مغلفة من الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على الشرق الإسلامى في القرون الوسطى قصد إخضاعه لسيطرته وإذلاله فلما انهار كيانه وتقوضت أركانه في النصف الأول من هذا القرن ، بفضل المقاومة المسلحة والمد الإسلامى الجديد الذى ظهر أقوى ما يكون في التضامن مع الحركات التحررية الإسلامية ابتداء من ثورة مصطفى كمال إلى حرب الجزائر ، لم يجد الاستعمار الملعون بعد أن فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، إلا أن يغرس هذا الإسفين الصهيونى الصدى في قلب البلاد العربية ، لينزع اتصالها ، ويشغلها عن بناء استقلالها ، ويذلها بتسليط أخط الأجناس وأرذل الشعوب في نظره عليها ، ويتمكن في الوقت نفسه من شفاء غليل الفلول الصليبية الذى لا يشفى إلا بمواصلة حرب الإسلام ومهاجمة المسلمين في عقر ديارهم ولذلك نرى هذه التبرعات الطائلة ترى على دويلة إسرائيل من جميع أنحاء أوربا وأمريكا ، لإنهاريات مسيحية يقدمها المتعصبون ضد الإسلام لمن يحاربه ولو كان جنس يهود الذين صلبوا المسيح عليه السلام في اعتقادهم ، ولذلك نرى هذه الشحنات الهائلة من الأسلحة الفتاكة تتوارد على إسرائيل ، بعضها بصفة مساعدة ، وبعضها صفقات زهيدة الثمن ، ليتمكن هذا البديل الاستعماري من مراغمة الإسلام والمسلمين وتنكيس رأيهم في بقعة من أعز البقاع عليهم وأقدسها وأطهرها ،

به على الرأي العام الدولى ويقرر بالشعوب وبسطاء العقول ، فإذا انعكشت حيلته وظهر تماؤه لجأ إلى الاحتجاج بالقوة تارة وبمحفظ التوازن فى المنطقة تارة أخرى ، وأكبر حججه هو حق إسرائيل فى الوجود ، ولكن لماذا يفرضها على بلاد الاسلام بالذات ؟ إنه نفس المنطق الذى كان يبرر به وجوده وفرض سيطرته على البلاد الشرقية ، أعنى منطق الذئب مع الحمل ، فىل متى يستمر تمثيل هذه المأساة ؟ لكن العجب كل العجب ليس من وقاحة هذا الموقف الذى يتخذه الثالث الملعون الاستعمار والصليبية والصهيونية ، وإنما هو من تدهور موقفنا نحن المسلمين حتى حق فينا قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، عجبت من تناصرهم على الباطل وتخاذلكم فى الحق ، . إن الغرب المتعلم المتمحضر لا يخجل أن يظهر بـ«سيحيته» ويفسر الصهيونية تفسيراً دينياً فيقف بجانبها وفاء منه لنصوص التوراة والإنجيل ، ولكن للشرق الجاهل المتخلف يخجل أن ينادى بشار الإسلام ويسكتل جهود المسلمين ليقف فى وجهه العدوان الصهيونى المتعصب الذى طرد العرب من بلدهم فلسطين ووضع يده على مدينة القدس الشريف مسرى النبو صلى الله عليه وسلم وأولى القبلتين وثالث الحرمين !

إن الغرب المسيحي القوى المسلح بأعدته

ولهذا نرى كذلك المتطوعين من سائر بلاد أوربا وأمريكا يهرعون إلى القتال فى صفوف الجيش الإسرائيلى ، ويخلفون الموظفين فى إدارة دواليب الحكومة ، إذ بتوجه هؤلاء لساحات القتال ، ولهذا أيضا نرى الدول الاستعمارية الكبرى تتعهد بحماية إسرائيل وضمان وجودها برغم عدوانها الاثيم على البلاد العربية ومطاردتها للمليون ونصف من أهل فلسطين الذين أصبحوا يكونون معسكرات تزيد عاما بعد عام من اللاجئين البائسين .

فهل هذا كله إنما يقع حبا بإسرائيل وإنصافا لها من العرب الذين لم يسيئوا قط إلى اليهود ولم يلقوا منهم إلا المعاملة الحسنة . والذين آوهم لما طردهم الغريبيون وحومهم من أعدائهم فى غير ما موقف من تاريخهم الطويل ؟

كلا ، بل هو الاستعمار بطغيانه وجبروته ، خرج من الباب فأراد أن يعود من النافذة وإذا قلنا الاستعمار فيجب أن نذكر الصليبية التى هى أهم أعمده وأرسخ قواعده ، وما المصالح الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية وغيرها إلا تبع لها وغنائم وأصلا تستعمل فى خدمتها وقد وجد هذا الاستعمار فى الصهيونية بغيته وطلبته ، فسخرها لتحقيق أغراضه وبلوغ أهدافه ، وجعل من قضيتها قيص عثمان يدلس

التي أدت إلى احتلالها واقتطاعها من خريطة العالم الإسلامي زهاء قرنين من الزمن ؟
 إذا كان ما يمنع رجالها من ذلك هو خرافة الدولة المدنية ، وبجاملة المسيحيين الشرقيين والخوف من تهمة إعلان الحرب المقدسة ، فليدعونا نحن علماء الإسلام ، ولا أقول رجال الدين فإن المسلمين كلهم رجال دين ، ومن نفي ذلك فقد انخلع من ربة الإسلام ، ليدعونا نحن علماء الإسلام ومعنا كل الشعوب الإسلامية نعلمها جواراً على رؤوس الملأ ، أن القوم يحاربوننا حرباً صليبية وأن حقدنا على الإسلام والمسلمين هو الذي يدفعهم للانتقام منا بهذه الضراوة ، وتسليط حثالات أمتهم وشعوبهم من الصهيينة القساة على إخواننا عرب فلسطين وإننا لانقبل بحال ، استيلاء أى كان على هذا الجزء الذى لا يتجزأ من بلاد الإسلام وعلى القدس الشريف الذى نفديه بأنفسنا وأبنائنا وأعز ما عندنا ليعبق لهذا إسلاميا وبقعة طاهرة مقدسة لنا وللمؤمنين المسلمين من أتباع الأديان الأخرى التى تؤمن بأنبيائها وكتبها ولا نحمّل لها إلا شعور العطف والاحترام .

إننا لانريد الحرب ، والإسلام دين السلام ولكننا إذا غزينا فى أرضنا وحوربنا فى مقدساتنا فلن نستطيع أية قوة فى الدنيا أن تثنيانا عن القتال فى سبيل حفظ كرامتنا وحماية بيضتنا إن ، إيماننا أقوى من النبال

السحق والحق والذى يملك من القنابل الذرية والهدروجينية ما يستطيع أن يمسح به فى دقائق معدودة بلدانا وأوطانا بكاملها يتحد ويتساوى لكبح جماح بلد صغير كالاردن وسلب أرضه وإعطائها للصهاينة المجرمين ولكن الشرق الإسلامى الضعيف الأذل يقف مكتوف الأيدى أمام هذا العدوان الصارخ وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد ، متعللاً بأن فلسطين بلدي على العرب وحدهم أن يكافوا من أجل استردادها من يد المغتصبين الصهاينة ، غاضاً طرفه عن وراء هؤلاء الصهاينة من دول كبرى وشعوب .

ونحن نعلم أن الغربيين ليسوا كلهم بمن يؤيد الصهيونية ويمائنها فى عدوانها الأثيم على فلسطين الشهيدة ، ولكن صدقنى أيها السادة ، إذا قلت لكم أن أحسنهم حالا هو من يقول فيما يصيب إخواننا العرب من قتل وتشريد ، مثل ما قاله مشركو قریش فى مصيبة المسلمين بأخذ لم آمر بها ولم تسوفى به بديل هذه الدعاية التى ملأوا بها الدنيا لصالح إسرائيل ، وهذه الشبهة التى أظهرها غداة النكسة بكل ما هو عربى وإسلامى .

وإذن فلماذا لا تقف الدول الإسلامية موقفاً عملياً من قضية فلسطين ووضعها الصحيح هو هذا الذى يضعها فيه الغربيون أنفسهم ، مجددين به الحملات الصليبية الأولى

والذرة ، ولو قاتلنا به لما هزمنا هذه الهزيمة الشنعاء .

إننا كننا دائما في تاريخنا الطويل نقف على السلاح من الغرب ، ولا نصنع منه حتى كفايتنا ، وما تزال كذلك ؛ وهذا من أقوى الأدلة على روحنا السلبية ، ومع ذلك كننا ننتصر بإيماننا وصبرنا وثباتنا وبقيننا في الله .

لن نعرف بعد اليوم اديولوجية غير اديولوجية الإسلام ، ولن نخطب المسلم في جبال الأطلس أو جبال القوقاز بغير لغة القرآن ، ولن نقول له قاتل عن يمين أو يسار ولا عن قومية فرقت أكثر مما جمعت وألحدت أكثر مما آمنت ، ولكننا نقول له : قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

إن الحاكم إذا لم تكن عقيدته هي عقيدة

شعبه فلن ينجح أبدا ، وعقيدة المسلم أرسخ من أن تقتلها ديمقراطية أو اشتراكية أو شيوعية ، والذين يجهدون في تحويل الشرق الإسلامي عن عقيدته الراسخة إلى عقيدة أخرى إنما يضربون في حديد بارد ، فليجربوا نظام الإسلام ، وليدعوا الشعب بدعوته ، إذا كانوا من الشعب وإليه ، وسوف يرون كيف تكون العاقبة لهم .

نحن مؤمنون أشد الإيمان بأن النصر لنا ، وأن هذه المهزلة الاستعمارية لها نهاية محتومة ولكننا نريد أن يكون جيلنا بالذات هو الذي يكسب المعركة ، وأن نكون شرفها من نصيب حكامنا الذين نتماطف وإياهم ، ولا نكن لهم إلا الحب والتقدير ، فهل هم مستجيبون لنا ؟

عبد الله كنونه

موقف اليهود من الإسلام والمسلمين

في العصر الأول

الأستاذ محمد طه يحيى

محاربة اليهود للإسلام والمسلمين :
 سجلت كتب التاريخ أن اليهود لم يتوقفوا لحظة عن محاربة الإسلام والمسلمين منذ العصر الأول إلى يومنا هذا ، بل وفي محاربة جميع أعدائهم من أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحية وغيرها ، فإذا ما بدا منهم في بعض الأحيان والازمان نوع من الملاينة وحسن المجاملة ، فإنما ذاك لأسباب خاصة طارئة تزول بزوالها .

وأما محاربتهم للإسلام والمسلمين ، فتتمثل بوضوح في عدة خيانات كثيرة متكررة نذكر منها ما يأتي :

١ — حنق بنو قينقاع على النبي لما انتصر في غزوة بدر ، وأخذوا يبيتون له الشر ولم يستطيعوا أن يكتعوا ما بأنفسهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم (يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، والله لئن حاربناك لتعلن أنفنا نحن الناس) .

ثم أخذوا يتحرشون بالنبي ، فحاربوا بعض حلفائه فيما بين غزوة بدر وأحد ، واعتمدوا

صانع منهم على امرأة مسلمة في سؤقهم عدواناً قبيحاً ، فقتله مسلم .

فوثب اليهود على المسلم فقتلوه ، واحتدم الشر بين المسلمين واليهود . فكان جزاؤهم أن أجلاهم النبي عن المدينة (١) .

٢ — دبر بنو النضير حيلة دنيئة لقتل النبي بانتهاز فرصة جلوسه عندهم مطمئناً على عهدهم . وقد عصم الله رسوله وأنزل عليه الوحي بتدبيرهم فانصرف عنهم ونجا من شرهم (٢) .

وكانوا قد عاهدوا النبي على أن يشتركوا في الدفاع عن المدينة إذا أغير عليها ، لكنهم شغلوا عن الوفاء بعهدهم في غزوة أحد إذ هجمت قريش وحلفاؤها على المدينة ، وكان الواجب على اليهود أن يناصروا المسلمين في صد المغيرين عن المدينة موطن المسلمين واليهود جميعاً تنفيذاً للعهد (٣) .

فإذا كان جزاء الخونة الذين لا أمان لهم ولا عهد ؟

- (١) سيرة ابن هشام ٢/٢٦٦ .
 (٢) نفس المرجع ٣/١٩١ بتصرف .
 (٣) سماحة الإسلام للدكتور الحوفي ١٥١ .

- (١) نفس المرجع ١٤٨ .
 ثم أخذوا يتحرشون بالنبي ، فحاربوا بعض حلفائه فيما بين غزوة بدر وأحد ، واعتمدوا

الذى يقيمون فيه بالمدينة، يتربصون بالمسلمين، كل شر ويسكيد لإخوانهم للإسلام من بنى قينقاع وبنى النضير فالحكمة أن يعاملهم النبي بمعاملة أخرى لأن غدوهم متكرر وشرهم مستطير ولأنهم لو عوقبوا بالإجملاء إلى خير كما عوقب سابقوهم لعادوا جميعاً قوة خطيرة على المدينة وعلى نبي الإسلام والمسلمين .

وقد رضوا أن يحكم فيهم سعد بن معاذ ، فحكم بقتل رجالهم وتقسيم أموالهم وسبي نسائهم وأولادهم . قال الله سبحانه وتعالى : «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تظفوها وكان الله على كل شيء قديراً ، (الأحزاب ٢٥ - ٢٧) .

٤ — ثم بدأ يهود خيبر يعتدون على المسلمين ، إذ خرج نفر من زعمائهم يتقدمهم بنو النضير إلى قريش ، فدعوه إلى حرب الرسول ، ووعدوه أن يكونوا معهم في القضاء على الرسول .

وبلغ بهم الحسد والحقد على النبي وعلى الإسلام أن فضلوا الوثنية على التوحيد حين سألتهم قريش (أديننا خير أم دينه ؟ فقالوا

إن بقاءهم في المدينة خطر لا يمكن دفعه ، لهذا حاصرهم الرسول ، فطلبوا منه أن يجعلهم على أن يحملوا معهم أموالهم إلا السلاح ، فأباح لهم أن يحملوها فحملوا ما استطاعوا حمله حتى الأبواب نزعوها ونقلوها معهم وقد أشار الله في ذلك بقوله : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ، (الحشر ٢) .

٣ — نكث بنو قريظة معاهدتهم مع النبي في أشد الحالات حرجاً وضيقاً إذ انضموا إلى الأحزاب في غزوة الخندق وتعاهدوا معهم على أن يغيروا على المدينة ليلاً (١) .

فكيف يعامل النبي هؤلاء الخونة ؟ لقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم بنى قينقاع بالرحمة فأجلاهم عن المدينة ثم عامل بالساحة بنى النضير .

وكان في هذا ردع لبنى قريظة وحض على الوفاء بالعهد . أما وهم لم يرتدعوا في الوقت

بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه (١).

ثم خرجوا إلى غطفان ليحرضوهم على قتال النبي ويعدوهم أن يناصروهم عليه ، ويخبروهم أن قريشا جمعت قوتها لحربه وهم الذين قص الله حالتهم في قوله : « ألم تر إلى الذين أرتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجده نصيرا » ، (النساء ٥١ - ٥٢) .

وبنو النضير هؤلاء هم الذين زينوا للنبي قريظة اليهود الباقيين بالمدينة أن ينقضوا عهدهم مع النبي وأن ينضموا إلى الأحزاب التي تحاصر المدينة (٢) . وقد نجحت

مؤامراتهم فكانت غزوة الأحزاب . عرف الرسول هذا كله وعرف أنهم لن يهدأ بالهم إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين فهاجمهم في خيبر وانتصر عليهم ثم صالحهم ، وحتى بعد الصلح وقبل أن يحلف مداد المعاهدة أبي غدروهم إلا أن يعاودهم . فإن امرأة منهم قدمت للنبي طعاما مسموما فلما ذاقه عافه ، وعرفه أنه مسموم ، فسأل المرأة فلم تستطع أن تنكر وادعت أنها كانت تختبر نبوته فعفا عنها وهو يعلم أنها كاذبة (٣) .

محمد طه مجدي

عميد كلية أصول الدين
بجاكرتا د اندونيسيا ،

(١) سماحة الإسلام للدكتور

الحوفي ٥٣ - ١٥٤

(١) سماحة الإسلام للدكتور الحوفي ١٥٣

(٢) سيرة بن هشام ٣ / ٢٢٦

مقاصد الجهاد في الإسلام

للدكتور عبد الحليم محمود
عضو مجمع البحوث الإسلامية

- القتال في الإسلام كان من أجل :
- ١ — أن يكون الدين كله لله .
 - ٢ — وألا تكون فتنة .
 - ٣ — ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لأحول لهم ولا قوة ، الذين يناولون من عنف الطغاة وبغيهم الشر الكثير ، فيضرعون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم .
 - ٤ — ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .
- الجهاد في السلم والحرب :
- الجهاد في حالة السلم استعداد لا يفتر ، استعداد معنوي يقوى الإيمان ويثبت الاهتمام على الله ، واستعداد مادي لا يقتصر على زارية واحدة من الزوايا المطلوبة للقوة .
- قال تعالى :
- « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، (الأنفال ٦٠) سواء كانت هذه القوة مادية
- أو معنوية والاستطاعة في واقع الأمر لا حدود لها ، وهذا الإعداد إذن لا ينتهي ولا يفتر في أى يوم من الأيام .
- على أن الله سبحانه قد ربط الإيمان بالجهاد في صورة محكمة متماسكة لا انفصام لها ، لقد ربط الله سبحانه الجهاد بالإيمان وربطاً بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند التمسكوص عنه .
- إن عقد الإيمان الذي بيننا وبين الله سبحانه وتعالى من أهم شروطه أن نبيع بمقتضى هذا العقد أنفسنا وأموالنا مجاهدين بذلك في سبيل الله وثمن ذلك إنما هو الجنة ، يصور الله تعالى ذلك في هذه الآية الصريحة :
- « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، (التوبة : ١١١) .

العمل بحيث يصبح الجهاد هدفا تسخر كل القوى من أجله . وبذلك يكون مثل العامل والصانع مجاهدا وإن كان في معمله أو في مصنعه .

القادر على الجهاد المتخلف عنه غير مؤمن :

إذا تخلف شخص عن أداء واجبه بالنسبة للجهاد فقد خرج على المبدأ الإسلامى الإلهى ، فقد أمر الله بالجهاد وحذر من المتخلف . وذكر أن الذين يتأخرون عن القتال لا إيمان لهم بالله ولا باليوم الآخر وذلك حيث يقول سبحانه :

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وأرأيت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ، - التوبة : ٤٤ ، ٤٥ - وهذا الذى يتخلف إنما يتخلف معتقدا أنه بذلك يبتعد عن مجال القتل ، ولكن الجبن لا يطيل الأجل . والشجاعة لا تقصر الآجال . والله يجزى الشجعان عن الإنسانية وهن الدين كل خير .

القرآن يرسم طريق النصر :

الإيمان هو أول خطوة أساسية في طريق النصر بل هو خطوة بدونها لا يكون هناك قط أساس مستقيم تعتمد عليه الأمم ويعتمد

وحينما نزلت هذه الآية قال الصحابة رضوان الله عليهم : ربح البيع . لا نقيل ولا نستقيل . فالؤمن إذن مجاهد في سبيل الله . في كل أوقاته إنه مجاهد بماله ومجاهد بنفسه ومجاهد بوقته ومجاهد بعمله ومجاهد بلسانه ، إن الكيان الإنسانى كله يجب أن يكون جهادا في كل فترات الحياة ، ومن أجل ذلك كان المسلمون الأولون يتسابقون إلى الجهاد ، ولقد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على المسلمين في أسلوب لا لبس فيه ولا غموض فقال تعالى :

وكتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، - البقرة : ٢١٧ -

ومن المعروف أن هذه الفرضية إنما هي فرضية كفاية إذا لم يكن العدو في داخل بلاد الإسلام . أما إذا كان العدو في داخل بلاد الإسلام فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم أينما كان .

وليس معنى ذلك أن كل شخص مهما كان هممه يجب عليه أن يترك عمله ويذهب إلى الميدان .

ولأنما معنى ذلك أن الدولة كلها يجب أن تعبأ تعبئة كاملة للحرب . وأن ينسق

فمن بينها ما رواه الإمام مسلم والإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد . يتعنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

وقول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

دكتور عبيد الحلبي محمد

عليه القادة في سبيل اتخاذ مكان كريم بين الدول .

هذا الإيمان إنما هو إيمان إيجابي : يستعد ويهيئ الأمر عدته ولا يدع صغيرة ولا كبيرة من أمر التعبئة للجهاد إلا ويحكمها ومن هنا كانت الخطوة الثانية في طريق النصر ممثلة في قوله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . . والخطوة الثالثة هي وضوح الهدف . والتعبئة الروحية كفيلة بأن تجعل الأمة في جهادها كالبقيان المرصوص . وإن الأمة التي تنصر الله باتباعها للدين الخالص قد ضمن الله لها النصر وعداها به وهداه الله لا يتخلف مكانة الشهيد عند الله :

إن مكانة الشهيد عند الله تصورها الأحاديث والآيات القرآنية الكثيرة :

قال الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » .

صدق الله العظيم

الجهاد

للأستاذ محمد أبو زهره
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من يجاهد لإرضاء الله وطلب ما عنده ولرفعة الحق وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة أعداء الله هي السفلى، وذلك بلا ريب لا يكون إلا إذا جاهد نفسه وأخضع أهواءه وشهواته لأحكام الله تعالى، وجعل هواه تبعاً لما جاء به النبي وأمر به الله تعالى كما ورد بذلك الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيها: أن الأهواء والشيطان من ورائها عدو مبين يجب السيطرة عليه والتغلب عليها وجعلها أمة ذلولاً لاسيда مطاعاً هو السبيل للغلب في الميدان ودفع الأعداء ومخضعهم من الفساد.

ثالثها: أن الإيمان بالحق الذي يجاهد الإنسان في سبيله ركن وكين من أركان الجهاد فلا يدخل المجاهد مضطرب الإيمان مزعزع العقيدة فإن ذلك الإيمان قوة في الجهاد ولا تقل عن قوة السلاح بل تزيد على الكثرة لأن كثرة العدد من غير إيمان وقع للشهوات تكون غشاء كفتاء السيل وسبباً للوهن كما قال عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن معنى الوهن فقال: «حب الدنيا وكرهية الموت»
٢ — ليست الفضيلة في الإسلام الركون

تناول هذا البحث النقاط الرئيسية الآتية معتمدة على أساسها الوافرة:

- ١ — بيان معنى الجهاد:
- ٢ — دوافع الجهاد ومواطن التسامح، وكرهية القتل في الإسلام:
- ٣ — حكم الجهاد بالنسبة لأحاديث المسلمين وجماعاتهم ومراتب الجهاد:
- ٤ — الجهاد بالقتال وضروبه وأسلوب الجهاد لتأمين الدعوة:
- ٥ — ما يحل في الجهاد وما لا يحل وقانون الفضيلة في الجهاد:
- ٦ — المجاهدون وما يجب أن يكونوا عليه من صفات:

وهذه مقتطفات مما ورد في البحث:

١ — تفسير الجهاد كما ذكره الراغب في مفرداته تقتضي ثلاثة أمور:

أولها: أن الجهاد يتبدى بجهد النفس بتخليصها من الأهواء واتجاهها إلى الحق في ذاته وإلى الواجب في ذاته لا حباً في شهرة ولا رغبة في متعة ولا رجاء في شأن من شئون الدنيا فلا يعتبر مجاهداً من حارب شجاعة وشهرة وطلب مال. إنما يعتبر مجاهداً

ثانيهما: في حال هزيمة الأعداء وفلشوكتهم وإخضاعهم بالجراح فعند ذلك ، يكون للتسامح مكان ، لأن الإسلام يدعو إلى العفو . فلا يقول كما يقول ساسة اليوم (ويل للغلوب) بل يقول (عفا الله عما سلف) .

والإسلام دين سمح كريم لا يسمح لأصحابه أن يقتلوا ظالمين أو معتدين . وما كان القتال إلا لضرورة الدفاع عن النفس والدين والحوزة ولو أن الناس تركوا المسلمين في دعة واطمئنان ولم يحاجروا بينهم وبين دعوتهم بالحق ما تعرض المؤمنون بالقتال لأحد لأنه يكون إعتداء والله لا يحب المعتدين .

وإذا كان القتال أمرا غير مستحسن في ذاته فإن الضرورة تلزمه وتحث عليه لكيلا يتغلب الشر ويستشرى الفساد .

٣ - فرض الجهاد في الإسلام لهذه الضرورة والى يعلم الحق . ولمنع الاستسلام والدين في الدين . وهذه الفرضية في أصلها على الكفاية ولكن قد يعملوا الجهاد من أن يكون فرض كفاية بل يكون فرض عين . وذلك إذا دخل العدو

أرض الإسلام . ولا يثبطن المؤمنين عن هذا الفرض العينى بعد الديار عن الإقليم الذى نزل فيه العدو فإن الواجب على القاصى والمداين أن يحمل السيف ما دام يقدر على حمله ، لا يتخلف تاجر ولا زارع لأن دخول العدو يؤدى إلى الخراب العاجل . ولا يصح لمؤمن

إلى الدعة ولو كان فيها الرضا بالهوان وطلب المعيشة الذليلة المستكينة ، إنما الفضيلة في الإسلام ، هي رد الاعتداء ومنع الخضوع للأقوياء . ولذلك شرع القتال لمنع الفساد في الأرض . إذ أنه لو ترك الأشرار يعيشون فسادا من غير رادع يردعهم ولا مانع يمنعهم لعم الفساد في البر والبحر ، والرحمة بالأشرار قسوة بالاختيار . والذين يذهب فرط حبهم للتسامح مع الأشرار وهم لا يلوون على شيء إلا جعلوه خرابا إنما يحرضون على الشر ، ورب تسامح يحوى في ذاته أكبر الجرائم فتسكا بالجماعة الإنسانية .

لقد أذن الله بالقتال دفاعا عن الفضيلة ، قال الله تعالى في ذلك : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوى عزيز » .

وإذا كان الإذن بالقتال لقمع الأشرار فلا مجال للتسامح في هذا الموضع . إنما التسامح يستحسن في موضعين ؟

أولها : بين الآحاد في الأمة إذا كان يرجى الخير من يتسامح معه وبين الجماعات وهي تدعو إلى التأنى وعدم المبادأة بالقتال .

على الحدود لا يغادرونها حتى يحل غيرهم محلهم . فلا تخلو ثغور المسلمين من حامية قوية تحميها ترد هجوم المعتدين ، فهي لمنح الاعتماد . ومناجزتهم قبل أن يوغلوا في داخل الأرض وقد أمر الإسلام بهم هذه المراقبة وهي نوع من أخذ الحذر حتى لا تغزو البلاد على غرة .

قارباط يتضمن معاني ثلاثة :

الحراسة الشديدة — إرهاب العدو إذ يعلم أن وراء المراقبة جيشاً يحمي الديار — الاستعداد الدائم للقتال القائم على المرن والتدبير والتدريب .

ومن ضروب الجهاد القتال لرد الاعتماد الواقع والاعتداء يتصور ويتحقق في الأحوال الآتية :

أولها : أن يتبدى العدو بقتال المسلمين بأن يتقدم لغزو الأرض الإسلامية ويحاول إخراج المراقبين من أماكنهم والاعتداء في هذه الحالة كائن بالفعل وإن لم يدخل الديار لأنه لا يكون منه بعد ذلك إلا أن يدخلها والمراقبون يقفون له بالمرصاد يردون كيده في نحره حتى يجيء إليهم من وراءهم من المقاتلين فيكون القتل والقتال .

ثانها : أن يضطهد العدو المؤمنين في أرضه ويحاول أن يفتهم عن دينهم الذي ارتضوه

أن يترك الديار الإسلامية تحترق وهو مشغول بزراعة وتجارة لافرق بين قريب دان وبعيد ناء فإن أى جزء من أرض الإسلام لكل مسلم حق شائع فيه فإن دخل لإقليم فقد دخل الأرض المشتركة اشتراكاً شائعاً بين المسلمين . ومن عوقه الجهاد بنفسه فإنه لا يعوقه البعد عن أن يرسل المال أو أن يدعو بلسانه لدفع الاعتداء .

وليشعر المعتدين بأننا أمة واحدة ويتحقق فينا قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

والجهاد باب من أبواب الدعوة والقتال بالسيف لإزالة المحاجزات وهو آخر درجاتها وأعلى مستوياتها لأن فيه تقديم النفس وهي أغلى ما في الإنسان وتقديمها تكون أهل درجات الإيمان .

وإذا كان باب الدعوة مفتوحاً وهي غايته المقصودة ، فأول درجاتها الدعوة إلى الحق بالتى هي أحسن والمجادلة بالحسنى كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن » .

٤ — والمراقبة أول ضروب الجهاد . وهي أن يخصص جزء من الجنود للوقوف

والشيوخ لا يحرم قتلهم إذا كانوا مشتركين في القتال برأيهم وتديبرهم ووضع الخطط وإن لم يحملوا السيف لأنهم مقاتلون برأيهم وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل دريد ابن الصمة في غزوة حنين وقد بلغ من الكبر عتياً، ولكن كان له رأى وفيه وعى وأشار على ثقيف بما يقوهم في قتالهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكان له بذلك مشاركة في القتال .

وقد جاء النهى عن التخريب وقطع الشجر والنخيل صريحاً في وصية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما كان لآبى بكر أن ينهى عن ذلك بغير هدى من النبي ولكن مع ذلك اختلف الفقهاء :

قال الأوزاعي فقيه الشام الذى كان معاصراً لآبى حنيفة والكرخى من الحنفية إنه لا يجوز التخريب ولا قطع الأشجار أخذاً بأمر الصديق لجنوده ولأن التخريب إفساد والله تعالى لا يحب المفسدين ولأنه لا ضرورة حرية تسوغ ذلك فإذا كانت ثمة ضرورة حرية كأن يستتر العدو فى الآجام والغابات والحصون جاز . ومع الأوزاعى عدد من فقهاء الأمصار .

وقال كثيرون من الفقهاء يجوز قطع الأشجار وتخريب بناء العدو وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بأن

كما فعل كفار قريش مع المؤمنين الذين عجزوا عن الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فكان لا بد أن يقاتل المؤمنون لكف ذلك الاعتداء الدائم والفتنة المستمرة . وقد صرح سبحانه بالقتال والقتل حتى تزول الفتنة .

ثالثاً : هل نكث فى العهد . فإن نكثوا فى أيمانهم حق قتالهم دفعاً للاعتداء الواقع أو المتوقع . ولقد قال سبحانه وتعالى : وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون .

هـ — كان الجهاد فى الإسلام لرد الاعتداء وفتح الطريق أمام الدعوة . ولذلك كان الدفاع عن الحوزة باهته والدعوة إلى الإسلام داعية . ولذلك كانت الحرب رفيقة ورحيمة وإن الرفق يصاحب حرب الإسلام وعلى ضوء وصايا الرسول الكريم وخليفته الصديق نستطيع أن نعرف ما يحل وما لا يحل فى الجهاد .

فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم والصديق من بعده عن قتال النساء والذرية والشيوخ الذين لا يشتركون فى القتال . والعسفاء وهم العمال والأجراء .

وليس حرب الإسلام للإفناء وإلغائهم لتأمين الدعوة ومنع الاعتداء .

وإذا كان الجهاد فضيلة إنسانية عالية لا يصح أن تنتهك حرمة الفضيلة في أثناءها . والفضيلة الإسلامية واجبة الرعاية في الحرب والسلم على سواء ورعايتها في الحرب يعلى من قدر من يتمسك بها إذ هو يتمسك حيث اشتجرت السيوف ووقعت الختوف .

وقد يعجب الناس من مراعاة الفضيلة وقد أبيحت النفوس !!

ونقول في الإجابة عن ذلك إنها حرب فاضلة لحل المحاربين على العدل والفضيلة وهي حرب مقيدة بقانون السماء ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات ، فهو مقيد للمسلمين في كل الأحوال في الرخاء وفي الشدائد على سواء ، ولذلك كانت الحرب من جانب المسلمين مقيدة بالفضيلة لاتعدوها ولا يجارون غير المسلمين في انطلاقتهم من قيودها ، فإذا كان جيش العدو يقتل الصبيان والنساء والشيوخ والعمال الذين لا يقاتلون ، وينتهك حرمات النساء فإننا لا نجاريهم في هذه الرذائل لأننا مقيدون بالخلق الكريم ، وإذا كان الأعداء يمثلون بجثث القتلى من المسلمين ويشوهونها فإننا لا نمثل بالقتلى ، ولقد قتل المشركون في غزوة أحد سيد الشهداء حمزة ومثلوا بجثته فخر ذلك في نفس النبي عليه الصلاة والسلام ومع ذلك لم يمثل بأحد من قتلهم فيما تلا ذلك من حروب .

مغربوا بيوت بني النضير فسكانوا يخربونها بأيديهم وأيدي المؤمنين ولأنه عليه الصلاة والسلام أمر بتحريق قصر مالك بن عوف وكان أمير الجيوش بالطائف . ولأنه عليه السلام أمر برمي حصن ثقيف بالمنجنيق وأمر عليه السلام بقطع كروم بني ثقيف . ولكن هذه الأدلة فيها نظر :

أما تخريب ديار بني النضير فلأنهم اتخذوها حصنا وأخذوا يقذفون منها المسلمين . وذلك التخريب جائز لأن الضرورة الحربية تسوغه إذ كان لا بد لزوال أذاهم من تخريب تلك الحصون ، واليهود عندما رأوا ذلك ورأوا حصونهم ذاهبة إلى أيدي المسلمين أتوا عليها هدمًا وتخريبًا .

وأما رمي حصون بني ثقيف بالمنجنيق فلأنهم اعتصموا بها ولا بد من إنزالهم منها وقد كانوا قوما غلاظا أشداء وفيهم قسوة وليس تخريب الحصون لذات التخريب إنما هو لإضعاف قوة العدو وأما التهديد بقطع كروم بني ثقيف فلأنهم كانوا يتخذون منها الخبز . وقد يسلون بالتهديد فتحقق الدماء بدل الاستمرار على القتل والقتال وقد وقع التسليم بعد هذا التهديد وذلك من شمائل النبوة . وهدم بناء قد اعتصم به القائد لا يعد تخريبًا في أرض العدو إنما هو مقاتلة لشخص القائد وليس تخريبًا في ذاته .

الراستخات سوى الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالحق في ذاته الذي يقوى قلبا قوى الحق وضوحا

وهذا الإيمان يوجب على الجندى المؤمن أن يدرّب نفسه على الصبر في الشدائد ، وأنه داخل على بلاء وليس داخلا على متعة . فهو يذهب إلى الميدان لا يلهو ولا يلعب ، وإنما يذهب ليلاقى شدائد وأهوالا ولا درج لهذا إلا الصبر من غير أنفين ، بل بقوة احتمال فالصبر هو المجن الذي يبقى به المحارب أهوال الحرب ويحتملها من غير أن يطير قلبه شعاعا ويكون جند الإسلام كجند الانصار في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثرون عند الفزع ويقولون عند الطمع .

وإن الذي يتقدم مستعدا لأن يوجد بنفسه يجب أن يتحمل كل المشاق وهذا داخل في باب الصبر . والجند يجب ألا يجنحوا إلى الترف والنعيم . فإن الجندية والنعيم نقيضان لا يجتمعان .

وكثيرا ما يضطر الجندى إلى أداء أشق الاعمال وأعنفها فيجب أن يخشوشن ليكون على استعداد للمتعاب إذا نزلت . وقد رأينا في بعض الحروب من يقضى الايام والليالى في الفيافي والقفار لا يجد ما يبتعله فيجب أن يكون قادرا على المشى حافيا كما يمشى متنعلا .

وإذا كان الاعداء يجيئون الأسرى ويقتلونهم بالعطش ، فإن جيش الفضيلة لا يجارهم في ذلك ، وإن الكرامة الإنسانية يلاحظها جيش الفضيلة ، وهو جيش الإسلام لأن الكرامة الإنسانية قد منحها الله تعالى للإنسان بمقتضى أنه إنسان .

والجهاد لا يفتى لأنه ماض إلى يوم القيامة ولكن تنتهى الحرب بالنسبة لجماعة من الجماعات وذلك بانتهاء الغرض منها وتحقيق الهدف المقصود وذلك بانتهاء الاعتداء وتسليم الجند المعتدى أو بطلب الأمان فرادى أو جماعات أو بمقدوم عهد أو ذمة ، وإما بصلح دائم أو موادة .

٦ — وقد بين الله سبحانه وتعالى : للجهاديين ما يجب أن يكون عليه المجاهدون من صفات وما يتحلون به من أخلاق ترفع جهادهم وتحصل النصر حليفهم ويكونون من رجال الله الذين يتحقق فيهم قوله تعالى : **« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »** .

والإيمان بالله واليوم الآخر جذوة لا تنطفىء في قلب المجاهد ، والناس يقا تلون حمية قد تقوم مقام الإيمان أحيانا ولكنها عرضة للانطفاء ويقا تلون وطنية وعصبية لا قوامهم ولكن ذلك قد يدخله الظلم ، وقد تتحرك النفس ثائرة على الوطنية الظالمة فتضعف عن القتال وهكذا ، ولا يبقى ثابتا ثبوت

الجنود آلات تتحرك ولكنهم أحياء يعملون ، وأناس يدركون ، وقلوب تدفع ، وإرادات تعمل .

وإن كثرة الزف تورث الضعف وتمنع الصبر ويكون الجندي إذا أشرا ويائساً كما قال تعالى :

ويجب أن يتقدم الجميع إلى الميدان هين وانين ولا مترددين لا نفسكر في النكوص على أعتابنا ولا في التولي يوم الزحف ولا في أن نولي أديبارنا . وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم أن التولي يوم الزحف من أكبر الكبائر وأنه لا كفارة في ذلك ، لأن الفرار والتولي يوم الزحف يعرض الأرواح للتلف والجنود للهزيمة والأمة للضياع فلا كفارة له قط لأن الكفارة لا تعوض ذلك وهو مقتول لا محالة ولكنه يقتل من ظهره لا من صدره .

ولكن مع ذلك يحدث ما يوجب التراجع . ولكن التراجع لا يكون بفرار الآحاد من الجند بل يكون بالجماعة المجاهدة نفسها ، وذلك بأن ينظم الأمير الجند تنظيماً لا يمكن العدو من جند الإسلام فيبيده ولا يبقى عليه ولا يذر أو يجعله أشعثاً متفرقة أو يجعله نهبا للجوع والفقد بل ينظم التراجع .

والمثل الواضح للتراجع الماهر المنظم ما صنعه خالد بن الوليد في غزوة « مؤتة » فإن المسلمين اتقوا بالرومان وكان مع الرومان جند كشيء لم يسكن للمسلمين قبل به . فقتل حاملوا الراية الإسلامية واحداً بعد واحد .

« ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليثوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح غفور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » . ومن المقررات أن الإسلام يوجب على المسلمين أن يستعدوا بكل قوة كما قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وإذا كانت أداة الحرب قد تغيرت وصارت لا تعتمد على قوة البدن بمقدار ما تعتمد على قوة التفكير والدربة على استعمال الآلات ؛ فإنه يجب أن يكون القائد على حظ كبير من العلم وقوة الإدراك والتدريب المستمر الذي لا وناء معه حتى يكون دائماً على أهبة العمل .

وإن العلم بذلك واجب على كل آحاد الجند على حسب رتبهم . ويجب أن يتدرب عليه الجميع فيجب أن يتدرب الجميع على استعمال الآلات الجديدة كل في تخصصه ولا يختص بالتدريب القادة والكبراء بل يجب أن يعم كل الجنود صغيراً وكبيراً . وإن الثقافة الحربية يجب أن تكون في متناول الجميع . فليس

يعين على المسلمين بالتجسس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم أو دلائلهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ، ولكن كره الله انبعاثهم فشبطهم وقيل اقصوا مع القاعدين ، لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولا وضعوا خلاصكم يبعثونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، هذه نظرات في مقام الجهاد في الإسلام وضروبه وبيان فرضيته ، وإنه بتطبيق الفرضية ونوعها نجد العدو الآن قد دخل ديارنا وأخذ أرضا مقدسة من أرضنا .

وبذلك يكون القتال فرض عين ولا يكون فرص كفاية ، فيجب على كل مسلم في أى أرض إسلامية أن يتقدم للقتال يأخذ الأهمية لذلك لأن أى جزء من أرض الإسلام اسكل مسلم جزء شائع فيه .

فعلى المسلمين جميعا أن يهبوا لإنقاذ الأرض المقدسة التي دنسها أهداء الإنسانية ويستنقذوا من لا يستطيعون حيلة من الذرية والنساء من أن يقتلوا ويذبحوا وتهتك أعراسهم كما تهتك حرمة المسجد الأقصى ؟

محمد أبو زهرة
عضو المجمع

قتل يزيد بن حارثة وقتل عبد الله بن رواحة وقتل جعفر بن أبي طالب فلما حمل الراية خالد بن الوليد أخذ يتراجع وهو يظهر الهجوم بإظهار أن المسدد قد جاءه حتى نجما بجيش الإسلام وأقره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمى جيشه جيش الكراوين .

فالراجع لا بد أن يكون له نظام ، وإن كان من غير نظام فهو الهزيمة النكراء التي يعود لائمها على الأمير المقاتل ومن معه . وكل على قدر ما عنده من سلطان .

إن التراجع ذاته جهاد يجب أن يتم إذا كان لا بد ، بحيث لا يعرض الجيش كله للضياع والامة للهوان ، لأن إعداد القوة ليس أمرا سهلا ، بل إنه يحتاج إلى وقت قد يكون بعيدا تبتئس فيه النفوس إذ تصاب بذل الانكسار وأنه يجب على ولى الأمر أن يحقن عند إرسال الجيش فلا يرسل من لا يؤمن ومن يخذل ومن يسمع الدعوة إلى التردد والهزيمة وقد قال في ذلك ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغنى ما نصه :

ولا يستصحب الأمير أى أمير الجند ، معه نخذلا وهو الذى يثبط الناس عن الغزو ويذهبهم في الخروج إليه والقتال ، ولا من

مبدأ المجهاد بين عقائد الإسلام للأستاذ محمد عبد اللطيف السبكي

ذكره في الآيات أربعا وخمسين مرة على ما وصل إليه بحثي . فسامعني : سبيل الله ؟ .

اشتهر عند العلماء قديما أن لفظ سبيل الله هو خصوص الجهاد للكفار فكلمنا ورد لفظ سبيل الله فعناه : الجهاد للكفار ومقاتلتهم لإعلاء كلمة الله .

ولكن الفاحص المتأنى يجد هذه الكلمة - سبيل الله - في بعض مواقعها من القرآن ظاهرة في التعميم ولا تختص بقتال الكفار وربما كان السياق ناطقا بهذا التعميم والسياق له حكمه المطاع في توجيه العبارات القرآنية وغيرها . .

وعلى هذا يكون لفظ سبيل الله غير مقصور على قتال العدو لإعلاء كلمة الله وإن كان هذا المعنى في مقدمة المعاني التي تتراد من هذه اللفظة . .

وأولان الجهاد كثيرة أبرزها الجهاد بالنفس والجهاد بالمال وكل ما تتطلبه موجبات العقيدة والوطن في السلم والحرب .

هل الجهاد في الإسلام لإكراه الناس على الدخول فيه ؟

لا يزال أعداء الإسلام يتجاهلون أن جهاد

الجهاد بوجه عام يعتبر مبدأ من مبادئ الإسلام التي أخذت مكانتها بين عقائده وفروعه واستقرت دعوة القرآن إلى الجهاد - على عمومته - متعلقة بذمة المسلمين جماعة وأفرادا وتقتضيهم أن يؤمنوا بتشريع الجهاد - عامة - كإيمانهم بأى معتقد صحيح سواء وأن يقوموا بتنفيذه كما يجب أن ينفذوا غيره بما فرض الله .

الجهاد في نسق القرآن :

ورد لفظ الجهاد في القرآن ثلاثين مرة . وورد كثيرا بلفظ القتال المرادف له وكلاهما يرد - أحيانا - مقرونا بسبيل الله . ونحو : الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، - آية ٧٦ النساء - ونحو : إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، - آية ٧٢ الأنفال - .

وكذلك ورد كل من اللفظين غير مقيد بلفظ سبيل الله . نحو : كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، - آية ٢١٦ البقرة - ونحو : وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما ، - آية ٩٥ النساء - .

أما لفظ - سبيل الله - بالذات فمقدور

فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . - آية ٦١ الأنفال ...

هذه وجهة الإسلام حتى مع خصومه :

ولا إكراه في الدين . - آية ٢٥٦ البقرة .

هذه آية كريمة وصريحة تقرر نزاهة الإسلام عن الإكراه . بل تقرر نزاهة الديانات السماوية كلها عن شائبة الإكراه للناس على الدخول في دين الله .

وقد تأكد نفى الإكراه في آية أخرى .

إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب كثيراً في هداية الناس جميعاً . وكان يحزن على تخلفهم عن دعوته حتى يظن قصار العقول منهم أن هذا الحرص منه إلحاح في الدعوة أو إكراه على الاقتناع . فالله تعالى يصرف رسوله عن هذا الحزن وينفي عنه شبهة الإكراه بقوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً . أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » - آية ٩٩ يونس .

والمعنى لا تحزن عليهم فإن إيمانهم منوط بمشيئة الله لا بمجرد إقناعك وإنك تواصل دعوتك الرحيمة بهم . وأنت لا تستطيع إكراه الناس على الإيمان . فالاستفهام إنكارى في قوله تعالى « أفأنت تسكره الناس » والإنكار نفى . يعنى : أنت لا تسكره الناس كما يزعم الزاهمون ...

الكفار كان مشروعاً في الأزمان الأولى . وأنه كان باللسان والحجة أحياناً وكان بالقتال أحياناً بين الأنبياء وأتباعهم وبين الكافرين المناوئين لهم . وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير فسا ومنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . - آية ١٤٦ آل عمران .

أقول : لا يزال أعداء الإسلام ينسبون إليه أنه جاهد الناس ليكرههم على الدخول فيه مع أن جهاد الإسلام كما ذكرنا لم يكن بدعاً جديداً ولا شذوذاً عن سنن التناحر بين أهل الحق وأهل الباطل .

على أنه من المسلمات أن الإسلام سلك بدعوته سبيل التفاهم وتذرع بالصبر والحلم طويلاً ثم كان لابد من المقاومة المشروعة لدفع الطغيان والصلف الباغى .

ولو كان الإسلام عنيفاً في دعوته ما قبل الجزية ممن أراد البقاء على دينه من اليهود والنصارى ولا أجاز الحلف مع أعدائه المشركين ومعاهدتهم على ترك الحرب والدخول في سلم معهم ولكن الإسلام شرع ذلك . ويمكن لهؤلاء وهؤلاء أن يضعوا عن أنفسهم أعباء الحروب ويطرحوا من أذهانهم أسباب الخصومة باتفاقهم مع المسلمين على ما يتفقون عليه من معاهدات تكون رحيمة بالجانبين وإن جنحوا للسلم

أو كنهج للتدين أو نموذج يهتدى به المرء في خلوته وفي اجتماعه وفي كل حركة تصدر عنه أو كل فكرة تهاجس سريره أو كلمة تجري على لسانه .

وإن جهاد المسلمين في عصورنا لفي حاجة قصوى إلى التأسى بما رسم الله لنا في تشريعه وفي حاجة قصوى إلى حسن التطبيق . وذلك من طريق الإيمان به وحسن التفكير فيه والتوسع في الابتكار ، والمحاولات حتى لا نكتفى بما نقلد فيه غيرنا .

وحينذاك يجد المسلمون أنفسهم عبارة في أفانين الحرب كما كان أسلافنا الذين وقفوا إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم والذين حلوا الراية من بعده فتركوا لنا أمثلة من البطولة التي تشيد بها الدنيا على لسان التاريخ . .

محمد عبد اللطيف السبكي

والذي نتهى إليه في غير مراوغة من الحق أن الإسلام بالذات برى من تهمة الإكراه . وإن وجهة الإسلام الواضحة لكثير من علماء أهل الكتاب ومنهم من يقبلون عليه تباعاً مطمئنين إلى حقيقته . ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولا يزال الإسلام هاتفاً بالناس جميعاً أن يترشوا في عداوته وأن يستجيبوا لدعوته وهو يفتح باب التفاهم والمسالمة على احترام عقيدته وشريعته وصيانة كرامته وطرح المظالم التي تحيف بأهلها أو تحجف بأوطانه .

وفي سبيل هذه الغايات الإنسانية الاجتماعية كانت معاهداته مع أعدائه الذين حاربوه وكانت سياسته الرحيمة العادلة جاذبة إليه كثيراً من الشعوب والقبائل بعد أن تفهموه . وليس في صفحات التاريخ الأمين شائبة تفض من شأن الإسلام كدستور للمجتمع

قال الله تعالى :

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليسكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعصوا بأمره هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير . »

صدق الله العظيم

الجهاد طريق النصر للأستاذ عبد الله غوشه

يتناول هذا البحث : التعريف بالجهاد مع جميع وجهاته — الشهداء وما أعد لهم —
القواعد التي شرعها الإسلام للحرب — أسباب النصر التي بينها الإسلام :

وهذه مقتطفات مما جاء في البحث :
أوجب الإسلام على المسلمين الجهاد في سبيله ، وإعلاء كلمته ، والدفاع عن العقيدة والوطن والامة .

والغدر والخيانة ، نتيجة التآمر والخذاع ونتيجة
تفرق كلمتنا ، وتهاوننا في إعداد العدة الكافية ،
وتقاعسنا عن الدفاع عن أوطاننا وبلادنا بأنفسنا
وبأموالنا ، ونتيجة ابتعادنا عن الله وعن
العمل بسفته وأحكامه وتعاليمه .

وإن الامة الإسلامية والعربية تختار اليوم
مرحلة خطيرة من أشد مراحل حياتها ،
مرحلة دقيقة ، مرحلة حياة أو موت ، فلقد
اعتدى الأعداء على بلادها وأراضيها ، ودنسوا
مقدساتها ، وانتهكوا حرمتها ، وعاثوا
في أركانها فساداً ، فأصبح الجهاد بالإجماع
فرضاً عيانياً على كل قادر بالنفس والمال ،
وعلى كل فرد أن يعد نفسه ليكون جندياً

يجاهد بروحه ودينه في سبيل إنقاذ بلاده ،
وتحريرها من أيدي الطغاة المعتدين .

كما يفرض على كل مؤمن فرضاً عيانياً أن
ي بذل من ماله أقصى ما يستطيع . مساهمة
منه في تزويد الجيوش بالأسلحة الحديثة ،
التي يتمكّنون بها من الصمود أمام أعدائهم ،
وإزالة عدوانهم .

لقد استولى اليهود على الأراضي العربية
الواسعة في الجنوب والشرق والشمال نتيجة

فعل المسلمين في جميع أقطارهم ، والمسجد
الأقصى المبارك جزء من عقيدتهم أن يهبوا
هبة رجل واحد ، وأن ينفروا خفافاً وثقالاً ،
ويجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم لتحرير
أوطانهم ، وإنقاذ المسجد الأقصى المبارك
وبقية المقدسات من أيدي اليهود الفجرة
الطغاة . لينذروا في وحائها اسم الله ،
ويقوموا فيها شعائره .

وإن كل تقصير في هذا السبيل سيؤدى

التي رسمها الله تعالى لهم ، فليدهم من القوة العددية الشيء الكثير ، فهم يعدون بمئات الملايين في المشارق والمغارب ، كما أن لديهم من الإمكانيات المادية والمالية ما يتمكنون بها من تزويد جيوش جرارة قوية في أسلحتها البرية والبحرية والجوية .

إن لديهم من الأموال ما يمكنهم من أن يكونوا أقوى الأمم وأشدّها بأساً لو استخدموا أموالهم وقصروا فيها تصرفاً يعود على مجموع الأمة بالخير والنفع والفائدة .

إن المال ليس كل شيء في هذه الحياة وماذا يفيد المال إذا كانت الأمة التي تملكه ذليلة الجانب ، مهدورة الكرامة ، لا قيمة لها ولا وزن ، تتحكم الأمم القوية في مقدراتها ، دون أن يكون لها رأى نافذ ، أو كلمة مسموعة ، ودون أن يكون لها حول .

إن المال لم يوجد في الحياة ليكون مقدساً في الخزائن وفي الصناديق ، أو مكنوزاً في البيوت والقصور ، أو مودعاً في البنوك ، وإنما وجد ليكون وسيلة فعالة من الوسائل التي تؤدي إلى خير الأمة وتقويتها ، ودفع الاعتداء عنها ، وتمكينها من الحياة الحرة الكريمة على أرضها ونحت سمتها .

وعلى المسلمين أن يعلموا أن هذه هي الأيام الخطيرة في تاريخهم ، بل هذه هي الاوقات الرهيبة التي تتمتع فيها قوة إيمانهم ، وسلامة

في النهاية إلى القضاء عليهم جميعاً قطراً بعد قطر ، وإقلياً بعد إقليم ، فطامع العدو لا تقف عند هذا الحد الذي استولى عليه من أرض العرب والمسلمين ، بل هو يطمع في مملكته من النيل إلى الفرات ، بل يطمع في أوسع من ذلك يطمع في المدينة وما حولها ، وفي أقطار أخرى عربية وإسلامية وإنه لما يؤلم النفس ويدمى القلب أن يبقى عدو المسلمين والعرب يصول ويحول في بلادهم . يتكبر ويتجبر ويعلو ويتيه دون أن يجد أمامه قوة تردعه وتوقفه عند حده ، وفي كل يوم يظهر علينا بشيء جديد ، اعتمادات هنا وهناك ، وإجراءات تعسفية للبطش بالآمنين من السكان ؛ وقوانين ظالمة تصدر فيها أموال العرب والمسلمين ، وتخرج أصحاب الحق من بلادهم ، بالإضافة إلى ما يقوم به من عبث بالمقدسات ، وهدم الآثار الإسلامية ؛ واستيلاء على الأموال ؛ تمهيداً لتحويل مدينة القدس الخالدة ؛ وإزالة الصبغة الإسلامية والعربية عنها ، غير عابئ بالعرب والمسلمين ، ولا حاسب لهيئة الأمم حساباً ، ولا محترم لمجلس الأمن وقراراته ولا مهمته بالعالم أجمع .

مع أن المسلمين قادرون على إيقافه عند حده وإزالة آثار عدوانه ، إذا اتفقت كلمتهم وصحت عزائمهم ، وساروا في الطرق المستقيمة

إرادة القتال في الجهاد الإسلامي

للواء الركن : محمود شيت خطاب

إرادة القتال هي الرغبة الأكيدة في الصمود والثبات في ميدان القتال من أجل مثل عليا وأهداف سامية . ولإيمان لا يتزعزع بهذه المثل والأهداف وثقة بأنها أحب وأهز وأعلى من كل شيء في الحياة . وتحمل أعباء الحرب بذلا للأموال والأنفس واستهانة بالأضرار والشدائد وصبرا في البأساء والضراء وحين البأس حتى يتم تحقيق تلك المثل العليا

والأهداف السامية مهما طال الأمد وبعد الشوط وكثر العناء وازدادت المضاعف وتضاعفت التضحيات .

ذلك هو مفهوم « إرادة القتال في الجهاد الإسلامي » ، وهو مفهوم لا تطلع في إدراك شأوه مفاهيم : إرادة القتال في العقيدتين العسكريتين الشرقية أو الغربية على حد سواء .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

يقينهم ، وصدق عزيمتهم ، وثباتهم على الحق ، والدفاع عنه ، حتى يشرق الحق بنوره ، ويزهق الباطل أمامه .

(إن الباطل كان زهوقا)

أسأل الله عز وجل أن يوفق المسلمين والعرب إلى خير الطرق ، وأرشد السبل التي تمكّنهم من استرداد أوطانهم ومقدساتهم وإعادة قواتهم وكرامتهم ، وحياتهم وسيادتهم .

وأن يهملهم بنفحة من نفحاته الربانية ، تجمع شتاتهم ، وتلم شعثهم ، وتوحد كلمتهم ، وتؤلف بين قلوبهم ، (وتعيد إليهم مكائهم)

وأيها الذين آمنوا اعبروا وصابروا ورباطوا وانقوا الله لعلكم تفلحون . . .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . .

صدق الله العظيم

عبد الله غوث

وإلى إشاعة السلام وإلى الدفاع عن دار الإسلام .

وإذا تذكرنا أن تعاليم القتال في الإسلام تنص على الوفاء بالعهود واحترام المواثيق والترفّع عن الظلم والعدوان وإقرار السلام . إذا تذكرنا أهداف القتال في الإسلام وتعاليمه علينا بأن : إرادة القتال التي تتغلغل في أعماق المسلم الحق مبنية على أسس سليمة وصينة . لأن هذا المسلم يؤمن بإيماناً عميقاً بأنه يخوض د حرباً عادلة ، وهذه الحرب هي د حافز ، جديد تجعل من المؤمن مقاتلاً رهيباً كما عبر بذلك العسكريون المحدثون .

ولكن د إرادة القتال في الجهاد الإسلامي ، تسيطر على المسلم في ميدان القتال أيام الحرب كما تسيطر عليه في أيام السلام .

وإن الهدف الحيوي من الحرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو فإذا انتصر عليه في ميدان الحرب واستطاع أن يحطم طاقاته المادية فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنوية ليكسر النصر كاملاً يؤدي إلى الاستسلام .

وهنا تبدأ الحرب النفسية التي تستهدف الطاقات المعنوية في الدرجة الأولى .

وفي تاريخ الحروب أمثلة لا تعد ولا تحصى من انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات المادية ولكنها لم تستطع القضاء على المعنوية

مفهوم : إرادة القتال في الجهاد الإسلامي مادة وروح ، فيه الدعوة إلى الخير والسلام وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه الإعراض عن الاستغلال والاستعباد .

ومفهوم إرادة القتال في الشرق والغرب مادة فقط . فيه الدهوة إلى التسلط والاستعمار وفيه إشاعة المنكر والفساد وفيه حب الحرب وكرهية السلام .

كيف غرس الإسلام مفاهيم إرادة القتال في نفوس المسلمين وعقولهم معا ؟

حث الإسلام على الطاعة . والطاعة هي الضبط والنظام فاستجاب المسلمون د وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، الآية ٢٨٥ - البقرة .

وأشاع الإسلام معاني الخلق الكريم ومنه الصبر الجميل . وغرس روح الشجاعة والإقدام : وأمر بالثبات في ميدان القتال . وحرّم التولي يوم الزحف وجعله من الكبائر . ودعا إلى الجهاد بالأموال والآنفس لإعلاء كلمة الله . وبين أن المثل العليا لا بد أن تكون لها الأهمية على كل شيء في الدنيا . وجعل مقام الشهداء من أعظم المقامات .

فإذا تذكرنا أن الجهاد في الإسلام يهدف إلى حماية حرية نشر الدعوة الإسلامية

هذا المسلم الحق يفظ أشد ما تكون اليقظة حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة لقائه ولا يستهين به في السلم أو الحرب .

فلا عجب أن يكون هذا المسلم الحق متحلياً بمنية : إرادة القتال ، بل العجب كل العجب ألا يكون .

والسؤال الذي يتردد اليوم هو : ألسنا مسلمين؟ وإذا كنا مسلمين فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا؟

والجواب على هذا السؤال يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح .

قال تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ، الروم : ٤٧ » ، وقال « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، محمد : ٧ » .

فهل نحن مؤمنون حقاً؟ وهل نصرنا الله حقاً حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا؟

إن مقياس الإيمان واستحقاق النصر واضح في قول الله تعالى :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

فهل أقمنا الصلاة وآتينها الزكاة وأمرونا بالمعروف ونهينا عن المنكر؟

(بقية المنشور على صفحة ٤٧٥)

فكانت انتصارات نافضة استمرت فترة من الزمن ثم أصبح المهزوم منتصراً وأصبح المفتصر مهزوماً .

كيف يحافظ الإسلام على إرادة القتال في أيام السلام؟

ضمان المحافظة على إرادة القتال في أعماق المسلم أيام السلام مائل في بقيقه الراسخ بالحقائق الآتية : فإن الآجال كلها بيد الله .

● عدم خشية الموت : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » ، ٧٨ النساء .

● عدم مخافة الفقر لأن المسلم يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، الطلاق : ٢٠ .

● عدم رهبة القوات الضاربة للعدو . فإنتصر المسلمون في أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفي أيام الفتوح والمكافاة لعدد أو عدد بل كان انتصار عقيدة لأمراء « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وانه مع الصابرين » ، البقرة : ٢٤٩ . فالمسلم لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ولا يهاب قوة في الأرض ، يسلم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والإشاعات لا يستكين للاستعمار الفكري ، ولا يستورد مبادئه ولا يقنط أبداً ولا ييأس من رحمة الله .

دور اليهود في العدوان على قاعدة الاسلام في المدينة للدكتور عبد العزيز كامل

فقد حاول اليونان والرومان السيطرة على
تجارة البحر الأحمر ، والمحيط الهندي ، وهي
التجارة التي كان يقوم سكان الجنوب العربي
بنصيب كبير فيها ، واستطاعوا بها وبالزراعة
أن يقيموا حضارات شاذة في أرضهم .
وفي هذا الصراع فقد سكان اليمن - والجنوب
العربي - السيطرة على البحار وحررهم اليونان
والرومان من مورد كبير كانت له مساهمته
الفعالة في بنائهم الحضاري ، وانعكس هذا
الضغط الاقتصادي على مشروعاتهم الزراعية
الكبرى وبخاصة السدود الكثيرة التي كانوا
ينشئونها لحجز المياه ، وعند ما قلت صيانتها
أخذت تتصدع ، وأدى هذا بدوره إلى قلة
الإنتاج الزراعي ومع التدهور البحري
والزراعي أخذت حضارات اليمن تدخل في
ليل ثقيل حتى جاء فجر الإسلام .

ومع تدهور الحضارات الجنوبية - وإن
أرجعه بعض المؤرخين إلى عوامل مناخية
وليس هناك علميا ما يمنع من تأثير هذه العوامل
جميعاً - حدثت هجرات واسعة من الجنوب إلى
خارج الجزيرة العربية وإلى أجزائها الوسطى

تناول هذا البحث الملاح الجغرافية
طبيعية وبشرية لقاعدة الإسلام في المدينة ثم
المجال الأول للصراع بين اليهود والإسلام
في مرحلتين وفيما يلي مقتطفات مما جاء فيه :
التكوين الاجتماعي :

يرتبط التكوين الاجتماعي للمدينة بأحداث
توسع دائرتها إلى ما وراء الجزيرة العربية
نفسها فن قديم سمكتها قبائل عربية من
العاليق ، ثم لما أقسده اليهود في فلسطين بعش
بهم حكماهم وبخاصة من الروم ؛ فخرج نفر من
اليهود لاجئين إلى القرى العربية على المحور
الممتد من الشام إلى اليمن .

وتمر الصنون ويستطيعون الاستئثار أو
السيطرة على أكثر من واحدة : المدينة ،
وخبير ، وفدك وادي القرى ، وتبعا ، وكلها
في النصف الشمالي من المحور ، وإن وصلت
جاليات منهم إلى ما وراء ذلك جنوبا .

وإذا كان الحكم الروماني قد أدى إلى هذه
الإزاحات السكانية نحو الجنوب ، فقد كان
له تأثير آخر على الجنوب العربي .

ولم يستطع عرب المدينة وحدهم أن يلقوا هذا الشر ، وكان من العون العربي ما أعانهم على استعادة حق هربي أصيل .

فشككة اليهود إذن كانت نابعة منهم ، يحملون بذورها حيث يقيمون : حاربهم عرب المدينة في جاهليتهم كما حاربوهم بعد إسلامهم ، وإذا كانت قاعدة الإسلام في المدينة قد ورثت هذا الصراع فقد كان ذلك من أجل استعادة حق . والقضاء على أوكار الفتنة في الجزيرة العربية . أما الدين من حيث هو دين ، فالذي يحكم المسلمين فيه قول الله تعالى : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ،

ومع تعرض الأوس والخزرج لخطر اليهود المشترك فقد كانت بينهم حروب وثورات في الجاهلية ، واتخذ كل منهم لنفسه حلفاء من اليهود ، واستطاع اليهود بذلك أن يحفظوا جانباً من قوتهم في المدينة ، وأطمأن كل فريق منهم إلى محالفته حياً من عرب المدينة : الخزرج يحالفون بني قينقاع وبني النضير والأوس يحالفون بني قريظة ، وأصبح كل فريق من الأوس والخزرج - قبل الإسلام ، حريصاً على حلفائه من اليهود واليهود - من ناحيتهم - يحرصون على ألا يجتمع الأوس والخزرج عليهم ، وكان لهم جهدهم قبل الإسلام وبعده في تفكيك وحدتهم .

هذه هي الملاحم الرئيسية للمدينة عندما

والشمالية . والذي يهمنها منها وفود الأوس والخزرج إلى المدينة وسكناتهم فيها .

يأتى الأوس والخزرج - من عرب الجنوب - إلى يثرب ، فينسى اليهود أن هذه الأرض قد وسعهم من قبل عندما فروا من بطش وقع بهم بعد إفساد في الأرض - كما ينص القرآن الكريم - وظنوا أنفسهم أصحاب الأرض ، وحاولوا أن يستبدوا بالأوس والخزرج استبداداً وصل - كما يقول ياقوت - إلى الأرزاق والأعراض .

وتحدث في تلك الدورة من دورات الصراع ظاهرة كشرها ما نقلناها في تاريخنا العربي الطويل . يتلفط عرب الأوس والخزرج حولهم ، ويجمعون صفوفهم ويستعينون بإخوانهم الفساسة - على أطراف الشام - وهم مثلهم من عرب الجنوب المهاجرين - وكانت لهم فرص أوسع في الاستقرار والازدهار الحضارى ، ويعينهم الفساسة بجيش يستطيع أن ينتقم من سوء اليهود ويقضى على زعمائهم ورموس الشر فيهم ، وصار الأوس والخزرج من يومئذ أعز أهل المدينة ، واتخذوا القصور والأموال والآطام وقدم الرسول المدينة وهم كذلك (١) .

فالصراع بين العرب واليهود في المدينة سابق للإسلام ، ولم يكن الإسلام سبباً له ،

اتخذها الرسول قاعدة للإسلام وهناك في المدينة كان المجال الأول للصراع .

وكان حصاد المرحلة الأولى تطهير قاعدة الإسلام في المدينة من الخطر اليهودي الذي كان مسيطرًا على جزء من منطقة القلب ،

ويحاط المسلمون ويعلم أخبارهم وينقلها إلى أعدائهم ويدلهم على عوراتها ، كما كان يسيطر على نقط حاكمة في الجنوب الشرقي لها رعاياها القوية من الأرض الخصبة وموارد المياه معتمدا على حصون قوية وسلاح .

وقد كان اليهود كل مرة بادئين بالعدوان ناكثين بالعهد ، متآمرين مع العدو ، يدفعونه ويتقدمون إلى المعركة متى ظنوا النصر أو وجدوا الفرصة . وإن المعارك الثلاث الكبرى معهم كانت مرتبطة زمنيا وموضعا بمعارك ثلاث كبرى مع قريش : بنو قينقاع بعد بدر ، وبنو النضير بعد أحد بفارق زمني ، وبنو قريظة - مع الأحزاب وبعدها ، وأن

التصادم بدأ أولا في قلب المدينة ثم انتقل إلى أطرافها الجنوبية الشرقية .

واستطاع الرسول في المرحلة الثانية القضاء على اليهود عسكريا في الجزيرة العربية بعد معارك خيبر الفاصلة .

ومع أن الرسول منحهم فرصة الحياة

في الواحات الشمالية - إلا أن المؤمرات استمرت بعد موته ، ولم يجد الخليفة العادل عمر بن الخطاب إلا إتمام لإجلائهم من الجزيرة العربية إلى أطراف الشام ، ولكن هل تمت القصة ؟ .

أبدا . لقد ظلت تتجدد بصورة أو بأخرى وتبني الحركة الصهيونية الحديثة هذا الشر ، وينشئ الاستعمار فوق أرض فلسطين دولة مؤامرات تمزق الوطن للعربى وأرض الإسلام إلى قطاعين آسيوى وأفريقى ويتخذها رأس جسر لعدوانه . ونحن نمر الآن بتجربتها تأمرا واستعدادا وعدوانا ، وثغرة خطيرة تنفذ منها قوات الاستعمار الجديد إلى أرضنا وليس هناك من سبيل أمامنا إلا العمل والعمل الدائب حتى نطهر أرضنا ومقدساتنا بعودتها إلى أبنائنا كما استقرت قاعدة الإسلام في المدينة بالقضاء على الشر الدخيل .

وصفة القول أن العرب والمسلمين لم يكونوا على طول تاريخهم - عادين وإنما كانوا كما رأينا من هذه الدراسة - يبدأون دائما بالخير ويتمحرون السلام فلا يلحقون من أعدائهم إلا التآمر والخيانة ، فلم يعد أمامهم إلا أن يدفعوا عن أنفسهم شرا وأن يستعيدوا حقا .

دكتور عبد العزيز طامل

بشائر عن معركة البصير بين المسلمين وإسرائيل

لفضيلة الأستاذ نديم الجسر
عضو الجمعية

هذا البحث يشتمل على النقاط الآتية :

غناء السيل — خيرة البقاء — وسطية الاسلام — العناصر الأساسية التي يقوم عليها بقاء الأمم — أخوة المسلمين — ما وجدت لتبقى — ناموس التدافع الإلهي — نعمة التحدى — ثم — بشارة من وراء الغيب .

عليه وسلم قال : تقاتلن اليهود حتى يختبئ أحدكم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودي ورأى فاقته .

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورأى فاقته .

وفي أسبوع النسكة جاني شاب مؤمن من أرق المثقفين وسألني عن هذا الحديث . قلت هو من أعظم المبشرات ، فعلى كل مسلم أن يعرفه ، ويجعله نصب عينيه ليستضيء بنوره في هذه الأيام السود الحوالك .

قال : سألنا عنه أحد كبار العلماء فقال : إنه حديث ورد في الصحاح ولكنه أحادي وليست له قوة الحديث المتواتر . قلت : كأنه يشك فيه ؟ قال لا ولكنه يرى أنه لا ينبغي الاعتماد عليه ولا يقصد بذلك الإقايه الناس من الشك بكلام رسول الله .

(بشارة من وراء الغيب)

في الصحيحين حديث عن مقالة تقع ، في المستقبل البعيد بين اليهود والمسلمين ، وتكون النصرة فيها للمسلمين ، جاء في صحيح مسلم (عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقاتلن اليهود فليقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي تعالى فاقته) وفي رواية عن ابن عمر أيضا (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تقاتلنكم اليهود ففلسطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورأى فاقته) وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقته) .

وجاء في صحيح البخاري (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله

الناس لا يعلمون) .

إن هذه البشارة القرآنية من أخبار الغيب لا تحمل براهين صحتها بذاتها ، ولكن المسلمين آمنوا بها وصدقوا لأنها من القرآن ثم جاءت الأيام . بعد بضع سنين ، كما ذكر القرآن ، تؤيد وتحقق بالواقع غلبة الروم للفرس ، فكان ذلك من جملة وجوه إعجاز القرآن العجيبة لأن الروم كانوا يومئذ في أوهن وأعجز أحوالهم أمام الفرس الذين يحاصرون عاصمتهم .

أما هذا الحديث ، عن قتال اليهود فإنه يحمل براهين صحته وصدقه من الوجوه الثلاثة : بسنده وبذاته وبواقع الحال ، وهذا معنى قولى لك عنه إنه أصح من الصحيح وأقوى من المتواتر .

وسأشرح لك هذا المعنى ، ولكنى أريد قبل ذلك أن أقول كلمة عن المشككين الذين يقولون ، بحسن نية أو بسوء نية ، إن الحديث آحادى ولا يجوز الاعتماد عليه فى الصراع بيننا وبين إسرائيل التى تعتمد على أسباب المادة والقوة إن هؤلاء ينسون أو يتناسون أمرين :

الأول : أن هذه المبشرات هى من أوليات أسباب القوة كما أوضحنا فى صدر هذه المحاضرة عن نفع تشديد القلوب ، وعن ضرر اليأس والاستخذاء ، وعن ضرورة الثقة بالله من أجل إعداد القوة ، بل من أجل القدرة على استعمال القوة .

قلت : إن صاحبك هذا وربما كان حسن النية ، وربما كان كبيراً فى علم مصطلح الحديث ولكنّه لا يفهم شيئاً من فقه الحديث .

قال : كيف ؟ قلت : إن هذا الحديث أصح من الصحيح وأقوى من المتواتر .

قال : وهل يكون بين الأحاديث الصحيحة ما هو أصح من الصحيح وبين الأحاديث الآحادية ما هو أقوى من المتواتر ؟ قلت : أما فى علم مصطلح الحديث فلا . وأما فى فقه الحديث فنعهم . قال : لماذا ؟ قلت لأن هذا الحديث (بقطع النظر عن صحة السند) يحمل براهين صحته بذاته ولفظه ومعناه وقد جاءت الأيام تبرهن على صدقه بواقع الحال .

ذلك أن نصوص الإخبار عن المغيبات منها ما لا يحمل براهين صحته بذاته ، ولكننا نقول بصحته اعتماداً على صحة السند ومنها ما يحمل فوق برهان السند الصحيح ، براهين صحته بألفاظه ومعانيه والظروف التى روى فيها ، ومنها ما تأتى أحداث المستقبل بتحقيق الأخبار القيدية التى أنبأ عنها النص خذ لك مثلاً آية الإخبار المبشرة بغلبة الروم للفرس فى قوله تعالى :

(غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر

أهل الذمة لأن الإسلام يأمر بحماية أهل الذمة ورعايتهم ولأن قتل مثل هذه الشراذم الضعيفة ليس من الأمور الهامة التي تستحق أن يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنصر .

(و) أما في الخارج فاليهود بعد المشيقات الثانية الذي حصل لهم على يدي بطولس الروماني لم يعد لهم كيان دولي أو تجمع أو تكتل مستقل في أي قطر من أقطار الأرض .

أخيراً لا يخفى أن اختلاق الأحاديث لا بد أن تكون له دواع وأسباب ومقاصد وأغراض وغايات منها ما يتعلق بالخلافات السياسية ، ومنها ما يتعلق بخدمة الشعوبية ومنها ما يراد به استرضاء الحكام أو تبرير أخطائهم ومنها ما يتعلق بأساطير الخلق والتكوين التي سماها علماء الحديث الإسرائيلية ومنها ما يهدف لإظهار البراعة بحفظ الأحاديث أو الاستعانة على الفلج في الجدل والمناظرة .

وكل هذه الدواعى لا بد فيها أن تنبع مما يتصل بالناس ويحيط بهم أو يهمهم أو يجري في أحاديثهم من الأمور والمشاكل وليس من المعقول أن يتخترع أحد الناس حديثاً لا يمت بصلة إلى شيء من هذه الأسباب ولو أن الحديث المذكور تعلق بقتال يقع مع الفرس أو الترك أو الروم أو الهنود مثلاً لكان افتراض اختلاقه ممكناً ومعقولاً بقصد

الثاني : أن أعداءنا اليهود ما استطاعوا جمع شتاتهم وإعداد قوتهم إلا باعتمادهم على ما اخترعوه من المبشرات الدينية بإعادة الدولة اليهودية في أرض الميعاد .. أف يكون للبشرات الدينية اليهودية التي نعتقد نحن المسلمين أنها مخترعة وكاذبة أثرها ونفعها عند أعدائنا ، ثم نحاول نحن أن نهمل أو نضعف مبشراتنا الدينية التي نؤمن بأنها صادقة ؟ يا للعجب ولنرجع إلى شرح أدلة صدق الحديث .

(أ) إن الحديث يصرح بأن المقتلة مع اليهود ستكون في المستقبل ، بل إن في قوله على إحدى الروايات (لا تقوم الساعة حتى) ما يفيد أن المقتلة ستكون في المستقبل البعيد . (ب) أن المفهوم من ظاهر وصف المقتلة أنها ستكون هزيمة وضارية .

(ج) أن المفهوم من قول الحديث ، في إحدى الروايات (تقا تلسم اليهود) أنهم هم الذين يبدأون المسلمين بالقتال وهذا يقتضى أن تكون لهم دولة وشوكة تشجعهم على أن يبدأوا بالقتال .

(د) لا يخفى أن يهود الحجاز والجزيرة العربية لم يكن لهم كيان دولي قائم بذاته قبل الإسلام وأما بعده فلم يعد لهم شوكة بل لم يعد لهم وجود يظن معه أنهم يقا تلون المسلمين . (هـ) ولا يمكن أن يعنى الحديث قتالاً يقع بين المسلمين وشراذم اليهود الضعفاء من

بل في صميم الأرض المقدسة عند المسلمين حيث أصبح وقوع القتال محتما وعلى مقربة من الكعبة بيت الله ومقربة من يثرب مدينة الرسول التي لليهود فيها ذكريات كلها أحقاد أى حيث أصبح القعود عن القتال كفراً وخروجا عن الإسلام ..

وهكذا تحقق صدق الحديث النبوى المعجزة فى حصول القتال ولا بد أن يتحقق صدقه عن نتيجة القتال إن شاء الله والأيام يديننا .

أيها المسلمون فى الأرض .. كل الأرض :

إنى على يقين من أن هذه البشارة النبوية سوف تتحقق فى يوم من الأيام قريب ... أو بعيد ، وعسى أن يكون قريباً بتعاون هذا الجيل الحاضر من حكام المسلمين وتناصرهم حتى لا تتكرر لعنة الله والتاريخ التى سجلها الشاعر الأندلسى عند ضياع الأندلس ، على المتنازحين والمتخاذلين فى النصر بقلوبه :

ياراعمين وراء البحر فى سعة

لهم بأوطانهم عز وسلطان

هل جاءكم نبأ من أرض أندلس

فقد سرى بمحديث القوم وكبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم

قتلى وأسرى فما يهتز لإنسان

نديم الجسر

التبشير بالنصرة على هذه الأمم التى لها احتكاك مع المسلمين وأما أن يوضع حديث عن مقتلة عظيمة تحمل شائر النصر على شعب ذليل مشقت لا شوكة له ولا دولة ولا كيان ولا تجمع ولا تكتل بل لا ذكر له عند المسلمين ولا يخطر ببال التخوف منه فإن اختلاق الحديث يكون بلا سبب ويكون بالتالى غير معقول .

وإذا لم يكن فى العالم دولة يهودية أو تجمع أو تكتل يهودى مستقل يتصور معه حصول احتكاك أو قتال كبير مع المسلمين . فما هو إذا معنى هذا الحديث ؟ .

لقد برهنا على أن اختلاقه غير معقول لأنه لا يتركز على سبب من أسباب اختلاق الأحاديث الموضوعية .

وإذا كان صحيحاً وغير موضوع فكيف (وحالة اليهود) هلى ما ذكرنا سوف يتم تحقيق ما انطوى عليه من أخبار الغيب ؟ .

لقد ظل الجواب عن هذا السؤال مخبوء وراء حجاب الغيب أربعة عشر قرناً حتى ظهرت دولة إسرائيل الحديثة التى لم يخطر على البال ولا بالخيال ظهورها فى حياة الإمامين البخارى ومسلم ورضى الله عنهما فى القرن التاسع الميلادى وفى القرون الوسطى .

وأيّن ظهرت ؟ أين ؟ .

فى قلب البلاد العربية والإسلامية أى حيث أصبح حصول الاحتكاك مع اليهود معقولا

اليهود كما تحدّث القرآن الكريم عنهم

للمؤلف عبد الستار السيد
مفتي طرسوس

المقدس ، ولم يبدلوا من صورتها - لا نحسب أنهم لم يفعلوا ذلك يوم كان إلى يدهم التعريف والتبديل في الكتاب المقدس إلا لأنهم كانوا يحيزون يومئذ هذه الصفات ولا يرون تخرجاً أو تأثماً في أن يأخذوا أنفسهم بها ويعيشوا حياتهم فيها .

وأكثر من هذا فقد غذى اليهود نفوسهم الخبيثة بكل خبيث وترضوا أهواءهم الفاسدة بكل منكر ثم ظنوا هذا أمراً من أمر الله إليهم ، وشريعة من شريعته فيهم ليصفوا على هذه الخبائث وتلك المنكرات قداسة الأوامر الإلهية وطهر الشرائع السماوية حتى يغفروا أنفسهم بها . ويعدون قربات يتقربون إلى الله بالزماها والقيام عليها .

وندع جانباً التشريع السماوي ، وما ينبغي أن يكون عليه من كمال ، وجلال ، ولننحتم

لقد رسم القرآن الكريم صورة معتمة لبني إسرائيل لا يرى الرائي منها إلا قطيعاً معربداً تلبسه روح خبيثة تعاف كل طيب ، وتلتكب كل طريق مستقيم . . .

والوصف الذي وصفه القرآن الكريم لبني إسرائيل ليس وصفاً لظاهرة انكشفت منهم في عهد النبوة بل هو وصف لداء قديم تمكن منهم وطاش في أجيالهم ، يتوارثونه خلقاً عن سلف .

فالتوراة على ما عبث اليهود بها وعلى ما حرفوا وبدلوا فيها ، لا تزال تحتفظ بكثير من مخازيهم ، وتمسك - بأمثلة غير قليلة من انحرافاتهم ، وخسة نفوسهم ولا نحسب أنهم أبقوا على تلك الأوصاف التي تسجل عليهم هذه المخازي في التوراة فلم يرفعوها من كتابهم

(بقية المنشور على صفحة ٤٦٧)

وكيف ينصرنا الله ونحن لا نطبق تعاليمه ؟ وهل ورد في القرآن ما يشير إلى أن الله يذمر المسلمين الذين يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه في الجهاد والعمل الصالح ؟ ؟

إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله :

محمود شيت خطاب

بعض ما استبقت الإنسانية من رحمة ومودة وإخاء ، في مجال هذا الشر المحتدم بينها .

ولسكن اليهود لكي يغذوا فيهم داء الحقد والكراهية للإنسانية كلها ، أقاموا لهم شريعة في الحرب ، جعلوا مصدرها السماء ، فذسبوا إلى الله ، وأضافوها إلى وصاياه لهم ، حتى تختلط بمشاعرهم ، وتستولى على حقوقهم ، فلا يتحللون منها ، ولا يتحرجون من إمضائها على ما هي عليه ، ولو ولغوا في دماء الناس ، وأكلوا لحومهم أمواتا وأحياء ! فما هم ؟ والحال كذلك .. إلا منفذون لأمر الله آخذون بما وصاهم به . . .

تقول التوراة - تورااة اليهود - فيما استمع إليه موسى من وصايا ربه :

(حين تقرب من مدينة لكي تحاربها . . استدعها إلى الصلح !

(فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك . .

(فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير . . ويستعبد لك . .

(وإن لم تسالمك ، بل هملت معك حربا . .

(فحاصرها . .

(وإذا دفعها الرب إلى يدك . .

(فاضرب جميع ذكورها بحمد السيف !

(أما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في

المدينة . . كل هبمتها فتنمها لنفسك . .

إلى العقل وما تواضع عليه الناس من معطيائه ، وما استقام عليه أمرهم ، مما هو حق وعدل وخير ، لرى كيف تخفف موازين هذا الشرع المذسوب إلى الله - كذبا وبهتاناً - بالإضافة إلى ما تواضع عليه الناس ، وجعلوه شريعة الحياة بينهم .

تقول التوراة ، على لسان موسى فيما أمره به ربه - كما يفترى اليهود - لا تقرض أخاك بربا . . ربافضة ، أو رباطعام ، أو ربا شيء ما ، مما يقرض بربا . للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا . لكي يبارك الرب إلهك كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل لتملكها (تثنية ٢٣) .

والربا أفدح أنواع الظلم . وأقتلها لمعاني الإنسانية ، وأنه إذا كانت المدنية الحديثة قد أباحت الربا ، فإنها في هذا أهدى سبيلا إلى العدل والإنصاف ، مما شرعه اليهود في التوراة إذا كان أمر الربا هنا عاما ، يتعامل به أهله مع البعيد والقريب على السواء ، لا كما جعله اليهود محرما بينهم ، حلالا سائقا مع غيرهم .

والحرب هي ما فيها من وحشية وقسوة . . قد تواضعت الإنسانية ، قديما وحديثا ، على التخفيف من ويلاتها وشرورها ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، فاستقام للناس من تلك المواضعات أدب يعرف بأدب الحرب ، يلتزمه الأطراف المتحاربون ، وهو

(والموابيين . .)

(كما أمرك الرب إلهك) .

وهؤلاء الشعوب ، هم الذين كانوا يجاورون اليهود ، ويحيطون بهم من كل جهة . ونسأل أنفسنا : ماذا تأمر شريعة إنسانية فيما يقع بين المتجاورين من شقاق ، وخصام ، وحروب ؟ لأنه قل ألا يكون بين الجار والجار احتكاك ، وقد يشتد هذا الاحتكاك فيكون صراعا وقتالا . . .

ولهذا قامت الشرائع كلها - أرضية وسماوية - تدعو إلى الوصاة بحسن الجوار ، ورعاية ما بين المتجاورين من حقوق وواجبات ، حتى لا تفسد دواعي المودة بين الناس ، وتقطع الصلات بينهم ، فلا تعطيب لهم حياة ، ولا يستقر لهم حال ، ولا يبيت أحد منهم آمنا إلى جوار أحد . .

لقد أحالت هذه الوصاة حياة اليهود إلى بلاء دائم وشر ، عليهم وعلى من ساقه سوء حظه إلى جوارهم ، أو وقع إلى أيديهم . فهم - بهذه الوصاة السماوية - مطالبون بأن يثيروا الحرب مع جيرانهم ، متى سنحت لهم فرصة فيهم . . ثم هم مطالبون ثانيا بأن يبيدوا هذه الشعوب من حولهم وأن يجهتوها من أصولها ، بحيث لا تبقى فيها نسمة من إنسان أو حيوان ! وبذلك يطمئن اليهود إلى هذا الخراب الشامل الذي يحيط بهم ، والذي

(وتأكل كل كل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك .

(هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا) التي ليست من مدن هؤلاء القوم هنا) . هذه هي وصاة الرب إلى موسى . وإلى قوم موسى . كما يفترى اليهود على الله ، في صلاتهم بالشعوب البعيدة جداً منهم . . التي يحيطون إليها في غارات خاطفة ، أشبه بلك الغارات التي يشنها قطيع من الجراد على زروع عامرة . وهو في طريقه إلى هجرة بعيدة ليس من همه إلا أن يفسد كل ما وقع له منها .

ومعلا ، فإن الوصية الإلهية ، كما يفترى اليهود ، لم تكتمل بعد . . فإذا كانت الوصية السابقة قد رسمت لليهود شريعة الحرب بينهم وبين الأمم البعيدة جداً منهم . . فقد بقي أن تبين لهم هذه الشريعة ما يكون منهم مع الأمم المجاورة لهم . . وقد جاءتهم الشريعة بهذا البيان . .

تقول هذه الشريعة على لسان الرب لموسى : (وأما الأمم من هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا ، فلا تسبق منهم نسمة ما . .

(بل نخربها . .

(الحثيثين . .

(والأموريين . .

(والقرويين . .

(والحويين . .

ألبسهم الله سبحانه به أثواباً فضفاضة من
المهانة والحزى واللعنة ...

وحسبنا هنا أن نغير إلى بعض تلك الآيات
التي ترسم تلك الخطوط البارزة للطبيعة
المنكوسة التي يعيش فيها هذا القطيع المعريد ،
كما يصفهم السيد المسيح ، أو هذه الأفاعى ،
وتلك الحيات كما كان يناديهم دائماً بهذا النداء :
يا أولاد الحيات ، . يا أولاد الأفاعى ...

فن الصفات البارزة التي وصف القرآن
بها اليهود ، نقضهم اليهود ، مع كل من عقدوا
معه عهداً ، حتى عهود الله سبحانه وتعالى
وفي هذا يقول الله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم
عن مواضعه » (١٤١ المائدة) ويقول سبحانه
« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
ويقولون سمعنا وعصينا » (٤٦ / النساء) ،
فاليهود أجزأ الناس على الكذب ، والنفاق
والتحلل من المروءة والشرف ... ومن هنا
كان النفاق صفقة غالبية عليهم ، وخلقا متحكما
فيهم ... ذلك أن النفاق لا يعيش إلا حيث
تفتقد المروءة والرجولة ، وحيث يغور ماء
الحياة من الوجوه .

ومن صفات اليهود التي فضحها القرآن
الحرص على الحياة .. ذلك الحرص الذي
يحمل أهله على الأخذ بمبدأ الغايات تبرر
الوسائل . . فكل وسيلة يضمن بها اليهودي

لا يأتهم منه إلا صفير الريح ، وفعيق البوم ،
وبغير هذا لا يطيب لهم سكن ولا يهدأ لهم بال .
هذه هي شريعة اليهود مع جيرانهم ، قديماً ،
وحديثاً ، فذلك أمر لا يتغير على الزمن ،
مادام اليهود يهوداً ، وما دامت التوراة توراة
يأخذون بكل ما ألفوا فيها من زور وبهتان ،
ومن هنا نستطيع أن نضع أيدينا على كلمة
السحر ، التي تفتح مغالق التاريخ اليهودي ،
وما حل باليهود في القديم والحديث من ويلات
ونكبات ، وما أخذوا به من أسرار عام شامل
وتشتيت مبدع لسكل شمل ، حتى مزقوا
في البلاد ، وتناثروا في أقطار الأرض
فاجمعهم أرض ، ولا استقر بهم مقام في وطن !
فحيث كان اليهود ، فهم شوك مسمومة ،
وداء عضال في كيان من يجاورهم . إلا أن
يقتلع هذه الشوك ، ويقضى على هذا الداء
فإذا جاء القرآن الكريم ، يحدث عن بني
إسرائيل هذا الحديث الذي يكشف به عن
أسوأ صورة للإنسان ، وأخبت وجهه من
وجوه الإنسانية ، فإنما يقرر بذلك حقيقة
ثابتة ، تحدثت بها التوراة عنهم ، وتنطق
بها أحداث التاريخ ، وتشهد لها وقائع الحال
منهم .

فإذا يقول القرآن الكريم :

والذي يقول القرآن في فضح اليهود
وكشف مساوئهم . كثير وكثير . . حيث

إلا يحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، (١١٢ آل عمران) .

وأكثر من هذا ، فإنه بعد أن ألبسهم الله لباس الذلة سلط عليهم من عبادته من يسومهم سوء العذاب ، جيلا بعد جيل ، حتى لا ينزع عنهم هذا الثوب أبداً ... وفي هذا يقول الله تعالى : « وإذ تأذن ربك ليعنن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم » ، (١٦٧ الأعراف) .

ومن أجل هذا أيضا فقد كتب الله عليهم أن يشردوا في كل وجه من وجوه الأرض ، حتى لا يجتمع لهم جماعة ، ولا تتخلق منهم أمة ، بل يكونون هكذا شرأ يطوف في الأرض كما تطوف الآفات والجوائح ... فتكون هنا يوما ، وهناك يوما ، على مدار الكرة الأرضية ... وبهذا يتوزع شرهم في الناس ، فلا يبتلى به شعب ، ولا تستقل به أمة ... وفي هذا يقول الله تعالى : « وقطعناهم في الأرض أمما » ، (١٦٨ الأعراف) .

وبعد :

فهذا هو عدونا ، بل هذا هو عدو الداء الذي حل بأرضنا .

حياته هي وسيلة مشروعة بل هي دين يدين به ويعبد الله عليه .. وفي هذا يقول الله تعالى : « ولتعبدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحرجه من العذاب أن يعمر » .

ولحب الحياة عند اليهود هذا الحب الذي يسترخص في سبيله كل خلق ، وكل فضيلة ، وكل معنى من معاني الإنسانية الكريمة ، لهذا الحب للحياة عند اليهودي ، كانت بيوتهم أبدا أشبه بمحور الضباب ، قلاطا حصينة ينفقون في سبيلها أكثر مما يملكون من جهد ومال ... وفي هذا يقول الله تعالى : « لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » . ويقول سبحانه : « وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

وهذا الحب للحياة هو الذي مكن للذلة والمهانة التي ضربها عليهم ، فاستأغوا طعمها ، وألقوا السكن إليها ... فلقد أذلهم الله ، وجعلهم موطناً لأقدام الناس في الحياة ، بعد أن تطاولوا على أنبياء الله ، ومدوا إليهم ألسنتهم وأيديهم بالأذى كما يقول سبحانه وتعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما تنفقوا

طوف به اليهود في آفاق الأرض فأفسدوا
على المؤمنين إيمانهم ، وأخلوا الدين من
مواطنه في قلوبهم .

فالإيمان الذي لا يزال يعيش به المؤمنون
في هذا الوطن العربي ، هو الذي حرك
اليهود إلى هذه المنطقة ، فتداعوا إليها ،
واجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم : يريدون
أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وأنه كما أن الشيطان مع ما معه من خيل
ورجل هو هزيل ضعيف أمام قوة الإيمان
ويقطة الضمير كما يقول الله تعالى : إن كيد
الشيطان كان ضعيفا ، فكذلك اليهود مع ما هم
عليه الآن من قوة ظاهرة وضعف الاستعمار
في أيديهم ، هم أخزى من الشيطان خزيا ،
وأضعف منه كيدا ، في مواجهة الفلوب
العامرة بالإيمان ، المتمسكة بدين الله ، فهم
كما أروانا الله عاقبة أمرهم معنا في قوله تعالى :
« إن يضرركم إلا أذى وإن يقاتلكم يولوكم
الادبار ثم لا ينصرون » (١١١ آل عمران) .
وفي قوله سبحانه : « لأنتم أشد رهبة
في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .
لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من
وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ،
وإذا كان الإيمان هو عدة كل معركة

فماذا يحدثنا القرآن عنه ، وماذا يرينا
كتاب الله منه ؟

لأنه كما يحدثنا القرآن عدو ، ليس على طبيعة
البشر وسميت الإنسانية .

ولمما هو آفة من الآفات ، وجائحة من
الجوائح . .

ملعون من الله ، كما لعن الشيطان .

مطروء من رحمته ، كما طرد إبليس .

مسلط على عباد الله ، كما سلط الشيطان
على آدم وأبنائه .

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان ،
ودعانا إلى أن نأخذ حذرنا منه ، فقال تعالى :
« إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، كذلك
حذرنا الله من اليهود ، ودعانا إلى أن نأخذ
حذرنا منهم ، فقال سبحانه : « لتجدن أشد
الناس هداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا » ، فمما أن الشيطان حرب على
أؤمنين ، كذلك اليهود هم حرب على كل
مؤمن يدين بدين الله ، يقول الله تعالى :
« وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا
تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل
صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى
يؤفكون » (٤ المنافقون) .

واجتماع اليهود اليوم واحشادهم في هذه
المنطقة من العالم ليس إلا لأنها الجبهة التي
بقيت صامدة في وجه الكفر والإلحاد الذي

من معارك الحق فإنه هنا في وجه هذا الضلال هو السلاح العامل ، لا سلاح غيره فإذا ضعف أو وهن كان ذلك قوة تمكن لهذا الضلال وتفسح له الطريق ، وتقيمه على مرعى خصيب يرتع ، ويمرح ، حيث يشاء .

فالإيمان هو سلاحنا في هذه المعركة وهو القوة العاملة التي نصدم بها هذا الشر المحتدم ، ونلقى بها هذا العدو الخبيث ، ونهزمه إن شاء الله ... ورصيدنا من الإيمان - بحمد الله - كثير موفور - ذلك أن الاستشهاد في سبيل الحق هو دعوة الإسلام لنا ، ووصاته فينا ، وقد استجبنا لهذه الدعوة ، وأخذنا بتلك الوصاة ، فآخذلنا الله في أى موقف وقفناه مع عدو وإن كثرت عددا وعدة .

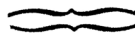
ذلك هو ماضينا مع كل عدولقيناه بالإيمان والصبر ، وسيكون هذا - إن شاء الله - حاضرا مع هذا العدو الذي ضرب به الله بالذلة والهوان أبدا ، وسيكون من فضل الله علينا أن يندبنا في هذه الدورة من الزمن بعثا يسومهم سوء العذاب ، مصداقا لقوله تعالى :

« ولما تأذن ربك لبيعنهم عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ... »

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، »

عبد الستار السيمر

في رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا هب الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله) .



إلى علماء المسلمين :

نداء من :

حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح »

السادة أصحاب الفضيلة والسماحة علماء المسلمين المحترمين .
لکم اليوم مقاتلو حركة (فتح) وقد حملوا السلاح معلنين الجهاد دفاعا عن الارض المقدسة التي دنسها الصهاينة باحتلالهم ...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

يسر حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، وقواتها العاصفة ، أن تحيي مؤتمرکم العتيد المنعقد فوق أرض السكفانة الطيبة ونسأل الله أن يأخذ بأيديکم إلى ما فيه خير شعوبنا العربية والإسلامية ، هذه الشعوب التي ترونوا إلى اجتماعکم بأمل كبير في توفيق الله لکم في بحث قضاياها المصيرية دينية ودنيوية بما يكفل لها وضوح المسيرة في ظل عزة الإسلام وقوة المسلمين .

السادة العلماء :

من أرض فلسطين المحتلة ، ومن رحاب المسجد الأقصى والصخرة المشرفة يكتب

وليس غريبا أيها السادة الأجلاء أن يحمل أبناء فلسطين السلاح ليدافعوا عن ديارهم ومقدساتهم . فالعدو الصهيوني المحتل يعميث في الأرض فسادا غير عابئ بجرمه ، ولا مرتدع بقانون ، ينشر الفساد في طول البلاد وهرضا ويحرض على الفسق والفجور محاولا لإفساد عقيدة شبابنا وغرس الانحلال بين أبنائنا ، وقتل روح رجالنا المعنوية ، ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل تجاوزته لكتب الدين والتاريخ فعملوا على إلغاء دراسة القرية الدينية وحرفوا آيات الله وطمسوها كما امتدت أيديهم إلى مساجد الله . فعملوا فيها تخريبا وهدما حتى باتت مقدسات المسلمين

الفصل ... رأى فيه نور العقيدة مع حكمة
واجتهاد علماء الإسلام ...

أولاً ... لقد مر هلى كفاح شعبنا بقيادة
حركته الرائدة (فتح) أكثر من ثلاثة أهوام
ومع ذلك لم تتحرك الشعوب الإسلامية لمسد
كفاحنا وجهادنا بالمسال والسلاح فى وقت
نحن أحوج ما نكون فيه إلى السلاح لشعبنا
الاعزى وللمسال لتأمين طائلات
شهادتنا وأسرانا .

ومن هنا نقسام هل نطمع من مؤتمركم
الكريم بقتوى تصدرونها حول موضوع
الزكاة وأحقية المجاهدين من أبناء فلسطين ... ؟
إن فتوى كهذه لن تكون قيمتها مادية
فحسب بل ستكون رمزا للمشاركة الإيجابية
من معالى العالم فى تحرير الأرض المقدسة .

ثانيا ... اعتبار قضية فلسطين قضية كل
المسلمين فى العالم ، وتحريكها واجب على كل
مسلم مما يستدعى تعبئة جهود الشعوب
الإسلامية للإسهام فى المعركة المصيرية التى
تخوضها الأمة العربية ضد العدو الصهيونى
المحتل

وعليه لا يجوز لاية دولة إسلامية أن تقيم
أية علاقة مع العدو سواء كانت سياسية
أو تجارية أو ثقافية أو رياضية ... وكل

والمسجد الأقصى بالذات أرضا يلتقى عليها
المراهقون من أبناء العدو والصهيونى ليمارسوا
فوقها أبشع صور الانحلال الخلقى لمعانا
فى تمحدى مشاعر المسلمين ، ومن أراد أن
يشور لدينه وكرامته أوسعه جنود الاحتلال
بالضرب المهن وبالسجن والتعذيب .

السادة العلماء:

هذه صورة مخزنة مؤلمة لحال إخوانكم
العرب والمسلمين فى الأرض المقدسة فهل يرضى
علماء الإسلام أن تداس عتبات المسجد الأقصى
بنعال الصهاينة ... ؟ وهل يرضون لساحة
الصخرة المشرفة أن تكون وكرا لمراهق
الصهاينة يذشرون على أرضها فجورهم
وانحلالهم ... ؟

حاشا لله أن يرضوا بذلك ، وحاشا لنا
أبناء فلسطين أن نرمى بهذا الذل والعار ...

لذلك تحملت حركتنا عبء الكفاح
المسلح فى مطلع عام ١٩٦٥ قبل النكسة ثم
تحملنا عبء المقاومة والنضال بعد النكسة
نفعل بدماء شهدائنا عار الهزيمة ، لقد أعلننا
الجهاد بين صفوف شعبنا وقدمنا خيرة شباننا
شهداء على هذا الطريق ، ولستنا نقولها
بصراحة المؤمن أن هناك أمورا كثيرة نرى
أن من واجب مؤتمركم أن يتول فيها رأى

الرابض فوق أرضهم بفساده وانحلاله وبطشه
واستعماره وعبثه بالمقدسات الإسلامية
والمسيحية على السواء .

السادة العلماء:

اعلمنا نكون قد تجاوزنا بعض الحدود
في حديثنا إليكم ولكن عذرنا لديكم أننا نوار
بجاهدون نتحدث بقلوب مفتوحة إلى رجال
هذه الأمة ، من حملوا أمانة العقيدة وأناط
هم الله مسؤولية اعزاز دينه وخدمة عبادته .

وأعلمنا أن يقسع وقتكم لدراسة مذكرتنا
واتخاذ ما يلزم بشأنها من فتوى أو قرار
أو توصية... وعهدنا الله ولكم ألا نلقى السلاح
حتى النصر أو الشهادة ، والله على ما نقول
وكيل ...

وهو من وراء القصد... وهو يهدي السبيل
وثورة حتى النصر بإذن الله
حركة التحرير الوطني الفلسطيني
د فتح ،

خروج على هذه القاعدة يعتبر انحرافا عن
الإسلام وخيانة للمسلمين ...

وأعلمنا أن يرتفع صوت العلماء عاليا في رأى
الإسلام في كل من يتعاون مع العدو أو من
يعد العدو بأسباب الدمار والهلاك لشعبنا ...

ثالثا ... إن كفاحنا المسلح لا يقف عند
حد إزالة آثار العدوان الصهيوني لأننا نرنا
ضد العدوان كله من أجل تحرير فلسطين
بأكملها ، وكما يكون مناسبا أن يصدر علماء
المسلمين قرارا بهذا المعنى يعلنون فيه الجهاد
إلى أن تتحرر ديارنا كلها مع تهديد وأى
الإسلام في كل من يحاول منع أبناء فلسطين
أو تقييد خطواتهم في حقهم المشروع المتمثل
بالكفاح المسلح والثورة حتى النصر بإذن الله

رابعا ... إن ثوار فلسطين ينتظرون رأيا
من علماء المسلمين حول كفاحهم فوق أرضهم
حتى يكون لهم زادا في حربهم مع العدو ،
كما ينتظرون كلمة في الاحتلال الصهيوني

قال تعالى : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، .

اليهود ومن كتبهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية لأننا نأخذكم أممًا

يتضمن هذا البحث تمهيدا وخمسة فصول تناول فيها الباحث أخلاق اليهود وطابعهم ومفاسدهم من نصوص كتابهم الذي يقدسونه وقد جاء فيه خاصا بتحقيق نسبهم ما يلي :

اليهود وبنو إسرائيل :

موسى عليه السلام كما هي بأيديهم الآن ، على ما داخلها من التعريف والتبديل والتشويه فاليهود قديما كما قال محققو المؤرخين (١) أعم من بني إسرائيل ، لأن كثيرا من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يسكنوا من بني إسرائيل ، .

بل يقرر هذا كتابهم المقدس ، فقد جاء في سفر د استير ، بعد ذكر نجاة اليهود من الإبادة في بلاد فارس بحيلة أوقعوا فيها بخصمهم هامان بأمر د أحشورش ، ملك الفرس قوله : « وكان لليهود بهجة وفرح وسرور وكرامة وصار كثير من أمم تلك الأرض يهودا ، لأن خوف اليهود حل عليهم » كما جاء أيضا أنهم في شكرهم لله على النجاة لم يكفهم أن قتلوا عدوهم وبنيه العشرة ، بل أعمالوا السيف

يخطط بعض الباحثين بين اليهود وبنو إسرائيل وذلك الخلط ببعض الذرائع المقصودة للصهيونيين إلى أغراضهم السياسية. فهم يريدون تحقيق نسب اليهود الحاليين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، استغلالا بشرف النسب وتذرها للتمسك بما جاء في التوراة من الوعد بإعطاء الأرض المقدسة إلى نبيه ، هذا الوعد الذي سنعرض قريبا لحقيقته وجدواه .

يقول صاحب المنجد من قسم الأدب والعلوم : « اليهود : اسم أطلق منذ القدم على الشعب سليل إبراهيم الخليل من إسحق ، يعرفون بالعبرانيين ، أو بني إسرائيل انتشروا في العالم من قديم الزمان .

وفي هذا القول من مجافاة الحقيقة ما فيه ، « فبنو إسرائيل هم ذرية نبي الله يعقوب الملقب بإسرائيل ابن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام أما اليهود فهم الذين ينتسبون إلى شريعة

(١) انظر المختصر في أخبار البشر ص ٨٧
لأبي الفداء .

العربية إلى العراق ثم هاجر بعد بعثته إلى أرض كنعان بالشام . ورحل إلى مصر ، ثم عاد ثانية إلى حيث كان بأرض كنعان في جنوب فلسطين ، كما رحل بابنه إسماعيل وأمه إلى الحجاز حيث أسكنهما هناك^(١) وكان يمر بولده حينما بعد حين ، حتى أمر بإقامة القواعد من البيت الحرام ، قبلة الإسلام بمكة المكرمة . يعاونه ولده إسماعيل الذي جاءت منه أمة للعرب ، خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان إبراهيم هربا خالصا من سلالة العرب العاربة التي يرتفع نسبها إلى سام ، ابن نوح عليه السلام ، فهو كذلك أبو العرب المستعربة الذين هم أبناء إسماعيل من إبراهيم وهو بهذا جد العرب كما هو جد بني إسرائيل

ولإبراهيم لا يسمى إسرائيليا - فإسرائيل كما مر حفيد إبراهيم ، كما لا يسمى يهوديا فهوذا الذي يتعلقون بالنسب إليه أحد

أياما في رقاب مخالفهم ، وأبادوا منهم عشرات الألوف^(٢) .

ولقد نزلت السكاوثر باليهود قدما إلى حد الإبادة والاستئصال ، حتى لم يستد ينجو منهم إلا سبي أو شريد على ما سفسير إلى ذلك من وقائع التاريخ .

ويهود اليوم - كما يشهد الواقع - خليط من أمم العالم شرق وغرب . لا يخلص لهم نسب . ولا يصفو لهم دم ، فقد اختلطوا بأمم الأرض كارهين وطائعين وطوحت بهم الأحداث - كما طوحت بأسلافهم - من أمة إلى أمة ومن صقع إلى صقع ، وما تزال تنزل بهم كشأنهم في القديم .

أما إبراهيم الخليل عليه السلام . فهو هربي^(٣) هاجرت قبيلته من قلب الجزيرة

(١) سفر استير من الكتاب المقدس ص ٨٢٣ - واستير التي سمي الصفر باسمها يهودية أعجبت ملك فارس بعد مغاضبة للبلد السابقة ، فتزوجها وجعلها ملكة بعدها تخدمت بني ملتها بتدبير بعض رءوسهم ، حتى تخلصوا من أعدائهم وسنعرض له في فصل و كتاب اليهود والأخلاق .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٤٤ وما بعدها طبعة منير - وفصل النشأة من دأبو الأنبياء ، للأستاذ العقاد ، وغيرهما .

(١) زعمت التوراة أن إبراهيم صرف هاجر وأعطاهما النبي إسماعيل فضت وتاهت في برية بئر سبع حتى طمأنها ملاك الله . فأقام إسماعيل في البرية واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر وأغفلت رحلة الحجاز وإقامة إسماعيل واشتركا مع أبيه في بناء البيت الحرام قصدا حتى لا يكون لإسماعيل وذريته من بعده هذا الشرف العظيم .

أن يحيوا حياة طيبة لما وجدوا أوسع من
من الإسلام صدرا ، ولا أسمع من المسلمين
نفسا ، ولا أكرم من العرب جوارا ، وقد
عاشوا طويلا في ظلال الحكم الإسلامي ،
وجنبت البلاد العربية لا يضارون في دينهم ،
ولا يضييق عليهم في دنياهم .

ولمصر في القديم والحديث أياذ عليهم بيضاء
عدا ما كان من ظلم فرعون لهم لأمرا أراد الله
به نشر الديانة الموسوية في الأرض المقدسة ،
وجعل به فرعون عبرة في الآخرين ، فما من
شدة في عيش أو كارثة في نفس تحل بهم إلا
كانت مصر معقدا آمالهم ومحط رحالهم .

الصهيونية والاستعمار :

لسكن الصهيونية العالمية - قاتلها الله - تنكرت
لكل صنيع وقبحت كل جميل .

فن سخرية القصد أن يعتمد اليهود
الصهيونيون إلى تحميل العرب وحدهم
أوزار ما صنعت الإنسانية بهم ، فقفزوا إلى
فلسطين قلب العروبة يسفكون فيها الدماء
ويذبجون الأطفال والنساء ، ويشقون
بطون الحوامل ، وينشرون من سيرتهم
ما كان مطويا ، ويعلمون من نواياهم وطرائقهم
ما كان خفيا ، مستعينين في ذلك بما يمليه لهم
أشياهم من المستعمرين الغربيين ، مستخرين
في ظنهم الاستعمار العالمي لأغراضهم

أبناء إسرائيل ، وبالأولى لا يكون مسيحيا
فلم يكن قد اقترب زمان المسيح د ما كان
إبراهيم يهوديا ولا نصرا نيا ولكن كان حنيفا
مسلميا وما كان من المشر كين ، .

إن كثيرا من الباحثين يرون اليهود اليوم
هم اليهود منذ كانوا ، لم يغير العصر الحديث
من خلائقهم ولم تؤثر البيئات المختلفة
في طباعهم إلا ما زادتهم المدنية الحديثة نفاذا
إلى ما يبعون من شر وإفساد وتضليل -
يعيشون أشتاتا في بقاع الأرض متفاهمين
في طرائق العمل وإذا كان تفرقهم مظهرا
من مظاهر الضعف فإنهم يعدونه في الوقت
من أكبر أسباب القوة ، حيث يحاولون عن
طريق المال - وقد برعوا في جمعه - التغلغل
في شئون الحكم ، والتأثير في حياة الأمم
الاجتماعية من وراء ستار ، وتوجيه السياسة
العالمية ، والتصدي لمن ناوهم أو اعترضهم
في هدف أو منفعة ، وهم مع كل ذلك يحبون
في عزلة نفسية ، وانفصام تام عن مشاعر
الشعوب التي يعيشون فيها .

عدالة الإسلام :

إن عدالة الإسلام المطلقة في كمالها وشموها
تأبى أن تحمل نفس وزر أخرى ، أو تفتقد
ذنوب الآباء في الأبناء د برغم ما يصرح به
كثيرا كتاب اليهود المقدس ، ولو شاء اليهود

المسلمون ثم انتصروا أخيراً بإسلامهم على جمحافل المغيرين ، ولكن الإسلام انتصر بعد على قلوب هؤلاء الأعداء فضمهم إلى جنده ومنعهم سنا من نوره فحملوا لواءه طائعين وجاهدوا في سبيله راضين .

واحتل الصليبيون فلسطين وبنوا القلاع والحصون ثم أوقع العرب بهم وأخرجوهم مدحورين .

فإذا كانت الصهيونية والاستعمار يذلان بالحديد والنار ، وما بلغت الآلات العلمية من ألوان الدمار فإن في جهاد الشعوب لعمرة لأولى الألباب .

لقد أقام الإنجليز في مصر سبعين عاماً بعد أن هزموا جيشها بالدسائس والخداع والتفريق بين الشعب وحاكمه قبل أن يهزموه بالسلاح ، وما أخرجهم إلا الجهاد الشعبي في القنال ، ثم في الجزائر واليمن الشعبية وبقية بلاد العرب كذلك في فيكتنام وغيرها أمثلة قائمة ونماذج رائعة فإذا تواتت حكومة عربية أو حكومات وإذا خسرجيش معركة أو معارك فإن الجهاد الشعبي وسيلة الكفاح وأسلوب التحرير في العصر الحديث .

إن شعباً صغيراً كفيكتنام الشمالية بل جزء ذلك الشعب الصغير قد دوخ بكفاحه أقمى قوى الأرض وأشدّها بغيا حتى مدت إليه يدها ، وتوشك أن تركع أمامه لتخرج من

وما يقولون أنهم في الحقيقة يسعون لحتفهم وأن الاستعمار يريد لهم لتعويق نهضة الشعب العربى وامتصاص قواه ليظل في دائرة نفوذ الغرب لا يعدوها ولو كان في سبيل ذلك انتحار يهود إسرائيل .

إن اليهود الصهيونيين بتخدير أوهام عودة وتأسيس دولة في فلسطين تسيطر على مصائر الشرق الأوسط العوبة في يد الأشرار الغربيين من ساسة انجلترا أولاً ثم أمريكا ومشايخهم ، يضربون بهم شعباً ألباً تيقظ بماضيه المجيد وقواه البشرية والاقتصادية ، وهيئات أن يستخذى أو ينام وأنى يسكون النوم في عالم اليوم ، وقد تشابكت الصلات ، وبحيت المسافات ، وكشفت الستار عن خفايا السياسات ، ونقلت الإذاعات ثقافة العالمين بكل لغة إلى كل مكان .

ضرورة الجهاد الشعبي :

إن العربى الذى عرف بفرط كرمه عرف كذلك بأنفته وإبائه وشدة شكيمته إذا مس عرضه أذى ، أودنس طهارته مدنس . وإن الشدائد التى حلت بالعرب في فلسطين درس عملى نفذ إلى أعماق العروبة فمزها هذا قويا ونفض الكرى عن عيون الغافلين ، وإنما بإذن الله عائدة إلى مكانها في الصدارة من قافلة الحياة .

لقد اكتمسح المغول بلاد الإسلام وهزم

قلوبهم ولكن الله ألف بينهم لأنه عزيز حكيم .
وإن كلمة الله هي التي جمع بها العرب قائمة
وخالدة وإن الذي كتبه على نفسه نافذ وقاطع
والله يقول : يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، لقد جمع الله لنا
الشرق والغرب عام ست وخمسين ، وإن
جهادنا بدأ من الجامع الأزهر في خطبة
الرئيس المشهورة ، إننا نريد جهاداً ينبثق من
من المسجد ، وعلى هدى الله وبتنفيذ أحكامه
ولإقامة دينه في كل مكان وكل عمل .

وعليّنا أن نعلم لإسرائيل ويهود العالمين من
ورائنا باللغة التي يفهمونها بأن دولة لهم
في فلسطين وعلى حساب شعبهم المستحيل ، وأن
سلامهم وحياتهم إن شاءوا إنما يكون في دولة
عربية تحفظ فيها للأقليات حقوق ، يصونها
شرف العرب وترعاها عدالة الإسلام والسلام

كمال أحمد عوده

أرضه ببقية في قواها على أرضه ، وفي هيبتها
في المعتزك الدولي وإلا فالويل لها إن ظلت
تركب رأسها وتعتدى عليه .

إن الجهاد الشعبي الذي بدأناه في فلسطين
متأخراً عشرين عاماً قضيناها في طريق من
الإعداد الرسمي سبقنا عدونا فيه ، يجب أن
يمضي قدماً إلى غاية لنا في حاجة إلى فداية تعباً
لها كل قوى الأمة . وإن شيئاً واحداً يعجز
الشعب المؤمن بدينه وبوطنه وبعبوبته ،
حيث لا يغني شيء قط غناه ، ولن يستطيع
أن يغيره إنسان كائننا من كان توحيد العرب
وجمعهم وتعبئة جهودهم ، إن ذلك الشيء
الوحيد هو كلمة الله .

إن الله تعالى يقول لأعظم خلقه سياسة
وحكمة ورأياً وشجاعة وخلقاً : هو الذي
أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ،
لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين

العز للإسلام	منارة الوجود
هداية الانام	ومطلع السمود
عصابة الصديق	وراية الفاروق
والحق والوسيلة	والسمعة الظليلة
ومعقل الفضيلة	وغابة الاسود
الفرس في لوائه	والهند في ضيائه
في الارض صار كالعلم	بعزة تمحو الظلم
بين الكتاب والقلم	مظفر الجفود

، أحمد شوقي ،

الإسرائيليات في التفسير والحديث

للأستاذ محمود يونس

— ١ —

- هذا البحث يشتمل على :
- ١ — مقدمة تتناول مصادر التفسير وآراء بعض كبار المفسرين .
 - ٢ — دخول الإسرائيليات في التفسير والحديث .
 - ٣ — أمثلة للإسرائيليات في كل من التفسير والحديث .
 - ٤ — اقترح إلى مجمع البحوث الإسلامية حول هذا الموضوع .
 - ٥ — التفسير بأقوال التابعين إذا أجمعوا على الشيء .
 - ٦ — التفسير بعقول لغة العرب لأهل العلم باللغة .
 - ٧ — التفسير بالاجتهاد لأهل الاجتهاد .
 - ٨ — التفسير من طريق العقل . . . (المعتزلة) .
 - ٩ — وهناك أيضاً تفسير عقلي على مذهب الشيعة وتفسير صوفي للصوفية .

— ٢ —

- أما دخول الإسرائيليات في التفسير والحديث — وهو لب البحث — فقد نقل الأستاذ عن البخاري قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .
- وقول ابن كثير : إن الأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام :
- ١ — تفسير القرآن بالقرآن لأن الآيات يفسر بعضها بعضاً .

ويستعمل على عدم الاعتداد على السكتابين وكتبهم بقول القاسمي : . . . فكتب السكتابين كأقوالهم لا يعتمد عليها لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم ولظهور تلفيقها . . . (١) ، ويقول رشيد رضا : « فالحق أن كل ما لا يعلم إلا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وأمثاله لا يقبل في إثباته إلا الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه قاعدة الإمام الطبري التي صرح بها كثيراً (٢) . ويقول الشيخ محمد عبده : (... لأنه يجب الاحتراس في قصص بني إسرائيل وغيرهم من الأنبياء وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين) وأنه يجب (أن نقف عند نصوص القرآن لانتعدها وإنما نوضحها بما يوافقها إذا حجت روايته) ا هـ . (٣) .

وحين ينتهي الأستاذ الباحث من إيراد أقوال السابقين يذكر خمسة أسباب لمنع دخول الإسرائيليات في التفسير والحديث . وهي :

١ - إن الإسرائيليات ليست من مصادر التفسير المعتمدة التي ذكرها من قبل .

١ - ما علمنا صحته بما بأيدينا بما يشهد له بالصدق ، فذلك صحيح .

٢ - ما علمنا كذبه بما عندنا بما يخالفه .

٣ - ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا يؤمن به ، ولا تكذبه ويجوز حكايته (١) .

وقول ابن تيمية : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك ، والمنقول : إما عن المعصوم أو غيره ، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لا يمكن ذلك ، وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضيفه عامة مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته ، وذلك باختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه . . . وفي قدر سفينة نوح وخشبها . وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك . فهذه الأمور طريقة العلم بها النقل ، فما كان منها منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ، وما نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب يمسك عن تصديقه ، وتكذيبه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقهم ولا تكذبهم (٢) .

(١) تفسير القاسمي ١ : ٥٠ .

(٢) تفسير المنار ١ : ١٠ .

(٣) راجع تفسير الجلالين ١ : ٣٧ .

(١) تفسير ابن كثير ١ : ٤ .

(٢) تفسير المنار ١ : ٨ .

سورة آل عمران^(١)، ١٤٥ من سورة
الأعراف^(٢)، ١٧٥ من سورة الأعراف^(٣).
وسنذكر في هذا بمثال واحد منها :

قال : الثانية : (الذين) نعت للذين قبله
(قالوا) لمحمد (إن الله) قد (عهد إلينا)
في التوراة (أن لا تؤمن لرسول) نصده
(حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فلا تؤمن لك
حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من
نعم وغيرها ، فإن قيل جاءت نار بيضاء من
السماء فأحرقتة وإلا بقي مكانه ، وعهد إلى
بنى إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد ...
(تفسير الجلالين ١ : ٦٧) .

(١) فهذا التفسير من أوله إلى آخره من
أقوال المفسر نفسه لأنه لم يوجد فيه أى
إشارة إلى التحديث عن أهل الكتاب .

(٢) إن قوله : (وهو ما يتقرب به إلى الله
من نعم وغيرها ، فإن قيل جاءت نار بيضاء
من السماء فأحرقتة وإلا بقي مكانه) ، من
خرافات أهل الكتاب أو مخترعاتهم لأنه
لم يوجد أصله في التوراة - العهد القديم -
والنبي وجد فيها أنهم كانوا يوقدون النار
بأيديهم ويحرقون بها القرابين المحرقات .

٢ - إن إدخال وجعل الإسرائيليات
تفسيرا لآيات القرآن معناه تصديق لأهل
الكتاب ، وقد منعنا النبي صلى الله عليه وسلم
من تصديقهم ، والأمر كذلك في وضع
الإسرائيليات في كتب الأحاديث المعتبرة .

٣ - إن في دخول الإسرائيليات في
التفسير والحديث إثباتا لأخبار الغيب الماضي
بالإسرائيليات ، ويجب أن يكون لإثباتها
بالقرآن أو الحديث الصحيح ، وعند علماء
الكلام بالحديث المتواتر لأنه يفيد اليقين ،
وأما أحاديث الآحاد فلا تفيد إلا الظن كما
هو المعلوم .

٤ - إن دخول الإسرائيليات في التفسير
يؤدى إلى الطعن في القرآن نفسه - والعياذ
بالله - لأن معناه تفسير القرآن بالأقوال
الكاذبة والخرافات الباطلة .

٥ - إن دخول الإسرائيليات في التفسير
والحديث تلبيسا للحق بالباطل . قال الله
تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتسكتوا
الحق وأنتم تعلمون » .

- ٣ -

ثم أورد أمثلة وشواهد على تلك
الإسرائيليات في (تفسير الجلالين) لأنه
(أكثر انتشاراً في البلاد الإسلامية) فذكر
الآيات : ٢٤٣ من سورة البقرة ، ١٨٣ من

(١) تفسير الجلالين ١ : ٦٧ .

(٢) تفسير الجلالين ١ : ١٤١ .

(٣) تفسير الجلالين ١ : ١٤٥ .

أهل الكتاب أو مخترعاتهم دخلت في تفسير القرآن بدون وعي من العلماء الكرام .

(٣) ولا شك أن مثل هذا التفسير يؤدي إلى اللطعن في القرآن نفسه لأن مجيء النار البيضاء من السماء لإحراق القربان لا يقبله عقل المتعلمين في هذا العصر .

(٤) ولو فرضنا أن ذلك من المعجزات الصحيحة ، يجب إثباتها بالقرآن أو الحديث المتواتر لا بقول أهل الكتاب .

(٥) وفي ذلك التفسير تلميس للحق بالباطل والحقيقة بالخرافة .

وأما عن الإسرائيليات في الحديث فقد ساق الأستاذ الباحث منها أربعة :

١ — حديث (وما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)

ذكره الغزالي في الإحياء وقال العراقي : لم أر له أصلاً وقال ابن تيمية : هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف (١).

٢ — حديث هاروت وماروت وقصتهما مع الزهرة . أخرجه أحمد وابن حبان وابن السني عن ابن عمر مرفوعاً ؛ وأورده المنذري في الترغيب والترهيب قال : وقيل إن الصحيح وقفه على كعب ، وتبعه البيهقي في ذلك فإنه أورده في الشعب عن ابن عمر عن كعب

وقد جاء في الفصل الأول من سفر اللاويين في ذلك ما نصه :

١ — ودعا الرب موسى وكله من خيمة الاجتماع قائلاً .

٢ — كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا قرب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرايبكم .

٣ — إن كان قربانه من البقر فذكرها صحيحاً يقرب إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب .

٤ — ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عنه للتكفير عنه .

٥ — ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هرون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديراً على المذبح الذي لدى باب خيمة الاجتماع .

٦ — ويسنح المحرقة ويقطعها إلى قطع .

٧ — ويجعل بنو هرون الكهنة ناراً على المذبح ويرتبون حطب على النار .

٨ — ويرتب بنو هرون الكهنة القطع من الرأس والشحم فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح . وأما أحشائه وأكارته فيغسلها بماء ويوقد السكبن الجميع على الذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب .

فما أبعد الفرق بين هذا وبين ما قال المفسر . وعلى ذلك فإن هذا التفسير من خرافات

— ٤ —

ثم يختم بحمده فيقترح على مجمع البحوث الإسلامية :

١ — أن تجمع جميع الإسرائيليات في التفسير في كتاب خاص لتطهير تفسير القرآن الكريم من الروايات الكاذبة . ولئلا تغتر بها الأمة الإسلامية التي لا تعرف أصلها من الإسرائيلية .

٢ — أن تجمع أيضا جميع الإسرائيليات في الحديث في كتاب خاص لئلا تثق بها الأمة الإسلامية كما ألف كتاب (الكلىء الممنوعة في الأحاديث الموضوعة) .

وبذلك نطهر تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية من الأدناس الأجنبية ؟

محمود بونسي

باختصار وقال : هو الصحيح عن كعب (١) فهو من الإسرائيليات ، وقال ابن كثير : وقد روى في قصة هاروت وما روت عن جماعة من التابعين كجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة . وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل (٢) .

٣ — حديث : وقال موسى عليه السلام : يارب من أحباؤك من خلقتك حتى أحبهم لأجلك ؟ فقال : كل فقير فقير (٣) .

٤ — حديث إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وهو مأخوذ من الإسرائيليات وأنه عليه الصلاة والسلام بعث في أواخر الألف السادسة ومعظم المئة في الألف السابعة (٤) .

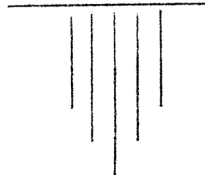
(١) تمييز الطيب من الخبيث ١٧٩

(٢) تفسير ابن كثير ١ : ١٤١ ، ١٣٨٠

(٣) إحياء علوم الدين ٤ : ١٩١

(٤) راجع تفسير المنار ٩ : ٤٧ ، ٤٨١

٤٨٢ .



الاسرائيليات في التفسير والحديث

للاستاذ : محمد السيد حسين الذهبي

بالله تعالى والالاخذ بما جاء عنه من تعاليم
تقود الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد .

فأصول العقيدة والشريعة واحدة في جميع
الاديان كما يصرح بذلك قوله تعالى : « شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وهيسى
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (١) » .

أما تفصيلات الشرائع العملية فتختلف فيها
الكتب السماوية اختلافا يتلاءم مع زمان
كل منها ويتفق مع مصالح أتباعها . فما يصلح
لزمان قد لا يصلح لزمان آخر . وما يلائم
طبيعة قوم قد لا يلائم طبيعة قوم آخرين .
مصدق ذلك قوله تعالى ، لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا (٢) .

والقرآن الكريم باعتباره خاتم الكتب
والمنزّل على خاتم الرسل جاء يحدد دعوة
الكتب السماوية إلى أصول العقيدة والشريعة
ويؤكد وحدتها في جوهر الدعوة إلى الله
وإلى حياة أفضل ثم هو بعد ذلك يخالف
كل ما سواه من الكتب المنزلة بما يتفرد به

هذا البحث مرتب على مقدمة وثلاثة فصول
وخاتمة :

فالمقدمة : في بيان علاقة القرآن الكريم
بغيره من الكتب السماوية ومنزله منها .

والفصل الأول : في بيان معنى الاسرائيليات
وكيف تسربت إلى التفسير والحديث ومدى
خطورتها على عقائد المسلمين وقديسية
الإسلام .

والفصل الثاني : في بيان أقسام الاسرائيليات
وحكم روايتها وأشهر روايتها .

والفصل الثالث : في الاسرائيليات في كتب
التفسير والحديث .

والخاتمة : في بيان ما يجب أن يلتزم به
من يفسر كتاب الله تعالى بالنسبة للروايات
الإسرائيلية وما يجب أن يقوم به العلماء
من تنقية كتب التفسير منها .
وهذه مقتطفات لبعض ما ورد في البحث :

القرآن والكتب السماوية

تقوم جميع الكتب السماوية من لدن آدم
عليه السلام إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم
على أساس واحد : هو الدعوة إلى الإيمان

(١) الآية : ١٢ من سورة الشورى .

(٢) الآية : ٤٨ من سورة المائدة .

مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء
إلى يوم القيامة وسوف يفتشهم الله بما كانوا
يصنعون (١) .

ثم يخاطب الفريقين فيقول : يا أهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم
تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين (٢) .

أما القرآن الكريم فقد كتب الله له الخلود
وحماه من التحريف والتبديل وصانه من تطرق
الضياع إلى شيء منه كما قال تعالى : إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٣) .

ولقد كان خلود القرآن الكريم وحفظه
من الضياع أو تطرق التحريف والتبديل إليه
أمراً طبيعياً وضرورياً مادام هو الكتاب
الذي ختم الله به رسالات السماء إلى الأرض .
معنى الإسرائيليات :

لفظ الإسرائيليات جمع مفردة إسرائيلية
وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي
والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب ابن
إسحق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر
وإليه ينسب اليهود .

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره
على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر

من نظم التشريع وألوان العبادات وكيفيات
المعاملات التي تلائم عصره وتتفق وصالح
الإنسانية في مرحلتها الأخيرة ... مرحلة
النضج والكمال .

والكتب السماوية - غير القرآن - قد طواها
الزمن ولم يصل إلينا منها سوى التوراة
والإنجيل وكلاهما قد تطرق إليه التبديل
والتحريف وتناول ذلك منهما جانب العقيدة
وجانب الشريعة على سواء .

وما في أيدي الناس منهما اليوم ليس هو
التوراة التي نزل الله على موسى . وليس هو
الإنجيل الذي نزل الله على عيسى وفي التوراة
والإنجيل أنفسهما من التناقض والمناكير
شواهد على ما نقول . وفي تحقيقات بعض
علماء اللاهوت من غير المسلمين ما يقرر ذلك
ويؤكد . وفي القرآن الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ما يقرر ذلك
في صراحة ووضوح .

فيقول عن اليهود : وما قدروا الله حق قدره
إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل
من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً
وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيراً .. (١) .

ويقول في شأن النصارى : ومن الذين
قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم ففسوا حظاً

(١) الآية : ١٤ : المائدة .

(٢) الآية : ١٥ : المائدة .

(٣) الآية : ٩ : الحجر .

(١) الآية : ٩١ : الأنعام .

وكانت للعرب في جاهليتهم رحلات يرحلون فيها مشرقين ومغربين ، وبدى أنه كانت تتم لقاءات ولا شك أن هذه اللقاءات سواء ما كان منها في جزيرة العرب وما كان خارجا عنها كانت عاملا قويا من عوامل تسرب الثقافة اليهودية إلى العرب الذين كانت ثقافتهم حينئذ يحكم بدواتهم وجاهليتهم محدودة وضيقة .

ثم جاء الإسلام وجاء كتابه الخالد وكانت دعوة الإسلام أول ما ظهرت وانتشرت بين سكان الجزيرة العربية وكانت عاصمة الإسلام دار الهجرة ، المدينة ، وفي المدينة وما حولها وعلى بعد منها كانت تقيم طوائف يهودية . وكانت يحكم هذا الجوار بين اليهود والمسلمين تتم لقاءات بينهم لا تخلو عادة من تبادل العلوم والمعارف .

كذلك كانت تتم لقاءات بين بعض المسلمين وبعض اليهود تدور فيها مناقشات ومجادلات ثم كان ما هو أهم من هذا وهو دخول جماعات من علماء اليهود وأخبارهم في الإسلام وبهذا التحمت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية وتعدت التفسير والحديث إلى التاريخ وعلوم الجدل والكلام ...

ثم ... كانت جولة ...
فقد هال أعداء الإسلام ما أصبح له ولاهله من قوة فتربصوا به الدوائر ولما لم

يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي . فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تنطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما

بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم . وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بمخبت نية وسوء طوية ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين .

كيف تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث ؟ :

تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث مسبوق بتسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية في الجاهلية .

قال العرب في جاهليتهم كان يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب جلهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم والذين هاجروا إليها هجرتهم الكبرى سنة سبعين من ميلاد المسيح عليه السلام فرأوا من العذاب والنكال الذي لحقهم على يد ديمطرس الروماني ، وقد حمل اليهود معهم إلى جزيرة العرب ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وغيرها .

يفلحوا تفتقت عقولهم الماكرة وقلوبهم الفاجرة عن مكر مئى وخداع بشع . فنظامر نفر منهم بالدخول فى الإسلام وقلوبهم غاوية ونسجوا الكذب وأذاعوه فى خبث ومهارة .

وقد تلقف القصاص ذلك يستميلون به قلوب العامة ويستهوونهم بما يروونه لهم من غرائب وأعاجيب والنفس إذا لم يكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة تميز بين الحق والباطل كثيرا ما تنطلى عليها تلك الأعاجيب وتسلم فى بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب .

ولا شك أن الإسرائيليات بما حوته من أباطيل وخرافات نسب الكثير منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى صحابته رضوان الله عليهم واتخذها بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم وتشكل خطرا بالغا وذلك لإفضائها إلى النتائج التالية :

١ — أنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوى عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه ووصفه بما لا يليق بجلاله وكأله . وبما فيها من نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين وتصويرهم فى صورة من استبدت بهم شهواتهم ودفعهم لذاتهم إلى قبائح لا تليق بإنسان عادى فضلا عن أن يكون نبيا .

٢ — أنها تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها وكلها نسيج عقول ضالة وخيالات جماعات مضللة .

٣ — أنها كادت تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين .

هذه هى جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقديسة الإسلام من رواية الإسرائيليات ولا تزال جهود تبذل من جهدها لإفساد عقائد المسلمين وإضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن والسنة وما يتصل بهما وزعزعة ثقتهم فى سلفهم الصالح .

وما جولد زير الإسرائيلى وغيره من دعاة اليهودية المستشرقين من مات منهم ومن لا يزالون منتشرين إلى اليوم بصفة خاصة فى القارة السوداء إلا معاول هدم للإسلام والله من ورائهم محيط .

وعلاج ذلك يتمثل فى واجبين :

الأول : ما يجب أن يلتزم به من يفسر كتاب الله تعالى بالنسبة للروايات الإسرائيلية .

الثانى : ما يجب أن يقوم به العلماء من ترقية كتب التفسير .

فبالنسبة للأمر الأول فإنه :

١ — على المفسر أن يكون يقظا إلى أبعد حدود اليقظة وناقدا إلى غاية ما يصل إليه

كل هذه الكتب وحكموا عليها فكان من نتيجة ذلك أن تلقى الناس الصالح منها بالقبول وغير الصالح منها رفضوه رفضاً باتاً وبجوار ذلك صنفوا في الموضوعات مصنفات كثيرة قيمة فتحت عيون الناس على ما دس على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكاذيب وأباطيل .

إذا فالواجب الأهم على علماء المسلمين اليوم نحو كتب التفسير قد تحمله وأداء عنهم أسلافهم من المحدثين ولم يبق عليهم إلا إعادة طبع كتب الصحاح من الأحاديث طبعاً جيداً منسقا مع حل مشكلات الأحاديث التي فيها غرابة والتي يظن بعض الناس أنها لا أصل لها ...

أما كتب التفسير فواجب علماء المسلمين عامة وعلماء الأزهر خاصة . بل أقول : واجب مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف وقد حوى من كل قطر إسلامي أفضل علماءه ... واجبه أن يتجرد المهمة تجريد كتب التفسير من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات .

وأرى أن هذه المهمة يمكن القيام بها على وجه من الوجوه الآتية :

١ - أن يوكل إلى كل قطر إسلامي مجموعة من كتب التفسير ليجردها علماءه من

الفقار من دقة وروية حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن ويتفق مع النقل الصحيح والعقل السليم .

٢ - لا يجوز للمفسر بحال من الأحوال أن يرتكب النقل من أهل الكتاب إذا كان في سفة نديننا صلى الله عليه وسلم بيان لجمال القرآن أو تعيين لمبهمه :

٣ - يجب على المفسر أن يراعى أن الضروري يتقدر بقدر الحاجة فلا يذكر في تفسيره شيئاً من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال ، وما يسكني أن يكون حجة على من خالف وعاند من أهل الكتاب .

٤ - إذا اختلف المتقدمون في شيء من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال كلها على أن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل وليس له أن يحكي الخلاف ويطلقه دون تنبيه على الصحيح من الأقوال وغير الصحيح منها . وبالنسبة للأمر الثاني :

فإن كتب الحديث قد تميز أصحابها من ضعافها وعرف الناس قيمة كل منها ويرجع الفضل في ذلك إلى علماء الحديث الذين عملوا على تنقيسة الحديث وتجريده من الدخيل والعليل من وقت مبكر والذين قيموا ألفاً

٣ — أن يعهد بجمع البحوث الإسلامية إلى جماعة من العلماء بكتابة تفسير للقرآن الكريم خال من الإسرائيليات والباطيل ويعمم نشره في جميع الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية وهذا عمل حسن ولكنه سوف لا يمنع الناس من الرجوع إلى غيره من التفسيرات القديمة .

٤ — أن يعهد بجمع البحوث الإسلامية إلى لجان يكونها من علمائه الأكفاء ومن غير علمائه بدراسة كل ما لدينا من كتب التفسير دراسة وافية شاملة تكشف عما في كل كتاب من أباطيل الإسرائيليات وخرافاتهما .

ومن كل دخیل على كتاب الله تعالى وتحذر من تصديق ذلك وقبوله ثم تجمع ذلك كله في كتاب مستقل ينشر في الأوساط العلمية العامة وربما كان هذا الوجه أيسر الوجوه وأجداها وأكثرها احتیالا للتنفيذ .

وقد يكون لدى غيري رأى آخر أيسر وأجدى ولأن الأمانة العامة لجمع البحوث الإسلامية عرضت فكرة تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات وسائر الموضوعات على الهيئات العلمية الإسلامية في كل الأقطار لتبدي كل منها رأيها في أيسر الطرق وأجداها لخرجنا من وراء ذلك برأى سديد ورشيد

محمد السيم من الزهبي

الإسرائيليات وما حوت من الموضوعات كالأحاديث التي أوردها بعض المفسرين في فضائل القرآن سورة سورة ثم تطبع هذه التفسيرات بعد تجريدها على نفقته الخاصة - حكومة وشعبا - وقد يكون هذا أصعب الوجوه :

أولا : لأن ذلك يحتاج إلى إقناع المسئولين أو المعنيين بالفتن الإسلامية في كل قطر بهذه الفكرة وبالمساهمة فيها ماديا وعليا . ثانيا . لأنه يحتاج إلى وقت طويل وجهد ليس بالقليل :

ثالثا : لأنه سوف يقال حتما : إن هذه التفسيرات تراث إسلامي فلا يجوز التصرف فيها بمحذف بعض ما تحويه ، وإذا تم تجريدها من الإسرائيليات وأعيد طبعها مجردة منها فليس ذلك بقاض على ما هو موجود منها اليوم في المكتبات العامة والخاصة وبهذا تبقى العلة قائمة .

٢ — أن يوكل إلى علماء كل قطر إسلامي مهمة التعليق على مجموعة من كتب التفسير ببيان ما فيها من إسرائيلييات وموضوعات وإبطال كل ذلك ثم تطبع هذه التفسيرات وما عليها من تعليقات على نفقته كل قطر - حكومة وشعبا - وهذا الوجه وإن أبقى تراثنا في التفسير على ما هو عليه تقوم في سبيل تنفيذه نفس الصعوبات السابقة .

مناقشات المؤتمر الرابع صراحة مؤمنة وأمن مطع

كما اتسمت الجلسات بالصدق مع النفس ومع الواقع بعثه تطالع مؤمن بالله إلى يوم النضر المرتقب الذي هياه رب العزة للمؤمنين الذين ينصرون دينه ويتسمون خطى نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

لقد كان لقاء أعضاء المؤتمر وفود هلى الجدية المتحفزة يبتغون بيان الأسلوب الصحيح الموصل إلى أشرف غاية ، وأكرم مقصد ، وأعز هدف .

بدا كل ذلك فيما جرى من مناقشات وما تدارسه الأعضاء من وجهات النظر التي عرضت .

وبذلك أدوا الأمانة التي فرضت عليهم والتي سيسألون عنها أمام الله ثم التاريخ ... وقد فعلوا .

فكانت القرارات والتوصيات المنشورة بعد عرض الجلسات . وبقي هلى رؤساء الحكومات الإسلامية أن يترجموا هذه القرارات إلى واقع هلى ينبض بحموية دافقة دافعة يرضاها الله ويقبلها بقبول حسن ينحى

تابع ، تحرير المجلة ، ما داو فى جلسات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية واستمع إلى البحوث التي قدمت وما أمارته من نقاش .

وقد تميزت هذه الجلسات بسيطرة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية سيطرة كاملة . تبحت مواطن العلل وتطب لها فى صراحة وحصافة .

وكان تشخيصا لممكن الداء ما جاء فى كلمة الإمام الأكبر فى حفل افتتاح المؤتمر :

« إننا لو انتصرنا ونحن على ما كان فى مجتمعنا من خلل وانحراف لازدنا جرأة

على محارم الله ، ولجعلنا النضر شهادة هلى صدق التحلل وسلامة الانحراف وصواب الانفلات من حضرة الله ومبادئ الإسلام .

ولهذا كانت الهزيمة غير عليمنا من الله ، لأن فىنا وجدان الدين وإن لم يكن لنا سلوك المتقين ، فحاسبنا ربنا لئرجع إليه وابتلانا لنقبل عليه ، وذلك قانون الأحباء يحتم مراة الجرعة تقريبا لحلاوة الشفاء .

اليهود بالمسجد الأقصى ودعوته أتباعه للصلاة في يوم قال وما حدث من اجتماع الحاخامات وإصدارهم بياناً يعتبرون فيه القدس أقدس مقدساتهم وأن جبل البيت حق لهم بالفتح أو بالشراء .

وطلب إلى المؤتمر أن يعضد ما جاء بقوة العلماء من اعتبار أى محاولة لتغيير حالة المسجد الأقصى والإبراهيمي عما كانا عليه انتهاك خطير لحرمتهما ولحرمة المسلمين في أنحاء العالم .

ثم تحدث بعده الأستاذ اسحق موسى الحسيني عضو المجمع فعرض بحثه موضحاً فيه :

المراحل التاريخية التي مر بها بيت المقدس منذ أن أنشأ الكنعانيون في الألف الرابع قبل الميلاد . وفي عهد العبرانيين وفي اليهود الإسلامية ، وبين سيادته الأسباب التي دعت المسلمين إلى العناية ببيت المقدس ورد مزاعم الإسرائيليين في أن بيت المقدس لهم بمثابة الرأس من الجسد ، ثم أهاب بالمسلمين بالمبادرة إلى إنقاذه صونا لكرامتهم وأداء لحق الله في أعناقهم .

الجلسة الثانية :

أعطيت الكلمة للسيد الأستاذ عبد الحميد حسن عضو المجمع فقدم بحثه « مسكنة بيت المقدس في الإسلام » الذي يجمده القارىء في مواد هذا العدد .

عن جيلنا أمام قادم الاجيال ما بدا من غبار خائق في مسيرتنا الدائبة وسعيننا الحثيث نحو حياة لائقة بخير أمة أخرجت للناس .

وهذه صورة وصفية لمسار دار في جلسات الفقرة الأولى للمؤتمر بقاعة الاجتماعات بمبنى محافظة القاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر ، وحضور فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر .

وأمانة فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

وحضور السادة أعضاء المجمع والسادة المدعوين للمؤتمر من مختلف الاقطار الإسلامية .

الجلسة الأولى :

كان أول المتكلمين في هذه الجلسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الساجح عضو المؤتمر فعرض بحثه « مسكنة القدس في الإسلام » فأبان المحنة التي يتعرض لها الإسلام الآن من الاحتلال الصهيوني لبيت المقدس وما يشعر به المسلمون من امتحان وألم ، وقد نشرنا في غير هذا المكان جانباً من هذا البحث وأشرنا إلى ما تضمنه من عناصر .

وقدم سيادته لعلباء المؤتمر بياناً عن الفتوى التي أصدرها العلماء لمجابهة ما حدث إثر الاحتلال الإسرائيلي للقدس من صلاة حاخام

نجاح الحركة الصهيونية في تحقيق أغراضها وعوامل فشل العرب في مقاومتها .

وتطرق الحديث إلى العدوان الثلاثي الذي وقع على مصر عام ١٩٥٦ بسبب تأميم القناة وأشار إلى تحيز الأمم المتحدة في كل قرار اتخذته بشأن القضية الفلسطينية .

وانتقل إلى الحديث عن عدوان إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ . وأشار إلى الموقف الدولي من هذا العدوان وموقف إسرائيل من قرارات الأمم المتحدة .

ورأى تدارك الأخطاء التي أدت إلى وقوع هذه الكارثة راجيا الله أن يحقق النصر للمسلمين .

الجلسة الثالثة :

بدأ هذه الجلسة الدكتور عبد العزيز كامل نائب السيد وزير الأوقاف مقدما بحثه عن دور اليهود في العدوان على قاعدة الإسلام في المدينة .

فبين كيف أن موقع اليهود في المدينة أعطاهم سيطرة اقتصادية وأن الصراع بين العرب واليهود في المدينة كان سابقا للإسلام .

كما عقد سيادته مقارنة بين ما يحدث الآن بيننا وبين اليهود وما كان يحدث أيام الرسول

وأعقبه الأستاذ وفيق القصار عضو المجمع فألقى بحثه بعنوان « الصهيونية العالمية ومأساة فلسطين العربية » .

وقد قدم له بمقدمة قصيرة ذكر فيها أنه تناول في بحثه النواحي الهامة في المأساة التي عاشها العرب المسلمون متتبعاً التسلسل التاريخي راجيا أن يكون النصر المبين للمسلمين بإذن الله .

وقد بين سيادته نشأة الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومي اليهودي مبينا أنها نشأت بنشأة مذهب القوميات في القرن الثامن عشر فقام قسم من اليهود تحت تأثير هذا المذهب بالدعوة إلى القومية اليهودية على أساس ديني عنصري . وذكر كيف عقد جماعة من يهود الاسكينايز مؤتمرا في روسيا للدعوة إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ثم أشار إلى وعد بلفور وبين بطلانه من الناحية القانونية والدولية .

كما أشار إلى تصديق عصبة الأمم على وعد بلفور وبين كيف أن الحكومة البريطانية قد وفّت بوعدا لليهود وأخلت بعهدا للعرب .

ثم تحدث عن دور منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ في المشكلة وذكر عوامل

وقدم لذلك الأمثلة لما حدث في بلادنا وفي البلاد الأجنبية : وبشائر النصر منشورة في هذا العدد .

الجلسة الرابعة :

أعطيت الكلمة للأستاذ حسين جوزو يمثل وفد يوغوسلافيا فيبين كيف أن المسلمين في يوغوسلافيا وهم قلة غريبة بعيدة عن المجتمع الإسلامي يحافظون على دينهم الإسلامي وتقاليده وتراثه . وأن مشاكلهم الخاصة بهم لم تشغلهم عن متابعة قضايا إخوانهم المسلمين في أنحاء العالم . وأهم هذه القضايا قضية فلسطين في تطورها الأخير والتي يعتبر ما حدث فيها عارا على المسلمين لا يجوز الصبر عليه .

وذكر أن هذه القضية لا تعالج بالكلام وحده ولكن بالعودة إلى الله وتغيير أفكارنا حتى تتغير أحوالنا .

وعزا ما نواجهه من المشاكل إلى سلبتنا وجود علمائنا وتقليد الأفكار التي تحمل عناصر الإلحاد والمادية . واستشهد ببقائنا عشرين عاما منذ ضاعت فلسطين دون الاستعداد الكافي لاستردادها معتمدين على الخطب الحامية الجوفاء . ونحن في الحقيقة نعادي أنفسنا أكثر مما يعادينا أعداؤنا ثم تساءل : هل تغير سلوكنا عما كان عليه قبل الكارثة السوداء و كارثة ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

صلى الله عليه وسلم من تواطؤ اليهود مع قريش والمشركين ضد الإسلام ونبي الإسلام . وأن هذا التواطؤ كان سببا في نشوب حروب عديدة وأن اليهود فتحوا بيوتهم لإيواء أعداد الإسلام وأبانوا لهم عورات المدينة كما قاموا بخيانات كثيرة كعادتهم وأن الرسول دعاهم إلى كف الأذى واحترام المواثيق فاستخفوا بدعوته . ويجد القارئ مقتطفات منه في غير هذا المكان .

ثم أعطيت الكلمة للدكتور سيد نوفل الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية فقدم بحسه « الصهيونية وفلسطين » .

وقد بين في بحسه تعريف الصهيونية وذكر . أن القومية اليهودية في نظر اليهود دين وجنس معا . وأوضح أن فكرة « اليهودية قومية سياسية » تتضمن أن تكون القدس لليهود بمثابة روما للمسيحيين . ويجد القارئ تفصيلا للتعريف بالصهيونية في هذا العدد .

وتلاه سماحة الشيخ نديم الجهر عضو المجمع فقدم بحسه عن « بشائر معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل في ضوء القرآن والأحاديث والنواميس الكونية والتاريخ ، فقرر في مستهله أن ألف معركة خاسرة في ميادين الحرب أهون من معركة واحدة خاسرة في طوايا النفس والقلب وأن العكسة التي حلت بالمسلمين لن تكون السكة الأبدية

ثم تحدث الدكتور عبد الله العربي عضو
المجمع فأشار إلى كلية سماحة الشيخ نديم الجسر
وإلى ما دعا إليه فيها من تحقيق الاكتفاء
الذاتي للأمة العربية والإسلامية وقد علق
على ذلك بأننا لا نحرص استثمار مواردنا مع
أن الاحصائيات تثبت أن مواردنا غزيرة
وفيرة . ومن ناحيته أخرى فإن كل إقليم
يجمل إمكانات البلاد الإسلامية الأخرى
وإذا أردنا أن نعرف شيئاً عنها رجعنا إلى
مراجع أجنبية مع ما فيها من تضليل مقصود
في كثير من الأحيان .

وأوصى المؤتمر في ختام كلمته أن يدعو
مثل مصادر الثروة في الأقاليم الإسلامية
إلى اجتماع كل عام للتباحث ومحل المعارض
أو لإنشاء سوق إسلامية مشتركة حتى تنجو
من اضطوط الاحتكار العالمي ملاحظاً أن
التعاون الإسلامي ومادى ومعنوى .

وتحدث بعده الأستاذ نعيم النعيمي ممثل
الجزائر فذكر أنه ينتظر من المؤتمر نتيجة
عملية سريعة وأن أحسن ما نعتمد عليه
في هذا هو قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أَدْرِكُكم على تجهارة
تنجيكم من هذا بآلئيم . تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

وبعد أن ذكر أن القضية قد ازدادت
سوءاً وتعقيداً وأصبحت قضية أربع بلاد
عربية أو فلسطين وحدها تسامل عما كان
ينقص العرب وقت حلول الكارثة ملاحظاً
أنه لم يكن ينقصهم العدد ولا العدة وإنما
كانت تنقصهم العقيدة ، ورأى أن العلاج
الوحيد لجميع مشاكلنا يكن في الرجوع إلى
الإسلام من جديد ونبذ الأفكار الدخيلة
والاعتماد على أنفسنا وقيمنا وتراثنا .

ثم تحدث بعده الأستاذ مصطفى الزرقا ،
مثل وفد سوريا فتناول العلاقة بين الماسونية
الصهيونية باعتبار الماسونية الطريق المقنع
للصهيونية تحت شعارات السلام والإنسانية
وتغرر بالناس حتى توقعهم في شباكها ،
وزمامها الحقيقي في يد عدد محدود من اليهود
المقنعين وقد أشار إلى أنها قد أصبحت
مكشوفة وبخاصة بعد أن نشرت عنها
الرسائل والوثائق التي تؤكد ذلك .

وأعقبه الأستاذ عبد الوارث الصوفي ممثل
وفد عمان فتأسف لأننا لم نرتفع بعد إلى
مستوى الأحداث ولم تتغير عقليتنا بعد .
ورأى أنه ينبغي للمؤتمر أن يعالج القضية
بروح ملانمه لخطورتها وإلا حق فينا قول
الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه أننا
كغشاء السيل ثم رجا ألا نكون نحن المعنيين
بهذا القول .

ثم أعطيت الكلمة لصاحبة الشيخ عبد الستار السيد مفتي طرسوس . المنشور جانب منها في هذا العدد .

وتحدث بعده الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة - فقدم بحشه اليهود في العصور الوسطى ، مبينا أن اليهود دأبوا في دعايتهم على تأكيد فكرة اضطهادهم وتشريدهم ونبه على الخداع بتلك الدعاية استغلالا للمطف .

والحقيقة أنهم تعرضوا لبعض ذلك لسوء أخلاقهم تجاه الشعوب التي طأشوها واختيارهم المال على الله لأن في المال كما يعتقدون سعادتهم وذكر أنهم بعد انتشارهم في البلاد كانت بينهم صلات ثلاث : الدين والمال والدن .

وأنهم استغلوا التجارة العالمية وتعاملوا بالربا حتى أصبح الرؤساء فريسة لهم نتيجة الفوائد الفاحشة لذلك زادت نقمة الناس عليهم .

وضرب أمثلة لذلك ثم انتقل إلى أن المسلمين كانوا واسعي الصدر سمحوا لليهود بالإقامة بينهم وممارسة تجارتهم وصناعتهم بل أباحوا لهم التلذذ على أيديهم وتولى المهام الرسمية والاحتفاظ بهياكلهم ومعابدهم . ثم

وفي ضوء هذا النص القرآني المجيد بين الصفات اللازمة للجندي الذي يخوض المعركة حتى ينتصر وهذه الصفات تعتمد على الإيمان بالله أولا وقبل كل شيء .

ولاحظ أن كثيرا من ذوى القيادة والريادة لا يرجعون في أقوالهم إلى مشيئة الله أو إذنه بينما يعتمد الجهاد على الإخلاص والتوجه إلى الله .

وبين أن النصر يعتمد على سلاحين : مادي ومعنوي . وذكر أن المادي كثير ولا عذر لمن يدعى قدمه أو قلته . وأما المعنوي فيتمثل في اختيار الجندي ، وهنا أشار إلى ما ذكره الأستاذ مصطفى الزرقا بمثل وفد سوريا مبينا أن الحركات الهدامة لا تنحصر في الماسونية ولكن هناك مبادئ هدامة غيرها كالإلحاد الذي يأتي من الشرق والغرب على السواء ويغرر بالشباب المسلم حتى يتحلل من دينه وقوميته وأخلاقه الأمر الذي يحتم علينا أن نكون دائما يقظين حذرين . .

الجلسة الخامسة :

أعطيت الكلمة للدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الإسلامية فقدم بحشه عن د جوهر القضية الفلسطينية ، المنشورة في هذا العدد .

قابل اليهود الوفاء بالغدر والإحسان بالمنكر والمعرف بالجهود .
في جهة القتال في سبيل الله لأن الصفوف المرابطة للجهاد هي المساجد التي لا جدران لها .

وتلاه السيد / قاسم غالب وزير التربية والتعليم السابق بجمهورية اليمن فتحدث عن علاقة اليهود باليمن منذ أيام بلقيس وما جرت به على العرب من ويلات ، وأنهم حين فكروا في الهجرة إلى اليمن كانوا أصحاب مطامع فعملوا على التضليل والانحراف والاستغلال . وخرّبوا العقول بالشعوذات . وقدموا للفاشيين من الرومان والأحباش والفرس الوثنيين كل تعاون ..
أما بعد الإسلام فقد تأمروا مع بني قريظة وخير .

ثم ذكر أنه حين تبين للرسول خبيثهم رأى أن يضع حداً لخباثتهم ويقطع بذلك وسائل الغدر والخيانة .
وضرب أمثلة لذلك عبد الله بن أبي بن سلول .

وأهاب بالمسلمين أن يتنبهوا لهذا الخطر الصهيوني ويقفوا صفاً واحداً لاستئصال الشجرة الخبيثة وذلك بسياسة الصفاء والأخوة .
وبين أن اليهود عملوا على تأخير اليمن مستغلين نساءهم في الدعارة وارتكاب الجرائم الخلقية مضللين الناس بقولهم بإباحة شرب الخمر نقلاً عن أحد علماء المسلمين زوراً وبهتاناً .

ثم تلاه الاستاذ محمد طه يحيى فالتقى كلمته وموقف اليهودية من الإسلام والمسلمين في العصر الأول ، وقد نشر جانب منه في هذا العدد .
وختم كلمته بمطالبة المؤتمر بتوسيع نطاق الدراسات عن اليهود وأطاعهم توجيهاً للأجيال القادمة وطلب أن يسجل اسمه مرابطاً

الجلسة السادسة :

مذهب الرأسمالية ومذهب الشيوعية
على السواء .

ثم قدم مثالا آخر في كيفية تأثيرهم في المجتمع الإسلامي من خلال تلاميذهم بمثل كتاب « العرب أمام الغرب » للسيد عبد الله العلوي من مراکش ، وهو كتاب مليء بالمعلومات التي تؤثر نفسيا بطريق عجيب ، كقوله في مقدمتين : المسلم يرى دينه أفضل الأديان وأن المسلم يرى أن المجتمع الإسلامي مختلف ، تاوكا النتيجة ليحدث الصدام النفسي يحدث بين قضية عقلية وواقع مشهود ليصل بطريق ماكر إلى أنه لا يمكن لدين يفتخ عنه التخلف أن يكون أفضل الأديان ويستقر ذلك تلقائيا في نفوس الشباب ، وهذا ما يقصد إليه أمثال هؤلاء الأساتذة ولا يعنيهم أن يغالطوا في ربط القضية الثانية بالأولى ربطا خاطئا ولا يعنيهم أن يزهقوا الحق ويروجوا للباطل .

وختم كلمته بدعوة المؤتمر لثبوت فكرة عن إقامة أعضائه في المؤتمرات القادمة في نخبات خاصة ، وأن يتحرى في توزيع بعض النشرات أو الكلمات التي تأتي من بعض المحبين المربين ، ثم أعطيت الكلمة للأستاذ إدريس الكشاني من وفد المغرب .

فرأى أن الجزء الأكبر من المناقشات انصرف لمناقشة طرف واحد هو اليهود ،

ابتدأ الكلام بعد افتتاح الجلسة الاستاذ مالك بن نبي عضو وفد الجزائر فذكر أنه كان ينوي الكلام في نقطة خاصة في التاريخ اليهودي واتصاله بالتاريخ الأوروبي وأنه عمل عن ذلك وقرآن يقوم أمام المؤتمر بواجب مبنى على قول الله تعالى « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ...

وقال : يجب أن نلتفت إلى جانب المعادين من حيث إن أسرار المؤتمر ليست في القاعة دائما وإنما أيضاً في الأحاديث الخاصة التي يمكن أن تسرب إلى الخارج بوسائل خاصة . .

وركز على نظام النشرات الدعائية وتوزيعها ضاربا المثل بفكرة « من أجل تسوية عادلة للشككة الفلسفية » ، التي تقوم بتوزيعها مصلحة الاستعلامات والتي تتحدث عن فريق تكون في باريس من الشخصيات البارزة الفرنسية وجهودهم لمعالجة هذه القضية وعلق على ذلك بأن موقفنا ينبغي أن يكون بالتحفظ اقترن بالجمالة لا بنشر هذه الأقاويل بين مجتمع إسلامي أو مؤتمر إسلامي موضحاً أن الشخصية اليهودية معقدة تعمل في كل اتجاه وتتلون حسب الظروف حتى تضمن الربح على أي حال ، ضاربا المثل بأنهم واضعو

هذا ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية وكندا . وأن العالم لذلك لا يهمه إذا كان العرب قد أقاموا في فلسطين وقتنا طويلا أو قصيرا ، فما وقفنا نحن كسليين وبخاصة بعد أن صرح اليهود بما صرحوا به بشأن الأرض التي اغتصبوها ؟

يجب أن نرجع إلى الله ، وإنا مع سمينا للسلام فلا بد أن نستعد للحرب لأن هذا هو المنطق الفاجع الوحيد .

ثم أعطيت الكلمة الأستاذ عبده الشخيلي من وفد العراق :

فذكر أن حكم الله في شأن قضية فلسطين معروف للجميع وأن الجهاد في سبيل الله لا نقاذ ديار الإسلام والمسجد الأقصى قد أصبح فرض عين . ثم بين أننا نحتاج إلى الإيمان بالله بعد أن ابتعدنا كثيرا عن تعاليم الإسلام فدخل في قلوبنا الوهن .

وركز على أنه يجب ألا نسقط من حسابنا القوة الإسلامية التي تتدفق وراءنا وتساندنا في كل البلاد الإسلامية فالكثير من الشباب المسلم متمطش للبذل والتضحية والفداء .

واقترح أن يؤلف المؤتمر وفدا إسلاميا من أعضائه يطوف بالبلاد الإسلامية ليقفها

وأغفل طرف المسلمين مع أنه يجب البحث فيه أيضا ورأى أن العاملين الأساسيين للمسكبة يونيو ١٩٦٧ هما التخلف والاختلاف مشيرا إلى أن التخلف ليس ظاهرة اقتصادية لحسب بل هو ظاهرة نفسية اجتماعية أيضا توجد في الأوساط الغنية والمتثقفة كما توجد في الأوساط الفقيرة والجاهلة وأن الاختلاف يعود إلى أننا انطلقنا للدعوة إلى الوحدة العربية من مبدأ خاطيء هو الاتحاد في إطار دولة واحدة بينما أثبت نظام الاتحاد الفيدرالي نجاحه في الشرق والغرب وهذا النظام يتفق مع طبيعة الشعوب العربية .

ثم اقترح أن يصدر المؤتمر توصية للشعوب والدول العربية والإسلامية بتمكين عرا التضامن والاتحاد للوقوف في وجه العدو وقفة الامة الواحدة .

ثم تحدث الحاج ل . ب . أوغسطو من وفد نيجيريا .

وبعد شكر الداعين للمؤتمر بين أن السؤال القائم الآن هو :

هل أقام اليهود في هذا البلد أم لا ؟ وذكر أنه لا يفكر أحد مطلقا في أن السكان الاصليين لآستراليا سوف يعودون إليها ، وأن من أقاموا فيها سوف يتركونها ، وأن

للقيام بعمل حاسم يحقق الأمل وبين أن من الخطأ القول بأن يعزى موت الأمة إلى الظروف والزمن وإنما مرد حياتها أو موتها إلى عمل أبنائها . فنصوص القرآن صريحة في أخذ العدة لمجابهة الأعداء وأن الجهاد باب من أبواب الجنة من تركه منى بالخزي والخسران . ثم سأل الله التوفيق للمؤتمر .

ثم أعطيت الكلمة للسيد / مصطفى سيس ممثل الاتحاد الوطنى للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنگال .

أذكر أنهم فى السنغال ينتظرون نتائج هذا هذا المؤتمر بقلوب ملؤها التفاؤل والأمل وأهاب بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجمعوا كل ما لديهم من وسائل لاسترجاع قبلتهم الأولى وثالث الحرمين وأن يخرجوا بأنفسهم فى هذه المرحلة الخطيرة من نطاق الكلام إلى العمل الجدى .

وأعطى صورة عن الاتحاد الوطنى للجمعيات الثقافية الإسلامية فى السنغال وهرض لما تقوم به من خدمات وذكر من أهم هذه الخدمات العمل على أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد وتمنى لمجلة «أفريقيا المسلمة» التى يصدرها الاتحاد أن تكون لسان حال المسلمين وأن تكون همزة الوصل فيما بينهم . وتحدث بعده السيد / أحمد ألتوا من

عن حقيقة الوضع الراهن لأن الكثير منها يتلقى الأخبار عن طريق وكالات الأنباء الأجنبية المعادية للإسلام والمسلمين .

الجلسة السابعة :

بدأ الحديث فى هذه الجلسة اللواء الركن : محمود شيت خطاب من وفد العراق :

فألقى بحشه عن (إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى) الذى نشر جانب منه فى هذا العدد . وقدم مقترحاته التى تتضمن العمل على توحيد الصفوف ماديا وعسكريا وتصحيح الأوضاع الفكرية والثقافية والتربوية والخطيط السليم لكل أوجه نشاطنا قائما على التمسك بمبادئ الإسلام وتطبيقه تطبيقا جادا نصا وروحا .

وتحدث بعده فضيلة الأستاذ محمد أبوزهرة عضو المجمع .

فألقى بحشه فى (الجهاد) وقد نشرنا أهم ما تضمنه فى هذا العدد .

الجلسة الثامنة :

كانت كلمة سماحة الإمام على كاشف الغطاء إمام الشيعة الإثنا عشرية فى العراق .

بدء هذه الجلسة :

وقد ذكر فيها أن العالم الإسلامى اليوم يمر بأخطر مرحلة فى تاريخه وطالب بأخذ العدة

الفلبين معلنا أن مسلمي الفلبين شعروا شعورا عميقاً بمرارة النكسة وصداها الاليم .
الذى تناصبه إياه بعض الدول المجاورة له كالحبشة وكينيا .

وأبان أن ما قد يبدو لنا من مؤازرة بعض الدول ليس للإسلام والمسلمين فيه حساب وأن هذه الدول تقيم سياستها وعلاقاتها بغيرها على أساس المصلحة الذاتية ودعا إلى أن يستيقظ المسلمون وفتبها ولا يخافوا الطريق الصحيح إذ لا طريق لهم إلا الأخذ بطريق الإسلام .

ثم تحدث الأستاذ الشيخ محمد عادل الشريف خطيب المسجد الأقصى فألقى كلمته و أضاء على حالة العرب والمسلمين بعد حرب يونيو ، أبان فيها أنه لا مجال لكثرة الكلام وأشار إلى أن العرب لم يكونوا جادين في مواجعتهم لإسرائيل وأرجع سبب الفشل في المعركة الأخيرة إلى التجافي عن الصراط المستقيم والفرقة والاختلاف والتهاون في الجهاد .

وختم كلمته بالدعوة إلى الاتحاد والوقوف صفا واحداً في وجه الغاصب المعتدى .

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ إبراهيم حاجي من الصومال :

فتمحدث عن النشاط الصهيوني في شرق أفريقيا وتاريخ تقسيم الصومال وأبان أنه

خطأ استعماري وربط بين المشاكل التي يعانيها الصومال المسلم وبين الموقف العدائي

وانتقل إلى الحديث عن اللغة العربية في الصومال وبين أن المحاولات التي بذلت للتخلص منها بامت بالفشل كلها .

وأعطيت الكلمة للسيد / قاضي حاج سالي من السكاميرون :

فأعرب عن شعور مسلمي السكاميرون وتضامنهم مع مسلمي العالم وراء قضية فلسطين وأبدى يقينه بأن هذا المؤتمر سوف يعمل بمجد في حل المشاكل المعروضة عليه

وأكد أن شعب السكاميرون سوف يعمل على أن تكون هذه القرارات مفيدة ...

ثم تحدث الأستاذ إدريس الكتاني من المغرب : فأعرب عن تفاؤله بأن المؤتمر في هذه الدورة سوف يسفر عن نتائج إيجابية وقدم مشروعا ببعض التوصيات التي رآها معبرة عن اتجاهات المؤتمر وأهدافه .

الجلسة التاسعة :

أعطيت الكلمة بعد افتتاح الجلسة لفضيلة الشيخ عبد الله غوشة لتقديم بحثه « الجهاد طريق النصر » وقد نشر جانب منه في هذا العدد .

ثم قدم سماحة الشيخ حسن خالد مفتي جمهورية لبنان بحثه « الجهاد في سبيل الله » .

كاشف الغطاء والعراق أنه يعلق على المؤتمر الآمال الكبار واقترح إنشاء الجامعة الإسلامية وعقب الأستاذ مالك بن نبي مؤيدا وجهة نظر الدكتور هيثم خليل عن نظام المؤتمر كما عقب على كلمة فضيلة الشيخ كاظم الكفائي واقترح تحقيق الوحدة الإسلامية هن طريق لإنشاء كومنولث إسلامي مبينا أن هذا العمل لا يتعارض مع وجود الجامعة العربية .

ثم تحدث سماحة الشيخ نديم الجسر فأبدى اتجاهه إلى التوسط بين الرأيين ورأى أن يستمر المؤتمر في الإستماع إلى البحوث مع تكوين لجان تباشر عملها ، وبعد الاستراحة تكلم السيد | ضياء الدين بابا خانوف مفتي طشقند .

فألقى كلمته مبينا أن المسلمين في الاتحاد السوفيتي يتطلعون إلى هذا المؤتمر ودعا المسلمين إلى الوحدة والتضامن .

ثم صرح فضيلة الامام الأكبر بأن الاقتراح الذي تقدم به سماحة مفتي لبنان سينفذ فعلا وأن اللجنة التي كونت لدراسة المقترحات تقوم بعملها فعلا .

الجلسة العاشرة :

بدأ هذه الجلسة بعد افتتاحها السيد / كاظم

وشكر القائمين على إدارة المؤتمر لما بذلوه من جهد مبينا أنه كان يرجو أن يقسم المؤتمر إلى لجان تلخص ما ارتأته من مقررات حتى تنتهى من عملنا سريعا كما شكر العلماء المدعوين على ما قدموه من بحوث .

ثم تحدث الدكتور الباقر فشكر سماحة مفتي لبنان وأبان أن المناقشات التي جسرت كانت مفيدة وأن أمانة المجمع كونت اللجان فعلا وهي تتابع عملها .

وأعقبه الدكتور عثمان خليل عثمان فعقب على حديث سماحة مفتي لبنان أن المؤتمرات التي تعقد على غرار هذا المؤتمر تقوم على هدفين : إعلامي توجيهي وآخر فني خاص ، يخصص الشق الأول من المؤتمرات للهدف الأول والشق الثاني للهدف الآخر .

ثم عاد سماحة الشيخ حسن خالد فبين ما كان في حديثه الأول من أن قراءة البحوث كما هو جار غير مفيد وأن الأفضل أن يقرأها كل عضو ويضع عليها ملاحظاته ويقدمها لرئيس المؤتمر على أن تؤلف لجان لتقدم المقررات التي تراها .

ثم تحدث الشيخ كاظم الكفائي وأعلن باسم النجف الأشرف وسماحة الإمام على

في كلمة اللواء محمود شيت خطاب من أن الرسول كان يختار أسلوب المباغثة في الحرب وقرر أن الإسلام لا يلجأ إلى المباغثة إلا عندما تكون الحرب متصلة والأرض محتلة والاعتداء قائماً .

ثم أعطيت الكلمة لفضيلة الأستاذ عبد الرحمن القلمود عضو الجمع .

فأعلن استعداد شعب ليبيا لخوض حرب مقبلة يدق لها ناقوس الخطر ويدهى لها باسم الله .

وقرر أن المسلمين جميعاً مدعوون للمساهمة في رد العدوان الغادر . وأوضح أن مساهمة المسلمين الجديدة من شأنها أن تدعم الدول المجاورة لإسرائيل وأن تجعل دولة صغيرة مثل الأردن قادرة على صد الطغيان وتأييد إسرائيل .

وعرج على بيان أنواع الجهاد ودعا إلى الأخذ بكل أنواعه وفي مقدمتها الانفاق المالي في سبيل المعركة . كما دعا إلى أن يقدم خبراء الحرب في أي بلد إسلامي أنفسهم وخبراتهم في هذا السبيل .

الجلسة الحادية عشرة :

أعطيت الكلمة لفضيلة الأستاذ الشيخ

[٨]

الكفائي فألقى بحث سماحة الامام على كاشف الغطاء الجهاد وبواعثه والخطوة الاولى لمؤتمر مجمع البحوث، وقد استعرض العناصر الفقهية لفريضة الجهاد.

ثم اقترح أن يتخذ المجمع خطوة إيجابية بأن يوجب على كل مسلم أن يدفع جنيتها في العام ليقدم للعاملين على تحرير الارض العربية من الاحتلال وأن يطلب من رئيس كل بلد أن يلزم رعيته بذلك وأعلن أن سماحة الإمام مستعد لتنفيذ هذا القرار في بلاده ثم تحدث اللواء الركن محمود شيت خطاب مقترحاً أن يكون الكتاب الذي يصدر للتعريف بالجهاد مشتملاً على المصطلحات العسكرية الحديثة وطلب أن يخطط للكتاب على أساس فقهى وهلمى وثقافى سليم وأن يشترك في وضعه الخبراء ... وتحدث فضيلة الشيخ محمد على الجوزو مفتي جبل لبنان فقوه بالاساس الروحي لهذا اللقاء ونتائج المؤتمر وقال :

لانه لايجوز لهذا المؤتمر أن يلتقى من أجل البحوث التى تلقى فيه فحسب بل لابد من أن ينبثق عن اجتماعه نتائج عملية تثقل قراراته من حيز الاصدار إلى حيز العمل والتنفيذ . وطالب بأن يتحرك العلماء من أجل تنظيم سياستى دينى على مستوى العالم .

وعلق فضيلة الشيخ نديم الجسر على ما جاء

الجلسة الثانية عشرة :

بدأ الحديث في هذه الجلسة بعد افتتاحها
الأستاذ لطفي دوغان رئيس الشؤون الدينية
بالوكالة في تركيا .

وبعد أن استعرض طبيعة الصراع بين الحق
والباطل أوضح أن الإسلام قد بين طريق
الخلاص للمسلمين وأبان أن الذين يفرطون
في مسؤولياتهم مسئولون أمام الله وهم
مسئولية خطيرة .

وتحدث عن مكانة المسجد الأقصى وأكد
أن الأحداث الأخيرة سببت آلاما جساما
للمسلمين .

وأعقبه الحاج م - ا أوسيتي من نيجيريا
فشكر المؤتمر وتطرق إلى الحديث عن قرارات
الأمم المتحدة ورأى أننا لن نصل إلى شيء
عن طريقها وذكر أن ذلك هو رأى المسلمين
في نيجيريا .

ثم أعطيت الكلمة للواء الركن محمود شيت
خطاب فذكر أن المؤتمر قد حقق نجاحا كبيرا
في التعارف بين علماء الإسلام وأبان أنه
لم يكن ينقصنا السلاح وإنما كانت تنقصنا
العقيدة ، وذكر أن اليهود يعقدون مسابقات
للجنود في مدى تفهم التوراة وتسامل : لماذا
لا نفعل ذلك مع جنودنا ؟ .

عبد اللطيف السبكي لالقاء بحمته ، الجهاد
في الإسلام ، الذي نشر بعض ما جاء فيه
في هذا العدد .

ثم أعطيت الكلمة للسيد د أبو هشام ،
ممثل منظمة دفتح ، لتحرير فلسطين فألقى
بيان منظمة دفتح ، للمؤتمر والمنشور في غير
هذا المكان .

وختم كلمته معلنا أن ثوار فلسطين ينتظرون
قرارات المؤتمر ثم قدم تسجيلا لاحتفال
الصهاينة يوم ٦ من يونيو أثناء دخولهم بيت
المقدس يهتفون - خست ألسنتهم - د محمد
مات . خلف بنات ،

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ محمود تونس
فألقي بحمته ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ،
والذي نشرت خلاصته في هذا العدد .

ثم أعطيت الكلمة للحاج سوري إبراهيم
كانوا من سيراليون خيا الحاضرين وأعلن أن
مسلمى سيراليون ليس لهم الحق في أن يقرروا
شيئا نيابة عن حكوماتهم لأن حكوماتهم لجميع
العوائف وذكر أن التريية في سيراليون
تريية مسيحية وأشار إلى أثر ذلك على
النشء وطلب من المؤتمر أن يرسل من
ينشر مبادئ الإسلام وذكر أن المسلمين
في سيراليون مستعدون للجهاد والموت
في سبيل الإسلام .

من توجو وبعد أن أعرب عن شكره لحضور هذا المؤتمر ذكر أن الوسيلة لمحو العدوان الذى وقع على الأمة الإسلامية هى الحرب السريعة وأن المسلم يفضل الموت فى سبيل العقيدة .

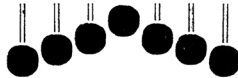
وأضاف أن اليهود يعملون على إحياء العبرية حتى أنهم نالوا جائزة نوبل ، بينما نحن ندعو إلى العالمية وهى دعوة مسمومة من شأنها تقطيع أواصر العالم الإسلامى وطالب بمقاطعة الأفلام الجنسية .

ثم تحدث الأستاذ مالك بن نبي فأشاد إلى أنه فى كل وطن وشبر من أرض الإسلام مأساة وأن مشكلة فلسطين ما هى إلا فصل من هذه المأساة يجب ألا ينسينا بقية الفصول وأن ذلك يقتضى عقد مؤتمرات أخرى وإتاحة الفرص لاجتماع علماء الإسلام لدراسة أوضاع العالم الإسلامى وأكد أن العقيدة سلاح خطير للنصر على العدو وقدم لذلك عددا من الأمثلة كما أكد أن اقتراح ماليزيا بتشكيل اتحاد إسلامى لآبد فى ذلك تذكيراً لكل مسلم بعقيدته بخلاف الدعوة إلى القومية التى من شأنها أن تذكر كل إنسان ببلده الخاص . .

واستعرض بعض الأمور التى ركزت عليها الصحافة وأجهزة الإعلام بما فيه مجاعة للقطنة وبعد عن إدراك من هم أعداؤنا ومثل لذلك بزيارة جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار .

وأعطيت الكلمة للسيد / وان عبد القادر من ماليزيا فأكد أن ماليزيا كبلد إسلامى تحب أن تكون فى الصفوف الأولى مع شقيقاتها العربية والإسلامية . وأنه يجب علينا العمل وبسرعة وأشار إلى جمهور ماليزيا فى سبيل الوحدة الإسلامية .

ثم أعطيت الكلمة للسيد / قاسم مفسما



قرارات وتوصيات الفترة الأولى

قدمها علماء المسلمين من القارات الثلاث :
آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا وأهقيتها مناقشات
تلاقت عندها مشاعر أعضاء المؤتمر في إجماع
ولإصرار على مواجهة فداحة الواقع الذي
تعيشه الأمة الإسلامية اليوم :

يعلن المؤتمر :

أولاً :

(أ) أن أسباب وجوب القتال والجهاد
التي حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها
متوافرة في العدوان الإسرائيلي ، بما كان
من اعتداء على أرض الوطن العربي الإسلامي ،
وانتهاك الحرمات الدين في أقدس شعائرها
وأماكنها . وبما كان من إخراج المسلمين
والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة
ووحشية في تقهيل المستضعفين من الشيوخ
والنساء والأطفال .

لهذا كله صار الجهاد بالاموال والآنفس
فرضاً عينياً في عنق كل مسلم يقوم به على قدر
وسعه وطاقته مهما بعدت الديار .

(ب) يحيي المؤتمر طلائع الفدائيين

● إيماناً بالوحدة الإسلامية التي طبع
عليها الإسلام أتباعه .

● واستجابة لدعوة الإسلام إلى التواصي
بالحق والتعاون على البر .

● وتحقيقاً لمبدأ التكافل والمناصرة
الذي دعا إليه القرآن وحث عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

● وانتصاراً للحق والعدل ، ودفاعاً عن
العتيدة والوطن والعرض ...

لبي علماء المسلمين في العالم دعوة مجمع
البحوث الإسلامية ، لمؤتمره الرابع الذي
عقد في رحاب الأزهر الشريف في شهر رجب
سنة ١٣٨٨ هـ ... وقد خصصت الفترة الأولى
منه لقضية فلسطين واحتلال بيت المقدس ،
وانتهاك حرمانه والعدوان على الأراضي
العربية .

وعلى أساس من تعاليم الإسلام ومبادئه ،
وفي ضوء الحقائق التاريخية والمبادئ
الإنسانية والاعراف الدولية ، تدارس
المؤتمرون ما يربو على خمسة وعشرين بحثاً

- (ح) يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الروحية وتعميق القيم الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والقوات المسلحة ، وفي كل وسائل النشر والإعلام ، ويحثهم على التمسك بتهاليم الإسلام وآدابه وحشد القوى في جميع المرافق والمصانع والمزارع استعدادا لمواجهة احتمالات الموقف .
- (د) كما يدعو إلى دعم الجهات العسكرية العربية وبخاصة الجهة الأردنية .

ثانيا :
(أ) أن المؤتمر إذ يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الإسلامية من جهود حميدة في سبيل الهدف المشترك ، يوصى بالمزيد من هذه الجهود وبالتفسيق بينها ، ليقف المسلمون صفاء واحدا في مواجهة الموقف الحاسم .

- (ب) يدعو المؤتمر إلى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية لتوثيق عرى المودة والتآخي والتعاون الفعال بين البلاد الإسلامية تمهيدا لقيام الجامعة الإسلامية المنشودة .
- (ج) يوصى المؤتمر بالتعاون الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل على تفسيره بما يحقق التكامل بين الدول الإسلامية والعربية .

ثالثا :

يدعو المؤتمر جميع الحكومات الإسلامية

والمواطنين على خطوط القتال وبقدر نضالهم ، وصمودهم ، وإصرارهم على النصر .

(ج) يدعو المؤتمر إلى دعم الكفاح الذي يخوضه أبناء الشعب الفلسطيني وإمداده بكل أسباب القوة التي تضمن له الصمود والتصعيد ، وتحقيق له هدفه وغايته .

(د) كما يدعو إلى دعم الجهات العسكرية العربية وبخاصة الجهة الأردنية .

(هـ) يبارك المؤتمر الوحدة العسكرية العربية ، ويدعو إلى وضعها موضع التنفيذ ، ويهيب بالدول العربية إلى تقوية القيادة العربية الموحدة ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة ماديا ومعنويا .

(و) يوصى المؤتمر بحشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة العربية والإسلامية ، وتدريب جميع القادرين على حمل السلاح وعلى استعماله .

(ز) يدعو المؤتمر إلى إنشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني ووعاية أشر المجاهدين والشهداء ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع في كل بلد إسلامي ، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فإن الإنفاق في سبيل الله من البر الذي أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التي نص القرآن الكريم عليها .

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته، وأن الحرم الإبراهيمي في الخليل مسجد إسلامي مقدس، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمة وقدسيته .

خامسا :

(١) أن أمانة الدعوة إلى الحق، وواجب الإخلاص في النصيحة لله ولرسوله ولآئمة المسلمين وعامتهم، لتوجب على المؤتمر أن يدعو الشعوب والحكومات الإسلامية إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والاخذ بتعاليمه، فذلك طريق النصر، وصديق العزة والكرامة : د إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

(ب) يهيب المؤتمر بالمسلمين - شعوبا وحكومات - أن يأخذوا بأسباب العلم والقوة ليحققوا لمجتمعاتهم وأوطانهم النصر والأمن ويوفروا لهم الطمأنينة والرخاء : د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم .

سادسا :

(١) يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل ، وتأيدها

أن تقطع كل علاقة لها مع إسرائيل أيا كانت هذه العلاقة ، ويقرر أن التعامل مع العدو في أية صورة من صور التعامل طعنة موجّهة للمسلمين جميعا ، ومخالفة لتعاليم الإسلام . قال تعالى : د لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

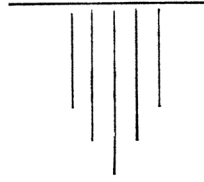
رابعا :

(١) يهيب المؤتمر بالمسلمين في كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجهم الديني في تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلة والحفاظ على قداسه وهروبه ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجهم ومثوى الشهداء من صحابته .

(ب) يؤكد المؤتمر الفتوى الديقية الصادرة من علماء المسلمين وقضاةهم ومفتيهم في الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧ م، والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الديني يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة ، والساحات المحيطة بهما ، وما عليه السور وفيه الأبواب .

لعدوانها، ويعتبر تلك المساندة وذلك التأييد
تحدياً وعداء للأمة الإسلامية واستهانة
بمشاعر المسلمين .
ولن يتوانوا عن بذل النفوس والأرواح
في سبيل الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم
واسترداد أرضهم الصليبية .

(ب) يعلن المؤتمر أن المسلمين في مختلف
بلادهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الاطماع
الصهيونية العنصرية في العالم العربي الإسلامي
واقفه يقول الحق وهو يهدي السبيل .
صدر بالقاهرة بتاريخ ١٣ من رجب ١٣٨٨ هـ
الموافق ٦ من أكتوبر ١٩٦٨ م



يقول الله تعالى :

د شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم
وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، .

(سورة المائدة)

those recommendations to tighten the bonds of amity, brotherhood and effective cooperation between the Islamic countries prior to the establishment of the cherished Islamic League.

The conference also called for economic cooperation between the Arab and Muslim countries to the farthest possible extent, and that steps be taken towards its coordination to ensure integration among them.

iii) The conference appealed to all Islamic governments to cut off all relations whatever with Israel, and stressed that cooperation with the enemy in any form is a stab against all Muslims as well as violation of the teachings of Islam.

iv) The conference further urged Muslims everywhere not to overlook the religious duty of liberating Jerusalem and all occupied lands to preserve their sanctity and Arabism, because the Jerusalem is the first 'Qibla' (of Prophet and his followers), the third most holy places of Islam, and to which the Prophet was carried from the sacred 'Mosque of Mecca in the Night of 'Ascent'.

The conference confirmed the religious verdict issued by Muslim Ulemas, judges and multas in the Western Bank of Jordan on August

22, 1967 which ruled that the Aqsa Mosque in its religious concept covers the Aqsa Mosque as well as the holy Dome of the Rock, their precincts, including the walls and the doors. The scholars declared aggression on any of these parts of the Mosque as desecration of the sanctity of the Aqsa Mosque and its holiness. They also declared that the Ibrahimi Shrine in Khalil (Hebron), is a sacred Muslim Mosque, any aggression upon it, is therefore a profanation of its sanctity.

v) The conference also urged Islamic peoples and governments to adhere to the Holy Book and the Hadith and to adopt means of scientific development to strengthen them on the road to victory, power and dignity.

vi) The conference denounced the support of certain countries for Israel and Israel's aggression and declared such support both a challenge at, and a demonstration of enmity towards Islamic people.

The conference declared that Muslims everywhere will not remain mere spectators in the face of the Zionists' racist ambitions in the Arab and Islamic world nor will they shrink from giving their lives in defence of their countries and sanctities, and for the restoration of their usurped lands.

Resolutions and Recommendations

The Fourth Conference of the Islamic Research Academy issued its resolutions and recommendations at its closing sitting, of the first stage, on Saturday 6th October 1968. The conference announced :

i) The causes for which the 'Jihad' must be taken as defined in Qur'an, are all manifest in the Israeli aggression. The Israelis have violated the sacred places, expelled Muslims and Arabs from their homes and brutally killed old men, women and children.

The conference hailed the resistance fighters and troops deployed along the frontlines and appreciated their struggle, their steadfastness and called for providing them with all means of strength.

Calling for consolidation of the Arab military fronts, especially the Jordanian front, the conference demanded implementation of Arab military unity.

The conference appealed to the Arab states to strengthen the United Arab Command and called upon all Muslims to support this unity, to mobilise all material and moral resources of the Islamic nation, (Arabs and non-Arabs) and to train all in bearing arms.

The conference urged the establishment of a fund to finance

the struggle of the Palestinian people and the care of the families of the strugglers and the martyrs. This fund, it said, should have branches in all Islamic countries and should be partly financed by Zakat given by Muslims.

The conference called on Muslims to hasten to mobilise their spiritual forces and deepen Islamic values in schools, institutes, universities, mosques, the armed forces and all information media. Muslims, they said, should muster also forces in all utilities farms and factories to cope with all eventualities of the situation.

ii) The conference expressed appreciation of the efforts being made by the Islamic governments and peoples towards the common objective, and recommended more such efforts be exerted and co-ordinated so that Muslims' ranks may be unified in the confrontation of the present situation.

The conference urged the formation of a delegation to assume the responsibility of implementing

of the Karmia sect, and traditionist Bakr Ibn Suhail Al Demiati.

The Israelis now claim that Jerusalem is to them as the head is to the body.

We wonder which Jerusalem they have in mind. It is the historic Orshalim, twice pulled down by the Romans and whose name was obliterated by them.

It is the city whose ruin was predicted by Christ when he said, "O! Orshalim... Ordaslim... Killer of the prophets and the stoner of messengers to you... Here; your house; has become shambles.

Christ also told one of his disciples, Look at these great buildings none of them will not fall down in in pieces.

Even their prophet Solomon had a similar prediction. He said "I tear off Israel from the face of the land I have given them, and the house I have sanctified with my name, I remove from my sight".

This Orshalim collapsed because of them. The Muslims when they conquered the town, did not take it from the Jews but rather from the Romans enemies of the Jews. They preserved its churches and temples.

Under the Muslim rule alone, the Jews started returning to the town, and setting up temples and institutes in it according to the relevant conditions prescribed by Islam for the people of the Book.

Muslims during their twelve-century rule of Palestine, also took Baitul Makis for their capital, owned the land of Palestine by lawful means; and had most of this land endowed for charity and purposes of worship. The town was never destroyed or burnt all through their rule. Moreover, they built Mosques, schools, places of prayer and alms houses with their own money.

They held tenaciously and patiently to their homes and their blood was shed and their bones buried on its soil. What right then the Israelis now have to claim the town as their holy land? If such a claim be based on historical facts, history tells us that their town was completely destroyed 18 centuries ago. If the right be one of construction, history also shows that it was the Muslims who built and developed it, and if it be founded on the right of possession, history again rules that it was the Muslims who owned the land for twelve centuries.

parallel where God's praise was celebrated everywhere.

Muslims used the courtyard of the holy shrine, the two big mosques and the halls as schools where to teach religious subjects.

Most pilgrims stopp'd in Beitul Makdis on their trip to the inviolable House of God, and on their return with the result that the holy town came to be a place where Muslims sought blessings as they did in the holy Qaba. They liked coming to it for pilgrimage or visits. Abu Daoud on the authority of Um - Muselmah reported the Prophet to have said " he who intends to perform a pilgrimage or Umra from the Aqsa Mosque, will have his previous sins propitiated by God".

A number of ancestors including Ibn Umar, Muadh, Kab Al Ahbar intended to perform pilgrimage from Jerusalem.

Muslims loved the town, yearned for it, defended it with their very souls, surrounded it with all their care and attention, and expressed their feelings in their books and messages on the "Merits of Beitul Makdis".

Ibn Maja in his sunan, quoted Maimuna, a client of the Prophet, as saying: " O Apostle of Allah ;

advise us on Bait ul Makdis. The Prophet said " It is the land of the congregation and of the Rising of the Dead. Go to it and pray, for one prayer in it counts as one thousand prayers in other places".

The Prophet was also reported to have said, "He who dies in Bait ul Makdis, is as though he died in heavens.

Ibn Abbas on the other hand, said, " He who performs the pilgrimage, and prays in the Madina mosque and the Aqsa Mosque in the one and the same year will be as clear of sins as on the day he was born.

Ibn Abbas further quoted the Prophet as saying, "He who wishes to behold a spot of Heaven, let him behold Bait ul Makdis".

Anas ibn Malik also said, Heavens belong for Bait ul Makdis; the rock of Bait ul Makdis is a part of the Garden of Paradise and the navel of the earth".

In the town a large number of the Prophet's companions, followers and the militants " Mujahedin " were buried. They included Prophet's companions Obada Ibn Al Samit Al Ansari, Lhaddad Ibn Aws the Ascetic Um Al Khair Raba'a Al Adawia, theologian Mohammadien Karrar,

Second : For God has exclusively honoured it with the night journey of his Apostle and beloved prophet, saying in the Holy Book, "Glorified be He Who carried His servant by night from the Inviolable Place of Worship to the Far Distant Place of Worship the neighbourhood whereof We have blessed, that We might show him of Our tokens. Lo ! He, Only He, is the Hearer the Seer."

Third : For in it there exist the first of the Kiblas and the third of the sacred shrines. Al Tabari in his History quoting Qotada, said, "They used to pray with their faces set toward Bait ul Makdis while the Prophet on whom be God's peace and blessing, was in Macca before the Hejra, and after the migration, the Prophet prayed also with his face in the direction of Bait ul Makdis for sixteen months".

Al Bukhari on the other hand, quoted the Prophet as saying "Pilgrimage shall be made only to three mosques : this my mosque, the inviolable Mosque (of Macca and the Distant Mosque (Jeru salem)".

Al Siuti in Al Jameh Al Saghir quotes the Prophet as saying, "God the Almighty has blessed that which lies between Al Arish and the Euphrates, and has made Palestine a sacred Place".

Fourth : For Muslims considered the town as the gap through which a potential enemy would reach the holy Kaba and the Prophet's grave. Therefore, hardly and they settled down when they hastened to fill that gap and protect it thereby averting an otherwise grave danger.

For these four considerations, no Islamic era passed by without the Muslims making additions to the town, or repairing some old landmark.

Under Abdul Malik Ibn. Marwan, Muslims built the Mosque of the Rock on which they spent the proceeds of tributes from Egypt for seven years.

In the time of his son Al walid, the Aqsa Mosque and the Mosque of Umar were constructed. Both mosques were the most beautiful and magnificent structures by the Muslims in their capitals. They were even among the most glorious pieces of immortal art all the world over. To them were endowed most of the lands surrounding Baitul Makdis. The Caliphs, the Emirs and the pious sought God's favours by Keeping those mosques in a good state of repair, and serving them. More praying places were added, as well as domes, halls, minarets and schools so that Jerusalem developed into a museum without

the Arab East. In a few years' time 130 families from Spain joined the Jews of Jerusalem and the latter gradually rose in number of reach 1500 persons. With the continued flow of Jews into the town they came to number 1300 families in 1522 A.D. Muslims under their pious rulers, made no distinction between followers of divine religions, nor did they differentiate between God's Apostles. Their word was kept and their pledge was honoured.

In Jerusalem there emerged a unique spiritual renaissance, mosques, churches and temples existed side by side, the name of God was loudly hailed, and peace and tranquillity prevailed.

There were of course times of hardship from which the whole people suffered. These, however did not reach the extreme extent of inquisitions the burning of temples, and the elimination of prophets' relics.

The Jews taking advantage of that tolerant era, sought to distort the old Canaanite name of the town. They called it "Yoroshalaim" with a hebrew suffi to have a hebrew pronounciation in lieu of "Yuroshalm".

However, all archaeological, historical and linguistic indications prove that the city's name is an ancient Canaanite appellation, and

that the distorted name was later introduced.

The town after the Islamic conquest, was more commonly known by the name of Beitul Makdis or "Al Baitul Mokaddas" which provided evidence that they who used it, wanted for that town to be both sacred and pure for the sake of God, to which all the Faithful would flock for worship and to purge themselves of vice, and that fires, destruction, restrictions and inquisitions should come to an end.

The Muslim rule lasted for 13 centuries except one during which the crusaders were able to occupy parts of Palestine and Jerusalem.

This was the longest period of stability which the holy town had ever enjoyed in its long history.

Freedom of worship was common to all sects without bias.

Muslims paid great attention to the town for four reasons :

First : For God has privileged it with several prophets starting with the prophets' father Abrarham to Isa Ibn Mariam, on them be God's peace and blessings. Upon the authority of Ibn Abbas, he said, "Al-Baitul Mokaddas" (The Holy House) was built and inhabited by the prophets ; there is not an inch it where a prophet has not prayed, or an angel has not appeared.

the kingdom of Juda from existence, pulled down the temple, and took the jews captives.

The Jews suffered much in captivity before the Persians sympathised for them, and returned to Jerusalem in 538 B.C. those of them who were desirous of such return.

But the Jews failed to draw a lesson from their plight and turned a deaf ear to their prophets.

In consequence they were struck twice by the Romans, once in 70 B.C. at the hand of Emperor Titus who destroyed the town and burnt the temple down, and once in 135 B.C. by Emperor Hadrianos who rased the town to the ground, changed its name from Ay Alia the great to Aelia Capitolina, and rendered its people homeless.

When the Romans turned Christian in the Fourth Century A. c., they pressed more heavily on the Jews because of their treachery towards Christ, and the town was banned to them.

The site of the temple was reduced to a dump for garbage from the town and out side it.

With the Islamic conquest of the town in the seventeenth year of the Hijra - Gregorian 636 - a new page was turn which was the best and most generous in the Jewish annals.

Muslim Caliph Umar Ibn al-Khattab removed with his own hand the accumulated filth on the rock which had been left there by Romans to vex the children of Israel. The Caliph stylished his garment and swept that refuse with the Meslms around him joining him in the process.

Umar then worshipped in David's temple, reciting the Chapter of SAD and kneeled down.

Muslims traced the mosques of the prophets, one after another from Abraham down to the last of them buried in Palestine and Jerusalem. They had the mosque re-built, preserved their sanctity and pursed them.

After the Muslim conquest, the Jews started returning to the town for visit and later for work, residence or worship. Of this they had been deprived entirely under the Romans, both Pagans and Christians. Some of them were entrusted with the Service of the Aqsa Mosque, the making of lamps ; cups, chandeliers, etc. No tribute was collected from them and they were assured of subsistence for them and their offspring from the time of Abdul Malek Ibn Marwan onwards.

When the Jews set up religious centres in Tiberias, safed, Hebron and Jerusalem.

When the Jews were expelled from Spain large numbers of them went to

The Position of Jerusalem in Islam

BY : DR. ISHAQ MUSA AL-HUSINI

All the papers came before the fourth Conference of Islamic Research Academy, on the palestine question, dealt with different aspects of this important problem, that Arab and muslim world are facing today, The paper presented by Dr. Ishaq Musa Al Husaini to the Conference has given glimpses on the historical and other background of the above mentioned subject. The following is the English Version of the paper :

The oldest information we have about Jerusalem dates back to the fourth thousand years before Christ when Canaanites-An Arab race-set up a town with the name of 'Yord salem "or" Yoro Shalem " meaning the establishment of god salem or Shalem.

This name has since been commonly used with some modifications, apart from other names which appeared in certain historical stages.

From "Yoro salem" was derived the Western appellation of Jerusalem used in the Greek, Latin, German, French, English and other languages. The same denomination gave rise to the name Orshelim used in the Holy Book.

The Hebrews seized the town in the tenth Century B. C. at the

hands of king David who took it for his capital, brought the tribes together and determined to set up the temple. On his death his son solemon built the temple. and transferred the "Ark of the Covenant" to it. The temple became a holy place where the praise of God was celebrated.

The Hebrews deviating from the course of righteousness worshipped idols, defies the message of Allah, the one God, committed vices, did injustice, became arrogant and unlawfully killed the prophets, "Therefore, Allah seized them with such penalty as comes from one night and powerful, and caused their enemies to stamp them out.

The Assyrians in 721 B.C. conquered the Kingdom of Israel while the Babylonians in 585 removed

these plans could not be hit either at the beginning or in the end as it happened with Banu Qainuqua'a. Their past experience and their vast knowledge of the strategic geographic positions of Medina and the social constitution of the inhabitants before Islam helped them tremendously. Now the battle between the Banu Nazeer and the Muslims began from house to house and from street to street.

The Jews in their flight were pulling down their houses and belongings which they had to vacate.

The Jews were confident of their position, their preparations and their stocks. The battle continued for twenty days and the Jews had much hope of the assistance of their allies, the hypocrites of Medina, who would immediately play an important role if their position dwindled.

The Prophet ordered the burning of the date groves belonging to the Jews because they had dragged the agricultural fields into the battle. In the meantime the Jews expected their allies to help them but the help never came. Only they heard the echo of their voices. Now that the Jews had fully understood their position they asked for security of their lives, their

possessions and thier families. The Prophet agreed to their evacuation.

He allowed every three Jews to take one camel with them and on it they might load whatever they could. The hypocrites watched helplessly. Their allies of hypocrites were all but helpless. Banu El Nadeer left behind them much of their weapons, grain and lands as a booty to the Muslims.

After the evacuation of Banu El Nadeer, Banu Quraiza were the only Jewish element that remained in medina.

They carefully observed how the Prophet swiftly moved the balance of power and how he completely destroyed the groups thats were going to take over Medina. They saw how the Prophet manouvered his military strategy from Daumathu Jundul on the borders of Syria and Hejaz to Muraisee in the south near Mecca. They found themselves absolutely helpless to wage a war against the Muslims. The best thing they could do was to wait for an oppurtunity. Perhaps a strong ally may emerge with whom they would unite if they were assured of victory.

Banu El Nadeer spared no efforts in collecting and combining Quraish and other tribes of Arabs in Najd to wage war on the city of Medina.

(To be Continued)

the Prophet was victorious. Eventually they declared their hostility and began sowing the seeds of discontent and doubt in the minds of the Muslims. They began carrying the news of the Muslims to the idolators. They opened their doors and gave shelter to the enemies of Islam and enlightened them on the strategic weak points of Medina.

All this they did after they had signed a pact with the Muslims to defend Medina.

The most dangerous points of resistance came from the Jewish tribe of Bani Qainuqah. They lived in the centre of the Muslims and were fully aware of their secrets and their activities.

They conveniently carried these secrets to Quraish.

On the other hand the Prophet was receiving all the news and was carefully following it up. He was studying their drive and their mockery of Islam and the Muslims. This reached a stage where the Muslim women began to get involved. It so infuriated a Muslim in the Jewish bazaar of Bani Qainuqah that he killed the sinful Jew. In return the Jews attacked the Muslim to kill him and then to retreat to their homes to equip themselves with their weapons; relying on their pre-Islamic alliance. . . . !

Dealing with the fate of Jewish tribes of 'Medinah' the author said : Two powers remained in Medina even after purging the city of the enemy. They were the Bani Nadeer in the valley of Muzalneebe and Bani Quriza in the valley of Mehזור situated in the surrounding of the south eastern sector of Medina.

Once again the Prophet was left to fight Quraish. In the meantime Quraish deceitfully sent a contingent of two hundred horsemen under the leadership of Abu Sufyan. Abu Sufyan made his first stop at Banu Nadeer and from their leader, Salam Bin Mishkam ; learned about the Muslims and together with him studied the best way to attack the Muslims. Salam in turn enlightened him on the best way to strike with his men in the valley of Al-Areed. They actually struck, killed and after burning the place they fled swiftly and found the Muslims pursuing them. In their rush towards Mecca the non-believers left behind much of the food they had carried with them comprising mostly of Saweeq, a mixed diet of barley and dates.

They drew up many plans and the idea of using forts was the last one. In this way they were able to delve deep in the matter and think far. The fort, in accordance

" It was a possible danger, since the Jews were still in alliance with the Aus and Khazraj and had until then concealed their enmity. They never openly declared thier enmity so that the Prophet might make a new alliance with them, though it would be partly a continuation of their present status, but it would be in the name of Islam. In this new alliance there would be an abolition to the pre-Islamic alliance and would make all dealings and activities directly attached to the Prophet as the leader of the Muslims on whose hands lies the supreme authority in Medina

In this way the alliance provided the Jews an opportunity to live in peace and co-operation with the Muslims on the basis of the religious tolerance established for the people of Medina irrespective of thier religious affiliations. They were to participate in defending Medina from any foreign onslaught and the alliance defined clearly their opposition against Quraish and those who helped them.

Military movements In Medina and incursions, which geographically spread from the northwest of Medina along the shores of the Red Sea to the south below Mecca on the way to Taif. Threats to commerce acti-

vities of Quraish in the north and south were affected.

The Battle of Badr took place in Ramadan in the second year A. H. in which the Muslims triumphed despite their inadequate arms and their shortage of men. Their enemies were materially three times superior to them.

The Prophet returned to Medina after a clear victory over his enemies.

Did the Jews of Medina Rejoice at the victory, at the defending of Medina and at the moral prestige this victory had brought to the city? Kaab Bin El Ashraf the Jew, hwo about the death of the Quraish leaders at Badr said :

"By God-if Muhammad had killed these leaders, then the recesses of the earth would be better than its surface."

After being fully informed and satisfied with the news Kaab went to Mecca and provoked Quraish against the Prophet He excited them by reciting poetry and by mourning over the death of the Quraish leaders. Then he returned to Medina and sang romantic poems to the Muslim women.

The Jews of Medina could not hide thier anger after hearing that

they were spread in the valley and in the higher sectors.

The inhabitants of the villages protected themselves by building forts and strong store-houses in which they stored food and weapons. They pursued, as far as possible to make means to see that they could have a source of water within these forts. Whenever they felt the danger of a raid they dashed from their farms and bazaars into their forts where they could defend themselves from foreign and internal raiders.

Medina in this way, during critical circumstances and internal unity could play the role of a very formidable fort and could defend itself from foreign invasion . . .

Speaking about the struggle between the Arabs and the Jews in Medina he says :

“ The Jewish problem was part of their heritage. They carried its seeds wherever they went. The Arabs of Medina had fought the Jews before Islam and after the advent of Islam. The base of Islam in Medina inherited this struggle for no other reason but to regain its legal valid rights and to annihilate the forces of conspiracy and civil discord from the Arab Peninsula. This has nothing to do with the religion of Islam which in this respect declares :

“ There is no compulsion in religion. The truth is clear from the evil. ”

With the confrontation of Aus and Khazraj against the Jews there arose battles and revengeful wars amongst themselves during the pre-Islamic period. Each group found for itself a good pretext to have an alliance with the Jews. In this way the Jews were able to retain a part of their power in Medina. They were also satisfied to have an alliance with their neighbouring Arabs at Medina. The Khazraj tribe made alliance with Bani Quraiza. Each group of the Khazraj and the Aws before Islam were anxious to have some sort of alliance with the Jews. The Jews in turn were always dividing the Aus and Khazraj so that they could not unite and the Jews would be able to attack both of them. Solely through their efforts before the Islamic era, they were able to keep them apart and disunited.

These are the broad and main outlines of the natural and human scene of Medina when the Prophet made it the base of Islam. It was here in Medina again the field for the first struggle

Regarding the danger of Jewish-Quraish unholy alliance against the Islam and the Prophet the author says :

meet with the valley of Bathan which is met by the valley of Rannouna, coming down from mount Eir. These valleys stretch towards the north westernside and are intercepted by the valley of Qanah coming down from the East. These valleys all meet at Wadi Aqeeq which comes from the south and passes through the lava section of Wavra and follows its path towards the north behind Medina.

It is well known that the city of Mecca enjoyed the privilege from ancient times, of being Allah's sacred territory wherein His shrine stands. This is not the case with Medina. It only got its sanctified status after the arrival of the messenger of Allah in it and after he had made it the base of Islam. This sanctity at that time was not recognised by anybody but the Muslims ; yet it is well known that all Arabs at that time revered Mecca. This is the reason why before Islam and during the time when foundations of its being the base of Islam were laid, it had to protect itself by its own means. This can be illustrated by the general plannings of its administration and buildings.

The main factor which is decisive in distributing its inhabitants is its water resources. These resources are practically bound together by the

distribution of the valleys and the areas that eventually centralises in the valley of Aqeeq. The inhabitants of Medina live on the slopes and plains of these valleys and usually spread to the areas from where they can have easy access to water. For this point the characteristics of the higher sections of Medina begin to become clear.

1- They have the best opportunities for irrigation.

2- They have the greater potentials for farming.

3- Its inhabitants can defend themselves from any onslaught or raids of the enemy. Their situations are in controlling positions in Medina. Not all the high sections were in the hands of the Jews.

In the same way it must be remembered that it was not only the Jews who centred in Medina. They had only three quarters which are important.

1- In the heart of the city were the Jews of Bani Qainoqa were engaged in business, home industries and especially in goldsmithing.

2- In the south-east were Banu-Nazeer who lived in the valley of Mozineeb and Banu Quraiza lived in the valley of Mehזור.

3- As for the Aus and Khazraj,

The time of that struggle extended over a period of six years from the 2nd to the 7th year after Hijra. The struggle during this period was tense and operate on both internal and external fronts until eventually, Islam in its defensive resistance to safeguard its base and existence, triumphantly won. We can divide these six years into two stages.

1— The first stage was between the second and fifth year. During this period the struggle took place on the land of Medina and its surrounding precincts towards the south-east.

2— The second stage was from the sixth to the seventh year. During this period Islam was able to extinguish rapidly and conclusively the resistance in the northern front starting from Khaibar which was the strongest point. Thereafter the forts of Fidak, Wadi Qora and Taima fell one after another.

The Base Of Islam.

We may begin by presenting some geographical features and a picture of the inhabitants of the base of Islam so that we may be able to understand the causes of the struggle between Medina and the Jews. Medina is about 150 Kls. far from the shores of the Red Sea and lies in a

straight line with Mecca which is about 350 Kls. far from Medina that engages a section of lowlands from the higher plain. It is 700 metres above sea level and is surrounded with hills (or mountains) as mentioned in the books of biographies. Its decline generally starts from the east and south towards the western north. The lava field of Raqim rises high in the east of Medina and the lava field of Wabra in its west. Arabs use the words Harrah and Laabah for the constituents of a volcano.

This is mentioned in a tradition of the Prophet. "O" Lord, I have been allocated a sacred territory between the two lava remains. as Abraham your sincere devotee was allocated.

(meaning the sacred territory of Mecca)

In the south of Medina lies mount Eir, in the north mount Uhud and behind it Mount Sour. A tradition of the Prophet is recorded to this effect :

" Between the two mountains of Eir and Sour is a sacred territory". The valley of Mozineeb where the Jewish tribe of Bani Nazeer had their settlement and the valley of Mehזור, where the Jewish tribe of Bani Qurailza lived starts from the lava section of Raqim and then slopes off downward. These two valleys soon

THE ROLE OF JEWS IN AGGRESSION ON THE BASE OF ISLAM IN MEDINAH

By : Dr. ABDUL AZIZ KAMEL

Deputy Minister of Wakfs, U.A.R.

The Research paper presented to the fourth conference of the Islamic Research Academy, by Dr. Abdul Aziz Kamel, in the above mentioned topic, gave authoritative informations about the Jewish treachery and intrigues against Islam and Muslims during the lifetime of the Prophet. The author pointed out that the Jews were always the first to start aggression and go back on their pledges.

He gave many historical evidences on the fact that the Muslims, were marked by their love for peace and good intentions, but they received nothing good in return, and eventually had no alternative but to defend themselves. The learned author, gave a historical Synopsis of the history of the holy city of Medinah, and its position in Islam. The following are the extracted points of the paper.

In the introduction the author

mentions the geogrophical area of Jewish conspiracy against the Base of Islam. He says :

“ The geographical battle - area between the Jews and the base of Islam in Medina stretches to about 350 Kilometres, between Medina in the south and Taima in the north, along an axis of oases which end in Syria. Within this axis there is abundance of water resources resulting from floods, springs and wells which enable the inhabitants to establish permanent living conditions and they can rely on agriculture, commerce, blacksmithing and goldsmithing.

As for the geographical area of Jewish conspiracy, the circle is much wider. In the south it stretches to Mecca, in the east to the heart of Najd, in the north to the fringes of Syria and in the west to the shores of the Red Sea. This means that it includes the greater part of the northern half of the Arab Peninsula.

the Muslims today were in urgent need of solidarity in order to check the ambitions of imperialists in the Islamic countries.

Moulana Asaad Madani, a member of Indian delegation, read a paper, dealing with the attitude of Jews towards Islam and Muslims. It embodied a historical review of Jewish hatred of Islam through the ages, and the acts of terrorism, assassination, and conspiracy they have committed against Muslims.

The paper said such methods continued to be practised against the Muslims by the Jews, situation which impels the Arab and Muslim peoples to be on the alert, and to rise as one man to "Uproot the vicious tree"

A paper by Dr. Kamel El-Baqer, Director of the Omdurman Islamic University dealing with the essence of the Palestine cause, was also presented for study. It gave a historical synopsis of the Palestine problem, and urged Islamic Universities to make as one of their principal targets the casting of light on question. The author also called on the conference to launch

an appeal to the Muslim world giving adequate clarification of the Arab-Muslim cause.

A paper by Dr. Said Abdul Fattah Ashur, Professor, Cairo University, compared between Muslim treatment of the Jews in the Middle ages, and the treatment of Muslims by non-Muslim peoples. He said that Jews through out the history had met with no treatment, more generous and favourable than that they had received at the hands of Muslims, but the former had repaid mercy and benevolence with ingratitude.

The Conference discussed a research paper by El-Sayed Muhamed Yunis, the Indonesian Chief Delegate, on Israeli distortions of the interpretations of the Holy Qur'an and the Hadith. The author reviewed the methods and sources of interpretations and explained how the Israelis managed to distort them along with the Prophet's sayings. He warned against that threat and suggested as a remedy that the Academy should compile all such distortions in a special book as a guide to false reports and superstitions.

and occupies Islamic land. The paper said that martyrdom for principles and the creed was the duty of the true Muslim. Sheikh Abu Zahra called upon all Muslims to rise to save Jerusalem which was now being desecrated by "the enemies of humanity."

In his paper, Sheikh Abdulla Gushah, chief justice of Jordan, said that Muslims should take up the Jihad in order to defend the creed, the homeland and the nation. The Islamic nation, today is passing through one of the gravest stages of its life with the enemies trespassing upon its lands and desecrating and violating its sacred things. The Jihad has thus become a duty for which life and money must be sacrificed.

Appealing to Muslims in all countries to rise to save the Al-Aqsa Mosque and the other holy places, Sheikh Gusha said that reluctance to do so would encourage the aggressors to attack other Arab and Islamic lands. The aggressors would do what they have done in Jerusalem and other areas, where they had profaned the sacred things, pulled down Islamic monuments and persecuted the inhabitants, disregarding the resolutions of the united Nations and world opinion.

Towards the end of his paper, Sheikh Gushah stressed that Muslims with their material and human resources were capable of checking the enemy until justice triumphed. The paper, presented by Sheikh Hassan Khaled, the Mufti of Lebanon gave a review of Jewish hostility towards Islam and the Muslims during the reign of the Prophet and his successors.

This hostility, he said, was inherited by the Israelis today, who are supported by the forces of imperialism in modern times. Sheikh Khalid called upon the Muslims and the Arabs to take up the Jihad as the way to repulse this aggression, in which the Zionists have used all means of force, cunning and deception.

He demanded that the preparation of the members of the Islamic community be considered with the use of the information media and constructive guidance so that the Jihad might reach its zenith and victory be gained over the enemies of Islam and Muslims.

The conference also discussed the paper which was presented by Sheikh Muhammad Abdul Latif el Sobky, member of the Islamic Research Academy. Speaking of the Jihad as one of the principles of Islam, Sheikh Sobky said that

effective Muslim action in this Ordeal is the sole road to a new vista in Islamic relations, Dr. Nofal said. In this respect, Dr. Nofal suggested that Islamic countries should sever their relation with Israel and hold firm against the flagrant American alliance with Israel in her aggression against the Arabs.

He also suggested that Islamic states should extend material help including the provision of arms to the militant Arab strugglers. He called on the Arab states to organise a volunteer movement for a Jihad (a holy war).

The third paper presented by Sheikh Nadim el Jisr centred upon the battle of destiny with Israel in the light of the Qur'an, the tradition of the Prophet and history all of which have taught the necessity of Muslim unity. This unity, he added is inevitable, since Muslims should work hand in hand to repel the enemy from Palestine.

The paper, written and read to the conference by Maj. Gen. Mahmud Sheet Khattab, a member of the Iraqi delegation, dealt with the will for combat in Jihad, the objectives of Jihad, and the need for unity among all Muslims in the face of danger. Referring to the Palestine problem, Maj. Gen. Kattab said :

"The Palestine problem dictates the necessity of Jihad and the solidarity of all Arabs in order to save Palestine from the clutches of zionism."

Maj. Gen. Khattab then urged the unity of Arab ranks, the consolidation of the unified Arab command and the organisation of military powers both materially and morally. He urged the Arabs to learn from the lesson of the June 1967 set back. He also called for the creation of a unified Arab and Islamic policy against Israel and its supporters. He also called for the establishment of a permanent fund to supply commando organisations with arms and equipment.

Concluding, the paper urged Arabs and Muslims to cooperate in fortifying the frontline villages, specially in Jordan, so as to guard against the inhuman raids launched by Israel. Then the paper called upon the Islamic and Arab countries represented at the conference¹ to put into effect the resolutions of this conference in order to achieve victory and restore Arab rights.

The paper submitted by Sheikh Muhammed Abu Zahra, member of the Islamic Research Academy, dealt with the inevitability of Jihad, specially when the enemy invades

of the sanctity of Jerusalem following the June 1967 aggression.

The chief delegate of the Palestine urged Muslims everywhere not to abandon the city of the Aqsa Mosque, the Dome of the Rock, the Haram Al Sherif—Sacred precincts of Al Aqsa Mosque and the Dome and the tombs of the prophets and the Muslim militants to its fate under the treacherous Israeli imperialism and not to take a passive attitude towards the war of extermination being waged by the Israelis against the Arab population of the city.

On the second day, the conference dealt with three papers written respectively by Dr. Abdul Aziz Kamel, Deputy Minister of wakfs, Dr. Sayed Nofal, Assistant Secretary General of the Arab League and Sheikh Nadim El Jisr, member of the Academy.

The first paper centred upon Jewish sacrilege in Jerusalem. The paper gave a historical background of the military strife between Jews and Muslims in the holy city, pointing out that the Jews were always the first to start aggression and go back on their pledges. The Muslims however, throughout the history, were marked by their good intentions and love for peace. Paradoxically, they received nothing

good in return, they suffered much from intrigues and treachery and eventually had no alternative but to defend themselves and work to restore their rights.

Dr. Abdul Aziz Kamel ended his paper saying that the modern Zionist movement had influenced imperialism to help her to establish a state in Palestine and divide the Arab nation into two parts: Asian and African. The Arabs, therefore, have no choice but to work persistently till they restore their land and holy legacy.

The following Dr. Abdul Aziz Kamel, Dr. Nofal read out a paper on Zionism and Palestine, in which he gave a detailed account of Zionism, its objectives and its choice of Palestine as a national home for the Jews. The paper embodied the duties of every Muslim in particular, every man in general, in resisting Zionist ambitions which run counter to the divine values.

Concluding, Dr. Nofal called for the formation of a specialised body branching out from Islamic organisations all over the world, in a bid to unify the Islamic rebuttal of the harmful Israeli allegations. The Israeli aggression against Arabs has afforded Arabs the opportunity of coming together, and similarly

Research Papers and discussions

REVIEW AND ANNOTATION

By : A. M. Mohladdin Always

The Papers that the scholars read, and the discussions that they carried on, in the many meetings of the first stage of the conference not only stressed the significance of Jerusalem to the Muslim world, but also gave the Muslims all over the world a true picture of the Palestine problem, and suggested plans for rescue of Jerusalem from the Israeli profanation. The following are the brief summaries of some of the important papers:

Three papers on the position of Jerusalem in Islam, presented by Shetkh Abdul Hamid el Sayeh, Jordanian Minister of Religious Affairs, El Sayed Abdul Hamid Hassan, member of the Islamic Research Academy, and Dr. Ishak Moussa el Husseiny, member of the Academy and Head of the Palestine delegation, came up for study at the first meeting.

The paper by Sheikh Sayeh urged Arabs and Muslims to adopt scientific planning before it is too late, and to save Jerusalem from the grip of the usurpers. Silence over the present conditions in Jerusalem is not acceptable under

Muslim Law, it said, nor can they be condoned by Islam.

The author called on the world's conscience to stand by the people of Palestine already threatened with extermination, and to help the Arab people repel the Israeli-imperialist aggression and halt the Israel plan to Judaize Arab Jerusalem.

El Sayed Abdul Hamid Hassan, on the other hand, reviewed the history of Jerusalem and its centuries of Islamic glory. The high standing of Jerusalem in Islam was also stressed in both the Holy Quran and the tradition of the Prophet, he added. The third author El Sayed Ishak Mussa El Hussainy, recalled the Muslim conquest of the city in 636 A.D. and Muslim behaviour towards the city and its people which was in sharp contrast to the Israeli misdeeds of 1948 when they confiscated the property of its citizens, both Muslim and Christian, demolished mosques, churches and mousoleums, persecuted religious leaders and killed innocent people. The writer also referred to the Israelis profanation

of the Academy for discussion on researches particularly on Jerusalem, the problem of Palestine, problems of Arab refugees, position of the Jews with regard to Islam and Muslims in the early age of Islam, attitude of Zionism towards Islam and muslims at the present era and other topics which they find written in the agenda.

After the second period starts later on and it will finish at the end of the fourth week from the day of inauguration and members of the Research Academy alone will be engaged in it in discussing the remaining subjects.

Gentlemen :

Four years had Passed, and it had paved the way for unanimity among muslims indicating necessity for strengthening the research academy and its support, and security of means for it until it accomplishes its international message and achieves its objective.

And the past four years had revealed real desire, faithful determination on the work and struggle on the part of the members of the academy and the participants in the sessions of the conference and those responsible for its affairs and the supervisors of its activities.

Then, the past four years had witnessed the sincere unanimous

desire of muslim Ulemas from different parts of the world ready to sacrifice time in the course of its success and achievement of its purpose.

But when will these wishes and desires turn into a practical occurrence that muslims will reap its good fruits ? We hope that this will not be far.

Really life is running fast, the wheel of time waits for no man.

Therefore, we must embark on non-stop speed in the work and on wise resolutions based on sound opinion, and it is compulsory on Islamic world, be it states or governments, to have a great share in this burden. The day when all efforts will be coordinated behind this blessed movement, that day, they will know that the existence of Islamic Research Academy is a necessity which the desire of life has composed it and that its establishment is goodness and blessings for Islam and muslims.

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

It means : "And say (unto them) Act ! for God and His prophet and believers will see your work, and you will be returned to the knower of the seen and unseen, and He will inform you of what you used to do."

Other researches were made on Islamic society and its peculiarities and characteristics and systems that ought to be in force regarding it, together with the mutual sympathy and co-operation amongst it. In these researches mention has been made about the behaviour of individuals and groups that should be ruled by high moral values, absolute equity in the legal systems and social justice in life. All these topics have been dealt with by the Islamic Research Academy and regarding which sound resolutions have been formulated which can be considered as living models to a sane human society. Enemies of Islam have thrown in the backs of the Muslims and arabs a poisonous dagger by allowing zionists to settle in Palestine and to occupy its land and arrogate Jerusalem for themselves.

This issue has been the subject of researches studies and resolutions since the first meeting of the Academy summoned up to the last conference.

Gentlemen :

This is in brief, the output of the sincere efforts of a few number of scholars who lacked the essential means to carryout the research-work, save the faith which has been conferred upon them by God, in addition to their strong resolve and

faithful desire to work for the sake of Islam and muslims.

This is the scientific achievements which the Islamic Research Academy conveyed to all muslims by all possible mass media. From this scientific outcome, the academy carried out what was possible by the available material means. As some of them have resulted in taking its course to the practical way of life where it was available for it the possibilities by which it can establish this kind of life.

Gentlemen :

These papers of yesterday threw light on the glorious past and announced good news when its means and factors were available. As for the present day, it carries new pages and serious events which encourage intentions and imposes cooperation and collective efforts when confrontation of occurrences is wanted to be real and effective.

The method of work will go on in this session in a way identical with previous ones and the researches of the conference will be discussed at two periods.

The first period will start as from today and will be completed at the end of the sixth day of october. The invited guests will participate in it together with members

Most of these researches had not been carried out for the mere purpose of speculative research, if ever this be deemed appropriate and desirable for its own sake. Also were they not intended for mental training for researchers but in their aggregate a response to practical realities which perplexed the thoughts of the muslims and plagued them with doubts and uncertainty. These juristic decisions arrived at have come to be an explanation to Muslims that might shed light on the attitude of modern economic doctrines as regards the faith of God. Thus they could gain full guidance and perspicacity.

About the Quran and Tradition, researches were written on the glorious Qur'an and its position among the muslims.

That is the first source in legislation and guidance and the necessity of adherence to Uthman's cadox is imperative. That the holy Qur'an its verses, words, chapters and the position of each in the Qur'an - all were revealed to the prophet by the Lord of the worlds. He conveyed it as it had been sent down to him as it is now.

It is not permissible to interpret the perspicuous Qur'an by mere reasoning. The prophet's Sunna is the second source of Islamic legislation after the Qur'an.

All these were topics for exhaustive study and original research that have been carried by the scholars and the Academy drew from them reselutions proved and supported by evidences and arguments.

This part of research was equally the outcome of certain attitudes which scholars could gather from some people unfamiliar with Islamic culture which they misunderstood and misjudged. Some muslims lacking in firm belief have adopted these distorted ideas. Thus it has been incumbent upon the Islamic Research Academy to rectify these mistaken notions and to point out to them the right path.

Within the scope of international studies, valuable researches were submitted dealing with these relations in both war and peace, and with their causes and results other researches were presented on ruls of behaviour and ethics in jihad ; the result of which was a collection of researches that emerged into resolutions which revealed Islam and tolerance, These resolutions also, stress Islam's universality and cosmopolitanism. It is a faith that deals with the feeling and the reason. Islam allows a certain latitude for man failings and weaknesses ; there by it excuses him before it blames him and never resorts to his rebuke until it finds no way to correct him and becomes incurable.

papers and dissertations and the resolutions passed by the Islamic Research Academy in the three previous conferences will point out the tremendous efforts which have been exerted with a view to serving the scientific and practical aspects of Muslim's lives in different spheres: finance, economy, organization, legislation, Ethics sociology, international relations and such aspects which are part and parcel of human life.

As for the financial and economical side, researches were submitted tackling private ownership in Islam its rights, limits; lawful and unlawful means of financial resources both for the individual and the state. These researches, too dealt with the rights and the obligations of the state to the individual property and how this property can be directed to derive the utmost benefit from it; ownership of property namely, perceptible things which have material and volume, and benefits derived from the property. Other papers were devoted to approach the themes of the poor due, charity and the right of the poor to have a share in wealth of the rich, loans, interests deposits, insurances, government pensions, bank dealings, co-operative societies and such other topics that were subject to vast and careful research by the academy which passed on them, sound resolutions

that reached the entire body of Muslim world by all information media.

Other papers tackled the subject of Islamic law, its dimensions, its close interrelation with human life. Muslim Jurisprudence was another object of interest to the academy. It dealt at length with this subject pointing out its different phases of development, its Voluminous size which increased by the lapse of time due to the ever-recurring incidents of life.

There had been Ijtihad which took upon itself the deduction of such rulings.

It has been available for every scholar who attained to the requisite qualifications and his Ijtihad was to the point Ijtihad can be practised so long as there are scholars most competent to perform it, since it is deemed the only means for the promotion of human interests to cope with the ever-recurring situations, by selecting the appropriate verdicts from amongst the Muslim juristic schools.

If non-available we have recourse to doctrinal collective Ijtihad. But if nothing could not be turned to account, then we apply the method of absolute collective kind of Ijtihad. All these sides have been within the range of exhaustive investigation by the members of the academy.

Gentlemen.

These shortcomings in personnel and finance, does not mean that the Academy may cease to undertake its activities or to shrink its responsibilities because strong belief in God the Almighty and the desire to work, and the hope in the future, all these factors have endowed the respectable members and those in charge of the affairs of the academy, with the power to keep on striving and overcoming all difficulties that might confront them. They struggled, in this connection, to the best of their limited means.

Those who are working in its departments are supervising the editions of the Holy Quran and to make these copies of the Quran accessible to private individuals and groups in the various countries of the Muslim world. Besides, they keep a watchful eye on all what is issued in the form of books and fiction pertaining to the Islamic heritage again, the Academy receives Islamic missions desirous to do studies at Alazhar's Institutes and Faculties together with granting them all social and cultural facilities during their stay in the U. A. R. in quest of religious studies.

Another contribution done by the academy is delegating Muslim scholars to different Islamic count-

ries and supervising Islamic Institutes abroad, and providing them with teaching staff, books, technical experiences, establishing Islamic libraries and the available the Islamic culture.

Another thing is that the members of the Academy have submitted a considerable output of great scientific value closely related with the scientific and practical lives of Muslims. Indeed the resolutions passed by the Academy concerning this great scientific production are ranked among the excellences which the modern age prides itself upon, by dint of their abounding in juristic interpretations, novel studies which are regarded no less, in quality and quantity, than the efforts exerted by our pious early authorities from amongst Muslim Scholars whom we regard as leaders of great merit and pioneers of legal legislation. Modern scholars express their acknowledgement to these predecessors and testify to their eminence and pioneering efforts as jurists in the history of law in general. While part of this precious scientific output has been practically applied and circulated, yet a lot of it is pending its turn for public usage, and we do hope that this will come soon.

Gentlement :

A general survey of the valuable

Their various advantages and interests can be exchanged and make mutual enquiries about different issues and problems. Seminars can be held within the range of the village, the town, the state and the continent. Again, these seminars would be incorporated to represent the whole Islamic world. This would establish a strong link between the academy and the different Islamic environments. By so doing, the Muslim world would rightly be the proper field for the academy's researches, and studeies, such an all embracing function requires the formation of adminstrative and technical departments to be equal to these great responsibilities.

Added to this, the Academy needs considerable funds to defray the expenses required for holding such seminars and to carry out projected scientific researches, studies dealing with writing of books, systems of education and pious foundations related to hospitals, orphanages and to combat intrusive cultures of the past and stop the sweeping tides which pour in the Islamic societies everywhere with a view to distort the land marks of the Islamic culture in a terifying and alarming way.

All these projects are dictated by the nature of the academy's

mission; nay the very existance of the Academy necessitates their implementation. In the meantime, these projects require considerable pecunary resources as we have referred to before. Hence, it is imperative that all muslims should join hands and unify their efforts so as to enable the Academy to cope with its multifarions obligations in all these spheres; to acquaint people with the religion of Islam in its pristine purity, free of blemishes pure of accretions, and to safeguard Islamic heritage from all profanations and forgeries to convey the word of Allah through wisdom and good counsel, and care for the publications of the Holy Quran & the purified Sunna.

In short, to perform all the duties dictated by the Islamic brotherhood towards Muslim minorities to acquaint them with Islam, its civilization and culture and assist them to establish institutes and erect mosques, and other relevent religous and social services which they are being in dire need of.

In fact, the academy, in its three previous sessions, has passed resolutions touching this long-felt need and expressing the desire to establish a treasury for the Call; nevertheless, nothing of the kind has been realized and we are still in the stage of expectations and cherished hopes.

and basic fundamentals of Islam. If there were any thing justifying their introduction and necessitating their adoption they had to be modified and softened so as to be accommodated within the framework of Muslim jurisprudence, or to select from those developments what is deemed as most requisite.

Ijtihad, i. e. exerting oneself in the exercise of one's personal judgement in the sole path conducting to such a solution is the proper medium help realizing this end.

This is in fact the function of the Islamic research academy with the aid of its prominent scholars and notable thinkers.

But the message of the academy is not confined to justify or develop the existing conditions; nay it is the duty of Muslim thinkers and scholars to anticipate the coming events and depict a mental picture of the future endeavouring to make such development take the gradual course of perfection, so that the present would be more appropriate than the past, and the same holds true for the future.

Such a proceeding would help in planning the details for this forecast and collaborating to make it an accomplished fact that would contribute to the promotion and advancement of human society.

This, gentlemen, would be some of the noble aims of the academy which are still too remote from practical life. Besides, the Academy could not achieve any of them since "such a task is in dire need of the capacities & possibilities which have not so far been available to the Islamic Research Academy.

It is evident that the scope of the academy is ample and spacious, hence it envisages the whole Islamic world with its diverse problems and intricate relations within the general Islamic framework. This requires that a considerable personnel should be accessible to the Academy's departments that should be held responsible to cope with the universal problems cast upon the academy and to be its strong reliable asset every where in the Islamic environments, however small the volume, the political and social weight may be, to participate effectively in the activities undertaken by the Academy to the best of its capacity, and according to the possibilities and experiences offered by the Islamic research Academy, as they will supply the academy with a host of problems and widen the scope of research and these problems are drawn from the actual settings of the various muslim environment.

The morale force in these local centres can be co-ordinated in their concepts.

Tasks and Efforts of The Academy

By : Dr. Mahmoud Hubballa

The speech of the Secretary General of the Academy, delivered at the inaugural session, dealt with conference affairs, and reviewed the important role of the fourth conference in the aims of Academy, and underlined the papers on the agenda of the present session. The following is the text of the speech :

Gentlemen ;

I welcome you in the name of Islam which gathered you under the banner of righteousness & good in this plenary Islamic conference. Again I greet you on behalf of the honoured Azhar, the Kaaba of religious knowledge and the fort of Islam, and the centre which has been entrusted with the sacred mission of conveying the Call of Allah to mankind, it is your Azhar, Al-Azhar of Islam and all Muslims which you convene to-day within its precincts which offers you a hearty reception, as active prominent scholars, and to reinforce through you brotherhood in religion.

I welcome you as bearers of good tidings, renewed whenever the Islamic Research Academy holds a new meeting so as to emphasise the strong link existing between Muslims and their religion, and point out the necessity of such a link and intensify the mutual feeling of resorting, as a matter of necessity to the main tenets and principles of Islam.

Consequently muslims would emerge as they had ever been mighty, dignified, unthreatened by any hostile power. Moreover, this conference affords the opportunity to render this sentiment into a positive, concrete action for the same of establishing the Muslim society on divine bases governed by religion & science and pervaded by virtue, justice and mercy.

Life cannot be ruled solely through religion unless reason be enabled to grasp clearly the facts of religion, and the heart becomes enlightened with religious rules in their pristine purity. The path conducing to the noble objective is through serious scientific research and scrutinized study. This is the task of Islamic Research Academy with its erudite doctors of religion and well-noted researchers.

The issues of human life would not develop in harmony with the tenets of the Faith unless subjected to careful study and investigation and collated with the principles

The Inaugural Session of the Conference

The Fourth Conference of the Islamic Research Academy was inaugurated by Mr. Hussain Al-Shafi, Vice — president and Minister of Al-Azhar Affairs, on behalf of President Gamal Abdul Nasser. The inaugural session was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday, 28th September 1968 (6th Rajab, 1388 A. H.). A large number of Muslim scholars representing 33 countries in Asian, Africa and Europe, and members of several cultural organisations, and foreign diplomats were present. The deliberations commenced with the recitation of the Holy Qur'an. Opening the conference, Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh Hassan Mamoun welcomed the members and the delegates of the conference. He described the meeting as being of paramount importance since it was taking place at a time when Zionism was profaning one of the World's purest places.

The Grand Sheikh pointed out in his inaugural address : 'We hoped this session would be held after we had recovered the occupied

lands but God chose to extend the ordeal so that we may grow more mature and draw a better lesson from the crisis. God also chose that Muslim scholars should play an outstanding role in the face of current events, and explain to the people, God's rulings on that ordeal'.

Sheikh Hassan Khalid, the Mufti, of Lebanon, then spoke on behalf of the delegates participating in the conference. He paid tribute to Al-Azhar for its efforts in the service of Islam and the spread of its principles. He reiterated, on the Palestine cause, that what had been taken by force could only be restored by force. Dr. Mahmoud Hubballa, Secretary General of the Islamic Research Academy, spoke next outlining the Academy's tasks and issues which were before the 4th conference.

Mr. Hussain Al-Shafi, Vice-President of U. A. R. delivered a speech. He welcomed the guest-delegates and the members of the Academy on behalf of President Gamal Abdul Nasser, and wished them success in their mission.

Jihad is the way of victory - by
by Sheikh Abdulla Ghushah, Chief
Justice of Jordan.

Jihad in the cause of Allah - by
Sheikh Hassan Kbalid, Mufti of
Lebenon.

Israeli Legends in "Tafsir" and
"Hadith" (Commentaries of the
Qur'an and Traditions of the Prophet)
by Dr. Mahmoud Unus, Indonesia.

Jewish aggression on Medina-by
Dr. Abdul Aziz Kamil, Deputy Mini-
ster of wakfs, U. A. R.

The Position of Jerusalem-by Dr.
Ishaq Mousa Al-Husaini. International
Zionism-by Prof. Wafiq Al-Kassar,
Lebenon.

Jews in Quran-by sheikh Abdu-
ssattar Al-Sayyed, Syriya.

Zionist activities in East Africa-
by Prof. Ibrahim Haji Mahmoud,
Somalia.

The attitude of the Jews towards
Islam and Muslims, in the early
times-by Moulana Asaad Madani,
Secretary - General of Jamiat-Ul-
Ulama, India.

Jews in Medieval Ages-by Dr.
Saeed Abdul Fatah Ashur.

The attitude of the Jews towards
Islam and Muslims-by Muhammad
Tahir Yahya, Indonesia.

The battle of destiny with Israel,
in the light of Qur'an and Hadith-by
Nadim Al-Jisr, Lebenon.

The will of fighting in Jihad-by
Mahmoud Sheet Khatab, Iraq.

Jihad in Islam-by Abdul Latif
Subki, U. A. R.

Jihad-by Muhammad Abu Zahra,
Membar of the Academy.

The papers prepared for the
second stage included :

The Personality of the Muslim-
by Dr. Abdul Haleem Mahmoud.

Anniversary of the revelation of
the Quran and verification of its
date-by Sheikh Abdulla Knnoun.

The Quran and the Society-by
Dr. Ibrahim Labban.

Origin of Juristic 'Ijtihad' and
its phases of development-by sheikh
Muhammad Ali Al-Sayes.

The collection, recording and
compliton of the Quran-by Sheikh
Ali Al-Khafif.

This conference was a continua-
tion of the previous three conferences
held in 1964, 1965 and 1966. The
general picture of these experiments
shed light on a new form of conduct
and new aims through which the
Academy will round up its mission
and it become more effective. This
conference is also a manifestation
of the fraternity of Islam and an
acheivement of Al-Azhar.

through which the Arab and Muslim world is passing, and devoted its fourth session to the study of the Palestine question and explain to the people the significance of Jerusalem, and their duty to rescue the city and other occupied lands from the grip of zionism.

About one hundred scholars, representing 33 countries, in Asia, Africa and Europe, attended the conference. In addition to these, Professors of Al-Azhar and other universities, and distinguished men of letters and knowledge were also present. The countries that participated in the conference were : Indonesia, Malaysia, Philippines, Korea, China, Japan, India, Iraq, Kuwait, Baharain, Yamen, Oman, Lebenon, Jordan, Palestine, Syriya, Soviet Union, Libya, Algeria, Morocco, Sudan, Senegal, Sierra Leone, Togo, Nigeria, Uganda, Kenya, Somalia, Aritheria, Moritious, Turkey and Yugoslavia.

The conference carried out in two stages. The first stage started by the inaugural session on 28th September 1968 and ended on 6th October, 1968. In this stage, the guest-delegates participated with the members of the Academy. The Second stage continued from 9th to 24th October, 1968. The work of this stage was confined to the Aca-

demy members. All sessions of the conference were presided by Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh Hassan Mamoun. The Secretariat of the Conference was headed by Dr. Mahmoud Hubballa, Secretary General of the Academy.

The conference discussed many papers prepared by members of the Academy and the quest-scholars. The papers that the scholars read in many sessions of the first stage, and the discussions that they carried on point to the matters related to Palestine question and the Arab refugee problem alongwith the attitude of Jews towards Islam and Muslims in early times, and the stand of Zionism on Islamic world at present. The second stage discussed research papers on the history of revelation of the Qur'an and the developments of Islamic Jurisprudence through centuries, etc.

Some of the important papers that were read and discussed in the first stage of the conference are :

The Position of Jerusalem in Islam - by Sheikh Abdul Hameed El-Sayeh, Minister of wakfs, Jordan.

Zionism and Palestine - by Dr. Sayed Nofal Assistant Secretary-General, Arab League.

The place of Jerusalem in Islam - by Prof. Abdul Hameed Hassan, Member of the Academy.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

SHA'BAN
1388

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

NOVEMBER
1968

The Fourth International Conference of the Islamic Research Academy of AL - AZHAR

By : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Islamic Research Academy was established in 1961, under the auspices of Al-Azhar, the great and glorious seat of learning, which has been keeping the torch of Islamic Faith and sciences, burning since it was founded ten centuries ago. This Academy serves as the highest body of the distinguished Muslim scholars who shoulder the responsibility of spreading Islam and solving the problems facing the Muslim world, in the light of Qur'an, Hadith (tradition of the Prophet) and Islamic Jurisprudence.

The fourth conference of the Academy took place at a time when

the Arab and Muslim world confronted the Zionist-imperialist conspiracy against Jerusalem, one of the holiest spots on earth and dear to the hearts of all Muslims. Today Jerusalem appeals to the Muslims to perform their obligatory duty towards this holy city. It is also the urgent duty of the Muslims and the peace loving people all over the world to take necessary steps for restoring the right of the people of Palestine, who have been wrongfully driven out.

It was the fitness of things that the Academy responded to the exigencies of the momentous stage

الفهرس

المصنف	الموضوع	المصنف	الموضوع
٤٠١	على هامش المؤتمر	٤٥٢	الجهاد للأستاذ محمد أبو زهرة
٤٠٤	من بلاد العالم إلى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية	٤٦٠	مبدأ الجهاد بين عقائد الإسلام للأستاذ محمد عبد الطيف السبكى
٤٠٩	كلمة الإمام الأكبر	٤٦٣	الجهاد طريق النصر للأستاذ عبد الله غوشة
٤١٤	لفضيلة الشيخ حسن مأمون	٤٦٥	إرادة القتال في الجهاد الإسلامي لواء الركن محمود شيت خطاب
٤١٧	كلمة الوفود	٤٦٨	دور اليهود في العدوان على قاعدة الإسلام في المدينة
٤٢٤	كلمة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية	٤٧١	للاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل
٤٢٧	من البحوث : مكانة بيت المقدس في الإسلام	٤٧٥	بشائر عن معركة لتصير بين المسلمين وإسرائيل لفضيلة الأستاذ نديم الجسر
٤٢٩	للاستاذ عبد الحميد حسن	٤٨٢	اليهود كما تحدث القرآن الكريم عنهم
٤٣٤	القدس في عهد الاحتلال اليهودى	٤٨٥	للاستاذ عبد الستار السيد
٤٣٩	لفضيلة الأستاذ عبد الحميد السايح	٤٩٠	نداء من حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح)
٤٤٢	الصهيونية وأهدافها للدكتور سيد نوفل	٤٩٥	اليهود من كتابهم المقدس
٤٤٦	جوهر القضية الفلسطينية	٥٠١	للاستاذ كمال عون
٤٤٩	للاستاذ الدكتور كامل البقر	٥٠٦	الإسرائيليات في التفسير والحديث
	للاستاذ عبد الله كنون		للاستاذ محمود بونس
	موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في مصر		الإسرائيليات في التفسير والحديث
	الأول		للاستاذ محمد السيد حسين الذهبي
	مقاصد الجهاد في الإسلام		مناقشات المؤتمر الرابع
	للدكتور عبد الحليم محمود		صراحة مؤمنة وأمل متطلع
			توصيات وقرارات المؤتمر الرابع لفترة الأولى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The Fourth International Conference of the Islamic Research Academy of Al-Azhar	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — The Inaugural Session of the Conference		4
3 — Tasks and Efforts of the Academy.	Dr. Mahmoud Hubballa	5
4 — Research Papers and Discussions — Review and Annotation	M. Always	13
5 — The Role of Jews in Aggression on the Base of Islam in Medina . .	Dr. Abdul Aziz Kamel	18
6 — The Position of Jerusalem in Islam	Dr. Ishaq Mûsa Al-Housini	25
7 — Resolutions and Recommendations. .		31

مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعية

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل لا اشتراك»
٤٠ في المبرور العربية المتحدة
٥٠ ضائع المبرورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بَصْدُ عَنْ شَيْخَةِ الْإِنْهَارِ فِي زَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

الجزء السابع - السنة الأربعون - رمضان سنة ١٣٨٨ هـ - نوفمبر سنة ١٩٦٨ م

لِسَمَاءِ الْهَارِ

هذا الشهر العظيم !..

للأستاذ عبد الرحيم فوده

فقد تلقى فيه أول ما تلقاه من أشعة الوحي ،
وأشرق على قلبه نور ربه في ليلة مباركة
من لياليه ، فكان القرآن كما يقول الله :
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وكان
عليه السلام كما يقول « إنا أرسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً وداهياً إلى الله بإذنه وسراجاً
منيراً » كما يقول للناس فيه ، وفي الكتاب
الذي أنزل عليه :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط

الرشد والخير كلمتان تجمعان معاني الحق
والبر ، والتوفيق واللين ، والهدى والفلاح ،
وكل ما تصلح به الحال وتطيب عليه الحياة ،
ويرضى عنه الله يدخل في معناها الواسع
الجامع ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في هلال رمضان بشائر كل ذلك ، فيستقبله
متشوقاً إليه . متيمناً به ، ويهبر عن شعوره
أمامه بهذه الكلمات : اللهم أهله علينا بالأمن
والإيمان ، والسلامة والإسلام ، وبني وربك
الله ، هلال رشد وخير .

ولا عجب أن يكون ذلك هو موقف النبي
صلى الله عليه وسلم من هلال هذا الشهر ،

قول الله في التوراة : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، وقول الله في الإنجيل : وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ولكنه يذكر بعد ذلك قوله تعالى في القرآن : وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، وقوله فيه : يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، ومن ذلك يعرف قدره ، كما يعرف بالليلة التي أنزل فيها وهي ليلة القدر ، إذ أنها كما يقول الله : خير من ألف شهر ، فإذا طوى ذكر غيره اكتفاء بذكره لم يفت هذا الشهر شيء يعظم به قدره وذكره ، إذ يكتفى أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وقد اقترن هذا الشهر في تاريخ الإسلام والمسلمين بأحداث كبرى ترفع من قدره عندهم ، ففيه كان النصر المؤزر في غزوة بدر وفتح مكة ، وغزو الروم في تبوك ، وقهر القوط في الأندلس ، وهزيمة التتار في عين جالوت ، والمسيحيين في المنصورة . وهذه الانتصارات الباهرة تثير الشعور بما ينبغي أن يكون عليه المسلمون ليكون الله معهم على أعدائهم وأعداء دينه ؛ فإنه كما يقول : « ولا ينصرون الله من ينصره » ، وكما يقول : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

مستقيم ، فالكتاب المبين هو هذا القرآن الكريم ، والنور هو خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام ، وهما معاً كما يقول الله : « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » ، وكما يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان) . فإذا صح ذلك - ويقينى أنه صحيح - كان معناه أن هذا الشهر الأغر هو الشهر الذي اصطفاه الله ليكون لجزء هديه وروحته ، ومشرق نوره ونعمته ، وإنما قرن الله هذا الشهر بالقرآن دون غيره من الكتب التي أنزلت فيه ، لأن ذكره ينطوى فيه ذكرها وقدره يفتى إليه قدرها ، بل هو بالنسبة إليها كما يقول القائل :

لا تذكروا الكتب السوالم عنده

طلع الصباح فأطفا القنديلا

ومعاذ الله أن نخض من قيمة التوراة التي أنزلها الله على موسى ، أو من قيمة الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ، والقرآن يذكر

أما ثمرات الصيام فيه فقد أجملها الله في كلمة واحدة تسع كل خير ، وذلك حيث يقول سبحانه : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

فالتقوى هي الثمرة المرجوة من صيام هذا الشهر ، وهي كما يقول الله : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وكما يقول : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

ولنما يشمر الصيام هذه الثمرة العظمى لأنه يزكي النفس . ويربي الضمير ، وينبه الوجدان ، ويوجه السلوك ، ثم هو جهاد

وإعداد للجهاد ، يتخرج منه الصائم وقد انتصر على أهوائه وشهواته ، وظفر بتقوية إرادته ورياضة نفسه على احتمال المشاق ، وذلك - دون شك - كسب عظيم لا يقاس به كسب يرجى لخير الفرد وصلاح المجتمع ، (لهذا ولغيره - مما لا يتسع المقال لذكره - نستقبل هذا الشهر بما كان يستقبله به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونرى في مطلعته مخايل خير مقبل ويمن مأمول) ، ونقول في استقبال هلاله ما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم أهله علينا بالآمن والإيمان والسلامة والإسلام ربنا وربك الله ، هلال رشد وخير .

عبد الرحيم فوده

قال أحد الشعراء :

أهوذ بك اللهم من بطر الغنى
ومن أمل يتمد في كل شارق
إذا لم تدنسني الذنوب بعارها
ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر
يرجعني منه بحظ يد صفر
فلمست أبالي ما تشعث من أمرى

مركز الإنسان في الوجود بين الدين والعلم

للدكتور عفيفي عبدالفتاح

إرادته في شئونها ؛ ويسجد له من فيها من عباده المسكرين . وقد اختصه الله بخطابه وبرسالته لتحقيق هذه الخلافة . وممكنه ، بها منحه من مواهب وقدرات ، من التأمل في صنعته ، والاهتداء إلى معرفته ، ثم وعده بالخلود في رحاب جناته ، والخطوة بمشاهدة ذاته ، ألطاف وعنايات تشهد بأنه السكّان الأول في الموجد . ودات والقطب الذي تلتف حوله العوالم .

ولعل (دأته) أفصح من لسانا إذ يتحدث عن هذه القضية ، في (الكوميديا الإلهية) فيعبر عن شعوره وشعور معاصريه وعن جماع الثقافات التي سبقتها بشأنها .

فهو ينظر إلى الأرض ، تمددها الشمس بالضوء والحرارة وتصدر الكواكب فوقها في أقدارها ومصائرهما ، وتهب الرياح الرخوة والهوجاء في فسيح أرجائها ، وتجري الأنهار العذبة والبحار الملاحية في مختلف جهاتها ، وتظهر على سطحها وفي مروجها أشجار مورقة مع أهشاب ضارة ، وتهوم عليها أرواح طيبة مع نفوس شريرة وهوام خبيثة ... ثم يرى الفيلسوف أن كل ذلك ليس إلا للإنسان ، المخلوق الأول ، لسماعته وإرهاقه ، أو عقوبته . والمؤرخ يعرف ما كان لهذه النظرة (مركزية

سرعان ما يدفعنا التفكير . حين نبحث - في محيط القيم - عن مركز الإنسان في الوجود ومكانته من العوالم - إلى مواجهة موقفين يبدو أن ، أول الرأي ، مختلفين في التقدير والاعتبار ، ينبعث أحدهما من هدى الدين وصرح منطقته ، ويصدر الثاني عن العلم ومفاهيم نظرياته ، وقد يقف الباحث بينهما في شبه متناهية ، يتلوس وجه الصواب .

الإنسان والدين

حديث الدين عن الإنسان لا يدع مجالاً للشك في أنه الهدف الأسمى للخلق ، والمركز الذي تهبط إليه الكائنات ، فقد سخر الله له ما في الأرض جميعاً وما يحيط به من كائنات وعوالم سخر له الشمس والقمر دائبين ، وسخر له الليل والنهار ، وذراً له ما في الأرض مختلفاً ألوانه وسخر له البحر ليأكل منه لحماً طرياً ، والفلك مواخر فيه وليبتغي من فضله ، وأنزل من السماء ماء له منه شراب وفيه شجر وألقى في الأرض رواسي أن تُمسك به ، وآتاه من كل ما سأل ...

كل ذلك من أجل الإنسان ينعم بما فيها من طيبات . ويعتبر بما تنظم من حكم وغايات ، فهو المخلوق المفضل عند الله ، والمسكّر من خلقه ، هو خليفته في أرضه ، يعمرها وينفذ

مواجهة الكفر والإلحاد أقوى بشاعة وأكثر فظاعة منه في مواجهة الانحراف الفلسفي وأخطاء المذهب المادي . فإن موقفنا هنالك يتمثل في ثورة حادة شعورية وخلقية وفكرية ذات هول ورهبة ، وذلك ما لا نجد في إنكارنا للنظريات العلية كنظرية التولد الطبيعي أو بعض نظريات الضوء ، مما ينتهي الأمر بشأنه إلى مواصلة البحث والمهادنة في النزاع .

أما الإلحادية فإنها تهوى بالإنسانية من علياء عرشها وتنزل بها إلى مستوى الحيوان الذي يسرع إليه العطب والحشائش التي لا تلبث حتى تذبل ، وهو ما ينفر منه شعورنا الطبيعي بكرامتنا وكبريائنا ، ويحدثنا التاريخ عما لقي العلماء المعارضون من عنف الكنيسة أمثال (نيوتن) و (جاليلی) .

بمثل هذا المنطق تأصلت (نظرية المركزية الإنسانية) وتغلغلت في مشاعر الدينين والتقليديين المحافظين حتى عصر العلم الحديث أو عصر الاكتشافات .

الإنسان والعلم :

وماذا يقول العلم الحديث عن الإنسان ؟ إنه يعرض وجهاً آخر للسألة ، ويخلق إحساساً مختلفاً فيها . فهو يرى أن النظرة التي سادت قديماً كانت خدعة ناشئة عن سذاجة العقل في ميعة شبابه وقبل أوان نضجه صادرة عن قصوره في فهم ما حوله من العوالم

(الإنسان) من شيوخ وذيوخ في علوم اللاهوت التي سادت طوال العصور الوسطى والفلسفات التي سبقتها وعاصرتها وفي روح الثقافات بوجه عام ، فقد صدر عنها كثير من التصورات في البيئات الاجتماعية وانعكست عنها صور من أساليب التفكير ، حتى في النظريات الطبيعية عند (لوكريس) التي اعتبرت بقاء الإنسانية سنداً لدوام الوجود .

وقد نرى كثيراً من ملاحظاتها في مجال الفنون والآداب عند الأغريق والرومان وفي عهد الحضارات الأولى ، مدونا في التراث الخالد من النقوش والرسوم والتماثيل والشعر وأدب الملاحم .

كانت زعامة الإنسان أو (المركزية) روح الثقافة المعروفة إلى عصر النهضة ، وكان المساس بها خروجاً على عقيدة شبه مقدسة .

ومن ذا الذي كان يجرؤ على أن ينزع الإنسان من مركز الصدارة ، ليجعل منه حدثاً عارضاً في سلسلة تغيرات الطبيعة خاضعاً لقوانينها في تلقائية لا هدف لها ولا غاية ؟

إن من كان يذهب إلى ذلك سوف يكون ملجداً أو كافراً بالعناية السبوية التي مظهرها الإنسان ، وإنه سينتهي عن هذا الشطط ، طوعاً أو كرهاً ، إلى المذهب المادي الذي ينزع من الوجود سماته الرفيعة . والذي نرفضه كفلسفة منحرفة وخاطئة .

وغير خفي أن شعورنا الذي نكسبه في

فهو يفترض أننا ستمتلى شعاعاً من الضوء في هذه الريادة ، نتجه به إلى حيث نشاء ليسير بنا في طريقنا بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميلا في الثانية الواحدة ، فنذهب إلى الشمس في نحو ثمان دقائق ، لرى عندها المجموعة الشمسية مؤلفة من الكواكب الثمانية الكبرى ومرتبة حسب أبعادها من الشمس ، ومع كل منها أقاربه وتوابعه .

وقد نقوم من الشمس إلى (نبتون) لنصله في نحو الأربع ساعات وربع من الساعة . وقد نذهب من المجموعة الشمسية إلى أقرب نجم إليها ، وهو (ألفا) لنصل إليه في نحو من أربع سنين . وعنده تبدو هذه المجموعة نقطة صغيرة في الفضاء ، وقد ننتقل من نجم إلى آخر في بضعة سنين لنصل إلى حدود العالم الأدنى الذي شمسنا أحد نجومه . فإذا خرجنا منه إلى العالم المجرى الذي هو أحد مئات الألوف من العوالم المتفرقة في الفضاء ، فإننا نقطع بضعة آلاف السنين . حتى إذا انتقلنا منه إلى بعض الصدم اللابجرية نكون قد قطعنا بعض ملايين السنين ... ولا ننسى أننا نمتلى شعاعاً من الضوء سرعته في الثانية ما قد منا .

فأين نحن من الكون ؟ وماذا عسى أن يكون الإنسان منه ؟ ألا يكون أضعف وأحق من أن نسير وجوده أية لقطة أو أن نغزو إليه مركزية ما ؟

ولقد جاءت كشوف (كيبلر) و (نيوتن)

الكونية التي تتجاوز قدرته في تصورهما وإدراك حدودها وأبعادها .

ففي طليعة القرن السادس عشر ، أعلن العالم البولندى (كوبرنيك) نظريته في النظام الفلكي ليهدم بها نظرية (بطليموس) وليقلب بها تصوراتنا رأساً على عقب . فقد ظهرت منها العوالم السماوية في أعداد وامتدادات تفوت حدود الخيال . وقد ظهر بها أن الإنسان ليس أكثر ولا أقل من ضيف متواضع من ضيوف الكوكب الأرضي الذي هو منها أقل من هبوة خافتة لا تكاد تلمح من كواكب عملاقة لا يحصيها عد ولا يحيط بها حد .

فن أفلاكها مالا تستطيع الأرقام قياس أبعادها ولا العلم ضبط سرعة كواكبه .

ويتحدث (باسكال) في صدر تأملاته (les pensées) عن ضخامة العوالم الكونية وضآلة الإنسان بجانبها : فالعالم المرئى كله ليس شيئاً ضمن ما تحتضنه الطبيعة في أبعادها ولا توجد فكرة تقرب لتصوراتنا مدى هذه الأبعاد ، فإن هذه الفكرة لن تقع إلا على أجرام هي ذرات تدور في فلك لانهاثى مركزه في كل مكان ودائره لا تحد بمكان . أما الإنسان منه فالعدم (كل العدم) .

وحسبنا ، في إعطاء فكرة عن هذه العوالم ، أن نذهب إلى (السباحة الفضائية) التي عرضها في بعض محاضراته العالم الرياضي الدكتور على مشرفة .

ما تقول به النظريات الفلسفية في مظهرها الاستاتيكي بشأن موقف العلم من الإنسان ولتصور هذا الإعلان في منطق صارم صرامة القوانين الثابتة ، مؤيدا بالنتائج والاكتشافات .

وقد كان هذا الإعلان نكسة قاسية في شعور المحافظين والدينين والتقليديين تركت فيه نوحا من التشاؤم وخلقت فيما حوله صورا من الأدب الساخر على الإنسان وعلى (المركزية) اهتز بها الإنسان وترنح بها عرش المركزية فن هو ذلك الإنسان !! أمن عالم الحيوانات ومن أى أنواعها ؟ أم من دنيا الحشائش ؟ ومن أى فصائلها ؟ وكيف يقف على قدم المساواة مع الحيوانات العجائز تعمره طبيعة لا عقل لها ويتحكم فيه قانونها التلقائي الأعشى ؟ .

وكذلك يبدو الإنسان وقد هبط من عرشه وعاد ظاهرة طبيعة عارضة . لم تكن في بداية حركة هذا الكوكب ، ثم حلت فيه بشكل ما ، آخذة مظاهر تكوينها رويدا من الكائنات الدنيا طواعية لقانون التطور الحتم ، وصائرة معه إلى طبيعتها وطابعها الذي نرى ، ومن المحتمل ، أو من المتوقع ، أن ينتهي فعل التطور باختفائها من محيط العالم ليستمر الوجود سيرته الأولى وبدون الإنسان .

ذلك حديث العلم نقف معه أمام قضية مؤيدة بالتجارب مدعومة بالوقائع ، تطيح بما كان مألوفاً من القيم وتسخر بما كان معروفاً

تدعم النظرية (كوبيرنيك) ونفسح المجال لاكتشافات علمية في العالم الطبيعي ، تسير في نفس الاتجاه ، بشأن وزن الإنسان ووضعه من عالم القيم .

فالدراسات العلمية التي قام بها بعض العلماء وخاصة (دانتيك) للكرة الأرضية ، تؤكد أن الحياة فيها ليست إلا عرضاً سطحياً في تاريخ حركة الأرض .

وعلم التحليل المقارن يبرهن على أن الإنسان أكثر قرباً لبعض فصائل القرود من هذه بالنسبة لفصائل أخرى من جنسها .

وعلم وظائف الأعضاء يثبت بوسائله القرب الوثيق بين الإنسان وفصيلة الشمبانزي كما يثبت الشروط والأوضاع التي ترتكز عليها عملية التفكير .

وعلم الاجنفة يقرر أن النظام العضوي الإنساني يمر في تطوره بمراحل استيعابية ، مقابلة للحالة النهائية في شكل الحيوانات الدنيا ويتأكد ذلك بدراسة الظواهر العضوية الشاذة والأجزاء الفضولية في الإنسان .

ويحاول علم الحفريات في دراسة الأجسام العضوية المظلمورة ، أن يحدد المراحل الفاصلة بين الإنسان والحيوانات الأخرى .

وتتجمع هذه الدراسات في إطار واحد لتؤلف بحوثاً متأخذة ترتكز عليها مذاهب التطور والارتقاء عند (داروين) و(لامارك) و(سبنسر) ، لتعلن بمضمونها الديناميكي

به نظرية (داروين) نفسه على ضوء الدراسات المقارنة للدخ في نشأته وحجمه ومساحته السطحية ، وفي كشف مدى تأثير الانتخاب الطبيعي على التطور في هذا الإنسان والحيوانات الأخرى .

حتى لتجمله نتائج بحوثه على القول بأن الإنسان هو وحده مظهر التكامل والاتقان في فعل الانتخاب المتتابع عرض آلاف السنين ، وحتى ليقرر بأنه لم يوجد ولا يمكن أن يوجد مخلوق أطوع من الإنسان لتطور بعيد الغايات ويعترف القائلون بالانتخاب بأن أروع ما استحال إليه في فضاله عبر القرون هو تولد النفس الإنسانية ، وبها وبمكانياتها المحدودة بدأ فصل جديد ومجيد من تاريخ العالم . وقد يكون من الإنصاف للدين وللعلم معا وكل في محرابه المقدس ينشد الحقيقة - أن يرى في هذا الانتخاب مظهر العناية الإلهية في إخضاع الإنسانية لنا موسى الترقى عن طريق تفاعله بالمؤثرات التي خلقتها وحددتها لها هذه العناية ، وهذا ما يعنيه الفلاسفة بقولهم إن الكامل لا يصدر عنه إلا الكامل فهذه الإنسانية بما تمثل من كمال ودقة وإتقان وتنسيق لا يمكن أن تكون مدبرة بضرورة غيبية ولكن بعناية عاقلة تفيض بالخير عن قصد وتلغي السمكالات عن إرادة ، ولو أخذ علماء الطبيعة بذلك لتلاشى التشاؤم واختفى خطر النظريات ، ولآمن الناس جميعا .

وسائدا في التصورات . كما وقفنا من قبل مع الدين أمام قضية معارضة مؤيدة بوحى منه وبشعور الإنسان بسموه وفوقاته .

نحن إذن أمام موقفين مختلفين لا يجدى بينهما الاختيار ، فهو أنى يكون ، انكار الحقيقة ، وإمداد لصواب . وإلى أين المصير .

والحق في ذلك أن الثورة العلمية في مختلف شعبها ووجوهها لم تفهم كما كان يجب أن تفهم في علاقتها بزعماء الإنسان أو مركزية ، حتى كان القلق منها عاطفة هو جاء وكان المنشأتمون بها من أنصار القديم جامدين أغبياء .

إنها في واقعها لم تكن ثورة على الإنسان ولا على القيم الإنسانية ، ولكن ثورة من الإنسان على الطبيعة في صمتها وأطوافا بمجوانها لكشفها ، وتخطيطا واعيا لتدهيم سلطانه عليها وبسط نفوذه فيها ، إنها كانت انتصارا للإنسان كانت تأكيداً لكيداً لزعامته وتأييدا للعرشه الذى أن أمكن أن يتزلزل من قبل فلا يمكن معها أن يهتز . فإنها قبل أن تسكتشف الطبيعة اكتشفت الإنسان نفسه وعرفت عنه المواهب الفياضة والاستعدادات الحارقة والخصائص التي خلعتها عليه العناية واختصته بها .

وذلك ما كشفه العلم عن طريق دراسته للإنسان في مقابلته للفصائل الحيوانية المختلفة القريبة منه والبعيدة عنه . وذلك ما تقول

إن زعامة الإنسان ترجع لذاتيته المخلوقة بيد الله والمحوطة بعنايته، وليس في الكشف الطبيعية ما يشكل خطراً عليها كما عرفنا عند أخطر العلماء (داروين) ولا في الكشف الفلسفية ما يحقر من شأن الإنسان أو يقف في سبيل سموه وطموحه، ذلك الطموح الذي يغريه اليوم بريادة الكون واختراق سماواته ليكشف عجائبها وأسرارها، وليسخر منها ما شاءت له الحكمة تسخيرها وهو من فلك بالغ ما امتد به وجوده وسمحت أقداره بفضل ما أوتي من قدرة مبتكرة، يرفع بها طاقاته ويزود بها إمكاناته .

في أرضها وسماها ليس أمراً واقعاً خصب وليكنها أيضاً تتزايد كما وكيفاً مع حركة الفكر وحركة الفلك .

وإن (كوبيرنيك) الذي كشف لانهاية العالم قد فاته أن يكشف لانهاية الطاقة الإنسانية ومقدرة العقل البشري .

وإن الله الذي خلق هذه اللانهاية في الكون شاء أن يظهر منها جلاله وتكشف بها عظمته، فخلق الإنسان لذلك، والله عليم حكيم .

وكذلك ننهي إلى أن الإنسان الضعيف أمام الخالق، هو السيد أمام المخلوق .

وكفى الله المؤمنين القتال ؟

و عفيفي عبد الفتاح

إن انتصارات الإنسان على الطبيعة

(بقية المنشور على صفحة ٥٣٦)

ولما كان مختلفاً في أي ليالى عشر رمضان تكون ليلة القدر فلماذا يستحب قيام هذه العشر الأخيرة كما قاله المتولى حتى يحرز المسلم فضلها على اليقين . أقول ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فيها لذلك .

ولإحياء هذه الليالى يكون بالصلاة والدعاء في وقت منها ، فلا ينساق الليل كله وروى مرفوعاً من طريق أبي هريرة أن من صلى العشاء الأخيرة في جماعة فقد أدرك ليلة القدر

أي أخذ حظاً منها .

والإمام النووي يرى أن من أحيائها لا يحرز فضلها بمجرد إحيائها ، بل بأن يطلعه الله عليها ، أي يريه بعض ملكوته ، فلو لم يشعر بها لم ينل فضلها ، وخالفه الأوزاعي والمتولى حيث قالوا إن فضلها يناله من قامها بإخلاص لله تعالى ، وفق الله جميع المسلمين لإحيائها وأنا لهم من بركاتها ؟

مصطفى محمد الحميري الطبر

لفظ القرآن ومعناه

للأستاذ علي الخفيف

(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إياه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : « اقرأ » قلت : ما أنا بقارى ، فأخذني فغطى حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : « اقرأ » قلت : ما أنا بقارى ، فأخذني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : « اقرأ » قلت : ما أنا بقارى ، فأخذني فغطى الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » (١) . وقال تعالى : « ما أنا بقارى » ، ثم أرسلني فقال : « اقرأ » قلت : ما أنا بقارى ، فأخذني فغطى الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » (١) . فكانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن .

وكان بين العلماء اختلاف في تعيين آخر ما نزل من القرآن ، ومرد أقوالهم في ذلك إلى آثار غير مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها : أن آخر ما نزل قول الله

(١) سورة العلق ١ .

في ليلة مباركة من ليالى شهر رمضان من سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من عام الفيل هي ليلة القدر (١) نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار حراء ، حيث كان يتحنث الليالي ذوات العدد قائلا له : اقرأ ، فقال له : ما أنا بقارى ، فأقرأ أول ما نزل عليه من القرآن ، وهو صدر سورة العلق ، قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) . وقال تعالى :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » سورة البقرة ١٨٥ ، وقال : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين » سورة الدخان ٣ . وقال : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » سورة القدر ١ .

وروى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

(١) سيرة ابن هشام ص ١٥١ مطبعة الجملية سنة ١٩١١ ، ٢٠ البخارى كتاب بدء الوحي .

(٢) سورة العلق ١ .

عن آخر سماع من رسول الله سمعه ، وقد يكون غيره قد سمع منه بعد ذلك ما لم يسمع . وقد نزل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم يوم مبعثه ، واستمر نزوله إلى قبيل وفاته ، فكان نزوله عليه بمكة ، فيما بين بعثته وهجرته ، وقد اختلفت الروايات في تقديرها ما بين عشر سنوات أو ثلاث عشرة سنة أو خمس عشر سنة ، وكان نزوله عليه صلى الله عليه وسلم في المدينة مدة إقامته فيها ، وهي من وقت هجرته إلى وقت وفاته ، وهي من أول ربيع الأول سنة ١٢ هـ من مولده صلى الله عليه وسلم إلى الثاني من ربيع الثاني سنة ٦٤ هـ من مولده أو سنة ١١ هـ من هجرته ومقدارها عشر سنوات تقريباً (١)

ما نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت غناية القرآن الكريم ببيان مصدره وأنه تنزيل من رب العالمين على محمد صلى الله عليه وسلم عناية بالغة ، تجلى مظهرها فيما جاء به من آيات عديدة منبئة فيه ، وهوزعة على كثير من سور تارة في مفتتحها ، وتارة في ثنائها ، مما كان له في نفوس المنصفين من الناس ذلك الأثر الذي لا يخالجه أدنى شك ، وهو أن الكتاب إنما جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم وحياً من الله العلي الحكيم ليس له

(١) الإتيان ج ١ ص ٢٤ وما بعدها .

تعالى في سورة البقرة : « واتقوا يوماً ما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، ٢٨١ أخرجه النسائي عن ابن عباس .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعيش بعد نزولها سوى تسع ليال ، وكانت وفاته لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ٦٤ هـ من مولده ، أو من عام الفيل ، ومنها : أن آخر ما نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » البقرة ٢٧٨ ، أخرجه البخاري عن ابن عباس والبيهقي عن ابن عمر .

ومنها : أن آخر ما نزل آية المدافعة : « يا أيها الذين آمنوا ، البقرة ٢٨٢ ، أخرجه ابن جرير عن سعيد بن المسيب ، ومنها : أن آخر ما نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » المائدة ٣ ، وقد نزلت يوم عرفة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بعرفات يدعو ربه ، وكان ذلك من السنة العاشرة بعد الهجرة ، وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة ، إذ توفي صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

وكل منها يقوم على ما وصل إليه علم صاحبه

٦ - وقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ، سورة الإنسان ٢٣ .
وتلك آيات لها في القرآن نظائر عديدة تدل بصريح ألفاظها وعباراتها على أن القرآن الكريم إنما هو من عند الله العلي العظيم معنى ولفظاً ، لأن كلا من القرآن والكتاب اسم لما جاء به رسول الله من عند الله ، وهو عبارة عن اللفظ والمعنى .

كما يدل على ذلك قوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ، إذ قد صرح فيه بأنه قول منزل من رب العالمين .

وكذلك « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ، النحل ١٠٢ ، ١٠٣ ،
إذ وصف فيه بأنه لسان عربي مبين أنزله روح القدس من رب العالمين .

ومثل ذلك قوله تعالى : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً وقرأ نأفرقناه لئقرأ على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ، الإسراء ١٠٥ ، ١٠٦ . فقد وصف فيه بأنه قرآن نزل مفروقاً ليقراه رسول الله على الناس ، والقراءة لا يوصف بها إلا اللفظ .

فيه إنشاء ولا صياغة ولا تأليف ولا ترتيب ولا لفظ ، وليس له فيه إلا أنه وعاه وحفظه ثم بلغه ويدينه وطبقه ونفذه ، نزل به عليه رسول كريم ذو قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ، تلقاه من لدن الحكيم العليم ثم نزل به بلسان عربي مبين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فوفاه وحفظه وبلغه ، كما أنزل عليه دون تغيير ولا تبديل ، وفي بيان ذلك نزلت الآيات ذوات العدد في كثير من سورة نذكر منها :

١ - قوله تعالى : « وإنه لننزل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتسكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ .

٢ - وقوله تعالى . « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، النمل ٦ .
٣ - وقوله تعالى « ألر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون ، يوسف ٢ ، ١ .

٤ - وقوله تعالى : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، الزمر ١ ، ٢ .

٥ - وقوله تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، سورة إبراهيم ١ .

قولا عربيا إنما هو من عوارض الالفاظ وصفاتها ، لا من عوارض المعاني وصفاتها فكانت هذه الآيات وأمثالها المنتشرة في الكتاب العزيز حججاً قاطعة على أن القرآن لفظه ومعناه من عند الله تعالى ، وليس لمحمد صلى الله عليه وسلم إلا البلاغ والبيان^(١) .

وإنك لترى هذا المعنى وقد أكدته القرآن الكريم بأساليب مختلفة في آيات عديدة ذكرنا لك بعضها ، وثقته أى توثيق بدروب من البيان ، وبألوان من الحجج ، قد زاده توثيقاً وإحكاماً بما رتبته من الجزاء الأليم والعقاب الصارم على الزيادة فيه أو التبديل أو التغيير بقول من محمد صلى الله عليه وسلم وذلك إذ يقول تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » الحاقة ٤٤ - ٤٧ .

على الخبص

(١) الإتيان ج ١ ومقدمة تفسير المباني .

وقوله تعالى : « وأتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته » الكهف ٢٧ .

وقوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » الأعلى ٦ .

وقوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » سورة القيامة .

وقوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلاً » المزمل ٤ .

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون قرآناً عربياً غير ذى هوج لعلمهم يتقون » الزمر ٢٧ ، ٢٨ .

ففي هذه الآيات والتي قبلها وصف بأنه نزل بلسان عربى مبين وبأنه قرآن عربى ، وبأنه قول نوله رب العالمين ، ولسان عربى نوله روح القدس ، وبأنه قرآن نزل مفارقاً ليقرأه رسول الله على مكث ثم أمر فيها رسول الله بتلاوته وترتيله وكل هذا لا توصف به إلا الالفاظ ، لأن القراءة والإقراء والتلاوة والترتيل ، وتحريك اللسان وكونه

ليلة القدر

للأستاذ مصطفى الطير

ما ليلة القدر ، فإنه مشير إلى أنها من الفخامة في درجة فاقت دراية كل من يصلح للخطاب من المخلوقين ، وفي قوله : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ولا شك أن هظمة هذه الليلة ليست ذاتية ، بل بسبب نزول القرآن فيها ، وحسبك في الدلالة على قدر القرآن الذي عظم به قدر هذه الليلة أن الله تعالى قال في شأنه : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وقد بقي هذا التحدى إلى يومنا هذا ولم يستطع معارضوه أن يأتوا بمثله ولا بأقصر سورة منه ، وسيميق العجز أمامه إلى يوم القيامة ، وذلك خير دليل على أنه من عند الله وأنه حجة الله على صدق نبيه محمد في دعواه الرسالة عنه تعالى .

والمراد بانزال القرآن ليلة القدر لإنزاله كله فيها إلى السماء الدنيا في العام الأول للبعثة لكنه نزل بعد ذلك منجما حسب الوقائع في مدى ثلاث وعشرين سنة ، وقيل إنه لم ينزل دفعة واحدة ، بل ابتداء نزوله ليلة القدر ، وتتابع نزوله بعد ذلك طول مدة البعثة النبوية .

هي ليلة من ليالى الله تعالى . خصها بمزيد من القدر والشرف ، فأُنزل فيها القرآن ، ورفعها بذلك فوق أقدار الزمان ، وجعلها موسما للعبادات ، وميقانا للبر والخيرات ينتظرها الصائمون كل عام ، يمجّدون فيها القرآن الذي شرفت بنزوله فيها ، ويستكثرون من الدعاء والطاعات في زلف منها ، ويرجون من الله أن يتقبل منهم ، ويجعلها خيرا وبركة عليهم .

وفها يقول الله : إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر .

فشرف هذه الليلة فاشيء من نزول القرآن العظيم فيها ، ولولاه لكانت مثل سائر الليالى فالزمان في ذاته عند الله سواء ، وكيف لا تشرف به ليلة القدر وهو أغلى كلام من أجل متسكلم . نزل على أكرم رسول . ليبلغه خير أمة أخرجت للناس .

وقد غم الله القرآن بالإخبار لآليه بقوله : أنزلناه ، من غير سابق تصريح باسمه إيذانا بحضوره في الأذهان لجلال منزلته ، وزاده تفخيما بتفخيم ليلة لإنزاله في قوله : وما أدراك

موعد ليلة القدر :

أكثر العلماء على أنها في أوتار العشر الأخير من رمضان ، وأكثر هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين منه ، ودليلهم في ذلك ما رواه مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان متحريها فليتحريها ليلة سبع وعشرين) .

ومن طرائف الاستنباط أن عدد كلمات السورة ثلاثون ، وأن كلمة (هي) الراجعة إلى ليلة القدر هي السابعة والعشرون ، وذلك يشير إلى أنها ليلة السابع والعشرين .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعد لها فيمتسك بالمسجد في العشر الأخير من رمضان قالت عائشة : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله) والمئزر ما يستر العورة ، وشده كناية عن الجسد في العمل وقد ورد في تحديد وقتها روايات مختلفة غير ما ذكر ، وأقواها في أوتار العشر الأخير من رمضان ، ولعل اختلاف الروايات ليعتد طالب العبد لها بالعبادة في الليالي التي وردت فيها .

سبب تسميتها :

القدر الشرف ، فسميتها بليلة القدر لشرفها بإنزال القرآن العظيم فيها ، وقيل سميت بذلك لأن الله ينزل مقادير الأمور في العاصم

المقبل ليلتها ، فينزل فيها آجال العباد وأرزاقهم ومقادير الرياح والأمطار والحروب والسحاب ورحلات الطيور والحيوانات والموايد والوفيات وغير ذلك ، ليقوم مدبرات الأمور من الملائكة بتنفيذها في حينها .

وفي ذلك يقول الله : إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم ، وقيل للحسين بن الفضيل أليس الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال بلى ، قيل فما معنى ليلة القدر ، قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر ، وقيل سميت بذلك لأن الطاعة فيها لها قدر عظيم وجزاء كبير .

ليلة القدر خير من ألف شهر :

عن ابن عباس أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر ، فمجب لذلك وقال يارب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلهم أعمالاً ، فأعطاء الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر إلى يوم القيامة .

وما نظن أن ذلك يصح عن ابن عباس ، فإن آجالنا ليست أقصر من آجال بني إسرائيل وليس مقبولا أن واحداً منهم يحمل السلاح ثلاثاً وثمانين سنة وثلاثاً أطول المدة من جهة ، ولأنهم هم الذين قالوا لموسى في قتال الجبارين : إذهب أنت ووبك فقاتل إنا هاهنا

تنزل الملائكة والروح :

يقول الله تعالى : تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، والروح هو جبريل رئيس الملائكة وأمين الوحي ، ويدل لذلك قوله تعالى : نزل به الروح الأمين على قلبك ، الآية ، وقيل إنه صنف أعلى من الملائكة وهم حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا ، ومعنى الآية تنزل الملائكة على دفعات بأمر ربهم من أجل كل أمر قضاه الله لينفذوه في حينه بعد أن تلقوه من ربهم سبحانه .

سلام هي حتى مطلع الفجر :

يعنى أن هذه الليلة هي ليلة السلام ، ففيها يسلم الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، أو يسلم الله عليهم . والسلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار أو دعاء بالسلامة ، ويجوز أن يكون المعنى أن الله يسلم في هذه الليلة عباده ويتجاوز عن هفواتهم السابقة إذا أحيوها بالطاعة .

ويبقى كل من تنزل الملائكة والسلام حتى مطلع الفجر .

من يحرز فضلها

يحرز فضلها من أحيائها بالقيام لقوله صلى الله عليه وسلم : من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، من حديث رواه البخارى ومسلم .

(البتية على صفحة ٥٢٩)

قاعدون ، ولأنه لو كان قيام أيلها يغنى عن الجهاد ألف شهر لتعرض الإسلام لخطر كبير ، ولهذا قال بعض العلماء إن كونها خيراً من ألف شهر للتكثير في ثواب عبادتها وليس للحصر العددي .

والذى أفهمه أن هذه الليلة وإن كان يعظم فيها قدر الأهمال لقوله صلى الله عليه وسلم : من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، رواه البخارى ومسلم . لكن كونها خيراً من ألف شهر جاءها من أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهي خير من ألف شهر ، فإنك إذا قارنت بين هذه الليلة وبين العصر الجاهلى قبلها وجدت ذلك حقيقياً لا مبالغة فيه ، فقد كان الناس يعيشون في حروب متتابعة ووثنية مزيلة ، وانحراف في السلوك وإهدار للأعراض وجهالة ضافية الذبول فلما جاءت ليلة القدر المباركة نزل فيها القرآن الذى فتح أبواب الاستقرار والتعايش السلمى على أساس من وحدة العقيدة وتبادل النفع والخير والمحبة والسلام ، إلى غير ذلك مما جاء به القرآن العظيم ، فكيف لا تفضل به ألف شهر ليست فيها وأمرها ما ذكرنا أفليست ليلة الشفاء خيراً من ألف شهر يقضيه الإنسان عيلاً مهدماً . لذلك كان العمل الصالح فيها خيراً منه في ألف شهر ليست فيها ليلة القدر .

نقوى الله أفضل العدة

للدكتور على العمارى

يجاهد لإعلاء كلمته سبحانه . وبهذه الثقة
يهون عنده كل بذل ، بل هو يستعذب كل
ما يلقي من مكاره .

ولقد كان أسلافنا الأوائل يحاربون
بالإيمان وبالسلاح ، وكان إيمانهم - دائما -
أقوى من أسلحتهم ، وأشد على أعدائهم من
عددهم وعددهم . ولذلك انتصروا في كل معركة
ثبتت فيها إيمانهم ، وانهمزوا في بعض المعارك
التي تغلبت فيها النوازع النفسية الدنيوية .
أو سادهم فيها الاغترار بقواهم المادية .

انهمزوا - بادية ذى بدء - في معركة حنين
حين غرتهم كثرتهم ، وقالوا لن نهزم اليوم
من قلة ، وحكى عنهم القرآن ذلك : « ويوم
حنين إذ أعجبكم كثيرتكم فلم تغن عنكم
شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين ، فلما عاودتهم الثقة بالله ،
وإزداد نور الإيمان إشراقا في نفوسهم ،

وكرروا على أعدائهم غير طابئين بما يلقون منهم
أعانهم الله ، ونصرهم على أعدائهم مع كثرتهم
ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا
وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء والله غفور رحيم . »

وانهمزوا يوم أحد حين جذبت الغفائم أعين
الرماة منهم ، فخرجوا على أمر رسول الله

لا غنى لآى محارب يريد النصر عن إعداد
ما يستطيع من قوة مادية . تلك سنة كونية
لا سبيل إلى إنكارها أو التمسك بك فيها ،
فمن تجاهل هذه السنة ، واغتر بنفسه فقد حاد
هن الجادة ، وضل الطريق الموصل إلى النصر .
ولو كان النصر يهبط على بعض الناس دون
تحميل مشاق القتال والإعداد له لكان أحق
بذلك رسل الله عليهم السلام ، أولئك الذين
لم يحرزوا نصرا على أعدائهم إلا مع الاستعداد
وبذل كل مرتخص وغال في سبيل إنجاح
دهواتهم ، وهى دعوات الحق المؤيدة من
عند الله سبحانه وتعالى .

هذا حق ، ولكن من الحق أيضا أن كل
القوى مهما بلغت لا غناء فيها ما لم تؤيدها
قوى روحية ، هى - في الحقيقة - أقوى من
كل عدة ، وأمضى من كل سلاح ، تلك هى
قوى الإيمان .

فالجندي الذي يتسلح بالإيمان لا يبالى على
أى جنبه يصرح ، والمؤمن يقاتل دائما وهو
يشتمل في نفسه قول الله تعالى : « قل هل
تربصون بنا إلا إحدى الحسينين ونحن
تربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده
أو بأيدينا ، فهو واثق من الظفر بما يرضى
نفسه وإيمانه . إما النصر والغنيمة ، وإما
الجنة التي وعده الله بها إن مات شهيدا وهو

الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه حق في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاحتشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وقد يكون في الجيش الرجل الصالح يدعو الله فيقبل دعوته ، فينزل النصر على أوليائه . روى أن قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح السند حين قابل الترك هاله أمرهم ، فسأل عن رجل من صلحاء المسلمين وزهادهم هو العالم العامل محمد بن واسع ، قائلاً لمن معه : ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه ينضنض بإصبعه نحو السماء ، فقال قتيبة : تلك الأصابع الفاردة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير ، فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك بمجامع الطريق .

فالقائد المظفر - وهو من أعظم قواد الإسلام - لما هاله الأمر ، لما رأى من كثرة عدوه ، وقوة عتاده سأل عن رجل صالح يعتقد أنه مجاب الدعوة ، فلما علم أنه بين صفوف الجيش يرفع أصبعه إلى السماء ، ويدعوا الله بالنصر سره ذلك .

وايكن ينبغي أن ندرك حكمة هي من أجل حكم الله ، ذلك أن هذا الزاهد العابد لم يكن يدهو الله بالنصر ، وهو قابع في بيته ، أو في محرابه كما تفعل عجائز النساء ، وإنما كان

صلى الله عليه وسلم ، وتركوا أما كنهم ، فجاءهم المشركون من ورائهم وأعملوا فيهم السيوف والرماح .

وهكذا لو درسنا دراسة واعية كل معركة من معارك الإسلام لوجدنا النصر دائماً مقترناً بمدى إيمان الجيش المحارب ، ووجدنا ما حل من هزائم بسبب نزول درجة هذا الإيمان ، وربما كانت الأسلحة في المعارك التي انهزموا فيها أكثر وأقوى منها في تلك المعارك التي انتصروا فيها .

ففي حنين كان المسلمون اثني عشر ألفاً ، وفي بدر كانوا زهاء الثلاثمائة .

ومما يروى عن سيدنا أبي الدرداء - رضى الله عنه - من وصاياہ للمسلمين المحاربين : (أيها الناس . عمل صالح قبيل الغزو فإنهما قتاتلون بأعمالكم)

وكان سيدنا عمر - رضى الله عنه - إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله ، وعلى عون الله ، وامضوا بتأييد من الله ، وبلزوم الحق والصبر ، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، وأبشروا بالرياح في البيع الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) .

وسيدنا عمر يشير بكلمة (الرياح في البيع) إلى قول الله تعالى : (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل

وأنظلم ، ونأمر بما يسخط الله ، ونهتئى عما
يرضى الله ، ونفسد فى الأرض . قال صدقتنى .

ومن أجمع الرسائل التى نهت إلى ضرورة
اعتصام الجيش بالإيمان ما كتبه سيدنا عمر
ابن الخطاب إلى سيدنا سعد بن أبى وقاص : (أما
بعد . فإنى أمرك ومن معك من الاجناد
بتقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل
العدة على العدو ، وأقوى المكييدة فى الحرب ،
وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا
من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب
الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر
المسلمون بمعصية عدوهم الله ، ولولا ذلك
لم تكن لهم بهم قوة . لأن عددنا ليس كعدد
هم ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استويينا فى المعصية
كان لهم الفضل علينا فى القوة . ولأن نصرنا عليهم
بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا) .

وهى وصية جامعة من سيدنا عمر أجابت
عن كثير مما يهيجس فى النفوس ، ومن أهم
ما فيها أنه لا ينبغي للحاربين أن يتوهموا أن
الله أن يسلط عليهم من هم شر منهم ، وأن
الجيشين إذا تساويا فى البعد عن الله كان الفضل
للقوة .

ومن أولى ثمرات الإيمان فى المعارك أن
كل جندى من هؤلاء المحاربين مادام لا يبنى
بقتاله إلا رضا الله ومحبه فإنه ينكر ذاته ،
ويستوى عنده الموت والحياة ، بل وبما كان
الاستشهاد أحب إليه

يدعو وهو فى ساحة القتال معه سلاحه . وهو
منعن على طرف قوسه .

كما أن القائد كان حسن الظن بالله ، قوى
الثقة فى عونه ، خالص الإيمان بنفع الدعاء
من المؤمنين الصالحين حتى ليفضل دهوة هذا
الرجل الصالح على مائة ألف سيف .

وفى بعض مواقع الروم مع العرب انهزم
جيش الروم ، فلما قدموا على (هرقل) دعا
رجالا من عظماء قومه وسألهم : ويحكم ،
أخبرونى ماهؤلاء الذين تقاتلونهم ؟ أليسوا
بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى . يعنى العرب . قال
فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم
أضعافا فى كل موطن . قال : وبلكم . فما بالكم
تهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا . فقال شيخ
منهم : أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون .
قال : أخبرنى . قال : إذا حملنا عليهم صبروا ،
وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم
فنكذب ، ويحملون علينا فلا نصبر . قال .
ويلكم . فما بالكم كما تصفون ، وهم كما تزعمون
قال الشيخ : ما أراك إلا وقد علمت من أين
هذا ؟ قال : من أين هو ؟ قال : لأن القوم
يصومون بالنهار ، ويقومون بالليل ، ويوفون
بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن
المسكر ، ولا يظلمون أحدا ، ويتناصفون
بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى ،
ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب

اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشئ، ولا تسألوه من هو. قال مسلمة: فذاك له قال: أنا هو، فكان مسلمة بعد ذلك لا يصلي صلاة إلا دعا الله، قائلاً: اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

بهذه الروح العالية، وبهذا التفاني في ذات الله حارب أسلافنا فانتصروا، على أعدائهم ولم تكن قوة العدد، ولا كثرة العدد لترهبهم فإن الشعار الاسمي الذي كان يردده كل واحد منهم ما قاله الشاعر.

ولست أبالي حين أقتل مسلماً

على أي جنب كان في الله مصرعي

والقرآن الكريم يؤكد، والمسلمون كلهم يؤمنون بهذا كل الإيمان: (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم).

على العمري

والأمثلة في إنكار الذات لا تحصى بين جنود الإسلام الذين خاضوا المعارك ضد أعداء الله، ولعل من أروعها قصة (صاحب النقب)، ذلك أنه لما حاصر مسلمة ابن عبد الملك بعض الحصون المنيعه في بلاد (أرمينية) ندب الناس إلى ينقبوا فيه نقبا ولكنهم تباطؤوا. فتقدم رجل من عرض الجيش، وغامر بنفسه، وأحدث في الحصن نقبا فكتب الله النصر للمسلمين ثم إن مسلمة نادى في الجيش: أين صاحب النقب، فما جاءه أحد، فنادى: إنى قد أمرت الآذن أن يدخله ساعة يأتى، فعمزت عليه إلا جاء فجاء رجل فقال للحاجب: إستهأذن لى على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأنى مطلع فأخبره فأذن له. فقال الرجل للقائد: إن صاحب النقب يشترط عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا

الاختبار لله وحده

ظهر إبليس اللعين لعيسى بن مريم عليه السلام. قال: أأنت تقول: إنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك. قال نعم. قال: فارم بنفسك من ذروة هذا الجبل فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم. فقال له: يا ملعون. إن لله أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه.

غزوة بدر الكبرى

بين القوة المادية والقوة الروحية

للأستاذ عبد الغفار الباز

والرحمة ؛ ودعوة هذه طبيعتها ... لا بد لها أن تصمد أمام عالم يتحكم فيه طغيان المادة الظالمة :

٢ - ففي مكة بين معاقل الشرك - التي تتنافى مع روح الدعوة الجديدة - يقف محمد ليرفض أن يساوم في طبيعة دعوته ويعلمنا صرخة مدوية تسكون إيدانا لتحرير الإنسان من ربة العبودية ، والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى ينصره الله أو أهلك دونه ، ، وبهذا الإيمان !! سارت حياة النبي وأصحابه في المدينة . تدفعهم قوة الروح إلى التغلب على كل مصاعب الحياة ، وأخذت دعوة النبي تسرى في قلوب الجميع ، لمسكه وتنفذ أنباؤها إلى أقطار الأرض .

إذ ليس محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة (١) كالأنبياء السابقين محصورة دعوتهم في قومهم أو كبشر من مضيعين . أو كصلحين تضيق عليهم أسباب الحياة ولم تشب دعوتهم ليجنوا ثمارها الطيبة ، وإنما جاءت دعوته لتعيد

١ - كانت غزوة بدر في محيط العرب بداية فتح جديد .

وفي المحيط العالمي . أساسا لقاعدة رسا عليها بناء نهضة حديثة : أعجزت كل حضارات البشر - ولا تزال معجزة كل العصور . على اختلاف الأمم والشعوب !! .

يقول برنارد شو (١) : لقد كان دين محمد هو الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة والذي يستطاع لذلك أن يجذب إليه كل جيل من الناس ، .

وإذا أردنا أن نفحص غزوة المسلمين في بدر لنضعها في كفتي ميزان بين المادية والروحية ينبغي لنا أن ننظر إليها في إطار يختلف تماما عن إطار غيرها من غزوات الفتوح التي شرعت لاستقلال الإنسان . ذلك ...

لأن طبيعة الدعوة الجديدة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قادرة على هضم الحياة لتصوغها في طابع جديد . يتضمن حماية حقوق الإنسان . وبكفل البشرية السلام فيما بينها . على أساس من العدل والمحبة

(٢) «محمد رسول الحرية» الأستاذ عبد الرحمن الشوقى .

(١) «محمد رسول الله في مرآة الفكر الأجنبي» د . عبد الفتاح شحاته .

هى تلك الخطوة العملية التى تلت خطوة التجربة الروحية لتتقلهم إلى جماع الأمر كله - إمتزاج القوة الروحية التى عليها مدار الإيمان - بالقوة المادية التى تصون الحق وتدعمه . فتحرص عليه ، وتقوم حارساً له من هوس المادية الطاغية

كان حتماً على المسلمين إذا أن يستعدوا لمعركة فاصلة ، تفرق بين الحق والباطل ، وقد بين الله عز وجل أن القتال لكل دين ضرورة اجتماعية وسياسية ، فذكر الله الغالب العزيز . أن جزاء النصر لإعلاء كلمته فى الأرض لم يسجل فى القرآن وحده ، بل بشرت به صحف الأنبياء من قبله وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، .

فاكتنف المسلمون بذلك ما برر لهم قتال قريش ، وكان من أهم هذه المبررات أسباب ثلاثة :

(أ) تهويض المسلمين عما افتقدوه فى مكة من مال وسلاح .

(ب) كما كان المقصود أيضاً حرباً اقتصادية - أى - ضرب حصار اقتصادى على قريش ، وهذا ما استعملته أوروبا والغرب فى العصور الحديثة ، وثمت سبب ثالث .

(ج) كان عجا لعود المسلمين وتجربة لهم فى معارك الحرية ضد معاقل الشرك ومطامع المفسدين الطغاة .. تأهباً للدفاع عن الدعوة

للكون شبابيه ، وتجدد للحياة آمالها فى مبادئ تصون السلام والعدل . وتفشر الإخاء والمساواة ؛ ولقد برهن المهاجرون بإيمانهم أن^(١) سلطان المادة قوة مقهورة أمام سلطان الروح المشبعة بالإيمان الصادق ... حيث تركوا فى مكة - المال - والولد - والمتاع ؛ وهمهم أن يفروا بدينهم الجديد : وكانت المدينة هى نقطة الانطلاق التى تمكن منها المهاجرون والأَنْصار أن يواجهوا شرك الوثنية وغشم المادية المتعككة . وجبروت القوى الطاغية :

ولقد كان هذا الحق الذى جاء به محمد وأيدته البراهين . وقامت عليه الأدلة !! لا بد له من قوة الروح التى تستعذب فى سبيله الموت وتستعين الصعب - ولا بد له كذلك من القوة المادية^(٢) التى تدفع العدو وتسترد منه الحق المسلوب فى مكة ، وقد غلبهم عليه ضلال الشرك وهمجيته الطاغية وهم عزل . إلا عن قوة الروح التى استنانت بكل عسير .

٣ - كان على المسلمين إذا أن يقتلوا إلى مرحلة عملية تنقسم بالجد ، بعد أن تعلوا الصبر على المسكاره ، وكانت غزوة بدر الكبرى

(١) تفسيرات فى القرآن الكريم ، والسيرة ، للدكتور محمد أبو شعبة .

(٢) قال تعالى : دأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الآية :

وراجل (١) :

وإذا كان أبو سفيان قد نجا بالغير - بعد -
أن بعث إليه يهود المدينة (٢) فما بال أبو جهل
لم يرجع بجيشه إلى مكة ؟ .

لأنها قوة المادية الغاشمة بجبروتها المستبد
حفزت عمرو بن هشام هذا الملقب بأبي جهل
- أن يصيح قائلاً . . . والله لا نرجع حتى
نرد ماء بدر فنقيم عليها ثلاثاً ننحر الجزر
ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا
القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون
يهابوننا أبداً فامضوا ، .

وهكذا سار جيش الضلال تحت قيادة قوة
السلطة المادية الطاغية متجسمة في أبي جهل
والذين معه - ليقابل جيش الحق ممثلاً في شخصية
الرسول والذين اتبعوه تحت قيادة السلطة
الروحانية .

وكان الرسول قد سار بجيشه القليل العدد
والعدة . . حتى بلغ وادياً يقال له ذفران ،
حيث علم الرسول بإفلات العير ومقدم قريش
التي هتكت حرمة العدل ، واغتصبت حقوق
الضعفاء . فصادرت أملاكهم بمكة ، واعتمدت
على الحريات فأهانته أحرارها : -

هـ - وفي وادي ذفران هذا . . استشار
النبي أصحابه في ملاقات العدو ، أيها الناس إن

(١) « السيرة » للدكتور محمد أبو شعبة .

(٢) « محمد رسول الحرية » للأستاذ عبد الرحمن

الشرقاوى .

الحمدية ، وكانت معركة بدر الكبرى هي الفاصلة
في تاريخ هذه الدعوة لأنها فرقت بين الحق
والباطل !!

ولهذا سمي يوم بدر بيوم الفرقان ، وهكذا
كان لزاماً على النبي صلى الله عليه وسلم .
أن يقتل بدعوته إلى مرحلة العمل الجدى .
دفاعاً عن الدعوة . . على تنوع وسائل الدفاع
واختلاف المبررات ...

فلم تكن إرادة المسلمين إذا في الاستيلاء
على قافلة تجارية أو مناصبة قريش القتال لجرد
قطع طريق . استيلاء على مال أو إغارة قبيلة
على أخرى كما هو حال العرب في الجاهلية . !!

ولمّا كان وعداً من الله بنصر كلمته
- كشأن كل دين - وكان المسلمين وعداً بإحدى
الطائفتين . . العير أو النفير !! أما وقد
أفلت العير ، وقد نجا بها أبو سفيان جانب
البحر ، فلم يبق للمسلمين إلا النفير ، ليحقق
الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

وكان بعض المسلمين قد حسب أن الخروج
من المدينة طلباً للعير فقط . فليعدوا إذا حيث
لاحرب ، وخرج الرسول من المدينة بعد
أن استعرض جيشه ورد من لم يحتمل الحرب
المحتملة الوقوع .

ع - كان أبو جهل قد بلغه تأهب المسلمين
للغير فخرج في جيش من مكة قوامه « ما بين
السمائة والألف » مقاتل ما بين فارس

بالنصر قاتلا ، سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين... والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم : في وادى زفران إذا بدأت معالم النصر — بعد تخرج ١١ — في مرقمين مشرفين :

١ - الأول يتجلى : حيث استشار النبي أصحابه ١١ وهو من القلوب بمكانة القائد العظيم المطاع . لأن دعوة الإيمان التي جاءهم بها قد ملكت عليهم القلوب وأحكمت في نفوسهم زمام القوة الروحية التي لا تقهر .

٢ - والموقف الثاني : يتجلى في موقف المسلمين المشرف مع صاحبهم العظيم وتصديقهم لما وعده الله به ، وهو موقف تتجلى فيه عظمة الروح في قوة الإيمان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، حمل النبي أصحابه من وادى زفران حتى أتى أدنى ماء من قوم الشرك في بدر فنزل ثم غور ماوواء الآبار وبني عليها حوضا لامتلاء بالماء فشرب جيش المسلمين ولم يشرب جيش المخضبين لحقوق الإنسان .

وهكذا تعلم المسلمون الأوائل — بفطنة وإيمانهم — فنون الحرب ، قبل أن تتعلمه جيوش العصور الحديثة في كلياتها العسكرية ، ومدارسها الفنية ، وهكذا عرف العرب خدعة الحروب ، فأجازها الإسلام في مواقف الحق فانتصر !!

وهذا سبب من أسباب النصر اخترعه

الله وعدني إحدى الحسينين ، إما العير وإما النفير !! .

لكن القوم قد خرجوا يطلبون العير فما بالهم يطلبون بالقتال ؟ وقد بقي بالمدينة من أعرضوا عن طلب العير وهم لم يعلموا جميعا أن الرسول سيواجه موقفا أشد مما ظنوا فليطلب بعضهم الرجوع إذا لانهم لم يستعدوا لقتال .. !!

لكن الرسول أخبرهم بإحدى الطائفتين... وبرزت أصالة الإيمان تعبر عن وجودها في قول أحدهم :

« يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى - إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وقام متكلم الانصار مخاطبا النبي « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك فامض لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر غخصته لخضناه معك ما تخلف فينا رجل واحد وما نسكركه أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء . لعل الله يريك ما تقر به عينك فسر على بركة الله » .

عندئذ أشرق وجه النبي مسرورا وبشرهم

مع منطق الحياة البشرية حيث أرادها الله في ظل السلام .

كان القتال إذاً ضرورة حتمية بين جيش القوة الروحية الذي ذهب يسترد بعض حقه المسلوب ليجمعه وسيلة لإقامة دعائم الحق وتثبيتته . وبين جيش المادة الطاغية الذي يتخذ من مادته وسيلة لاستعباد الإنسان وتشويه جمال الكون .

كان القتال هو الوعد الذي أعده الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث يكون لهم النصر فتعلو كلمة الله وتهبط كلمة الضلال ، وحيث يتعلم الناس في منطق حياتهم ، أن الحق لا يقهره طغيان المادة مهما طال بها الأمد وأن « ما أخذ بالقوة لا يرد بغير القوة » .

ولقد كان منطق الحياة في تاريخ الدعوة الجديدة حتى معركة بدر يوحى دائماً بانتصار صاحب هذه الدعوة ، وكانت تلك المعركة الحاسمة هي ميزان الفصل بين قسمين :

١ — قسم الرسول لعمه في مكة بين معاقل الشرك بأنه لا يترك أمر الدعوة حتى يظفره الله .
٢ — وقسم أبي جهل في قوته الغاشمة : « أن لا يرجع حتى يرد بدرا وينحر الجور ويشرب الخمر ، ... »

وهكذا فصلت معركة بدر بميزان الحق ، بين قوة الروح ، وقوة المادة الطاغية .

عقل القوة الروحية التي تلهم الصواب في ميدان النضال بين الحق والباطل وسبب ثنائيتنا في القرآن أيضاً فيقول العزيز الغالب « إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور » .

ويقول أيضاً : « إذ يريكم الله إذ التقيتم أهيئكم قليلاً وبقولكم في أهيئهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » ، وهكذا تتعلق إرادة الله بالأسباب ، فإذا كل شيء يتجه إلى الحق فيدفعه ليدفع الباطل فيزفه .

ولقد كانت معركة بدر هي الحد الفاصل في ميدان الصراع بين الحق والباطل ... بين هداية الإيمان وضلال الشرك ، وكان منطق هذه الغزوة تدعيها لعوامل ثلاثة :

١ — القضاء على الوثنية والمذاهب التي انحدرت بالعقول إلى مدارك الحيوان الأعجم
٢ — ومحاولة إيجاد حكومة تدير أمور العرب في وحدة منظمة في القرب والبعد تنبسط فيها نظام الحياة على غير قواعد الحمجية والطيش

٣ — والعامل الثالث : وضع أسس منظمة حادّة بين الناس جميعاً تتمشى مفاهيمها (١)

شهداؤنا في سبيل الحق والواجب

للككتور عباس حامى اسماعيل

موسراً ويتصدق ، والشره طامعا ويمسك ،
والقوى قادراً ويحجم .

انتهت معركة أحد في السنة الثالثة من الهجرة
(٦٢٤ م) بانزاع المسلمين حين خالفوا
أوامر الرسول القائد ، ورأى الاعداء في هذا
الانزاع الوقتى فرصة للإيقاع بهم والقضاء
على دهورهم ، وقام المنافقون بدور هام
في توهين عزائم المسلمين . وفي غمرة الحزن
والأسى على شهداء المعركة ، جاء رهط
من بعض القبائل يعرضون على الرسول
إسلامهم ، ويطلبون إليه أن يبعث معهم
نفرأ من أصحابه يفقهونهم في الدين ، فأرسل
معه ستة من أعلام الصحابة البدرين ، وكان
من بين هؤلاء الدعاة خبيب بن عدى .
وفي الطريق غدر هذا الوفد المجرم بثلاثة
من أصحابه المتقين ، أما هو وصاحبه فخرجوا
بهم إلى مكة ليبيعوهم ، واشترى حجر بن أبي
إهاب التيمي خبيبا ليقبله بأبيه . وقضى خبيب
فترة قليلة حبسا في أحد بيوت مكة ، ظهرت
على يديه كرامات عجيبة ! كان يرى بين يديه
فواكه مثل العنب يتناولها في غير أوانها ،
فتمجج زوجة حجر من هذا ، وتخبز زوجها
فيدهش . .

حين قام المسلمون ينشرون دهوة الله
جل وعلا ويحجمونها ، لم يكن شأنهم في هذا
شأن المستعمرين الطامعين ، فأولئك يعنيه
القتال في سبيل إرضاء نزواتهم ، وسلب
أقوات غيرهم ، وهم يتظاهرون بأنهم يعبرون
عن آمال الشعوب وآلامها ، ويذودون
عن حياض الأمم ، ويضربون على أيدي
الهابثين ، وينشدون مجتمعا سعيداً تقديما
يعمه العدل والرخاء ، وهم كما قال أبو العلاء :
ظلموا الرعية واستعازوا كيدها

وعدوا مصالحها وهم أجراؤها
أما المجاهدون المؤمنون فقد اهتموا بنشر
الدهوة الإسلامية ، لقيادة النفس والمجتمع ،
والتمييز بين الحق والباطل . والحلال والحرام ،
ولإذا كانوا حملوا على الأمم ، فلأجل حماية
الدهوة من الصادين لهدن الله سبحانه ،
لا طغيانا على الشعوب الآمنة ، وإذا كانوا
حملوا الرماح ، فما ذاك بخلا بالنفوس
على القنا ، ولكن صدم الشر بالشر أحزم .
وحالفهم النصر لأن عقيدتهم : احرص
على الموت توهب لك الحياة ، وتعاليمهم العفو
عند المقدرة ، والإخلاص للدين ، والتعفف ،
مما جعل الفقير معدما ويتعفف ، والغنى

إلى الإسلام ، فقتله أحد عمال هرقل ، فكان ذلك شديداً على رسول الله ، وبعث بحملة من المسلمين عدتها ثلاثة آلاف مقاتل ، ليؤدب الروم على قتل رسوله . وقد أمر على هذه الحملة زيد بن حارثة ، فإن قتل جعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فعبداً الله ابن رواحة ، فخرج جيش المسلمين بقيادة زيد ابن حارثة من المدينة ، وسار حتى مؤتة ببلاد الشام . ولما علم الروم بقدم جيش المسلمين استعدوا للقائه بمائتي ألف مقاتل ، والقتى الجيشان ، وكان زيد بن حارثة يحمل راية الرسول ، فاندفع بها نحو الأعداء ، ووراء الجيش كله ، وظل يقاتل حتى قتل .

فتناول جعفر بن أبي طالب الراية ، وتصدر للقيادة وقاتل ، حتى إذا أحاط به العدو من كل جانب ، نزل عن جواده ، وعقره حتى لا يغنمه العدو ، ثم اندفع وسط جند الروم ، يهوى بسيفه على رؤوسهم ، ويقتل منهم ، حتى قطعت يمينه ، فحمل الراية بشماله وثبت حتى قطعت هي الأخرى ، فاحتضن راية الرسول بهضديه ، وظل في الميدان حتى استشهد . فأخذ الراية من بعده عبد الله ابن رواحة ، وانبرى يقاتل حتى قتل ، ولما استشهد القواد الثلاثة تلقت المسلمون حولهم يبحثون عن القائد الذي يجمع شملهم ، وينجيهم من عدوهم ، فلم يجدوا أصلاً من

ثم جاء دور خبيب لينضم إلى قافلة الشهداء ، فيسأل أبا سفيان أن يدهه يركع ركعتين قبل الموت ، فيجيبه إلى ذلك ، ويصطف خبيب في صلاته ركعتين ويتمهما ويحسهما ، ثم يقبل على القوم ويقول لهم : أما والله لولا أن تظنوا في أنما طولت جزعا من الموت ، لاستكثرت من الصلاة . فلما أوقفوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال بعد أن تلقى ضربة سيف : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً . وفي هذه اللحظة هاجت ريح عاتية ، فهرب حكيم بن حزام ، وانهزم مطعم بن جبير ، خوفاً من أن تصيبه دعوة خبيب . وعانق خبيب الشهادة بعد أن أنشد :

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي
وما أرصدہ الاحزاب لی عند مصرعی
وقد خيروني الکفر والموت دونه
وقد هملت عینای من غیر مجزهی
ولست أبالی حين أقتل مسلماً
على أى جنب کان فی الله مصرعی
فلست بمبدد للعدو تخشعاً
ولا جزعاً إني إلى الله مرجعی

ثم تجلت البطولة العربية الإسلامية في غزوة مؤتة ، وسبها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنفذ إلى هرقل ملك الروم ، يدهو فيه

وبعد أن تعلم الفروسية وقويت ساعده، اشترك في الفتوحات العربية الإسلامية، على عهد عثمان بن عفان، فتمكن من أن يفتح الجزء الباقي من شمال إفريقيا الممتد بين طرابلس وطنجة، بعد أن قتل الملك البيزنطي جرجيرى، المعروف لدى العرب باسم جرجير. وكان هذا الفتح خيرا وبركة على أهل شمال إفريقيا، فقد رفع الإسلام عنهم المظالم الرومانية، وأصبحوا بركة الله متحابين، بعد أن عاشوا طبقات متنافرة. وشهد عبد الله بن الزبير الصراع بين علي ومعاوية، ثم انتقل الحكم من الراشدين إلى الأمويين، وعندئذ ساء استبداد بعض حكامهم. وكان شجاعا في الحق، لا يخشى فيه لومة لائم، فطلب من معاوية أن يرده إلى المهاجرين والانصار فيهم، ويحفظ وصية رسول الله فيهم: تقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئتهم. وعندما رأى استبداد مروان وإلى المدينة ذهب إلى معاوية وقال: «يا أمير المؤمنين، لا تدعن مروان يرى جماهير قريش بمشاقصه، ويضرب صفاتهم بمعوله، أما والله لولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة وأقل في أنفسنا من خشاشة». وقصد ابن الزبير أن يمنع معاوية وجله مروان من أن يرى قريش بحديدة الرمح، ويضرب صخورهم بفأسه، فإنه لولا معاوية لكان أقل من حشرة من حشرات الأرض.

خالد بن الوليد، فاتفقوا على أن يتولى قيادة الجيش، فأخذ خالد الراية، وأظهر في هذا الوقت العصب من المهارة الحربية، ما ظل مضرب الأمثال. وكفى تمنى خالد أن يعانق الشهادة، لكن لم يتحقق أمله، وقال وهو يحمود بأخر أنفاسه: «لقد طلبت القتل في مظانه، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي - ولقيت الزحف، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أورمية بسهم، أو طعنة برمح، وما أنا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء».

وثمة شهيد آخر هو عبد الله بن الزبير، الذي كان لمولده بالمدينة المنورة فرح عظيم، وذلك لأن اليهود كانوا قد أشاعوا، أنهم صنعوا سحرا للذين هاجروا مع الرسول، حتى لا يولد لهم بالمدينة أولاد. أبوه الزبير بن العوام حوارى الرسول، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت الصديق. نشأ ابن الزبير بالمدينة، في ظلال الثورة الإسلامية المباركة التي تدعو إلى توحيد الله وإقامة العدل ورأى في صباه الأبطال راحمين غادين، مهللين مكبرين بانتصاراتهم، وسمع من أبيه ما كان يحفظه من القرآن المجيد، ومن حديث الرسول الكريم، فتشبع بالمبادئ الإسلامية منذ نعومة أظفاره.

وأشاع العدالة بين الناس ، ورد الحقوق إلى أهلها ، وأعاد بناء السكعة على الأوصاف التي كان سمعها من الرسول ثم بلغه مقتل أخيه مصعب ، فخطب الناس وقال : (الحمد لله ، ملك الدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . ألا إنه لن يذل من كان الحق معه ، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه . إنه أمانا خير من العراق أحرنا وأفرحنا : قتل مصعب . فأما الذي أحرنا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ، يجدها حميمه عند المصاب ، ثم يرعوى من بعد ذلك إلى كريم الصبر وجميل العزاء . وأما الذي أفرحنا ، فإن القتل له شهادة ، ويجعل الله له ولنا في ذلك الخير .

وتتجلى بطولة ابن الزبير ، وشجاعة أمه أسماء ، في ذلك الحوار الذي دار بينهما ، عندما اشتد عليه الحصار بمكة بجند الحجاج وأيقن أنه لا محالة من المهالكين . ذهب إلى أمه يتهدى بمشورتها في الموقف الضنك ، وقد تخلى عنه كثير من كانوا معه فقال : يا أمه ، خذني الناس . وخصوصي يعطوني ما أريد من الدنيا ، فأرايك ؟ فقالت أنت والله يا بني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، ولإله تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك

وصبر ابن الزبير ، ثم انتهر فرصة قتل الحسين حفيد الرسول ، فاستمال القلوب إليه ، وجمع حوله كثيرا من الأنصار ، وأعلن خروجه عن طاعة يزيد العاوي ، وإعلان نفسه خليفة فبايعه أهل مكة لما عرفوه عن زهده ، وشجاعته وتدينه ، وكما وصفه ابن عباس حين سئل عنه قال : « كان قارئا لكتاب الله ، متبعا لسنة نبيه ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله زوجة رسول الله ، فلا يحفل حقه إلا ما أعماه الله ، غير أن يزيد أقسم أن يحضره إلى مجلسه مكبلا بالسلاسل ، لكن لما عرف أن ذلك مستحيل لمكانة ابن الزبير ، أراد أن يحال عليه ، فأرسل سلسلة من فضة ليربط ابن الزبير فيها ، ومعه ثوب من حرير يغطيها حتى لا يراه الناس مسلسلا ، وذلك ليعز بقسمه ، لكن ابن الزبير أتى ودارت المعارك بين أنصاره وأنصار بني أمية ، مات في أثناءها يزيد سنة ٦٤ هـ (٦٨٤ م) ولم تدم خلافة ابنه معاوية الثاني إلا أربعين يوما ، فاستتب الأمر لابن الزبير وبايعه أهل الحجاز والعراق ، وبقيت الشام خارجة عن طاعته ، ولا سيما بعد أن رحل إليها بقايا الأمويين ، وعلى رأسهم مروان ابن الحَكَم الذي بايعه أهل الشام خليفة عليهم ، دون ابن الزبير .

ظل عبدالله بن الزبير خليفة بالمدينة حوالي تسع سنوات ، التزم فيها بحسن السيرة ،

تقدمتكم ، ففي نفسى حرج حتى أنظر لإلام
يصير أمرك . قال : يا أمه ، لا تدعى الدعاء
قبل وبعد ، فقالت : لا أدعه أبدا ، اللهم
أرحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ،
وذلك النحيب والظما فى هواجر المدينة
ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته
لامرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني
فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .

مضى عبد الله بعد ذلك الحوار ، وهو
ما يشك فى قتله ، لكنه جالد المعتدين حتى
أحاطوا به ، وفى المعركة الأخيرة قال لأصحابه
يا آل الزبير ، لا يرهكم وقع السيوف ، فإنى
لم أحضر موطنًا قط إلا ارتثت فيه من القتل
وما أجد من ألم جراحها أشد مما أجد من ألم
حرها ، صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم .
فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة
أعزل ... ولا يلمينكم السؤال عنى ، ألا من
كان سائلا عنى فإنى فى الرعيل الاول . احملا
على بركة الله . ثم أصابه سهم ، فحمل مقتولا
سنة ٧٣ هـ (٦٩٢م) فى سبيل الحق والواجب .

عباس ملى إسماعيل

ولا تمكن من رقتك يتلعب بها غلمان بنى
أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فبئس
العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكك من
كان معك ، وإن قلت كنت على حق فلما ومن
أصحاب ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ،
ولا أهل الدين . واقه لضربة بالسيف فى عز
أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل . قال :
إننى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى . فقالت
يا بنى ، إن الشاة لا يضيرها سلقها بعد ذبحها .
وهنا دنا من أمه وقبل رأسها وقال : هذا
والله رأيى ، والذى قت به داعيا إلى يومى هذا
ما ركنت إلى دنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ،
وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله ، أن
تستحل حرمه ، ولكنتى أردت أن أعلم وأبلك ،
فزدتنى بصيرة إلى بصيرتى ، وانظرى إنى
مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ،
وسلمى لامرأته ، فإن ابنك لم يتعمد بإتيان
منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله
ولم يغدر فى أمان . ولم يتعمد ظلم مسلم
ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به
بل أنكرته . فقالت : إنى لأرجو من الله
أن يكون عزائى فيك حسنا ، إن تقدمتنى وإن

يفحات القرآن

تكليف الله لرسوله
قد يكون تكميلاً وتعزيراً
للاستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « وأقم الصلاة طرفي النهار ، وزلفا من الليل ... »
(ب) « إن الحسنات يذهبن السيئات . ذلك ذكرى للذاكرين »
١١٤ - هود

١ - حينما نقرأ آية من آيات الأمر ،
أو النهي - كائناً معنا - يسبق إلى بعض
الاذهان : أن الرسول صلى الله عليه وسلم
في مستوى الناس : كما يناط به التكليف يناط
به الحساب ، والجزاء ... كما هو الشأن
بالنسبة لغيره .

وعلى هذا لا يعلق به حساب في الآخرة
كأنحاء نوحين بل تقف أمته بين يدي الله
موقف الشاهد على الأمم كلها . بما أخبرها
به نبيها ويكون موقفه هو موقف الشاهد على
أمته : فيما أطاعت ، أو خالفت ، وفيما أجلبت
على نفسها من مسئوليات . أو تنعت عن
عن المآثم : طوعاً لا مكره .

والذي نعلمه في غير شطط : أن التكليف
مقصد عام ، يشذ عنه رسول ، ولا غير
رسول .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا
شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم
شهيداً ، آية - ١٤٣ بقرة .

ولكن هناك ملحظ لا يفوتنا - وهو : أن
الرسول - مع كونه مأموراً بما أمرت به
أمته - له وضع كريم فوق المستوى العام .

من أهوال الآخرة ، إن الذين سبقت لهم منا
الحسنى : أولئك عذاب النار - مبعدون ،
لا يسمعون حسيها ، وهم فيما اشتبهت أنفسهم
خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتلقاهم
الملائكة : هذا يومكم الذى كنتم توعدون ،
آية ، ١٠١ - ١٠٣ سورة الأنبياء .

* * *

وإزاء هذه المسكارم الموعودة . والخطوات
المقدورة . يكون تكليف النبي محمد بما يكلفه
الله تـكـريـما له ، وتعزيزا لمقامه ، ووسيلة
شاء الله أن يجعلها مقدمة لما أعد الله له من
أرفع الدرجات ؟

* * *

وقد اشتبه على بعض الصحابة - يوما -
ما رأوه من ضراعة النبي إلى ربه وخشيته
من العاقبة ، فقالوا له : كيف تخشى يا رسول
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ،
وما تأخر ؟ يعنى لو كانت لك ذنوب سابقة ،
أو لاحقة فهى مغفورة لك كلها ؟ ؟

فقال صلى عليه وسلم : « أفلا أكون عبدا
شكورا ؟ ؟ » أو ما هو مرادف لذلك القول
فهذا صريح فى أن النبي كان مطمئنا إلى وعد
الله له . . ولكنه يؤدى واجب العبودية ،
فهو يخشى الله تعظيما لسلطانه ، وتقديرا

ومفهوما أن موقف الشاهد يسمو كثيرا
عن موقف المشهود .

فإذا كان لامة محمد فضل الشهادة على الأمم
فنزله صلى الله عليه وسلم ، أعلى منازل
الخلق جميعا - ولا جرم .

بل له مقام آخر من هذا القبيل - والفضل
عند الله درجات ، وهو مقام الشفاعة العظمى
فيمن يشاء الله .

ذلك المقام الذى يتهيبه الأنبياء كثيرا ،
ولا يقدم عليه أحد إلا فى حدود دون
شفاعة محمد . . الخ .

٢ - والذى نهدف إليه من هذا
الاستطراد : أن الرسول محمدا صلى الله عليه
وسلم ، لا يكون فى الموقف الآخر كواحد
من الخلق ، بل له عند الله درجة رفيعة وله
المقام المقام المحمود الذى وعده الله به فى قوله
تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمود
آية - ٧٩ - سورة الاسراء .

* * *

ونضيف إلى ذلك : أن الرسل ، والأنبياء
جميعا بنجوة من المسؤولية الحسابية .

ولهم الخطوة الكاملة عند الله سبحانه . -
حتى لا يلاحقهم فزع ، ولا يساورهم شىء .

ونحن نجسد في القرآن آية أخرى تؤيد ما تقدم في المطالبة بإقامة الصلاة في أوقاتها .
وهي قوله تعالى : أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . . . وقرآن الفجر ، آية ٧٨ من سورة الإسراء : فالمنى : حافظوا على إقامة الصلاة من وقت - دلوك الشمس - وزوالها ظهرا - إلى شدة ظلام الليل .

وهذه فترة تقناول الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ... ثم ذكر صلاة الصبح بقوله تعالى : وقرآن الفجر ، وحث عليها بصفة ترغب فيها كثيرا ... لأنها تصادف وقت الاستغراق في النوم ... فسماها قرآن الفجر ، وقال : إن قرآن الفجر كان مشهودا . يعني : تحضره الملائكة ، وتشهد للمصلي شهادة تقررها ملائكة الليل ، لأنها في آخره وتشهده ملائكة النهار ، لأنها في أوله ... فوقتها ملتقى الملائكة الموكلين بالأعمال .

٤ — وخلاصة ما نستشفه من هذا الذكر الحكيم أن القرآن يقف من الناس جميعا موقف الإلزام بإقامة الصلاة في أوقاتها المحددة وعلى أتم وجوهها ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

٥ — وبعد هذا ننتقل إلى بقية الآية - إن الحسنات يذهبن السيئات ، وهذه الجلبة تعقيب على ما سلف من المطالبة بإقامة الصلاة وهو تعقيب ينزل في القلب منزلة البشرية بأن الإنسان إذا كان كاسبا للحسنات

لربوبيته ، ويعبده : شكرا على أفضاله العكسيرة .

فإذا نظرنا إلى الآية التي بدأنا بها موضوعنا وما فيها من تسكيف بأداء الصلوات في طرفي النهار . . . وفي زلف من الليل : وجدناها توجيهها إلى ما يزيد من شأن النبي ، ويرفع من درجاته ومن القدوة به .

وذلك هو المنهج الرباني الذي أشاد به النبي صلوات الله عليه في قوله — أدبني ربّي فأحسن تأديبي —

٣ — ثم : ما المراد من طرفي النهار ، وزلف الليل ؟

تحدث العلماء كثيرا في ذلك : فذكر بعضهم أن الصبح هو الطرف الأول للنهار . وأن الظهر والعصر هما الطرف الآخر . ورأى البعض أن العصر وحده هو الطرف الثاني الخ والذي اخترناه من الآراء المتشعبة أن الصبح والعصر هما الطرفان : وأما الزلف من الليل فهي وقت المغرب ، والعشاء ... فأين صلاة الظهر ؟ أجابوا عن ذلك بأنها داخلية بين الطرفين : الصبح والعصر ...

وعلى هذا تكون الآية شاملة للفرائض الخمس .

وأما بقية الصلوات : كالجمعة ، والعيد ، والنوافل المتنوعة فيعرف شأنها من أدلة أخرى في الكتاب ، والسنة على ما هو مذكور في كتب الفروع .

إن هذا الفيض الذى يغمر المسلم المطيع لدعوة ربه ليرغب الإنسان الواعى فى المزيد من عمله الطيب ليكون راجيا ، وطامعا فى المزيد من رحمة الله .

وإن الله تعالى يحدثنا أن رحمته وسعت كل شئ . وأنه سيجعل هذه السعة محرمة على الكافرين ، وأنه سيكتبها للؤمنين .

« ورحمتى وسعت كل شئ ، فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون » . آية - ١٥٦ - أعراف
إن الله تعالى فتح أمام عباده طريق الأمل فسيحاً ، لإدراك هذه الغايات .

وفى هذا الترغيب كثرت أحاديث الرسول - كشف لنا ما خفى علينا . وتبدد من طريقنا ظلمات اليأس ، وتقرب إلينا ما نستهبعده ، أو نستعظمه على أنفسنا من الأمل فى الله « لا تقنطروا من رحمة الله » .

وبذلك يتقرر فى نفس المؤمن أنه على قرب ربه ، فكلماء دعاء أجابه ، وكلما أطاعه زاده هداية . « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » ١٨٦ - بقره .

٦ - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه عمل سيئة ثم ندم عليها ، فإذا يكون جزاؤه على سيئته بعد ذلك ؟

فانتظر النبي فى جوابه حتى نزل عليه الوحي .

بصلاته ، أو بغيرها من طاعته : فإن ثوابه لا يكون مجرد الأجر على ما قام به .

بل تكون حسناته ماحية لسيئاته التى اجترحها فهنا كسب من ناحيتين .

إحداهما تطهيره من السيئات ، فلا عقاب عليه . والثانية - فوزه بالأجر ، وظفره بمقعدته فى الجنة كما لو لم يكن أساء فى شئ من عمله . فإن يكن عدل الله مقتضيا لمجازاة المحسن على إحسانه بقدر ما يستحق .

ومقتضيا لمجازاة المسىء على ما أساء بقدر ما يستحق . فإن فضل الله على المؤمن يتسع حتى يتجاوز دائرة العدل إلى دائرة الإحسان ، والإحسان فوق العدل .

وكثيرا ما يقرر القرآن أن الله يجزى على الحسنه بعشر أمثالها . وأنه يجزى على السيئة بما يعادلها فقط « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .

بل يؤكد القرآن أن الله قد يمنح عبده من الثواب إلى سبعائة ضعف . أو إلى « أكثر من هذا دون تحديد » والله يضاعف لمن يشاء ، واهه واسع علم ، آية - ٢٦١ - بقره

والعبد حينما يظفر بثوابه على عمل صالح عمله يكون حظه ميمونا .

فكيف إذا كان ثوابه مضاعفا إلى عشرة أمثاله أو إلى أكثر من عشرة أمثاله ؟

ثم كيف إذا كانت حسناته ماحية لجميع سيئاته ؟

فإنه يعاقب عليها لأنه مصر عليها، والإصرار يعطيها حكم الكبيرة .

وقد ورد في الحديث النبوي لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار فاجتناب الكبائر لا يغفر إلا القليل .

٧ - ثم في التوجيه إلى مداومة الصلاة وتذكيرنا بما فيها من خير كثير لإحياء للقلوب وإيقاظ للمشاعر، واستمسك بحبل الله، واعتصام بحمايته، وقهر لأعدائه .

وحينما نجد الناس في انصراف عن هذه التوجيهات، واستهانة بالعواقب، وانحدار وراء التقاليد المردولة كما يشيع بيننا ذلك الإسفاف، فإنجزاء دائماً يكون من جنس العمل ولا يمكن أن يستقيم الظل والعود أعوج . والأمر كله بحاجة إلى ضمير واستحضار خشية الله . ولو رويذا وويذا . فإن إصلاح النفس يكون بالتعود، والاستعانة بالله على الشيطان، والصبر على معالجة الآفات الخلقية والنزعات المنحرفة .

وفي ظلال ذلك التهذيب تنهض الجماعة، ويتاح للزعامات، ولقادة الأمة أن يقوموا بالاعباء، ويؤدوا رسالاتهم في نجاح .

وقد ختم الله - سبحانه - آية الصلاة التي معنا بما يتضمن ذلك التعليق فقال : « ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

عبد اللطيف السبكي

بأن توبة هذا الرجل كفرت ذنوبه فبشر بها صاحبه .

وهل الحسنات تكفر جميع الذنوب، كما يستفاد من ظاهر الآية . إن الحسنات يذهبن السيئات ؟

يرى بعض العلماء ذلك ولا حرج على فضل الله . وأكثر المحققين منهم يحمل هذا الظاهر على الذنوب الصغيرة، كالنظرة إلى الأجنبية من غير مداومة عليها، وكثرة المزاح بلفظ الحديث وتتبع سير الناس من غير إخفاء في القول . وأما كبائر الذنوب فلا يكفرها غير التوبة عنها، وبالندم على ما سلف منها، وعدم العودة إليها .

والكبائر هي كفرك الصلاة، وأكل الربا، وإحداث الفتن بين الناس بالإيقاع والدس، وترويج الإشاعات السيئة، وتثبيط المجاهدين إلخ وقصارى الحديث الذي توسع فيه المفسرون - أحسن الله إليهم - : أن الطاعة تكفر الصغائر وهذا إجماع . وأن الكبائر تكفرها التوبة الصادقة وهذا إجماع كذلك .

وهناك وجه ثالث : هل اجتناب الكبائر وحدها يكفر الصغائر ؟

يرى بعضهم ذلك، لقوله تعالى « إن تهتبنوا كبائر ما تنهون عنه : نكفر عنكم سيئاتكم، وندخلكم مدخلا كريما » ، آية - ٣١ - نساء .

وبعض يقول إذا اجتنب المرء فعل الكبائر، ولم يلق عن الصغائر واستدام على فعلها

رسم المصحف العثماني في ضوء الدراسة والبحث للككتور عبدالعال سالم مكرم

ثم كان بمن أسر بيدر ، ولا مال له ، فقبل منه أن يعلم عشرة من غلمان الانصار الكتابة ، ويخلي سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الانصار . ثم قال المقرئ : « وكان أول المخطوط العربية الخط المسكي ، وبعده الخط المدني . ثم الخط البصري . ثم الخط الكوفي (١) » .

فالكتابة إذا كانت معروفة في الجاهلية ، ولما جاء الإسلام زاد انتشارها ، وبخاصة في المدينة بعد موقعة غزوة بدر حيث عرض على الأسرى الكاتبتين إطلاق سراحهم إذا علم كل منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

ويرى المرحوم الدكتور « منصور فهمي » أن المدينة تقدمت على مكة في الكتابة ، وأنها أسبق منها في هذا المجال ، يقول : أما المدينة فجاء في السير ما يفيد أن النبي عليه السلام حين دخلها مهاجراً وجد فيها يهودياً يعلم الصبيان ، وكان فيها جماعة من الرجال يكتبون منهم سعيد بن زرار ،

قبل أن أتحدث عن رسم المصحف أحب أن أبين في إيجاز موضوع الكتابة العربية :

هل كان العرب في جاهليتهم وصدر الإسلام يجيدون الكتابة ؟ وإذا كانوا كذلك فهل كانت الكتابة أمراً شائعاً بينهم ؟ وهلا وصلوا فيها إلى درجة الإتقان ؟ .

وللإجابة عن هذه الأسئلة أقرر أن الكتابة العربية كانت معهودة أيام الجاهلية بمكة . جاء في مجلة « المشرق » ما نصه : « من الفصول المفيدة التي اطلعنا عليها في أحد الكتب المخطوطة التي لقيناها في مدينة « ستراسبورغ » فصل نقلناه من الجزء الثاني من كتاب « الخبر عن البشر » تأليف الإمام المقرئ جمع فيه الكاتب فرائد عن حال الكتابة عند العرب في أول الإسلام وقد جاء فيه :

إن الكتابة كانت أيام الجاهلية بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة كان أول من علم بها الكتابة من المسلمين عبد الله بن سعيد بن أمية أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم الكتابة بالمدينة ، وكان كاتباً محسناً ...

(١) مجلة المشرق - السنة العاشرة ص ٧٨ .

كان في حاجة إلى المسال الذي يقوى الشوكه ويعوض المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأرضهم في مكة .

أقول : إن الرسول عليه السلام رأى أن المدينة ستكون قاعدة الإسلام التي يزحف منها على أرجاء المعمورة ، فأراد أن يحصى هذا القرآن ويصونه ، لجعل نشر السكتابة أهم فداء يخدم الفكرة الإسلامية التي تحيا بين دفتي القرآن الكريم .

ما المراد بالرسم ؟

يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التي تدل على الكلام ، وتبين معناه .

ومن المعروف أن رسم السكتابة في القرآن الكريم كان غاية ما وصل إليه فن الرسم الإيملائي في هذا العهد العثماني ، وسجل القرآن الكريم بهذا الرسم ، وأطلق عليه الرسم العثماني ، ولا زال هذا الرسم سنة متبعة في مصاحفنا لا تخضع للتغيير أو التبديل ، ومن ثم قال السيوطي :

« قال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على السكتبة الأولى (١) . »

ومعنى ذلك أن رسم القرآن الكريم الذي كتب به زيد بن ثابت في عهد عثمان - رضی الله عنه - المصحف الإمام توقيفي وقد نسجوا

والمنذر بن عمرو ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت وغيرهم ، ومن هذا يبدو أن المدينة تقدمت على مكة في السكتابة (١) .

والذي أميل إليه أن مكة هي التي تقدمت على المدينة في السكتابة لأسباب أجملها فيما يأتي : -

١ - مكة كانت حلقة اتصال بين أجزاء الجزيرة العربية وغيرها من البلاد المجاورة . وبهذا الموقع كانت تفيد من معارف القادمين عليها .

٢ - أهل مكة كانت رحلاتهم الصيفية إلى الشام ، والشتائية إلى اليمن لا تنقطع ، واليمن مهد الحضارة العربية في الجزيرة ، والشام موطن « الفينيقيين » الذين حولوا السكتابة التي كانت تقوم على الأشكال والصور إلى حروف هجائية سميت بالخط الآرامي .

٣ - في مكة كانت تقام الأسواق التي يؤمها العرب من كل ناحية ، والتجارة في غالب أحوالها تقوم على السكتابة .

٤ - لو كانت المدينة تنتشر بها السكتابة حينما دخلها النبي عليه السلام لم تكن هناك حاجة إلى فداء الأمرى السكتابين بتعليم كل فرد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والسكتابة ؛ لأن الإسلام في هذا الوقت

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

عليه عثمان ، أو بمعنى آخر سار عليه المكتبة في المصحف العثماني اصطلاحاً يسير على قواعد الكتابة التي كانوا يكتبون بها .

ولما اتخذ المصحف هذا الرسم شعاراً له أصبح وفقاً عليه ، وسنة متبعة لا تخالف ولذلك حكمة ، فإن رسوم الهجاء تتغير جرياً على سنة التطور ، وتختلف في تغيرها من زمن إلى زمن ، بل من شعب إلى شعب ، فصيانه لكتاب الله من عبث العابثين ، وإغلافاً لباب التغير فيه ، وإحداث ما ليس منه أصبح هذا الرسم العثماني مقدساً لا يمس .

ولذلك قال الإمام أحمد : « يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك » (١) ،

وقال البهقي في شعب الإيمان : « من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً منا وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدواكنا عليهم » (٢) .

وال التزام الرسم العثماني ومخالفته في كثير من الأحيان للرسم الإملائي المستحدث يبرز

إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للمعاوية أحد كتبة الوحي : « اتق الدواة ، وحرف القلم ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن وجود الرحيم ، وضع قلبك على أذنك اليسرى فإنه أذكرك » (١) .

والحق الذي يقال في هذا المجال : أن الاعتراف بأن رسم المصحف توقيفي اعتماداً على هذا النص أمر يحتاج إلى بحث .

وحق لو صح هذا الحديث ، فإنه لا يدل على أن الرسم توقيفي ، فما الصلة بين الرسم وبين تحريف القلم ، أو مد الرحمن ، وتجويد الرحيم ؟

أغلب الظن أن النبي عليه السلام أراد من المكاتب التأني في الكتابة ليحسن رسمه وتجود حروفه ، وتحسين الرسم غير الرسم ومن ثم قال : لا تعور الميم ، وجود الرحيم إلخ ولا أدل على ذلك من أن عثمان رضي الله عنه - حينما كتب المصحف وضع للثلاثة القرشيين القاعدة العامة التي على أساسها يكتبون ، وإذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم » (٢) .

من هذا يتبين أن الرسم العثماني الذي سار

(١) مفتاح السعادة بطاش كبرى زاده

ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور

صبحي الصالح ص ١٠٥ .

(٢) الإتيان ج ١ ص ٥٩ .

صور من اختلاف الرسم العثماني عن الرسم
الإملائي :

ذكر ابن قتيبة في كتابه « تأويل مشكل
القرآن » ، أن الرسم العثماني اختلف عن الرسم
الإملائي في عدة صور :

فألف التثنية تحذف في هجاء هذا المصحف
في كل مكان مثل : « قال رجلان » ، في قال
رجلان ، وكتب كتاب المصاحف : الصلاة ،
والزكاة ، والحيوة بالواو ، ونحن لا نكتب
الصلاة والقناة إلا بالالف ، ولا فرق بين تلك
الحروف وبين هذه .

وكتبوا « الربو » بالواو .
وكتبوا « أولاً أذبحنه » ، بزيادة ألف ،
وكذلك « ولا أوضعوا خلالكم » ، بزيادة ألف
بعد لام الألف . ثم قال ابن قتيبة : وهذا
أكثر في المصحف من أن نستقصيه (١) .

على أن الرسم العثماني لم يسر على قواعد
مطردة فكثير من الكلمات القرآنية رسمت
في موضع برسم خاص ، وفي موضع آخر
برسم مخالف وذلك مثل كلمة « لها » ، فعن خلف
قال : سمعت السكاساني يقول « لها الباب » ،
كتبت في يوسف بألف .

قال أبو عمرو : واتفقت المصاحف على ذلك
واختلفت في « لدى الحناجر » ، في سورة

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة

ص ٤١ .

لنا مشكلة لحواها أن التزام الرسم العثماني
يحول بين المتعلمين ، وبين حفظ القرآن الكريم
لأن رسمه يخالف الرسم الذي تعودوا ،
والقواعد الإملائية التي يكتبون بها في شتى
مجالات المعرفة ولكن هذه المشكلة لم يقف
أمامها علماء الإسلام مكتوفي الأيدي ، فقد
ذللوا صعوبة الرسم العثماني بل جعلوه فناً
يدرس ، وتؤلف فيه الكتب التي تبين مسالكه ،
وتوضح طريقه .

فصاحب « مفتاح السعادة » ، يبين في كتابه
حدود هذا العلم وموضوعه وغايته فيقول :
« موضوعه : رسم خط المصحف من الحذف
والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والفصل
والوصل ، وما فيه قراءتان فككتب
على أحدهما .

وغايته : حفظ المصاحف السكرية من مخافة
المصحف الإمام (١) . »

ولم ينس أن يبين لنا الكتب التي صنفت
في هذا العلم فيقول : وصنف في هذا الفن
أبو عمرو الداني « المقنع » ، وأبو العباس
المراكشي « هنوان الدليل في رسوم خط
التنزيل ، والقصيدة الرائية المرسومة بالعقيلة ،
للشيخ الشاطبي (٢) . »

(١) مفتاح السعادة بطاش كبرى زاده

ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(وقعت الالم في المصحف مفصلة عن هذا) خارجة عن أوضاع الخط العربي، وخط المصحف سنة لا تغير (١) .

وقبل أن ينهى الحديث في هذا الموضوع أحب أن أشير إلى فتوى « لجنة الفتوى » بالأزهر الشريف بشأن اقتراح كتابة القرآن على قواعد الرسم المعتاد المتبع الآن فقد رفضت اللجنة كتابة المصحف بالرسم الإملائي المتبع الآن، وودت على أبي بكر الباقلاني بما نصه :

« أما ما يراه أبو بكر الباقلاني ، من أن الرسم العثماني لا يلزم أن يتبع في كتابة المصحف فهو رأى ضعيف لأن الأئمة في جميع العصور المختلفة - درجوا في التزامه في كتابة المصحف ولأن سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تبنى الأحكام عليها ، وما كان موقف الأئمة من الرسم العثماني إلا بدافع هذا الأصل العظيم ، مبالغة في حفظ القرآن وصونه ، (٢) .

دكتور عبد العال سالم على مكرم

« المؤمن ، فرسمت في بعضها بالياء ، وفي بعضها بالالف ، وأكثرها على الياء (١) . » . وحاول المفسرون وضع حل لهذا الإشكال فقالوا : معنى الذى فى يوسف ، « عند ، والذى فى غافر ، « فى ، فلهذا فرق بينهما فى الكتابة (٢) . » .

وأدلى النحويون برأيهم فى هذا الإشكال فقالوا : « المرسوم بالالف على اللفظ ، والرسوم بالياء لا تقلب الفاء مع الإضافة إلى المكنى ، كما رسم على ، وإلى ذلك (٣) . » .

على أية حال كانت : إن الرسم العثماني له نهجه الخاص ، وطريقته المفردة ، وسواء أكان خاضعاً لقواعد معينة . أم خارجاً عنها فى بعض المواضع فهو سنة متبعة ، وبذلك وضع الأمر فى نصابه ، فأى محاولة تجديدية للخروج بهذا الرسم عن تقليده المعروف محاولة مردودة .

وقد بين الزمخشري هذا المعنى إذ يقول فى قوله تعالى « وقالوا مال هذا الرسول ،

(١) المقنع للداني ص ٦٥ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(١) الشكاشاف للزمخشري ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٢) مجلة الأزهر المجلد ٧ ص ٧٣١ .

قضية السجع ونظم القرآن الكريم

للدكتور محمد حماد العروى

— ٤ —

ما ذكر السيموطى فى الإتقان من قوله «لأعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية ىرتكب لها أمور من مخالفة الأصول» ، وهو قول شنيع ما دام قد أريد به القرآن المجيد فكأن المؤلف بتخفيفه أراد أن يسهل على القارىء المسلم قبول ما أورد من مزاعم ابن الصائغ من غير أن يقد شديدا منها حتى ولا ورود اسم المفعول فى القرآن بمعنى اسم الفاعل كما فى (حجبا مستورا) بمعنى (ساترا) لا شىء إلا لمراعاة الفاصلة ١ وقد أقر كل مزاعم ابن الصائغ إذا أعقب ما نقل منها بقوله «إلى آخر هذه الأحكام التى تدل على مراعاة التنزيل للوزن وحسن الرصف وجمال الإيقاع» . والتنزيل من حسن الرصف وجمال الإيقاع فوق ما وصف ، لىكن لا يتوخى أوضاع خاصة مراعاة للتناسب كما قال ، ولا بمخالفة أصل من أصول العربية كما قال ابن الصائغ ولكن بما يستلزمه إنجاء القرآن من الجمع فى كل آية من آياته بين الجلال والجمال فى المعنى والتعبير من غير خروج على أصل فى اللغة ، إذ القرآن هو الأصل وهو الحكم وهو المرجع .

تشابه على ابن الصائغ ما تشابه من فواصل أى القرآن الكريم فقال فيها ما قال مما بينا عوار كثير منه فى مقال سبق (١) ولقد كدنا نكتب فى مما تقدم لنا فيه لولا أن وجدنا عددا من مزاعمه قد وجد سبيله إلى كتابين من كتب الأدب فى العهد الحديث .

فأما كتاب «تطور الأساليب الشعرية فى الأدب العربى» (٢) ، فقد أراد صاحبه أن يدل على أن القرآن «يكثى فى تركيبه الإنهاى تقديم القيود على المقيدات والصفات على الموصوفات» ، مما يلائم انقاذ الشعور ووثبات الخيال (٣) ، والتعجب من همدنا - فلم تسعفه إلا أقوال ابن الصائغ ينقل منها ثلاثة عشر زعما ، أو حكما كما يقول ابن الصائغ ظلما - إلا أنه فيما يبدو لم يجد بدا من تخفيف العبارة التى قدم بها ابن الصائغ لمزاعمه ، فقال عنه : إنه أشار فى كتابه «إلى تناسب العبارات القرآنية وإلى أنه قد توخى فيها أوضاع خاصة مراعاة لهذا التناسب» ، بدلا من أن يذكر

(١) هدد صفر سنة ٨٨

(٢) لآئيس المقدسى دار العلم للبلايين بيروت

(٣) صفحة ٥٥

في الآية الكريمة على ظاهرها فليس لابن الصائغ ولا لغيره أن يؤولها إلى عكس معناها ثم فهم أنها جاءت كذلك لمراعاة الفاصلة .
وقد كان المنتظر من مثل الاستاذ على الجندي ، وقد نقل ذلك القول لابن الصائغ ، ألا يمر به من غير نقده واستنكاره كما استنكر دعواه الاستعناء في القرآن بالثنائية عن الأفراد نحو (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أراد جنة ، زعم ، فثنى من أجل الفاصلة ، مستندا في ذلك إلى القراء ، فأنكر الاستاذ عليه ذلك وقال : إنه مما لا يصح وقوعه في القرآن وأكد إنكاره بذكر ما رواه صاحب الإنفاق من إنكار ابن قتيمة وإغلاظه فيه ونزيده أن قد أخطأ ابن قتيمة في ميله إلى قبول الثنائية بمعنى الجمع . فالثنائية في العربية لها صيغتها ، والجمع له صيغته ، ولو أريد الجمع لجاء بصيغة الجمع وإنما هما جنتان ، من دونهما جنتان ، (فيهن خيرات حسان) ^(١) بضمير الجمع على الإشتراك بين الجفات الأربع بعد أن خص كل اثنتين منها بأوصاف لها في سورة الرحمن .
وقد ذكر الاستاذ قول ابن الصائغ في المناسبة وأنها دير تسكب لها أمور من مخالفة الأصول ، وقال إنه تسكلم على ذلك بإسهاب في الجزء الأول من كتابه صور البديع ، وزاد أن وراء ما ذكره ابن الصائغ من مسوغات التقديم

وأما ثاني الكتابين - كتاب صور البديع فن الاستيعاب ^(٢) ، فقد ورد فيه ^(٣) من مزاعم ابن الصائغ اثنا عشر زعما ، منها عشرة تنابعت من غير نقدها وفيها أيضا (مستورا) بمعنى (ساترا) ، وزاد (مأتيا) بمعنى آتيا في قوله تعالى (لأنه كان وعده مأتيا) - وإثنان أفردا بعد ذلك وخصا بالنقد .

ولم نسكن تناوُلنا منها بالفرض في مقالنا السابق إلا زعم ابن الصائغ في (مستورا) في آية الإسراء أنها بمعنى (ساترا) أما زعمه في (مأتيا) أنها بمعنى (آتيا) فيكفي الآن في رده قول الزمخشري في الكشف : والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ، أو هو من قولك : أتى إليه إحسانا ، أي كان وعده مفعولا منجزا . وفي الوجه الأول غنى عن القول الثاني لأن الآية الكريمة هي : (جنتان عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، لأنه كان وعده مأتيا) فالوعد هو جنتان عدن وهي موجودة الآن ، فلا معنى لأن تكون آتية ، لكن الموعدون يأتونها حتما ، وقد ذكر أبو حيان في البحر ما يفيد أن ابن جريج سبق الزمخشري إلى الوجه الأول حين قال : وعده هنا موعدوه وهو الجنة ، ومأتيا - يأتيه أولياؤه وإذا كان ابن جريج في أقدميته قد فهم (مأتيا

(١) للاستاذ على الجندي دار الفكر العربي

(١) الآية (٧٠)

(٢) صفحة ١٨٨

ونظر في الكلمة في سياقها في الآية الكريمة ونظرة عميقة شاملة تناولاتها من ناحيتها في إفاضة وحسن عرض ودقة برهنة ، وكذلك فعل الرافعي حقا في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ^(١) . ولعل ما قاله رحمه الله من الناحية المعنوية يتلخص في أن الكلمة بغرابتها وما أودع فيها من تم-كم تمثل غرابة القسمة والسخرية منها . لكن العجب من ابن الأثير أن يقول ، فيما نقل الأستاذ عنه ، إن كلمة « جائرة » التي اقترحها ابن الصائغ أحسن من ضيزى لولا خروج جائرة عن حرف السورة ومجىء (ضيزى) عليه كأن المسألة مسألة سجع وكفى ، أفلم ينظر ابن الأثير إلى الخلل الذي يلحق المعنى لو قيل : تلك أذن قسمة جائرة ، بصرف النظر عن النظم وسجعه الذي يبرر الكلمة وغرابتها عنده .

ب (جائرة) التي يقترحها ابن الصائغ و (وظالمة) التي يزيد بها ابن الأثير تجعل القسمة فيها شيء من الحق ، مع إنها لا حوق فيها مطلقا ولا أصل لها . هي (قسمة ضيزى) لا يمثلها إلا هذا اللفظ بما فيه . والكلمة في الواقع لا مرادف لها في العربية يمكن أن يحل محلها من غير أن يلحق بالمعنى ذلك الخلل الذي يخرج الآية عن قرأتها . بل أي مرادف

والتأخير والحذف إلى آخره عللا بيانية بسطها بلغاء المفسرين كالزحشرى وغيره ، ، وكنا نود الاطلاع على الجزء الأول لسكنا لم نستطع الحصول الا على الجزء الثاني ، فن الاستماع ، الذي هو موضوع حديثنا الآن فيما نقل عن الإتيان من أقوال ابن الصائغ وما نقد منها . والذي يهم هو تقرير الأستاذ أن وراء تلك الأقوال عللا بيانية ضرب لها مثلا توضيحيا كما سنرى . لكننا بحمنا في تلك الأقوال وقدرها صاحب الإتيان بتأملها . عما سماه الأستاذ مسوغات فلم نجد له مسوغا إلا مراعاة الفاصلة على ما زعم فيها من مخالفة الأصول في العربية : وهو زعم شنيع كما نرى يشهد على نفسه بالبطالان سواء استطعنا حل كل ما أشكل عليه أم لم نستطع .

والمثل التوضيحي للعلل البيانية وراء ما عدده ابن الصائغ هو كلمة (ضيزى) في قوله تعالى من سورة النجم والسم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذن قسمة ضيزى ، اختارها الأستاذ من بين كلمات مثل بها ابن الصائغ لإيضاح القرآن أغرب اللفظين مراعاة للفاصلة في الصورة - كلمات سنعود لساؤها فيما بعد ، وكان اعتراضه على ما قال ابن الصائغ وما قال ابن الأثير في المثل السائر ، أنهما نظرا إلى الناحية اللفظية ولم يعبرا الناحية المعنوية للتفاتا ولا اهتماما . أما الرافعي رحمه الله فقد

في سورة المدثر ، و (لظى) في المصارج ، و (هاوية) في القارعة ، وكان يفضل بدلا منها جهنم أو النار ، وينسى أن المخاطب بها عند نزول الوحي كان العرب المشرك ، وهي كلها عنده سواء إذ لم يكن يعتقد في البعث ولا يعرف ما بعده ، بل إن ما استغربه ابن الصائغ له معنى معروف في اللغة يدل على صفة من صفات النار لا يدل عليها الاسم المجرد ، ويزداد الإنسان تقديرا لها كلما ازداد علما وقارنها بمثلها من صفات الشمس التي جلاها العلم الحديث ، فإن جهنم موجودة بين هذه النجوم

التي لا تعد شمسنا إلا نجما متوسطا فيها ،

و لكن أنى لمثل ابن الصائغ أن يعرف هذا أو يتذكر أن القرآن مخاطب به عصوراً تية قد تكون أوسع من عصره علما فيفهم أهلها من أسرار تلك الكلمات ما لا يستطيع هو له فهما .

لكن السر في كلمة (سقر) في سياقها في سورة المدثر أدبي تاريخي ، لا علمي وكان من الممكن لابن الصائغ أن يهتدى إليه لو لم تصرفه مزاعمه عن البحث عنه . هي علم لجهنم في القاموس وفي الكشف إذ يقول الزخشي في تفسير (ذوقوا مس سقر) من سورة القمر « وسقر علم لجهنم ، من سقرته النار وصقرته إذا لوحت » .

لكن هذا لا يمكن لإظهار المناسبة المعنوية

من نحو جائرة أو ظالمة أو ناقصة إذا حل محل (ضيزى) في الآية الكريمة ليس فقط يوم أن القسمة فيها بعض الحق بل يكون فيه بذلك إقرار لطرف من الشرك الذي ما نزل القرآن أول ما نزل إلا لمحوه ، لأن القسمة متصلة بالأعنام المذكورة في قوله تعالى : « أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ؟ ألمكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى ! » ومن هنا كان خير ما قيل في تفسير الآية الأخيرة هي قول ابن كثير في تفسيره :

« فلواقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة

لكنات (قسمة ضيزى) أي جورا باطلة ، فكيف تقاسمون وبكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها ! » .

وعلى أي حال فكيف تفسر الكلمة في سياقها يجب أن يتفق مع معنى الآية بعدها : « إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يقبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » .

لكن ابن الصائغ ومن لف لفه في شغل بالسجع ومراعاة الفاصلة عن الحق الذي نزل به القرآن ، وعن مقتضيات الإعجاز في المعنى والأسلوب .

والكلمات التي جاء بها ابن الصائغ مع كلمة ضيزى هي (الحطمة) في سورة الهمزة و (سقر)

يستدرك على الآية بحذف الكاف ومثل ذلك يقال فيما ذكره ابن الصائغ ولم يذكره الكتابان من حذف متعلق أفعال التفضيل في نحو (يعلم السر وأخفى) .

أما لإجراء غير العاقل مجرى العاقل في (رأيتهم لي ساجدين) ، وكل في فلك يسبحون ، فالأولى حكاية عن يوسف يعبر عن ذات نفسه فيأرأى في - منامه - وأهل العبرية لغة يوسف تقتضيه فيكون في الآية نوع من الإعجاز اللغوي التاريخي وأما الآية الثانية ففي مجرد الجمع إعجاز على إذ يدل في آية (٣٣) من سورة الأنبياء وآية (٤٠) من يس هل أن أليس في الشمس والقمر للجنس ؛ ولم يكن تعدد الشمس والقمر في السماء معروفا قبل العصر الحديث . وفي ضمير العاقل دلالة على أن شمس السماء وأقارها إنما تطيع الله طوعا لا كرها فيما سن لها سبحانه من سنن ، كما في آية فعلت (قالتا أتدنا طائعين) ٢ -

وفي الجمع هنا معجزة علمية أخرى دل عليها (فقضاهن سبع سموات في يومين) في الآية بعدها لا يقسع المقام لتبليانها ، وينبغي لجاهلها التفويض .

وأما العدول عن صيغة الماضي في نحو (فريقا كذبتم وفريقا تقتلون) فقد أجاب الزحشرى عن الاحتمالين ، وفي الجواب عن الحاضر كفاية . قال إنه على حكاية الحال

بين قوله تعالى (سأصليه سقر) وما حكاها في الآيتين قبلها من قول الوليد يريد القرآن الكريم : (إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر) .

ويرجع الباحث إلى القاموس مرة أخرى فإذا فيه السقار الكافر واللعان لغير المستحقين فتتضح المناسبة بين (سقر) النار ، والوليد السفار ثم يرجع إلى النهاية لابن الأثير فيجد تحت سقر وجاء ذكر السقارين في حديث آخر وجاء تفسيره في الحديث أنهم الكذابون قيل سموا به لخبث ما يتكلمون به ، فتزداد المناسبة وضوحا وظهورا بين قوله تعالى (سأصليه سقر) وخبث ما قاله الوليد كذبا على القرآن .

بقي أن نمر على ما ذكره الكتابان وما قد يتسع له المقال من مزاعم ابن الصائغ التي لم نتناولها في مقالنا الماضي ، ولنبدأ بما اشتركا فيه بعد كلبة (ضيزى) فن ذلك .

حذف المفعول نحو (فأما من أعطى واتقى) (ما ودعك ربك وما قبلى) وليس في هذا مخالفة لأصل ما . بل هو ما تقتضيه البلاغة ومعروف أن الحذف في (أعطى) للتعميم والإطلاق ؛ وفي (واتقى) إيجاز قصر لإشارة إلى ما ينبغي في العطاء من أن يكون طيبا خالصا لا من فيه ولو قيل : وما قلاك بعد (ما ودعك ربك) لجاء مشرك أو ملحد

مع ترك ذلك في نحو (هو القادر) و (علم الغيب) فهو لحكمة معنوية من غير شك ، فما استعمل فيه صيغة المبالغة أدل على القدرة الإلهية ، وقد تأتي في غير فاصلة مثل (إنه علم بذات الصدور) في الآية ٤٣ من سورة الانفال ، كما قد تأتي صيغة اسم الفاعل في الفاصلة نحو إنه على رجعته لقادر .

وليس في هذا كله شيء من مخالفة الأصول وما كنا لنعرج على مثله لولا أنه ما ذكر في ثاني الكتابين من أحكام ، ابن الصائغ

وأما ما ذكر فيه أيضا من إيقاع اسم الفاعل موقع اسم المفعول نحو (عيشة راضية) و (ماء دافق) فقد فهمهما الزحخشري إما على الاستناد المجازي وإما على القسب كالدارع والغابل واللابن والناصر . ونزيد أن في (ماء دافق) في سياقها في سورة الطارق معجزة علمية إشارة إلى أن دفق الماء لا إرادى .

وأما ما ذكره أول الكتابين عن ابن الصائغ من الاستغناء عن التثنية بالأفراد في (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) بدل فتشقى ، فغير صحيح ، والآية على ظاهرها لحكمة لطيفة إذ تشير إلى أن سنة الله في الحياة على الأرض أن الرجل هو الذى يشقى بالسعى على الأسرة . كذلك ما ذكر من إيراد أحد القسمين غير مطابق الآخر في (فليعلنن الله الذين صدقوا وليعلنن

الماضية استحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها كما في (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) . وعلى أى حال فهو هنا كما في الآية (٣٨) من هود : ويصنع الفلك) الآية وأما زعمه تغيير بنية الكلمة لفاصلة نحو (طور سينين) والاصل سيننا ، فهذا من أعجب ما اجترأ الرجل به على كتاب الله . فظاهر كلامه أن كلمة سينين لم يكن العرب يعرفونها قبل نزول القرآن بها للغاية التى ذكر ، مع أنها مذكورة في القاموس وفي كتب التفسير لا كثر من معنى . وأبو حيان في البحر يقول : ومعنى سينين ذو الشجر ، وفتح السين فيها لغة بكر وتميم ونقل هذا الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عم وزاد و يقال إن سينين وإلياسين والغسلين وأمثال هذا الوزن من لغة أهل اليمن وعرب الجنوب ، فالكلمة معروفة للعرب قبل نزول القرآن وإن تعدد معناها فن الافتراء على الله أن يزعم زاعم أن الاصل سيننا تغيرت بنية من أجل الفاصلة أما مجيء أنسب كلمتين مترادفتين في اللغة وأليقهما بالاسلوب القرآنى فهذا من الله توجيه بل تشريع في الأدب العربى . ومثل هذا يقال فيما ساء ابن الصائغ إشار بعض أوصاف المبالغة على بعض مثل (عجباب) في آية سورة ص و (عجيب) في آية سورة ق . أما الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم

وبالجمع عن الأفراد نحو : لا يبيع فيه ولا خلال ، فقد جاء الزخشرى في الأولى بأربعة أوجه نختار منها قوله ، أو أرادنا جعلنا إماما وأحد الانهادنا وانفاقا كلمتنا ، فهو من جوامع الكلم في الدعاء إذ هو دعاء بدوام جمع الكلمة على أعظم التقوى أسوة وقدوة للناس . وذلك كله في ثلاث كلمات وفسر الزخشرى (ولا خلال) بمعنى ولا مخالطة على المفاعلة . وفي هذا ما في (ولا خلة) وزيادة من غير أن يزيد عنها حرفا . والسكمة أيضا جمع خلة تبدل على التنوع فيها ، فهي تفيد المعنيين جميعا على الجمع لا على التخيير لأنها من كلام الله لا من كلام البشر . أما جمال الإيقاع فهو في الكلم القرآني للمعنى تبع . وتعالى الله معجز العرب والبشر بالقرآن .

وقد بقيت للرجل مزاعم شرها قوله : إن الأحسن كان الفصل بين المجرورات في قوله تعالى : ثم لا تجدوا لكم ولينا به تبعا ، لولا مراعاة الفاصلة ! فعفا الله عن الرجل وكفى الناس شر ما أخطأ به في حق السكمتاب العزيز ؟

محمد أحمد الغمراوي

الكاذبين) ، ولم يقل الذين كذبوا ، فليس لما توهم ابن الصائغ ولكن الحكمة معنوية . فاسم الفاعل يفيد ثبوت الصفة والفعل الماضي يجيز انقطاعها . ولا ندري كيف خفي هذا عليه . ومثل هذا يقال فيما لم يورده السكتابان من عدد ابن الصائغ بحج الآيات على غير وجه المطابقة في نحو (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ولم يقل وما آمنوا ، فالآية تفيد من استمرار نفي الإيمان عنهم ما لا يفيد الفعل في مطابقة ابن الصائغ .

أما ما عده من إيقاع الظاهر موقع الضمير في نحو والذين يمسكون بالسكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ، فليس للامالة كما توهم إذ هو لتقرير سنة عامة لله سبحانه في توفيقه المصلحين أجرهم : بمن ذكروا في صدر الآية ومن لم يذكروا . وفي هذا ما فيه من الخوض على الإصلاح على إطلاقه فشتان بين ضمير ابن الصائغ وظاهر القرآن ومثله يقال في آية السكف : إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، التي أشار إليها .

وأما ما زعمه من الاستغناء بالأفراد عن الجمع نحو ورا جعلنا المتقين إماما ، ولم يقل أئمة ،

عود الى قضية السجع والقرآن والبقا لاني

للكتير عبد الرؤوف منوف

وهكذا تحقق بهذه الكلمة دون غيرها وجها
اللغة : الصورة والمضمون من غير ما استكراه
أو تكلف ، ، ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، وقه در الذي
يقول ، ما هذه الفواصل التي تنهى بها آيات
القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهى بها
جمل الموسيقى ، وهى متفقة مع آياتها فى قرار
الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه
الذى يساق عليه بما ليس وراءه فى العجب مذهب ، .

هذا ومسألة استخدام القليل والكثير قد
أشار إليها العلماء ، فقال قائلهم ، والقرآن قد
يأتى بما لا يقاس عليه فيشنع على ذلك ناس
وهم أولى بالتشنيع ... لأن النحويين لما
استقرأوا الكلام وجدوا كلام العرب على
قسمين : قسم يسهل عليهم وجه القياس فيه
ولم يعارضه معارض لشهرته فى الاستعمال ،
أو لكثرة النظائر فيه فأعملوه باطلاقة وقسم
لم يظهر لهم وجه القياس فيه ، أو عارضه
معارض لقلته وكثرة ما يخالفه فتى قالوا شاذ
أو موقوف على السماع أو نحو ذلك فعناه أنا
نقبح العرب فيما تكلمت به من ذلك ولا نقيس
عليه غيره ، لا لأنه غير صحيح بل لأننا نعلم

أما أنى ذكرت أن القرآن يعدل عن الأشهر
إلى المشهور . أو عن الكثير الاستعمال إلى
القليل ، فليعلم الله كتور الفاضل ألا غبار
فى ذلك على استعمال القرآن الكريم بل إن
ذهابه هذا المذهب ، واختياره للفظه نادرة
على ما سواها ما شاع وذاع لغاية يراها لدليل
يقطع بأنما ينزله الذى وسع علمه كل شيء ،
فعرف فرق ما بين لفظه وأخرى وما عسى
أن تحدثه لفظه بموسيقاها من التأثير فى العبارة ،
إن اختيار اللفظة للوقع الملائم مراعى
فى ذلك شئ الاعتبار الفنية وإن تكن نادرة
الاستعمال فى اللغة هو دليل الإعجاز ، وقه
استعمال كلمة ضيزى ، على ندرة استعمالها ،
فى قوله تعالى ، تلك إذن قسمة ضيزى ، إنها
على ما هى عليه من الغرابة ومن ندرة
الاستخدام فى أساليب العرب ، شعرا أو نثرا
- وقعت موقعا لا يقع غير ما فيه إلا كان دونها
أما هى فجاءت - ومقاطع الآيات قبلها وبعدها
على الألف المقصورة ملائمة لها متفقة معها
فى الجرس والموسيقى ، مع ما تدل عليه من
معنى الجور فيما نسبته العرب إلى الله جل وعلا
حين جعلوا لله الأنثى ولأنفسهم الذكور

وليس رعاية الجانب الصوتي في الأسلوب اللغوي بأقل شأناً من الجانب المعنوي ، لا سيما إذا لم يتحيف ذلك الجانب صاحبه أو يخل به . وذلك ما عليه القرآن الكريم .

ويقال مثل ذلك في « جنات ونهر » ففيها العدول عن أنهار إلى نهر كما قلت وقال العارفون بفن الكلمة ، وحتى على أن « نهر » بمعنى « سعة » ، كما يقول الدكتور نقلا عن القاموس ، وكما قال من قبله الزخشرى في كشفه ، فإن العدول عن لفظ « السعة » مع ما فيها من قرب المعنى ووضوحها ، واشتبارها فيه إلى كلمة « نهر » ، وهى قليلة الاستعمال والذويوع في ذلك المعنى لا يكون إلا لغرض ولتحقيق شيء آخر فوق المعنى ، وليس ذلك إلا لإجراء الفاصلة على قرار أخواتها ، وذلك هو التسجيع الذى تحدث به العبارة ضربا من التأثير الفنى يضاف على اللغة جمالا أى جمال .

وعلى هذا النحو يمكن أن نقول في « نخرة » و « ناخرة » ، وفي « لزاما وأجل مسمى » ، وما شاكلهما وهو كثير في القرآن ، وليس الخروج إلى مثل ذلك والعدول إليه عما ينبنى أن يكون القرآن كله « مرادا لله بالبداهة » وليس هناك قصد وعهد . كما يريد الدكتور أن يقال . على أنا حين نقول : « إنه يعهد ويقصد » ، لا يمكن أن يفهم منها التكلف الذى هو ضد البداهة . وإنما نقصد مجرد مجيء

أنها لم تقصد بذلك القليل أن يقاس عليه . . هذا الذى يعنون حين يقولون : إن القرآن يأتى بما لا يقاس عليه ، لا أنهم يرمون الكلام بالتضعيف حاشا لله . .

وإذن فجاء القرآن بالقليل النادر لا ينال من إعجازه أو فنائه ؛ بل إنه يؤكد فيه صفة العلم بأنسب الكلمات للوطن وإن قل استعمال العرب لها ودورانها على الألسن .

وأما كلمة : « موسى وهرون أو هرون وموسى » ، وأن هرون فيما يذكر الدكتور كان أفضل من موسى للفصاحة والسن فاقضى ذلك تقديمه على أخيه في الذكر في موطن ليدل على ذلك ، فاستريح لهذا التوجيه إذ هذه الأفضلية بالفصاحة ، وبالسنة - تعتبر فيما أرى صفة لازمة ، فلو كانت تبرر تقديم ذكره على أخيه لكان يطرده ذلك في جميع المواضع . أما الأمر ليس كذلك فينبغي أن يكون اعتبار الموسيقى الصوتية في الفواصل هو المبرر لتقديم هرون مرة ، وموسى أخرى ، فحين تبني القصة على مقطع النون يأتى هرون ختما الآية ، وحين تبني القصة على الألف المقصورة يأتى موسى مقطعا للصوت والفاصلة ، بل حين تبني القصة على حرف الياء فإن الآية لا تنهى بهرون ولا بموسى وإنما تأتى كلمة « أخى » ، صفة لهرون لتحقيق التوافق والتسجيع .

وكيفية مزجه لها ، وترتيبه إياها يقول ،
— تهدي — إلى ما لم يتهدي إليه صاحبه ،
لجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته
أغرب ، كذلك حال المكاتب والشاعر في
توخيهما معاني النحو ووجوه التي علمت
أنها محصول النظم .

وهكذا يكون الأمر في الفنون جد مختلف
عنه في العلوم ، وإنى لملتصم للسيد الدكتور
واسع العذر فقد ناقش قضية فنية بعقلية عالم ،
ناقش قضية السجع بعقلية من يرى أنه كلما
كثرت الضوابط في الفن كان أرقى ، ولعل
ذلك هو ما رآه الباقلاني قبله حين وضع
للسجع تعريفاً رأى فيه أن يكون المعنى تبعاً
للفظ وذلك حين قال : إن السجع من الكلام
يتبع المعنى فيه اللفظ ، .. وليس ذلك كله
من الصواب في قضيتنا على قليل أو كثير .

إن صور السجع لا يمكن حصرها ولا يمكن
إحصائها وقد قول رجل القرن الرابع
معاصر الباقلاني : د والسجع على وجوه :
فنها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين
لا يزيد أحدهما على الآخر مع إتفاق الفواصل
على حرف بعينه كقول الأعرابي : سنة
جردت ، وحال جهدت ، وأيد جهدت .
فرحم الله من رحم ، فأفرض من لا يظلم .
ومنها أن تكون ألفاظ الجزئين
المزدوجين مسجوة فيكون الكلام سجعاً

الأسلوب على هذا النحو دون غيره بما يمكن
أن يجيء عليه بصفة عامة .

وأما ما ذهب إليه الدكتور الغمراوي من
أن الفن كالعلم يكون أرقى كلما كانت أدوات
التمييز فيه أكثر ، فردود ، إذ في المسائل العلمية
يمكن وضع التعاريف والحدود والقيود
الجامعة المانعة ، فللمربع ضوابط والاستطيل
ضوابط ... ولكن الأمر جد مختلف في
مسائل الفن ، ومن العسير ، إن لم يكن من
المستحيل ، وضع ضابط جامع مانع للظاهرة
الفنية لأنها ليست مسألة موضوعية ،
وقصارى ما يمكن في ذلك إنما هو التقريب
إذ مدار النظم إنما هو على معاني النحو ،
وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن
تكون فيه ، وهي كثيرة ليست لها غاية
يوقف عندها ، والكلمة الواحدة تحلو في
موضع وترفع به إلى أسمى درجات الفنية ،
وهي تأتي في موضع آخر فتكون سبيجة
مستثناة مرذولة ، ولا ذلك إلا للعلاقات التي
تستمدعها في موضع دون آخر . يقول عبد
القاهر : د وسبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ
التي تعمل منها الصور ، والنقش ، فكما أنك
ترى الرجل قد تهدي في الأصباغ التي عمل
منها الصور والنقش في ثوبه الذي نسج ،
إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفاس
الأصباغ ، وفي مواضعها ، وفي مقاديرها ،

هذا ولم أقل — كما يزعم الدكتور — :
« إن القرآن يأتي بالسجع الصرف ، وأن ذلك
مما قلت (..) وهكذا يكون السجع في القرآن
جاء وهو تصوير الألفكار والمواقف على
اختلافها ، فاختلف بالطول والقصر ،
وبالمساحة والمقطع ، ولم يلتزم التساوى في
شئ مما يتعلق بالألفاظ والأصوات ، لأنه
ليس من الاهتمام بالصورة الخارجية للغة في
قليل أو كثير ما لم يكن ذلك على صلة وثيقة
وقراءة قريبة من المعنى والمفكرة التي يريد لها
ويقصد إليها) .

ولقد ضربت المثل لذلك وأن اللفظ فيه
يتبع المعنى ، وليس المعنى هو الذى يتبع
اللفظ بقوله تعالى في حالة التخويف والتهديد :
« ذرني ومن خلقت وحيدا ... إلى قوله
تعالى : لا تبني ولا تذر ،) ثم بحالة
الاستقرار ومخاطبة العقل التي يعدل معها عن
التسجيع إلى الترسل في قوله تعالى :
« وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، .
الآية .

فكيف يقال بعد ذلك كله أنا قلنا بالسجع
الصرف في القرآن الكريم !!

وكيف يستبجح السيد الدكتور لنفسه
أن يرى القائلين بالسجع بأنهم إنما يسترون
جهلهم بالمعنى المفاد حين يقولون بالسجع
في القرآن ؟ ولكن يعفو الله .

في سجع كقول البصير : « حتى عاد تعريضك
تصريما ، وتمريضك تصحيحا » .

يقول أبو هلال : وهذا الجنس إذا سلم
من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع .
ومن الغريب الذى ينقض على الباقين
وعلى من يشايه فكرته عن السجع أنه يرفض
أن يكون في القرآن سجع ، ويقبل أن يكون فيه
ترصيع فيقول : ونظير الترصيع في القرآن
قوله : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن
لك لأجرا غير ممنون ، وقوله : « والطور
وكتاب مسطور ، . وقوله : « والساجات
سبحا والسابغات سبحا » .

ثم يمتضى أبو هلال يتحدث عن أنواع
السجع فيذكر أن منها ما تكون الأجزاء
فيه متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف
متقاربة الخارج إذا لم يمكن أن تكون من
جنس واحد ...

وقد قررت أن القرآن الكريم سمح في
استعمال السجع ، فلا يتشدد فيه تشدد
المستكلفين ، ولكن يأتي منه بالعفو السجع
الذى يقتضيه المعنى ومن ثم لا يلزم إتمام
التماثل في الصوت ، أو التوازي في المساحة ،
أو التوافق في الجرس لتكون له من هذه
السعة في الاستعمال جادة تجعل منه ذلك
الاسلوب الذى لا يبلى على كثرة الرد ولا يخلق
على التكرار .

ولذلك أنكر الاعرابي حين شكك إلى عامل بقوله : حلات ركابي ، وشققت ثيابي ، وضربت صحابي - فقال له العامل : وتسجع أيضا ؟ إذ قال الأهرابي فكيف أقول ؟ يقول عبد القاهر : وذلك أنه لم يعلم أصلح لها أراد من هذه الألفاظ ، ولم يره بالسجع غلا بمعنى أو محدثا في الكلام استكراها ، أو خارجا إلى تكلف أو استعمال لما ليس بمعتاد في عرضه .

نقول نحن : وعلى هذا لا نكون أغربنا حين وددنا على الباقلائي مذهبه في القضية وأثبتنا السجع في القرآن ، وشكرا لاستاذنا الدكتور العمراوى فقد أتاح بما كتب فرصة تأييد القضية وتأكيدها ، وليطب نفسا ، وليطمئن إلى أنا نغار على السلف كغيره ، وإن كان ذلك لا يمنعا من أن نختلف معهم في بعض ما ذهبوا إليه حين يقوم لدينا الدليل ، وتستقيم لنا الحجة والله يهتدي إلى سواء السبيل ؟

عبد الرؤف مخلوف

وهلا قرأ الدكتور ما قلنا وما كتبنا حين قررنا : (أن القرآن الكريم كما يراعى ويستهدف الظاهرة الثانية من ظاهرتي اللغة . أعنى ظاهرة المضمون والمحتوى ؛ فإنه لا يقصر في رعاية الظاهرة الأولى ظاهرة الصوت والنغم ، ما لم تؤد إلى إخلال بأختها) ... إلى أن قلنا : ، وهكذا يتأكد أن القرآن ينأى بأسلوبه عن السجع حين تكون هناك مظنة تحجف الدلالة أو انتقاص المعاني .

ألا إنه حين يستدعى المعنى السجع ويعين على تحقيقه لا يكون ثمة نمط من الأساليب أولى منه بالإيثار إذ في هذه الحالة يتحقق جانب اللغة : المضمون والمظهر في أحسن صورة وأبهج زينة ، وقه دو عبد القاهر الجرجاني فإنه بعد أن يذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : افهوا السلام ... يقول : وفأنت لا تجد في جميع ما ذكرت لفظا اجتلب من أجل السجع وترك له ما هو أحق بالمعنى منه ، وأبر به ، وأهدى إلى مذهبه ... يقول



عنصر الفكرة في الحديث النبوي

للدكتور محمد رجب البيومي

- ١ -

أقرب طريق إلى التحليل الصادق والافتراء الواضح بحيث يعطى القارىء وصفاً دقيقاً لما يريد أن يقوله الناقد عن كل نص أدبي معروض ، إذ أنه في منهجه الصحيح يضع الحوافظ الممانعة من التدفق اللفظي لدى النقاد كما أنه في صميمه الخالص دعوة إلى المنطق الواضح المركز ، واصطناع لبعض أساليب العلم في دنيا البيان ، ولا يغيب عن الذهن أن العاطفة ليست عنصراً رابعاً من عناصر الأسلوب ، وإنما هي قائم مشترك بين الفكرة والصورة والعبارة جميعاً إذ أنها تنسرب إلى الفكرة فتذهب من جفافها وتلقى عليها مزيداً من الضوء يطرد ما قد يحجم عليها من تعقيد ، كما أنها تأتى إلى الصورة فتجعلها محكمة دقيقة ، وتبعد عنها كل تنافر في الذوق أو ثقل في اللون والظل مما يحول دون ارتسام الانطباع الوجداني في بهائه الشامل ، فإذا تسربت للعاطفة إلى العبارة تفرقت في ألقاظها فصارت سلسلة مواتية وفي تراكيبها فأصبحت متأخية متمسكة ، والذين ينكرون أثر العاطفة في الأفكار الفلسفية يخطئون

جاء محمد صلى الله عليه وسلم برسالة من عند الله واضحة الأغراض ساطعة المعاني ، تتطلب من البيان العربي ما يجلو أفكارها القوية في وضوح واقتلاق ، وقد احتشدت عناصرها القوية في ذهنه الكريم وتمكنت من عقله تمكناً دفعه إلى التعبير عنها في غير ما يتصل بالوحي النصي بمختلف الأنماط الأدبية الفاتحة في عصره من خطبة إلى رسالة إلى قصة إلى حديث هادف يتلقفه الصحب فرادى وجماعات . والدارس المتابع لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى مناحيه الأدبية لا يعجزه أن يستكشف خصائص الفكرة في بيانه الكريم وحين نخص الأفكار النبوية بموضوع خاص نساير الاصطلاح المعاصر في النقد حين يقسم عناصر الأسلوب إلى أفكار وصور وتعبير ، وذلك لا يمنع في شيء أن تكون الصورة جزءاً من الفكرة بحيث يتعذر انفصالهما على حد متميز ، كما أن التعبير يلتصق بالفكرة التصاقاً تاماً بحيث لا تستطيع البروز إلا عن طريقه ، ولاكن هذا التقسيم الاصطلاحي مع ذلك كله يعتبر

بيان محمد صلى الله عليه وسلم فماذا أنت واجد ؟ .

أما قوة أفكاره فما لا يرتاب فيه ألد خصومه لأن الذي ينقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور لا بد أن يكون ذا فكر قوى غلاب ، وإذا كان البيان أكبر وسائله في الإقناع والتأثير فلا بد أن تكون الأفكار التي يصورها هذا البيان من القوة بحيث ترج العقائد المتأصلة في النفوس وجا عضيها بل تحطمها تحطيمًا لتبنى مكانها عقائد أخرى تكون على أتم ما يرجى لها من التأصل والرسوخ ! يعرف هذا كل عاقل حصيف . وإن كان أجنبيًا عن العربية وعن أدبها ، فتي قلت لأى مفكر فى شتى بلاد العالم إن رجلا قاد الملايين بالمنطوق المقنع من اعتقاد إلى اعتقاد مضاد فإنه سيقول لك دون حاجة إلى أمثلة وشواهد : إن هذا القائد النافذ مفكر دقيق ! .

أجل كان محمد صاحب فكر قوى متسع شامل فى وقت كان فيه مقاول المنابر بالجزيرة العربية لا يكادون يخرجون عن واقعهم القبلى المحدود ، فكل خطيب يجمع الناس ليتبرمج عن مشاعرهم فيما يقع من مجريات الحوادث والأحوال ، وإذا ارتفع عن مستواهم قليلا فإنه ارتفاع الطائر فى قفص مربع لا يتجاوز طوله ثلاثة أمتار فهما اشترأب إلى السماء فهو

لذا يظنون العقل راصداً آلياً يجمع الحقائق ، ويسجل النتائج ، وآية ذلك أن تقرأ لباحثين عقليين يعالجان موضوعاً واحداً فتري لدى أحدهما من النصوص والإيضاح ما يبرز تأثير العاطفة فى أسلوبه ، فى حين ترى لدى الآخر من الجفاف والنضوب ما ينأى بك عن موالاته حتى ما تستطيع موالاته دون جهد كبير ! وإذا كان ذلك فى أبحاث الفلسفة المنطقية ، فما ظنك بما ترفد به العواطف جداول النقد الأدبى من عطاء فعال . لقد آن لنا أن ننأى بالتشريح النقدي عن الكلمات الفضفاضة التى طال تردادها فى معرض الحكم البياني على الآثار الأدبية من مثل القول : بمقانة السبك وشدة الأسر أو إشراق اللفظ وحلاوة الرصف دون تشخيص دقيق لكل عنصر من عناصر الأسلوب على حدة ، وإذا جاز ذلك فيما مضى من القرون السابقة فإن تقدم النقد المعاصر لا يسمح لنا أن نتورط فيما تورط فيه المساهلون فلا بد من الدقة الحازمة ليطمئن القارئ المثقف إلى صحة الموازين . وسنستكنفى فى هذا المقال بالنظر إلى الأفكار وحدها كعنصر أصيل من عناصر البيان المحمدى لنذكر سماتها الكاشفة فى ضوء التحليل .

تعلم جيداً أن الأفكار البليغة تنقسم عادة بالقوة والجودة والتحديد والتسلسل ، فإذا عرضت هذه الأوصاف الجيدة على

المحمدية العاقلة في هذا الكتاب وأمثاله ينبغي.
عن تليف علماء الاخلاق والآداب على روائع
الحكم الغالية عند عقلاء المفكرين لتكون
موضع الاستدلال والتأييد.

على أن روعة هذه الافكار تزيد قوة وجلالة
إذا نظر الناقد إلى سياقها وطريقة عرضها ،
إذا أنسا نجه نفراً من أدباء الفكرة يحاولون
الاستعلاء في أسلوبهم ، فيغمضون ويدقون ،
ويرون أن من واجب القارىء أن يرتفع
إليهم مندفعين بشعور من الكبرياء يومهم
أنهم في مستوى أرفع ، وقد كافأهم القراء
بالقسطية والانصراف ، حتى اضطروا
إلى التراجع عن قلق وضيق ، أما الفكرة
الدقيقة لدى محمد فتأتى في مساق واضح سهل ،
وهى على دقتها النافذة لا تتمدد في كثير
من أحوالها حديثاً سيق في مجلس على ملا
من الناس ففهمه الجميع ، ولنا أن ننظر
في مجال التطبيق الأدبي إلى مثل قوله
صلى الله عليه وسلم عن النعمان بن بشير
« إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما
مشبهات لا يعلمن كثير من الناس فمن اتقى
الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع
في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى
حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا إن لكل
ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن
في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله

مقيد بسقف لا يلبث أن يهوى إلى الأرض
حين يصدم به ، أما محمد صلى الله عليه وسلم
فمنذ تسنم مذهب الدعوة ، وهو يخلق بأمره
في أفق لا انتهاء له ، وإن سامعيه لينظرون
إليه مرتفعاً في أجوائه العالية ، وكلهم
راغب أن يرتفع معه حيث يخلق ، وما كان
هذا الارتفاع الشاهق إلا هتافاً بالمثل
الإسلامية التي أوصله الله بها فدعا إليها ،
ليعيد إلى الإنسانية كرامتها ، وينأى بها
عن حضيض الخرافة والفسق والوآد وعبادة
الأوثان .

نطالع الافكار التشريعية التي بعث بها محمد
وأهـافه الخلقية ، وأحاديثه الإنسانية وأخباره
الغيبية فنجد ما لا يؤلف في عصره ولا يعهد
في قومه ، وإذا كان للتشريع والآداب الخلقية
والاحاديث الغيبية أمكنتها الفسيحة في كتب
العلماء والمحدثين فإن المحلل الأدبي ينظر إليها
من الوجهة الفنية فيجدها من ناحية الفكرة
ذات قوة غالبية نفاذة تنبئ عن عقلية دقيقة
واعية ، ومن هنا كثرت الحكمة في البيان
النبوي ، وتسايق البلاغ إلى اقتناصها ؛ لأن
الحكمة لا تأتي إلا عن تجربة شاملة وفكر
دقيق ، وفي كتاب أدب الدنيا والدين - مثلاً -
للبارودي عشرات من الاحاديث النبوية
متفرقة في أكثر الفصول تصور الحكمة
النبوية في سياقها الرصين ، وكثرة الحكم

كم من الصور الإنسانية أو ما إليها هذا الأثر الشريف ، عبد الدينار يرضى إذا أعطى ويسخطه إذا منع ، والعبد المجاهد يأخذ بعنان فرسه مغبرة قدماء أشعث رأسه ، والعبد المتواضع في أعين الناس يستأذن ويشفع فلا يؤذن له ولا يشفع وهو عند الله قوى ممكن ١١ إن تجاريب محمد مع البشر قد أسعفته بهذه الصورة وأمثالها فهو يتمتع من تسع في نفسه لا يغيض ، على أنه يكتب بالآيمان اللامح لا الإسهاب الفاضح ليدعو السامعين إلى التفكير ! وتلك إحدى مزايا الإيجاز وهذا الحديث الثالث :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) .

أى فكرة صائبة مجربة ! يسجلها هذا القول الحكيم ! العلم لا ينزع انتزاعاً بل يفنى بموت العلماء ، ومتى ذهبوا تصدر الجاهل فأفتى فضل وأضل ! دع الزمن يمر واقرأ هذا القول على جيل بعد جيل ! فإنك واجد من يشد على يديك بالتأييد ، لأن الفكرة صائبة يعرفها السامع الذكي فيمن حوله من الناس ، وقد لمست ممكن الهداء لتهدى إلى الطريق القويم متى تقال !

وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب (١) .

أسطر قليلة تعرض عدة قضايا متنوعة يجمعها رابط دقيق ، فوضوح الحواجز بين الحلال والحرام لا يمنع وجود مشبهات توجب اليقظة والحذر ، وتدفع إلى الاحتراز إذ أن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وهذا تصوير محسوس لأمر عقلي يزيد به وضوحاً وجلالاً ! أما الحمى المحظورة فمحارم الله ، وأما القلب فهو مصدر الصلاح إذا بعد عن المحارم أو الفساد إذا وقع فيها ! فما رأى القارئ في قوة هذه الأفكار وصوابها ؟ أليست تحمل الطابع العام لبیان الرسول ، وهو الصدق الموجز دون تزيد أو فضول !

وهذا الحديث الثانى « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه ، أشعث رأسه مغبرة قدماء ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » (٢) .

(١) التاج ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) هداية البارى ج ١ ص ٢١٤ .

(١) هداية البارى ج ١ ص ١٠٦ .

قد أبلغتك ، لا ألفين أحكم يحيى يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك (١) ، ١١ .
لنعرف أولاً أن قول أبي هريرة في مبدأ الحديث قام فيما رسول الله يدل على أنه كان يخطب ، وللخطابة سمتا الواضح من التكرار ، وضرب الأمثلة بما يهيج الانفعال ويذكر الإحساس .

فليس المجال مجال إيجاز دقيق يكتب في فيه باللمح بل مقام استعراض لأحوال هامة من مشاهد الغلول ، ولكل مشهد صورة تختلف عن سابقه ولا حقه ! هذا الاختلاف هو موضع الطرافة في الفكرة ، فلو أن الرسول قال إن الغلول حرام وإن الإنسان سيحاسب يوم القيامة عما غل ، ثم دعا إلى تقوى الله ومراقبته لفاتته الجدة الطريفة في تعداد مشاهد تبعث التأثير الآخذ من منظر صاروخ لهيف من ذرى الغلول وقد جثم على رقبته بعير له رغاء أو فرس له حممة أو شاة لها ثغاء أو عبد له صياح أو ذهب يثقل بوزنه ! هذه الجدة قد أكدت الفكرة وجسمتها تجسيدا حتى لتلس باليد وترى بالنظر ! وتلك بعض منافذ الإبداع في بيان محمد .

د . محمد رجب البيومي

أما جدة الافكار النبوية فهي أيضاً من المسلمات منطقياً إذ أن كل نبي يأتي بالجديد لا محالة ، وأذكر أننا قلنا في باب محمد الداعية إن التجاء الداعية الأعظم إلى التكرار والترديد لترسخ مبادئه وتتأصل تعاليمه كان يلزمه أن يجدد في الصورة والإطار حتى يظل لحديثه رونقه الخالب ، وقد ضربنا بعض الأمثلة من بيانه شواهد على التكرار المعنوي حين يتجدد الهدف والغرض ويتنوع اللفظ والتركيب ، فحمد صلى الله عليه وسلم حين يتحدث عن الغلول مثلاً في الحديث التالي .

يشقق القول ويفرعه بما يجعل كل معنى من معانيه يحمل من الجدة الطريفة ما يذكى في النفوس شعوراً حاراً يقود ، وذلك حين قام ذات مرة - كما روى أبو هريرة - فذكر الغلول فعظمه ثم قال لا ألفين أحكم يحيى يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ، لا ألفين أحكم يحيى يوم القيامة على رقبته فرس له حممة فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحكم يحيى يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك لا ألفين أحكم يحيى يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً

زيادة السعر في بيع النقسيط

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

والربا في اللغة يعنى الزيادة الخالية عن العوض
فدل لفظ الربا العام هنا على تحريم كل زيادة
إلا ما خصه دليل، وليس ثمة دليل على إجازة
الزيادة هنا، فكانت حراما. ثم إن الزيادة
هنا إنما كانت في مقابل الأجل لا غير
فدخلت بذلك في ربا النسبة لأن العلة فيه
كون الزيادة لم يقابلها شيء من العوض
إلا المدة، وقد روى أبو داود في سننه عن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال «من باع بيعتين في بيعة، فله أو كسهما
أو الربا» وقد فسر هذا الحديث بأنه بيع
السلعة بشئ مؤجل أكثر من سعرها الفوري
والبائع في بيع السلعة بشئ مؤجل هنا يجمع
صفتي النقد والنسيئة في صفقة واحدة فلا يكون
له إلا أو كسهما أو الربا، أى لا يستحق
إلا الثمن الأقل، فإن أخذ الزيادة فهو مرب
فدل هذا على تحريم زيادة ثمن السلعة المؤجل
عن سعرها اليومى.

٣ — غير أن جمهور الفقهاء يردون الحجج
السابقة بحجج أخرى يستدلون بها على جواز
زيادة الثمن المؤجل في بيع النقسيط. وأهم

١ — يكثر التعامل بالنسيئة في البيوع
فقد تحتاج إلى ثلاثة أو إلى جهاز تلفزيون،
فيحددك البائع ثمنين للسلعة أحدهما ثمن
فوري والآخر ثمن مؤجل يزيد عن الثمن
الأول، ولقد اختلف علماء المسلمين حول
الزيادة التي يحصل عليها البائع في الثمن المؤجل
وإن كان جمهورهم يجيزها، والوقوف على
الدليل الذي يحرم هذه الزيادة أو يبيحها
يظهر لنا وجه الحق في مسألة تكاد تعرض
لسلك مسلم في حياته.

٢ — أما الذين حرموا هذه الزيادة فقد
نقل عنهم^(١) أنهم يستدلون بحجج أهمها أن
زيادة الثمن المؤجل عن الفوري في بيع
النقسيط إنما هو ربا، لأنها زيادة من غير
عوض في عقد معاوضة يجب أن يتساوى
فيه كلا البدأين، وقد كان الثمن الفوري
مساويا لقيمة السلعة وما زاد لا يقابله عوض
فيكون ربا. والدليل على تحريم كل زيادة بغير
عوض هو عموم قوله تعالى «وحرم الربا»

(١) انظر الروض النضير - ٣ ص ٢٦٩

ونيل الاوطار للشوكاني - ٥ ص ١٥٢

أن يجعله ابتداء ثمن السلعة الوحيد؟ والبيع لا يخرج من زيادة الاسعار وتفاوتها ، كما أن الاسعار تختلف بحسب رغبات المشتري وداوى حاجته ، ولو أن البائع باع بأقل من سعر السوق لجاز ، ولا يقال للمشتري إنه حصل على زيادة في السلعة لا يقابلها شيء ، فكذلك لا يقال للبائع ذلك في زيادة الثمن التي يحصل عليها . . والقول بأن الزيادة إذا كانت في مقابل المدة تحرم قول محل نظر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بإخراج بنى النضير جاءه ناس منهم فقالوا : يا نبي الله ، إنك أمرت بإخراجنا ولنا على الناس ديون لم تحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (ضعوا وتعجلوا) فدل هذا على جواز جعل المدة عوضا عن المال ، لأن وضع جزء من الدين والإبراء من بعضه كان في مقابل عدم استيفاء الأجل ، فكذلك زيادة الثمن عند تأجيله مثل ذلك سواء بسواء ولا بأس بها . أما حديث النبي عليه الصلاة والسلام عن البيعتين في بيعة فقد ورد في رواية أخرى قاصرا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، والرواية الأولى السالف ذكرها دخل في روايتها محمد بن عمرو بن هلقمة وقد تكلم فيه غير واحد فلا يطمأن إليها . والرواية الأخرى عن النهي عن بيعتين في بيعة تحتمل تفسيراً آخر وهو النهي عن الجمع بين

حججهم في ذلك أن الزيادة هنا ليست بربا ، لعدم توافرة الربا فيها ، لأن آية الربا عندهم « بمجلة » فلا يحتاج بها هنا ، وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الربا في هذه الآية بقوله « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر (أى القمح بالقمح) والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمذبح بالمذبح مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد » ، فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد ، وقد ذهب بعض الفقهاء كالظاهرية إلى الاختصار على ما ورد به هذا النص في التحريم ، وعلى رأيهم نجد أن بيع السلعة بأكثر من سعر يومها لا ينصرف إليه هذا الحديث فلا تكون الزيادة ربا ، واختلف غيرهم من العلماء في علة الربا إلا أنهم يرون أن اختلاف الجنس بين البديلين في البيع مع القدر أو الطعم أو القوت على تفصيل في ذلك يحجز زيادة أحدهما على الآخر كما يحجز تأجيل أدائه عنه .

ومسألة بيع الشيء بأكثر من سعر يومه يختلف فيها جنس المبيع عن جنس الثمن فتخرج عن نطاق هذا الحديث ويجوز فيها التفاضل والنساء ، فلو أن زيدا باع لبكر ثلاثة بمائة جنيه لجاز التفاضل بأن يكون الثمن أكثر من ذلك ، ولجاز النساء بأن يكون الثمن مؤجلا ، فلم لا يجوز أن يزيد الثمن المؤجل عن السعر اليومي ، وقد كان للبائع

بيعتين يقصد بهما التحايل على الربا ، كمن يشتري سلعة من آخر بثمن مؤجل قدره مائة دينار ، وقبل مضي الاجل يشتريها بانفسها الاول بثمن حال قدره ثمانون دينارا ، فيقول الامر الى أن يجمع هذا التصرف بيعتين للسلعة هما في الحقيقة بيعة واحدة للثمانين دينارا بثمن قدره مائة دينار تدفع عند حلول الاجل ، وقد كان يبيع السلعة ستارا للتحايل على هذا الربا .

٤ — وإذا ناقشنا أدلة الرأيين السابقين ، تبين لنا أن الزيادة في بيعوع التقسيط حرام . فقد أجمع العلماء على تفسير الربا في قوله تعالى : « وحرم الربا » ، على أنه الربا الذي كان مروجاً في الجاهلية ، وهو ما كان يحصل عليه الدائن من زيادة لرأس ماله عند ما يعجز مدينه عن الوفاء بدينه عند حلول الاجل فيقول له : إما تقضى ديني وإما أنت تربي أى تزيدني في الدين نظير الاجل ، فدل هذا على أن كل زيادة في مقابل الاجل لحسب ربا ، والزيادة هنا لا مقابل لها في حقيقة الامر غير الاجل ، والاجل لا يعد مالا لعدم إمكان حيازته والاستئثار به وادخاره لوقت الحاجة ، فلم يكن جائزا أن يعتاض عنه بمال .

٤ — وإذا ناقشنا أدلة الرأيين السابقين ، تبين لنا أن الزيادة في بيعوع التقسيط حرام . فقد أجمع العلماء على تفسير الربا في قوله تعالى : « وحرم الربا » ، على أنه الربا الذي كان مروجاً في الجاهلية ، وهو ما كان يحصل عليه الدائن من زيادة لرأس ماله عند ما يعجز مدينه عن الوفاء بدينه عند حلول الاجل فيقول له : إما تقضى ديني وإما أنت تربي أى تزيدني في الدين نظير الاجل ، فدل هذا على أن كل زيادة في مقابل الاجل لحسب ربا ، والزيادة هنا لا مقابل لها في حقيقة الامر غير الاجل ، والاجل لا يعد مالا لعدم إمكان حيازته والاستئثار به وادخاره لوقت الحاجة ، فلم يكن جائزا أن يعتاض عنه بمال .

أما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ضعوا وتعلجوا) فليس فيه ما يشير إلى

وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذهب بالذهب والفضة بالفضة ... إلى قوله عليه السلام : « فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد ، فقد تناول هذا الحديث ربا الفضل ، ويؤخذ منه أن اختلاف الجنس يبيح التفاضل بشرط » إذا كان البيع قد تم يداً بيد ، وقد سكت الحديث عن حكم البيع عند اختلاف الجنس - إذا لم يكن قد تم يداً بيد بأن تأجل أحد العوضين فيه ، كما يحدث في زيادة ثمن السلعة

لا يجعله حلالاً ، بغرض وجود الرضا
الحال على عليه .

ومن الملاحظ أن زيادة الثمن في بيع
التقيسيط تعتبر ربا من الناحية القانونية ،
ولهذا لا يجوز أن تزيد عن الحد الأقصى
المقرر قانوناً للفوائد الربوية (٧ ٪ سنوياً)
فإن زادت على ذلك أنقصت إلى هذا الحد
قانوناً . وإذا كان هذا نظر فقهاء القانون ،
فأولى بفقهاء الشريعة الإسلامية تحريم هذه
الزيادة للأدلة الشرعية السالف ذكرها .

هـ - وغنى عن البيان أن النظم الاقتصادية
قد عرفت وسائل أخرى مشروعة يتم فيها
تأجيل ثمن البيع دون زيادة ، كنظام
الاستثمارات الحكومية ، في بعض المؤسسات ،
والتي يتم بمقتضاها شراء بعض السلع بسعرها
اليومي مع تأجيل ثمنها ودفعه أقساطاً ،
وإذا كان هذا النظام قاصراً على الموظفين ،
فإن في إمكان غير الموظفين تطبيقه من
طريق النقابات والجمعيات التعاونية ... الخ ،
ولا شك أن هذا النظام لا غبار عليه
في الإسلام ؟

د - ناصر توفيق الطار

المؤجل عن سعرها اليومي لتأجيل هذا الثمن ،
ومن ثم لا حجة في هذا الحديث على تحريم
هذه الزيادة أو حلها . ولا ينفي ذلك أن
هناك في قواعد التشريع الإسلامي ما يحرم
هذه الزيادة ، ومن ذلك آية الربا سالفة
الذكر حيث ثبت بها تحريم كل زيادة إذا
كانت في مقابل الأجل فحسب .

وليس الأمر هنا مجرد تجارة تمت عن
تراض بين البائع والمشتري ، كما لا يقال كذلك
إن البائع كان له أن يزيد ثمن السلعة منذ
البداية وله أن يؤجل ثمنها فكان له زيادة
الثمن المؤجل في بيع التقيسيط ، لأن هذه
أمر لا مجال للاحتجاج بها في الحالة موضع
البحث لأن بيع التقيسيط يتميز بأن للسلعة
فيها ثمنين أحدهما ثمن حال معروف (نقدي)
والآخر ثمن مؤجل يزيد عنه ، وهو نفس
الثمن الحال بعد أن زاد بسبب التأجيل ،
وهنا لا يمكن القول بأن الأسعار تتفاوت
وتزيد وتنخفض لأن السلعة محددة لها سعر
نقدي معين ولم يقصد البائع إلى زيادة الثمن
المؤجل إلا بسبب الأجل ، ولا يقبل المشتري
هذه الزيادة عن رضا خالص في معظم
الظروف ، فضلاً عن أن التراضي على الربا

رحالة... وشاعر... ومهندس للأستاذ أبو الوفاء الراعي

النفوس ، وهناك سبب ديني لاشك أنه أهم من سابقه ذلك هو الرغبة في أداء فريضة الحج والرحلة إلى الحج من أحلى آماني المسلم يستعذب لها العذاب ويستمتين فيها بالصعاب بل يسترخص من أجلها الرقاب - ولطالما كانت أحاديث الرحلات الحجازية مادة السحر في أندية المسلمين ومجتمعاتهم كما كانت مادة لكثير من مؤلفاتهم التاريخية ، وأشواق الحج والحنين إليه تتأجج نارها في قلب كل مسلم وبخاصة من ذاق حلاوة القرب في رحاب الرب ، ونعم بالمشول في حضرة الرسول وإذا صح تفسير كثرة رحلات المغاربة بما ذكر فما تزال كثرة الصوفية فيهم بحاجة إلى تفسير نرجو أن ينهض به دارسو تاريخ التصوف والمتصوفين .

ومن هؤلاء الرحالة المغاربة رحالة شذ عن تفسيرنا للرحلات المغربية ، فهو رحالة لم يرحل إلا إلى مصر وقد وحل لآلهما يبتغي بسطة العيش وثراء المال فحسب كما حدث عن نفسه وكما حكى عنه مترجموه لانه كان غنيا بعلمه ومواهبه عن التعلم والعلماء ، فقد كان أديبا وطيبا ومنجما وموسيقيًا كما كان رياضيا عالما بالحيل ، وقد بلغ في صناعة الطب مبلغا

ظاهرتان في حياة إخواننا المغاربة تستوقفان النظر وتحتاجان إلى تفسير : إحداهما حب الرحلة والتجول ، والثانية كثرة رجال الصوفية فيهم ، فالمتبع لأخبار الرحالة العرب يجد أكثرهم من المغاربة . فابن بطوطة وابن جبير والإدريسي وإبراهيم بن يعقوب الطرطوشي والعلامة ابن خلدون كلهم من المغرب ، وأعني بالمغرب هنا المغرب بمعناه القديم لا بمعناه السياسي الحديث ، وكذلك المتبع لتراجم الصوفية يجد كثيرا منهم من المغاربة فابن عربي وابن العربي وأبو الحسن الشاذلي والمرسي أبو العباس والسيد البدوي وغيرهم ممن تنفثر اسمائهم وطرقهم في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية مغاربة .

وقد يمكن تفسير كثرة الرحلات والرحالين من المغرب إلى المشرق . بأنها كانت ببواعث من طلب العلم ، والاستزادة منه أو استجلاء حضارته التي زخرت بها مصر وبغداد ومدن الشام وترامت أنباؤها إليهم فبعثت في نفوسهم الشوق إلى تلك الديار للاقتباس منها والمتعة بها ، ولقد كان لمصر خاصة وعلى امتداد التاريخ من الفتنه والسحر ما جعلها مهوى الأفئدة وقبلة الأنظار ومطمح

لم يصل إليه غيره من الأطباء وحصل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء ، وكان أوجد العلم الرياضى متقنا علم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعود وكان لطيف النادرة فصيح اللسان جيد المعاني ولشعره رونق ، وعلم الحيل فيما ذكرنا له مفهوم في العصر الحديث ، فهو بمنهاته القديم قد يتسع لـعلم الفراسة ولشيء من مبادئ الكيمياء والطبيعة والهندسة على أن مفهومه في العصر الحديث : الدجل والشعبذة وسلب عقول الناس لسلب أموالهم . وعلم الحيل الذى كان هذا الرحالة ذا براعة فيه هو موضوع الغرابة والإعجاب فى رحلته وحياته فقد كانت الحيلة التى ذكرها مترجموه للدلالة على علمه بالحيل هو اختراعه آلة هندسية هى الرافعة والونش ، التى ربما ظنها كثير من الناس أنها اختراع أجنبى حديث ؛ ولكن فكرتها فكرة عربية مغربية نبتت فى ذهن هذا الرحالة المغربى منذ أكثر من ثمانية قرون على ما يروى المؤرخون فقد حدث وهو فى مصر أن مركبا وصل إلى الإسكندرية وهو محمل بالنحاس ففرق قريبا من شاطئها ولم يكن لأهل الإسكندرية حيلة فى انتشاله ففكر ذلك الرحالة فى هذا الأمر حتى يكون له فيه رأى واجتمع بوزير مصر إذ ذاك وهو الأفضل ابن أمير الجيوش وأهله أنه قادر على انتشاله

إن تهيأ له جميع ما يحتاج إليه من الأدوات فعجب الوزير من أمره وسر به وأمر بإعداد جميع ما يحتاج إليه فوضع الرحالة ما أعد من آلات هندسية فى مركب مواز للمركب الغريق وأدلى منه حبالا ربطت بالمركب الغريق وأعمل الآلات الهندسية حتى رفع المركب الغريق إلى سطح الماء وكادت الفكرة تنجح لولا أن الحبال قد انقطعت فهوى إلى قاع البحر مرة أخرى وقد غضب الوزير لما ضاع من أموال فى تجهيز الآلات ويقال أنه سبحه ثلاث سنوات هقبا له على ذلك وقد كان الوزير مخطئا فى غضبه وفيما فعل لأن الفكرة كانت سديدة وصحيحة لولا أمور خارجة عن إرادته . وهكذا برهن ذلك الرحالة على قدرته الهندسية إلا أنهم لم تصادف من يشجع عليها ويقنع صدره وصبره لما تحتاج إليه الابتكارات من تجارب ونفقات . وهانحن أولاء نشهد فى عصرنا كم تستنفد التجارب من نفقات وتضحيات بالأرواح والأموال حتى تنفج وتؤتى ثمارها .

تلك هى الناحية الهندسية من نواحي هذا الرحالة أما ناحيته الأدبية فقد كان أدبيا بأوسع معاني هذه الكلمة ، كان شاعرا وكان ناثرا ، وبلغ فى الناحيتين أقصى ما يبلغه ناثرا أو شاعرا وكاد يصل بشعره ما انقطع

إذ لحيتي مسودة وماء وجهي رونق بمن
ساعه الدهر بغفلة من غفلاته ، وتجنأى له عن
غفوة من غفواته . فعاش آمن السرب سائغ
الشرب ، لا يتفرغ من أدب يرود رياضه ،
ويرد حياضه ، إلا إلى طرب يعصر ميدانه ،
ويسحب ذبوله وأردانه . ثم تلون فقلب لي
ظهر مجنه وسقاني دردى دنه فتدارك ما أغفله
واسترد ما بذله واضطرت إلى مفارقة
الوطن ، والخروج عن العطن ، فتما سكت
إشفاقا من مفارقة أول أرض مس جلدى
تراها . وشدت على التأمم بها ، وجاءت أمور
لا تطاق كبار ، فلما لم يمكن القرار ، ولم يبق
إلا الفرار ، قلت ليس لي إلا أن أرى بنفسى
كل مرمى ، وأطرحها كل مطرح .

لأبلغ عذرا أو أنال رغبة

ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وسكنت إلى البيت المشهور :

تلقى بكل بلاد إن حللت بها

أهلا بأهل وأوطانا بأوطان

وليس لي غير مصر مقصد ولا واءا

مذهب ولا دونها للفتى متطلب

وكم في الأرض من بلد ولكن

عليك لشقوتي وقع اختياري

ومن الرسالة يصف ما لقي بمصر من عنت

وجهود :

من سلسلة الكتاب الجاحظيين كما ذكرنا
شعره بزميله وسميه الشاعر القديم أمية بن أبي
الصلت فقد كانت موهبته الشعرية من المواهب
النادرة في الشعراء فأكثر الشعراء بحيد القول
في فنون خاصة أما هو فقد كان بحيدا في أكثرها
وأعاد لنا بجزالة لفظه ورقة معانيه ودقة
تشبيهاته صورة العصر العباسي الزاهر ، عصر
أبي نواس والبحتري وأبي تمام وابن الرومي
 وغيرهم وأضاف إلى ذلك طابع الاندلسيين
 في وصف الطبيعة وأخلاق الناس . وحسبنا
 أن نقبس نماذج من نثره من رسالته المصرية
 وهي الرسالة التي دون فيها رحلته إلى مصر
 وأجل الباعث له عليها وهو رجاء الخير فيها
 ثم خيبتة فيما ابتغاه وسعى إليه كما وصف فيها
 البلدان المصرية وما احتوته من جمال وتحدث
 عن عواصمها القديمة وما انبت فيها من آثار
 كالأهرام ولم يفته أن يتحدث عن النيل
 ويشدد لنفسه ويحكى عن غيره ما قيل فيه
 من بديع التشبيه وغريب الوصف وقد
 عرض فيها لعقائد المصريين وأخلاقهم ولعلمهم
 بأحكام النجوم كما تحدث عن لقيهم من الأدباء
 والظرافاء والأطباء الذين لم يرض عن خبرتهم
 وعلهم .

قال في أول الرسالة :

كنت إبان عصر الشباب موق . وغصن

الصبا موق .

ولم تطل مدة اللبث حتى تبينت بما شاهده
أنى فيها مبخوس البضاعة موكوس الصناعة
مخصوص بالإهانة والإضاعة ، وأن عيشها
الرغد مقصور على الوغد ، وعقابها المر
موقوف على الحر فلو تقدمت فعلت
ذلك لحف عنها مركبي وصرفت إلى سواها
وجه مطلي وكان فى الأرض مرعى شاسع ،
ومنتاب واسع ، بل تثبطت حتى تورطت
حتى عوملت بما يعامل به ذو الجرائر
والذنوب وجرعت من المذلة بأوفى ذنوب
هذا مع ما جرته من المدح التى اشتهرت شهرة
الصباح وهبت مبوب الرياح ، ولهج . بها
الحادى والملاح ، وهذا شعره فى الغزل :

فتفرد بالحسن والظرف

بحمت لديه بالذى أخفى

قد عوقبت أجفانه بالضنى

لأنها أضنت وما تشفى

ومما قاله فى الرثاء :

قد كنت جارك والأيام ترهبنى

ولست أهرب عز الله من أحد

فنافستنى الليالى فيك ظالمه

وما حسبت الليالى من ذوى الحسد

ومما قاله فى وصف روضة حول بركة
الحبش بالقاهرة :

لله يومى بركة الحبش

والصبح بين الضياء والغيش

والنيل تحمت الرياح مضطرب

كطائر فى يمين مرتعش

ونحن فى روضة مفوفة
دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الربيع لنا
فنحن من نسجها على فرشى
ومما قاله فى الالهد والتندم :

حسبى فقد بعدت فى ألقى أشواطى

وطال فى اللهو اغالى وإفراطى

انفقت فى اللهو عمرى غير متقظ

وجسدت فيه بوفرى غير محتاط

فكيف أخلص من جسر الذنوب وقد

غرقت فيه على بعد من الشاطئ

يارب مالى ما أرجو رضاك به

إلا اعترافى بأنى المذنب الخاطى

وبعد ، فذلك هو الرحالة الذى لمع برق

سعدته فى سماء مصر قليلا ثم خبا فأظلمت حياته

بما حيك له من الدسائس فعاد إلى أفقه بالمغرب

تجملته غيوم الناس والامسى وقد أجمل حاله

حين قدومه إلى مصر راجيا وحين عودته

منها محروما فقال .

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدا

يسلى من الهم أو يعدى على النوب

والرحالة هذا هو أبو الصلت أمية
ابن عبد العزيز ابن أبى الصلت المولود بدانية

من بلاد الأندلس سنة ٧٠٠ هـ والمتوفى بها
٥٢٨ هـ .

أبو الوفا المرافى

إفطار الرسول ﷺ وسلامه عليه

للأستاذ على الجندى

الله عليه وسلم - يقدم الرطب على التمر إذا أفطر في رمضان ، لأن الرطب أحدث عهدا بوجه ، كما قال ذلك حين اغتسل بماء المطر . وفي يوم عيد الفطر أيضا ، كان يطعم قبل أن يخرج إلى المصلى ، وكان يأكل تمرات . وليس المعنى : أن الفطر على التمر واجب في رمضان ، وإنما هو مستحب لو تركه لجاز . وتحصل السنة بتمر واحدة ، والحديث يوصى إلى ثلاث :

حب الرسول للتمر :

وكان عليه الصلاة والسلام يحب العراجين ولا يزال في يده منها . ومن قوله في التمر : (نعم غذاء المؤمن الحفنة من التمر) . وكان كذلك يحب الزبد والتمر ، وهما من أنفس الغذاء عند العرب بعامة . وعن أبي الصديق التاجي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (خير تمراتكم البرني ^(١)) . يذهب بالداء ، ولا داء فيه .

(١) البرني - بفتح فسكون - كسر مع تشديد الباء - ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر . وفي القاموس : البرني تمر معرب أى الخمل الجديد .

كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - في غير رمضان ، يستحب - إذا أفطر - أن يكون على لبن . وفي رمضان كان لا يصلى المغرب حتى يفطر .

عن أنس : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فإن لم تكن رطبات فتمرات ، فإن لم تكن تمرات ، حسا حسوات ^(١) من ماء .

رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وقال (حديث حسن) .

وفي الجامع الصغير : (كان يعجبه أن يفطر على الرطب ما دام الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويختم بهن ، ويجعلن وتراً : ثلاثاً ، أو خمساً ، أو سبعاً) .

وفي الجامع أيضا : (كان إذا كان الرطب لم يفطر إلا على الرطب ، وإذا لم يكن الرطب لم يفطر إلا على التمر) . وكان أحب التمر إليه العجوة) .

حكمة تقديم الرطب :

ويقول الشيخ ابن عربى : إنما كان - صلى

(١) حسوات : جمع حسوة - بفتح الحاء والسين فهما وهى المرة من الشرب .

حكمة الإفطار على التمر :

قالوا : وإنما شرع الإفطار على التمر ، لأنه حلو ، وكل حلو يقوى البصر الذى يضعف بالصوم ، وهذا أحسن ما قيل فى المناسبة ، وبيان وجه الحكمة .

فالتمر لأهل الحجاز يكاد يكون بمنزلة الخنطة عند غيرهم ، وهو قوتهم ومادتهم وأدمهم والرطب منه فاكهتهم وتمر العالية (١) . من أجود أصناف تمرهم ، فإنه متين الجسم ، لذيق العلم ، صادق الخلاوة !

والتمر عامة يدخل فى الأغذية والأدوية والفاكهة ، وهو يوافق أكثر الأبدان . مقو للحرارة الغريزية ، ولا يتولد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة بل يمنع لمن اعتاده من تعفن الأخلاط وفسادها !

وكان أبو هريرة يقول : أكل التمر أمان من التسايل (٢) ، وشرب العسل على الريق أمان من القالج ، وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصاح الكبد ، والزبيب يشد العصب ويذهب بالوصب والنصب ، والكرفس يقوى المعدة ، ويطيب النكهة ، وأطيب اللحم الكتف .

(١) العالية : ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة . وقرى بظاهر المدينة تسمى العوالى ، وهى المراد .

(٢) ما يسمى بلغة العصر مرض المصران الغليظ

تفضيل التمر على كل الاطعمة !

كانت العرب لا تقدم على التمر شيئاً ومن ذلك أن عمر - رضى الله عنه - قال لرجل من أهل الطائف الحيلة (١) أفضل أم النخلة ؟ .

فقال الرجل : بل الحيلة أتزبها ، وأشمسها . استظل فى ظلها ، وأصلح برمتى منها (٢) .

فقال عمر : تأبى ذلك الانصار .

وفى « التنبيه » لو حضرك رجل من أهل يثرب لرد عليك .

وكان الرجل من أهل الطائف - وهى معروفة بالعنب - لذلك فضل الكرم على التمر وقول عمر : تأبى ذلك الانصار لأن الانصار سكان المدينة ، وهى معروفة بالنخل :

وقوله هذا يحمل فى ثنائه تفضيل التمر على العنب .

وعن الأصمى : أسر رجل ورجلين فى الجاهلية ، فخيرهما بم يشمهما ؟ فاختار أحدهما اللحم ، واختار الآخر التمر ، وكان ذلك فى شتاء شديد ، فأصبح صاحب اللحم خامداً ، وأصبح صاحب التمر تتوقد عيناه !

(١) الحيلة - بالضم ويحرك - شجرة العنب

(٢) أتزبها أتخذ منها الزبيب ، والشمشيش

التجفيف فى الشمس . والبرمة : قدر من

الحجارة ، قال البكرى : يعنى الخل الذى يتخذ من العنب ، يريد أضجع من خلها فى القدر ما يصلح الطعام .

(البقية على صفحة ٥٩٢)

زكاة الفطر

د. الأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

إذا تأملنا تكاليف الإسلام وجسدنا

التناسق والانسجام بينها وبيننا واضحا .

وأقرب الشواهد على ذلك ما بين زكاة الفطر

وفريضة الصوم في رمضان من تناسب

وتلاؤم فبعد مقاساة الحرمان المفروض على

المسلم طوال شهر كامل يتحتم على المستطيع

أن يؤدي زكاة الفطر لمستحقها الذين عيّنهم

الله سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد .

والمشهور أن هذه الزكاة شرعت في السنة

الثانية من الهجرة وهو العام الذي فرض فيه

صوم رمضان (١) .

وأضيفت الزكاة إلى الفطر لأنها تجب بسببه

أي بسبب الفطر بعد الانتهاء من صوم

رمضان ، ووقت وجوبها يبدأ من غروب

شمس ليلة عيد الفطر .

قال ابن عينية في تفسيره عن عمرو بن دينار

عن عكرمة : يقدم الرجل زكاته يوم الفطر

بين يدي صلاته فإن الله يقول : قد أفلح من

تذكرى وذكر اسم ربه فصلى ،

ولابن خزيمة من طريق كثير بن عبد الله

عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : نزلت

في زكاة الفطر (١) .

وقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال كنا نخرج في عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعا من

طعام . وقال أبو سعيد : وكان طعامنا الشعير

والزبيب والأقط والتمر (٢) .

فيوم العيد إذا مجال وجوب هذه الزكاة

فإن أخرت عن هذا اليوم لم تسقط ، بل تصير

دينا في الذمة يجب قضاؤه .

وبما يؤكد هذا الوجوب ما روى من أن

صوم رمضان معلق بين السماء والأرض

لا يرفع إلا بتأدية هذه الزكاة ، وقد أوجها

الله لإغناء الفقراء في يوم العيد عن مد اليد والمسألة

حتى يشعروا في هذا اليوم بما يشعر به كل

واحد من بهجة ومسرّة يبدو معهما أفراد

المجتمع المسلم في مظهر الود المتبادل والسعادة

المشتركة .

وإذا كان يوم العيد مجال وجوب هذا النوع

من الزكاة فإن بعض الأئمة رضوان الله عليهم

أجمعين يرى أن شهر رمضان كله مجال لجواز

إخراجها فيه تيسيرا على المستحقين كما تنهيا

عن إخراجها فيه تيسيرا على المستحقين كما تنهيا

عن إخراجها فيه تيسيرا على المستحقين كما تنهيا

(١) عمدة القاري ٣ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) المرجع السابق .

(١) مغني المحتاج ١ ص ٤٠١ .

« ما أخرجنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صاعاً من دقيق أو صاعاً من تمر أو صاعاً من سلت أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من شعير أو صاعاً من أقط ، قال ابن المديني لسفيان : يا أبا محمد : إن أحداً لا يذكر في هذا الدقيق . ! فقال : بلى . هو فيه ، رواه الدارقطني واحتج به أحمد على إجزاء الدقيق .

والسلت بضم السين وسكون اللام نوع من الشعير وهو كالحنطة في ملاسته وكالشعير في طبعه .

والأقط بفتح الهمزة وكسر القاف هو ابن يابس غير منزوع الزبد ، ولعله يشبه الجبن كامل الدسم في عصرنا .

والمعتبر القوت الغالب لجمهرة بلد الموكي . والصاع في السكيل المصري قدحان على رأى الشافعية وعلى ذلك تكون السكيلة زكاة أربعة أفراد . وفي تقدير الحنفية تكون السكيلة زكاة ستة أفراد باعتبار الصاع قدحاً وثلاث قدح ، والموكي مخير بين التقديرين تبرأ ذمته باتباع أحدهما بيد أن التوسعة على المستحقين ينبغى أن تكون موضع رعاية وباعت بذل .

وليس ثمت ما يمنع من إخراج القيمة نقداً يوجهه المستحق الوجهة التي يراها محقة لغرضه وسد حاجته .

وقد بين القرآن الكريم مصارف الزكاة

لهم فرصة الاستعداد ليوم العيد ومتطلباته من ملابس ومطعم متميز .

ومن يرى هذا رأى الإمام الشافعي رضي الله عنه .

وقد روى الإمام « الشوكاني ، في « نيل الأوطار ، للبخاري أنهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين ، ثم قال . وفي ذلك دليل على جواز تعجيل الفطرة قبل يوم الفطر ، وقد جوزة الشافعي من أول رمضان (١) .

ويبدو أن هذا رأى له من الوجاهة والإقناع ما يسوغ الفتوى به لأن المتأمل في هدف زكاة الفطر يراه ماثلاً في إغناء الفقراء والمحتاجين في يوم العيد حتى يقضوه كما يقضيه غيرهم في غنى عن السؤال كما قال عليه السلام : أغنهم عن السؤال في هذا اليوم .

وأياً ما كان الأمر فإن وقت الإخراج يرجع إلى تقدير المخرج ، وللظروف والملايسات التي تحيط بكل من المخرج والمستحق أثر كبير في تكييف الموقف وملاحظة المصلحة .

وقد وردت فصوص الأحاديث بالقدر الواجب على كل مسلم والصنف الذي يخرج . ومن بين هذه النصوص ما رواه الدارقطني عن ابن عينية عن بن عجلان عن عياض ابن عبد الله عن أبي سعيد قال :

يغنيه . ولا يفتن به فيصدق عليه ، ولا يقوم
فيسأل الناس ، ...

مثل هذا خليف أن يتنبه المزكون إليه
ويحاولون ما استطاعوا البحث عن مثله ،
وبخاصة أولئك الذين أخفى عليهم الدهر
وتقلبت بهم الأيام . ويعصمهم - على الحرمان
والطوى - من السؤال عزة الإيمان والحياء
الذي يعقد اللسان ويغل الأيدي أحياناً
كثيرة .

والمؤلفة قلوبهم هم الذين أسلموا حديثاً
وكانوا في حاجة إلى العون على تدبير معاشهم
وتهيئة شئونهم ، ومثل هؤلاء يكونون
في حاجة إلى الرعاية والمساعدة لما قد يحيق
بهم من أهلهم وذوي قرباهم وأرباب دينهم
السابق من محاولات مرهقة وتضييق عنيد
يصل أحياناً إلى المحاربة في الرزق .

وأما الغارمون فهم أولئك الذين يتحملون
التزامات في ذمهم يؤدونها من أموالهم

وقد بين الرسول الكريم هؤلاء فيما رواه
قيصة بن خارق الهلالي بقوله : تحملت حمالة
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله
فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك
بها ثم قال : يا قيصة . إن المسألة لا تحل
إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة خلعت له المسألة حتى يصيها
ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة اجتاحت

في قول الله تعالى : إنما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل ، التوبة : ٦٠

والفقير والمساكين تجمعهما الحاجة الداعية
إلى بذل العون وإن اختلف مفهوم كل منهما .
فالمشهور أن الفقير أسوأ حالا من المسكين
إذ هو الذي لا يجد شيئاً وأما المسكين فإنه
يجد ما لا يكفيه .

وقد استدل الشافعي والجمهور على ذلك
بقوله تعالى في سورة «الكهف» : «أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر ، حيث
سماهم مساكين مع أن لهم سفينة يعملون
فيها» (١) .

على أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه
عليه نبه المسلمين إلى طائفة وفتت لأهلها
الأنظار بقوله عن أبي هريرة - رضى الله عنه -
ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ،
ولا اللقمة واللقمتان . إنما المسكين الذي
يتعفف . اقرءوا إن شئتم د لا يسألون
الناس إلخافاً .

وفي لفظ : ليس المسكين الذي يطوف
على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمر
والتمرتان . لكن المسكين الذي لا يجد غنى

لخسة : لعامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه بها فأهدى منها لغنى ، رواه أبو داود وابن ماجه .

وليس أولى في أيامنا هذه من منظمات المقاومة في فلسطين التي تحاول وتعمل جاهدة في أوضنا التي احتلها العدو فلوث باحتلاله وجه كرامتنا وطعننا في عزتنا وديننا .

أولئك أولى بأن تمتد إليهم أيدي البذل في سخاء عسى الله أن ينصر بهم وينفع .

وابن السبيل المستحق للصدقة هو كما قال الإمام الشافعي رضى الله عنه بمن يريد السفر في غير معصية فيعجز عن بلوغ مقصده .

وزكاة الفطر هذه تجب على المسلم الذي يجد ما يؤديه فاضلا عن قوته وقوت من يعوله يوم العيد وليمته .

وتجب عن نفسه وعن تلزمه نفقته كزوجته وأصوله وفروعه الذين تجب عليه نفقتهم ، وكذا الخادم الذي يقوى المزكى أمره ويقوم بالإئناق عليه .

وطبيعى أنه لا تدفع الزكاة إلى الآباء والأبناء لأنه يجب على المزكى أن ينفق على أصوله وفروعه إذا كانوا فقراء .

ويجوز دفعها إلى الأخوة والأخوات والأمام والعمات والأخوال والحالات - وأولادهم وغيرهم من الأقارب إذا كانوا

ماله خلقت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش . ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجبا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة خلقت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش . فسا سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكلها صاحبها سختا (١) .

والجمالة بفتح الحاء والميم ما يتحملة الإنسان ويلتزمه ليدفعه في إصلاح ذات البين .

وإنما تحمل له المسألة ويعطى من الزكاة بشرط أن يلتزم لغير معصية .

ولا شك أن هذه لمسة من لمسات الإسلام تبدو فيها مكارم الأخلاق ومحمدة الدفع إلى المرومة والنجدة .

فقد تكون هناك خصومة أو فتنة لا يقضى عليها إلا مثل ذلك الذى يتقدم فيطفيء ناراها بالزمام يلتزمه فيغرم من ماله الخاص في الوقت الذى لا يعتبر فيه طرف نزاع ولا تربطه به أدنى صلة . فإذا قدر الإسلام موقفه وأوجب له ذلك الحظ من الزكاة حقا مقرر له أن يأخذه كان ذلك دافعا له ومشجعا . وفي مثل هذه المواقف خير كثير لا يقدره قدره إلا من عانى تجربة منها وهاشبا .

وفي سبيل الله ، مقصود بها الغازى . وقد وضع ذلك النص النبوى د لا تحمل الصدقة إلا

(١) نيل الأوطار ج ٤ ص ١٦٨ .

مستحقين بل هم أولى لأنها لهم صدقة وصلة
رحم فتواها أكبر وهي عند الله أحمد .
وطبيعي أيضا أن تصرف زكاة كل بلد
في مستحقها ولا ينقل إلى غيرها إلا الفاضل
بعد استيعاب المستحقين . حيث روى الشيخان
عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه
إلى اليمن قال له : خذها من أغنيائهم وضعها
في فقرائهم ، وروى عن مالك والشافعي
والثوري أنه لا يجوز صرفها في غير فقراء

البلد أى قبل استيعابهم وسد حاجتهم .
وقد ختم صاحب « معنى المحتاج » باب زكاة
الفطر بقوله :

يسن للمستحق الدعاء للمعطي عند الأخذ
ترغيبا له في الخير وتطيبا لقلبه ، والأولى
أن يقول ما يستحبه الإمام الشافعي رضى الله
عنه : آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك
طهورا وبارك لك فيما أبقيت ؟

يوسف عبر الرهاوى السال

(بقية المنشور على صفحة ٥٨٧)

ورأى أعرابي دقيقا وتمرا ، فاشترى التمر
وكان سعرهما واحدا - فقبل له : كيف وسعر
الدقيق والتمر واحد ؟
فقال : إن في التمر أدمة وحلاوة . أى
لأنه يجمع بين الإدام والحلاوة ، فهو طعام
كامل وفاكهة !
وقال أعرابي - يفضل الرطب على اللبن - :
أجعل عسلة في أخشاء البقر^(١) كعسلة في جو
السماء ، لها محارس من جريد ، وذوائب
من زمرد ؟ !
شجرة مريم :

أخبروني : أن بأرضك شجرة كالرجل القائم
تفلق عن مثل أذان الحمر ، ثم يصير مثل
اللؤلؤ ، ثم يعود كالزمرد الأخضر ثم يصير
كالياقوت الأحمر والأصفر ، ثم يرطب فيكون
كأطيب فالوذ اتخذ ، ثم يجف فيكون عصمة
للقيم ، وزادا للمسافر ، فإن كان رصلي
صدقوني ، فهي الشجرة التي نبتت على مريم
بنت عمران .

فكتب إليه الخليفة : إن رسلك صدقوك
وهي شجرة مريم ، فائق الله ولا تتخذ عيسى
لها من دون الله !

وسبحان الخالق الحكيم الذي وهب لكل
صقع ما يوافق أهله من الغذاء والدواء !

علي الجندري

وعن الشعبي : كتب قيصر الروم إلى عمر
ابن الخطاب - رضى الله عنه - : إن رسلي
(١) الأخشاء : جمع خئي - كهمرد - :
ما يخرج من بطون الحيوان .

ما يقال عن الإسلام

عظمة الإسلام

للدكتور أحمد فؤاد إلهواني

هذا المنهج الذي يمتد أولاً وقبل كل شيء على النصوص القديمة نفسها ، ولا يكاد مؤلف الكتاب يتحدث بلغته أكثر من بضعة أسطر ريثما يقدم بين يدي النص ويمهد له . هو لعمري طريقة أصبحت شائعة في الوقت الحاضر .

إن عظمة الإسلام المقصودة ليس هي عظمة الفن ، أو العقيدة ، أو الأحوال الاجتماعية ، وإنما هي العظمة التاريخية . الحق أن التاريخ يشمل كل شيء ، لأن المؤرخ مضطر حين يبرز الحوادث التاريخية عبر الزمان ، أن يصور ما كانت عليه الشعوب من حضارة تشمل الدين والفلسفة ، والفن ، والأخلاق ، والاقتصاد ، والحياة الاجتماعية والنزعات النفسية ، والطابع الجارية ، وما إلى ذلك . غير أن محور الارتكاز عند المؤرخ هو السرد التاريخي ، والتسلسل الزمني ، وأنظمة الحكم ، على حين أن المؤلف في العقائد وأصول الدين يضطر كذلك إلى التعرض للنواحي التاريخية ، والبيئة الاجتماعية ، والمظاهر الأدبية . بعبارة أخرى . إن هذه

ليس جميع المستشرقين على حد سواء في التصغير من شأن الإسلام ، إذ منهم من ينظر نظراً فيه بعض الموضوعية والتجرد من كل هوى إلى الواقع التاريخي ، فلا ينكرون على الإسلام عظمته في صفحة التاريخ . وهذا بالفعل عنوان كتاب كبير يبلغ زهاء ثلاثمائة صفحة وسبعين من القطع الكبير ، ألفه الأستاذ جاستون فيديت ، عضو الأكاديمية الفرنسية . Gaston Wiet Grandeur de L'Islam, 1961.

وقد اتبع المؤلف منهجاً يمكن أن نطلق عليه (المنهج الداخلي) في مقابل المنهج الخارجي . والمنهج الداخلي ينظر إلى الدين من خلال عيون أصحابه ، كما يرونه ، ويعتقدونه ، لا من وجهة نظر أصحاب الأديان الأخرى . ومن أجل ذلك اختفى وراء المؤلفين العرب ، فأنطقهم ، وجعلهم هم الذين يتحدثون إلينا . ولم يذكر هذه النصوص كما وردت عند أصحابها باللغة العربية بطبيعة الحال وإنما ذكر أنه قد قام بترجمة بعض المؤلفات العربية ، كما أن معظم الكتب العربية الرئيسية الهامة منقولة بالفعل نقلاً جيئداً إلى معظم اللغات الأجنبية .

كانت هذه الفترة التاريخية التي سادت فيها عظمة الإسلام ، تشكل فيها بالفخار في سجل الإنسانية .

كان من الطبيعي أن يبدأ الكتاب بالحديث عن العرب قبل الإسلام وما كان لهم من أدب يتمثل في الشعر الجاهل بوجه خاص ، وكان العرب في النصف الثاني من القرن السادس قد بلغوا قدرا من الحضارة والثروة يسرت للطبقة الأرستقراطية في مكة ، بما حققت من مكسب من التجارة بين اليمن والشام ، أن تصبح ذات نفوذ قوى . على الرغم من انحرافهم عن ديانة إبراهيم الذي أنشأ البيت مثابة للناس في مكة ، واتجهوا إلى عبادة الأصنام

في هذه الظروف ولد محمد بن عبد الله سنة ٥٧٠ ميلادية . في عام الفيل ، ثم نزل عليه الوحي بالامر الإلهي أن اقرأ باسم ربك الذي خلق ، إن أوثق مرجع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يعتريه شك ، وأصدق مصدر تاريخي ، هو القرآن نفسه ، الذي اعتمد عليه المؤلف في تدوين معظم سيرة النبي ، لذلك رتب الآيات التي تبين سلوكه ، وخلقه ، وأحواله الاجتماعية ، والتي وردت في القرآن ، وإذا رجع إلى السنة استأنس بتاريخ الطبري .

لن يقسع المجال لعرض كل ما جاء في ثنايا الكتاب اكتفاء بذكر المعالم الكبرى التي

المظاهر المختلفة أجزاء من كل واحد وفروع من شخصية الأمة التي يحدثننا المؤرخ عنها .

كيف إذن تصور (جاستون فيت) مسيرة التاريخ الإسلامي خلال عشرة قرون من الزمان وكيف نظر نظرة تاريخية متعالية أشرف بها من سماء الفكر على العالم كله شرقا وغربا ، مسيحيا أم إسلاميا ، لينتهي من ذلك إلى هذه النتيجة التي خلص إليها بأن الإسلام كان عظيما .

كان الإسلام عظيما ، لأنه ثمرة الصراع بين قوى مختلفة تريد كل منها أن تتغلب على الأخرى^(١) وأن تغلب وجهة نظرها ، ومثلها العليا . الحق أن المنهج الذي اتبعه المؤلف يبرز العلاقات المتشابكة ، والقوى المتصارعة فكانت الغلبة في نهاية الأمر هي للحق والخير والفضيلة والتقدم . وهذه هي الصفات التي جاء بها الإسلام ، نزلت على النبي عليه السلام في الكتاب ، وبشرت تعاليمه بين أبناء الشعوب المختلفة بها ، تطلعا إلى دنيا أكثر بهجة ورقيا فأمنوا به ، واعتنقوا مبادئه لا بالعسف والقهر ، وإنما بالتأمل والإقناع ، ولذلك

(١) في الحق أن عظمة الإسلام عظمة ذاتية . وهي عظمة يضيفها الإسلام على أتباعه حينما يتمسكون به تمسكا صحيحا . ولذلك استطاعوا أن يظهروا بين هذه القوى المتصارعة فتغلبوا بمبادئ الإسلام وحدها ولا يصح أن يحكم على الإسلام بأتباعه سواء تقدموا أم تخلفوا .

هذه هي المعالم الكبرى التي مزج فيها بين قيام الدول وسقوطها وحضارات الأمم وما فيها من فكر وفق، ويجدر بنا أن نقف قليلا عند أبرز ما يسترعى الانتباه في هذا المؤلف، مسكتين بأربع مسائل، تعد نماذج لغيرها.

(١) لقد درجت لفظة الخلافة والخليفة في اللغة الفرنسية نفسها، وأصبحت جزءا من ذلك اللسان، ولكي يوضح لجمهور القراء الأجانب أصل هذا اللفظ، تحدث عن أبي بكر الذي سمي خليفة الرسول Galife والخلافة هي المصدر، وتسمى Califat ونحب أن توجه هذا الكلام لمن يتصدون للبحث السياسي والتاريخي، في الإسلام، فيعدون الإمامة والخلافة شيئا واحدا، كما بينا في مقال سابق (١).

(٢) لم يعتمد المؤلف على الكتب العربية فقط، بل على المؤرخين من الفرنجة والمؤرخ المنصف لا بد له أن يذكر وجهتي النظر، ويقابل بينهما، ثم يناقشهما، ثم يخرج منهما بنتيجة متكاملة ونظرة شاملة. هذا هو المنهج التاريخي السليم. ولكن العرب والفرنجة على حد سواء دونوا التاريخ كلا من وجهة نظره فقط، وبذلك خرجت الحقيقة ناقصة لأنها من جانب واحد.

وقف عندها، وقد مضى بعد ذكر موت النبي صلى الله عليه وسلم في بيان فتوح الشام وفارس، والتوغل شرقا وشمالا، على عهد الخلفاء الثلاثة ثم رجع إلى علي، وما دار في خلافته من فتن. والنزاع بينه وبين معاوية، وحرب صفين، وموقعة الجمل، وظهور الخوارج، مما انتهى إلى مقتله، وظهور الشيعة. وعاد بعد ذلك إلى فتح شمال إفريقيا والاندلس في عصر الأمويين، ثم انتقال الحكم إلى العباسيين، وإنفصال الأمبراطورية الإسلامية إلى مشرق ومغرب، ووقف طويلا عند عصر المأمون الذهبي وهند مقتل المتوكل. وتحدث عن ثورة الزنج والقرامطة واستقلال الولاة بالإمارات، وموقف الحمدانيين من البزنطيين، ثم انتقل إلى الفاطميين ودولتهم في مصر وازدهارها ثم أفول نجمها. وبدأت الحروب الصليبية واستمرت طويلا وأخيرا أسدل عليها الستار. وفي القرن الرابع عشر برز الأتراك، وتساعدت قوتهم، واستولوا على القسطنطينية، وتوغلوا في أوروبا وآسيا وفي الوقت نفسه سقطت غرناطة وانتهى حكم العرب في أسبانيا، وجاء عصر النهضة واكتشف طريق الرجاء الصالح، وعند ذلك توقفت عظمة (١) الإسلام !!

(١) لن نتوقف عظمة الإسلام أبدا فهي ذاتية فيه لكن المؤلف مهما حاول أن يكون منصفاً فهو لا يزال يرى الإسلام نفسه بتقصير أتباعه

(١) مجلة الأزهر: ذو القعدة ١٣٨٧ هـ فبراير ١٩٦٨.

(٣) لم يترك المؤلف مصرع الخليفة المتوكل على يد الجند الأتراك دون أن يذكر الأسباب العميقة الواقعة من وراء هذا المقتل . ذلك أن سلطان المعتزلة بدأ في عصر المأمون ، وازداد في خلافة المهتصم بالله ، وظلت محنة اضطهاد المعتزلة لأهل السنة مستمرة في ابتداء حكم المتوكل . غير أنه في أواخر حياته انحاز إلى جانب أهل السنة ضد المعتزلة ، ورفع المحنة عن أصحاب الحديث وعن ابن حنبل وأتباعه ، كما أوقف موجة الإلحاد ، وفي الوقت نفسه اضطهد الشيعة كذلك ، الذين اضطاروا إلى الاختفاء والتية . وعلى الرغم من ترجمة المؤلف ماجاء من تفاصيل هذا المقتل عن الطبرى في تاريخه ، إلا أنه يعزو مصرعه إلى تلك الأسباب التي ذكرناها .

(٤) ومن فطنة المؤلف سعة اطلاعه

نسكتفي بهذا القدر من الإشارات لبيان تطبيع هذا المنهج الداخلي ، ونختتم مقالنا بخاتمة المؤلف التي جاء فيها ماخواه : عظمة الإسلام لقد اختير هذا العنوان حتى نبعد عن مظنة الظلم . الحق أن الفترة التي واجهتها الشعوب الإسلامية في التاريخ نبيلة وخصبة إن يقظة العالم الإسلامي كفيلة بإتاحة فرصة الأمل في مستقبل مشرق باسم .

أصمير فؤاد الوهاني

« الشمر درجات »

قال رسول الله صلى الله عليه : (ألا أنبئكم بشرار الناس؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال من نزل وحده ، ومنع رفته ، وجلد عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يرجئ خيره ولا يؤمن شره . ثم قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه) .

انبثاء وآراء

القانونية والإدارية لسنة ١٩٦٨ ، في صيغته النهائية في ٢٣ / ٨ / ١٩٦٨ بإقرار برلمانهم . ونشرته الجريدة الرسمية في العدد ٥٤٢ في ٢٣ / ٨ / ١٩٦٨ . ويحتوى على ثقتين وعشرين مادة .

● بدأت المنظمات المساووية الصهيونية في الولايات المتحدة تخطيطاً تحاول به الاستيلاء على جزء من مسجد همر وخاطبت في ذلك جهات إسرائيلية مسؤولة .

● من بحوث الفترة الثانية للمؤتمر : جمع القرآن وتدوينه لفضيلة الشيخ علي الخفيف عضو المجمع ، ونشأة الفقه الاجتهادي وأطواره افضيلة الشيخ علي السائس .

ويقوم المجمع عادة بإعداد بحوث كل مؤتمر وطبعها في كتاب مستقل بدورة المؤتمر . وقد أصدر المجمع - حتى الآن - ثلاثة كتب عن مؤتمراته السابقة .

● الشرط في العقد : دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون . عنوان الرسالة التي تقدم بها السيد : حسن أحمد عبد العال الشاذلي إلى كلية الشريعة والقانون بجامعة

● اختتم المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية دورته الثانية في ٢ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٤ / ١٠ / ١٩٦٨ م وقد أصدر المؤتمر قراراته وتوصياته في هذه الدورة - وهي مفشورة بهذا الباب - وجدير بالذكر أن مضمون قرارات هذا المؤتمر تتفق مع قرارات مؤتمر المسلمين بالحجاز . وأصبح معلوما لكل مسلم مكلف أن الجهاد فرض عين عليه لاسترداد الأرض المقدسة .

● اتخذت إسرائيل عدة قوانين تستهدف جميعاً : الاستيلاء على أموال العرب في الأراضي المحتلة ، وطرح الجنسية الإسرائيلية قسراً على المواطنين بها عن طريق إلزام كل تاجر ، أو محام بوجوب إجراء هذه إجراءات لدى السلطات الإسرائيلية حتى إذا حصل على توقيعاتها أذن له باستئناف عمله . ولم يقتصر الأمر على التجار والمحامين بل تعداه إلى كافة المواطنين مادام هناك عمل يستوجب تصريحاته كاستخراج رخصة بناء أو سيارة أو ما إلى ذلك .

صدر ما أسمته إسرائيل د قانون التنظيمات

ولأنت شهر الين في كل البقا
ع من الفيسافى والمدائن والقرى
فإذا نظمت الدر فيك فإنما
من فيض بحرك أستمد الجوهرا
فيك اصطفى الله العلى محمدا
للناس طرا هاديا ومبشرا
في ليلة القدر المجيدة أنزل القد
رآن غيثاً للبرية طاهرا
لولاه ما عرف امرؤ سبل الهدى
ولظل يخبط في المجهل حائرا
قرارات وتوصيات الفترة الثانية

من ١٧ رجب ١٣٨٨ هـ إلى ٢ شعبان ١٣٨٨ هـ
٩ أكتوبر ١٩٦٨ م إلى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٨ م
تمهيد :

ركز المؤتمر بحوثه ، في الفترة الاولى ،
في المشكلة الكبرى التي تواجه العالم الإسلامى
والعربى اليوم ، وهى مشكلة الاعتماد الصهيونى
الاستعمارى على فلسطين والبلاد الإسلامية
العربية ، وانتهاك حرمت بيت المقدس :
وانتهى المؤتمر في تلك الفترة إلى القرارات
والتوصيات التى فى صدر هذا البيان .

ثم استأنف المؤتمر أعماله فى فترته الثانية
التي استمرت من ١٧ رجب حتى ٢ شعبان
سنة ١٣٨٨ هـ (٩ أكتوبر حتى ٢٤ أكتوبر
سنة ١٩٦٨ م) ، والتي خصصها لدراسة
البحوث المتصلة بالقرآن الكريم ، والسنة

الأزهر لنيل درجة الدكتوراه ، وقد تولى
مناقشتها الأستاذة : فضيلة الشيخ مصطفى
مجاهد عبد الرحمن رئيس قسم الفقه المقارن
بكلية الشريعة والقانون ، والدكتور محمد مختار
القاضى رئيس قسم القانون بالكلية ،
والدكتور الصوفى .

وقد نالت الرسالة درجة الدكتوراه مع
مرتبة الشرف الثانية .
يشغل الدكتور حسن أحمد عبد العال
الشاذلى وكالة لإدارة البحوث بمجمع البحوث
الإسلامية .

● نال الأستاذ متولى يوسف حسن شلبي
بمجمع البحوث الإسلامية درجة الدكتوراه
الفخرية ، بسبب جهوده للدعوة الإسلامية
بالجامعة الإسلامية بسو مطرة الجنوبية : كلية
أصول الدين السلفية .

وقد منحت الجامعة المذكورة هذه الدرجة
للأستاذ متولى تقوية لصلتها بالأزهر الشريف
وتكريما لجهود أحد أبنائه التى شملت المجالين :
التأليف والدعوة .

من قعيدة فى تحية شهر رمضان للأستاذ
صلاح عبده الحناوى المدرس بمعهد الأزهر
الثانوى فى المنصورة .

إن كان حسن الروض راع عيوننا
فلأنت يا رمضان أروع مظهرأ

ويعلم المؤتمر أنه لا يجوز لأحد أن يعترف
هذه أو يخالفه بأي وجه من الوجوه .

٢ - يقرر المؤتمر وجوب المحافظة
على رسم مصحف سيدنا عثمان - رضي الله عنه -
في طبع القرآن الكريم في مصحف كامل ،
أو في طبع أجزاء منه ، ولا يجوز استعمال
الرسم التعليمي إلا إذا كان ذلك لبعض الآيات
ضمن كتب تعليمية ، أو لغرض اقتباس بعض
الآيات أو الاستشهاد بها .

٣ - يوصى المؤتمر بعدم الجمع بين
قراءات القرآن الكريم عند تلاوته في المجلس
الواحد ، في المحافل أو الإذاعة ، أو تليفزيون
أو في تسجيله على أي من وسائط التسجيل
الصوتي .

٤ - يوصى المؤتمر بأن يعنى المسئولون
في الدول الإسلامية بإنشاء دور للقرآن
الكريم تكون مهمتها العناية بشئونه المختلفة
حفظاً وتجييداً ودراسة .

٥ - يوصى المؤتمر بأن تشتمل الطبعات
الجديدة للكتب التفسير المعروفة ، على تعليق
علمي بأقلام المتخصصين الثقات ، يبين ما قد
يكون في هذه الكتب من أخبار إسرائيلية
دخيلة على التراث الإسلامي الصحيح ليكشف
عن وجه الحق في موضوعها .

٦ - يوصى المؤتمر بجمع البحوث الإسلامية
بأن يعهد إلى جماعة من العلماء في وضع تفسير
وسيط للقرآن الكريم ، في أسلوب ميسر
يسهل للقارئ الوصول إلى معانيه .

النبوية مواصلة لأداء رسالة المجمع في نشر
المبادئ الإسلامية الصحيحة ، وتوضيح
أسباب الأخذ بها ، تثبيتاً للعارفين لها ، وهدياً
للباحثين عن سبيل الهداية بها .

وقد اشترك في هذه الفترة أعضاء المجمع
من الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الإسلامية
الأخرى ، فاستمعوا إلى عدد من البحوث
وتدارسوها دراسة علمية وافية ، وانتهوا
منها إلى القرارات والتوصيات الآتية ، التي
يتقدم بها المؤتمر إلى العالم الإسلامي في جميع
أجزاء الأرض ، علمائه ومعلميه ، واثقاً
أن كل من تبلغه رسالة المؤتمر سيقوم بما
يفرضه عليه إخلاصه لدينه ، وحرصه على تعاليمه
من تنفيذها ، عملها ودعوة إليها كل في نطاق
حياته ، وبقدر ما تقسع له قدرته .

وتتصل هذه القرارات والتوصيات بالأمور
الآتية : —

(أ) القرآن الكريم والسنة النبوية .

(ب) التفسير الإسلامي .

(ج) الحضارة والمجتمع .

(١) - في القرآن الكريم والسنة النبوية :

١ - يقرر المؤتمر تقريراً إجماعياً مؤكداً
وموثقاً بأن ترتيب السور والآيات في القرآن
الكريم هو ترتيب توقيفي تلقاه الرسول عليه
الصلاة والسلام بوحى إلهي ، وأن هذا الترتيب
هو الذي جاء في المصحف الإمام عن سيدنا
عثمان بن عفان رضي الله عنه .

الإسلامية الحديثة - في أجهزتها ووسائلها المختلفة - بتوعية الشباب المسلم في مختلف مراحل التعليم بما حققته الحضارة الإسلامية منذ ظهور الإسلام ، من تكريم الإنسان : وما لذلك من أثر في موقف الأمم الإسلامية المعاصرة من قضايا الحرية في العالم كله .

٢ - يوصى المؤتمر بإخراج كتاب مفصل ينشر بمختلف اللغات على نطاق واسع ، للتعريف بموقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان ، والموازنة بين هذا الموقف وموقف الحضارة الغربية .

٣ - يوصى المؤتمر بإعداد دراسة علمية تاريخية في بيان أثر الحضارة الإسلامية وتعاليمها في حركات الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني في الغرب ، منذ عصر النهضة الأوروبية .

٤ - يدعو المؤتمر علماء الإسلام إلى عرض مبادئه في العقائد والأحكام والآداب في صور وأساليب ينفذ بها في كل بيئة ويجتمع .

٥ - يوصى المؤتمر بأن يقوم الإصلاح الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية على أساس من تكوين الشخصية الإسلامية في جوهرها على أن يأخذ المسلم نفسه بإسلام وجهه لله تعالى في كل ما يأتي وما يدع ، مستعيناً في ذلك بالعلم والعبادة ، لتحقيق - ثمرة لذلك - إشاعة الرحمة في المجتمع ، وتحصين النفس بالكفاح ضد كل فساد أو انحراف شغى أو اجتماعي أو قومي .

على الخطيب

٧ - يوصى المؤتمر بأن تعمل دور الإعلام والتربية ، في الدول الإسلامية : على الدعوة بمختلف الأساليب إلى الأخذ بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، في أقواله وأعماله وآدابه لينشأ الجيل الجديد من الشباب على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والتسلك بهديه .

(ب) في التشريع الإسلامي :

١ - يوصى المؤتمر بجمع البحوث الإسلامية بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التي تيسر على المسؤولين في البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية في قوانين بلادها كقوانين العقوبات والقانون التجاري ، والقانون البحري وغيرها .

٢ - يدعو المؤتمر بجمع البحوث الإسلامية إلى دراسة القاعدة الإسلامية التي تقرر أنه : لا يمطل دم في الإسلام ، وأن من قتل ولم يعرف قاتله تدفع ديته من خزانة الدولة (بيت المال) .

٣ - يوصى المؤتمر بأن يعمل بجمع البحوث الإسلامية على التعريف - في النطاق الدولي - بأحكام العقوبات الإسلامية ، والاسس التي قامت عليها ، والنتائج المترتبة على تطبيقها . (ج) في الحضارة والمجتمع :

١ - يوصى المؤتمر بأن تعنى التربية

When culture change is complicated by the presence of another groupe and a feeling of inferiority toward it, glorification of the old culture provides a convenient compensatory mechanism. "A society which can find nothing to plume itself on in the present can bolster its self-respect by contemplating the real or imaginary glories of its past"(1) The term cultural renewal, therefore, can refer to a deliberate attempt by some members of a society who have suffered stress to revive among themselves some selected cultural elements and some new habits different from those adopted by the dominant society.

Cultural renewal can be seen as a special kind of cultural change which occurs as an alternative response to oppression. It cannot be predicted, nor are two cultural renewal movements necessarily similar.

"... nativistic movements seem to require a special combination of circumstances — subjection to another group, economic hardship, and loss of hope of bettering conditions by practical means. Appar-

ently no one of these conditions is enough to produce such movements in the absence of the others nor does the whole series always produce them."(2)

In summary, cultural renewal is a sub-classification which falls under the general classification of revitalization movements. Cultural renewal is usually more rapid and more intense than the change produced by the ordinary cultural processes such as evolution and diffusion. It is an alternative, unpre-which dictated response to stress which Wallace defines as "a condition in some part, or the whole, of the social organism is threatened with more or less serious damage."(3)

IDENTITY DEVELOPMENT

Historically, the scientific study of personality began when physicians developed careful observation of their patients who suffered from mental disorders in the nineteenth century. For example, Sigmund Freud studied the individual's personality in order to formulate some rules of behavior which could be employed in the treatment of personality aberration.

(to be Continued)

(1) Ralph Linton, "The Distinctive Aspects of Acculturation," *Acculturation in Seven American Indian Tribes*, (ed.), Appleton-Century-Crofts, Inc., 1940, p. 517.

(2) *Ibid.*, p. 518.

(3) Wallace, *op. cit.*, p. 265.

to contribute to the theory of cultural renewal and identity transformation and to the field of social science in general.

Now let us examine the theory of cultural renewal and identity development which underlies the educational system of the Nation of Islam in America.

CULTURAL RENEWAL

In his book *Culture and Personality*,⁽¹⁾ Anthony F. Wallace gives two categories for the process of cultural change : (a) macro-temporal change which includes cultural evolution and diffusion, and (b) micro-temporal process Which includes innovation, acculturation, and revitalization. The term revitalization has been used by Wallace in its generic sense to cover a wide range of sub-class terms such as cultural renewal reform movement, Utopian Community, and other rubrics used by writers in social-anthropological areas.

"Behavioral scientists have described many instances of attempted and sometimes successful innovation of whole cultural systems, or at least substantial portions of such

systems. Various rubrics are employed, the rubric depending on the discipline and the theoretical orientation of the researcher, and on salient local characteristics of the cases he has chosen for study.⁽²⁾

Accordingly, this researcher has considered cultural renewal as a sub-class of the general classification of revitalization movement.

According to Wallace, a revitalization movement is defined more clearly "as deliberate, organized, conscious effort by members of society to construct a more satisfying culture."⁽³⁾ This deliberate conscious attempt to initiate cultural change might include revival, messianic movement, Utopian Community sect formation, mass movement, or cultural renewal.⁽⁴⁾

Ralph Linton on the other hand defines both the all-inclusive term revitalization movement and the more limited term nativistic movement as a glorification of the past or passing phases of culture with a conscious attempt to reestablish them.

(2) Anthony F. C. Wallace, "Revitalization Movements," *American Anthropologist*, Vol. 58, April, 1956, p. 264.

(3) *Ibid.*, p. 264.

(4) *Ibid.*, p. 264

(1) Anthony F. C. Wallace, *Culture and Personality*, Random House, New York, 1961, pp. 136 - 155.

This comment only touches on the role of the school in the Nation of Islam, and it was not included in the other two reports. Thus one of the main reasons for the recent study was a closer examination of the role of the Muslim school in cultural renewal and identity development, in order to determine to what degree the school affects these aspects of the Nation of Islam. Furthermore, it has been stated that most of the Nation of Islam's members come from the lower classes, but most of the school's principals have advanced degrees. Therefore, another important feature of the study was to determine whether or not this class of formally educated individuals received its initiative from inside the Nation of Islam.

The Brazziel and Gordon report points out another vital consideration of the present study. Writers about the Muslim schools insist that their programs show a high degree of success in implementing children's learning in life situations. It was the purpose of this research to understand the programs of such schools, and further to consider the possible application of such a program to the educational systems of the newly emerging nations of Africa. Such an application would be very much in keeping with the present study, since the African

nations can be seen to be currently undergoing a nativistic movement as a probable reaction to the recent period of European colonialism from which most of them have just emerged. As Brameld points out :

"But often the processes of culture generate tensions and even upheavals of a quite literal kind. One example very much before us in current years is the situation in Africa. Why has there been so much unrest on that great continent? Part of the reason, surely, is the boom-crang effect called nativism—a process resulting from the attempt of one culture to impose itself too rapidly upon another culture. Especially in South Africa, the nativist reaction to foreign culture is one of resistance, hostility, and violence".(1)

One unique aspect of this study was an examination of cultural renewal in an industrially developed society. Previous studies have always concerned themselves with the revitalization movement within the framework of primitive societies.

Finally, by investigation and analysis, this study was intended

(1) Theodore Brameld, *The Use of Explosive Ideas In Education*, University of Pittsburg Press, Pittsburg, 1965, pp. 42 - 43.

The Role of the Muslim School of the Nation of Islam in America

BY :

DR. IBRAHIM M. SHALABY

— 2 —

The Nation of Islam has attracted the attention of news reporters, investigators, and writers. In particular, it has attracted two students who have written their doctoral dissertations on the Nation of Islam. The first, *The Black Muslim in the United States*,⁽¹⁾ was written by C. E. Lincoln, who received his doctorate from Boston University, School of Theology, in 1960, and the second, *Black Nationalism*,⁽²⁾ was written by E. U. Essien-Udom, a Nigerian who received his degree from the University of Chicago, School of Political Science, in 1961.

Lincoln's major concern was with the theological aspects of the Nation of Islam, while Udom concentrated on the political phases

of the Nation of Islam. However, the role of the school in cultural renewal and identity transformation in this group was not treated by either study. William F. Brazziel and Margaret Gordon, in their evaluation of one of the schools of the Nation of Islam, report that the Muslim school in Chicago was the best schools in the United States in matching its program to the needs of its culturally deprived children. Brazziel and Gordon stated that some of its reading materials, for instance, are written to reflect the life situation of the Muslim children.

"There is only one school in the country which makes use of such materials, and this, oddly enough (but with a large measure of success) is the Muslim school in Chicago which wrote and published its own elementary school books"⁽³⁾

(1) Charles Eric Lincoln, *The Black Muslims in the United States*, Boston University, 1960.

(2) E. U. Essien-Udom, *Black Nationalism, A Search for an Identity in America*. The University of Chicago, 1961.

(3) William F. Brazziel and Margaret Gordon.

of his life. Another aspect of the moral development of man is that he is thus taught to conquer his physical desires. This teaches him the higher lesson that instead of being the slave of his appetites, he should be their master, being able to change the course of his life if he so wills it. The man who is able to rule his desires, is the man who has attained to true moral greatness.

In addition to that, fasting has its physical advantages. It not only prepares man to bear hunger and thirst and thus to accustom him to a life of hardship but also it exercises a very good effect upon health in general. We learn to deny our physical needs, we cultivate the rare qualities of patience and character and a strong will power to resist physical urges and temptations. For example, it will be found that if a person faithfully abstains from food and drink and sexual impulses for a long time, it is a simple matter to resist temptation to bribery, corruption and adultery.

The rest given to the digestive organs for a whole month, only gives them additional strength, like fallow ground which, by rest, becomes more productive, as all organs of the body are so made that rest

only increases their capacity for work, and the better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

But fasting has yet another important physical value. It accustoms man to face the hardships of life and increases his powers of resistance.

Also a purely medical benefit is derived from fasting. Medical authorities accept that abstaining from food at times not only greatly assists curing certain diseases, but can even prevent their occurrence. To lessen the intake of food and to suppress the desire for excessive sexual indulgence can prolong life.

In addition to its spiritual, moral and physical values, fasting has also a social value. It teaches us that all Muslims are equal in spite of individual financial circumstances. The appearance of the moon of Ramādhān is a signal for a mass movement towards equality that affects the whole Muslim world. The rich and the poor may stand shoulder in one row in the mosque, but in their homes they live in different environments.

Therefore, fasting fortifies us spiritually, morally, physically and socially.

فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ
لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ
اتَّمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ .

It means : "Now therefore go unto them and seek what Allah has ordained for you, and eat and drink until the white thread of dawn becomes distinct from the black thread, then observe the fast till nightfall".

Every Muslim may, during the night satisfy his needs with regard to food, drink and women. When dawn comes, he must abstain till sunset.

The Holy Prophet said, "Five things spoil a Muslim's fast : - lying, slander, calumny, false oath and lustful look. The Ramadhan fast is spoiled if a person deliberately eats, drinks or indulges in sexual intercourse. Fasting is also spoiled if a person deliberately vomits.

Those who are exempted from the fast are persons in sick bed or on a journey and woman in child-birth bleeding or that gives suck or in menstruation. They ought to fast a like number of other days. Concerning those who can not keep the fasts, on account of constant or long illness or who are too old or weak, the practise is to give away the measure of one man's food to

a poor man everyday during the whole month.

VALUES OF FASTING

Fasting Ramadhan has many advantages and merits. It is primarily a spiritual discipline. No temptation is greater than the temptation of satisfying one's thirst and hunger when drink and food are in one's possession, yet this temptation is overcome, not once or twice, but day after day regularly for a whole month, with a set purpose of growing closer and closer to the Divine Being. A man can avail himself of the best diet, yet he prefers to remain hungry ; he has the cool drink in his possession, yet he is praching with thirst ; he touches neither food nor drink, simply because he thinks that it is the commandment of God that he should not do so, and there is an inner voice that God is with him and sees him.

There is also moral elevation aimed at in fasting, for it is the training ground where man stood the greatest moral lesson of his life, the lesson that he should be prepared for suffering the greatest privation. That lesson is repeated from day to day for a whole month. Just as physical exercise strengthens man physically, exercise through fasting strengthens the moral side

under obligation to fast, should be trained on fasting in order to prepare them for carrying out their adult obligations in this respect.

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتسكلموا العدة ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ، (البقرة ١٨٥)

It means : "The month of Ramadhan is that in which the Qur'an was revealed, a guidance to men and clear proofs of the guidance and the distinction ; therefore whoever of you beholds this month he shall fast therein ; and whoever is sick or upon a journey, then (he shall fast) an equal number of other days ; - Allah desires ease for you, and He does not desire for you difficulty, and (He desires) that you should complete the number and that you should exalt the greatness of Allah for His having guided you and that you may give thanks. (Chapter 2, Verse 185)

Fasting Ramadhan is one of the five pillars on which Islam is built. The other four pillars are :-

1 — Profession of faith to bear witness that there is none worthy

of worship but Allah and that Muhammad is His Prophet.

2 — Prayer, the worship of Allah through the medium of prayer five times daily.

3 — Zakat, alms-task or poor rate.

4 — Hajj, pilgrimage to the Kaaba, if one has means of doing so.

The beginning of Ramadhan becomes official when the new moon is seen. Its end is officially fixed when the new moon of the next month "Shawwal" is seen. Once the new moon of Ramadhan is seen, fasting becomes obligatory for all those who are required to fast it. When the new moon of Shawwal is seen, the fast comes to an end, and everybody should break the fast.

For the fast of Ramadhan to be varied, one has to make up his mind, or formulate the intention during the night of the day he will fast. The intention is an act of the heart ; it is not necessary to utter it ; it is enough to harbour it. The Prophet said, "Acts are judged by the intentions prompting them".

The person who fasts should abstain from food, drink and sexual intercourse, from dawn till sunset, in accordance with the verse of the Qur'an :

FASTING IN ISLAM

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS

*Director of the Cultural Centre for Diplomats
Ministry of Culture, U. A. R.*

Fasting is an ancient from of worship recognized by previous nations ever since the time of Adam. It constituted an essential part of every religion. It was known to the Ancient Egyptians, from whom it passed on, to the Ancient Greeks, who used to enforce it, principally upon their women. The Romans also observed the fast and pagans in India and elsewhere practise fasting to this day. Fasting meant the suffering of some privation in times of mourning and sorrow. Fasting was generally resorted to, in times of mourning and sorrow, as a form of suffering of privation.

By the advent of Islam, a new meaning of fasting has been introduced. It becomes an institution for the improvement of the moral and spiritual character of man. This is plainly stated in the concluding words of this verse : « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » "So that you may guard against evil things". Hence, fasting in Islam does not simply imply abstaining from food but also from every kind of evil.

The Qur'an teaches that fasting was enjoined on all nations by the Prophets who passed before the Holy Prophet Muhammad. In the bible, it is stated that fasting has, in all ages and among all nations, been an exercise much in use, in times of mourning and affliction. Fasting has also been invoked among the Hindus. Even Christians, who assume that they have no need of any religious exercise, on account of Jesus atonement, were commanded by that Holy Prophet to keep the fasts. It is known also that Moses had fasted for forty days and this proved that fasting was considered a form of worship.

The institution of fasting in Islam came after the institution of prayer, Fasting Ramadhan was made obligatory in the second year of El-Hijra in Medina on the second Monday of the month of Shaban. Fasting is obligatory for every Muslim provided that he or she is adult and in full possession of his or her faculties. It is preferable that children, though they are not

after fort Qamus. Then the Muslims turned to fort Saab Ibn Muaz which had all the provision. There after they encountered fort Zubair. The Muslims made a serious investigation of the water resources in fort Zubair and after finding them they had them completely cut off from the enemy.

One by one the forts were conquered and eventually the fort of Wateeh and Sulalim fell. The Jews then agreed to surrender and submit. The Prophet offered them the opportunity to continue tilling their lands and taking half of its harvest.

The news of the fall Khaibar quickly spread throughout the country and influenced the Jews of Fadak so much that they also accepted the same conditions. Their example was followed by Wadi Al-Qura and Taimaa.

In this way the Prophet was able to crush the strongholds of the Jews and their military power from the Arab Peninsula after the decisive battles of Khaibar.

The author concluded his paper saying : "Although the Prophet offered them the opportunity to rejuvenate and rehabilitate themselves in the northern oases, the conspiracies of the Jews continued after his demise.

This continued till the era of the Second Khalifa (Caliph) Omar who was then forced to complete their evacuation from the Arab peninsula to the Borders of Syria.

But did their evacuation bring the episode to an end ?

Never ! It continued appearing in one form or another — To day, Zionism has adopted and followed the same evil — imperialism creates in Palestine a state of conspiracies to disunite and crush the unity of the Arab and Islamic world and divide it into two parts : African and Asian.

Imperialism can utilise this state as a bridgehead for its aggression.

We are now undergoing the same experience of conspiracy, enmity, hostility and through which the powers of the Up — to — date Imperialism will break into our land.

There is no other way open to us but to work and struggle.

We should work at a non stop pace until such a time that we can clear our land and its sacred places from Zionists and return them to their lawful owners as it was done by the Prophet in Medina, the base of Islam. He crushed the foreign evil.

against Quraish. Their role was like that of a guerilla band working on their own and getting their food with their own weapons.

Their only activity was to plunder the commercial caravans of the Quraish. Their own stipulations and conditions were backfiring against them and they were terribly cornered by their own political deceit. They approached the Prophet to be kind to drop that condition.

The Jews in the northern front were left alone. The Prophet in turn attacked their allies by surprise. They suddenly recoiled to themselves and started to defend their own homes.

The Jews were alone. Neither did they get the Quraish on their side nor the Arab tribes of Najd. Then there dawned upon the Muslims a day when they found themselves triumphantly settled in front of the forts of Khaibar. This was not an easy task.

Speaking about 'Khaibar' and its importance he says :

Khaibar is situated on a stony spot and its hills are volcanic and very fertile, full of date palme and edible grains.

It was the strongest Jewish point in the north and their inhabitants were the best military fighters

among the Jews and they were well acquainted with the skills of conspiracy and defiance.

Its defensive posts constituted three groups of forts.

1 — Natah Area : In the valley of Sareer wherein there existed the forts of Natah, Naim, the forts of Saab Ibn Muaz and Zubair.

2 — Al - Shaq Area : This was situated on the mountain of Shemran which overlooked the valley of Sareer, wherein existed the fort of Abi wad, and it was built on the peak of the mountain.

3 — Al - Kateeba Area : Here two forts of Wateeh and Sulalim existed, which were the most formidable forts of Khaibar, and the fort of Qamus.

The Jews gathered their people and their wealth in the forts of Wateeh and Sulalim, and all the provisions were treasured in the fort Na'im, and the attacking retinues were stationed at fort Nitah.

The battles were waged in the open fields and there after the Jews retreated to their forts. The Muslims concentrated their attack on fort Na'im which was the most formidable fort, and the other forts were to be kept engaged.

Eventually, after a bloody battle, fort Na'im was conquered and there

In the sixth year A. H. the Prophet with a great retinue moved to mecca to perform his pilgrimage. The Arabs [saw his strength. He invited all Arabs to join him on a peaceful trip to visit the sacred House of God to pay homage to it; A trip that had nothing to do with war and battles. Now what could Quraish do?

Could they stop him from visiting the sacred mosque or unsheath their swords during a season universally accepted by the Arabs to be a No War period?

Quraish found themselves in a tight corner. It did not take long when a treaty was signed at Hudaibiya between the Prophet and Quraish.

Among the conditions that concerned our subject was the fact that it was a ten year treaty between the Prophet and Quraish. Those who loved Muhammed could join his side and those who loved Quraish could join them and that any Quraishian who would join Muhammed after embracing Islam without getting permission from his master must be returned to Quraish, while this term was not stipulated against Quraish.

The treaty acknowledged equality between the Muslims and Quraish

and inaugurated a new era in making alliances with the neighbouring Arab tribes. The Prophet kept the far sighted objectives of the treaty concealed even from his closest associates.

But the results became obviously clear very soon.

It was an exceptional capacity of self - control on the part of the companions of the Prophet to accept the condition to return to Medina without paying homage to the sacred mosque and they should postpone their visit to the following year.

Then Quraish directed its attention towards its commerce to build up its economy. Once the economy was strong Quraish would be able to do what they liked. Unfortunately for them the were surmounted by difficulties from whence they came Quraish did not know. Those who had embraced Islam without permission and went to the Muslim camp the Prophet returned them to Quraish, but they did not comply with this. They refused to return to their people and the Prophet refused to accept them into his society according to the terms of the treaty. These groups could over power their guards on the way to Mecca from Medina and were able to form a secret power

THE ROLE OF JEWS IN AGGRESSION ON THE BASE OF ISLAM IN MEDINAH — II

By : Dr. ABDUL AZIZ KAMEL

Minister of Wakfs, And Al-Azhar Affairs, U. A. R.

(Continued from Previous Issue)

The battle of the Trench took place in the fifth year A. H. The Muslim army constituted three thousand men centred in Medina behind a trench they dug on the lower part of the city in the north.

As for the highlands where lay the agricultural fields, the forts and homes of Banu Quraiza, they were left to a mobile unit of guard.

The Quraish army constituted ten thousand men drawn from the neighbouring tribes of Quraish, Banu Saleem, Asad, Fazarah, Ashga, and Ghatafaan, besides the Jews of Banu Quraiza themselves who were to emerge from the forts at a later stage when the occasion was appropriate. . . .

These Jews that vacated Midina did collect together. They travelled to the north and some settled in Khaibar, Wadi Qura, Fadak-Tayma while some continued their journey towards Syria and its borders. The

battle of Ahzaab (or the battle of the Trench) was fierce and penetrating. Although it was a complete success it drew the dimensions of future battles.

There was the southern front with its centre in Mecca and a northern front where the Jews were mobilising.

As for all of them the battle of Ahzaab was only the first round to be followed by many to come. The northern front made a move by provoking the tribes of Ghatafaan and by creating fresh cooperation with them to attack Medina.

They tried to deceive a delegation sent by the Prophet to Khaibar; It was expected; if the Jews were successful in wedding the various Arab tribes of Najd together, that Quraish would make a fresh attack with all their might. It was therefore necessary for the Prophet to think of dividing these powers.

it runs westward to the River yarmouk, and, still westward, to the Dead sea”.

“The southern frontier runs from the extremity of the Dead Sea to Wadi Arab (North Latitude $30^{\circ}30'$), from where it runs eastward to Wadi al-Arish, which it skirts as far as the Sea”. This analysis gives a clear picture of the Zionist point of view with regard the frontiers and areas of Israel.

In fact the expansionist acts of Zionists began before the date of the official founding of the Israel. Previous to that Zionist military and Para - military forces had invaded and occupied a certain number of localities such as Jaffa and Akka, which had been allocated to the Arab State in the partition plan recognised by the U. N. O. They also occupied certain parts of the city of Jerusalem. Further more the Zionist forces took maximum possible areas of Arab property during cease-fire periods.

During the period between June 1949 and October 1956 Israel took steps to occupy demilitarised Zones

declaring them as parts of Israeli territory, and assumed sovereign authority over them. The Arab residence were expelled from their homes, and forts and military installations were built in their home lands. During this same period Israel also organised innumerable raides into neighbouring Arab territories. In fact, the major attack launched by Israel in 1956 with the overt complicity of Britain and France was a total war aimed at occupying the Gaza strip and Sinai to retain them as integral parts of the extended Israel.

An objective study of the dynamic character of Zionism and the expansionist character of the Zionist State of Israel is enough to convince any impartial observer of the threat enherents in the Zionist movement. This treat aimed not only at the neighbouring Arab states but the entire Arab world. The danger represented by the existence of Israel in the Middle East is originated fundamentally in the ideological factor, and its military and economic necessities.



aims and geographical extent of the Isreal and its frontiers. In a letter which the Zionist Leader Herzl addressed to the famous Jewish financier Lord Rothschild, dated 12 July, 1902, he outlined the Zionist plan for the settlement of poor Jews at al-Arish and in the Sinai Peninsula and also in Cyprus. In this letter he termed the Arish and Sinai as Egyptian Palestine.

It is recalled that the first Jewish religious Leader to join the Zionist movement set up by Herzl, Aaron Marcus, had discovered, by a close study of the 'Talmud' that Cyprus was part of Palestine. The Zionist writer Oscar gave, in his book 'The Jewish Project', the proofs of the Zionist plan to obtain the Island of Cyprus also as part of Promised Land of the Jews in the holy Books. In his reply, this book added, to Aaron Marcus, Herzl said: "If you say that (Cyprus was part of Palestine) speaking as a man of religion I do not oppose it. I also find that it constitutes an important gain".

The mouthpiece Journal of a British Zionist organization 'Palestine Magazine' published a series of articles on the Palestinian frontiers, as well as some studies of the relatively little-known regions. This magazine published on 15 February,

1917 an article entitled 'The frontiers of Palestine, it says: "Every writer who takes an interest in Palestinian affairs has his own conception as to the frontiers of this country...his own deductions, which are in conformity with the nature of the objective at which he is aiming in the domains of religion, of science, or of politics. Consequently, these deductions vary according to the definition referred to since such definition is based on Biblical or historical, or geographical writings. The frontiers we wish to discuss are those of the future Palestine, the territory must of necessity include the land inherited from the Twelve Tribes of Isreal mentioned in the old Testament".

"To this should be added the territories indispensable for safeguarding the unity and integrity of the country. The western frontier is the one formed by the Mediterranean sea. The eastern frontier is constituted boundaries of the territory which formerly belonged to the Tribes of Isreal. It runs along a straight line from the Mediterranean coast to the north of Salda, and as far as the point at which the river al-Awaj runs into Lake al-Haid Jannah to the south east of Damascus. This frontier extends eastward to a point at North Latitude 32°30' from where

In this brief study we must examine the Zionist geographical definition of Jewish National Home. Theodor Herzl was the first to give a general definition of the nature and geographical extent of Isreal and the neighbouring territories. The founder of Zionist movement says in his famous "Memoirs" Part I :

"The slogan we must shout should be the Palestine of David and Solomn ! We must have access to the sea because of the future of our external trade. We must also have extensive areas of land where we can interduce our modrn agriculture on a large scale". In another passage of his Memoirs, Herzl defines the general idea about the geographical boundaries of the Isreal : "... From the river of Egypt to the Euphrates. A transitory period, during which there will be a British governor is indispensable for the consolidation of our institutions. As soon as the proportion of the Jewish population has reached two-thirds of the total population, the Jewish administration will automatically take over command as the political authority."

The founder of Zionism, Theodor Herzl, outlined the Zionist plans with regard to the geographical extensions of the so-called promaised

land (Isreal) in the following points:

1— The Zionist state must be sufficiently extensive in area in order to receive all the children of the Jewish nation, as it is the expression and the incarnation of the Jewish Nationalism, preached by Zionist movement.

2— As Palestine is the promised land of the Jews, it should therefore, include all those territories over which Jews have travelled and all the regions in which, centuries ago, there were settlements of Jewish tribes.

3— The state of Isreal must possess all the basic foundations of a state capable of attainig an autonomous economy and acquiring military Supermacy.

5— The state of Isreal must be able to render service to any Imperialist state which will protect it and assure its existence, in return for the efforts undertaken to allow the Zionists to create their state.

6— The future Zionist state must be strong, of imperial and glorious character in order the better to manifest the superiority of the Chosen People over other people, especially those of Asia and Africa.

These are the master-ideas dominated the thought of Zionist movement with regard to the nature,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

RAMADAN
1388

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

NOVEMBER
1968

A Study of the Aims and Plans of Zionist Movement

By : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Zionist movement started as an organization from the first Zionist congress, held at Basle in 1897, and presided over by the founder of Zionism, Theodore Herzl. He fixed the main ideas, aims and plans of the Zionist movement at this congress. The congress proclaimed that the Jews constituted an ethno-religious unity, that they were a single people, and that, in consequence, this people had the right to exist as a nation established on autonomous territory. This territory was to be Palestine. At this first congress were definitely enunciated the main ideas of Zionism, so much so that there emerged a national ideology, with its fixed aims and its strategic plans.

The main aim of Zionism is to establish in Palestine a national Jewish home. This objective to be achieved by the following tectical plans : (1) To reinforce and maintain the Jewish national conscience and sentiment among the Jews throughout the world. (2) To adopt necessary measures to the realisation of Zionist thought and Jewish nationalism. (3) To reorganise world Jews with the help of local and International organisations. (4) To re-group the Jewish people in conformity with the laws in force in each country. (5) To carry out the plans of the colonisation of Palestine with the help of agricultural workers and Jewish industrials, with adequate and well-defined plans.

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٥٦١ قضية السجيم ونظم القرآن الكريم -٤- للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي		٥٢٩ هذا الشهر العظيم للأستاذ عبد الرحيم فودة	
٥٦٨ هود إلى قضية السجيم والقرآن والبالاقي للدكتور عبد الرؤوف مخلوف		٥٢٤ مركز الإنسان في الوجود بين الدين والعلم للدكتور عفيق عبد الفتاح	
٥٧٣ عنصر الفكرة في الحديث النبوي للدكتور محمد رجب البيوي		٥٣٠ لفظ القرآن ومعناه للأستاذ علي الحنيف	
٥٧٨ زيادة السعر في بيوع التقسيط للدكتور عبد الناصر توفيق المطار		٥٣٤ ليلة القدر للأستاذ مصطفى الطير	
٥٨٢ رحالة . . وشاعر . . ومهندس للأستاذ أبو الوفا المراغى		٥٣٧ تقوى الله أفضل العدة للدكتور على العمارى	
٥٨٦ إفطار الرسول صلوات الله وسلامه عليه للأستاذ على الجندي		٥٤١ غزوة بدر الكبرى للأستاذ عبد الغفار الباز	
٥٨٨ زكاة الفطر للأستاذ يوسف الشال		٥٤٦ شهادتنا في سبيل الحق والواجب للدكتور عباس حلمى لسماعيل	
٥٩٣ ما يقال عن الإسلام : عظمة الإسلام		٥٥١ نفعات القرآن : تكليف الله لرسوله قد يكون تكريما وتغريزا للأستاذ عبد اللطيف السبكى	
٥٩٧ أنباء وآراء للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني		٥٥٦ رسم المصحف العثمانى وضوء الدراسة والبحث للدكتور هبد المال سالم مكرم	



English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — A Study of the Aims and plans of Zionist Movement	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — The Role of Jews in Aggression on the Base of Islam in Medinah-II	Dr. Abdul Aziz Kamel	5
3 — Fasting in Islam	M. Abdul Moneim Younis	9
4 — The Role of the Muslim School of the Nation of Islam in America-II	Dr. Ibrahim M. Shalaby	13

مَجَلَّةُ الْإِزْهَارِ

مجلة شهرية جامعية

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
ج. في المرسى العربية بمخمة
٥٠ ضاحج المرسى
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بصدور عن شيخنا الأزهرى في أول كل شهر

الجزء الثامن - السنة الأربعون - شوال سنة ١٣٨٨ هـ - ديسمبر سنة ١٩٦٨ م

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجَدِيدُ فِي هَذَا الْعَيْدِ...!

للأستاذ عبد الرحيم فوده

والضراء، ولهذا يواجه النوازل بقوة لا تعرف الضعف، وروح لا تقبل اليأس، ويقين بأن رحمة الله كما يقول سبحانه: إن رحمة الله قريب من المحسنين، وبأنه كما يقول جل شأنه: «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون». وهذا المنهج السوي القوى لحياة المؤمن في هذه الحياة هو الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستمع بأذنه، ولا تعجز: وإن أصابك شيء فلا تقل

تشرق الشمس في هذا اليوم على ربوع الإسلام وجوع المسلمين وهي تعجج بالتمكين، وتعجج بالتلهيل، وتعلن ابتهاجها على الرغم مما أصابها - بفرحة هذا العيد الجديد، ذلك لأن الإسلام بطبيعته قوة تجدد في نفس المسلم الأمل، وتحبب إليه الجهاد، وتغريه بالعمل، وتمد هيبته إلى حياة أعظم وأكرم من هذه الحياة، فإذا حل به كرب أو ألم به خطب، أو اصطدمت عليه الأحداث، وجد في إيمانه بربه، وثقته بجلاله، وأمله في فضله، ما يفرج كربيه. ويخفف خطبه. ويكشف عنه السوء

لو أنى فعلت كان كذا ، وكذا ، ولكن قل :
 بدر الله . وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل
 الشيطان ، فالحرص على ما ينفع ، والعمل له ،
 والاستعانة بالله عليه ، وعدم الشعور
 بالعجز عنه مهما يكن شأنه ووزنه ، هو
 السبيل إلى القوة التي يكبر بها قدره ، وإلى
 الحياة التي يكثر فيها خيره ، فإذا أصابه
 مع ذلك - الإخفاق أو الفشل - فعليه
 أن يرد ذلك إلى قدر الله ، لينقذ نفسه
 من وطأة الإحساس بالنقص واللام ،
 ويستأنف نشاطه وعمله بأمل جديد ، وثقة
 بأن الله كما يقول : « إنا لا نضيع أجر من
 أحسن عملا » . وكما يقول : « من عمل صالحاً
 من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة
 طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا
 يعملون » .

والجديد في هذا العيد أنه يقبل علينا وقد
 تأهبنا للصمود أمام أهدائنا وأعداء ديننا ،
 وانتقلنا من مرحلة الصمود إلى مرحلة الردع
 والقمع ، وانطلقت كتائب الفدائيين تثير
 في ربوع إسرائيل القلق والارق ، وتحول
 الرأي العام العالمي إلى الوقوف معنا بعد أن
 تمزق القناع عن الوجه الحقيقي لمطامع الصهيونية
 والاستعمار ، وقرب الوقت الذي تفسر فيه
 الأحداث قول الله لبني إسرائيل ، فإذا جاء
 وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا
 المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا
 تخبيرا ،

فليحتفل المسلمون بهذا العيد على هذا الأمل
 وليرفعوا أصواتهم بهذا الهتاف الذي رفع
 أقدارهم عند الله والناس ، الله أكبر الله أكبر .

وذلك المنهج بعض ما يوحيه العيد أو يليقه
 من دروس وعظات . فإن الاستمتاع به يحى
 بعد شهر كله جهاد وإعداد للجهاد ، وصبر على
 الجوع والظما ، وكفاح الليول والشهوات
 ورياضة على احتمال المتاعب والصعاب ، وقد
 رن الله اليسر بالعسر ، والفرج بالضيق ،
 والرخاء بالشدّة ، فقال جل شأنه : « فإن مع
 العسر يسرا إن مع العسر يسرا » ، وأكد
 - بما لا يدع مجالا للشك - أنه (لا ييأس
 من روح الله إلا القوم الكافرون) ومن ثم

لا إله إلا الله وحده .. صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وسيكون ذلك هتافهم عند الزحف . وعند لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ... النصر ، وفي كل عيد ..

عبد الرحيم فوره

مسير الشهداء

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل . وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وانقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس إن العاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، . (قرآن كريم)

بيان

نشرت بعض الصحف أن الأزهر قد وافق على ظهور الحسين بن علي — على المسرح في المسرحية التي كتبها الشاعر عبد الرحمن الشرفاوى .

ومكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إذ ينفى ذلك نفياً باتاً يؤكد أن الأزهر لم يوافق على ظهور شخصية الحسين بن علي وغيره من آل البيت الأطهار والصحابه الأجلاء في مسرحية الشاعر عبد الرحمن الشرفاوى ولا غيره لاهلى المسرح ولا على شاشة « السينما أو التلفزيون ، أو غيرهما — وينبه إلى أن لجنة الفتوى بالأزهر قد أصدرت فتويين بتحريم ظهور مثل هذه الشخصيات الإسلامية الجليلة .

أفضل العلم

للدكتور على العماري

على الإنسان إنسانيته ، ويمسك على الكريم كرامته .

وكل واحدة من هذه الثلاث جديرة بأن نقف عندها طويلاً ، وننعم النظر فيما يمكن أن تهدينا إليه من كرائم في السلوك وفي الأخلاق ، وما يكون لها من آثار رائعة في تكوين مجتمع فاضل يتواصى أفرادُه بالحق والخير ، ويتصاحبون على مكارم من الصدق والبر .

وكثيراً ما أستعيد في نفسي حكم قيس هذه ، وإن إحداهما تلح على نفسي كلما رأيت متطفلاً يعالج من قضايا العلم ما لا يحسن ، ويدخل نفسه في مداخل لم يأخذ لها أهميتها ، وما أعد نفسه لها .

هلى أنها تلح هلى نفسي أكثر ما تلح في هذه الأيام ، فإنه من الجليل أن تحتفل أجهزة الإعلام في الدولة بإحياء الشعائر الدينية ، والحديث فيما يهم المسلمين معرفته من أمور دينهم ، ولكن ليس حسناً ولا جيلاً أن يتقدم للفتيا كل من هيات له الظروف أن يتقدم ، وأن يتجرأ على القول في دين الله كل من دعى إلى ذلك .

سئل قيس بن صاعدة ، وهو أحد خطباء العرب ، وحكائها ، وواحد من أصحاب الرأي والعقل فيها : ما أفضل المعرفة ؟ قال معرفة الرجل نفسه . قيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند هله . قيل له : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه .

كلمات ثلاث لا تصدر إلا عن حكيم ، ولا يعيها ، ويعرف قدرها إلا بصير بما يعرف العقلاء ، وما ينكرون ، ولو تدبرها الناس حق تدبرها ، وقدروها حق قدرها لظفروا منها بكنوز ثمينة تثرى العقل ، وتغنى النفس ، وتهذب السلوك .

فمعرفة الإنسان نفسه هي الطلبة العزيرة التي تفتقدها الإنسانية منذ وجد الإنسان ، وهي الأمل العذب الذي ظل الفلاسفة من قديم يروون به ظمأ أنفسهم وعقولهم إلى الحق والخير والعدل .

ووقوف المرء عند علمه ، هو ضالة العلماء المخلصين ، وخلق الحسكاء العارفين ، ودعوة الصفوة من الأنبياء والمرسلين .

واستبقاء الرجل ماء وجهه ، هو أفضل ما في السلوك الإنساني ، وأقوى خلق يحفظ

يقول في دين الله برأيه حتى يحصل من العلم ما لا تسمعه الأعمار في جيلنا .

فن هؤلاء المفتين ، المجترئين على القول في دين الله من فقه القرآن حق فقهه ، وحفظ السنة حق حفظها ، وعرف اللغة التي أنزل بها القرآن حق معرفتها ؟

وليت هؤلاء إذ فاتهم فقه الشريعة تخرجوا من القول إلا إذا أسندوه . ودرسوه ، وأطالوا درسه ، ولكنني سمعت أحدهم يجلس مجلس الفتوى ، فإذا سئل عن أى مسألة أجاب ولو كان يجهل الأساس الذي بنى عليه هذا الحكم ، وهي جراءة ما رأيت لها شديدا في أى علم من العلوم الأخرى .

هلمان يجرؤ عليهما كثير من الناس . هلم الشريعة ، وعلم الطب فكل من درس شيئا من الفقه . بل ، وبعض من لم يدرسوا يسرع إلى الفتوى حين يطرح سؤال من مستفهم كأنه بمنزلة عليه أن يعرض سؤال ، ولا يكون عنده جوابه ، وكل من سمع شكاة مريض لا يلقب حتى يصف له دواء ، وربما شخص له الداء أيضا ، وكما أن جهل هذا ربما يودى بحياة المريض إذا استمع إليه ، وعمل بما يقول ، فإن ذاك يوقع من يثق بفتواه في خسران وضلال ، ويوبق دينه .

ولكن إذا جاز ذلك في مجالس العامة ، وبعبدا عن رقابة رجال الطب ، ورجال الشرع ،

والذي يرجع إلى تاريخ أسلافنا من العلماء المتورعين يقرأ كيف كان الواحد منهم يتخرج من الفتوى ، ولعله من أعرف الناس بها ، ولكنهم كانوا يخافون الزلة ، ويخشون أن يقعوا في الباطل .

وماذا على المرء الذي لا يحسن الفتوى أن يربأ بنفسه أن يضعها في موضع لا تحسن القيام فيه ، وهبه لا يبالي القول في دين الله بغير علم ، أما كان من حق نفسه عليه أن يصونها من لمز اللامزين ، وعيب العائمين ؟ وما يروى عن مالك بن أنس - رضى الله عنه - : إذا ترك العالم قول لا أدري أصيب مقاتله .

ونحن في عصر تخصص - لا ريب في ذلك والعلماء أنفسهم يتهيبون الفتوى في بعض الأحيان ، حتى لنرى الواحد منهم يحاول أن يخرج من عهدة الفتوى فيروى عن فلان أو فلان من أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة وقل ما سمعت عالما دارسا حاول أن يقبجج بالاعتقاد على رأيه ، أو بادعاء أن هذا الرأي هو المستخرج والمستنبطه ، في حين رأيت من لم يدرك من علم الشريعة إلا قليلا لا يفتي بقول : هذا رأي ، وهذا فيما أرى ، وأمثال العبارات التي يحاول بها أن يوهم الناس أنه صاحب رأى في استخراج الأحكام من أصولها .

وقد علم إن كان يعلم أنه لا يحق لمسلم أن

العلماء أخطأ في فتوى ، فلما رجع إلى كتبه وجد الحق على خلاف ما أفتى ، فأمر مناديا ينادى في مصر والقاهرة ، يقول : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به ، فإنه أخطأ في الفتوى .

وماذا يضر الإنسان لو وقف عند علمه ؟ إن الله منح كثيرًا من الناس منازيا وفضائل ، وعلمهم أنواعا من العلوم فيها فضل وجاه إن أرادوا الفضل والجاه ، أفلا يكمل فضلهم حتى يتصدوا للقول في دين الله ، فيصيبون ويخطئون .

ونحن - بحمد الله - أغنياء بعلماء الدين ، وفيهم السكينة ، فلماذا لا نسلك أمر الفتوى لهم ؟ ونرجع في كل شئون ديننا إلى علمهم وفضلهم ؟

ينبغي ألا تكون الفتوى في الدين مصدر ربح يعطاه من يشاء له المعارف والأصدقاء أن يعطاه ، وينبغي أن يتحرى كل من مكنته وظيفة أن يطلب الفتيا أن يتحرى من يحسن القول في الشريعة ، دون اعتبار لآي أمر آخر .

ولعل القارئ ينتظر منى أن أضرب له أمثلة من فتاوى سمعتها ، أو قرأت عنها ليعرف الدوافع التي دفعتني إلى كتابة هذه الكلمة ، وأحب أن أقول له إنني أتمرجح أن أعين إنسانا أخطأ في فتوى ، فما إلى ذلك

فما ينبغي أن يكون ذلك في حضرة الأطباء والعلماء ، وعلى مسمع ومرأى من العارفين بالطب وبالشرح .

ولا يقولون قائل إن ذلك تحججه واسع ، وإن لكل مسلم أن ينظر في المكتتب ، وأن يتقدم للفتوى ، لا يقولان هذا ؟ فإن ديننا ليس بأهون علينا من أجسامنا ، فسكا أننا نضرب على أيدي من يدعى الطب حتى لا يهلك الأبدان ، كذلك يجب أن نضرب على يد من يدعى المعرفة بأحكام الشريعة حتى لا يهلك الأديان .

وليس ذلك منا تعصبا لعلماء الدين ، ولا حبرا ، ولا دعوة لسكهنوت كما يحلو لبعض الناس أن يتشددوا به ، فإننا نعرف أن العالم الذي أطال النظر في كتب الدين يهتم نفسه في كثير من الأحيان ، ولا يقول بالفتوى حتى تنقدح في نفسه أدلتها ، فهو يقول عن دراسة وعلم ، وعن تحرر ، وإمعان نظر ، ولا عليه إن أخطأ بعد ذلك فإنه خطأ من اجتهد ، ووازن وقارن ، وقرأ ودرس وفقه وهو بعد ذلك سريع العودة عن الرأي الذي يقين له خطأه فيه ، فهو يعرف أنه مسئول أمام الله مسئولية جسيمة عن كل كلمة قالها ، لاذ هو قدوة تتبع .

ولقد أفتى العز بن عبد السلام وكان عالم مصر ومفتيا في وقته ، وكان يسمى سلطان

فقد تصدى لهذا الأمر بعض من لا يحسنونه، وربما وقع في وهم وهم أنه يسكني أن ينظر الإنسان في كتاب التفسير حتى يتسنى له أن يحدث الناس بذلك .

والحق أن القول في كتاب الله بغير علم خطأ كبير ، وخطر عظيم ، ولقد كان بعض علماءنا السابقين على ما كانوا عليه من فقه للفقه ومعرفة بالسنة يتخرج من تفسير القرآن ، فما بالناس نرى هذا الأمر الخطير يمكن منه غير أهله أيضا .

إن الإنسان ليعجب كيف يتصدى لتفسير القرآن كل من درس صباغة من كتب التفسير وإن المرء ليتعرج أحيانا من تفسير يبت من الشعر قد يخفى عليه ما يريد الشاعر منه . وما ذا على الذين يشرفون على تفسير كتاب الله في (التلفزيون) أن يقصروا هذا الأمر على كبار العلماء حتى لا نسمع هذا الخلط الذي نسمعه أحيانا من بعض من يعرض آي القرآن في أساليب إنشائية لاحظ لها من الهدية التي ينبغي أن تراعى في تفسير كتاب الله ؟ والله يدعو إلى الحق ، وهو يهدي السبيل .

د : علي العمري

قصدت ، وإنما أردت بكلمتي هذه أن أنبه إلى بعض ما يقع فيه أناس قد يهرم حب المظهر ، فيعرضون على الناس عليهم ، وهم لا يعلمون .

وأحب أن يقرأ هؤلاء هذه الكلمة التي كتبها العلامة ابن خلدون إذ يقول : (ثم إن الصحابة كلهم لم يسكنوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالعلماء للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ، أو ممن سمعه منهم من علمتهم) .

ولا حاجة في أنؤكد أن بعض أولئك الذين نشاهدهم يفتون ، ويعرضون للقول في الدين ، لا يحفظ القرآن بل وبما كان لا يحفظ منه إلا ما نصح به صلاته ، ولا يكاد يحفظ حديثا كاملا من الأحاديث النبوية ، ومن حفظ منهم لم تهيب له ظروف دراسته أن يقف على دقائق المسائل ، وعلى أصول التشريع كما ينبغي . أفلا يسكون من الخير لهم ، وللسلمين أن يقفوا عند محملهم ، كما لا حاجة بي أن أنصح كل مسلم يحرص على دينه ألا يأخذ فتواه إلا عن عالم درس في الأزهر وأطال الدرس فإن الشيء لا يؤخذ إلا من مصادره .

وبسبيل من الفتوى تفسير كتاب الله تعالى،

فِجَاهَاتُ الْقُرْآنِ

من سورة الأحزاب (١)

نماذج من القرآن في مناجاته ونوحياته للرسول والمؤمنين للإمام عبد اللطيف السبكي

النبوة سبع عشرة مرة ، ويذكره بوصف
الرسالة ثلاث عشرة مرة .

وربما كانت هذه النداءات بوصف النبوة
والرسالة قرابة المئتي مرة في مجموع السور
مع أنه لم يذكر باسمه الصريح في القرآن كله
سوى أربع مرات .. وحكمة ذلك واضحة
كما ذكرنا .

وهي تأكيد شأن النبي فيما يدعيه ..
وتبكيك الأعداء لإنكارهم ما ثبت لديهم
بالمعجزات ..

٢ — وقد بلغ من رعاية الله لتزكية محمد
بهذين الوصفين — النبوة ، والرسالة —
أن أوجب على المسلمين أن يخاطبوا رسوله
بأحد الوصفين — لا باسمه الصريح ولا يجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ،
يعني لا تقولوا له : يا محمد .. كما تقولون :
يا فلان ، لغيره من الناس .. وكما شنع الله على
من كانوا ينادونه باسمه ، وإن الذين ينادونك
من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون .

يا أيها النبي اتق الله .. ولا تطع
الكافرين ، والمنافقين إن الله كان
علماً حكماً .

١ — هذه سورة الأحزاب .. وهي
إحدى السور المدنية .. وقد سميت بسورة
الأحزاب — لاشتغالها على قصص رهيب ،
وعجيب : عن أولئك الكفار ، الذين تجمعوا
من المشركين واليهود ، وتحزبوا للأغارة على
مدينة الرسول ، والإيقاع بالمسلمين .

فكانت رعاية الله للمسلمين .. وكانت الدائرة
على الأحزاب ، وكفى الله المؤمنين القتال ، .
بدأها الله تعالى بقداء النبي صلى الله عليه
وسلم ، لتعظيمه بهذا الوصف ، وإثبات نبوته
في مواجهة المكذبين بها .. كما ناداه كذلك
في عشرات من الآيات ، وكما ناداه بوصف
الرسالة في جملة أخرى : من مقامات القرآن .
وفي سورة الأحزاب يذكره الله بوصف

(١) بعد إيجاز التفحات عن سورة هود
تعلقت الرغبة بالانتقال إلى سورة الأحزاب .

ونحن نجد نداء الرسول في كل مقام :
مقرونا بتوجيه جديد في الأغلب .

ومن ذلك « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ، ونذيراً ، فذلك تأكيد لرسالته ، ونبوته » يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، فهذه دعوة إلى جهاد العدو ، واعتراف للنبي بأنه صاحب هذه الدعوة ، وقائدها ، من جانب الله تعالى :

« يا أيها النبي قل لأزواجك ، وبناتك ، ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، يا أيها النبي ، إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - الآية ، فهذا امتنان من الله على رسوله بإباحته له زوجاته الكثيرات ، وهذا كبت للخصوم الذين يغمزونهم بكثرة الزوجات .

« يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ... الآية ، فهذا تعليم له ، وتشريع يبينه الله على لسان نبيه ، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء : فطلقوهن لعدتهن . الآية » وكذلك هذا بيان وتشريع على لسان الرسول في شأن تطليق الزوجات ، وما يتعلق به من العدة ، ونفقاتها ، « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ... ،

فهذا تأكيد عليه بتبليغ ما أرسل به من عند الله .

« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ... » فهذه مواصلة له في شأنه ، وتثبيت له على مواصلة دعوته ، وتخفيف من ألمه ، وأسفه على من كان يتخلف عن الإسلام ، أو ينقض عهده بعد أن دخل فيه . ومن خلال هذه النداءات والتوجيهات نستشف تكريم الله لرسوله في خطابه له على مسمع من الحاقدين عليه . بل على مسمع من الدنيا ، وأهلها إلى أن تأفل شمس الحياة فيها .

٣ - وفي تقديم النداء بوصف النبوة أو الرسالة إشعار للناس أن أي نداء من هذه النداءات لا يحمل أي معنى من معاني الشدة أو المساس بقيمة النبي أو بشخصه ، أو برسالته . بل هذا تلطف كريم ، يبعد عن الذهن أن الله يؤاخذ رسوله ، أو يعنف عليه الخطاب . . حتى في الأحوال التي تكون لتربية النبي ، وتعليمه . وبيان الصواب فيما كان اجتهدا منه . في تلك الأحوال لا يكون الخطاب إلا رفقا وتعظيما ، ورعاية بالحب ، والتكريم .

وانظر - مثلا - قول الله تعالى لرسوله « عفا الله عنك ، لم أذنك لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين ، فقد كان النبي أذن لبعض الناس أن يتخلفوا عن الخروج معه لإحدى الغزوات - غزوة تبوك - فعاتبه الله على قبول عذرهم ، وأعلمه أنه لو

معهم ، ولا يتأثر بالخاحم ، بل هو يزداد كل يوم صلابة في الحق ، وهو في كل محاولة منهم يواجههم بما يضعف أملهم فيه فيدركون من هذه المناعة أنه في صيانة من خبيثهم ، وفي حماية لا يستطيعون اقتحامها ولذلك جاء الأسلوب في الآية قويا ، مؤكدا بالإيجاب ، والسلب - فالأول : أمره بالتقوى - وهى : البقاء على ما هو عليه من العمل الطيب ، والاعتصام بإيمانه الكامل .

والثاني - هو النهى عن طاعة الكافرين ، والمنافقين .. ومفهوم ذلك : هو الثبات على حاله :

هـ - ثم يتداركه الله بما يشد عزيمته ، فيبين له أن هذا التوجيه إلى ما ذكر مبني أولا على علم الله بما يعلمه من الحق في شأن المؤمنين .. ومن الباطل في شأن الكافرين والمنافقين .

ومبنى - ثانيا - على أن حكمة الله في صنعه وفي مأسكه اقتضت أن يكون النبي والمسلمون في جانب ، وغيرهم في جانب واقتضت أن يبين لكل من الفريقين حاله ، وأن يكشف له عن عاقبة أمره ..

ومع هذا فقد استجاب من استجاب وأعرض من أعرض .

٦ - ثم تيسر الآيات بعد ذلك في هذا الانجاء ، فيقول الله لرسوله ، واتبع ما يوحى

تريث معهم لظهر له كذبهم فيما أخبروه من أعدار ، وظهر له نفاقهم في دعواهم الإسلام . وقبل أن يعاتبه الله تعالى ليعلمه بدأ كلامه بقوله - عفا الله عنك - وبذلك العفو - وهو تكميم - وليس عفوا عن ذنب - يظهر لنا أن الله لا يخرج نبيه ، ولا يلومه وإنما يعاتبه هتاب المحب الذى ينشد لحبيبه السكال ، وينصحه بالحيلة . وهذه تربية الله لرسوله .

٤ - وفي المقام الذى نحن فيه من سورة الأحزاب : خاطب الله نبيه بهذا الوصف .. ثم قال له : اتق الله .. ولا تطع الكافرين والمنافقين . إن الله كان عليا حكما .

فهل كان النبي على نقص في تقواه : فجاءه الأمر من جديد بالتقوى ؟ معاذ الله ، فإنه في ذروة الإيمان ، والعمل الصالح ..

بل كان الكفار يحاولون أن يستدرجوه إلى الاعتراف بأصنامهم ، أو إلى ترك سبها ، ليبيان بطلانها ، أو إلى الاقتصاد في دعوته إلى الإسلام ، فلا يكتر المسلمون .

ومع أن النبي كان في عصمة الله من التأثر بهذه المحاولات ... فإن الله تعالى لا يقطع إمداده بالوحى ، وبالتنذير بما يحاولونه ، ويوثق عزيمته ، ويجدد عصبته ، ليظل دائما في حزم من وقاية الله .

وليشعر الكفار أنهم يجهدون أنفسهم معه ، ويبدلون له وسائل الإغراء ، وهو لا يلين

إليك من ربك ، وإن الله كان بما تعملون خبيراً ، فهنا أمر بالاتباع للوحى - والوحى وجهه .

من عند الله لا غير - ومتابعة الوحى هى بعينها وذلك ميسور لمن فرض نفسه عاجزاً ... والعقوى ، وما يليها من عدم طاعة الكاذبين ، ولا جثا ، ومتمسكاً بما سمع من جانب الله وهذا هو معنى التوكل . وقد أمر الله نبيه بالمنافقين ولا شيء أن الله يعلم كل ما يكون من عباده ... ومقتضى العلم أنه سيحاسبهم عليه بما هو جزاء عدل ثم يعزز الله ذلك التكليف بتوجيهه يجمع بين هذه التوصيات كلها .

يقول لرسوله : وتوكل على الله .. وكفى بالله كيلاً ، فالتوكل على الله هو النهوض إلى العمل فى حرص على الطاعة .

ولا يستطيع المرء أن يضمن لنفسه وفاء بعد الله . ولا صيانة من الزلل . ولا استيفاء لحظه من أعمال الخير إلا إذا كان فى كفالة

وأما من غير علم ... ومن غير ركون إلى معونة الله : فالمرء فى مهب الريح وباليقنا فسكون عندما هدانا الله إليه ... ولسكننا نغفل ... فلا نهتدى ... ولعل الله يجعل لنا من أمرنا يسراً .

عبد اللطيف السبكى

« مع الصوفية »

زارت رابعة العدوية أصحابها يوماً فذكروا الدنيا ، وأقبلوا على ذمها فقالت رابعة : اسكتوا عن ذكرها ، فلو لا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

مِنْ تَأْثِيرِ الْقُرْآنِ فِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ

لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الْأَحْمَدِيِّ أَبُو النُّورِ

لمحة تاريخية :

لو قدر لامرئ منا أن يرتاد شبه الجزيرة العربية قبل أربعة عشر قرناً من الزمان فيبصر القبائل المتناثرة فوق رمال الصحراء ، أو العشائر المتهادية بين الحاضرة والبيداء ، فما كان ليتوقع مطلقاً تلك الطفرة الهائلة التي حدثت في حياتهم منذ أن نزل جبريل الأمين هلى محمد صلى الله عليه وسلم بأول ما نزل من القرآن الكريم .

و اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

نزل القرآن فأحدث تغييراً بعيد المدى ، وعميق الجذور ، فى النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلاً عما أحدثه فى سلوك الفرد من تقويم ، وهداية إلى السنن الاحب والطريق المستقيم ! .

كانوا قبائل متفرقة ، متعادية ، فأصبحوا دولة واحدة ، مترابطة ! .

كان الكثير من أطراف الجزيرة يتنازع استغلاله الفرس فى الشرق والروم فى الغرب ، فإذا بهم يقوضون ملك كسرى ، ويقضون على دولة قيصر ! .

كانوا يشورون لآفته الاسباب ويتفاخرون

بالاحساب والانساب ، وتسرى فى عروقهم دماء العصبية القبلية ، والحمية الجاهلية ، لا قانون يحكمهم ، ولا تشريع يردعهم ، ولا دين يهذب طباعهم وسلوكهم ، ولا قيم تؤلف بين قلوبهم ونفوسهم ، فإذا بهم وقد سرى فى أوصالهم روح من أمر الله يفيتون إلى شريعة العدل ، وعقيدة الحق ، ومنهج الخير ، وممالك الفضيلة ! .

وإذا هم أشداء على الكفار رحاء بينهم يقاتلون لا فى سبيل عرض الدنيا ، ولا لإجابة لداعى العصبية والحمية ، ولا لإغارة على الضعفاء استرقاقاً لهم ، واحتنا بالاموالهم ، ولكنهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، وإرساء قيم الحرية والاخوة والعدالة والمساواة ! . فأسبغ الله عليهم نعمة ظاهرة وباطنة ، ومكن لهم فى الأرض ، وخلع عليهم محبته ورضوانه : وإن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . .

ماذا حدث فى حياتهم ؟ !

الشيء الوحيد الذى طرأ فى حياتهم فأحدث هذا التغيير الهائل هو نزول القرآن الكريم الذى كان للامة العربية ، بل للبشرية عامة بمنزلة الروح من الجسد ، أحيا موات القلوب وهدى العقول وبصر النفوس كما قال تعالى :

لديهم رصيد ضخم في القيم الخلقية ، والابحار الإنسانية من الشجاعة والبطولة ، والنجدة والمروءة ، والصدق والوفاء ، والصبر والإباء . الأمر الذي يفسر لنا كيف كانوا بذلك بيئة خصبة ذات استعداد نظري لتلقي الرسالة السماوية وحسن التأثير بها ؛ وكذا لا نعجب لها تبدي في الأمة العربية من تحول سريع على إثر نزول القرآن الكريم .

ولقد كان من حكمة الله أن يصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم ليلقي القرآن من لدنه ، ولقد استأهل ذلك بصفات ومزايا لم تكن لدى غيره من البشر . ١

كما كان من حكمته سبحانه أن يرسل رسوله بالهدى ودين الحق بين قوم ذوى استعداد خاص لاستقبال أشعة هذا الهدى والتأثر به ، وللإيمان بذلك الدين ونصره ، والنهوض بقبمات نشره ؛ وذلك معنى قوله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

وفي هذا يقول عبد الله بن مسعود :

« إن الله نظر في قلوب العباد فاصطفى محمدا لنفسه فبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خمر قلوب العباد ؛ فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه . »

ولقد سجل الشعر العربى ما كانوا يمتازون به من محامد الصفات ، ومحاسن الشيم ، الأمر

« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، وجاء تمييزاً بين الخير والشر ، وفرقاً بين الحق والباطل ، كما قال سبحانه :

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، .

وتبيناً لكل شئ ، وبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ١

المنهج الذى جاء به القرآن :

ولقد جاء القرآن بمنهج متكامل لتكوين الفرد السوى ، والمجتمع الفاضل ، ولتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه ، وبينه وبين مجتمعه ولربط دنياه بآخريته ، والخالق أعلم بما يصلح شأن المخلوق ، وينظم أمره ، ويقوم فكره : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، ١٩ » وكان هداية سماوية شاملة ، تحتوى أصول الرسائل السابقة ، وتسعى لتحقيق أهدافها وتضييف من التشريعات والفروع ما يساوق تقدم الفكر ونضوجه ، ويصلح لهداية البشرية إلى التى هى أقوم ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ١١

وعلى أساس هذه الهداية القرآنية المثلث ارتفع بناء الإسلام ، وخفق لواء الحضارة ، وتعدل معيار السلوك ، وتحول سير الحياة ، وتغير مجرى التاريخ ١٩ .

رصيد العرب في الخلق :

ولا نغنى بما أسلفنا أن العرب كانوا مقفرين من ينابيع الخير والفضيلة ؟ كلا . بل كان

الذى مثل البيئة الخصبة لتقبل الوحى ، وازدهار الإسلام .
ويعتق من المال الأحاديث والذكر

ويقول :

إذا كان بعض المال ربا لاهله

فإني بمحمد الله مالى معبد ١٩

يفك به العانى ، ويؤكل طيبا

ويعطى إذا من البخيل المصدرد ١٩

كان لدى العرب - إذا - منافع للخير . ومنابت

للفضيلة ، واتجاه مثالى فى الخلق والسلوك ،

يبد أن هذا الاتجاه أخطأ الهدف ، وتجاوز

القصء ، وضل السبيل الاقوم ، فأسرف

فى بذل المال بدعوى الكرم ، وتعالى

فى الخوف من العار حتى وأد البذء ، واندفع

فى نصرة الأخ والحليف ولو كان ظالما ،

وضحى بالنفس والغفيس ولو فى سبيل المرأة

واعتمد بالحسب والنسب والثراء كقومات

أساسية للشخص فى المجتمع . ١٠ ؟

ومن هنا مست الحاجة إلى النهج الذى يبين

الرشد من الغى ، ويمكن لتلك الطاقات الخيرة

أن تحقق أهدافها لا عن طريق السكبت

أو التمديد ، بل عن طريق التوجيه السديد ،

بالإبدال أو التصعيد كما يقول علماء النفس .

ولقد جاء القرآن بسوره وآياته ، وبما

أوحى معه من السنة المبينة له ، روحا من أمر

الله ، عمر القلب بالإيمان ، وغمر العقل بالهدى

وأمر الناس بالعدل ، وكان قوله الفصل ،

فما ينبغى من عقيدة ومن سلوك . ١١ ؟

فعن الشجاعة والإقدام يقول قائلهم :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد

لنفسى حياة مثل أن أتقدما

وعن فلسفة البذل وروح الإيثار يصدر

عروة بن الورد حين يقول :

أتهزأ منى أن سمئت وأن ترى

بجسمى من الجوع والجوع جاهد ١٩

لأنى امرؤ عاف : إنانى شركة

وأنت امرؤ عاف : إنائك واحد ١٩

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة

وأحسو قراح الماء ، والماء بارد ١٩

وعن منع الظالم عن الجار والحليف يقولون :

إنا لعمرك لا أيضا م حلفنا أبدا لدينا

وما جار يفتى بالذليل فترتجى

ظلامته يوما ولا المتهم

وعن التضامن والمساعدة إلى نصرة ذويهم :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

فى النائبات على ما قال برهانا

وعن إباء الضيم وابتغاء العزة يتمثلون

بقول القائل :

فللدوت خير من حياة يرى لها

على الحر بالأغلال وسم هوان ١٩

وعن قيمة المال يقول حاتم الطائى :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، حتى لقد قتل
أبو عبيدة أباه .. ومصعب بن عمير أخاه ..
وعمر قريبا له . وذلك يوم بدر . ثم قال
عمر للرسول صلى الله عليه وسلم حين استشاره
في أسارى المشركين : لا أرى ما أرى الصديق
يا رسول الله ! هل تمكنني من فلان - قريب
لعمري - فأقتله ؟ وتمكن هليمان عقيل - أخيه
وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست
في قلوبنا موادة للمشركين ١١٤

واعتدل مقياس النصر للآخ أو الحليف
فأصبح نصره ظالما يعني رده عن ظلم
الآخرين . وتطبيقا لهذا قال أبو بكر رضى
الله عنه عقب توليته الخلافة : أيها الناس !
الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ،
والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه !
وأصبح الكرم بذلا منظما بالانفاق في
سبيل الله ، وبالإسهام في خير المجتمع ، وبأداء
الزكاة وتوزيعها بالعدل في مصارفها المحددة .
ولقد قال عز وجل : (وفي أموالهم حق
معلوم . للسائل والمحروم) .

كما قال سبحانه : (إنما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن

وكان لتلك الظاهرة العامة في أخلاق العرب
وتفكيرهم آثار بعيدة المدى في حسن تقبلهم
للدين الجديد ، وعمق تأثيرهم بالمبادئ التي
صادفت هوى من نفوسهم ، وصدى في قلوبهم .
أجل . ! وأصبحت التضحية بالنفس والمال
جهادا في سبيل الله لإحقاق الحق ، وإزهاق
الباطل ! وغدت الجنة غاية ما يسعى المؤمن
للحصول عليه من وراء جهاده : جنة الدنيا
بالحرية والعزة ... وجنة الآخرة بالنعيم المقيم
في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وذلك تأثرا
بمثل قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه
حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن
أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .
وتسأى الحب لله ورسوله - ويتمثل
في اتباع الكتاب والسنة - عن أن يدانى
أو يشابه بحب ما يشتهى من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والالعام والحرث .. نعم . فذلك
متاع الحياة واقع عنده حسن الثأب .

واقعد تأثروا في ذلك بمثل قوله تعالى :
« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يؤادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ... »
وقوله تعالى :

وغداً مقياس التفاضل بين الناس هو
الإيمان والعمل الصالح الذي يتسق في إطاره
خير الفرد بخير المجموع ، وترتبط في بحاله
الدنيا بالدار الآخرة دون أثره أو استعلاء.
فقد قال عز وجل :

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)
وقال سبحانه :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله
إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله
لا يحب المفسدين) .
وبعد

فذلك طرف من تأثير القرآن في الحياة
الإنسانية ، وهدايته إلى التي هي أقوم .
ولا يزال غض الإهاب صالحاً للهداية
والتأثير في كل جيل وفي كل مكان ، رغم
مرور أربعة عشر قرناً من الزمان على نزوله .
وهذا أحد أسرار إعجازه ، وهسي أن نحسن
التقبل له ، والتأثر به ، فهو حجة لمن اتبع
هداه . كما أنه حجة على من أعرض عنه
واتبع هواه وصدق الله حيث يقول .

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً
كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا
لهم عذاباً أليماً ..

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

محمد الطهري أبو النور

السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .
وأصبح التضامن .. مساندة للحق .. على
الباطل ، وذلك وصف القرآن للمؤمنين
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم) .

(أذلة على المؤمنين . أعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم) .

واتسع مفهوم العبادة فشمّل السعى في
طلب الرزق ، واستدراار الخير ، وما نعبر
عنه الآن بالعمل لرفع كفاية الإنتاج ،
وذلك بنحو قوله تعالى :

(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) .
وأصبح الصراع من أجل القبيلة جهاداً
دائماً ، وعملاً رائعاً لتحرير البشرية كلها
من المذلة والاستغلال والخضوع لغير الله ،
وإقرار العدالة والإخاء والمساواة دون تمييز
لجنس على جنس ، ولا لون على لون .
وذلك بمثل قوله تعالى :

(يا هبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة
فإياي فاعبدون) .
وقوله تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقيم الناس بالقسط) .

من ملاحم اليُسْر في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد الشرفاوي

المتعلق مع تليجها . مدى ما تتمتع به الشريعة الفراء كما وكيفا من مراعاة الحاجات الملحة ، والظروف المرحجة وأنها تبعاً لذلك خضعت لعوامل النشوء والتطوير أو كما يقول العلماء : لسنة التدرج في التشريع .

وأمانا جدول الرخص الشرعية الحافل بألوان من تلبية الحاجات الاضطرابية ، والمتلائم مع أطوار الحياة الإنسانية بكل ما فيها من مطالب للجسد ، أو مراقى للروح سواء في ذلك العبادات والعادات والمعاملات والجنايات .

وإذا أخذنا مثلاً لذلك الصلاة ، وهي أقدس الأركان الإسلامية عملياً بدنياً للناس ، وأوثقها اتصالاً بحياتهم اليومية المتجددة . رأينا في مرآة الرخص الشرعية . جسور الصلاة النفيس . وقد غلفته غلالات رقيقة من التسهيلات والمنح الإلهية التي تصدق الله تعالى بها على عباده ... تفضلاً منهم عليهم ، ورحمة بهم . فحينما حلت الصلاة في حلة قشبية من تلك الرخص . لم تفقد قيمتها ولا نفاسها واستحق صاحبها نفس الثواب المقدر لها في أكمل أحوالها ، وأتم أوضاعها . فهي

[٢]

الفاطر من قضا عيف القرآن الكريم إلى ملاح السياسة التشريعية في نطاق الفقه الإسلامي يجد أن خطوطاً عريضة تحدد معالم تلك السياسة ، وتوضح ملاح اليسر والتلطف في سن النظام العملي للأمة الإسلامية ، بحيث تشكل تلك الخطوط في مجموعها إطاراً محدد الأبعاد متميز الطابع لتلك السياسة القرآنية الهادفة إذ أن تلك الخطوط العريضة تلتقي في النهاية في بؤرة معينة تنعكس في معنى الآية الكريمة « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

وإذا ما لاحظنا من خلال الرخص الشرعية العديدة ... ما تنطوي عليه من مرونة ويسر وإسماح ... وجدنا أن إرادة التخفيف هي نبضها الخفيا ، وتيارها المولد لحركتها المجدد لحيويتها . . . وما يلفت النظر في هذا العدد انحصار أطراف الشريعة انحصاراً يسهل الإسلام به في زمن وجيز أو بمجهود ركيز . . . قد تعبر عنه خطبة جامعة أو محاضرة موضوعية محددة ، أو كتيب مستوعب ، وإذا تتبعنا الخطوات التشريعية من زوايتها التاريخية اتضح لنا من إجمالها المتبوع بتفصيلها ، ونسخها السابق لتقريرها وتصريحها

جهة توجهت إليها مطيته.. ولا عليه في ذلك.
وفي هذا إناحة فرص متكاثرة لملاء فراغ
المسافر أو الراكب بالعبادة التي تقربه من الله
زلفى ، ويستغل بها الزمان والمكان الذي قد
يطول .. أو يقصر .. في النافع المفيد .

وقد سبق بذلك العمل من لدن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وسن به للأمة القدوة
الحسنة .. والرخصة المتبعة : روى جابر بن
عبد الله الأنصاري رضى الله عنهما فيما أخرجه
البخارى : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلى على راحلته حيث توجهت به ،
فإذا أراد فريضة نزل .. فاستقبل القبلة ،
ويؤيده ما رواه عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما فيما أخرجه مسلم وأبو داود والبيهقي :
قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصل على حمار وهو متوجه إلى خيبر ،
 والمعروف أن خيبر في اتجاه مضاد للقبلة .

على أن الفريضة ذاتها تخضع لهذا اللون
التساهلي في حال الخوف الشديد حيث يسقط
شرط استقبال القبلة عند الشافعي رضى الله
عنه .. وثمت ناحية جديدة بالاهتمام في
حديث الرخصة والتيسير في الصلاة .. نظراً
لما تقدمه للمسافرين من توسعة ورفق بهم ،
ولإناحة الاستغلال لوقتهم المحدد .. في إبان
الاغتراب والوحشة .. مع غض النظر عما
يصاحب المسافر من أمن وراحة . واعتبار

في حال المرض تأخذ عدة اتجاهات تشريعية
وأوضاع صلاتية تختلف شكلاً وتنفق موضوعاً
وتتحد جزاء .

وفي كتاب الاختيار في فقهه أبي حنيفة
أن من عجز عن الصلاة الواجبة من قيام ...
صلاها من قعود يركع ويسجد ، ومن عجز
عنها قاعدا صلاها مستلقياً على ظهره أو مضطجعا
على جنبه يوحى برأسه لإيماء ومن عجز عن
الانجاء بالرأس سقطت عنه الصلاة إلى غير
بدل ولا قضاء ، وقالوا في تعليلها نقلاً عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« إن الله تعالى أحق أن يقبل عذره ،

ويسوقنا حديث التخفيف في قطاع الصلاة
شكلاً وموضوعاً .. إلى حكاية لون منها ..
يسقط فيه عن المصلى شرط استقبال القبلة ..
الذي ثبت اشتراطه بالقرآن « قول وجهك
شطر المسجد الحرام ، ، وبالسنة .. وذلك
في حديث أخرجه البخارى مرفوعاً إلى
الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صلى
صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ..
فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ،
فلا تخفروا الله في ذمته ، . وذلك اللون
هو صلاة النافلة على الدابة .. ومثلها بطبيعة
القياس . كل وسيلة من وسائل المواصلات
الحديثة .. برأ أو بحراً .. أو جواً .. حيث
يسوغ لمن يريد التطوع بالصلاة بقدر يزيد
عن الفريضة .. أن يتوجه في نافلته إلى أى

الشرعية ، وقبولها قبول الهدية بمن يهديها ..
وفي الحديث الشريف : « إن الله يحب أن
تؤتى رخصه .. كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

وليس حديث قصر الصلاة هذا خاتمة
المطاف في تسهيلات السفر للمسافرين ..
بل هناك الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما ..
إما تقديماً في وقت الأولى .. وإما تأخيراً
في وقت الثانية ، وبالإضافة إلى اختصار
الصلاة الرباعية في ركعتين نجد أن المسافر
قد تمتع باليسر كما وكيفاً ، وانفسح أمامه
وقته إلى مدى يستفرغ فيه كل سعيه اليومي ،
في سبيل بلوغ أهدافه ومصالحه .. إذ
يستطيع أن يصلي الظهر والعصر جمع تقديم
كلا منهما ركعتين في أول وقت الظهر .. ثم
يخلو وقته من الصلاة الواجبة إلى آخر وقت
العشاء حيث يؤدي المغرب والعشاء قبيل
نهاية وقت العشاء جمع تأخير .. أو يؤخر
الظهر إلى قرب نهاية وقت العصر فيصل كل
واحدة منهما ركعتين منفصلتين بتسليمتين
جمع تأخير .. ثم يصلي المغرب ثلاثاً كما هي
مع العشاء ركعتين في أول وقت المغرب
جمع تقديم ..

روى الحاكم بإسناد صحيح عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس
أخر الظهر إلى وقت العصر .. ثم نزل لجمع

حال السفر من حيث هو سفر .. ظرفاً حرجاً
وغير عادي يستلزم المواءمة في التشريع ،
والتسامح في الأداء .

فالسفر الذي يمتد إلى مسافة تسعة وثمانين
كيلو متراً وأربعين متراً .. وهو مثل المسافة
من القاهرة إلى محلة مرحوم - حسب أدق
تقديرات السفر المبيح للرخصة - يعطى
المسافر إمكانية قصر الصلاة .. أي اختصار
الرباعية منها .. وهي الظهر والعصر والعشاء ..
بحيث تؤدي ثلثين ثلثين ، وقد سئل رسول
الله عما إذا كان من الممكن استمرار هذه
الرخصة بعد زوال الخوف الذي اشترطته
آية الكريمة : « وإذا ضربتم في الأرض
فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة
إن خفتم .. الآية ... » ،

فقرر الرسول عليه الصلاة والسلام
استمرار فاعلية هذا القصر في حالتي الخوف
والأمن في نطاق السفر .. بقوله : « إنها
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته »
وسواء أكان القصر الرباعية في السفر عزيمة
وواجباً كما هو رأى أبي حنيفة رضي الله عنه
أم كان رخصة وجائزاً .. كما هو مذهب غيره
من الأئمة الأربعة فيما لا شك فيه أنه تيسير
يصاحب كل مسافر في رحلاته ، وعنوان
على السماحة ودفع المشقة في الشريعة الإسلامية ،
والرسول يدعو إلى الاستمتاع بتلك اللطائف

قبل ، وذكر منها : وجعلتلى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيمأ رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل .

ولو ذهبنا نلتبج مواطن التيسير والترخص في المجالات الشرعية المتنوعة لضاق بنا المقال ولفاض بنا المقام .

وحسبنا أن نكتفى بضرب الأمثال عن استيعاب الأحوال .

ففي قطاع العادات يرخص للمضطر أن يتناول المأكـل والمشروب المحرمة بالقدر الضروري بعد ، إباحة الطيبات من الرزق مأكلاً ومشرباً وملبساً ، واستعمالاً وتمتعاً ، من غير سرف ولا تخيلة ، والنهي عن الخبائث والمحرمات التي تضر بالإنسان حياءً أو عقلياً أو جسمانياً .

وفي قطاع المعاملات تضمنت الشريعة إباحة القرض المالى مع ما فيه من حلة الربا وهى النساء ، ورخص للناس فى السلم : وهو بيع الآجل بالماجل ، بمعنى أن من حق الناس أن يشتروا المحاصيل الزراعية قبل ظهورها مع أن فيه بيع المعدوم .

وفي الجنايات قررت الشريعة تلـمس الأسباب الدارئة للحدود والقصاص وإسقاط القصاص عمن وجب عليه بعفو أولياء الدم كلاً أو بعضاً وإشراك عاقلة القاتل فى تحمل نصيبها من دية المقتول .

بينهما ، فإذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر والعصر ثم ركب ، . . ومع أن أبا حنيفة قد خص رخصة الجمع بين الصلاتين بيوم عرفة فى الحج بالنسبة إلى الظهر والعصر حيث يصلان جمع تقديم فى وقت الأولى مع الإمام . وبالنسبة إلى المغرب والعشاء بالمزدلفة حيث يؤديان جمع تأخير ، . فإن الأئمة الثلاثة يرون عدم تقييد هذه الرخصة بموسم الحج ويرونها صالحة لكل زمان ومكان حال الأسفار .

ومما يتصل بالصلاة فى إطار الرخصة والتيسير .. الطهارة لها .. وهى شرط أساسى من شرائطها التى لا تصح إلّا بها فعند إرادة التطهر للصلاة يتمتع المرء بتسهيلات شرعية أخرى تهون عليه مقصده ، وتفرج عنه ما يجده من ضيق ، فإنه إذا اقتقد الماء إلى بعد ميل على الأقل ، أو عجز عن استعمال الماء لمرض أو حاجة إليه ، أو ارتفع سعره فى مكان تشح فيه المياه إلى أكثر من المعتاد فإنه يستطيع أن يستعوض عن الماء بالأرض بما رحبت من صعيد طيب فيضرب الصعيد الطاهر ضربتين : واحدة لمسح الوجه ، والأخرى لمسح اليدين إلى المرفقين وهو ما يسمى بالتيمم ، وهو طهارة للأحداث كلها قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخارى عن جابر : دأعطيت خمسا لم يعطهن أحد

في الحج والعمرة . ومن ارتكب إحدى المخالفات الموجبة للمواخذة .. وجد في الذبائح أو الصيام أو الصدقات كفارات لمخالفاته ، وتكميلاً لحجه ..

وقد أجل الفقهاء تلك الرخص الشرعية تبعاً لاستقراء مواضعها ، وتنبع مواردها فيما يأتي :

أولاً : إسقاط العبادة .. كسقوط الحج عن غير المستطيع .
ثانياً : إبدالها بغيرها .. كالتييم بدلا عن الماء .. ومسح الخفين بدلا عن غسل الرجلين .

ثالثاً : التقديم والتأخير .. كالجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما .

رابعاً : التغيير .. كنظام صلاة الخوف المخالف لصلاة الأمن شكلاً .

خامساً : الإباحة . كشرب الخمر لمن به غصة وهو بلا ماء .

وفي تخطيط القرآن الكريم لإطار الشريعة الغراء .. نجد ملاح هذا اليسر بارزة المعالم .. كما تتعاقب ظلال هذا الإطار وأضواؤه على معنى التلطف بالناس . ومدافعة الحرج عنهم ، وتعبيد الطريق أمام مسيرتهم الدنيوية الصاعدة .. والقضاء على كل العوائق المشببة لهم .. أو الصارفة للعزائم .. وقد وصف الله تعالى رسوله في القرآن الكريم بقوله :

كما شرعت الكفارات على اختلاف أنواعها وتفاوت أقدارها ، لرفع آثار الذنوب ، ومحو معالم الخطيئة .

فهناك كفارة اليمين عند الحنث فيه ... وكفارة الإفطار عمداً في نهار رمضان ، وكفارة القتل غير العمد ، وكفارة الظهار .. وكلها آيات رحمة بالمذنبين ، وسبيل خلاص للمسرفين .. الذين أحاطت بهم خطيئاتهم من كل جانب ، وتورطوا في أحوال الآثام .. فتجبر ما وقع من نقص ، وتزجر من تحدته نفسه بالمخالفة والتقصير

وفي الصيام تتجلى إرادة التخفيف عن الصائمين واحتجة جليلة . بإسقاط الصوم عن الشيخ والشيخة إذا شق عليهما الصوم مشقة بالغة .. على أن يخرجاً فدية طعام مسكين عن كل يوم أفطرا فيه .. كما يؤجل الصوم عن المسافر - إذا شاء - وعن المريض والعاجز عجزاً موقتاً .. وعن الحائض والنفساء ، والمرضع إذا احتاجت للقطر .. وذلك إلى أن توانهم صحتهم وإمكانياتهم من معاودته في أيام آخر .

وفي الحج نجد بصمات اليسر والترخيص بالنسبة إلى من أعوزته النفقة أو الوسيلة الانتقالية . أو توقع الخوف حيث لا يجب عليه حج في هذه الأحوال .. ومن افتقد من نفسه القدرة بصفة دائمة أناب عنه غيره

« ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، كما تفضل سبحانه وتعالى بتجديد دائرة التكليف كلها من أمر أو نهى ، ومن فعل أو ترك بدائرة الوسع الشخعي ، والطاقة الذاتية . .

وما خرج عن تلك الدائرة الفطرية . . فهو إما ساقط أو مؤخر قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، . . لا يكلف الله نفساً

إلا ما آتاها ، . . وما جعل عليكم في الدين من حرج ، . . ولو شاء الله لاعتقكم ، . .

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، . . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ، .

وأخيراً - وليس آخراً - نجد أن الاتجاهات العامة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها . . سواء منها ما يتصل بحياته الخاصة . . أو بسيرته العامة . . تستوحى مبدأ التيسير فيما تأخذ وما تدع . . وتؤثر أسلوب التخفيف والتلطف في أموره كلها . . وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها :

« ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً . . فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه ، .

محمد محمد الشرفاوي

« العقل تزيده الطاعة ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قرباً . قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال : اجتنب محارم الله ، وأد فرائض الله تسكن عاقلاً ، ثم تنفل بصالحات الأعمال تزدد في الدنيا عقلاً وتزدد من ربك قرباً وبه عزاً ، .

صيانة الأعراض في الإسلام

للأستاذ مصطفى الطيّر

- ١ -

الزواج والبغاء قبل الإسلام :

تمهيد :

قال ابن شهاب الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينسكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (١) أرسلني إلى فلان فاستبضعي معه (٢) فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإلما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد . فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر ، يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، وتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت

بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وقد فشا في الناس ألوان من الأخلاق المنحرفة والعادات الذميمة إلى جانب ما هم عليه من عقائد فاسدة وشرائع مبدلة ، فلهذا جاءت الدعوة المحمدية لإصلاح ما فسد من أمور الناس ، حتى يسيروا في شئون معاشهم ومعادهم على سبيل راشدة .

ومن أهم ما عني به الإسلام بعد توحيد الله تعالى صيانة الأعراض من الدنس ، وحفظ الأنساب من الدخيل ، فقد كان بعض ألوان الزواج سفاحاً ، وبعضها يؤدي إلى السفاح كما كان البغاء منتشراً سرا وعلناً ، فلهذا جاء الإسلام بعدة تشريعات على سبيل التدرج لعلاج هذه الانحرافات ، وكان بعض هذه التشريعات وقائياً ، وبعضها عقابياً يضمن بين أهطافه الوقاية من العودة إلى مثل الجريمة التي كان العقاب من أجلها ، وردع الغير وإبعاده عن ممارسة ما فعله المعاقب وقبل أن نتحدث عن هذه التشريعات نبين فيما يلي ما كان عليه الناس في أمورهم الجنسية .

(١) الطمث الحيض .

(٢) أى اطلبي منه أن يجامعك يحملها بذلك على الزنى .

أب نجيب استعقب أولادا لا نجابة فيهم لأن الله تعالى لم يخلقهم على استعداد لها ، أو لما صادفهم من عقبات حالت دون نجابتهم ، كالمرض وصحبة المتخلفين عقليا ، وكمن أب غير نجيب استعقب أولادا هم شعلة في الذكاء ولأن الله تعالى منحهم أسبابا وهيا لهم فرصة .

كما عرفنا من النوعين الثالث والرابع استهتار الحرائر بأعراضهن إلى هذا النحو من الاستعلان والعمومية وأن ولد السفاح كان يلحق بالرجل بمشيئة المساختة أو بقول القائف وقد لا يكون منه .

وبما قاله القرطبي عرفنا أن الحرائر والإماء كن يمارسن البغاء جهارا . ويرفعن الرايات على بيوتهن ليقصدهن أهل الإثم والفجور .

ولقد كانت الإماء يمارسن البغاء بأمر سادتهن ، فقد كانوا يتجرون بأعراضهن . ومن سفاحن كانوا يرتزقون ، وفيهم يقول الله تعالى : ولا تذكروها فتياتكن على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ولشيوع البغاء اشتربت قريش حين أرادت إعادة بناء السكبة قبيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يساهم أحد في بنائها بأجر امرأة أو أمة بغى ، إعظاما للسكبة وتنزيها لها عن أن تبني بمال دنس وكصب قذر مهين .

فهذا ابنك يافلان ، تسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونسكاح الرابع ، يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها . وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت لإحدهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة (١) ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالناط به (٢) ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نسكاح الجاهلية كلها إلا نسكاح الناس اليوم .

وقال القرطبي . كان في ذلك الزمان زنى النساء فاشيا ، وكان لإماء العرب وبغايا الوقت رايات ، وكن مجاهرات بذلك (٣) . فن النوع الثانى لزواج الجاهلية المروى عن عائشة عرفنا أن الأزواج لم يتورعوا عن السماح لزوجاتهم بالزنى رغبة في نجابة الولد ، فبئست الوسيلة لغاية تتحقق عن غير طريقها ، فإن نجابة الولد تأتى من طريق التربية الحسنة والبيئة التي يتربى فيها ، إلى جانب التكوين العقلى الذى شأه الله له ، فكم من

(١) هم الذين يلحقون الابناء بالآباء وبعلامات يعرفونها .

(٢) أى التصق به وتبعه فى النسب .

(٣) ص ١٦٠ ج ٥

خملات يستمتع بهن لأن زوجته لا تكن فيه أولانها غير جميلة الذات والطباع والعادات .

والطلاق عند هؤلاء ممنوع حتى يثبت الزنى على الزوجية ، وهيات للزوج أن يستطيع إثباته وحينئذ يستمر في عشرة زوجته العاثة على كره منه ، أو يبعث بها إلى أهلها وفي كلتا الحالتين ينفس عن نفسه بالانحراف إلى الزنى ، لأنه لا يستطيع أن يتزوج سواها بعد عجزه عن تطلقها ، وقد تكون الزوجة عاقرا والزوج منجبا وهو يريد الذرية ، ولكنه مقهور على البقاء مع زوجته ولا يستطيع أن يتزوج معها أخرى ، فيعيش مكبوتا ، ويجد نفسه مدفوعة إلى الانحراف تنفيسا وترويحاً ولا يزال هذا الوضع ملازماً لهذه الطائفة من أهل الكتاب ، بل زاد حدة في هذا العصر ، ففي هذا العام أحصى بعض الجهات المعنية بالإحصاء ببعض الدول الغربية عدد المواليد سفاحاً فوجد أنه واحد في كل سبعة مواليد .

وهذا الإحصاء لا يمثل نسبة الزنى على الحقيقة فإنه يعتمد في نسبة الولد غير الشرعى أن أمه التي ولدته فتاة لم يسبق لها زواج ، أو امرأة مطلقة من زوجها طلاقاً مدنياً أو بسبب زناها أو امرأة توفي عنها زوجها ، وأغفل من حسابه المرأة المتزوجة المنحرفة التي تحمل وهي

وكان الرجل من العرب قبل الإسلام يتزوج من حرائر النساء العدد الذى يشاؤه ، وقد أسلم بعضهم وعنده عشر نساء كخيلان بن أمية الثقفى ، وأسلم بعضهم وعنده ثمان كعوارث ابن قيس الأسدى .

ولا ريب في أن الرجل الواحد لا يستطيع أن يقوم بإعفاف هذا العدد الكثير ، فكان بعضهم ينحرف خصوصاً المهجورات منهم ، كما كانت بناتهن اللاتي يلهن هذا العدد من النساء لا يجدن أسباب الصيانة فكان ينجن هذا المنهج الوضع ، ولا غرابة في ذلك فقد كان العرب يرتزقون من رعى الأغنام في مراعى بعيدة عن مساكنهم ويغيبون عن بيوتهم وقتاً طويلاً . كما كانوا يسافرون للتجارة إلى أقطار بعيدة . فلهذا كان شياطين الإنس من دعاة الأغنام والأعراب والجيران يجدون السبيل ميسرة إلى تحقيق أغراضهم الجنسية في غيبة أولئك الأزواج .

ولقد كان بعض الأزواج يتقى الفضائح في عرضه بواد بناته وقتلن صغيرات قبل أن يبلغن المحيض حفرا من العار الذى ينمظرهن مستقبلاً ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » .

كما كان بعض أهل الكتاب لا يتزوجون سوى امرأة واحدة تبعاً لشريعتهم التي تمنع تعدد الزوجات ، وكثير منهم كان يتخذ له

الزواج في الإسلام ووقايته للأهراض :
 قدمنا لك أحوال الزواج قبل الإسلام
 وما كان يؤدي إليه من الانحرافات بسبب
 كثرة الزوجات أو الاقتصار على الزوجة
 الواحدة ، وذكرنا لك انحراف الجنسين
 إلى السفاح سرأ وعلناً ، والآن نبين لك ما جاء
 به الإسلام من التشريعات الواقية من الانحرافات
 والتشريعات الرادعة عنها ، ونبدأ بالاولى
 فنقول وبالله التوفيق

أنزل الله تعالى في سورة النساء قوله :
 « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
 ورباع ، وهذه الآية تبيح للزوج أن يتزوج
 من واحدة إلى أربع لا يزيد عليهن ، وأن يجمع
 بينهن في عصمته ، وإنما سمح له بذلك لأنه
 يقدر على إعفافهن ، ولأن كل واحدة من الأربع
 تستطيع الصبر على بعد زوجها عنها ثلاثة
 أيام بلياليها عندما يكون عند ضررتها ،
 وسنبين حكمته بعد .

ومن أطرف القضايا التي عرضت على عمر
 ابن الخطاب قضية تدل على إمكان صبر المرأة
 عن زوجها هذه المدة ، وهي أن امرأة أتمته
 فقالت يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار
 ويقوم الليل ، فقال لها نعم الزوج زوجك ،
 فجملت تكرر عليه القول ويكره عليها الجواب
 فقال له كعب بن سور الأسدي يا أمير المؤمنين
 هذه الزوجة تشكو زوجها في مباحته إياها

في عصمة زوجها من غيره وتلد وتنسب
 ولدها هذا إلى زوجها مع أنه من سفاح .

كما أن بعض الفتيات والنساء غير المتزوجات
 يستعملن الحبوب المانعة من الحمل ، وما أكثر
 السفاح الذي لم يظهر له أثر إنجابي بسبب
 استعمال هذا العقار ، فالجهة التي قامت بالإحصاء
 أغفلت هاتين الحالتين ، ولم تجعلهما في حسابها
 ولو استعطاعت لظهرت لها نسبة الزنى
 بشكل مروع .

وكل ذلك ناجم عن إيجاب الاقتصار
 على الزوجة الواحدة ، مع قلة الرجال بسبب
 فناء بعضهم في الحروب ، فهم لا يكفون
 النساء ، كما أنه ناجم عن الأسباب التي
 قدمناها .

وإنك لتجد في هذه الطائفة من يعيشون
 رهبانا ورهابيات في الأديرة ، فلا الرجال
 منهم يتزوجون ولا النساء ، وكثيراً ما يحدث
 بين الجنسين الاختلاط غير المشروع وينتهي
 إلى ولادة غير مشروعة ، ومن أجل ذلك
 لم يرض الإسلام بحالة الترهّب ، قال صلى الله
 عليه وسلم « لا رهبانية في الإسلام » ، فإن
 طبيعة الجنسين التي فطرها الله عليها توجب
 الاتصال الجنسي فلذا يجب الزواج حذراً
 من ارتكاب خطيئة الزنى والاستيلاء
 غير المشروع .

أمرهما أم من حكمك بينهما ، اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

وقيمة هذا التشريع في الوفاة من الزنى واضحة في كل من الرجل المرأة ، وفي تكثير عدد المسلمين ذلك أن الرجل قد يجد أن المرأة الواحدة لا تكفيه ، أو يجد نفسه تتطلع إلى أفضل من الزوجة التي تزوجها فسمح له أن يتزوج هذا العدد لا يتعداه حتى لا يحيف على أكثر منه بالترك والإهمال كما أن السماح به منعه من أن يتحدث نفسه بالانحراف إذا ما يجد فيه ما يغنيه عن التردى في الرذيلة كما أن النساء يجدن من يتزوجن خصوصا بعد الحروب التي يغني فيها الكثير من الرجال ، وفي ذلك إعفاف لمن ، كما أنه يساعد على أن يتجنب الرجل الواحد من هذا العدد أكثر من إنجابه من زوجة واحدة ، وبذلك يسكن عدد المسلمين حتى يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم وقد بدأ المسلمون قلة فكان هذا التشريع سببا في كثرتهم وصمودهم عبر الأجيال أمام أعدائهم من أهل الأديان المختلفة .

ولما نزلت هذه الآية الكريمة أمر النبي صلى الله عليه وسلم من عنده أكثر من أربع نساء أن يختار منهن أربعا ويفارق غيرهن . وقد اشترط الإسلام لجواز الجمع بينهما أن يكون الزوج صادق العزم على العدل بينهما وإلا حرم عليه ، قال تعالى : فإن خفيتم

عن فراشه ، فقال له عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما ، فأحضر زوجها وقال له : إن امرأتك هذه تشكوك ، قال أفى طعام أم في شراب ، قال لا ، قالت المرأة : يأبىها القاضي الحكيم رشده

ألهى خليلي من فراشي مسجده زهده في مضجعي تعبه فاقض القضا كعب ولا تردده نهاره وليله ما يرقده فلست في أمر النساء أحده فقال زوجها :

زهدي في فرشها وفي الحجل (١)
أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جمل
فقال كعب :

إن لها حقا عليك يا رجل
فصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام بلياليها تعبد فيها ربك ، فقال عمر : والله ما أدري من أي أمر بك أعجب ، أمن فهمك

(١) جمع الحجلة ، وهي بيت يزين للعروس بالثياب والستور .

الفساء ، وقل للمؤمنات يفضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ، ولقد كانت فتحات الصدور واسعة تبدى من النساء صدورهن ، وكن يسدن الخمر من ورائهن فتبقى صدورهن مكشوفات ، فأمرن بأن يسدلها من قدامهن حتى تغطيها ، والخمر جمع الخمار وهو غطاء الرأس للمرأة ويسمى الطرحة في العرف المصرى ، ولولا ضيق المقام لشرحت هذه الآيات الخاصة بوجوب الستر وكف النظر .

عقوبة الزنى وتدرجها :

أول عقوبة في الإسلام في حق الزناة جاءت في قوله تعالى د واللاتي يأتين الفاحشة من من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا .

فإذا شهد أربعة شهود عدول على واقعة الزنى تفصيلا أمسكت المرأة في البيت حتى تموت عقوبة لها حيث طلبت المتعة من غير وجهها ، فخرمت منها إلى أن تموت أو ينزل الله في حقها حكما آخر ناسخا لهذا الحكم .

وهذه الآية لم تتضمن حكم الزناة من الرجال فلماذا أنزل الله تعالى بعدها د واللدان يأتيناها

أن لا تعدلوا فواحده ، فن خاف الجور وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة .

وبهذا البيان علم على أن هذا التشريع وقاى ضد الانحراف والسفاح في كل من الرجل والمرأة بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية ، وما عليه بعض أهل الأديان .

ومن التشريعات الوقائية لإيجاب احتشام المرأة في لباسها ، وعدم إظهار زينتها إلا على زوجها ومحارمها ومن في حكمهم ، وأن لا تبدى من جسمها إلا وجهها وكفيها في غير زينة وأصباغ .

وأن يفض كل من الرجل والمرأة بصره عن الآخر ، فإن النظر سفير بين القلوب قال تعالى د يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، ودخلت أسماء بنت أبي بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال يا أسماء د إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه .

ويقول الله تعالى في حق الرجال د قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، الآية ، وفي حق

وهذه الآية هي السبيل التي وعد الله أن يجعلها لعقاب المسالخات ، وبها نسخ الحبس والإيذاء في الآيتين السابقتين ، وقد دلت على أن كلا من الزانية والزاني يجلد مائة جلدة وأن لا ترأف بهما مهما كان مركزهما الاجتماعي فإنه لا فرق في حدود الله بين رفيع ووضيع كما قال صلى الله عليه وسلم ، والله لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، كما أوجبت أن يشهد هذا الجلد طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل بالزانيين ، وردعا لغيرهما من اقتراف مثل ما اقترفا .

وقد كانت عقوبة الجلد المذكورة عامة لمن تزوج ومن لم يتزوج ، ثم تدرج الحد فخص الجلد بمن لم يتزوج ، وجعل الرجم بالحجارة حتى الموت لمن سبق له الزواج ، فإن جنائيته أعظم لسبق إعفافه بالزواج .

وقد أخذ دليل الرجم من السنة ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوجع ماهز والغامدية بسبق زواجهما ، كما أخذت من قوله صلى الله عليه وسلم لا نيس ، اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها .

وقد اختلف في الجمع بين التعريب طاماً وبين الجلد لغير المحصن ، وفي الجمع بين الجلد والرجم للمحصن ، فمن العلماء من قال بالجمع ومنهم من منعه ، والمقام لا يسمح بمناقشة أدلة الطرفين .

منكم فأذوهما ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ، الآية ، ومنها علم حكم الرجال وهو الإيذاء ويكون بالنيل باللسان والضرب بالفعال كما قاله ابن عباس .

قال مجاهد وغيره ، الآية الأولى في النساء عامة محصنات وغير محصنات ، والثانية في الرجال خاصة ، والمراد من الثنتية الصنفان من الرجال ، من أحسن بالزواج ومن لم يحسن به ، فمقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الأذى ، واختار هذا الرأي النحاس ورواه عن ابن عباس .

وقيل كان الإمساك في البيوت للمرأة الزانية دون الرجل . ثم نزلت الثانية فأشركت الرجل معها في الإيذاء . قال قتادة كانت المرأة تحبس ويؤذيان جميعا وهذا لأن الرجل محتاج إلى السعى والاكتساب .

وقيل إن الثانية نزلت قبل الأولى وإن كانت بعدها في المصحف . وإن العقوبة كانت الإيذاء لها وزادت المرأة الحبس بعد ذلك ، والأول أرجح وأولى لاتفاقه مع ترتيب المصحف .

والعقوبة الثانية للزناة جلد الزاني ذكر أو أنثى مائة جلدة لقوله تعالى ، الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين .

الاعفاء من الرجال بإجماع الأمة ، وإنما جاء النص خاصا بالنساء لأن قذفهن أشد إبلاما وأشنع ، وحكى الزهراوى أن المعنى والذين يرمون الانفس المحصنات ، فهى على هذا التأويل تشمل الرجال والنساء نصا .

وقد تضمنت الآية ثلاثة أحكام (الاول) أن يجلد القاذف ثمانين جلدة (والثانى) أن لا تقبل شهادته أمام القضاء طول حياته ، (والثالث) أنه فاسق أى خارج عن طاعة الله ثم قال تعالى : « إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » .

والعلماء فى هذا الاستثناء آراء ، فالشعبي يرى أن القاذف إذا تاب وفعت عنه هذه العقوبات فلا يجلد ولا ترد شهادته ، ويفتق عنه الغش ، وأيد كلامه بقوله تعالى « وإنى لغفار لمن تاب ، الآية ، وما قاله الشعبي بالنسبة للجلد مخالف لإجماع العلماء ، فإن التوبة عندهم لا تمنع الجلد ولم يكنهم اختلفوا . هل يبقى مردود الشهادة بعد توبته أم تقبل شهادته ، فالجمهور على قبولها لأنها إنما ردت لفسقه ، وقد زال بالتوبة ، وعلى هذا يكون الاستثناء واجعا إلى رد الشهادة والفسق ، وقال جماعة آخرون إنه راجع إلى الفسق ، فإذا تاب زال فسقه ، ولكنه يجلد وترد شهادته طول حياته .

على رسلك أيها المنحرف :

قد علمت أيها المنحرف عن سواء السبيل

ولا يقام الحد جلدا أو رجما إلا بعد ثبوت الزنى بإقرار الزانى أو بشهادة أربعة شهود عدول على واقعة الزنى تفصيلا ، وينبغى للقاضى أن يتحقق أن الزانى يريد من إقراره حقيقة الزنى ، فقد يظن الملامسة أو المداعبة زنى ، فإن الغامدية لما قالت للرسول زنى فطهرنى قال لها ما معناه : لعل أحدا قبلك أو لامسك فظننت أن ذلك زنى ، فقالت لقد زنى وأنا حبل ، فلم يشأ أن يقيم عليها الحد حتى تضع حملها . لى لا تقتل معها نفس بريئة ، بل قال لها : « أما الآن فاذهبي حتى تضعي ، فلما وضعت جاءت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته فقال « اذهبي فأرضعيه حتى تفتطميه » ، فلما فطمته أتت به وفي يده كسرة خبز ، فلم يبق بد من إقامة الحد عليها فرجمت ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فحلى عليها ودفنت .

عقوبة قذف العفيفات بالزنى :

أحاط الإسلام أعراض العفيفات بالحماية فشرع حدا لمن يقذفهن بالزنى ، قال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » ، والمراد من رمين قذفهن بالزنى .

وهذه العقوبة تكون أيضا لمن يقذف

القلوب ثم محظاتها بعد أن يقضين من أصحابها لباثنتهن .

تزوج أيها الشاب العاثر واعصم بالزواج بصرك وشهوتك من الحرام ، فإن كنت متزوجاً فمش مع زوجتك راضياً بحلالك ، وانصرف عن غيك مبكراً قبل أن تحل بك نقمة الله ، قال صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

وقال : لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، وقال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ، وعن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم . قال : أن تجعل لله نداً ، قلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أى قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قلت : ثم أى . قال : أن تزنى بحليلة جارك ، رواه الشيخان .

مصطفى محمد الحميدى الطبر

كرامة الأعراض عند الله تعالى ، وما أحاطها به من الصيانة وما أنزله من عقاب لمن غوى وضل عن سواء السبيل ، فكيف تحدثك نفسك بعد ذلك بالاعتداء على حليلة جارك أو ابنته أو أخته أو أمة امرأة أو فتاة مسلمة أو غير مسلمة ، أنحب أن غيرك يصنع بزوجتك أو قريبتك مثل ما صنعت به بنات الناس ، فإذا كرهت ذلك الإثم في حق نفسك فلماذا تقترفه في حقوق الناس ، أفأنت آمن أن ينقم الله منك في عرضك فيفضحك كما فضحت سواك ، وإنه لفاعل ، فكأندين تدان .

هل قدرت ماذا سيكون بعد إثمك ، إنه جنسين يتحرك بين أحشاء الفساجرة التي استجابت لك وصوف ينسب زورا إلى زوجها إن كان لها زوج ، أو تتخلص منه خليلتك إن لم يكن لها زوج ، فتكون أنت سببا في قتل نفس حرم الله قتلها على يد أمه العائرة .

أفلا يفيق ضميرك فتعلم أن الزواج هو أسمى صلة بين الجنسين ، وأنه هو الوسيلة الشريفة لبقاء الجنس البشرى ، وأن الزوجة هى الوحيدة التي يسكن إليها الفؤاد ، أما بنات الهوى فهن بائعات الغرام وصائدات

عنصر الفكرة في الحديث النبوي

للككتور محمد رجب البيومي

- ٢ -

ضمن أفسكارا هامة في التنفير من الاحتمال على السرقة ، وتعذيب الحيوان الضعيف ، ومن تحقيق وجود الجنة والنار على وجه يقطع الشك ! وهذا كله لا يترك صداه البعيد في النفس إذا سيق مجردا من طرافته الجديدة إذ سيق في مشهد يصور صلاة الرسول وقد تأخر قليلا حين لمس لفح النار وشاهد بعض المعذبين ثم تقدم حين رأى الجنة وهم أن يتناول من ثمرها فبدأ له ألا يفعل ! وشاهدان آخران لهذه الطرافة الجديدة في عرض الفكرة بترأ يان في قوله صلى الله عليه وسلم .

عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا أعملت من الخير شيئا قال لا ، قالوا تذكر ، قال كنت أداين الناس فأمر فتياني أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر فقال الله تعالى تجاوزوا عنه (١) .

وفي قوله عليه السلام :

عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا مات ولد العبد قال الله

لقد كسفت الشمس ذات يوم فوقف رسول الله صلى صلاة الكسوف متجها إلى ربه فبصر به أصحابه يتباعد قليلا في الصلاة عن مكانه ثم يعود إليه ثانية قبل أن يختم صلاته فستل عن ذلك فقال فيما رواه مسلم (ما من شيء توعده الله إلا قد رأيت في صلاتي هذه ، لقد جئتم بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يحرق صبيبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال إنما تعلق بمحجني ، وإن غفل عنه ذهب به وحتى رأيت صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت جوعا ثم جئتم بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حين قمت في مقامى ، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها فأنظروا إليه ثم بدا لي ألا أفعل ، فإني توعده الله إلا رأيت في صلاتي هذه) (١) .

لك أن تعيد هذا الأثر مرة ثانية اترى كيف

مبتقاربة أفانت حين تسمع مثلاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

الخيل ثلاثة هي لرجل وزر ، وهي لرجل ستر ، وهي لرجل أجر ، أما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء ونفرا ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظمورها ولا رقاها فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أروضة فما أكلت من ذلك المخرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له أبوالها وأرواؤها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب له عدد آثارها وأرواؤها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت ولا يريد أن يسقيها إلا كتب له عدد ما شربت حسنات (١) .

فحمد صلى الله عليه وسلم بهذا التحديد الدقيق لأنواع الخيل قد استعرض في تأمل صامت أحوال ذوى الخيول بمن يناوئون بها الحق ومن يعملون بها لأنفسهم ومن يعملون بها لله ثم أفاض في مزايا النوع الأخير لأنه الهدف الأول من مساق الحديث إذ هو في سياقه النبوي دعوة صريحة إلى إعداد

لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم ، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد (١) .

فالشاهد الأول : يشير إلى روح التعامل المقسمة بين الناس في البيوع والمعاملات . والشاهد الثاني : يدعو إلى الصبر عند فقد الأبناء ولكن سياقها الأدبي كان من الطرافة بحيث جعل فكرتي الحديشين تتغلغلان في النفس المؤمنة إلى أبعد مدى استطاع !!

ولعلنا نكتفي بما تقدم من الأمثلة الخاصة بطرافة الفكرة لنستدل على تحديد المعاني وتسلسلها في الآثار النبوية ببعض الآثار .

إن تحديد المعاني من سمات المفكر الملمن الذي يجيل النظر طويلاً في الأشياء والحواطر ، ليقرن النظائر إلى النظائر ، وليجمع بين الأمور المتقاربة في أحكام تشابه على قدر ما بينها من الاتفاق ، وصاحب هذا التحديد الدقيق فوق إدراكه القوى ونظرة المحيط ذو خبرة حاذقة بدخائل النفوس ، فهو في تحديده الضابط يختصر مسافات بعيدة من الفحص اليقظ والتبصير الهائب ليقدم خلاصتها الموجزة مركزة في عدة نقاط

حتى يصيب قواما من هيش فما سواهن
 من المسألة يا قبيصة يا كلها صاحبها سخا (١).
 لا يدرك قيمة هذا التحديد الدقيق في هذا
 الاثر الكريم إلا من يعلم أن المال مهوى
 كل طامع ، وأن النفوس قد جبلت على حبه
 والاستزادة منه حتى لتشتط فترتكب ما نهى
 الله عنه في سبيله ! وكمن أكاذيب منكرة
 اخترعت اختراعا لا يتزاه من الكرماء فضلا
 عن الأنفس الشح ، والرسول في مكان الزعامة
 من المسلمين فلا ينفك يأتيه الطارقون صباح
 مساء سائلين راغبين ، منهم الصادق ومنهم
 الكاذب ! ولا بد أن يرسم قانونا دقيقا للمسألة
 متى تحل ومتى تحرم ، ولا بد أن يستعرض
 أحوال عصره من احتمال المغارم لدى الرؤساء
 واختراع الخيل لدى الطامعين ، والركون
 إلى الكسل دون العمل عند من يعشقون
 الفراغ ثم يقسولون ! لا بد أن يستعرض
 جميع ما مر عليه من أمور الناس وما يحتمل
 أن يمر عليه من صنوف السائلين ، ثم يحدد
 المسألة المشروعة في ثلاثة أحوال عند تحمل
 الحملات وعند نزول الجوائح وعند الفقر
 المعسر ! ولكن بعض الناس ينتهزون الفرص
 ليستولوا على المال من غير طريقه فلا بد
 من تحديد آخر لهؤلاء ، فصاحب الحملة
 تحل له المسألة حتى يصيبها ويمسك ! لا أن
 يطوف بالناس فيجمع ويجمع بحجة أنه تحمل

القوة الضاربة في الإسلام وقد كانت الخيل
 من أعظم مظاهرها وأقواها تأثيراً في عصر
 الدعوة الإسلامية ! وأعتقد أن سامعي
 الحديث من الصحابة قد استعرضوا أنفسهم
 استعراضاً دقيقاً في ضوء ما ذكر الرسول ،
 وقد فطنوا في بصيرة مؤمنة إلى من ينطبق
 عليهم الوصف الأول من مجاورتهم من المنافقين
 أو المشركين وإلى من توسطوا كتمني بالستر
 عن الأجر ثم طمحت نفوسهم أن يكونوا
 بين من ربطوا خيولهم في سبيل الله لأهل
 الإسلام ، وقد راعتهم بعد ذلك هذه الفراسة
 البصيرة في استشفاف النفوس ، وهذه القدرة
 النافذة على التحديد والتشخيص ! وقريب
 من هذا الاثر الجامع المحيط قول النبي
 صلى الله عليه وسلم في أثر آخر .

عن قبيصة بن مخارق الهلالي - رضى الله عنه -
 قال : تحملت حمالة فأثيت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أسأله فيها ، فقال أقم حتى تأتينا
 الصدقة فنأمر لك بها ، ثم قال يا قبيصة
 إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة ، رجل يحمل
 حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ،
 ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له
 المسألة حتى يصيب قواما من عيش ورجل
 أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا
 في قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة

الأمور الثلاثة المنصوص عليها في بقطة وحرص ، محاذرا أن يكون على شيء منها وكأن هذه الثلاثة تسد عليه الأفق ، فإذا وجد منها انفلاتا فقد استراح ، وإذا وقف أمام بعض أبوابها فإنه ليجتهد أن يدفعه هن وجهه !

وهذا هو التأثير الجاذب لسطوة العدد يلقي في مفتتح الحديث ! فهو لا محالة نوع من التحديد الفني أما تسلسل الفكرة فما أشد وضوحه في البيان النبوي ، والفكر المكين هو الذي تتساقق أفكاره متتابعة وكأنها ماء يطرد في نهر مستقيم القاع ! أما من يستعصى عليه التسلسل المطرد فهو لا قط مقصد يجمع شاردة من هنا وواردة من هناك ليلا بها الوقت إن تحدث ويسود بها الورق إن كتب وإن يجد من السامع أرقا رأى سوى الضيق فهو يقسمال فافرا عن هذه المعاني يزحم بعضها بعضا دون ترتيب ! وإذا راقق النفس ففكرة ثم وليتها ففكرة أخرى غير متجانسة ، فإن الثانية تعصف بمحاسن الأولى وتغني عنها دون انتظار ! وإن نحتاج في مجال الحديث عن قسلسل البيان النبوي إلى غير الاستشهاد بقوله دون تعليق لأن انسق النبوي في اطراده المتسلسل وتلاحقه المتتابع لا يهوج إلى تنقيب فهو من وضوحه الساطع بحيث تغمره أشعة الشمس بأمواج الضياء .

بعض الحالات وقد أرى ما جمعه على ما أعطاه ! وصاحب الجائحة تحل له المسألة حتى يصيب قواما من عيش لا أن ينهزها فرصة للاستجداء المتواصل ! وصاحب الفاقة لا بد أن يشهد ثلاثة من ذوى الحجا على فاقته حتى تحل له المسألة منعا للدعاء المنكر والإلحاف المبهين في غير حاجة ! ! وذلك بعض ما خطه هذا الأثر الحكيم !

ومن التحديد الملفت ما يتقدم به الحديث النبوي من ذكر العدد كأن يقول رسول الله ثلاثة من كن فيه كان منافقا خالصا ، أو اتقوا السبع الموبقات ، أو لا حسد إلا في اثنتين ، أو سبعة يظلمهم الله في هرشه يوم لا ظل إلا ظله ، ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم إلى ما ينحو هذا النحو وهو كثير في الحديث الشريف ، وقد ألف الأصوليون أن يقولوا في كتبهم أن العدد لا مفهوم له ، وهو قول له دلالة التشريعية دون نزاع .

ونحن هنا لا نبحث عن الدلالة التشريعية ، ولكننا نبحث عن الدلالة التأثيرية ، وهي المقصودة من الأسلوب الأدبي في عالم البيان لأن السامع حين يسمع لأول وهلة قول الرسول آية المنافق ثلاث لا ينصرف ذهنه إلى أن للمناق أكثر من عشرين صفة يمكن إحصائها بسهولة ، ولكنه يتبع

وإليك بعض النماذج من المأثورات :

١ — عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وأن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على الجاهل كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه به أخذ بحظ وافر ، (١) .

٢ — عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكلما قرب بدنه ، ومن راح في الساعة الثانية فكلما قرب بقرّة ومن راح في الساعة الثالثة فكلما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكلما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكلما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر ، (١) .

٣ — عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم ضال إلا من استهديته فاستهدوني أهدكم يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادى إنكم إن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعى فتشفعوني ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصتها لكم ثم أوفيتكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، (١) .

٤ — عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نفس

(١) التاج ج ١ ص ٥٧ .

(٢) التاج ج ١ ص ٢٩٨ .

(١) التاج ج ٥ ص ١٥٦

في مقالة له تحت عنوان البلاغة بين الإيجاز والإطناب قال فيه .

«وملاك الإيجاز غزارة المعاني ووضوحها في الذهن وطواعية الألفاظ ومرونتها في اللسان ، وإنما يسكون المعنى والثروة ومضغ الكلام من جذب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق وقديما قالوا ، من ضاق عقله اتسع لسانه ، لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكتاب لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة فيدورون حولها مجمعين بالكلم الفوارغ ، والجل الجوف إلى أن قال ، والإيجاز في البليغ قوة وروية وجهد لأن الإيجاز غزلة ونخل وتصفية وتنقية وتصعيد وتركيز وذلك لا يتيأ إلا بدوام النظر وطول التمهيد وإن للكلمة الموحدة سحراً يأخذ بالقلوب وشعرا يجري في الشعور وقد قال فيها سيد البلغاء محمد بن عبد الله (إن من البيان لسحراً) وقال في مقام الفخر والشكر أو تيسر جوامع الكلام واختصر إلى الكلام المختصار (١) .

د . محمد رجب البيومي

عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

هذه بعض النماذج نقدمها لتسلسل الفكرة وترتيبها ، في حديث الرسول ! ولنا بعد هذا التطواف أن نوجز ما شرحناه من خصائص الأفكار النبوية في القوة والطرافة والتحديد والتسلسل مع الميل إلى الإيجاز المحكم ، وما كان من تكرار بنا في الإيجاز في بعض الآثار النبوية فقد أوحى به الموقف الخطابي وحده ، وهو قليل غير الخطابة حتى ليكاد يعد عددا ، ومن هنا اشتهر محمد صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلام إذ أن المقصود بهذه الجوامع كل جملة قصيرة تضم معنى كبيرا مثل إنما الأعمال بالنيات ، الدين النصيحة المضعف أمير الركب ، إن من البيان لسحرا خير الأمور أوسطها ، المرء مع من أحب ، وما ينحو فهو ذلك من كل قول قصير يرمز إلى معانٍ تتسع لها النفس بما توحى وتشير ولا يعلم مزية الإيجاز في موضعه خير من يعلم معابة الإطناب في غير موضعه ، وإلى ذلك يشير المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات

(١) افتتاحية مجلة الأزهر صفر سنة ١٣٨٤هـ

الضمان الاجتماعي

بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية

لدكتور محمد الدسوقي

— ١ —

التعاون الاقتصادي الوثيق بين الأمم ؛ لكي يتحقق للجميع خير الظروف والشروط للعمل والتقدم الاقتصادي والضمان الاجتماعي . والواقع أن أوروبا وأمريكا بوجه عام قد واجهتا منذ بداية هذا القرن ظروفًا اقتصادية متقلبة ، وكانت الرأسمالية بأوزانها قد خلفت في المجتمع طبقات متصارعة ، كما أن الحروب بأزماتها الاقتصادية والاجتماعية قد أسهمت في مضاعفة القلق النفسي والتوجس من المستقبل ووجوب الاستعداد له ؛ لذلك كله فنبت فكرة تأمين العيش للناس وضمان مستقبلهم بصورة رسمية عامة دولية ^(١) .

وتحت ضغط الظروف القاهرة التي مرت بها الشعوب ، وقاست منها صنوفًا متباينة من الصراع الدموي والطبقى ، أخذت الدول تتجه إلى وضع القوانين والنظم الخاصة بمشكلات البطالة والعجز والعلاج ، وقد اهتمت كل دولة بما تراه أولى من غيره ، ولايس هذا الاهتمام في كثير من الأحيان الدوافع

الضمان الاجتماعي نظام يقصد به ضمان دخل معين للفرد كحد أدنى أو تقديم مساعدة له في حالة العجز عن الكسب لبطالة أو مرض أو شيخوخة ، أو غير ذلك من الأسباب التي تحول بين الفرد وحياة كريمة مطمئنة ، على أن « الضمان الاجتماعي » ، تعبير لم يعرف إلا في العصر الحديث - وإن كان مدلوله قد تحقق منذ زمن قديم في صور مختلفة وعلى درجات متفاوتة - فقد ظهر لأول مرة في عالم التشريع سنة ١٩٣٥ حين أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية قانون الضمان الاجتماعي لمعالجة كثير من المشكلات الاجتماعية ، وتأمين حياة العاجزين من الكسب .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية واشتد أوارها رأت بريطانيا والولايات المتحدة ضرورة كسب ولاء الشعوب وبخاصة طبقاتها الفقيرة المسافة إلى ميادين القتال بشيء ملموس ذي أثر فعال ، لذلك أعلنتا ميثاق الأطلسي الذي بينت مادته الخامسة رغبتهما في تحقيق

(١) انظر مقدمة كتاب الضمان الاجتماعي للدكتور مهدي السعيد .

الإسلامية فى مجال الضمان الاجتماعى مبادئها العادلة السكاملة التى تضمن لكل فرد فى المجتمع الإسلامى - صغيرا أو كبيرا مسلما أو غير مسلم - مستوى كريما من العيش ، ورعاية طيبة إذ ما ألت به نازلة .

والخطوة الأولى نحو الضمان الاجتماعى فى الشريعة الإسلامية تنطلق من مبدأ الأخوة والمساواة ، واعتصموا بمحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأفأف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وذلك لأن المجتمع القائم على الأخوة والمساواة مجتمع متكافل متناصر ، تشيع فيه خلال الخير والبر وتختفى كل صور الانانية والانتهازية ، فالكل كالجسد الواحد ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية شريعة مساواة وأخوة وتكافل فإنها كذلك شريعة عمل وكسب مبرور ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، والعمل دائما سبيل العزة والقوة وطريق التخلص من الحاجة والمترتبة ، والأم العاملة هى الأم القوية المتقدمة والأم الحاملة هى الأم الضعيفة المتخلفة ، والشريعة تدعو إلى السعى الدائب والعمل المثمر ليصدق على المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس

السياسية والرغبات الذاتية ، وتلقى الطوائف التى يخشى ثورتها وعصيانها ، وبخاصة طوائف العمال .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تطلعت البشرية إلى حياة جديدة يسودها الأمن والسلام ، ويتمتع فيها الناس بالرفاهية والاستقرار وتبلورت هذه الآمال فى إعلان حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ وقد جاءت المادة الثانية والعشرين منه قاضية بأن لكل إنسان - بصفته عضوا فى الجماعة الإنسانية - الحق فى الضمان الاجتماعى ، وقد وضحت المادة الخامسة والعشرون معنى الضمان الاجتماعى ، فنصت على أن لكل شخص الحق فى مستوى لائق كاف من المعيشة لتأمين صحته وسعادته وعائلته خاصة من حيث الغذاء والكساء والمساوى والخدمات الطبية والاجتماعية الضرورية ، وله الحق فى الضمان فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفقد وسائل العيش الأخرى نتيجة الظروف الخارجة عن إرادته ، كما أنه للأومة وللطفولة الحق فى الإعانة والمساعدة اللازمة ، وأن جميع الأطفال يتمتعون بنفس الحماية الاجتماعية سواء ولدوا من زواج أو سفاح .

- ٢ -

ومع تقدير كل عمل يحفظ للإنسان إنسانيته ويحقق له كرامته ورفاهته . فإن للشريعة

الذين يبخلون بأموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله بالعذاب الأليم ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليهم فيها نار جهنم فتكوى بها أجباهم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، ولهذا يسكون أداء هذه الفرائض نابعا من ضمير المسلم إلى جانب أن ولي الأمر مسئول عن مراعاة أدائها ، وله أن يحارب من يمتنعون عن القيام بها ...

— ٣ —

وتلك الإشارات السكوية إلى أسس الضمان الاجتماعي في النظم الوضعية والشريعة الإسلامية يمكن أن ترشد إلى الحقائق التالية: أولا : لم تلجأ بعض الدول أخيراً إلى الأخذ بفكرة الضمان الاجتماعي إلا بدافع سياسي ، فقد اتهم بعض المسئولين في الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس روزفلت بأنه نادى بمشروع الضمان الاجتماعي لكسب أصوات الناخبين في المعركة الانتخابية^(١) ، أما الشريعة فبأدائها إنسانية عامة دعت إلى الضمان الاجتماعي منذ أربعة عشر قرناً على أسس وطيدة من المحبة والإخاء والتكافل في السراء والضراء .

ثانياً : النظم الوضعية على تنوعها لم تعالج مشكلات المجتمع علاجاً شاملاً وأحياناً

وأنهم القادة والدعاة إلى الحضارة الإنسانية الفاضلة

وقد تكرر ذكر العمل في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، وليس معناه تحسب العبادات المفروضة ، ولكن العمل في الشريعة الإسلامية له مدلول واسع فهو يشمل كل ما يعود على الفرد والمجتمع بالخير والنفع ، ومن فضل الله علينا أنه يثيب على كل عمل — وإن بدا في نظر فاهله دنياً محضاً — ما دامت النية فيه متجهة إلى امتثال أمر الله والمحافظة على حدوده ومراعاة حرمانه ؛ فالؤمن في عبادة مستمرة حتى في أوقات طعامه وشرابه ونومه ولهو المباح ؛ لأنه بكل ذلك يتقوى على السعى والعمل والجهاد. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فرضت الشريعة على الأغنياء أنواعاً مختلفة من الصدقات والزكوات ، وبيّنت أنها حق للفقراء ومن في حكمهم في مال الأثرياء ، ولكي يقبل الأغنياء على أداء ما كتبته الشريعة عليهم بقلوب مؤمنة ونفوس راضية بين القرآن - دستور الشريعة الخالد - أن المال مال الله وأن يد العبيد أمانة ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وأن الله يضاعف الحسنة ، مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ، كما توعّد القرآن

(١) أنظر د. الأهرام ٣ مارس سنة ١٩٤٣

- لغرض خاص - تهتم بطائفة دون طائفة ،
ولكن الشريعة بتعاليمها الشاملة الكاملة قد
عالجت أمراض المجتمع علاجا يقوم على
تكريم الإنسان واحترام آدميته ، فالجميع
سواسية كأسنان المشط يتفاضلون بالتقوى
والعمل الصالح ، غير أن الرعاية الاجتماعية
حق للجميع لا مفاضلة فيه ولا تمييز ، فكل
فرد في ظل الإسلام وشريعته السمحة له
حق الحياة الكريمة دون نظر إلى عقيدته
أو جنسيته ، والشواهد التاريخية أشهر من
أن تذكر .

وبعد فإن الشريعة الإسلامية كل لا يتجزأ
وهي هداية للبشرية كافة ، وليس هناك قانون
أو نظام كرم الإنسان واحترم آدميته وأمن
حياته مثلها ولا غرو في ذلك ، فهي شريعة
الله الذي جعل الإنسان خليفة له في أرضه ،
وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، صبغة
الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له
عابدون .

ثالثا : النظم الوضعية مواد مينة لا روح
فيها ولا صلة بينها وبين ضمير الفرد . وإذا
فقد القانون هذه الصلة أصبح سلطانه ضعيفا

محمد الرسوقي

« دعاء »

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ونفس لا تشبع ، وقلب لا يخشع ، وعين
لا تدمع . هل يتوقع أحدكم إلا غنى مطغيا ، أو فقرا مذسيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما
مقيدا ، أو دجال . فهو شر غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

العلم والدين

للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

في نظر الماديين والطبيين : أنهما نقيضان
وضدان لا يلتقيان . لهذا أنكروا الدين ،
وبعدوا عن تعاليمه .

والحقيقة التي لا يسوغ إنكارها : أن العلم
والدين يلتقيان على إسعاد البشرية ، ورفاهية
المجتمع وخدمة الإنسانية .

ومن غاية الدين : إسعاد الإنسانية كلها
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا شك أن
السعادة من أهم الحقائق التي جاء بها الدين .

وغاية العلم : الكشف عن الحقيقة وخدمة
الإنسان في الحياة .

فالدين : أداة لمعرفة الحقيقة ، والعلم أداة
لمعرفة الحقيقة ، إذن العلم والدين يواجهان
الحقيقة من طرق مختلفة .

يقول الدكتور (ميلر بروز) الأستاذ
بجامعة بيل : « الدين والعلم يعالجان حقيقة
واحدة غير أنهما يمثلان نواحي مختلفة ،
فهما لا يتفقان بالضرورة في رؤية الحقيقة
لأنهما يواجهانها من طرق مختلفة » .

والعلم يخضع للتجارب في المعامل ويرى
فيها جوهر الحياة وعناصر القوة ، قال العالم

الدين والعلم : كلمتان من أشيع الكلمات
في دنيا العالم قديما وحديثا ، ولكل كلمة
مدلولها ومفهومها .

الدين : هو القوانين الاعتقادية والعملية
التي جاءت من طريق الوحي الإلهي ، وجاء
في دائرة معارف القرن العشرين حرف
« دال » ، أن الدين هو : الطاعة والانقياد
واسم لجميع ما يعبد به الله .

والعلم هو : مجموع المعارف الإنسانية
المؤيدة بالهلال الحسية ، والعلم لا يعترف
بمسألة إلا إذا قبلها العقل ، وأيدها الحس ،
وقبلت الخضوع لأسلوبه من الغلبة والاختبار
والتحصيل والتكرار والعمق .

ويطلق العلم أيضا على ما يضاد الجمل على
الإطلاق وقد يقصد بالعلم تلك المعرفة
الرياضية والطبيعية التي قامت على تجارب
دقيقة ، والتي وصل عن طريقها الإنسان إلى
كشف : قوة البخار والكهرباء والذرة .

وإذا كانت هذه التعاريف تعطي الحد التام
لمعنى : كلمتي الدين والعلم ، فهل يجتمعان
أو لا يجتمعان ؟

وكلية العلم في قاموس الإسلام أطلقت ولم تخصص بلون معين من مواد العلم . وما يلفت النظر أن مادة العلم وما يدفع إلى العلم جاءت في القرآن بصورة تحفز الحزم ، وتشجذ العزائم ، وتبعث الهمة . فمادة العلم وحدها تكررت ٨٦٠ مرة . ومادة البيان ٥٢٣ مرة . ومادة الكتابة ٣٢٠ مرة ، ومادة القراءة ٨٨ مرة ومادة الرأي ٣٣١ مرة ، ومادة السمع ١٨٥ مرة ، ومادة البصر ١٤٨ مرة ، ومادة النظر ١٣٠ مرة ، ومادة العقل ٤٩ مرة ، ومادة الفؤاد والقلب ١٩٤ مرة .

وإن لفظ القرآن نفسه مشتق من القراءة ، وهي أدنى مفاتيح العلم للإنسان ، وإن أول كلمة نزلت على محمد - عليه الصلاة والسلام - هي « اقرأ » ، وإن أول قسم في القرآن كله أقسم به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » .

ولهذا كله بلغت حضارة الإسلام العلمية أوج عظمتها وشرقت وغربت حتى تعمقت قال الأستاذ (كويلر بونج) : « حين نولى وجوهنا نحو العلم والفلسفة نجد ما ورثه الإسلام لثقافتنا الغربية أكثر أصالة وإيجابية في خلال النصف الأول من العصور الوسطى كانت جهود الإسلام العلمية من الطراز

(أيفشتاين) : « العلم يخبرنا بما هو كائن ولكن الوحي وحده هو الذي يخبرنا بما ينبغي أن يكون ، وهذه التفرقة التي ذكرها (أيفشتاين) مهمة وحقيقة واقعة لا جدال فيها ، فالعلم يصف والدين يأمر ، وقد يستطيع العلم أن يفيدنا ما هو الإنسان ؟ وكيف أصبح على ما هو عليه ؛ ولكن الدين يخبرنا لم يعيش الإنسان ؟ « الخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » .

وإلى أي غاية يجب أن توجه حياته . والعلم يخبرنا عن الطبيعة وما فيها من عجائب وكيف نستخدمها ونستغلها ؟ .

قال « وليام جيمس » الفيلسوف الأمريكي « إن موضوع العلم وطرق البحث وأساليب المعرفة فيه تختلف عنها في الدين ولهذا لا يناقض أحدهما الآخر » .

والفيلسوف البرهامزي (وليام جيمس) يتحدث عن دين تنحصر وظيفته في النهوض بروح الإنسان فحسب . والإسلام غير هذا لأنه ينظم الحياة من جميع وجوهها .

فالعلم لا يتعارض مع الإسلام البتة مادام ذلك في « مصلحة الإنسانية وإن المنصف يجد أن الإسلام قدس العلم الطبيعي والعقلي والنظري وجعل متابعة التجارب العلمية والتزود بالمعرفة واجبا يؤجر عليه المسلم .

ولإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي ، فالإسلام الحنيف يدعو إلى العلم وكشف ما في الكون من حقائق وكلما وصل الإنسان إلى درجة من كشف حقائق الكون كلما اقترب من حقيقةه الكلية وكلما ازداد إيماناً بها ، ازداد إيماناً بالله خالق الكون ، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. .

فالإسلام يدعو إلى العلم والعلم يؤيد الإسلام ، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المستخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ، فساق القرآن العلم بهذه المظاهر الطبيعية ليرشد إلى الإيمان بالله خالق الكون وكلما دق علم الإنسان بالطبيعة ومظاهرها كلما قوى إيمانه بالله .

فيجب أن يستخدم العلم في طريق السلم المنقذ للبشرية من أدوائها المعالج لأمراضها وهذا هو العلم الذي يلتقي مع الإسلام في انتشال الإنسانية من وهدة الضياع والهلاك والله ولي التوفيق .

أحمد عبد الرحيم السابح

الأول ولا سيما في ميادين الطب والفلك والرياضيات .

وفي ميدان العلوم الطبيعية ظهرت جهود الإسلام في الطبيعة والكيمياء وطرق التحسين في عمليات البحر والترشيح والتصعيد والتذويب والتقطير ترتبط كلها باسم جابر كذلك ينسب إليه أنه وصف عمليتي التكليس والتحويل وصفاً علمياً وفي ميادين الطبيعة والميكانيكا ظهر أعلام ثلاثة : السكندى وابن الهيثم والبهروني وفي ميدان الطب كان للإسلام فضل كبير وإلى ابن النفيس المتوفى ١٢٨٨ م والذي كان رئيساً للمستشفى الناصري بالقاهرة ينسب فضل الكشف الأول للدورة الدموية في الرئتين وعلى العموم كان تأثير الإسلام أوضح وأعظم ما يكون في ميادين التشخيص الكلينيكي والعلاج وخواص الأدوية .

قال الفيلسوف الفرنسي دالسكس لوازون :
« خلف محمد للعالم كتاباً هو آية البلاغة ، وسجلاً للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات حديثاً ، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

وقال العلامة (هيرشفيلد) : « وليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه .

انتشار الإسلام في جيلان للدكتور هاشم غنيم أبو سعيد

— ٤ —

في المحاولات السابقة . ومما لا شك فيه أن هذا الاتجاه كان مغامرة لا يتوقع لها أكثر من أحد احتمالين : إما أن ينجح أعداء الإصلاح ، دفاعا عن امتيازاتهم المتوارثة ، في القضاء عليها وهي ما تزال في المهد ، وإما أن يكون التوفيق حليف الناصر فيتحقق للإسلام بالتالي أكبر انتصار له في المنطقة . وفيما يلي سنعرف ما الذي أسفرت عنه هذه التجربة مستعينين في ذلك بالكتابات التاريخية التي يعتمد عليها .

وقع الاختيار على مؤرخين أربعة ، كل منهم كتب بشيء من التفصيل عن الفترة التي قضاها الناصر بين جماهير الديلم والجيل داعيا إلى الدين الإسلامي ، ونستطيع اعتمادا على ما كتبوه أن نقدم تصورا عاما ، وأميننا في نفس الوقت ، لطبيعة الجهود التي بذلها هذا الزعيم العلوي ومدى الاستجابة التي قوبلت بها ، هؤلاء المؤرخون هم المسعودي

أوضح لنا من المقال السابق أن الزعماء العلويين الذين مارسوا نشاطهم الدعائي بين الديلمة قبل الناصر كانوا محكومين بطروف خاصة ، وقد ألقأتهم هذه الظروف إلى عدم القدرة على إنراز الخصائص الذاتية الإنسانية والاجتماعية التي يمتاز بها الدين الإسلامي وكانت النتيجة الحتمية لهذا الأسلوب هي التقليل من فاعلية الجهود التي قام بها هؤلاء الدعاة . كذلك اتضح لنا أيضا أن الناصر في أول عهده قد انتهج نفس الأسلوب الذي انتهجه سابقوه بيد أنه أدرك أن هذا الأسلوب كان هو العامل الأول وراء القصور الذي أصاب جهود سابقيه ، ومن ثم قادته التجربة إلى خطة جديدة في الدعوة ، وهي خطة ترمي إلى إبراز الخصائص الذاتية للإسلام والإصلاحات الاجتماعية والسياسية التي يغادي بها والتي من شأنها أنها تخدم قضية الجماهير .

ومعنى هذا أن الناصر قد اختار في دعوته جانب الطبقات السكادحة التي تجوهمت

الوقوع في صدام مباشر مع جستان على الأقل في الفترة الأولى لتجربته ، وذلك حتى لا يتخذ الأخير أى موقف مصاد قد يكون من أثره أن يصيب نشاط الزعيم العلوى بالشلل ، وهذا تصرف طيبي يفتقر حدوته من أى إنسان عاش تجربة الناصر ، فقد كان موقفه حرجاً للغاية ، فن ناحية هو يريد أن يحمل الديالة على اعتناق الدين الإسلامى مبيناً لهم الخصائص الذاتية للإسلام وبالإصلاحات الاجتماعية التى تتضمنها تعاليم هذا الدين ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الإصلاحات تعنى بالضرورة القضاء على الامتيازات التى تمتعت بها الأسرة الجستانية طويلاً على حساب جماهير الدلم الكادحة ، وبما لا شك فيه أنه لو انكشفت معالم الخطة التى يدير على أساسها الناصر قبل اقتناع الديالة بالعقيدة الإسلامية وتقبلهم لها لنجحت الأسرة الجستانية وأعوانها فى إخماد دعوة الناصر قبل بلوغها الهدف المأمول .

أما كيف تغلب الناصر على هذه الصعوبة ؟ فهذا ما يبرزه لنا الصابى فى قوله عن الزعيم العلوى (ص ٥) : « وأظهر لجستان أنه لا يرغب فى التدبير والأمر والنهى (أى أنه لا يتطلع إلى الرئاسة) وأنه إنما يقيم نفسه مقام المعلم والمرشد إلى الدين والداوية إلى

وابراهيم بن هلال الصابى وابن الاثير والمحلى حسام الدين .

ويمتاز الأول بمعاصرته للنظورات موضوع الحديث (توفى المسمودى فى سنة ٣٤٥) هذا بجانب شهرته فى التطواف بالبلدان الإسلامية وغيرها ، ولذا فهو شاهد عيان للكثير مما رواه فى مؤلفاته . أما الصابى فإنه بجانب قرب عهده من الفترة الزمنية التى نعالجها (توفى هذا المؤرخ فى سنة ٣٨٤) قد خصص مؤلفه « التاج فى أخبار الدولة الديلمية » لتدوين تاريخ دولة بنى بويه الديالة ، وقد أبرز فى كتابته أخطر نقطة تحول فى تاريخ الشعب الديلمى وهى اعتناقه للدين الإسلامى على يد الناصر العلوى . أما ابن الاثير فإن مكانته الرفيعة فى الكتابات التاريخية ليست فى حاجة إلى تأكيد ، وبالنسبة للمحلى صاحب « الحقائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية » فإنه كما هو واضح من عنوان كتابه قد أرخ لزعماء المذهب الزيدى والناصر واحد منهم

ولذا فقد أمدنا هــو الآخر بالكثير من الحقائق الهامة التى بتآزرها مع المعلومات الموجودة فى كتابات المؤرخين السابقين نستطيع أن نقدم صورة صادقة لانتشار الإسلام فى هذا الجزء من منطقة بحر قزوين .

وضع الناصر خطته على أساس تجنب

وسبيل الخلاص من الغل الذي توارثوه جيلا بعد جيل ، والتحرر من الاستعباد الذي قدر عليهم أن يتجرعوا كأسه المرة بموجب الأوضاع الطبقية الظالمة والاستبداد السياسى .

أخذ الناصر بفتح من قرية إلى أخرى فى المنطقة الجبلية التى هى موطن الديالمة ، وفى كل مكان ذهب إليه وجد استجابة كبيرة من الجماهير ، استجابة تفوق كل توقعات النجاح حتى من وجهة نظر أكثر المراقبين تفاؤلا ، ويكفى أن نعرف أن عدد من أسلوا بفضل جهود الناصر قد قدر بألف ألف نسمة ، وأن حصيلة يوم واحد من أيام نشاطه الدعاى قد ارتفعت إلى أربع عشرة ألف نسمة فى رواية بعض المؤرخين . مهما يكن من أمر فليست هذه هى القضية ، فإنها حقيقة بعيدة عن احتمالات الشك أن الناصر قد نجح نجاحا كبيرا فى جذب الديالمة إلى الإسلام ، ولكن المشكلة التى لا تزال فى حاجة إلى تأكيد تدعيمه الحقائق التاريخية هى ماهية السر وراء هذا النجاح ، ونعنى به العامل الاجتماعى ومدى فاعليته فى حمل جماهير الديلم على اعتناق الدين الإسلامى .

بالنسبة لهذه النقطة فن الممكن القول — وهذه حقيقة أسفرت عنها الدراسة — بأن أغلب المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الناصر أو كتبوا عن انتشار الإسلام بين الديالمة

القائم من أهل البيت ، وقد أحدث هذا القول صدها الطيب فى نفس جستان ، ولم لا ؛ فها هو ذا الزعيم العلوى قد أوضح الملك الديلمى بما لا يدع مجالا للشك أنه سيبتعد كلية عن التدخل فى شئون الحكم ، وأن نشاطه سيدور فى نطاق الإرشاد الدينى البحت . ومعنى هذا أن خطة الناصر الرامية إلى مدارة جستان ومهادنته قد قدر لها النجاح ، وليس أدل على ذلك مما ذكره المؤرخ نفسه تعقبا على القول السابق : « فقد سكن الملك حينئذ إليه وزاده تعظيا وتسكرمة » .

مواصل السير فى خطته ، انطلق الزعيم العلوى يدعو جماهير الديلم إلى الإسلام ، معتمدا فى دعوته على أسلوب جديد . يختلف كل الاختلاف عن أسلوب أسلافه ، وذلك بأن ركز على المميزات البدائية للإسلام والجوانب الاجتماعية له مبينا للقوم ما يستطيع الإسلام أن يقدمه لمعتنقيه من تكافل اجتماعى ومساواة فى الحقوق والواجبات . وقد وجد الديالمة فى دعوة الناصر نفعة جديدة لم يألفوها من قبل ، نفعة جذبت اهتمامهم واستحوذت على عقولهم وقلوبهم لارتباطها الوثيق بصميم المشاكل التى يثنون تحت وطأتها ، ولأنها تلبي تطلعاتهم إلى حياة جديدة ، ومن ثم كانت استجابتهم لهذا الداعية لأنهم وجدوا فى الإسلام الذى يدعو إليه التوافق مع الفطرة

وهذا النص رغم قصره يصل بنا إلى عدة حقائق هامة ، منها أن الديالملة كانوا يدفعون للسلطات الحاكمة ضرائب باهظة كما يتضح ذلك من تعبير « ويقتصر منهم على العشر » . والحقيقة الثانية هي أن الديالملة كانوا يقاسون من سيطرة ملكهم وتجبره ، وهذه الحقيقة واضحة كل الوضوح من قول ابن الأثير : « ويدافع عنهم ابن جستان ملكهم » .

أما الحقيقة الثالثة فهي أن الناصر كان يمزج في نشاطه الديني بين دعوة الديالملة إلى اعتناق الدين الإسلامي والوقوف بجانبهم ضد المظالم الإقتصادية والسياسية ، المظالم التي قدر على جماهير ذلك الشعب أن تعاني منها طويلا ، وهذه الحقيقة يعكسها بكل أبعادها قوله : « وأقام بينهم ... يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ابن جستان ملكهم » . ورابعة الحقائق هي أن إسلام جماهير الديلم كان مرتبطا بالأسلوب الذي انتهجه الناصر في دعوته ، ونعني به المزج بين الدعوة إلى اعتناق الدين الإسلامي والوقوف بجانب الجماهير الذين وجهت إليهم الدعوة في قضاياهم الإجتماعية والسياسية ، وهذه الحقيقة يعطيها لنا قوله تعقيباً ونتيجة للحقيقة الثالثة : « فأسلم منهم خلق كثير » . والحقيقة الخامسة والأخيرة التي يمكن استخلاصها من النص هي أن الديالملة

لم يشيروا إلى أهمية العوامل الاجتماعية وتأثيرها في دفع الديالملة إلى اعتناق الدين الإسلامي .

ولكن الحقيقة لم تفقد كلية من يعمل على وضعها في دائرة الضوء ، ففي الجانب الآخر نجد بعض المؤرخين قد التفتوا إلى الدوافع الاجتماعية وراء حركة اعتناق الديالملة للدين الإسلامي ، وإن كانوا في التفاتهم إليها قد لمسوها لمسا خفيفا دون بسط أو تحليل . بيد أن هذا اللبس الخفيف — رغم قصوره الكمي — هو الذي وضع في متناول يدا لدارس المعاصر الأساس التاريخي لإبراز هذه الحقيقة وتحديد أبعادها ، وخاصة أن قصور المسادة ليس بخلا إلى الحد الذي يصرف الدارس عن محاولة البحث والاستقصاء .

وفي هذه المناسبة تحتم علينا الحقيقة أن ننوه بآبن الأثير والصابي والمحلّي لأن كلا منهم قد أشار إلى الأوضاع الاجتماعية وأثرها في تقبل الديالملة للدين الإسلامي ، فقد أمدنا المؤرخ الأول بنص له أهميته البالغة بخصوص هذه القضية ، وذلك حيث قال عن الناصر وجهوده في نشر الإسلام بين الديالملة :

« وقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ابن جستان ملكهم ؛ فأسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه » .

فانثال الناس إليه والنحووا عليه لأنهم كانوا في شدة من بنى سلكه ملوكهم .

ويكنى في هذا النص أن نعرف أن كلمة انثال تفيد توافد الناس عليه وتقبلهم لدعوة دون كبير عناء ، ولا أدل على ذلك من أن الجيليين كانوا يتوافدون عليه حيث هو مقيم مظهرين إسلامهم ومعلنين في نفس الوقت ولاهم له ، فإذا ربطنا بين هذه الصورة وبين السبب الذي ذكره المؤرخ نفسه كما هو واضح كل الوضوح في قوله : « لأنهم كانوا في شدة من بنى سلكه ملوكهم ، لتوصلنا بذلك إلى مدى قوة فاعلية الأوضاع الجائرة والمتمثلة فيما كان يمارسه بنو سلكه من البطش برعاياهم الجيليين ، في إقبال جماهير هذا الشعب على اهتقاق الدين الإسلامي .

ويأتى الآن دور النص الذى أورده المحلى بخصوص القضية نفسها ، فقد قال هذا المؤرخ عن الناصر (١٠ ص ٣٤) : « فأقام على هذه الجملة بالجميل والديلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والرسوم الجائرة التى وضعها آل وهسودان (أى الأسرة الجستانية المالكية) على الديلم واستنقذهم مما كانوا فيه من الضيم فى النفس والأولاد والأموال . » والنص فى جملة واضحة غاية الوضوح ولا يحتاج من القارى أن يكسح ذهنيا لى يستخرج مدلول الكلمات ، فهو يابحاز بصور

لم ينظروا إلى الناصر بصفته داعية إلى الإسلام فحسب ، بل لأنهم اعتبروه أيضاً مصلحاً اجتماعياً وزعيماً سياسياً ، ويسوقنا إلى القول بهذه الحقيقة رد الفعل الطبيعي الذى ينتظر حدوثه من الديالة نتيجة لما لمسوه فى الناصر ، ولعل هذا الفهم يجد ما يؤيده فى ختام النص ... « واجتمعوا عليه » .

وهكذا فإن النص رغم قصره قد وضع أيدنا على كثير من الحقائق التى لها أهميتها لمن أراد الكتابة عن الناصر ومنهج في نشر الإسلام بين الديالة ، وإذا كانت هذه الحقائق الخمس قد أمكن استخلاصها من النص السابق بصفة مباشرة فإننا نستطيع بالتالى أن نستنتج — بصفة غير مباشرة — أن الدعاة السابقين لم تنح لهم الفرصة للالتفات إلى الأوضاع الاجتماعية التى كانت تحكم العلاقات بين طبقات المجتمع الديلى ، ومن ثم لم يبد نجاحهم متوائماً مع حجم الجهود التى بذلوها ، وكان أن تأخر إعتناق الديالة للدين الإسلامى عشرات السنين .

وقريب من هذا الذى استخلصناه من النص السابق من الممكن أن نجده فى نص ذكره الصابى فى سياق الحديث عن الجيل ومدى استجابتهم لدعوة الإسلام التى حمل لواها الناصر ، فقد قال هذا المؤرخ فى الورقة الخامسة : « وأقام (أى الناصر) بمن معه

يستطيع الإسلام أن يقدمها لهم ، وقد ضرب بنفسه المثل العملي على صدق وأصالة العقيدة التي يدعو إليها ، ومن ثم وجد الديالملة في دعوته عنصرا جديدا يميزها على المحاولات السابقة ، الأمر الذي ترقب عليه أن استجابوا لجهوده التي قدمت لقلوبهم ديننا جديدا ، وهيات لهم مناخا طيبا يستطيعون في فطاقة أن يتنسموا ريح الحرية التي ترد عليهم لإنسانيتهم فينطلقون إلى المستقبل بمحذوم الأمل ، ويدفعهم الرجاء .

وإلى اللقاء في المقال التالى حيث نلقى مزيدا من الضوء على المسرح الجغرافى الذى تأثر بجهود الناصر ، مع تفصيلنا لبقية المحاولات التى أدت إلى سيادة الإسلام فى جيلان ؟

د . هارم غنيم أبو - سعيد

لنا العلاقة بين أفراد الأسرة الجسدية المملكة من ناحية وجماهير الديلم من ناحية أخرى ، وهى علاقة كانت تقوم على استبداد الأولين بأقدار ومصائر الآخرين ، وبجانب هذا التصوير فإن النص يحدد لنا الجانب الذى اختاره الناصر لنفسه فى هذه العلاقة ، وهو جانب الجماهير .

اتضح لنا إذن من خلال النصوص السابقة أن الأوضاع الظالملة التى كانت سائدة بين جماهير الديلم ، وكذلك جماهير الجيل ، كانت فى نفس الوقت من العوامل الرئيسية التى دفعت هذه الجماهير إلى اعتناق الدين الإسلامى ، وذلك على أمل الخلاص فى ظله من الأوضاع الجائرة التى قدر على أجيالهم أن يرزحوا تحت وطأتها طويلا ، وقد أصبح أمرا مسلما به أن الناصر هو الذى أثار انتباه هذه الجماهير إلى إمكانيات الإصلاح التى

وقت الصدقة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح قامل العيش ، وتخشى الفقر ، لا حتى إذا بلغت هذه . وأشار إلى التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا . لقد كان ذلك وإن لم تقل .

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

- ٣ -

ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ،
مادام لي سلطان ، وسلني غير هذا ماتحب ،
فإنك لا تسألني شيئاً إلا أوتيته ، واكتب
إليَّ برأيك فيما كتبعت إليك ، والسلام .
وكتب قيس مفنداً ماورد بكتاب معاوية
من تهم ، ولم يشأ في بادئ الأمر أن يدافعه
أو يكشف له عن مكنون سره ، أو يتعجل
قتاله ، إن كان لا مناص منه ، فرد عليه
يقول :

« أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وفهمت
ما ذكرت فيه من قتل عثمان ، وذلك أمر
لم أقارفه ، ولم أطف به ، وذكرت أن صاحبي
هو أغرى الناس بعثان ، ودسهم إليه
حتى قتلوه ، وهذا ما لم أطلع عليه ، وذكرت
أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان ، فأول
الناس كان قياما عشيرتي ، وأما ما سألتني
من متابعتك ، وعرضت علي من الجزاء فقد
فهمته ، وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة ، وليس
هذا بما يسرع إلي ، وأنا كاف عنك ، ولن
يأتيك من قبلي شيء تسكره ، حتى ترى
ونرى إن شاء الله ، والمستجار الله عز وجل
والسلام . »

عند معاوية بن أبي سفيان إلى دواعي
الحيلة ، وقد ركت في طبعه ، فلا مفر له
من الاستجابة ، وأخذ يقتل قيس بن سعد
في الذروة والغارب ، لم يتوقف ، ولم يياس ،
ومد له النكح من الشام في حبال المكايدة .
ولما كان على بالكوفة ، بعيداً عن مسرح
الحوادث الجارية ، فقد كتب أول ما كتب
إلى قيس بن سعد أمير مصر ، يقول :

« أما بعد : فإنكم كنتم نعمتم هلي عثمان
في أثرة رأيتموها . أو ضربة بسوط ضربها ،
أو شقمة رجل ، أو في تسييره آخر ،
أو في استعماله فتى . فإنكم قد علمتم أن دمه
لم يكن يهل لكم ، فقد ركتكم عظيماً من الأمر ،
وجئتم شيئاً إذا ، فتب إلى الله يا قيس بن سعد ،
فإنك كنت في المجابين على عثمان بن عفان
- رضى الله عنه - إن كانت التوبة من قتل
المؤمن تغني شيئاً ، فأما صاحبك (علي) ،
فإننا استيقنا أنه الذي أغرى به الناس وحماتهم
على قتله ، حتى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه
عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون
من يطلب بدم عثمان فافعل ، تابعنا على أمرنا ،
ولك سلطان العراقيين . إذا ظهرت ما بقيت ،

صديق هو أم عدو ؟ . مقارب أم مباعد ؟ .
 معه أم عليه ؟ . يمثل هذا استنهض معاوية
 كتاب قيس ، فلم يظفر بالجواب الذى يشفى
 وينتفع ، ووقف حائراً فى أمر هذا الداهية
 فليس هو دانياً فيعده سلماً . ولا متباعداً
 فيعده حرباً ، وينقلب الزمام من يد معاوية ،
 فلا يستطيع كبح جماح نفسه . وهو الذى
 قال عمر بن الخطاب فيه : « تذكرون كسرى
 وقيصر ، وعندكم معاوية ! » (١) .

ويملى معاوية على كاتبه فى الرد على قيس ،
 وقد فرغ صبره ، فيقول له فى ختام كتابه
 إليه : « أنت فيما هنا كحنتك الجوزور ،
 وليس مثلى يصانع الخداع . ولا ينتزع
 السكايد ، ومعه عدد الرجال ، ويده أعتة
 الخيل ، .

نغمة جديدة بخلاف سابقتهما ، وعيد بعد
 وعد ، وإغراء ثم تهديد ، وإطمان قيس
 إلى أن الأرض التى تحت قدميه لن تميد أبداً
 إلا بإذن الله وحده ، وعرف أن معاوية
 ليس بمن تنفع معه المدافعة والمماطلة فضى ،
 يغذ السم إلى هدفه مباشرة من أقرب طريق ،
 فقد قصر جبل المكيدة فى يده . فكتب إليه
 قيس يقول :

« أما بعد : فإن العجب من اغترارك بى
 وطمعك فى ، واستسقاطك رأى ، أتسومنى

الخروج من طاعة أولى الناس بالإمرة ،
 وأقولهم للحق ، وأهداهم سبيلاً ، وأقربهم
 من رسول الله وسيلة . وتأمرنى بالدخول
 فى طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ،
 وأقولهم للزور ، وأضلهم سبيلاً ، وأبعدهم
 من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم
 وسيلة ، ولد ضالين مضلين ، طاغوت
 من طواغيت إبليس ، وأما قولك « إني مالى »
 عليك مصرخيلاً ورجلاً . فوالله إنى لم أشغلك
 بنفسك حتى تسكون نفسك أم إليك ، إنك
 لذو جد والسلام .

وهنا بلغ يأس معاوية من قيس كل مبلغ
 وثقل عليه فى الحق مكانه ، وعجز هو وعمره
 عن غزومصر مادام بها لا خوفاً من جيموشه
 المعبأة ولكن خوفاً من كتائب دهائه ومكره
 عند ذاك لوى العنان الماكر نحو الخليفة
 لا الوالى ، وصوب مهامه هذه المرة نحو
 الكوفة لا الفسطاط . .

جمع معاوية أهل الشام ، وأبدى لهم رضاه
 عن قيس — مواربة ومخادعة — وأمر
 ألا يسبوه ، وألا يدعوا الناس إلى غزوه ،
 لأنه معهم لا عليهم ، وإنما يقتضيه الأمر
 اللازم أن يدارى ويوارى . وقد تأتينا
 كتبه ونصيحته سرا ، ألا ترون ما يفعل
 بإخوانكم (العثمانيه) الذين عنده من أهل
 خربتنا : يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم

(١) الفخرى : ابن طباطبأ .

وأثار معاوية الشكوك والريب حول قيس في صدر علي ، وزعزعة ثقته فيه وفي ولائه لبني هاشم . وفي الوقت نفسه عمل على تهديد مركز قيس من داخل مصر ، وتأليب العناصر الموالية لمعاوية على الهاشمية ، أما هذه فقد سد قيس عليها كل سبيل ، إذ أفلح في دعم الجبهة الداخلية بكل ما أوتي من نوازع الخير ومواهب الحكم ، وأما الأخرى فقد كانت الشغل الشاغل لمعاوية ليلا ونهارا ، وقد رأينا كيف تظاهر أمام أهل الشام بالرضى عن قيس ، فذاع الخبر وشاع ، لماذا ؟ هذا ما سنكشف عنه بعد قليل ، ولكن حسبنا هنا أن نسجل ما كان يقوله معاوية ، غير قادر على كبت ما في صدره إزاء خصمه اللدود : **د والله لقيس بن سعد هند علي . أبغض إلى من مائة ألف مقاتل بدله عنده ،^(١) ويقول أيضا : د ما ابتعدت مكيدة قط كانت أعجب عندي من مكيدة كدت بها قيسا من قبل علي وهو بالعراق . حين امتنع من قيس ،^(٢) ، بينما كان قيس يرد عليه عبر الأثر فيقول للتاريخ : د والله لولا الكذب لمكرت بمعاوية مكرًا يدخل عليه بيته ، ولولا أني سمعت رسول الله يقول ، المكر والحديعة في النار ، لكنت من أمكر الناس .**

د إن كنت إنما أمرتني هذا لتختبرني

ويحسن إليهم ، وكتب إلى العراق والمدينة برضاه عن قيس ، وأمر بكتان ذلك كيلا يعزله على إذا علم . وصدق أهل الشام ، وانصاعوا لأمره .. وعلى لا يعلم ، وقيس لا يدوي .

أما قيس فقد كبح مكره ، وكظم دهاهه ، ولم يطلق لنفسه زمام الهوى ، فقد كان يقول لمن حوله : **د لولا أن المكر فجور ، لمكرت مكرًا تضطرب منه أهل الشام بينهم ،^(١) وتارة أخرى يقول : د لولا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه العرب ،^(٢) لقد سالم أهل (خربتا) ووادعهم ، فسالموه ووادعوه ، ولم يقا نلهم فرضوا عنه ، وأحسن إلي را كبهم ، وأمن خائفهم ، وأجرى عليهم أوزاقهم فشكروا له ، فتسامل : أليس النجاح يغري بالنجاح والنصر يهدي إلى النصر ، فإذا عليه لو أرخى الحبال لمعاوية ، ولو طال المدى . .**

أخذت المكاتبات تتوالى بين الجانبين : يأتي الكتاب من معاوية في لين فيريد عليه قيس في غلظة ، يتبعه كتاب في غلظة ، فيكون الجواب في لين . إذن لم تعد ثمت قدرة لدى معاوية على مكر قيس ، فليتحول هنه إلى من هو فوق وليتبعه بضربات معولة إلى علي ، حتى إذا ضرب الرأس ، تمزقت الاعضاء . وتفككك الولاة ، ولو كان قيس على رأسهم .

(١) البداية والنهاية : ابن كثير

(٢) تاريخ الأمم والملوك : الطبري .

(١) سيرة أعلام النبلاء : الذهبي

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر

عدوه ، وقيس يستألف قلوبهم ، ويستخرج منها الفتنة فإن هواقتلهم ساعدوا العدو عليه .
 جلا قيس للخليفة حقيقة الأمر في كتاب بعث به إليه ، وأبان فيه عن رأيه بتركهم لهذه الأسباب التي يراها عين الحقيقة والصواب ووصف لهم العثمانية في خربتنا بأنهم دوجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ ، وقد رضوا مني بأن أؤمن سربهم ، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، وقد علمت أن هوام مع معاوية ، فلست مكايدهم بأمر أهون من الذي أفعل بهم ، وهم أسود العرب . وبهذا بلغ قيس بن سعد ذروة النجاح بسياسة الحيات الإيجابية ، وصون السلام في شجاعة لا مواربة فيها . وإخلاص للقيم العليا من غير ضعف .
 وعملت الفتنة جذورها ريذا ريذا ، وتلاقى تيار معاوية عبر الجواسيس القادحين بالنبا من الشام ، مع إرشادات ذوى المطامع الفذين يشيرون بالرأى على على بالكوفة فيكتب إلى عامله يستدعيه ويقول : لاني قد احتجت إلى قربك ، فاستخلف على عمك وأقدم ، (١) ولم يكن قيس ممن يفجعه هذا الاستدعاء ، فهو الذي سعى إليه قبل أن يأمره به الخليفة ، فلما ألح عليه في قتال أهل خربتنا رد عليه حازما حاسما يقول : له بقية

محمد محمود زينو

(١) ولاية مصر : الكندي .

لأنك اهتمتني فأبعث على عمك بمصر غيرى . ترى ما هي تلك المكايدة التي كادها معاوية لقيس ، فلات عليه أقطار نفسه زهوا وعجبا لقد افتعل معاوية كتابا بعث به قيس إليه ، بالدخول معه في المطالبة بدم عثمان ، قرأه على أهل الشام ليصدقوا أن قيسا معهم لا عليهم مسلم لا محارب ، وتعمد معاوية — بحيلة ودهائه أن يقرأ هذا الكتاب على الملأ وعلى مرأى ومسمع من جواسيس على ، وهو يعلم أنهم ناقلوه إليه بخذافيره ، وأن عليا عندما سيبلغه ذلك سيتغير على قيس ، فينقلب عليه ثم هو لا بد عازله عن مصر ، فتخلو من هذا الداهية المكايد ، فينقض عليها ويلتهمها سائفة بالاحرب ، وهذا ما حدث ، إذ آلت مصر إلى عمرو مرة ثانية بعد مصرع محمد بن أبي بكر ، وبعد أن انقلبت الدولة بعد اغتيال على أموية ، زمامها بيد معاوية .

فقل عيون على بالشام إليه كل ما جرى فلم يصدق ، وما زال به محمد بن أبي بكر وأخوه لأمه محمد بن جعفر بن أبي طالب يغيرانه بعزله حسبا لكل نزاع . وقطعا لكل صراع ، فأشارا عليه أولا بقتال العثمانية الذين لم يبايعوا عليا من أهل خربتنا ، وكثب على في ذلك لقيس يحمله على قتالهم . وتوالت الكتب بهذا الشأن بين علي وقيس ، ودهش قيس لهذا التحول المفاجئ في سياسة علي . كيف بأسرة بقتال قوم كفوا عنه ، وأفرغوه لقتال

أثر الإسلام في الأدب العربي

للكاتب محمد مفيد الشوباشي

ما بدأت الدعوة إلى الإسلام بخطوطها
الاولى في طريق الانتشار والانتصار حتى
اشتد النضال بين مؤيديها ومعارضها ، ولم
ينحصر هذا النضال في ميادين القتال ولكن
تمدها إلى ميادين الفكر والأدب ، فراح
المسلمون يبشرون بديهم الخفيف ، ويشيدون
بتعاليمه النبيلة ، ويفسرون أهدافه السامية ،
ويقارنون بين هدايته وضلالة الشرك ،
وتصدى لهم المشركون ، المستمسكون بالقديم ،
يفأخرون بجاهلهم وغناهم ، ويسفهون الدعوة
الجديدة متجنين مضللين ... واشترك شعراء
الفرقيين في هذا المعاماة ، وتراشقوا بقصائد
دعواها فيما مضى المعارضات - وتدهى اليوم
القائض - وتسليح كل طرف منهم بأفانين
يؤيدها معتقداته ، ويفند معتقدات خصومه .
ووقف إلى جانب الرسول شعراء حول آمنوا
بدين الحق منهم حسان بن ثابت ، والأعشى
التميمي ، ومعبد الخزاعي ، وظل إلى جانب
المشركين واليهود أمية ابن أبي الصلت الثقفي ،
وكعب الأشرف ، وعبد الله بن الزبيري
وغيرهم .
ويكفي أن نذكر النماذج القليلة الآتية للدلالة
على نوع الشعر ، وتبيان جانب من مضامينه .

قال حسان بن ثابت ساخرا من تفاخر
سادة قريش بملاسم الفاخرة ، وتشبههم
في ذلك بالروم والفرس ، والآيات موجهة
إلى ضرار بن الخطاب .
أتفخر بالسكتان لما أبسته ؟
وقد تلبس الأنباط ريطا مفصرا
فلا تك كالوسنان يحلم أنه
بقرية كسرى أو بقرية قيصر
وقال عبد الله بن الزبيري يفاخر بجملاد
قومه في يوم أحد :
أبلغا حسان عني آية
فقريض الشعر يشفي ذا الغلل
كم قتلنا من كريم سيد
ماجد الجدين مقدم بطل
فأجابه حسان بقصيدة يذكر فيها فضل
الإيمان على المسلمين :
ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذاك الحرب أحياما دول
وعلونا يوم بدر بالتقى
طاعة الله وتصديق الرسل
وتركنا في قريش غورة
يوم بدر وأحاديث المثل

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ..
ردوا بغيظهم على الأعقاب
ولعل النقائص التي ذكرناها تعكس لنا
صورة واضحة للخطوة المحدودة التي خطاها
الشعر الإسلامي في الأيام الأولى للدعوة ،
ونحن إذا قارنا بين أسلوبها ومضامينها من
ناحية وأسلوب الشعر الجاهلي ومضامينه
من ناحية أخرى ، لاحظنا تخففا من
خشونة الجاهلية ، وتنويعها بالصفات
الإنسانية الكريمة بعد التفاخر بالبطش
وسفك الدماء . أما الحرب فهي عندها
ضرورة للقضاء على الشرك والظلم ، ولتوطيد
دعائم العدل والخير واجتماع الشر من
جذوره ، وليست لمجرد القهر والسلب والنهب
والانتقام ، والتنفيس عن الاحقاد .

ولم يكن في الإمكان أن يتخلص الشعراء
المسلمون دفعة واحدة ، في حقبة الانتقال
إلى العهد الجديد ، من شتى رواسب الماضي ،
ويقطعوا كل صلة بين شعرهم وشعر أجدادهم
فكل لاحق يتولد من سابقه ، ويحتاج إلى
مندوحة من الوقت ليكتسب الشخصية
المستقلة ، ويتميز بالطابع الخاص ، وتستقر
له الصورة الجديدة ... ولذلك لم يحل الشعر
الإسلامي ، وهو في إبانه ، من وصف

وقال عمرو بن العاص أيضا — قبل
إسلامه — قصيدة في يوم أحد تفاخر فيها
بتنكيل الكفار بالمسلمين ، فأجابه كعب
ابن مالك بأبيات يذكر فيها اتصاف المؤمنين
بالصبر ، ويمتدح الرسول صلى الله عليه وسلم :
صبرنا لهم والصبر مننا بجمية
إذا طارت الأوغاد نسمو ونرتق
على عادة تلسم جريتنا بصبرنا
وقدماً لدى الغايات نجري ونسبق
لنا حومة لا تستطيع يقودها
نبي أتى بالحق عفوصوق
ومن شعر ذلك العهد قصيدة ، قيل إنها
لعل بن أبي طالب — تشيد بالدين الجديد ،
وتنذر الكافرين ، وفيما يلي بعض أبياتها :
عرفت ومن يعتدل يعرف
وأيقنت حقاً ولم أصدف
عن السكلم المحكم اللام من

لدى الله ذى الرأفة الأراف
رسائل تدرس في المؤمنين
بهن اصطفى أحمد المصطفى
ووقع ابن الزبير في حبائل أوانس
اليهود ، ونظم قصيدة يتحسر فيها على عهودهن
فسفهن حسان بن ثابت بمعارضة جاء فيها :
فدم الديار وذكر كل خريدة
بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الأمور إلى الإله وما ترى
من معشر ظلموا الرسول غضاب

وكثير عزة ، ونصيب بن رباح ، وقيس
ابن ذريح ، وتوبة بن الخير وغيرهم ...
وشعر أولئك الشعراء معروف كذلك شائع
ولذلك نكتفي بإيراد مقتطفات قليلة منه
لإيضاح ما نقول ...

قال جميل بن معمر :

وإني لأرضى من بثينة بالذي
لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبألمنى
وبالآمل المرجو قد غاب أمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى
وأخره لا نلتقي وأوائله

وقال قيس بن الملوح (مجنون ليلى) :

وأحبس عنك النفس والنفس حية
بذكراك والممشى إليك قريب
مخافة أن يسعى الوشاة بظنة
وأحرسكم أن يستريب مررب
وهو لا يحبها لجمال جسدى ، ولكن حبه
لها خالص بلا وطر :

وشب بنو ليلى وشب بنو ابنها
وأعلاق ليلى في فؤادى كما هيا
وما بي من شرك ولكن حبا
كعود الشجا أعيا الطيب المداويا
وقال كثير :

ويخفى لكم حباً شديداً ورهبة
وللناس أشغال وحبك شاغله

المعارك الحربية ، والتفاخر بالانتصارات
التي حققها المسلمون ، والإشادة ببطولاتهم ،
وهجو خصومهم . أما مضامينه المستجدة فهي
الدعوة إلى الدين الحنيف ، والتعصب
الشريف له ، والمناداة بالجهاد في سبيل الله
والحق ، والإشادة بالمثل القويمة التي جاء بها
التنزيل ... فوضوعات الشعر القديم والجديد
تكاد تكون واحدة . في حين تختلف مضامينهما .

ومن أهم ما حققته الدعوة الإسلامية ،
إلى جانب تنظيم شئون المجتمع - أنها هذبت
النفوس ، وطهرت القلوب ، واسفثارت أنبل
المشاعر ، وحببت إلى الناس مكارم الأخلاق
واصطلت من نفوسهم الضغائن والأحقاد ،
واجتثت النزوات والنزغات ، ودعتهم إلى
التسامح والغفران ، وبصرتهم بالحق ،
واستنهضتهم للدفاع عنه ، والاستمسك بأهدابه
وانعكس ذلك على الشعر فيما انعكس عليه ،
فظهر الشعراء الأطهار في قبيلة بني عذرة ،
وفي بعض القبائل الأخرى ، أولئك الشعراء
الذين تغنوا بالحب الطاهر ، وبجولوا حبيباتهم
وارتفعوا بهن إلى مرتبة التقديس ، ونزهوا
حبهم عن الرغبات الدنيا ، منصرفين إلى الرغبات
الروحية منتشين بها . وليس هناك قارىء لم
بشيء من الأدب العربي لا يعرف من أولئك
الشعراء جميل بن معمر ، وعروة بن خزام ،
وهما من بني عذرة . وقيس بن الملوح العامري

ويسعى إلى المعروف في طلب العلا
لتحمد يوما عند عز شمائله
ذلك إلى الإعراض عن الدنيا ، والزهد
في مباحها ومغرياتها .

وقال ابن ذريح :
فإن تمنعوها أو يحل دون وصلها
مقالة واش أو وعيد أمير
فلن تمنعوا عيني من دائم البسكا
ولن تذهبوا ما قد أجن ضميري
وقال توبة بن الحمير :
وأغبط من ليل بما أناله
ألا كل ماقرت به العين صالح
وقال ابن الطيرية :
أحبا على حب وأنت بخيلة ؟
وقد زعموا أن لا يحب بخيل
أليس قليلا نظرة إن نظرتها
إلى ، وكلا ليس منك قليل
وقال ابن الدمينية :
ولاني لاستحييك حتى كأنما
على بظهر الغيب منك رقيب
ولا شك أن هذه المعاني الجميلة ، والمشاعر
الغنية التي هي من وحي الإسلام تعد في أوانها
جديدة فريدة لم يعرف لها عالم الأدب في مختلف
الأمم القديمة نظيراً .

واشتدت حركة الزهد في أواخر عهد
بنى أمية ، وكان من أهم الدعاة لها الحسن
البصري ، وإبراهيم بن أدهم ، ورابعة العدوية
ومن أشهر شعرائها أبو العتاهية الذي ظهر
في أوائل الحكم العباسي .

نشأ هذا الشاعر في أسرة تصنع الجرار ،
واشتغل في مطلع حياته بمهنة أهله ، وهي
مهنة كانت تعد وضيعة خالت دون ظفروه باحترام
الناس حتى بعد أن نظم روائعه الشعرية ،
وفتحت في وجهه أبواب الخليفة والأمراء ،
ولذلك نراه يقول :

دعني من ذكر أب وجد
ونسب يعليك سور المجيد
ما الفخر إلا في التقي والزهد

وطاعة تعطي جنان الخلد
وهذه الحركة ترجع في عمومها إلى ازدياد
غنى الأغنياء ، وفاقة الفقراء في تلك الحقبة

ولم تلبث عقيدة الحب الطاهر أن تحولت
إلى فلسفة صوفية لا تنبض قلوب أصحابها
إلا بالحب لذات الله ، والتفاني فيها ، وانتهى

التي تميزت بازدهار الحالة الاقتصادية وافتقر فيها الصراع بين الفريقين إلى تسكافؤ الفرص واختل ميزان العدالة الاجتماعية ، وأفسدت النعمة بعض المعتمدين وأتلف الفقر المعوزين وأصبح الإنسان لا يقدر عند عامة الناس إلا بمقدار ما يكتنز من مال ، أما الفقير فكان يعيش على هامش الحياة مفتقرا حتى إلى الشعور بإنسانيته .

وأرى المراضع فيه عن أولادها متجافيه وأرى اليتامى والأرامل مل في البيوت الخالية من بين راج لم يزل يسمو إليك وراجيه ألقيت أخبارا إليه لك من الرعية شافيه

ومما يدل على تنبه أبي العتاهية إلى تلك الحال ، وضيقه بها قوله :

يعظمون أبا الدنيا فإن وثبت عليه يوما بما لا يشتمى وثبوا وقد هال أبا العتاهية ما تعانیه الرعية من فقر ومذلة وهم ، وحاول أن يقوم تلك الحال فلم ير وسيلة للنضال في سبيل إنصاف المظلومين إلا أن يتجه إلى الخليفة ، ويستنهضه لرفع الظلم وإحقاق الحق ، وفي نظم ذلك أبياتة المشهورة التالية .

من مبلغ عنى الإمام م نصائح متواليه إلى أرى الأسعار أس عار الرعية غاليه وأرى المسكائب نزرة وأرى الضرورة فاشيه وأرى غيوم الدهر را نحة تمر وغاديه

وإذا لاذ بعض الناس بفلسفة الزهد هروبا من مكاره الحياة ، ويأسا من الفوز بمتبعها فهناك فئة أخرى منهم اعتنقت الفلسفة المذكورة بحسبانها من تعاليم الإسلام ، وخطأ هذا الحسبان واضح ، فالإسلام ، كما قلنا ، دعوة دينية دنيوية ، تبشر بالتقوى والورع ، وتبصر بالطريق القويم ، وتدعو في الوقت نفسه إلى السعي في مناكب الأرض والتنعم بخيراتها وشكر الله على آلائه وليس استصغار شأن الوجود ، والإعراض عنه ، إلا إنكارا لفضل الله على الناس .

أُملا في حلول يوم الخلاص مما هو فيه .
وهذا القصص الذي يستهدف توطيد مكانة
ذوى السلطان يضعهم فوق مستوى البشر
ويحيطهم بهالة قدسية من الجلال والوقار ،
ويصورهم أهل حكمة وفطنة لا تتوفران لغيرهم
من الناس ، وينزههم عن ارتكاب أى خطأ ،
أو التورط في أى لائم ، ويسبغ عليهم أسى
الصفات التى دعا الإسلام إلى التحلى بها ، فهو
بذلك يضلل الناس من مخازى أولئك الحكام
ومثاليهم وينهيه من بوادر تمردهم عليهم .

بيد أن أثر الإسلام يبدو أشد وضوحا
في قصص الحب الطاهر ، وأغلب أبطالها هن
الشعراء الحجازيين من أمثال جميل وكثير
وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح .

تنزه الحب في تلك القصص عن شهوات
الجسد ، واستعذب أبطالها ألم الحرمان
واستعاضوا بمتعة الطهر عن المتع الأرضية
وبالوصال الروحى عن الوصال الجسدى .
ووجدوا في الوفاء المتبادل بينهم وبين
حبيباتهم أنبل غايات عاطفتهم السامية .

وظهر أثر الهم ذيب الإسلامى في مختلف
ألوان الأدب العربى منذ انتشار الدين
الحنيف ، وازداد هذا الأثر عمقا على مرور
الزمن ، وتخلصت الآثار الأدبية شيئا فشيئا
من أرضية الوثنية الجاهلية ومن خشونتها ،
وإذا ظل بعض تلك الآثار يعبر عن المشاعر

وقد نما فن القصة في العصر الأموى إلى
جانب فن الشعر ، وكانت للقصص ، كما كانت
للشعر ، أهداف سياسية وتربوية بالإضافة
إلى التعبير عن المشاعر الإنسانية . والمضامين
الاجتماعية التى استحدثها الإسلام .

ولاشك أن قصص القرآن غرس في قلوب
المسلمين ميلا شديدا إلى هذا اللون الأدبى
وهيأهم للإقبال على مختلف فنونه . وقد روى
عن ابن شهاب أن تمبا الدرهمى كان أول من
قص في مسجد الرسول . . ثم توسع في ذلك
خلال خلافة عثمان .

وقال أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام :
« يظهر أن كلا من على ومعاوية اتخذ من
القصص أداة مباحية يستعين بها على ترويح
حزبه ، والدعوة له . ثم ارتفع شأن القصص
حتى رأيناه عملا رسميا يضطلع به موظفون
عموميون يتقاضون عليه أجراً . . . » .

وأغلب القصص التى راجت في ذلك العهد
كانت تتناول أخبار ملوك أحقوا الحق
وحكموا بالعدل ، ولم يتردوا في الانتصاف
للفقراء المظلومين من الأغنياء الظالمين ،
وفي هذه القصص إيماء بأن الخليفة ينهج هذا
النهج ، وأن رحمته ستصل يوما ما إلى كل
مغلوب على أمره ، والصبر مفتاح الفرج ،
ولا يلبث المستمع المسكين أن يجد فيما يسمع
متنفساً عن همومه ، ويخفف عبء ما يعانيه

الحسية ويسف في شرحها ، فهو ، مع ذلك ، يقارن بما يقابله من الشعر الجاهلي ، فتقد

اكتسب من الحياة الحضارية الجديدة ، وتقاليدها المهذبة ، رقة ولطفا لم يكن الأدب همد بمشاهما من قبل ، وتحول بمبتدعاته الفنية من سجل فج للواقع إلى عمل فني رفيع .

وإذا كان شعراء الزهد قد أغضوا عيونهم وأغلقوا قلوبهم عن محاسن الدنيا ومباهجها ، فهناك شعراء آخرون بهرت عيونهم بتلك المحاسن والمباهج ، ورقت قلوبهم لها فعبروا في شعرهم عن انفعالهم بها ، وكان للقرآن أثر كبير في ذلك إذ نوه في كثير من آياته الكريمة بمفاتيح الطبيعة الساحرة ، فلفت إليها الأنظار والافتدة ، ولا عجب أن يكون الشعراء أشد تأثراً بها ، وهم أوهف الناس حساً ، وأستاهم ذوقاً ، وأن يرصعوا شعرهم بأوصافها ، فيفتنحوا في عالم الأدب فتحة جديدة صار له ،

فما بعد ، أثر بعيد الغور في الأدب الأوربي .
ومراجعة تطور الأدب العربي نجد أن الشعراء العرب القدامى عبروا عن آراء يخطر مثلها ببال الإنسان المعاصر ، وعن مشاعر يجيش نظيرها في صدره ، في حين لم يفكر شعراء الإغريق بعقلية العصر الحاضر ، ولم ينفعوا بانفعالاته ، ولو نظرنا إلى الأدب الإسلامي وجدنا أن ما عبر عنه أشد قرباً إلى فكرنا ووجداننا .

وليس بعد ذلك شاهد أدل على ما سبق أن قرونه ، وهو أن الأدب العربي قطع في سبيل التقدم أشواطاً لم يقطعها الأدب الإغريقي ، أو غيره من آداب العصر القديم ؟

محمد مفيد الشوباشي

الوعد الحق ،

لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبئ كل منهم وراء حجر ، فينهطق الحجر ويقول : يا هب الله هذا يهودي ورأى فاقته ، .

(حديث نبوي)

مع شاعر من أبطال المقاومة للأستاذ محمد أحمد الغزب

الفهم للتعبير عن قضيته على مستوى قوى
وشعرى خصب ، ولكن قيمته تظهر كذلك
في نوعية المخاطرة الشعرية التي حل رايها
وبرأتها . فهو واحد من استجابوا في بواكير
الحركة إلى صيحة التحديد الشعرى في إطارها
الشكلى والمضمونى . واستطاع بشاعرية
مضيئة وثرية أن يضيف إلى الحركة وأن ينهض
بدوره فيها ، ومن هنا تبدو قيمته كشاعر
جسور لم يلهمه الجرح النازف في أعماق شعره
هن روح المخاطرة وجسارة الابتكار .
وفى هذا تمكن قيمة الإضافة الباكورة التي
أعطاهها يوسف الخطيب للتعبير عن كارثة
الضياع وخيمة النكبة . فالأذن العربية الشابة
أكثر ميلا لمخاطر التجديد ورؤيته مهما
اختلفت في ذلك الآراء وتعددت المذاهب :

تسائل هن حل و عن هم ترحالى

وما زاد أسفارى ومرساة آمالى

ترحلت لا أرضى الرضا عند لذة

ولى هم موقوف ، وهمة جبار

ومذ قلت فى رهط الملوك نبوءتى

تغربت فى أهلى وشردت فى دارى

إن الشاعر هنا يرفض منذ البدء طراوة

عبر الاسماء الكثيرة التي لمعت شعرياً
تحت راية النضال فى فلسطين السليبية تبدو
قائمة يوسف الخطيب ، الشعرية من بين
الكثيرين فارعة وعملقة . ليس لانه أكثرهم
استيعاباً لأبعاد الفجعة وملاح النكبة .
فكلهم يحمل فى أعماقه روح الكارثة وبشاعتها .
ولكن لانه يحمل على جبينه جرح البشارة
لما يمكن أن يكون بحق شعر مقاومة .
لا يغلط دائرة التعبير على التقاط أهونها
وأقربها مناسلا وهو ذلك الصياح
الموتور الذى يحمل فى تضاعفه ألم الجرح
وضراوة الاعتراب ، ولست أعنى أن شعر
يوسف الخطيب لا يصرخ ولا يتوتر . ولكنى
أعنى على التحديد أن صراخه مبطن بفهم
موضوعى عميق لأبعاد نكبته . وفيهم
موضوعى عميق كذلك لأبعاد التجربة
الشعرية كيف يمكن أن تكون ... ومن هنا
كان وعى هذا الشاعر بملاح التعبير الحقيقى
من كارثة النفى ، وعار الاعتراب ، أقرب
إلى روح الفهم وأدنى إلى أصالة التعبير

ولست قيمة يوسف الخطيب من بين

شعراء المقاومة فى أنه كان أقربهم إلى روح

تميمة أمـل تبـدد اليأس ، وتـلهم أشعار
شاعرـها الأصـيل .

ويدرك الشاعر هنا أن القضية ليست بنت
اليوم ولا حصـاد الساعـة ، وإنما هي حلقة من
سلسلة طويلة موصولة الحلقات ، فهذه الأمة
التي يفتـمى الشاعر لـلها كم من طواغيت
صارعت ، وكم على أعاصير زمانها الموبوء
تمردت ... ثم هو يدرك إدراكاً حقيقياً أنه
كفرد شاعر يحمل قضية شعبه وأمتـه ليس
في إطار تعبيره عن هذه القضية غصناً مبتوت
الجدور ، وإنما هو منتم أساساً إلى شعب
عريق تارك وراءه أصداء فتوحات لم تزل
حديث التاريخ :

وحسبي جبين ضيئات جراحه
ضياء وذاذ النجم في الفلك العالى
جبين نـمى فرهى لمجد أمية
وأوغل بي عزاً لعقبان ذى قار
تمرد من قبل الطواغيت يومئذ
على ألف شمس في الزمان وإعصار

والشاعر يؤمن في قرارة أعماقه أنه ليس
سوى بشارـة بالذي يأتى وأن جيله جميل
تمهيد وتعبيد ، ويوم ينفـتح الأفق البعيد
عن فارس الحـلم ، وبطل المـلحمة ، سـتـهـار كل
الهيـاكل النـخرة التي شادها الطغيان وسـهـوى
تحت ضرباته المؤمنة كل القيـاصر والفرـاعين ،
وستـنـخر كل الأصنام على وجهها كابية

الرضا وسـذاجـة القـناهـة ، فهمـه ليس هم عاشق
حالم في عالم معقول . ولكن همـ الضـاغـط
على قلبه هم موتور مشرد عن أرضه في عالم
كل ما فيه يتآمر عليه ، وعلى قضية شعبه
الواقف تحت سماء ماطرة بالرصاص . والهم
وألوان الخيانة النـسـكـراء .

أقول وبـي قصـد الغريب وكبره
لى الراحة العزلاء والهدف الغالى
لى السـكـلمات الجـمر تنسـخ من دى
وما كان إلا من دى زاد أسفارى
وبوركت آلام الجـلـوع تميمة
تورق أعصابى وتـلهم أشعارى

إن د الغريب ، فى شعر يوسف الخطيب
ليس هو ذلك التائه المحطم الذى تبعثرت
خطواته سدى على طريق الضياع ، ولكنه
د الغريب ، الـوائـق المستيقظ الذى يعرف
جيداً من أين ؟ وإلى أين ؟ والذى لم يفقد
عبر مسيرته الطويلة كبره ولا ملاح ذاته ،
وإن كانت جـواذب الظلام من حوله تشـد
خطواته إلى الوراء قليلاً . فإن هـوائـف الأمل
المنشود د والهدف الغالى ، تـحـرق فى داخله
كل نوازع الهبوط لتقفـه دائماً أمام يومه
ومصيره فانما أحداقه جيداً على طريقـه
الطويل الذى تجلجل كلماته فى زواياه المعتمـة
شاربة حياتها من دمه وأهـصابـه . وعلى طريقـه
الطويلة المـنـمـدة تنـزاحم جـمـوع شعبه الـرازحـه

ويا أيها الجلال .. أوثقت معصمى
فمن أين يا جلال توثق لإصرارى
وحين يشارف الشاعر نهاية الخلق في عمله
الشعرى يطلق من أعماقه صيحة النفار والبعث
حاشداً فيها كل طاقات التوتر والامل
والإصرار .

حرام على جفنى الرقاد .. وأمتى
شتات . وآفاقى تناثر أطلالى
رواى اكتناز الليل غيا وأنجمها
وأشرعة كالثلج يبحرن فى قار
غد للزمان الرحب يولد من غد
ونار لوهج البعث تخلص من نار
لا بتدون الصبح قبل اشتعاله
وأورث فى عمق السكينة زلزالى

هذه واحدة من قصائد الشاعر الواهب
يوسف الخطيب ، الذى عمقت النكبة
فى شعره روح المقاومة فلم يهتف كغيره
من شعراء الأرض المحتلة هتافاً مجرد هتاف ،
ولمما استوعب فى داخله أبعاد القضية
قومياً وشعرياً ، وهرف كيف يخاطب
الوجدان الإنسانى مترقياً من وصف بشاعة
الكارثة . . إلى احتوائها ألباً وأملأ . .
إلى وقفها فى مستوى الرؤية أمام كل البشر
عاراً يدمغ لإنسان العصر ، وبركاناً يوشك

لتنفسح الطريق لما يمكن أن يكون موافماً
لروح العدالة وطبيعة التطور ... إن الشاعر
البشارة . أو الشاعر الرمز .. أو الشاعر
التمهيد .. لا يستعمل كلماته فى شعره المقاوم
لتحدث دى ، قريباً أو بعيداً ، وإنما
هو يشهر أحرفه فى هشيم المرحلة لى
تستحيل ناراً وسط هذا الموت :

وحسبى تهبج النار فى الموت أحرفى
وتسمح تيجان القياصر أذيالى
سيمانى الذى بعدى . تهد حروفه
هياكل كهان . وأصنام كفار
وما أنا إلا كى أشق طريقه
يبذل أقدار الحياة بأقدار

ويبلغ الشاعر ذروة الانفعال والثورة
فيتحدى بكل إصراره أن شعبه يباع ، وأن
موطنه يستباح ، وهو فى تحديه يدرك تماماً
ضراوة الرحلة وقساوة المخاطرة ، ولكنه
يعصب جرحه بيديه ويمضى إلى غايته فى رجولة
وإصرار ، كافرأ بالشوك - هازئاً بالصخر -
رافعاً يد التحدى فى وجه جلاده وجلاد
شعبه :

تحديت أن شعبى يباع . وموطنى
يباع . وأن أعلى الحصى قوت أطفالى
صعاب دروبى . فى الموت اجتماعيتها
وفى الشوك والجلود . والافق العارى

أن ينفجر ، ثم إلى إشهارها قضية جيل يرفض راعنا ما في القصيدة من جهامة قابضة ،
أن تموت قضيته قبل أن يموت . ومن يباس رهيب ، ومن تساؤلات لا تنتظر
فإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى من قصائد الجواب لأنها هي نفسها تفجر الجواب
هذا الشاعر الموفق بعنوان الطريق إلى يافا المؤسى في كل القلوب .

يوم غاب الضوء عن يافا انتجعنا الشرق واجتزنا ليمان الشريعة
ضرعنا جف . ولا زرع . وأرني القحط في أرواحنا المعنى الوجيعه
والدروب اختفت موتى . وكنا البائعين الأرض . والأرض المبيعه
كيف ضيعنا زمان الوصل ضيعناه . غشيننا على الإثم الذريع
أمة جاحدة . . أم يدس الشديان من يافا على ثغر الرضيعه
لست تدري . ثم فصلنا قماش الليل في الأرض أخياشاً وضيعه
ورقدنا لصق موتانا من الكهف . . وأغقت بيننا حتى الفجيعه
أرضنا آلتنا الحدياء . . وممشانا على الأرض الحديعه

ثم تروعنا في مقاطع ثالية من القصيدة تفلت من أعماقنا أو هو يكاد ، حتى لم يبق
رجعة الشاعر على تاريخنا كله ، ماضيه وحاضره لنا منه سوى ملاح الراعى وملاح القطيع ،
ومستقبله ، وهي رجعة موفقة وقاسية في آن . ظل الخيمة وغباوة السلطان وشم على الجبين
فالماضى الذى كان عملاقا استحال في أيدينا وتمر بدوى في الجراب . . . وحين يصفى
إلى حاضر هش ، والمستقبل الذى يمكن أن يولد التاريخ كله لتبقى لنا منه هذه الرواسب
من هذا الحاضر لن يكون إلا على مستوى المكابيه ، ويضيع من بين أصابعنا كل المساء
الهشاشة ، إن ماضيها العظام عوارثه الضخمة القراح . . يصرخ الشاعر يوسف الخطيب :

آه يا أيتها الاصلاب من يافا . . أقام الليل أزماناً . وأرني
العيون ارتسمت وحلا من الرعى إلى أذن وأشواكا وعشبا
تبت الرعيان ملء الأرض . تب الكلاء المسموم تب الوشم تبا
أترعى يا أنهر الضوء روايدنا وهزى باطن التربة شعبا
ألهميننا مرة كيف نشد الرأس . . تنفك من المدود . . نأبى

ولست أريد هنا أن أمضى مع هذه القصيدة كانت واحدة من أروع قصائد الشعر العربى
الرائعة إلى نهايتها فهي طويلة وحافلة ، وربما المعاصر رغم كل ما فيها من جهامة ويباس .

لم يستطع أن يتخلى عن دوره الرائد، وتكلف التعقل في موقف يهيج حتى الحليم، إن هذه القصيدة الأخيرة برغم كل ما فيها من اقتدار الشاعر وبراء عاطفته وخياله لا يمكن أن تكون إلا دليلاً على إحساسه الكبير بالتزامه نحو قضية المقاومة، التي تفرض عليه أن يخفي دموعه وواء ستار من الالمبالاة بما حدث، أو المبالاة به كحافز دافع إلى جولة أخرى لايهما أن أصابها الدوار في الجولة الأولى فوقعت على الأرض.

إن يوسف الخطيب شاعر من ألمع شعراء المقاومة في الوطن العربي، وربما كان من ألمع شعرائنا على الإطلاق، وإن ديوانه واحدة الجحيم، ليؤكد قيمته الفنية والنضالية على السواء، بكل ما فيه من عطاء شعري لا يمكن أن يكون إلا لشاعر واعد وأصيل، ولعل ما في واحدة الجحيم، من اقتحامات تجديدية بارزة يستحق أن يدرس وأن يقسم، فلهذا يبدو أن الشاعر في تجديده واقتحامه يفهم ماقد أقدم عليه، بل أوشك أن أقول إنه مصر على المضى فيه حتى ليستحيل الإطار الشعري في يديه إلى خلق جديد، له إيقاعه الخاص، وموسيقاه الفريدة، وهذا وحده يستحق وقفة أخرى، تسلط الضوء على قيمة المخاطرة في هذا المجال.

محمد اصمحر العرب

فإذا انتقلنا مع الشاعر إلى قصيدة أخرى كتبها بعد النكسة، وبعد هزيمة زلزلت إيمان كل القوى العربية على امتداد الأرض والأفق رأينا ملاح الإصرار والمقاومة تعايش كل حرف من حروف قصيدته الجديدة.

هنا أمة فرعها في السماء
وفي كبد الأرض منها قدم
وتحمل لا تهمل الفاتحين
وتهدأ كي تستجن الحزم

هنا أمة من ليلان الزمان
غذت لحمها من ثدى الالم
أسارى على أرضها الفاتحون
ومنهم دونها من هزم
وما اللات أول من حطمت
ولا اللات آخر بعل جثم
لتشهد مسكة في كل يوم
حرارة - إذا كل يوم صنم

وفي الحق - أن ما في قصيدة الشاعر الأخيرة التي كتبها بعد هزيمة يونيو الرهيبة من مباهاة بالماضى مرة ولجوء إلى التشايبه المألوفة في الشعر العربي مرة أخرى، ومحاولة للتعقل والإدلاء بالحكم مرة ثالثة... إن كل ذلك يدل على شيء واحد. هو إحساس الشاعر العميق بالفاجعة، وبأن ما كان لم يكن ينبغي أن يكون ولكنه كشاعر يحمل رسالة المقاومة

تصحیحات لكتاب لسان العرب فمن طبعته دكتور محمد عبد الوهاب

وقد أحصيت مسائل النحو التي في المخصص
فشغلت مجلدا كبيرا يقرب من ألف صفحة ؛
كما جاء ما تضمنه من الشعر في مثل ذلك أيضا .

* * *

وكتاب لسان العرب لابن منظور المصري
قمة كتب اللغة ، جمع ما لم يجمعه كتاب قبله
ولا بعده . انفرد بالشمول والإحاطة في كل
ناحية . لو جمع ما حواه من ألوان العلوم
على انفراد لجاء كتبا ضخمة في الحديث
والتفسير والنحو ، والصرف والفقه والأدب .

أما ما نثره في تصانيفه من دواوين الشعراء
الجاهليين والإسلاميين فهو كثير جدا .
هو الكتاب الذي يتكء عليه كل من حقق
كتابا في علوم العربية أو الشريعة ، لا يستغنى
عنه محقق أو باحث ، ولا يعدل غيره به .

ولما كان بهذه المنزلة كان تصحيحه
بما يحتاج إلى بذل جهد ضخم ومصححين
لهم دراية عميقة بعلوم العربية . يحتاج إلى
جهد المحدث ، والمفسر ، والفقيه ، واللغوي
والمحوي ، والرواية ، والأديب ، لهذا كان
تصحيحه أمانة في عرق هؤلاء جميعا .

معاجمنا اللغوية الكبيرة لم تقف عند شرح
الكلمات اللغوية فحسب ، وإنما عرضت
لألوان شتى من علوم العربية .

لوالقينا نظرة على المخصص لابن سيده
لألفيناه أفاض كثيرا في مسائل النحو
والصرف ، وشرح كثيرا من الشعر . وخذ
مثلا عنايته بكتاب سيديويه : كان لا يكتفي
بالنقل عن نسخة واحدة من كتاب سيديويه ،
ولمّا يرجع إلى نسخ متعددة (ج ١٤
ص ١٤٥) ؛ كما كان يصحح نسخ كتاب
سيديويه بالرجوع إلى السيرافي (ج ١٤
ص ١١٥ ، ص ١٢١) ويشرح ما خفي من
أسلوب سيديويه (ج ١٤ ص ١٧٦) ، وينقل
عن نقد المبرر لكتاب سيديويه (ج ١٧
ص ١٤٣) .

ويقول : كل عقد لسيديويه ، وكل تحليل
فلأبي بكر بن السرى وأبي علي وأبي سعيد
(ج ١٤ ص ٢٢٠) ويقول : أذكر ما لم
يذكره سيديويه (ج ١٤ ص ٢١٢ ص ٢٢٦)
أما ما نقله عن كتب أبي علي : الإيضاح ،
والإغفال ، والحجة فهو كثير (ج ١٦
ص ٩٠ ، ص ٩٢) .

يدور حديثه عن أن تنظر حمارها الوحشي
ليرد بها الماء .

الضاحي من الأرض : الظاهر البارز .
الغداة ، بالعين والذال المعجمة :
الأرض الطيبة التربة السكرية التبت .
الضامن : الساكت .

(أمره) مفعول به المصدر قضاءه .
وإذا علق الجار والمجرور (بضاحي) بوقوف
أو بالفعل (ينتظرن) كان فيه فصل بين العامل
ومعموله بالأجنبي وهذا الذي رآه ابن الشجري
(الأمالي ج ١ ص ١٩١) .

أما ابن هشام فقد علق الجار والمجرور
بنفس المصدر (قضاءه) حتى لا يفصل بين
العامل ومعموله بالأجنبي (المغنى ج ٢
ص ١٢٥) .

وهذا البيت أصابته تحريفات كثيرة
في كتب اللغة والنحو :

صحفت (غداة) وهي بالعين المهملة والذال
المعجمة إلى غداة ، بالغين والذال المهملة
في طبعي اللسان . ط بولاق ج ٧ ص ٢٣٢
س ٢٤ . ط بيروت ج ٥ ص ٣٦٥ س ٢٢ ب .

وكذلك وقع التحريف في نسخ المغنى لابن
هشام وشراحه ، وعرفوها بأنها من صلاة
الفجر إلى طلوع الشمس ، وكذلك في ديوان
الشماخ ص ٤٤ .

وجعلت (غداة) بالعين والذال المهملتين

أحضرت لمكتبتى مصورات لبعض الكتب
اللغوية في القرنين الثالث والرابع ، وقت
بتحقيقها ، فكانت فرصة أتاحت لي الوقوف
على بعض الأخطاء والتحريفات والنقص
في بعض نصوص اللسان ، وما أتذا أدلى بما
وقفت عليه .

(١) في اللسان (قط) : وأشد ابن برى
لامية بن أبي الصلت :

قوم لهم ساحة العرا
ق جميعا والقط والقلم
ط بولاق ج ٩ ص ٢٥٨ س ٧ ، ط بيروت
ج ٧ ص ٣٨٢ س ١١ ب (١) .

والبيت على هذه الرواية لا يستقيم له وزن ،
وروايته في كتاب المذكر والمؤث لابن
الأنباري (٢) ص ٢١٧ :

قوم لهم ساحة العراق إذا
ساروا جميعا والقط والقلم
وكذلك روى في سيرة ابن هشام مع آخر
(انظر الروض الآنف ج ١ ص ٤٣) .

والبيت بهذه الرواية من أبيات صفة
في ديوان أمية بن الصلت ص ٦٠ ط بيروت .
(٢) بيت الشماخ :

ومن وقوف ينتظرن قضاءه
بضاحي غداة أمره وهو ضامن

(١) الصفحة في طبعة بيروت نهران
فرمنا لها بألف ، ب .

(٢) نسخة بالتصوير الشمسي بمكتبتى .

فرد عليه ، وهو قوله : (ألم تعلم أن الله
على كل شيء قدير) وكذلك قوله (ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم
سخريا أم زاغتم عنهم الأبصار) فإن شئت
جعلته استفهاما مبتدأ قد سبقه كلام وإن شئت
جعلته مردوداً على قوله (ما لنا لا نرى
رجالا) .

انظر اللسان ط بولاق ج ١٤ ص ٣٠٠
س ٢٤ ، و ص ٣٠١ س ٤ ، ط بيروت
ج ١٢ ص ٣٥ س ١٤ ، ٢٥٠ .

(٤) في اللسان (سيد) نقل نصا عن ابن
سيده في أصل عين (سيد) .

ولما كان الأسلوب عليه مسحة أسلوب
ابن جني رجعت إلى الخصائص فوقفت
على ماسقط من النص وإليك النص مصححا :

« فإن قيل : فإن سيدها بما يمكن أن يكون
من باب ربح وريحه فهلا توقفت عن الحكم
بكون هينه ياء لأنه لا يؤمن أن يكون
من الواو (قيل : هذا الذي تقوله إنما تدعى
فيه ألا يؤمن أن يكون من الواو) وأما
الظاهر فهو ما تراه ، .

(انظر الخصائص ج ١ ص ٢٥٢ . واللسان
ط بولاق ج ٤ ص ٢١٧ س ١٧ ، ط بيروت
ج ٣ ص ٢٢٢ س ١٣) .

محمد عبد الحفيظ

في أمالي ابن الشجري وفي شرح شواهد المغنى
للسيوطي ص ٣٠٣ :

ضبط (أمره) بالرفع في طبعي لسان
العرب وهو منصوب ، وأخطأ شارح ديوان
الشيخ ، فجعل (أمره) مضافا إليه ، وفصل
بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وهو
غداة . .

وحرف (ضامن) وهو بالزاي إلى (ضامر)
بالراء في شرح شواهد المغنى للسيوطي وذكر
أبياتا أخرى من القصيدة وجعلها كلها بالراء
المهملة وكذلك في بعض نسخ المغنى .

والبيت من زائفة الشيخ التي قال عنها
الأصمعي : ما قيلت قصيدة على الزاي أجود
من قصيدة الشيخ في صفة القوس . انظر
المقتضب ج ١ ص ١٥ - ١٦ .

(٣) في اللسان (أمم) نقل عن الفراء
وقد وقع في النص تحريف وسقط يتبين
ذلك بالرجوع إلى كتاب (معاني القرآن
للفراء ج ١ ص ٧١ - ٧٢) .

التحريف : قال في اللسان : « (أم) في المعنى
تكون رداً على الاستفهام على جهتين : لأحدهما
أن تفارق معنى (أم) . الصواب : معنى أي .
أما الساقط فسنضعه بين معقوفين :

« وأما قوله (أم تريدون أن تسألوا
رسولكم) فإن شئت جعلته استفهاما مبتدأ
قد سبقه كلام وإن شئت قلت : قبله استفهام

الوجيز في العسكرية الإسرائيلية

معرضه ونعاليه : دكتور يوسف عبد الرزاق الشال

المعلومات التي تبين عدد سكان الاقطار التي
يحتمل أن تحارب فيها القوات . وبجبايا أولئك
السكان وسلاحهم وأيضاً المعلومات المتعلقة
بمصادر جميع دور الحرب التي يحتمل أن
تكون فيها قواتنا ووسائل تنقلها وظاهرتها
الطبيعية . وللمعلومات الطبيعية المفصلة المتعلقة
بدار الحرب شأن خطير لأن عليها يتوقف
تأليف قوة الميدان وتنظيمها .

وكل الكتب العسكرية تلح دائماً وتلحف
أبداً على ضرورة جمع المعلومات عن العدو
لتوفير أول شروط النصر . وإلا فلا نصر
على هـدو لا يعرف عنه الطرف الآخر
شيئاً مذكورا .

ولعل من أهم أسباب انتصار إسرائيل
في حرب يونيو ١٩٦٧ على العرب هو أن
إسرائيل كانت تعرف أدق التفاصيل عن
الجيش العربية : عدها وتسليحها وتجهيزها
وتدريبها وأساليب قتالها وقيادتها بينما لم يكن
العرب يعرفون عن جيش إسرائيل إلا معلومات
قليلة وسدّحية .

مؤلف هذا الكتاب اللواء الركن : محمود
شيت خطاب . وهو مجموعة محاضرات ألقاها
المؤلف على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية
في معهد البحوث والدراسات العربية ،
تناول فيها الجوانب العسكرية وما يتصل به
في إسرائيل .

ويشمل الكتاب على مقدمة واثني عشر
فصلاً وخاتمة .

وفي المقدمة أوضح المؤلف العلاقة بين
إحراز النصر ومعرفة العدو معرفة دقيقة
تشمل العدد والسلاح ونوعية التدريبات
وطبيعة الأرض التي يمكن أن تدور عليها
المهركة مستنداً إلى أوثق كتب التجهئة العسكرية
المعتمدة التي تجمع على أنه : يجب أن تبنى
جميع الاستعدادات والخطط العسكرية على
المعلومات الجيدة . فدائرة الأركان العامة —
الدماغ المفكر للجيش — في وزارة الدفاع
مسئولة عن جمع المعلومات المتعلقة بقوات
الدول الأجنبية كاملة وتجديد تلك المعلومات
دائماً لتكون على أحدث ما هي من استقاء

هذا الكتاب ، ثم علل الدوافع التوسعية لإسرائيل وردها إلى أربعة عوامل :

١ - العامل العقدي الذي ينبع من صميم العقيدة ومن صلب الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسباب اختيار فلسطين وتشبثهم بها على أساس أنها الوطن القوي التاريخي للشعب اليهودي .

٢ - العامل الاقتصادي الذي تحتمه جغرافية الأرض المحتلة وحاجة إسرائيل الزراعية ومشاريعها لاستقدام المهاجرين اليهود .

وعلى هذين العاملين يقوم العاملان الآخران وهما العامل العسكري والعامل السياسي .

فبالنسبة للعامل العسكري فإن إسرائيل تهتم به اهتماماً كبيراً لإحساسها بأنها معتدية ، وأن العرب مصرون على استعادة حقوقهم المقتضية ، على أن طبيعة الحدود الإسرائيلية ومساحة الأرض المحتلة والتوزيع السكاني فيها وتطور الجيوش العربية كل ذلك يجعل العامل العسكري حيويًا في نظر إسرائيل .

وبالنسبة للعامل السياسي فإنه يتمركز في إجبار العرب على الصلح مع إسرائيل ورفع مكانتها السياسية بين الدول والدعاية المتشعبة الاتجاهات .

ثم تحدث عن الاستراتيجية الإسرائيلية التي تعتمد على نقل المعركة من أراضيها إلى

وقد حذر المؤلف من خطأ شائع في بعض الأذهان ، هذا الخطأ هو أن الصراحة في الحديث عن إسرائيل مؤدية إلى زعزعة المعنويات وقد رد هذا الخطأ بقوله :

ولست أشك في أن مصدر هذا الخطأ الشائع إن لم يكن إسرائيل ومن وراء إسرائيل من دول الاستعمار فإن تصديقه من مصلحة إسرائيل ومن يشايعونها ذلك لأن إسرائيل وأعداء العرب يرويدون أن تبقى نواياهم العدوانية وأهدافهم ومخططاتهم مجهولة للعرب حتى يستطيعوا مباغتتهم في الزمان والمكان المناسبين بمختلف القوى والأسلحة والمخططات المجهولة .

ثم أخذ المؤلف في عرض الفصول التي رتبها ترتيباً متناسقاً يسلم السابق منها إلى اللاحق ، واستهل ذلك العرض بسؤال طرحه :

لماذا خلقت إسرائيل ؟ فبين كيف أقيمت كما بين مطامعها التوسعية على حساب الشعوب العربية كلها . وعلاقتها بالاستعمار ومدى خطورتها لا على العرب وحدهم بل على كل دولة تعادي الاستعمار ، عرض المؤلف كل ذلك في استيعاب واف معززا ما يقرره بما جاء على السنة أقطاب الصهيونية وما تضمنته الكتب والنشرات الرسمية التي تصدرها الصهيونية منذ عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة « بال » بسويسرا إلى وقت صدور

شامل لأنواع الإهمال والخدمات العسكرية
في زمن السلم والحرب

ثم أخذ المؤلف في بيان أنواع الخدمات
والقوات المسلحة والمنظمات الوطنية بينما
أسلمه إلى الحديث عن تدريب القوات
الإسرائيلية في مختلف المستويات بحيث يبدأ
التدريب لسلك إسرائيلي عند بلوغه الخامسة
عشرة ولا يتخلف عن هذا التدريب فرد في
إسرائيل إلا إذا كان مصاباً بما يعجزه عن
العمل أو كان ممن يستثنيه القانون وبالنسبة
للمهاجرين الجدد فإن تدريبهم يبدأ من الثالثة
عشرة مع حشد كل الطاقات المادية والمعنوية
للإفادة منها في الزمان والمكان المناسبين .
وبعد الحديث عن أساليب القتال لدى القوات
الإسرائيلية هجومياً ودفاعياً انتهى إلى أن
المهجوم بالنسبة للقوات الإسرائيلية هو
القاعدة وأن الدفاع هو الاستثناء مع الاهتمام
بمسير الاقتراب والانسحاب والمطاردة .

وانتقل المؤلف إلى الصواريخ التي تستعملها
إسرائيل وهي الصاروخ الأمريكي وهوك،
والصواريخ الفرنسية المضادة للدبابات ثم
الصاروخ الإسرائيلي شافيت ، مبينا
خصائصها وميزاتها . ثم عرض السلاح
الذري لإسرائيل متتبعا المحاولات الذرية
فيها منذ فجرت فرنسا قنبلة لها الذرية في فبراير
١٩٦٠ حيث استعملت إسرائيل حقد فرنسا

البلاد العربية حتى لا تتعرض للدمار لاحتمال
هزيمتها في الأيام الأولى من نشوب القتال
بينها وبين العرب ، وذلك يجعلها حريصة
على اختيار الوقت الذي تهاجم فيه والسلاح
الذي تستعمله .

وقد لاحظ المؤلف أن تمت ارتباطا وثيقا
في التوقيت بين الاعتداءات الإسرائيلية
وهروضها للسلام ، وبين أن النظائر بالسلام
ما هو إلا وسيلة من وسائلها الكثيرة لتغطية
نواياها العدوانية لأنها لا تؤمن بالسلام
ولا تخضع لمنطقه .

ثم عرض أسلوب التعبئة العامة في إسرائيل
ونظام التجنيد والتسريح والاحتياط . وفي
تناوله للقوات المسلحة الإسرائيلية رجع بها
إلى الحرب العالمية الأولى إذ تطوع أكثر
يهود فلسطين وحاربوا إلى جانب القوات
البريطانية التي غزت فلسطين وحاربت قوات
الدولة العثمانية .

ثم انتقل اليهود فرصة الحرب العالمية الثانية
وشكلوا لواء يهوديا كان ضمن القوات
البريطانية وبعد أن وضعت الحرب العالمية
الثانية أوزارها هاد معظم منتسبي اللواء
اليهودي إلى فلسطين ليدربوا اليهود هناك
وليسكونوا نواة جيش الدفاع الإسرائيلي .

وبعد قيام إسرائيل تطور جيشها بسرعة
فائقة ولا يزال يتطور حتى اليوم في تنظيم

له من كل جانب لذلك لا بد له من التفوق على العرب بأسلحة جديدة مدمرة ، وإسرائيل تعتمد على العلوم التطبيقية والتكنولوجيا ، في جميع نواحي حياتها فلا بد أن تستعين بهذه العلوم لحل مشاكلها العسكرية ... وبعد هذا الربط عرض أسلحة التدمير الشامل التي تستخدمها إسرائيل وبين أنواعها ومواصفاتها .

وقال عن الأسلحة الكيميائية إنها أسلحة تعتمد على مواد كيميائية سامة وقد سميت في الماضي بدد الغازات السامة ، أما الآن فتدعى بدد العوامل الكيميائية السامة ، وذلك لأن المواد الكيميائية السامة التي تستخدم كسلاح الآن هي ليست غازات فحسب بل هي مواد صلبة وسائلة أيضا وتدخل العوامل الكيميائية السامة بجميع أنواعها ضمن مجموع الأسلحة التي تستخدم لأغراض التدمير الشامل وأما الأسلحة البيولوجية فهي استخدام بعض الكائنات الحية أو سمومها لإشاعة المرض أو الموت في القوى البشرية المعادية أو لآلاف حيواناته ومحاصيله الزراعية وقد تكون هذه الكائنات الحية جراثيم مختلفة الأنواع أو حشرات وطفيليات . ومع تحريم اتفاقية دجنيف ، عام ١٩٢٥ لهذا السلاح ومع أن دول العالم اتفقت بعد الحرب العالمية الأولى على تحريم الأسلحة الكيميائية إلا أن إسرائيل

على العرب وزار بن غوريون فرنسا في يونيو ١٩٦٠ كازارها شمعون بيريس وكيل وزارة الدفاع الإسرائيلية وكان لتلك الزيارات علاقة وثيقة بمحاولات إسرائيل للحصول على السلاح الذري إذ أكدت الأنباء ومنها ما نشرته « الديلي ميل » البريطانية في ٢١ من ديسمبر ١٩٦٠ أن فرنسا زودت إسرائيل بمقدار من « اليلوتونيوم » وبالأسرار الفنية اللازمة لصنع القنبلة الذرية وبالخبراء لإقامة الفرن الذري الإسرائيلي وقد ثبت أن هذا الفرن كان يشرف على إنشائه علماء فرنسيين وأنهى هذا الفصل بالتساؤل عن أهداف إسرائيل من التسليح الذري وواجب الدول العربية تجاه هذا التسليح وأحال الإجابة على كتابه ، طريق النصر في معركة الشار ، وكان المجال يقتضي الإجابة مهما كانت سريعة وتكون الإحالة لراغب التوسع والمتخصصين .

وقد خص المؤلف الأسلحة الكيميائية والبيولوجية بفصل كامل ربط فيه ربطا وثيقا بين هذه الأسلحة ونفسية العدو وطبيعة الصهاينة الذين لا يؤمنون إلا بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة . فهم لا يتورعون عن استعمال أى سلاح مهما كان مدمراً في سبيل تحقيق أهدافهم ، وهذه الأسلحة تلائم خطط العدو العسكرية فهو محاط بالدول العربية المعادية

و كندا والسويد وجنوب أفريقيا وأسبانيا .
وبعد استيعاب لهذا الجانب المهم انتقل
إلى الخاتمة التي ركن فيها على أن معرفة العدو
يجب ألا تقتصر على العسكريين وحدهم بل
يجب أن تشمل المواطنين جميعاً لأن الحرب
الحديثة أصبحت حرباً عامة تقتضى حشد كل
الطاقات المادية والمعنوية للشعب ولا يمكن
إحراز النصر في مثل هذه الحرب بدون أن
يكون الشعب كله لا الجيش وحده على
مستوى مسئولياته المصيرية .

ومن الأمانة التنبيه إلى خطورة « التهوين »
من شأن العدو وبخاصة قبل الحرب . إذ
ذلك يؤدي إلى كوارث ماحقة . والذي
حدث أن العرب استهانوا بإسرائيل وأضعفوا
هلمها كل نعموت الضعف والهزال وأسبغوا
على أنفسهم كل صفات القوة والمنعة . ومن
الحصافة ألا نستعين بعدونا أبداً وأن نكون
على درجة من الحذر واليقظة والحرص .
وتطرق إلى مكان الضعف في إسرائيل والتي
ستسلبها إلى الانحلال عاجلاً أو آجلاً ولخصها
في كثرة الأحزاب فيها وتفشى الانحلال
الخلقى بين أبنائها وما يقدم به اليهود من مادية
طاغية والتمييز العنصرى داخلها وموقعها
الجغرافى المحاط بالبلاد العربية المعادية لها .
على أن الوقت مع العرب على إسرائيل لأن

لا تتورع عن استخدام مثل هذه الأسلحة
وختم هذا الفصل بقوله :

وأخيراً فإن استخدام إسرائيل للسلاح
« البيولوجى » ، هذا أكثر احتمالاً من
استخدامها الأسلحة النووية أو الإشعاعية
وشبيهه باحتمال استخدامها للسلاح الكيماوى
غير أن مدى نجاحها في تحقيق الغرض الذى
تسعى إليه من استخدام هذا السلاح أمر
مشكوك إذ أن طبيعة أراضي البلاد العربية
وظروفها المناخية قد تقلل من تأثيره إلى حد
كبير ، ثم إن استخدام العدو لهذا السلاح
إن يحقق له المباغمة ولا التأثير المعنوى
الذين يمكن أن تحدثهما أسلحة التدمير
الشامل الأخرى فالأمة العربية قد اعتادت
المرض على اختلاف أنواعه وصار لها بعض
الإلمام بطرق الوقاية والمعالجة منه بل وشيء
من المناعة أيضاً ، ولا ريب في أن اتخاذ
التدابير يساعدنا على تقليل تأثير السلاح
البيولوجى وقيمته .

ثم انتقل إلى مصادر التسليح الإسرائيلى
والصناعة الإسرائيلية للسلاح فذكر الدول
التي تمد إسرائيل بالمساعدة والدعم في هذا
المجال وأنواع ومقادير الأسلحة والصناعات
العسكرية وهذه الدول هي :

ألمانيا وأمريكا وفرنسا وبريطانيا
وتشيكوسلوفاكيا وإيطاليا وبلجيكا وسويسرا

بين الدول العربية والتخطيط للاكتفاء الذاتي ووضع الوحدة العسكرية موضع التنفيذ وتقوية القيادة العربية الموحدة ماديا ومعنويا .

وللعرب عقيدة سماوية قادتهم إلى النصر ، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة لامراء ولما ضعف العرب صانتهم تلك العقيدة من التفسخ والانحلال ، وهذا الامر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، العودة إلى الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء .

وحينذاك سيقول اليهود عن العرب كما قال أسلافهم : إن فيها قوما جباوين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وانتهى الكتاب بثبت للراجع العديدة عربية وأجنبية .

وحسب المؤلف أنه مزج ما قدم من معلومات دقيقة ودراسة مستوعبة بما لديه من رصيد الخبرة الطويلة والتجارب المتنوعة في حياته العسكرية التي يضاف عليها الكثير من الإعجاب ، اعتزاز لا حد له ، بالإسلام هقيمة يؤمن بها ويعمل من أجلها ؟

يوسف عبد الهادي الشال

العرب إذا ناموا ساعة فلن يناموا إلى قيام الساعة . ثم إن جيش إسرائيل نفسه يحمل جرائم الثلاثي . ذلك لأنه يعيش على انتصارات وقيمة تبقى معنوياته موقته بها وستهار معنوياته هذه إذا خسر معركة واحدة .

وأول خطوة يخطوها العرب في طريق النصر هي إعادة النظر في تربية النشء العربي ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم ديننا الحنيف وحضارتنا العريقة الأصيلة ، ونؤصل في كيان كل فرد منا أن تفشى التردى الخلقي في مجتمعاتنا لا يخدم أحداً غير إسرائيل وأعداء العرب وإعداد المعلم المسلم هو مفتاح الإصلاح التربوي .

وأهم ما يراه المؤلف بعد ذلك كفيلا بتحقيق النصر هو :

تصفية الجو العربي والعمل المخلص الأمين والتعاون مع المسلمين في كل مكان وفي كافة المجالات ، وإنشاء صندوق ثابت لفلسطين لجمع الأموال اللازمة للجهود الحربية وتنسيق التعليم والسياسة والاقتصاد والإنتاج الحربي

الكتاب

شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى^(١)

٣٩٦ - ٤٨١ هـ

حياته ومبادئه وجهاده وآراؤه

عرض وتعليق :

د. س. ت. محمد عبد الله الوائلى

التي يمر بها العالم العربى والإسلامى من جراء
دسائس الصهيونية والاستعمار ، ضد العرب
والمسلمين ، فى هذه الظروف الخطيرة التي
يعملون فيها من أجل استرداد مقدساتهم
وحقوقهم السلمية .

وقد قسم المؤلف كتابه الذى بلغ ٣٦٠ ص
إلى مقدمة وستة فصول ، وبين فى المقدمة
قيمة البحث وما يعود به على حياة الإنسان
من خير . ورتب فصولها على النحو التالى :

١ - العصر الذى ولد فيه ونشأ الشيخ
الهروى .

هذا الكتاب يحمل تاريخ حياة عالم من أجيال
علماء الإسلام ، حاول أن يعود بالمسلمين
إلى الحياة الإسلامية الناصعة ، وجاهد لإبراز
شخصية الإسلام وذاتيته خالصة من آثار
المخالفات ومن غبار الثقافات الدخيلة ، وعمل
لصرف المسلمين عن التورط فى المجادلات
النظرية العقيمة إلى العمل الجساد المثمر
فى مجالات الحياة .

ودعا الشيخ الهروى فى مؤلفاته ومقالاته
وخطبه ، المسلمين لأن يعودوا بشخصيتهم
إلى عهد أسلافهم الذين حققوا العزة
والكرامة بحياة السلوك العملى والمنهج
القويم .

(١) تأليف : الدكتور محمد سعيد الأفغانى

وتقديم : الدكتور عبد الحليم محمود ، دار
الكتاب الحديثة بالقاهرة - ١٩٦٨ ،

ويعتبر تاريخ حياة هذا المجاهد الإسلامى
نبراسا للأمة الإسلامية فى هذه الفترة الحرجة

٢ - شرح حياته .

٣ - مؤلفاته .

٤ - مقارنة آرائه بأراء معاصريه من العلماء .

٥ - منهجه في التصوف .

٦ - أثره في المجتمع . ثم أردفها بذكر المراجع .

ولو قرأنا حياة شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى نجد أنه شمر عن ساعد الجسد وأخذ يعمل في ميدانهم رئيسيين لخدمة الأمة الإسلامية : أولاً في ميدان صرف المسلمين عن التورط والتعمق في الجدل والمراء في المسائل الفروعية ، ولم يرفه إلا اتجاهها خاطئاً إلى التفرقة بين صفوف المسلمين وهم في أشد الحاجة إلى الاتفاق والوئام . وثانياً في ميدان إرجاع المسلمين إلى طريق السلوك العملي المبني على كتاب الله وأسوة برسوله . وكان يذكرهم دائماً بقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وقوله أيضاً « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً » .

وكانت خلاصة تعاليمه وزبدة تدريسه وبحبه وثقافته وفكره أن الحياة الروحية هي قوام الحياة المادية ، وأن حياة شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروي حياة علم من أعلام الإسلام الخالدين الذين ضحوا بأنفسهم ونفسيهم في سبيل العقيدة والمبدأ بدون مال ولا ضجر حتى لقوا الله راضين مرضيين .

حبي الربن الأولائي

ولد أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى في ولاية هراة ، بأفغانستان في العصر الذي كانت فيه الاختلافات المذهبية على أشدها بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والجبورية والقدرية وغيرها من الفرق ، إلى حد رمى فيه بعضهم بعضاً بالكفر والإلحاد . وصار عامة المسلمين في حيرة ، وكاد أن يختار خاصتهم من العلماء المخلصين ، حياة العزلة والفرار بدينهم . خوفاً من الوقوع في الفتن والانحراف عن الطريق السوي .

وقد أدرك عبد الله الأنصارى الهروي بشاقب فكره وقوة بصيرته ، أن العلاج الناجع لهذا الداء الوبيل هو الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من تعاون وإخاء وتضامن ووفاء لأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها .

انبثاء وآراء

بين البلاد الإسلامية تمهيدا لقيام الجامعة الإسلامية المنشودة .

ولقد كانت لفلسطين — بوجه خاص — أهميتها في كل دورات المؤتمرات السابقة لمجمع البحوث الإسلامية، وشغلت التوصيات بشأنها قرارات هامة على مستوى الصعيد الإسلامي العالمي .

● كان لبحث « التأمين ، الذي ألقاه

الاستاذ الشيخ على الخفيف عضو مجمع البحوث الإسلامية في المؤتمر الثاني للمجمع (المحرم ١٣٨٥ - مايو ١٩٦٥) - دراسات مستفيضة :

فقد أحيل البحث إلى لجنة « البحوث الفقهية ، برئاسة الشيخ محمد فرج السنهوري عضو المجمع ، وقد درسته اللجنة باستفاضة وتناولته من جميع جهاته : الشرعية والقانونية والاقتصادية — واتصلت في دراستها هذه بكبار رجال الفقه بجميع مذاهبه ، ورجال الاقتصاد . وانتهت إلى وضع تقرير بشأن ما توصلت إليه .

● قرر مجلس مجمع البحوث المنعقد يوم الأربعاء ٢٢ من شعبان ١٣٨٨ الموافق ٢ من نوفمبر ١٩٦٨ م ، تأليف وفد من العلماء من بين السادة : أعضاء مجلس المجمع وأعضاء المؤتمر الرابع برئاسة الإمام الأكبر لزيارة البلاد الإسلامية من أجل تدعيم الجهود التي تبذل لمناصرة الكفاح العربي ضد إسرائيل ماليا وسياسيا .

وقد صدق قرار المجمع هذا بناء على التوصية الثانية من توصيات الفترة الأولى لمؤتمر المجمع الرابع المنعقد في رجب من هذا العام وتنص على :

« أن المؤتمر إذ يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الإسلامية من جهود حميدة في سبيل الهدف المشترك - يوصى بالمزيد من هذه الجهود والتنسيق بينها ، ليقف المسلمون صفًا واحدًا في مواجهة الموقف الحاسم » .

وبناء على ذلك دعا المؤتمر إلى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية لتوثيق عرى المودة والتآخي والتعاون الفعال

- وقد قرر المؤتمر الثالث للجمع طرح الموضوع على رجال الفقه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأخذوا بهم بشأه قبل أن يصدر المجمع قراراً فيه .
- وقد وصلت الامامة العامة للمجمع بعض ردود الفقهاء . وهي محل نظر اللجنة .
- وينتظر أن يكون للبث في هذا الموضوع صدى هام في جميع أنحاء العالم الإسلامي .
- الضفة الغربية ٧٥٠٠٠٠٠
قطاع غزة ٤٠٠٠٠٠٠
داخل المنطقة المحتلة قبل حرب يونيو ٢٨٠٠٠٠٠
البلاد العربية ٦٢٧٠٨٨٠
مناطق مختلفة من العالم ٥٠٠٠٠٠٠
نازحون ٣٥٤٠٢٤٨
- * * *

في نحو التاسعة من صباح ١٢ يونيو التي الزيات ربه ، ومات - رحمه الله - في لحظة من لحظات وفاته النادر وزمانه القذة ، فقد كانت الأوراق التي يسطرها بين يديه تحتوي تأييدنا للمغفور له الامير مصطفى الشهابي آخر فقيده لمجمع اللغة العربية قبله ؛ فما هي إلا هزيمات حتى لحق به ، ومات المؤمن مثله مات المؤمن عقب زفريات معدودة انطلقت بعدها روح شابة لتلحق بالرفيق الأعلى ، وسكن بعدها القلب الكبير وهذا الفكر الحبيب وجفت الانامل الساحرة ، وشاء الله أن يتولى تأبين الامير مصطفى الشهابي عضو آخر ، وأن يؤبن الزيات الدكتور مهدي علام عضو مجتمعي اللغة العربية والبحوث الإسلامية صباح الثلاثاء ٢٨ من شعبان ١٣٨٨ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٦٨ .

● لا يزال موضوع وضع بديل إسلامي للبصائر الحالية ، محل دراسة من الدكتور محمد عبيد الله العربي وكبار رجال القانون والاقتصاد في الجمهورية العربية المتحدة طبقاً للخطة التي وضعها مجلس مجمع البحوث الإسلامية لدراسة هذا الموضوع .

● توالى د السكتارية الفنية ، لمجمع البحوث الإسلامية نشاطها في إبلاغ قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع للمجمع إلى الجهات المسؤولة في البلاد الإسلامية والعربية . وتتلقي الردود بشأنها .

● ينظر مجلس مجمع البحوث الإسلامية في التخطيط لتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع للمجمع .

● يبلغ تعداد شعب فلسطين اليوم ٢٠٤٦٢٠١٢٨ موزعه كالآتي :

رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة
وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع
إليه سبيلا .

* * *

كانت الدكتورة نemat أحمد فؤاد تستعد
لإصدار كتاب يحوى رسائل الزيات . وإذا
صدر هذا الكتاب سيكون أول كتاب يصدر
بشأنه بعد وفاته . ولعل سيادتها توفق إلى
العثور على أصول « عبقرية الإسلام » .

* * *

بين يدي الرحمن

قصيدة بعث بها إلى مجلة الأزهر الأستاذ
قاسم مظهر محمود فقططف منها لمحمة الصوفية
الآتية :

بين يدي الرحمن

أحبك وارتوت روحى بحبك

وحبك صار لى الظل الظليلا

وما أسمى الحياة بنور قربك

وقربك بات لى الأمل الجميلا

ضياؤك يا ضياء العالمينا

يد تأسو جراح الحائرينا

على الخطيب

وقد أشار الأستاذ زكى المهندس الذى
رأس حفل التأبين لغياب الدكتور طه حسين
إلى الفترة التى انقضت بعد وفاة المغفور له
مصطفى لطفى المنفلوطى ، فافتقد الأدب العربى
فيها أسلوبه نحو عشرين سنين حتى برزت كتابات
« الزيات » فلات الفراغ وزادت عليه رونقا
وهندسة وأصالة .

وكانت كلمة التأبين للأستاذ مهدى علام
تحتوى مفاجأة تشعر بخسارة فاتحة ، فقد
أعلن سيادته - مستفيدا فى إعلانه إلى مصدر
وثيق الصلة بالمرحوم الزيات هو نجله الدكتور
علاء الزيات - أن كتاب الزيات الذى تكلم
هنا مرارا ، وهو كتابه « عبقرية الإسلام » ،
لا وجود لأصوله فى مكتبته وفقد معه
آخر ، ثم أكد سيادة الدكتور مهدى أن
كتاب عبقرية الإسلام خط الزيات فيه
وعرض بعضه من أصوله على أحد أصدقائه
فقرأ منها .

وأذكر حديثا للأستاذ الزيات رحمه الله
بشأن هذا الكتاب كان يتناول فيه مضمونه
العام فى مكتبته بمجلة الأزهر فقال رحمه الله :
لأنه يدور حول أصول الإسلام الخمسة التى
أوردها الحديث الشريف : بنى الإسلام على
خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

Zakat is also one way of preventing the spreading of principles that help make the poor grudge the rich their wealth and make them hate society. It is the means of establishing love and friendship amongst people, rich and poor alike, a feeling of cooperation.

Another important object of Zakat

is the moral and psychological satisfaction that a person who pays gets through his fine gesture. He feels that he is contributing to the building of his society and to making its members happy and contented. By so doing he feels that he is freed from anxiety and confusion.

(Continued from page 12)

is the curse of God, and an enduring punishment." (Verse 68, Ch. 9)

« يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم ، فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب . » (الحديد ١٣)

It means : " One day will the

Hypocrites-men and women-say to the Believers : " Wait for us ! Let us borrow (a light) from your Light ! " It will be said : " Turn ye back to your rear, then seek a light (where ye can) ! " So a wall will be put up between them, with a gate therein. Within it will be Mercy throughout, and without it, all alongside, will be (wrath and) Punishment ! " (Verse 13, Ch. 57)

(to be Continued)



person who is not open to these - so that this Zakat is a purification to those who fast. Perhaps that is what is meant by the saying of the Prophet Muhammad : " Fasting in the month of Ramadhan lies suspended between the earth and Heaven. It is only raised to Heaven by Zakatul Fitr. "

It is also a duty binding upon every single person falling under the guidance of the faster, young or old. It is thus the Zakat of the body. It is a means of preserving the bodies of all who fulfill it, and of purifying and improving them.

As for benefits to society, we all realize that Zakat provides for the poor in a way that makes humility unnecessary on that day. Another benefit to society is that all, poor and rich alike, feel the general joy of that day. It is not for the rich only. Also, the poor person who receives alms feels rich on that day by receiving them. He, therefore, seeks ways of practising charity in himself and that day he feels that he too is a giver and takes delight in giving.

The object of Zakat is the good of the Islamic state, with all its individual members as well as the whole community, and its general welfare.

Concerning the individuals, Zakat has taken care of the poor and the needy and the wayfarers. As for the community, apart from the fact that the welfare of the individual reflects on the welfare of the community, it has another advantage relating to those who are in debt.

As regards the good of the state, this is realized through the insuring of a better life for all individuals through the laying aside of a sum of money to be spent in the way of God. It is an obvious fact that the welfare of the Islamic state is assured through the conservation of the religion of God and through those whose hearts are reconciled, who also reap the fruits of charity.

Poverty is definitely the biggest problem to confront the individual during his lifetime. Most states have to contend with this in varying ways. The poor man who lives in a rich community, whose individual members do not respond to him by giving to him so that he can live, feels deprived. From this feeling of deprivation is born the hatred of this community and its members. Most of the crimes committed by certain individuals are due to poverty. When the poor person feels that he is an outcast, this hatred for the rich man, who keeps his money back from him, grows.

وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون . (التوبة ٣٤-٣٥)

It means : "And those who hoard up gold and silver, and spend it not in the way of God, announce unto them a most grievous penalty ... On the Day when it will all be heated in the pyre of hell, and therefore heads, sides and backs will be branded therewith and they will be told : This is what you hoarded up for yourselves ; taste of that which you hoarded."

Zakat is divided into two main categories :

1 — Zakatul Fitr (i.e. the breaking of the fast at the end of Ramadhan). It is also referred to as the Zakat of the body.

2 — The Zakat of wealth.

Zakatul Fitr is a duty imposed on every Muslim who possesses the amount of Zakat after covering the expenses for food for himself, and whom he feeds for a day and a night, together with the expenditure which he incurs in relation to wife, children servants and those whom he has to provide for, such as parents and others.

The amount of Zakat from each individual is either a measure of dates, or barley, or rice, or corn,

or anything else edible that can be used for food.

The Hanafi sect allows the person to pay in cash for Zakatul Fitr, indeed, considers that this is preferable because it is more useful to the poor, since they know what they need most-it might be food and it might be medicine or clothes.

The time to practise this Zakat is the end of Ramadhan. And it has to be fulfilled before going out to the prayers. It is permitted to offer it a day or two before that date, or even from the beginning of Ramadhan. It is definitely not permitted after the Prayer. Zakatul-Fitr does not become nullified if one is late in fulfilling it. It is still a duty for all Muslims. A man must fulfill it somehow, or else his account will be settled in relation to it, on the day when no repentance is accepted and no money is available.

Zakatul Fitr, has many uses and benefits for those who fulfill it and for society as a whole. The one who fulfills it is purified through it from that which might have soiled his fasting, such as vain acts or unseemly speech which he is required to abstain from, as he abstains from, eating or drinking, or lusts of the flesh and there is hardly a

ZAKATU'L FITR

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS

*Director of the Cultural Centre for Diplomats
Ministry of Culture, U. A. R.*

Zakat is an obligatory duty imposed on Muslims all over the world. It is one of the most important pillars on which the structure of Islam stands. The Prophet Muhammad (Prayers and God's Peace be upon him) mentions Zakat in one of his sayings as one of the five pillars of Islam: "Islam is built upon five pillars - testimony of belief in one God and Muhammad as His Prophet - prayers - Zakat - Fasting in the month of Ramadhan and the pilgrimage to Macca."

For that reason, when the Prophet Muhammad sent his envoys to preach Islam, he advised them to call people to worship God and then to pay Zakat, taking from the rich to give to the poor.

Almighty God imposed Zakat on all Muslims and gave them orders regarding it in many verses of the Qur'an.

Zakat is mentioned in the Qur'an in some thirty-two verses. In most of them, it is coupled with prayers, and this emphasizes the importance

which the Qur'an places upon Zakat.

God has promised all who fulfill Zakat great reward. This is illustrated in these verses :

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ
خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ، هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ
أَجْرًا ، (المزمل ٢٠) »

It means : "And keep up regular prayers and pay Zakat and offer to God a goodly gift. Whatever good you send forth before you for your souls, you shall find it in God's Presence, better and greater in reward."

What better reward is there than God's mercy :

As for those who refrain from charity and who do not practise Zakat, their punishment will be severe :

« وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ
يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ »

Pleasure of God : That is the supreme felicity."

(Verse 72, Ch. 9)

د من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن فلنجزينه حياة طيبة ، ولنجزينهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

(النحل ٩٧)

It means : " Whoever works righteousness, man or woman, and has Faith, Verily, to him will we give a new life, a life that is good and pure, and We will bestow on such their reward according to the best of their actions. "

(Verse 97, Ch. 16)

د إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين
والصادات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم
والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً
والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرأ
عظيماً . (الاحزاب ٣٥)

It means : For Muslim men and women, — for believing men and women, for devout men and women, for true men and women, for men and women who are patient and constant, for men and women who humble themselves, for men and

women who give in charity, for men and women who fast (and deny themselves), for men and women who engage much in God's praise, — for them has God prepared forgiveness and great reward."

(Verse 35, Ch. 33)

د يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم
جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ،
ذلك هو الفوز العظيم . (الحديد ١٢)

It means : "One Day shalt thou see the believing men and the believing women-how their Light runs forward before them and by their right hands ; (their greeting will be) : " Good News for you this Day ! Gardens beneath which flow rivers ! To dwell therein for aye ! This is indeed the highest Achievement ! " (Verses 12 Ch. 57)

e) God threatens to punish those who do bad ; He does not differentiate between man and woman:

د وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها ، هي حسبهم ولعنهم
الله ولهم عذاب مقيم . (التوبة ٦٨)

It means : " God hath promised the Hypocrites men and women, and the rejecters of Faith, the fire of Hell : Therein shall they dwell : Sufficent is it for them ; for them

(Continued on page 16)

a punishment by way of example, from God for their crime : and God is exalted in power.”

(Verse 38, Ch. 5)

والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين .
الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين . (النور ٢ ، ٣)

It means : “The woman and the man guilty of adultery of fornication, - flog each of them with a hundred stripes ; let not compassion move you in their case, in a matter prescribed by God, if ye believe in God and the Last Day ; and let a party of the believers witness their punishment.” “Let no man guilty of adultery of fornication marry any but a woman similarly guilty, or an Unbeliever ; nor let any but such a man or an Unbeliever marry such a woman ; to the Believers such a thing is forbidden.”

(Verses 2 & 3, Ch. 24)

d) God promises rewards to the doers of the good and makes it clear that woman, as well as man, is included :

« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من

بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا ، لا كفرن عنهم سيعذابهم ، ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عند الله ، والله عنده حسن الثواب .

(آل عمران ١٩٥)

It means : “And their Lord that accepted of them, and answered them : Never will I suffer to be lost the work of any of you, be he male or female : ye are members, of one another ; those who have left their homes, or been driven out therefrom, or suffered harm in my cause, or fought or been slain, — verily, I will blot out from them their iniquities, and admit them into Gardens with rivers flowing beneath ; — a reward from the Presence of God, and from His presence is the best of rewards.”

(Verse 195, Ch. 3)

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر .
ذلك هو الفوز العظيم . (التوبة ٧٢)

It means : “God hath promised to believers, men and women, Gardens under which rivers flow, to dwell therein, and beautiful mansions in Gardens of everlasting bliss But the greatest bliss is the good

« ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين .

(التحریم ۱۰ - ۱۱)

It means : "God sets forth, for an example to the Unbelievers, the wife of Noah and the wife of Lut : They were (respectively) under two of our righteous servants, but they were false to their (husbands), and they prophited nothing before God on their account, but were told : "Enter ye the Fire along with others that enter ! " "And God sets forth as an example to those who believe, the wife of Pharoah : Behold she said : "O my Lord ! Bulld for me, in nearness to Thee, a mansion in the Garden, save me from the Pharoah and his doings, and save me from those that do wrong."

(Verses 10 & 11, Ch. 66)

b) Woman has the right to give a pledge separate from that given by man ; this means that she has an independent identity in the Islamic teachings :

« يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزنین ، ولا يقتلن أولادهن . ، ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك في معروف ، فبأيعمن واستغفر لمن الله ، إن الله غفور رحيم . »
(الممتحنة ۱۲)

It means : "O Prophet ! When beleiving women come to thee to take the oath of fealty to thee, that they will not associate in worship any other thing whatever with God, that they will not steal, that they will not commit adultery (or fornication), that they will not kill their children, that they will not utter slander, intentionally forging falsehood, and that they will not disobey thee in any just matter then do thou receive their fealty, and pray to God for the forgiveness (of their sins) : for God is Oft-Forgiving, Most Merciful."

(Vers 12, Ch. 60)

c) Woman has to face her fate if she commits a crime in the same way a man has to :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم . »
(المائدة ۳۸)

It means : "As to the theif male or female, cut off their hands :

WOMAN'S POSITION IN ISLAM-II

BY : DR. AHMAD I. MOHANNA

Woman and Man are Equal

Islam restored the status of woman as a respected member of human society, equal to her male brother. Reading the Holy Qur'an we find this equality spoken of as an undisputed fact :

1 — Both man and woman are needed for procreation. Both are necessary for us to exist :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . . . » (الحجرات ١٣)

It means : "O mankind ! We created you from a single (pair) of a male and a female . . ."

(Verse 13, Ch. 49)

Furthermore, the first man and the first woman were created of the same nature :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . . . » (الفساء ١)

"It means : "O mankind ! reverence your Guardian - Lord, who created you from a single person, created, of like nature, his mate,

and from them twain scattered (like seeds) countless men and women.."

(Verse 1, Ch. 4)

2 — A daughter is considered a gift from Almighty God and before Him, she is the same as a son :

« لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور .. » (الشورى ٤٩)

It means : "To God belongs the dominion of the heavens and earth. He creates what He wills (and plans). He bestows (children) male or female according to His Will (and plan)." (Verse 49, Ch. 42)

3 — Woman is an independent and responsible agent in the same way a man is. The following items illustrate this independence and responsibility :

a) A believing woman will be safe even if she is married to a disbelieving husband ; on the other hand, a disbelieving woman will be in danger even if she is married to a prophet of God :

In order to avoid the least semblance of high-handedness, no Muslim was allowed to acquire the land of 'Zimmi' even by purchase. "Neither the Imam nor the Sultan could dispossess a Zimmi of his property".

The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eye of the law. "Their blood", said Ali the Caliph, "Was like our blood". Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Islam's law is that if a Zimmi is killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case.

In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Bagdad, like their rivals of Cordova, created a special department charged with protection of the Zimmis and the safeguarding of their interests". *

The central point of the message of the Prophet was the doc-

trine of 'Unity of God and equality of mankind'. Islam inculcated this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law.

Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation from inhuman bondages. An examination of the governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law. The law was the same for the poor as for the rich, for the man in power as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme; the early Caliphs could not assume the power of pardoning those whom the regular tribunals had condemned.

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation, based on a just appreciation of human duties and human rights.

* The Spirit of Islam.

name of religion, no faith is more tolerant than Islam to the followers of other creeds. Reasons of state have led a sovereign here and there to display a certain degree of intolerance, or to insist upon a certain uniformity of faith ; but the system itself has ever maintained the most complete tolerance. Christians and Jews, as a rule, have never been molested in the exercise of their religion, or constrained to change their faith. If they are required to pay a special tax, it is in lieu of military service, and it is but right that those who enjoy the protection of the state should contribute in some shape to the public burdens. Towards the idolators there was greater strictness in theory, but in practise the law was equally liberal. If at any time they were treated with harshness, the cause is to be found in the passions of the ruler or the population. The religions element was used only as a pretext.

“ . . . Has any conquering race or faith given to its subject nationalities a nobler guarantee than is to be found in the following words of the Prophet ? “ To (the Christians of) Najran and the neighbouring territories, the security of God and the pledge of His Prophet are extended for their lives, their religion and their property to the

present as well as the absent and others besides ; there shall be no interference with (the practice of) their faith or their observance ; nor any change in their rights or privileges ; no bishop shall be removed from his bishopric ; nor any monk from his manastery, nor any priest from his priesthood, and they shall continue to enjoy every thing great and small as heretofore ; no image or cross shall be destroyed ; they shall not oppress or be oppressed ; they shall not practise the rights of blood vengeance as in the Days of Ignorance ; no tithes shall be levied from them nor shall they be required to furnish provisions for the troops.”

“ The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the Regin of Osman (the third Caliph) the Christian Patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms :

“ The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith ; on the contrary they help us in our religion, they respect our God and our Saints and bestow gifts on our Churches and monasteries ”.

homes without the leave of the lord, and they were bond, at all times, to render him gratuitous services. If the lord's son or daughter married they must cheerfully pay their contributions. But when the freeman's daughter married she must first submit to an infamous outrage — and not even the hishop, the servaut of Christ, when he happend to be lord of the manor, would waive the atrocious privilege of barbarism. Death even had no solace for these poor victims of barbarism. Living, they were subject to the inhumanities of man; dead, they were doomed to eternal perdition; there was no room for his poor body in consecrated ground; he could only be smuggled away in the dead of night and buried in some unhal-
lowed spot with a stake through his body as a warning to others”.

“Such was the terrible misery which hung over the people ! But the baron in his hall, the bishop in his palace, the priest in his cloister, little recked they of the sufferings of the masses. The clouds of night had gathered over the fairest portion of Europe and Africa. Everywhere the will of the strongest was the measure of law and right. The Church afforded no help to the downtrodden and oppressed. Its teachings were opposed to the enfranchisement of the human race from the rule of brute force.”

“ The non - Christians - Jews, herltics, or pagans — enjoyed, under christian domination a fitful existence. It was a matter of chance whether they would be massacred or reduced to slavery. Rights they had none; enough if they were suffered to exist. If a christian contracted an illicit union withe a non-christian, — a lawful union was out of the question — he was burnt to death. The Jews might not eat or drink or sit at the same table with the christians, nor dress like them. Their children were liable to be torn from their arms, their goods plundered, at the will of the baron or bishop, or a frenzied populace”.

“... The essence of the political character of Islam is to be found in the charter, which was granted to the Jews by the prophet after his arrival in Medinah and the notable message sent to the christians of Najrân and the neighbouring territories after Islam had fully established itself in peninsula. This latter document has, for the most part, furnished the guiding principle to all Muslim rulers in their mode of dealing with their non - Muslim subjects and if they have departed from it in any instance the cause is to be found in the character of the particular sovereign. If we separate the political necesstty which has often spoken and acted in the

slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattels, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times the serfs or villeins were either annexed to the manor, and were bought and sold with the land to which they belonged, or were annexed to the person of the lord, and were transferable from one owner to another.

They could not leave their lord without his permission, and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered by action, like beasts or other chattels. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might dispossess them whenever he pleased. A villein could acquire no property, either in lands or goods; but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villein, and seize them to his own use".

"... The horrors of the Middle Passage, the sufferings of the poor negroes in the southern states of north America before the war of emancipation the cruelties practised by the Sudanese slave — lifters, give us some conception of the terrible sufferings of the slave under

Christiane domination at the time when Islam was first promulgated, and until the close of the fifteenth century.

[In the first Parliamentary War waged against Charles I, we find both sides selling their opponents as slaves to the colonists. After the suppression of the Duke of Monmouth's rebellion all his followers were sold into slavery].

And even after the lapse of almost two thousand years of Christ's reign, we still find Christians lashing to death helpless women, imprisoned for real or imaginary political offences by one of the most powerful empires of the civilised world".

"The condition of the so-called freemen was nowise better than that of the ordinary serfs. If they wanted to part with their lands, they must pay a fine to the lord of the manor. If they wanted to by any, they must likewise pay a fine.

They could not take by succession any property until they had paid a heavy duty. They could not grind their corn or make their bread without paying a share to the lord. They could not harvest their crops before the Church had first appropriated its tenth, the king his twentieth, the courtiers their smaller shares. They could not leave their

one human community is an essential part of Islamic faith. God says :

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

It means : "Lo (o mankind) ! This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me." (23 : 52)

The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human co-operation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed people or country for the domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep away all artificial differences and factions from the human community.

Examining the influence of Islam on collective humanity and on the destiny of mankind, the great scholar and the learned author, Ameer Ali explains the state of things existed in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broken the

chains which had held in bond the nations of the earth to pieces. He abolished every privilege of caste and emancipated labour : "In the west, as in the east, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of the sacerdotal classes, the law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the 'Dehkāns', enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was centred in their hands. The peasantry, and the poorer classes generally, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtizans, and other nameless ministrants to the vices of caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth, influence, and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barbaric kingdoms in fact, wherever feudalism had established itself - by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves.

Villeinage or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between praedial and domestic

foster dignity and self - respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for his humanity and not because of his colour, race or social status. to make distinction between people according their colour or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. The Quran declares this basic principle in the following verse :

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا . »

It means : "Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land and sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment". (17 : 70). It is a common privilege for all people.

4 — Human freedom. Islam has totally rejected any kind of compulsion as means of driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book :

« أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين . »

It means : "Would you compel people until they are believers." (10 : 99). It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as means of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic state, and guaranteed their liberties in all walks of life :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . »

It means : "Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers". (60 : 8)

5 — Human unity. By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity of believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the believe in one God and

tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the universe and its aspects :

« ومن آياته خلق السماوات والأرض ،
واختلاف ألسنتكم وألوانكم ،

It means : " And of His signs is the creation of heavens and the earth and the difference of your languages and colours ". (30 : 22)

This difference would not clash with the principle of unity of mankind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .

It means : "And We have made you nations and tribes that you may know one another". (49 : 13)

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal principles :

1 — Human equality. The Holy Qur'an declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is the acquaintance of them with each other and promotion of understanding and co-operation among individuals and societies. This acquaintance and co-operation could exist

only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and co-operation among people in the following words :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا
تعاونوا على الإثم والعدوان .

It means : "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and aggression". (5 : 2)

2 — Justice. Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. It is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people. The Holy Qur'an has stressed this ideal principle in the following verse :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى ، .

It means : "Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)." (5 : 8)

3 — Human dignity. Islam through its principles and teachings

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Shawwâl 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	December 1968
-----------------	--	------------------

*In the Context of the 20th Anniversary of
the Universal Declaration of Human Rights*

ISLAM AND HUMAN RIGHTS

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

Islam organises the course of Human relations on the basis of 'Common Origin' of all mankind. It condemns any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man and man. The Holy Qur'an, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community ; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Qur'an says :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ،

It means : "O mankind ! Be care-

ful of your duty to your lord who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women " (4 : 1)

The theory of common origin of mankind was stressed by the Prophet :

كلکم لآدم وآدم من تراب ،

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth)

The differences of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of colours and

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٠٩	الجدید فی هذا العيد ...!	٦٤٥	انتشار الإسلام فی جیلان - ٤ -
٦٠٤	أفضل العلم		للأستاذ عبد الرحیم فوده
٦٠٨	نفحات القرآن :	٦٥١	قیس بن سعد - ٣ -
	نماذج من القرآن		للأستاذ محمد محمود زیتون
	للأستاذ عبد اللطیف السبکی	٦٥٥	أثر الإسلام فی الأدب العربی
٦١٢	من تأثیر القرآن فی الحیاة الإنسانية		للأستاذ محمد مفید الشوباشی
	للأستاذ محمد الأحمدي أبو النور	٦٦٢	مع شاعر من أبطال المقاومة
٦١٧	من ملاح البسر فی الشریعة الإسلامية		للأستاذ محمد أحمد العزب
	للأستاذ محمد محمد الشرفاوی	٦٦٧	تصحیحات لكتاب لسان العرب فی طبعته
٦٢٣	صيانة الأعراض - ١ -		للأستاذ محمد عبد الحالی عضية
	للأستاذ مصطفى الطیر	٦٧٠	الوجیز فی العسكرية الإسرائيلية
٦٣٢	عنصر الفسكرة فی الحديث النبوی - ٢ -		عرض وتعلیق للأستاذ یوسف عبد الهادی الشال
	للأستاذ محمد رجب البیوی	٦٧٦	الکتاب :
٦٣٨	الضمان الاجتماعی بین الشریعة الإسلامية والنظم الوضعية		شیخ الإسلام عبد الله الأنصاری الهروی
	للأستاذ محمد الدسوقي		للأستاذ محیی الدین الألوائی
٦٤٢	العلم والدين	٦٧٨	أبناء وآراء
	للأستاذ أحمد عبد الرحیم السایع		للأستاذ علی الخطیب



English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Islam and Human Rights	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — Woman's Position in Islam	Dr. Ahmad I. Mohanna	9
3 — Zakatu'l Filtr	M. Abdel Moneim Younis	13

مطبعة الازهر

الثنی أربعون ملما

قيمة العلم في العمل بمقتضاه والسير على هداه ،
فإذا كان مجرد قضايا تعرض وحقائق تدرس .
وقواعد تدرك فهو ما استعاذ منه النبي صلى الله
عليه وسلم حين قال : اللهم إني أعوذ بك
من علم لا ينفع . بل هو ما يقضب الله .
ويستوجب مقته كما يفهم من قوله تعالى :
« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ، وقوله
سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا
ما لا تفعلون » .

صحيح أن العلم قيمة ذاتية عظيمة ،
وأن الله أمر الإنسان على غيره بالخلافة

والإيمان لا يكون بمجرد تخيل الأمانى ، وتغنى الحصول عليها بقهر الأسباب الموصلة إليها ، ولكن الإيمان الحقيقى بأن يطلق عليه اسم الإيمان هو ما استقر فى قلب المؤمن وطمان إليه ، وحرص عليه ، وتأثر به ، فسكان عمله موافقا له ، مطابقا لتوجيهه ، مصدقا لوجوده ودعوى اعتقاده ، وهو بهذه المثابة يكون عقيدة تعمر القلب وعملا يعمر الحياة ، وخلقا يرضى الله .

ثم إن العمل الذى لا يقوم على الإيمان لا يسمى عملا صالحا مهما يكن أثره وخطره وقد مثله الله بالسراب ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وبالرمد تعصف به الريح فإذا هو هباء فى الفضاء ولا يقدر أن يمس كسبوا على شيء ، وبالتراب على حجر أملس يصيبه المطر فيزول ولا يبقى له أثر ، فثله كمثل صفوان عليه ترات فأصابه وابل فتركه صلبا . فالعمل دون إيمان لا قيمة له عند الله ، كما يفهم من ذلك ومن قوله جل شأنه : قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخبطت أعمالهم فلا تقبل لهم يوم القيامة وزنا . نسأل الله أن يعمر قلوبنا بالإيمان القوى وهقولنا بالعلم النافع ، وحياتنا بالعمل الصالح ، إنه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحيم فوده

ونفسنا به وبداره الأرض فإكان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وقد يقع العلم من بعض النفوس كما يقول بعض الحكماء : العلم كالغيث إن أصاب نبتا حلوا الطعم زاده حلاوة ، وإن أصاب نبتا مر الطعم زاده مرارة ، ولكن هذا العلم الذى يزيد المر مرارة ليس بما نزل به وحى أو بعث به نبي ، فقد بعث الله الأنبياء بالهدى ودين الحق ، وكانوا كما يقول الله : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، ثم كان الإسلام وكان القرآن كما يقول : يا أيها الناس قد جاءكم موهظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين .

فالإيمان هو الأساس الذى يستقيم عليه اتجاه العلم ، ويضمن به خيره ، ويؤمن به شره ، فإنه كما يقول الله : ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، ثم هو الطاقة الكبرى التى تدفع إلى العلم والعمل والجهاد والحياة الطيبة كما يفهم من قول الله جل شأنه : إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حيث قال : (ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) وإن قوما غرهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة تحسب لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، وكذبوا ... لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ، فإن ذلك يفهم منه أن

نفحات الله

للدكتور عفيفي عبدالفتاح

و إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، فمعرضوا لها ،

ما أشبه الحياة الروحية بحياة الطبيعة ،
فاذا كان لهذه وقت تعاني فيه الجفاف والقحط ،

فيأتي آخر في أمجازه يحين فيه ازدهارها ، فيشيع
النبت ، وتينع الزهور . وتتفتح البراعم :

وقبر الثمار من أكمامها ، فتأخذ الأرض بزيتها
فكذلك الحياة الروحية : فيبث النفوس خامدة

والأرواح هامة : إذ يعرض لها مد من
الطاف الله ، وفضل من نعمه ، فتسبح

في ملكوت الصفاء ، وترقى في مدارج الخير
الاثير عند المصطفين الاخيار والعباد

المكرمين .
وكما جعل الله في حياة الطبيعة آيات

وأمارات بشارت لزهرتها ، وبواد لنضرتها ،
فقد جعل للحياة الروحية ، من سوانح تجلياته

ولوانح إشراقاته ، مخايل لرفعته ، ودلائل
لانتشاتها وسعادتها .

وإذا كان الناس يرقبون ، بفؤاد فارغ ،
ربيع الطبيعة ، فيشيمون البرق . ويتوسمون

السحب ، ليستشرقوا من خلالها أمداد
الغيث ، فالؤمنون الكيسون يرقبون ،

في لهف وشغف ، وبيع القلوب ، فينتظرون
ذلك من ملكي شيئا) .

طلانه وينتهزون فرصه ، لينتهبوا منها
أمداد الغوث .

ذلك أن أفضال الله سابقة على عبادته ،
وآلامه محيطه بهم ، يقوم بها أودم ،

ويقتظم عليها وجودهم ، ولكن منها
نوافل منح وهبات ، وخصائص الطاف

وعنايات تصدر عن محض الإحسان ،
وتفيع من فيض الجود ، يخص بها من شاء

متى شاء .
إنها نفحات وفيوضات ، أشبه بتيارات

تعرض لها في مدار الزمن ، فتحي الموات
في الأرض ، وتغمر النفوس بالمرح والنشوة ،

وتبعث الحياة والأمل في القلوب .
وإنما شواهد بأن الله لطيف بعباده ، بار

بخلقه ، أكثر من بر الولدة بواحداه ، وبأن
هطاء الجواد يتجدد ولا ينفد ، وإن تعدوا

نعمة الله لا تحصوها ، وفي الحديث القدسي :
(يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم

وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ،
فأعطيته كل سائل ما بلغته أمنيته ، ما نقص

ذلك من ملكي شيئا) .

على أن خير معوان لذلك أن نلجأ إلى الله
بالرجاء ونخلص إليه في الدعاء فالدعاء جماع كل
تقوى وملاك كل سعادة ، هو في ظاهره
طلب وفي جوهرة إذعان بالحاجة ، وإيمان
بمن يسكفها . وقد أمرنا الله أن نستهديه
فيما يحزب ، ونستعين به فيما نطلب ، ودعانا
سبحانا لدعائه ، فقال : « ادعوا ربكم تضرعا
وخفية ، ووعد الداعي بالاستجابة فقال :
« ادعوني أستجب لكم ، وقاله أجيب دعوة
الداع إذا دنا ، .

وأعلمنا أن الدعاء يرفع الضر والبلاء فقال
« فلولوا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، . وقال :
« أمن يحجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ،
وورد في الآثار « إن الدعاء والبلاء ليعتلجان
إلى يوم القيامة ، وفيه أيضا : سلو الله من
فضله فإن الله يحب أن يسأل .

وبعد فإن الله أهدى للمحسنين الحسنَى وزيادة
ووعده العاملين أجرا يضاعفه ، وإنه فضلا
عن ذلك يعرض علينا - في هدى رسوله -
سبائلا جوائزها فيوضات ممدودة ، ونوافل غير
محدودة ، يفوز بها من راض نفسه لهذا
السباق فسعى ودعا ومن نقب على خزائن
أفضال الله ونفحاته ، قتلِس مفاتيحها
وتحسَس أبوابها

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ٩

و — عفيفي عبد الفتاح

وقد ندبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلى التعرض لهذه النفحات ، وإلى التماس
مواقيتها التي جعل منها معالم للخير ومواسم
للبر ومعارج لحياة الأرواح .

ذلك لانها مظاهر لتجلياته الكريمة ومطالع
لإشراقاته الرحيمة .

وقد نهينا الشارع إلى مظانها في الأيام
الفضلى كليلة القدر وليلة البراءة (ليلة نصف
شعبان) ويوم عرفة وشهر رمضان وأيام
الاعياد والجمع وأوقات السحر وغير
أولئك مما نتعرف عليه من أدب الحديث
وحديث السنة .

وله سبحانه أن يصطفى ما شاء من أيام
الناس ليرفع فيها درجات العاملين ويضاعف
من ثواب المجاهدين ، وأن يصطنع من الناس
من يوفق إلى التماس المواقيت واغتنام
مواسم النفحات .

وقد نهى الله لها بإعداد النفوس لتلقاها
وتهيأتها لتأتيها . وذلك بتطهيرها من
زيغ الشيطان ونزغ - وتقويمها بذكر الله
في صغته ، وشكره على نعمته . وقد قامت
رسالة الانبياء والفلاسفة والحكماء
على وضع وعرض مناهج هذا الإعداد ،
يتمهجون به للنفوس الفضيلة ، ويدتغون بها
إلى الله الوسيلة .

الدين ... والتدين

للدكتور محمد بيصار

وحى سماوى معصوم ، وتعليم الهى لا يأتية
الباطل من بين يديه ولا من خلقه .

فالدين كظاهرة اجتماعية لا يخلو منه
مجتمع من المجتمعات الإنسانية ، أعم من أن
يكون ديناً صحيحاً أو فاسداً حقاً أو باطلاً ،
مصدره التصور الإنسانى الخاطئ . المنحرف
أو المصدر السماوى عن طريق الوحي المعصوم
الذى لا ينطق عن الهوى .

فلا تلازم إذن بين التدين وبين الاعتقاد
بفكرة الألوهية . ويعنى أن بعض المجتمعات
تدين بدين ما كضرورة اجتماعية لا بد منها
لحياة المجتمع ولكنها مع ذلك لا تؤمن
بوجود إله ، وحتى إذا آمنت به ربما أخطأت
في تكييفه وتحديد ما هيته فصورتها تصورياً
فسولوجياً خاطئاً . كأنجده في كثير من الأمم
وعند كثير من الجماعات البشرية الأولى ،
بل والرائنة في العصور الحديثة والمعاصرة .
فهناك فريق من الناس ينكرون فكرة التدين
قديمة بقدم الإنسان على وجه الأرض ،
ويرى أنها استحدثت على يد الإنسان نفسه
وفي عصور متأخرة عن نشأته الأولى ،
حيث كانت الإنسانية تحيا قبل ذلك على أسس

سادت المجتمعات البدائية الأولى نظم دينية
قامت على أساس من الخرافة والأسطورة ،
ولعبت دورها الفعال في حياة هذه المجتمعات
وأثرت إلى حد كبير في بنائها الاجتماعى
والسياسى والفكرى والاقتصادى مما أدى
إلى ظهور حضارات عند هذه الجماعات أصدق
ما توصف به أنها انمكسات لمعتقداتهم الدينية
وطقوسهم وشعائهم التى يمارسونها في هذه
الديانة أو تلك . يتمثل لنا هذا في وضوح
وجلاء عند الأمم البدائية عامة وعند أمم
الشرق القديمة التى قامت بها حضارات بجانب
ما لها من ديانات وفلسفات خاصة مثل
المصريين القدماء والهنود والفرس والصينيين
والإغريق القدماء وما إلى ذلك من ديانات
وحضارات .

وإذا كان تكييف الدين عند الأمم البدائية
لحياة المجتمع بالغ الأثر ، قوى النفوذ
في توجيهها وفي تكوين عاداتها وتقاليدها وفي
تحديد قيمها ومفاهيم الأشياء ، فإنه يكون
أهم أثر وأشد فاعلية وأوسع نفوذاً ،
إذا كان مستنداً ، لا إلى خرافة أو أسطورة
أو تصور ساذج أو فكرة بلهاء ، وإنما إلى

ولمّا يشكك في قدم نشأته في الأدوار الأولى من أدوار التطور الاجتماعى . ويظهر أن هذه الآراء كانت انعكاسا واقعيا ، وأثرا نفسيا وفكريا للصورة التى كانت عليها رجال الأديان في المجتمعات التى نشأت فيها هذه الآراء سواء على يد «فولتير» أو «روسو» أو غيرهما من كتاب الثورة الفرنسية ، حيث كانت منحرفة عن حقائق الأديان الصحيحة ، وظهرت في شكل جنوح عن مقومات العبادات الروحية السليمة واستغلال للدين كسلطة لها نفوذها في المجتمعات تقاوم بها الحركات التحررية والثورات الشعبية التى كثرت حينذاك بين جماهير هذه الجماعات ضد ما ساد من حكم مستبد وإقطاع مستغل وطبقية ظالمة .

وهنا وجدت انفصالية بين الأديان ورجالها من جهة وبين الشعوب وأمانها من جهة أخرى ، مما ولد إنكار الأديان وجودها في نفوس هؤلاء الكتاب الذين سطروا بأقلامهم أمانى شعوبهم وحلوا على أstenها مطالبهم الإنسانية العادلة إلى كل من رجال الدين ورجال السياسة على السواء .

ولإلا فالحقيقة التى لا تقبل الجدل أن الدين ظاهرة إنسانية قديمة النشأة وأن اعتناقه من الجماعات البشرية منذ عهدها الأول بالحياة ، وعلى وجه أى وجه وفي صورة أية صورة ،

مادية صرفة قوامها الفنون الجميلة كالنحت والتصوير والبناء دون أن تتجه بتفكيرها إلى الدين أو تحاول أن تشكل لنفسها طبقا من طبقوسه أو معتقدا من معتقده . ولم تكن فكرة الدين في نظر هؤلاء إلا اختراعا من رجال الدين والسكينة والقساوسة . ذهب إلى هذا «فولتير» كما ذهب إليه «جان جاك روسو» الذى قرر في نظرية والعقد الاجتماعى ، أن القانون لم يوضع إلا لخدمة مصالح الفئة الغالبة من الناس والسيطرة على الفئة المغلوبة وسلبها كل حق في الحياة ومقوماتها الضرورية .

فالدين في نظر هؤلاء ليس إلا أداة لتدعيم سلطان النظم الظالمة التى تنكر حقوق الإنسان في صورته الفردية أو الجماعية وتقوية نفوذها على الضعفاء والمظلومين والتسلح بها من الساسة والحاكمين لتسخير الناس لمشيئتهم . وهذا في نظر هذا الفريق - هو الذى حمل بعض هؤلاء الساسة والمفكرين على تزييف فكرة الدين وإيقاع الناس في دائرة التوهم بأن هناك قوة سماوية عليا أزلية تهيمن بمالها من سلطان مطلق ونفوذ لا يحد وقدرة لا تطاول على كل ما في الوجود .

وبعد هذا الشوط البعيد في إنكار حقيقة الدين . فإن ما ذهب إليه هؤلاء لم يسفر عن إنكار الدين - كحقيقة اجتماعية - بالله .

آخر فإنها لا تستطيع الاستمرار فيه .
ويقول ثانيهم : « إن التوحيد وليد الصحراء »
ويقول ثالثهم : « إننا لم نكن في وقت ما أشد
اقتناعاً منا اليوم بأن الدين قد خضع كباقي
النظم الأخرى لتأثير العوامل الطبيعية المحيطة
به » . وقد يكون هذا الرأي إلى حد ما صحيحاً
ومنتظماً على بعض مظاهر الدين في جماعة
من الجماعات ، ولكنه لا ينبغي أن يعمم
أو يؤخذ على إطلاقه . فما لاشك فيه أن
عبادة الأصنام عند العرب نشأت في أول
أمرها عن بعض العادات التي كانت سائدة
هناك عند العرب الجاهلية وأخذت شكل ظاهرة
اجتماعية وهي ظاهرة « الميل إلى التنبؤ » .

وقد تواترت هذه الظاهرة وتلقتها الجماعة
جيلاً بعد جيل وفي كل أدوارها تقوى
وتنمو ، ويتركز الاعتقاد فيها في قلوب الناس
ويرسخ في أذهانهم حتى اتخذوا الأصنام طريقاً
لمعرفة نبوءاتهم واستخدموها في الكشف
عن المستقبل الخبوء والغيب الممكنون والمعد
لهم في أشعارهم أو خلف تصرفاتهم .

ثم ما لبث أن أضفى عليها شيء من القداسة
والهوية اللتان تستوجبان نحس من
يخرج على هذه الأصنام وإصابته بأنواع
البلاء وكبريات المصائب . وبموت الزمان
التفت كل هذه التصورات وكونت فكرة
هامة يشترك فيها أفراد المجتمع — هو

حقيقة تاريخية لا مرية فيها . لذلك لم تستطع
جماعة إنسانية أن تنفصل عنها في أي طور
من أطوارها لا قديماً ولا حديثاً لأنها
مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ولهذا جاءت شهادة تاريخ الأديان ناطقة
بأن الظواهر الدينية قد صبغت بطابعها
كل مظاهر النشاط الاجتماعي خاصة عند
الأمم القديمة .

غير أنه من الضروري أن نشير إلى أن
لزوم ظاهرة التدين لحياة الجماعات لا يعني
أنها واحدة في الجماعات الإنسانية على اختلافها
ولأنها تختلف الظواهر الدينية في جماعة عنها
في أخرى سواء في عقائدها أو طقوسها
وشعائرها عامة ، تبعاً لاختلاف العصور
واختلاف التصور للحياة وقيمها رقياً
وانحطاطاً على ما سيأتي بيانه بعد .

يسوقنا هذا الاختلاف في الظاهرة الدينية
إلى العلاقة الوطيدة بين الدين والبيئة ، ومدى
ما لكل منهما من التأثير في الآخر
أو التأثير به .

فالبيئة الطبيعية أو البيئة الاجتماعية
أو الاقتصادية كثيراً ما يؤثر كل منها على
جميعها في الدين كما أشار إليه (منتسكيو)
و « رينان » و « فريزر » وغيرهم . يقول
أولهم : « عندما تصطدم الديانة القائمة على
طبيعة مناخ خاص اصطداماً شديداً بمناخ قطر

الثلاثة وغيرهم من أساطين الفكر الغربي في صلة الدين بالبيئة وعلاقة كل منهما بالآخر .

غير أننا كما قلنا سابقا - لا نوافقهم على إطلاق هذا الرأي أو تعميمه ، على كل جيل بصفة عامة . ولـكـنـنـا نرى فرقا كبيرا في هذا بين الديانات الوضعية والديانات السماوية مما يضطرنا إلى شيء من الإيضاح والإسهاب لإزالة لما قد يلتبس على بعض الأفهام من أن الديانات حتى ما هو سماوى منها إنما هي من صنع البيئة وانعكاس طبيعى لها مما لا يتفق مع الواقع ولا يصيب الحقيقة في قليل أو كثير .

إن هذا الرأي الذى جرى عليه هؤلاء الفلاسفة وتبعهم فيه بعض علماء الاجتماع ربما يصدق إلى حد كبير وفى صورة واقعة ملموسة فى الديانات الوضعية التى لم تنبع عن مصدر سماوى ولم يحمى بها وحى إلهى وإنما كانت انطباعات لمشاهير المجتمع وانعكاسات لما قد يفسح فيه من تقاليد وعادات وتصورات أو صوراً حية لبنيته الطبيعية .

إلا أن هذا لا يصدق ولا يمكن أن يصح فيما يتعلق بالديانات السماوية التى تلقاها الناس على لسان رسل الله إلهام وعن طريق الوحي المعصوم .

تقدس هذه الأصنام - الذى سرعان ما انتهى بهم إلى تأليهها وعبادتها .

وكذلك قرر العلماء أن المناخ الحار يؤدى إلى إضعاف حركة الإنسان بما ينتج عادة الديانات واستقرارها على نحو ما كانت عليه ديانات الشرق القديم . بخلاف المناخ البارد فإنه يفسط الحركة فى الإنسان ليحصل الدفء لنفسه فتكثر عدد الجماعات الهيدنية المعنوية بالتأمل كلما ازدادوا بحركتهم دفئا . وينتج عن هذا قبول ديانات سكان المناطق الشمالية للتغير أكثر من قبولها للثبات والاستقرار .

هذا من ناحية تأثير البيئة فى الدين . أما من ناحية تأثير الدين فى البيئة فأمر مفروغ منه ومتفق عليه بل يكون تأثير الدين بها أشد وأعمق فاعلية . ضرورة أن البيئة هى التى يظهر فيها الدين ، وبعد أن يكتسب الدين من البيئة مظهره الروحى وقبوله الاجتماعى فيصبح قوة ملزمة ومؤثرة وموجهة للجماعة ولكل فرد من أفرادها ، يعود بدوره فيؤثر فى البيئة إلى عاصرها ويغير كثيرا من وجوه الحياة فيها . حتى تصبح هذه الجماعة وقد التقت مع تعاليم ذلك الدين وسارت فى وفاق مع قوانينه فى نظامها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، فى تقاليدها وعاداتها فى تصوراتها للحياة فى كل مفاهيمها وقيمهها . هذا على وجه إجمالى هو ما يراه هؤلاء العلماء

وتستبدد بتفسيره وتوجه تصوراته لكل شيء حتى للحقائق الدينية .

وهنا يحصل شيء من التغيير أو التطوير في المفاهيم الدينية أو في المدركات الدينية ، إلا أن ذلك لا يكون في هذه المفاهيم ذاتها وحقيقتها ، وإنما في محاولتنا الإنسانية لفهمها وتصورها ، وبعبارة أخرى في شرحنا وتفسيرنا لها ، مما هو عمل إنسانى بحت ، ولهذا كان قابلاً للصواب والخطأ ، للتغيير والتبديل باعتباره جهداً وحملاً إنسانياً قد يطابق ما جاء به المعنى والوجه الذى أراده الله في دينه ، وقد لا يطابقه .

ولعل هذا هو الذى التبس على القائلين بتأثر الدين بالبيئة أو بالمجتمع الذى نزل له ، فإن كان ذلك ما أرادوا فهم على جانب كبير من الصواب ، وإلا فهم على خطأ فاحش وشطط بالغ . على أن هناك مسألة أخرى لا ينبغي إغفالها في هذا الصدد وهى فطرية الدين وهرس نزعته في طبائع الناس على ما تقرر في الديانات السماوية وعلى الأخص الدين الإسلامى ، فمع اعتبارنا لذلك يكون النزوع إلى التدين والاعتقاد بآله أمر ناشئ عن طبيعة الإنسان وملازم له لا ينفك عنه إلا بتأثير بعض عوامل البيئة أو المجتمع أو التربية إلى غير ذلك من مؤثرات قد تحول

ذلك أن هذه الديانات السماوية ليست من صنع الإنسان ولا من عمل البيئة ولا من خلق المجتمع بحيث تكون هرضة للخطأ والصواب ، وهرضة للتغيير والتبديل بتغيير هذه البيئة أو تلك . وإنما هى تنزيل من حكيم حميد يبلغها رسول أمين لا ينطق عن الهوى .

ولهذا كانت لهذه الديانات السماوية الفاعلية المطلقة في المجتمعات التى نزل عليها . والتأثير البالغ في حياتها تأثيراً تقدمياً يهدف إلى إرشادها وهدايتها وترقية تصورها وإدراكها لكل الحقائق الإلهية كانت أو كونية لتصل بالأولى إلى تقويم ذاتيتها وتكميل وجودها ، وبالثانية إلى سد حاجاتها الحيوية وضرورتها المادية ، مما يعود عليها وعلى أفرادها بأسعد الخيرات وأوفر البركات وأهنأ الحياة .

ويحذر بنا أن نغيب هنا إلى أمر هام وهو أن هذه الديانات السماوية وإن لم تتأثر في ذاتها وحقيقتها بعمل البيئة أو الجماعة ولم تغفل بما يسودها من عادات وتقاليد ، ولكن مفاهيمها ومعانيها قد تتأثر إلى حد كبير بالبيئة أو الجماعة بحيث تكون المحاولة الإنسانية لفهمها وتصورها منطبعة غالباً بعوامل البيئة أو بالتقاليد والعادات التى تسيطر على المجتمع

مصدر خارج عن عقله وطبيعته ، ضرورة اختلاف الناس في تصوراتهم ، وفي مبلغ إدراكهم ، وفي القدرة على ممارسة ملكاتهم الفكرية .

ومن هنا كانت الحاجة إلى السماء كمصدر مأمول وإلى رسول مبلغ وشاوح وموضح وإلى وحى معصوم يقوم بمهمة التبليغ بين الله ورسله ، ويناط به رفع الحواجز والموانع التي تحول بين الناس وبين المعتقد الصحيح أو السلوك القويم ؟ (يتبع)

د . محمد بيهار

بين المرء وبين ممارسة مقتضى فطرته وعندئذ ينحرف عن الدين الصحيح والعقيدة الحققة ، ومن هذه الزاوية يمكن القول بأنه ما دام الدين فطريا في الإنسان مغروسا في جبلته وطبعه ، وما دامت الجماعة ليست إلا عددا من الأفراد ، فإذاً يمكن أن يتأثر الدين بالجماعة من هذه الناحية حيث يكون حينئذ انعكاسا لما استقر في فطرتها وفي طبيعة أفرادها ، فيكون الدين على هذا ظاهرة اجتماعية انبعثت من طبيعة المجتمع ، وهذا في جملته صحيح وحق ، ولكن التفاصيل التي تأتي بها الأدبيات في تشريعاتها وأحكامها ووصاياها ، وفي تعاليمها يحتاج المرء فيها إلى

د مكارم الأخلاق ،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصاني ربي يقسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطى من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبدا ، .

تحقيقاً في المعجزة والكرامة والسحر

د. سنان مصطفى الطير

أيها القارىء الكريم

أكتب إليك هذا البحث لتعرف منه حدود المعجزة والكرامة ، فتثبت به فؤادك وتقوى به إيمانك بالرسول عليهم الصلاة والسلام ، وتعرف لذوى الكرامات من أهل التقوى أقدارهم ، وقد بينا لك فيه أيضاً حقيقة السحر وحكمه من الناحية الشرعية لتعرفه وتفرق بينه وبين المعجزة والكرامة وتبعد عن مزاولته حتى لا تنزل بك قدم بعد ثبوتها والله الهادى إلى سواء السبيل .

(المعجزة)

المعجزة أمر خارق للعادة يفوق طاقة البشر جميعاً حتى الأنبياء ، يظهره الله على يد بعض عباده من ذوى الأخلاق الفاضلة ، والعقول الكاملة ، تأييداً له في دعواه الرسالة عنه تعالى ، مقرون بالتمحدى للبشر أن يأتوا بمثله فإذا لم يستطع أحد أن يأتي بمثله ، فإن ظهوره على يد مدعى الرسالة دليل على صدقه في دعواه أنه يبلغ عن الله ، وموجب لتصديقه والإيمان به وبما دعاهم إليه ، لأنه يستند إلى هذه

المعجزة في صدق دعواه الرسالة عنه تعالى ، فإذا أظهرها الله على يديه فكأنه يقول صدق عبدي فيما يبلغه عنى فأمنوا به ، فإنه مثلكم لا يستطيع أن يأتي بهذه المعجزة التى لا يمكن صدورها عن البشر ، وإنما تصدر عنى لتأييد من أرسلته إليكم ، ويستحيل على الله أن يؤيد كاذباً ، فإن تأييد الكاذب كذب ، وهو محال على الله تعالى .

وإن مثل ذلك في الدلالة على الصدق والتأييد كمثل رجل ادعى أنه موفد من الملك لقوم في أمر من الأمور ، فلما تشككوا فيما يدعيه أبرز لهم كتاباً عليه توقيع الملك وخاتمه وقد جاء في هذا الكتاب أن هذا الرجل رسوله إليهم في الأمر المذكور ، وأن عليهم أن يطيعوه فيما كلّفهم به عن طريقه ، فإذا فعل ذلك كان ما فعله برهاناً على صدقه ووجوب الاستجابة إلى ما طلبه منهم باسم هذا الملك .

وقد فهم من التعريف السابق أن المعجزة فوق طاقة البشر حتى الأنبياء ، وأنها ظهرت على أيديهم بفعل الله تأييداً لهم ، فهمى لا تفتأ

وقواعد يمكن تعلمها ، فلم هذا قالوا لفرعون كما جاء في الأعراف : إنا إلى ربنا مغفلون ، وما تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ، وكما جاء في سورة طه : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، الآيات .

ولا بد في المعجزة أن توافق الدعوى ، فلو قال مدعى الرسالة معجزتي أن أحى ميتا فم أتى بخارق آخر كنتق الجبل لم يدل ذلك على صدقه ، ولا بد فيها أن تكون غير مكذبة لدعواه ، كما إذا قال معجزتي أن ينطق هذا الضب فنطق وقال إنه كاذب فإنه لا يكون رسولا بل كذابا وكما فعل مسيلة الكذاب حين تغل في بر قليلة الماء ليزيد ماؤها فزال الماء ولم يبق فيها منه شيء .

ومعجزة كل نبي تتفق مع حال أمته ، فمثلا كان عصر موسى يمتاز بالسحر فجاءت معجزة العصا للقضاء على السحر ، وكذا في آياته التسع جاءت عالية فوق مستوى السحر وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء وأخذ آل فرعون بالسنين ونقص الأموال والانسف والثمرات . ولكن أعلاها هي العصا فهي عماد رسالته لأنها القاضية على سحرهم .

عن طريق ممارسة علوم ومزاولة أسباب يمكن تعاطيها ، وإنما يكون ذلك في السحر فإن له أسبابا وقواعد يمكن تعلمها ، فلنكون المعجزة فوق مقدور البشر يجب الإيمان بمن ظهرت على يده لأنها صادرة عن الله مصدقة له ، وهذا هو الذي استبان لسحرة فرعون لما ابتلعت سحرهم عصاه موسى ، فاندفعوا إلى الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم .

روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طولا ، فكانت حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا ، فأمر الله موسى أن يلقى عصاه فصارت حية وتلقفت ما يأفكون ، ثم رفعها موسى فعادت عصا كما كانت وأعدم الله تلك الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة ، فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبعيت حبالنا وعصينا ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فقلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين ، ولما رآهم فرعون يؤمنون بالحق هددهم فقال كما قص الله في سورة الأعراف : لا تظن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين ، ولكنهم لم يكثرثوا بهذا التهديد بعد ما عرفوا الحق وميزوا بين السحر الذي يتأتى بتعلم قواعد ، وبين المعجزة التي هي منحة تأييدية من الله تعالى لأنبيائه ليس لها أسباب

الله على يديه وقد فاقت ما سبقها من المعجزات الكونية التي ظهرت على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وبها تين المعجزتين مع القرآن الكريم اكتملت للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث معجزات ، وصنتمكم عليها فيما يلي في إيجاز وتيسير على القراء .

(معجزة القرآن)

القرآن العظيم هو كتاب الله القائم على تلك السموات والأرض خلقا وملكا وتصرفا ، نزل به جبريل عليه السلام بلفظه العربي على محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس بلفظه الذي تلقاه من جبريل ، وليس له فيه إلا تبليغه كما أنزل عليه ، وبيان المراد منه بالقول والفعل ، وليس في استطاعته صلى الله عليه وسلم ولا في استطاعة غيره من المبلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثل ذلك لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، .

والقرآن معجز بنظمه الرائع الخلاب ، وبأسلوبه الرائق الجذاب ، وبتميز كل سورة فيه عن الأخرى بنظمها وأسلوبها وجرسها ، وباشتاله من ضروب الهداية على أعلاها ، ومن بليغ التأثير على القلوب والأرواح على أوفاه وأسماء ، وبتشريعاته الصالحة لكل زمان ومكان ، المتناولة لكل أحداث الحياة

ومعجزة عيسى إراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وإخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وكانت معجزته كذلك لأن أمته كان ينتشر فيها الطب والأطباء فجاءت علاجية فوق مستوى علاج الأطباء إذ هم لا يقدرّون على إحياء الموتى ولا على شفاء الأكمة وهو من ولد أعمى ، ولا الأبرص وهو من يجلد به بياض فقه ينتهى إلى الجذام ، وكل ذلك يتم على يد عيسى بمجرد اللمس أو دعاء الله تعالى ، دون أن يستعمل عقارا كالأطباء .

أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى فقد كانت عليه لتناسب العصر الذي بعث فيه ، فقد شبب الجففس البشري عن الطوق وقدم العلم والفصاحة والأدب في عهده فكان عماد معجزاته القرآن الكريم الذي أوتي في مجال العلم والتشريع والفصاحة والبلاغة ومناهج السلوك والآداب الرفيعة فوق طاقة البشر من أهل عصره ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ فلم يكن له معجزة سواء لقامت به حجة الله على خلقه أهدم من أي معجزة سبقت لنبي قبله ، فليس أهل من مرتبة العلم الذي جاء القرآن دستوراً له ، وأساساً لتشريعاته ونواميسه ، لكن الله تعالى أكرمه بمعجزتين أخريين : أخلاقه الشريفة التي لم يصل إلى مثابها بشر ، والمعجزات الكونية التي أظهرها

على صدقه ، ولما كان لقاءه لمؤلا سببا لرفضه ، فإنه فاق مقدرة أهل الثقافة والعرفان وتجاوز حدود الكتب السماوية السابقة وفاقها ، وصحح منها ما غيره أصحابها وبدلوه ، ونفى عن الأنبياء ما ألصقوه بهم من المعاصي ونفى عن الله النقائص التي التائم بها كتبهم وأفتدتهم .

فإذا جاء به نبى لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يعرف عنه المجلس إلى علماء أهل الكتاب فإن دلالة على صدقه في دعوى النبوة أقوى قال تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تواتب المبطلون ، إذ أن أميته هذه أقوى دلالة على أن القرآن من عند الله بما لو كان يقرأ ويكتب ، فإن ذلك قد يكون مصدراً لتعكك المعاندين المبطلين ، إذ يقولون إنه قرأ الكتب السماوية وألف من مضامينها هذا القرآن بفصاحته وبلاغته ، وإن كان قولهم هذا باطلا ، لأنه فوق قدرة البشر مجتمعين ومنفردين مثقفين وأمينين ، فإن القرآن لا يزال إلى الآن يتحدى البشر أن يأتوا بسورة مثله ، ولم يستطع أحد أن يقضى على هذا التحدى حتى الآن ، ولن يستطيع إلى يوم القيامة .

وقد أعجبنى قول بعضهم : إن هذا القرآن لو وجد مكتوباً في مصحف في فلاة ، وظفر به من يحسن قراءته ولم يعلم من جاء به فإنه

وعوارضها ، حتى قال ابن عباس لو ضاع منى عمال لوجدتها في القرآن .

والقرآن معجز بما اشتمل عليه من الأخلاق الزكية التي يفوح عبرها فيعطر الأفئدة والأرواح ، وبما جاء فيه من العلوم السكونية والمخترعات يشير إليها إشارة موجزة ، ولا يفصح عنها إفصاحاً شارحاً ، حتى لا يشتغل الناس في أول عهدهم بالدين بتلك العلوم والمخترعات فينصرفوا بها عن الدين ، أو يتشككوا فيما كان منها فوق المدارك في فجر الإسلام ، حتى إذا طهرت عقائدهم ، وزكت بقواعد الإسلام وشرائعه وآدابه نفوسهم ، وتمكنت تعاليمه من قلوبهم وأرواحهم استنبطوا منه على عمر الأحقاب ما أشار إليه من العلوم الكوفية في أمن وسلام من الانحراف عن الدين .

والقرآن معجز بما اشتمل عليه من أنباء الأمم الماضية ، وبالإخبار عن الغيوب المستقبلية التي حدث بعضها مصداقاً له . وسيمحدث غيرها ، وكفاه شرفاً أنه أبطل عبادة الأوثان ، ونادى بوحدة الديان ، ووجه القلوب إلى اليوم الآخر ليحذروا الحساب فيه ، ونزه الرحمن عن اتخاذ الزوجة والأولاد ولو أن هذا القرآن العظيم جاء به نبى يقرأ ويكتب ، ويجالس علماء أهل الكتاب ويبحث معهم وينظرهم لسكان آية

واحتمل جفاء طباعهم وصبر على أذاهم حتى انقادوا له واجتمعوا عليه وقتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم ، وهجروا في سبيله أوطانهم وأحبابهم وبذلوا مهجهم وأرواحهم ولم يكن له في سياسة الأمم سابق ممارسة ولا مظالعة كتب يتعلم منها سير الماضين

حتى يقال إنه نسج على منوالهم وذلك شاهد بأنها هبة الله له نشأت معه منذ عباه كآساس لما يفترضه من الرسالة العامة لهداية البشرية .

ومن أخلاقه الذكية ماروته السيدة عائشة أنه لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزى السليمة بالسليمة ولكن يعفو ويصفح .

ومن أخلاقه أنه لم يسأل عن شيء إلا أعطاه ما لم يسأل مائما ، وأنه ما انتقم لنفسه ممن أساء إليه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم بها الله ، وقد اتسع صدره للمنافقين الذين كانوا يؤذونه إذا غاب ويتملقونه إذا حضر ، مع أن مثل ذلك ينفر القلوب ، وعفا عن اليهودية التي سمته في الشاة ، وأنه كان متواضعا حسن العشرة ، وكان يوصي بأن لا يمدحوه كما مدحت النصارى عيسى ، ويقول إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله .

ومن أخلاقه أنه كان لا ينهر خادما ، قال أنس : « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعت ، ولا لشيء تركته لم تركته ،

يقطع بأنه من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على الإتيان بمثله ، فكيف إذا جاء به أصدق الخلق وقال إنه من عند الله تعالى ، وحسبنا في موضوع إعجاز القرآن هذا القدر إذ لا يتسع هذا البحث لاكثر منه .

معجزة أخلاقه الشريفة :

لو أن رجلا في مثل أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم التي لازمتها من الطفولة حتى لقي الله تعالى ، أقول لو أن رجلا كذلك دعا الناس إلى مثل ما دعاهم إليه ، ولم يأتهم بمعجزات تؤيده لحكم عقلاؤهم أنه صادق في تبليغه من ربه ، لأن مثله في أخلاقه لا يكذب فيما ادعاه فكيف وقد انضم إلى أخلاقه معجزة القرآن والمعجزات الكونية .

وجسبك في كمال أخلاقه أن يقول الله تعالى فيه : « وإنك لعلی خلق عظیم » .

وقد جاء كل رسول قبله بمبادئ خلقية رشيدة ، فلما جاء محمد بالهدى كان من أصسه أن يتمم مكارم الاخلاق التي جاء بها الرسل قبله ، قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

وقد كانت أخلاقه الشريفة ذاتية ومنحة إلهية ، فلم تحدث له بممارسة رياضة أو بالافتداء بغيره ، وقد استمرت الاخلاق الربانية ترد على قلبه حتى وصل منها إلى أسمى غاية .

وبهذه الاخلاق الفاضلة ساس العرب

هرقل عظيم الروم لابي سفيان ، وأما الامانة التي نشأ عليها فهي أساسية أيضا في الاطمئنان إلى صدقه فمن لا يخون الناس فإنه لا يخون ربه بأن يدعى الرسالة وهو غير رسول ، أو أن يزيد أو ينقص فيما كلف بقبليغه وأما زهده في الدنيا مع قدرته عليها ، فهو من أعظم الآيات على أنه لم يطلب برسالته رفاهية ولا رغدا من العيش ولا جاها في الحياة ولا منفعة لآل بيته ، روى مسلم في صحيحه (ماشيع آل محمد يومين من خبز البر إلا وأحدهما تمر) . وكانت عائشة تقول لعروة بن الزبير (واقه يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال . قلت يا خالة فما كان يعيشكم ، قالت : الاسودان التمر والماء) إلى آخر الحديث ، رواه البخاري ومسلم .

وكانت الاموال تأتيه من عماله فيؤثر بها أصحابه على نفسه ولا يأخذ إلا بمقدار الضرورة ولا شك أن هذه الأخلاق الزكية من أعظم آيات رسالته صلى الله عليه وسلم ، ولا قدرة لاحد على أن يخلق بها جميعا على النحو الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يتبع)

مصطفى الطبري

فهل في الدنيا كلها من تتسع طباعه وينفسح حله إلى هذا الحد .

وسئلت عائشة كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته ، قالت : ألين الناس بساما لم يرقط مادأ رجله بين أصحابه . وكان يخييط ثوبه ويخفف لعمله ويرفع دلوه ويحلب شاته ويخدم نفسه ، وكان يتعاون مع الصحابة وقت العمل ، ومن ذلك أنه أمر أصحابه بإعداد شاة للطعام وجعل على نفسه جمع الخطب ، فقال أصحابه نحن نكفيك العمل ، فقال : قد هلت أنكم تكفوني ، ولكني أكره أن أتميز عنكم ، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه . ولما جاء وفد نجاشي الحبشة إليه كان صلى الله عليه وسلم يقوم بخدمة منتهم ، فلما قال له أصحابه نكفيك قال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وأنا أحب أن أكافئهم ، وحج صلى الله عليه وسلم على رجل رث وهليه عطيفة لا تساوي أربعة دراهم فقال : اللهم اجعله حجا لرياء فيه ولا سمعة .

إلى غير ذلك من أخلاقه الشريفة التي يحتاج استيعابها إلى سجل كبير ، وكان أبرز أخلاقه الصدق والامانة والزهد في الدنيا مع قدرته عليها فأما الصدق الذي لازمه منذ صباه فهو موجب أساسي لهديقه في نبوته ، فإنه لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله كما قال

في ضائبة القرآن

حضارة الاسلام تحوشوا تب الجاهلية

للاستاذ عبداللطيف التبي

(١) ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه

(ب) وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم

(ج) وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ...

آية - ٤ - أحزاب

١ - كان لاهل الجاهلية تقاليد يلتزمونها بالوراثة عن آبائهم ، كما لو كانت ديناً مقدسونة ولما جاء الاسلام أقر منها ما يرتضيه ، ودبجه في منهاجه ، وصار مطبوعاً بطابعه التشريعي ، وكان بعض التقاليد على غير جادة هذا الدين ... فلم يكن بد من تصحيح الوضع فيه ... وتهيمته للمجتمع الجديد حتى تكون حضارته قائمة على ركائز لا تميد ... وتكون الجماعة المسلمة سائرة في دنياها ، دون تعثر منها في ظلمات الجهل أو تلوث بشوائب الابطال .

الامر الاول - كان من الكفار والمنافقين من يزعم أن محمداً له قلبان ، يعيش بهما في الناس يريدون : له وجهان في لقاء الناس فله قلب يلاقى به المؤمنين ، وقلب يلاقى به غير المؤمنين ، ومعنى هذا ههنا : أن له سياسة يتستر بها معهم ، وسياسة ودية يعايش بها من يحتفون به من المؤمنين به .

وكذلك كان فيهم من يقول عن نفسه إن له

[٢]

٢ - وفي هذه الآية التي معنا يشرف

الفضيلة ، والطبائع المتنوعة .

وهو موطن الرحمة ، أو مباءة الشكوك ،
ومهب المنكرات - إلخ .

وما دام القرآن ينفي وجود قلبين لأحد
من خلق الله . فليطمئن الإنسان إلى ما عرف
وليكمل همته ، وعنايته إلى تطهير قلبه من
الشبهات ، وليحص نفسه من نوازع التردد
وليكن مطمئناً إلى ما هداه به ، ومقبلاً
على الوجهة التي يتمثل بها لإخلاصه لدينه ،
ولمجتمعه ، ولكل ذي علاقة معه ... فذلك
شأن المؤمنين الذين تطمئن قلوبهم لذكر الله
ولا يستسلمون للزغات ، وسوء النزعات
« ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

٤ - الأمر الثاني من الثلاثة : كان الرجل
إذا جمعت نفسه مع زوجته يبادرها بالقطيعة ،
ويشعرها بمجبروته وسلطانه عليها ، فيقول لها :
أنت على حرام كظهر أمي ، أو أختي .. يريد
أنه حرمها على نفسه تحريماً قطعياً ، فلا يستمتع
بها بعد ذلك أبداً ، كما لا يستمتع بأمه ،
أو نحوها .

ولما كان الاستمتاع بالزوجة هو مضاجعتها
من ناحية البطن ، وهو شبيه بركوب ظهر
الدابة : اعتبروا هذا مجازاً ، وأطلقوا عليه
ظهراً ، نسبة إلى الظهر ، لمجاورته للبطن .
فقوله لزوجته أنت على حرام كظهر أمي :
معناه : وطؤك حرام كما يحرم على ظهر أمي .

قلبين ، يفهم بهما أكثر مما يفهم محمد صاحب
القلب الواحد وبجانب هذه المزاعم ؛ فإن
[النفاق نفسه جمع بين النقيضين ... فإنه كفر
وتظاهر بالإيمان ، والنفاق يحسب نفسه
راشدا بهذا التلون المتناقض ... ولا يمكن
بحكم الفطرة أن يجتمع شيء ونقيضه كالإيمان
والكفر .

والإسلام حريص على تصحيح المفاهيم
في عقول الناس . وعلى تنويرها بالمعرفة
الهادية إلى الحق . ولذلك صار حنا القرآن بأن
الله لم يخلق لأحد قلبين في جوفه ؛ فالرجل
الذي يزعم ذلك عن محمد . أو يفاخر بأن
له قلبين ، أو يحسب نفاقه ناجحاً ، وأنه جامع
بين الكفر والإيمان في قلبه : كل هؤلاء
كاذبون ، ويفترون على الله ما ليس صحيحاً ،
ولا يتلام مع صنع الله في خلقه : من إنسان
أو حيوان .

٣ - والقلب - كما هو مقرر عليها - هو
المضغعة المودعة في صدر الإنسان . وله وظائف
حسنة تتعلق بحياة الجسم الحيواني كتوزيع
الدم ، والنبض بحركة الحياة والسيطرة على
أجهزة الجسم : حسبما يقرؤ الأطباء ، وأهل
الاختصاص ...

وللقلب وظائف معنوية أخرى : وخاصة
في الإنسان .. فهو مجمع العلم ، ومثار الوعي
ومقر الإيمان ، أو غير الإيمان ومستودع

غالب طعام بـلده ، أو ثمن ذلك الإطعام في أكلتهن مشبعتين من متوسط طعامه هو . هذه كفارة الظهار .

٥ - ولكن الناس في عصرنا هذا يستعملون لفظ الظهار ، يريدون به : تطليق الزوجات ؛ فأحدهم يقول أنت على حرام كما تحرم أمى أو أختى ، وهم لا يعرفون ظهارا . ولذلك جرى العلماء على اعتبار هذا طلاقا ، ويفتون به على هذا الوجه . وأما من يقوله وهو يعلم أنه ظهار : فعليه كفارة الظهار التي ذكرناها ، ولا يقع به طلاق .

٦ - الأمر الثالث - كان الرجل إذا شاء تبني لنفسه ولدا ليس مولودا له ، وينشأ الولد على نسبته لغير أبيه ، ولم يكن في هذا عيب عندهم ، ولا مساس بأحد الفخصين ، ويجرى بينهما التوارث وقد جرى ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنسبة لزيد بن حارثة ، إذ كان مجلوبا من الشام فاشتراه حكيم ابن حزام ، ووهبه لعمته خديجة زوجة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وكان زيد في سن الثامنة .. وكان خفيف النحل مرهوبا في عقليته ، وأدبه ونشاطه .. ثم وهبته خديجة لزوجها قبل البعثة .

وكان حارثة بن شراحيل يبحث في نشاط عن ولده زيد ، الذي اختفى عنه مسيبا من من بلاده ولما علم بوجوده عند محمد : جاء

وهذا التحريم لم يكن من تشريع الله في خلقه ، بل هو عرف جرى عليه أهل الجاهلية قديما ، وعاش في أول الإسلام فترة .

ثم جاءت امرأة تشكو إلى النبي أن زوجها ظاهر منها ، وأن لها أولاداً منه فكيف ترك له أولاده فيضيئون لحرامهم من مراحم الأمومة .

وكيف تأخذهم معها فيجوعون ، لعدم استطاعتها أن تسمى عليهم ، وكانت مكروبة أشد الكرب لما يحقد بها من الهم .. نزل الوحي في شأنها بتفريج الأزمة ، وإبطال هذا الظهار بين الناس ، وإطلاق الحياة الزوجية من هذه التعقيدات المفترقة على الله .

واعترف الإسلام أن الإتيان بالظهار بعد ذلك ذنب كبير ، وإن لم تحرم به الزوجة على زوجها . ولما فيه من الحرمة شرع الله له كفارة يخرجها الزوج المظاهر قبل استمتاعه بزواجه وبالكفارة يحو الله ذنبه ، وتحل له العودة إلى امرأته كما كانت حلالا من قبل . والكفارة هي : عتق رقبة مؤمنة ، ومن لم يجدها فعليه صيام شهرين متتابعين ، فمن لم يستطع لمرض مستمر ، أو لكبر يمنع ، أو لمشقة عمله الذي لا يدع له فرصة الصوم فعليه أن يطعم ستين من المساكين .. يعطى كل واحد منهم مثل ما يعطيه في فدية رمضان حين العجز عن صيامه ، أو قضائه : قدحاً من القمح أو من

٧ - ثم بينت الآية أحكاماً كثيرة تتصل بهذا الشأن ، وصارت من معالم الإسلام التي تنجلي بها حضارته ، وتشتد بها أواصره . منها منعهم من العود إلى هذا التبني : « ذلكم قولكم بأفواهكم ، فهو قول باطل (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .

ومنها دعوة هؤلاء الأبناء لآبائهم الحقيقيين وأن هذا هو الأعدل الذي يختاره الله في الأنساب . ادعوا لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين . ومواليكم ، يعني إن لم تكونوا عارفين بالآباء الحقيقيين فادعواهم بالأخوة في الدين ، وبالموالاتة فيه : يا أخى في الدين - يامولاي -

ولا يحل لأحد منكم أن يعود إلى النداء بالبنوة التي كانت إلا أن يكون خطأ منكم عن غير قصد فهي ممنوعة ولا يعنى عن العمد . وكان هذا التشديد للقضاء على ذلك التقليد الممقوت . . . وليحفظ الإسلام لكل امرئ . نسبته إلى أبيه . . . ولتظل مناقب الأسر ، وفصائل القسوم متمايزة ، ولتكون حقوق القربات مرعية ، ومصونة من التلاشى والاندثار ؛ فإن الإسلام جسد حريص على تنمية القربات وتميزها .

٨ - وكما منع القرآن دعوى التبني من جانب الآباء : منعها كذلك من ناحية الأبناء وهذا مفهوم من الآية بطريق المقابلة بين الأبوة

منه . . فقال لهم : إن اختاركم زيد فهو لكم دون فداء منكم . . فاختار زيد بقاءه رقيقاً عند محمد ؛ لأنه يرى من عطفه عليه ، وبره به ، وحسن تلاففه معه خيراً مما يرى الأبناء مع آبائهم . . وعندئذ قال النبي : أشهدكم أنني أعتقته ، وأنه ابني ، يرثني ، وأرثه . . فطابت نفوس أبيه ومن معه . . واعتبروها مكرمة من محمد ، وعادوا في غبطة وطمأنينة على ولدهم . وبقي زيد مع النبي ، وصار معروفاً بزيد بن محمد . . كما كان النبي يعلن ذلك في كل ملا من قريش .

ولما أراد الله - سبحانه - تصحيح هذا الوضع في الإسلام ، والاحتفاظ بالأنساب بين ذويها ، وصون الأعراض عن مداخلة الدخلاء بين الأسر وتحديد المحارم ، وإبقاء الموارث بين القربات أنزل قرآنه بتحريم التبني ، وإبطال ما كان موجوداً منه وذلك بقوله تعالى « وما جعل أديعاءكم أبناءكم ، ومن ذلك الحين أعلن النبي - صلى الله عليه وسلم - تنصله من هذا التبني لزيد ، إذ استدعاه ، وقاله : « أنت زيد بن حارثة ، وصار زيد طليقاً من هذا التبني ، وإن كانت نسبته إلى النبي لا يعد لها شيء في دنياه . . وكذلك فعل آخرون من الصحابة ، كان لهم أبناء من طريق التبني .

والجنوة فإنه متى بطل أحد الوجهين بطل الآخر حتماً.

وقد صرحت السنة العجوبة بالوجه الثاني فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام) ، وفي رواية : (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر) يعنى : من انتسب إلى غير أبيه سواء : كان رجلاً أو غير رجل ، وإنما ذكر القرآن ، وذكر النبي الرجال دون النساء لأن التبني كان بين الرجال ولم يكونوا في الجاهلية يحبون البنات حتى يتهافتوا على تبنيهن كالكذور .

من الملاجيء أو يتناولونهم من أهلهم . ثم يتبنونهم لأنفسهم .. فعندما يرغب رجل ، أو سيدة في طفل أو طفلة يلجأون إلى اختيار من يستطيعون اختياره ، ويتخذونه ابناً أو بنتاً ، ويجعل له ميراثاً كالولد الطبيعي ، ويتركه يعيش بين محارمه .

وهذا كما تحددتنا باطل ، وحرام ، ولا يترتب عليه أثر صحيح .. وفيه ما فيه من خلط الأنساب ، ومن الجنابة على الأقارب بالحرمان من حقوقهم في الميراث بسبب الولد المتبنى .

ولعل هناك مفسد أخرى يطول بنا سردها ، وتباركت حكمة الله فيما شرع ؟

عبد المظيف السبكى

٩ - هذا - ومع تقادم العهد على تحريم التبني : فكثيراً ما نجد في حياتنا الحاضرة أن ناساً يلتقطون أطفالاً أو يحصلون عليهم

من حكم شوقي

اثنان من نعم الله عليك : عدو تشغله كثيراً ، وصديق يشغلك كثيراً .
إن كنت عصافى فكفى لنا ، وإن كنت سيفاً فكفى قاطعاً .
الإقدام والجد إذا اجتماعا لرجل لم يقف له شيء في طريقه .
من وثق بالله مشى على الماء .

التكافل الاجتماعي في ظلال الإسلام

للمستاذ كمال الدين الطائي

اغافل، أو إيقاظ الوسنان، أو تذكرة لمن يتوهم
الإسلام صورا جوفاء، أو مظاهر من صيام
أو صلاة دون أن يكون لذلك أثر في إقالة
العثرات، والأخذ بأيدي أصحاب الحاجات.

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
ظواهر خشية وتقى كذابا
وتلفيهم حبال المال صما
إذا داعى الزكاة بهم أهابا
وهأنذا استجيب لتلك الرغبات وبالله
التوفيق:

دعا الإسلام إلى التكافل والتضامن
الاجتماعي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا.
ولم يقتصر دونه على وضع مبادئ وصن
قوانين لا ترتبط بالواقع، بل دعا إلى التطبيق
وحث عليه وجعله متصلا بكيان الأمة من
الناحيتين المادية والمعنوية.

لقد بنى الإسلام شريعته وأقام نظامه على
أساس متين من عزة الإنسانية وكرامتها
فوضع من الأنظمة المالية والجزاءات
التأديبية ما جعل الفقراء وذوي الحاجات
والعاجزين عن الكسب يعيشون في مأمن من
الخوف والضيقة ومنأى عن العوز ووصلهم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فليست هناك شريعة صاوية، ولا مذاهب
إنسانية عنيت بمشاكل المجتمع وقضاياها
وفرضت الحلول العادلة لعلله وآفاته كما فعل
الإسلام. فهو الدين القيم السميع الذي أسعد
الإنسانية ومهد لها سبل العزة، ووفر لها
الكرامة حتى تعيش في مأمن من الغوائل.
وتحميا بعيدة عن الاحقاد المدمرة والشحناء
القائلة والخصومات التي يلهمها تفاوت الحظوظ
وتباين الأنصبة من متاع الحياة.

وقد أتيج لي منذ سنوات خلت أن أتبع
علاج الإسلام لأقضى وأعقد مشكلة تواجهه
المجتمع وتستعصى على جهود المصلحين. وهي
مشكلة الفقر والغنى. وكتبت بعض البحوث
عن التكافل الاجتماعي في ظلال الإسلام
أبنت فيها كيف نشر العدل والإخاء، ودعا
إلى التراحم والمساواة، وراض أتباعه
وأنصاره، على أن يستشعروا المحبة ويعيشوا
إخوة متآلفين. لا تفرقهم دنيا، ولا تمزق
وحدتهم أعراض الحياة.

ثم بدا لبعض الأصدقاء والمحبين أن اقتطف
من تلك الأبحاث بعض الصور لعل فيها عظة

وما ذكر الحج إلا وذكر معه النحر وإطعام
الفقراء .

لقد افترض الإسلام لضمان حق ذوى الفاقة
من الثروة العامة الزكاة ، وهى الضريبة الثابتة
التي يؤديها الغنى من ماله ، وجعلها ركنا من
أركانها . ولم يقبل فيها أى اعتذار .

لقد جرد أبو بكر الصديق رضوان الله
عليه جيوشه وحارب بها ما نعى الزكاة . لأن
ما فيها مساوون فى الحكم للجاحدين للدين ،
فبدأهم رضى الله عنه بنفسه ، وقال فى ذلك
قوله المشهورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا
يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحاربهم عليه » . وقد اهتم به على
ابن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بزمام
راحلته وقال له : أقول لك كما قال لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد
شم سيفك - أى أغمدته - ولا تفجعنا بنفسك
وارجع إلى المدينة ، فواجهه أن أصبحنا بك
لا يسكون للإسلام بعدك نظام أبدا .

وإذا كان الإسلام يحرم من تصرفات أصحاب
الأموال بنظام الزكاة الذى يلزمهم بإخراج
جزء معين من تلك الأموال ، ويتدخل
فى سلطتهم ؛ فإن ذلك التحديد وذلك التدخل
مقبولان لدى النفوس المؤمنة بحكم ما فيها
من قوة الدين .

ونظام الزكاة هذا غير مرتبط بقيام فرد

بعموم مبادئ لا ينقطع ما دامت روح الإسلام
تسيطر على النفوس وتتغلغل فى المجتمع .

ولا غرو فى ذلك فهو ليس نظاما روحيا ،
أو نظاما ماديا فقط كما يزعم البعيدون عن
روحه المجافون لتعليمه ؛ بل هو مبادئ طامة
وقوانين شاملة ، تحفظ حقوق الفرد
والجماعات ، وتحدد علاقة الفرد بالفرد ،
وعلاقة الفرد بالجموع .

لقد دعا القرآن الكريم إلى مبدأ التضامن
الاجتماعى ؛ فنأدى بأن فى أموال الأغنياء
حقا للسائل والمحروم ، ليتم التكافل والتعاون
بين جميع طبقات الأمة .

(والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم) . وقد حض الرسول الكريم
عليه أفضل الصلاة والسلام على تصحية الأغنياء
بالمسال تخفيفا لآلام البؤساء وترفها عن ذوى
الحاجات ، وقضاء على الضغائن والخزازات
وبثا لروح المحبة بين أفراد الأمة حتى تصبح
أسرة واحدة ، فقال صلوات الله وسلامه عليه :

« ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » .

لينظر المسلم إلى العبادات التى أوجبها
الإسلام عليه فهمى بمجموعها ترمى إلى توحيد
الله تبارك وتعالى والبر بالمجتمع الإنسانى .

فما ذكر الإيمان إلا وذكر معه صالح الأعمال ،
وما ذكرت الصلاة إلا وذكرت معها الزكاة ،
وما ذكر الصوم إلا وذكر معه الصدقة

رمضان . وككفارة اليمين إذا حنث المرء في يمينه ، وككفارة الظهار كما جعل له حصه معينة في الغنائم والفى .

أما الصدقات الدائمة ، ونعنى بها تلك التى لا يحدها مقدار ولا زمان ، فقد اطنب الله تبارك وتعالى فى الحديث عليها ، وتحبيها لنفوس المؤمنين : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

لقد وضع الإسلام أعظم نظام لتوزيع الثروة على أكبر عدد ممكن ولا سيما بين الأسر: فمن ذلك الميراث ؛ حيث توزع ثروة المتوفى على أقربائه . ثم جعل اللوصى أن يتصرف فى ثلث ثروته ويضعها حيث يشاء من غير الورثة ، وهى بطبيعة الحال تعود على الفقراء وذوى الحاجات من أبناء الأمة) .

كما أعلن بأن المال فى يد الأغنياء ليس إلا وديعة الله استخلفهم فى حفظه وإدارته وتوزيعه . وأن ما يعطيه الغنى لذوى الحاجة من مال ليس تبرعا ولا تطوعا وإنما هو حق مفروض : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وعن أبى سعد بن مالك الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، (البقية على صفحة ٧٠٩)

بالحكم دون آخر ، بل هو نظام أبدي نافذ بالحكم ما دامت السماوات والأرض ، لم يصل إلى مستواه أى تشريع وضعى على اختلاف الاسماء والنزعات .

والإسلام مع تقريره مبدأ المساواة لا يمنع التفضيل فى العمل والمواهب والعلم ، ولا يحرم الفرد أن ينال جزاء مجوده الشخصى فى هذه الحياة الدنيا .

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) . ولكنه فى الوقت نفسه فرض عليه أن يخصص جزءا مما اكتسبه من مال وعلم لمن هو دونه .

ومن تلك الضمانات التى حفظت حق ذوى الحاجة والعاجزين فى أموال الأغنياء صدقة الشكر ، كصدقة الفطر ، وهى جزء من المال يؤديه الصائم يختم بها صومه ليكون أدنى القبول من الله ، بل أوجبها حتى على غير الصائمين من ذوى الأعذار ؛ بل حتى على الأطفال ومن لم يبلغوا الحلم .

وأخية النحر أيام عيد الاضحي ، وعقيقة المولود وهى الذبيحة التى تذبح هند الولادة ، وصدقة الرجاء ، وهى ما ينفذه الإنسان من نذر بين يدي رجائه فى أمر من الأمور ، وككفارة اعتداء المحرم على الصيد ، أو اخلاله ببعض الواجبات . أو انتهك حرمة من الحرمات . وكفدية الإفطار فى نهار

تربية النفس تأملات وخواطر

للأستاذ عبد الحميد المسلول

على الخالد الباقي من نعيم الآخرة ؟ ، ما الذى يجعله لإنسانا برا خيرا يحب العدل ويؤثر الحق وينفر من منابر الدماء فلا يسفكها ، ويقدر الاعراض فلا يهتكها ، ويحفظ أموال الناس فلا يأكلها بالباطل ؟

ما الذى يجعله سهلا علينا ليأمننا دمنا الخلق حلو اللسان كريم الطبع نبيل الشئائل لا يخفو ولا يغضب ، ولا يثور ولا يصخب لإلحين تفهك محارم الله وتتخطى حدوده ؟

إن الإنسان ليستغرق أحيانا فى هذه التأملات ، ويعمن فى هذه السباحات حين يلتفت إلى المجتمع من حوله فيراه وقد لفته الغواشى المطبقة من التردد والقسوة وتسربت إليه المفاسد المملىكة من التحلل والتقاطع والتدابير ومن الاستسلام للأهواء الضالة والزوات المدمرة ومن خلال التأمل والاستغراق تلوح لنا هذه الاسئلة .

هل تكون وسيلتنا إلى تطهير نفوسنا وتربية ضمائرنا والتخلص مما يفتابنا من الشرود والمهالك أن نفرغ إلى الصلاة ؟ وكان ذلك هدى النبى الكريم قائده الأمة ومرشدها

كثيرا ما يسائل المرء نفسه فى حيرة وعجب ، وكثيرا ما يقف إزاءها مشقة البال موزع الفكر يسائلها : ما هى الوسائل القويمة التى يتبعها فى محاربة العيوب والتغلب على الاوزار والنقائص التى تنتابه وتعتريه ؟

ما هو الدواء الذى يفيقه من شوائبه ، ويصفيه من أدراؤه ومعاييه ، ويجعله سليم الصدر طاهر القلب لا تطلم آفاه نزوة ولا تقسى قلبه شهوة ؟ ما الذى يكفه عن الغيبة والكذب ، ويعفه عن الغلة والضعة ويمنعه من الرياء والملق ، ويشعره بعزة المؤمن وكرامته ، فلا يتمرغ على الاعتاب ؛ ولا يريق حياهه على الابواب طمعا فى منافع زائلة ، ومتع حائلة ، ودنيا لا قرار لها ولا ثبات ؟

ما الذى يجيبه فى السخاء والبذل ؛ فلا يجعل يده مغلولة إلى عنقه ، ولا يمسك ودوافع البر من حوله تهيب به وتناديه ؟

ما الذى يدفعه إلى اقتحام الصعاب ، وخوض الغمرات ، ويغريه فى شوق وصدق إلى الجهاد والموت فى سبيل الله طيبة بذلك نفسه متفتحة مشاعره لا يؤثر عاجل الدنيا

والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه .

ولكن من المؤسف أن الناس الآن لا يفهمون من الصيام إلا أنه إمساك عن الطعام والشراب وإن خاضوا إلى أذقانهم في الفحش والدنس وقذفوا كل حر وتنقصوا كل بر وهتكوا كل عرض ، وكمن صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .

ما أحوج الناس قبل كل شيء إلى أن يصححوا في نفوسهم المفاهيم ، ويعدلوا في أفهامهم القيم حتى تصح لهم الوجهة وتستقيم الغاية ، وما لم يفعلوا ذلك فسيظلون في تيه لا يفيقون من غواشييه .

الصلاة دعاء وضراعة وخضوع وخضوع لله والصيام إمساك عن الشهوات يتبعه إمساك عن اللغو والآثام ، والزكاة طهارة ونماء وصفاء وإخاء وعاطفة ورحمة ومحبة . فهل نمارس العبادات على هذا الاعتبار ونقتبس منها ما تحمل من هدى ، وما يشع فيها من نور؟ هل الغاية من الصلاة أن نركع ونسجد ونقوم ونقعد ، ونمرن هذا الجسم على حركات تطول أو تقصر ، وأن نترك ما نقبل عليه من عمل ، وما ينتظرنا من تكاليف العيش وأعباء الحياة لنقف كل يوم خمس مرات نوّدي هذه العبادة ونمارس هذه الصورة ، من غير أن يكون لذلك سر أو يستتبعه أثر؟

وهاديا ، فكان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، فإذا انعقدت الصلة المقدسة التي تربطه بربه وتصله بمخالقه كان عزيزا به منيعا بإيمانه قويا بيقينه لا تغريه الشهوات ولا ترهبه الأحداث مهما بلغت من الهول والضخامة .

فهل هذه الصلاة تزيد عنا ما يلحقنا من أدران ، وتغسل ما يعلق بالنفوس والقلوب من نقصان؟ كم نسمع الآن وكمن نرى من صور تفكرها النفوس ويجفوها المنطق السليم ، كم نرى من سالب ناهب يملأ بطنه بالحرام ولا يكاد يفوته وقت صلاة ، كم نرى من حريص على الصلاة وهو في كل مجال يمزق الأهرامض وينهش الحرمات ويلغ في كرامات الناس .

هل يكون السبيل إلى تربية النفس وعفها عن مآثمها ، وردها إلى حظيرة الصلاح والاستقامة أن نصوم والصيام عاقبته التقوى وهي أن نجعل بيننا وبين محارم الله وقاية نحفظنا من التردى في الهاوية والانحدار إلى الشقاء ، كما أنه يعلننا الصبر على المسكاره ، وينقلنا من دنيا الصراع والصدام والمغالبة وعالم الماديات إلى رحاب فسيحة وطالم نوراني من الروحانيات الجميلة السعيدة ، وقيل قديما الأحنف بن قيس : إنك شميخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال : إني أعده لسفر طويل

هذه العاقبة كانت شهادة عليه بأنه لم ينفع بشمرتها ولم يفتح قلبه لنورها فيكون بذلك بعيدا عن رب العالمين . وذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا .

الصلاة التي تعصم من الخطايا وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتملأ الإنسان إيمانا بربه وخضوعا لجلاله وإذعانا لأمره ونهيهِ هي الصلاة الحقّة التي تنقل الإنسان من هذا العالم المائج بالفتن المفعم بالألوار والخن إلى أنوار الحضرة القدسية .

وهي الصلاة التي يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فيها يبلغه عن ربه : (إنما اتقبل الصلاة من تواضع بها أعظمي ولم يستطل على خلقي ، ولم يبت مصرا على معصيتي ، وقطع النهار في ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب) .

هذا هو الذي يتقبل الله صلاته ويرضى عن عبادته ويضعه في درجته التي تلائمه . هذه الدرجة التي يقول فيها المولى الحكيم كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم .

« ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزقي ، واستحفظه ملائكتي ، وأجعل له في الظلمة نورا ، وفي الجهالة حلما ، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة » .

ودائما العبد الذي يخلص لله طاعته ويمحض

هل الغاية من الصيام أن نعذب النفس بالجوع ونرهقها بالحرمان ، وأن نظل طول اليوم بين جذب وشد وجزر ومد ، نواذب الرغبة وتواذبنا ، ونحارب الشهوة وتحاربنا من غير أن نأخذ من ذلك الدرس المذهب والحكمة النافعة والعبرة الخاشعة ؟

ليست الغاية من الصلاة حركات تمثيلية رتيبة لا تعود على القلب بالنور الذي يملأ أرجاءه ويضيء جوانبه وبالحشية التي تنضره شفقة ورحمة ، إنما هدفها الاسمي أن نصنع بها ضميرا نقيما حساسا يراقب الله ويخشاه ، ونحبي بها قلبا يخافه فلا يعصاه ، وهي دون شك - إذا فهمنا سرها وأدركنا غايتها - لا بد أن توقف في الإنسان ضميره الغافي وإحساسه الراكد وتحرك فيه مشاعر التقوى والمراقبة .

ومن هنا كانت طهورا للإنسان خمس مرات في اليوم تذهب من رجسه وتذيب من دنسه وتلين من قسوته وترق من خشونته وتلطف من حدته ولهذا يقول الرسول صلوات الله عليه : (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر يبّاب أحدم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا ؟ فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا) .

والله تعالى ينبئنا بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فإن لم تكن لصلاة العبد

وتبقى مثلاً حياً للمعبرة بالحكمة والاستفادة العاقلة يقول محمد بن إسماعيل بن أبي فديك (رأيت بهلولا في بعض المقابر . وقد أدلى رجله في قبر : وهو يلعب بالتراب فقلت : ما تصنع هنا . قال : أجالس أقواماً لا يؤذونني ، وإن غبت عنهم لا يغتابونني . فقلت : قد غلا السعر فهل تدعو الله فيكشف عن الناس ؟ . فقال : والله ما أبالي ولو كانت كل حبة بدينار ، لله علينا أن نعبد كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا . ثم صفق بيديه وأنشأ يقول :

يا من تمتع بالدنيا وزينتها
ولا تنام عن اللذات عيانه
شغلت نفسك فيما لست تدريه
تقول لله ماذا حين تلقاه

وإذا تأملنا في حكمة الله تعالى من تشريع الصيام رأينا أنه ليست الغاية منه أن نجوع ونعطش ولا أن نحس بذل المنع ومرارة الحرمان دون حكمة أو غاية ، ولا أن نظل طول اليوم في نزاع ومكابدة نشور بالشهوات فنسكبها أو نشور بنا الشهوات فنحاول أن نتخلص من قيودها ونفعل من آصارها وحدودها . فإذا انتصرنا كنا أبطالا تملأ كتنا نشوة الظفر وفرحة الانتصار .

إن الغاية المثلى من الصيام والعاقبة السامية التي ترجى من ورائه أن يشعر الصائم بأن له ضميراً يحاسبه ويراقبه . يذكره إذا نسي

له عبادته ويوثق صلته بربه لا يمتلى قلبه حقداً على الناس ولا تشتمل نفسه بغضاً لهم ، ولا يبالي في هذه الدنيا بما يصيبه من خير أو شر مادام يعيش في رحاب القوي القادر الذي بيده ناصية العباد .

أما من يؤدي عبادته وهو غافل ويدخل في طاعة صورية وهو موزع النفس وراء كل وهم ؛ متعلق الفسك بكل رغبة ، فلا يمكن أن ينتفع بطاعة أو تهذب به عبادة ولقد قيل لإبراهيم بن آدم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى : أدهوني استجب لكم . فقال : لأن قلوبكم ميتة . قيل وما الذي أماتها؟ فقال : ثمان خصال : عرفتم حق الله تعالى ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بهوده ، وقلتم نحب رسول الله ولم تعملوا بسفته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له . وقال تعالى : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه هدوا ، فواطئوه على المعاصي ، وقلتم نخاف النار وأرهمق أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترستم هيوب الناس أمامكم فانتظمت ربكم فكسيف يستجاب لكم .

وكان من أهل الكوفة زاهد ورع يسمى بهلولا ، وسماه الناس في أيامه بالجنون . ومع ذلك كانت له حكم تحل بخلود الزمن

بإساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر^(١).
فإذا استشعرنا الحكمة الحققة من كل عبادة
من العبادات أو طاعة من الطاعات. استطعنا
حقاً أن نهذب نفوسنا ونربي فيها الضيائر
التي لا تؤثر إلا الحق ولا ترضى بغير العدالة.

وهذا تسعد الإنسانية ويعيش الناس
آمنين سعداء .

وقفنا الله لما يحبه ويرضاه ؟

عبد الحميد محمود المصاوي

(١) ترطيل الشعر: تليينه بالدهن وما أشبهه

ويوقفه إذا غفا ويكون إمامه وهاديه في كل
ما ينشأ بينه وبين الناس من صلة، وما يستجد
له من معاملة ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة
عقب إعلان فرضية الصوم بقوله جل شأنه
(لعلكم تتقون) .

قيل: إن الحسن نظر إلى الناس في مصلى
البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد .
فقال الحسن : إن الله جعل الصوم مضياراً
لعباده ليستبقوا إلى طاعته فسبق أقوام
فجازوا وتحلف آخرون غابوا ، ولعمري
لو كشف الغطاء لشغل بحسن بإحسانه ومسيه

(بقية المنشور على صفحة ٧٠٤)

عمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال
الآغنياء وقسمتها على فقرائهم .. ولما انتهت
ضائقة عام الرمادة خطب رضى الله عنه فقال:
لو أن ربى ما فرجها لأدخلت على كل ذى سعة
من المسلمين مثل عدد عياله . وما كان لولدين
أن يجوعا من طعام ولد واحد .

هذا بعض ما فى الإسلام من تعاليم تكفل
حقوق المجتمع بمختلف طبقاته . واهه الهادى
إلى سواء السبيل .

كمال الدين الطائى

من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر
له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على
من لا زاد له . قال: فذكر من أصناف المسال
ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل ،
وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : اكسنى يا رسول الله ، فأعرض عنه
ثم عاد فقال : اكسنى يا رسول الله فقال : أما
لك جار له فضل ثوبين ؟ فقال: بلى غير واحد ،
قال: فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة .
ولقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه يوماً ، فقال: لو استقبلت من

سيناء .. بلاد مقدسة

للاستاذ عباس حلمي اسماعيل

الوصل بينها وبين الافطار الشرقية عامة وبين البلاد العربية الشقيقة خاصة ، ولذا كان أهلها أخلاطا من الناس ، جمع بينهم وشائج النسب وطاب لهم العيش ، وتحقق لهم الصفاء ، في هذا المكان الهادئ .

وقد يسرت الظروف الطبيعية اتصال مصر بغرب آسيا ، مهبط الوحي ومهد النبوة ، عن طريق شرقي الدلتا ، ولهذا أقام في هذا الإقليم عدد كبير من أنبياء الله ورسله فارتبط تاريخهم بتاريخه . وكثيرا ما كانت الجهات الغربية من آسيا تتعرض للجذب بسبب قلة المطر ، فلم يكن بد من أن تلجأ القبائل الرحل التي كانت تتجول في هذه الجهات ، باحثة عن المرعى ، إلى وادي النيل الخصيب تطلب الغوث ، لكن برزخ السويس كان الحد الذي لا يسمح بهذه لهذه القبائل بالتوغل في شرقي الدلتا إلا بإذن من فرعون ، فبإذنه دخل إبراهيم عليه السلام مصر هو وزوجته سارة ؛ بل أهداها لها جبر ، لتكون جارية لها .

وعلى عهد الملك « خيام » أعظم ملوك الهكسوس ، جاءت قافلة يوسف بن يعقوب ، عليهما السلام ، فاستوطن ما يعرف الآن باسم « صان الحجر » بحفاظة الشرقية ، وفيها بلغ أشده

ذكرت شبه جزيرة سيناء في كتمب العصور القديمة ، كما ذكرت في القرآن الكريم ، فأقسم الله عز وجل بها ، مع التين والزيتون والبلد الامين ، ومع الكتاب المسطور ، كما أقسم بشجرة تخرج منها ، فهي إذن بلاد مقدسة ، وأصل تسميتها مأخوذ من سين بمعنى القمر في اللغة الآرامية ، لأن صفاء جوها ، وسعة أرضها يجعلان ليالها القمرية من أجل الليالي ، واشتهرت بهذه التسمية ، لأن اللغة الآرامية ظلت لغة دولية يتخاطب بها أكثر دول العالم القديم فترة طويلة .

وسيناء أرض مصرية من غابر الزمان ، فقد حكمها الفراعنة ، وعرفوها باسم أرض الحرب ، فكان سكانها من الأعراب ، إذا أجذبت أرضهم ، أغاروا على القرى المصرية ولذا أقام الفراعنة الحصون شمال خليج السويس وحاربهم ليؤدبهم ، كما تدل النصوص المكتوبة على حجر ديارمو ، وأنفذوا حملات أخرى إلى سيناء ، لتعدين النحاس والفيروز ولذا عمرت ؛ فخفرت بها الآبار ، وأقيمت خزانات المياه ، وأنشئت الشكبات ، وشيدت المعابد ، وزاد اهتمامهم بها ، عندما اعتبروها حصنا طبيعيا لمصر ، ومقناحا للشرق وهمزة

بغاثة ولاهم ، فقد حالقها السعد والسرور ،
وجاورتها الهجة والعزة والمنعة .

وتطاول على رمسيس الأكبر العمر ،
وطال أمد السلم على همده فافتن في العارة
وأسرف ، فأصبحت مصر في حاجة ماسة إلى
الأسرى ، فرأى في بنى يعقوب خير بديل
منهم ، ولذا سيقوا إلى المحاجر قسرا ، ولقوا
من العنت ما توجهوا له وسرعان ما برموا
بجأهم التسعة ، وعرف منهم ذلك عيون
فرعون ، وأعلموه بما عرفوا ، فأوجس منهم
خيفة ، وأمر أن يذبح أبناءهم الذكور ؛ فيقل
عددهم ثم ينقرضون .

وفي أثناء هذا الهول ولد موسى بن
هران عليه السلام ، وخافت أمه عليه أن
يكون من الهالكين ، فأوحى إليها أن
تضعه في التابوت ، وتلقيه في اليم الذى هرف
ببحر د مويس ، فالتقطه آل فرعون ،
ودلتهم أخته على أمه لتكفله لهم ، ورباه
فرعون تربية عالية ، ولما استوى أناه الله
جل وحلا حكما وهما . ودخل يوما ضاحية
«صان الحجر» ، فرأى رجلين يقتتلان ، هذا
يعقوبى ، وهذا مصرى ، فاستغاثه اليعقوبى
على المصرى ، فوكزه موسى وقضى عليه ،
فأصبح في المدينة خائفا يترقب ، وانتم به
المصريون ليقبضوه قصاصا ، ففر من مصر إلى
إلى مدين ، ومكث فيها حتى سمع بنجر موت

فاصطفاه الملك لنفسه ، وجعله على خزائنه
فأدخره من السفين الحضر للسنين المحصلات
فأنجى البلاد بعمله هذا من مجاعة عتومة .
ولم يلبث إخوة يوسف وأبواه — عليهم
السلام — أن دخلوا على يوسف بمدينة
العريش . وفي هذا الصدد روى الرحالة
المغربى «ابن سعيد» نقلا عن «البيهقى» خرج
للقياهم حتى نزل المدينة ، وكان له هناك
هرش ، وهو سرير السلطنة ، فأجلس أبويه
عليه ، وكانت تلك المدينة تسمى بمدينة
العرش ، فحرفها العامة إلى العريش . فغلب
ذلك عليها .

ثم زاد عدد بنى يعقوب ، وكثرت قطعانهم ،
وتعلموا الزراعة وأجادوها ، فأصبحت
حقولهم : (جاشان) من إقليم الشرقية ، مضرب
الأمثال في جودة المحصول . ووصف أحد
الشعراء صان الحجر على عهد رمسيس ، الأكبر
فقال : «لإنها جميلة ، جميلة حقا ، فاقف مبانها
ما ابتدعته عقول جبابرة المهندسين في طيبة
من معابد وقصور ، حقولها منتجة ، وحدائقها
ضناء وغلب ، وبحيراتهم مائى من الأسماك ،
وبركها مغممة بالبط ، وخزائنها التى تناطح
السحاب مائى من الغلال ، ومرفؤها الجميل
موئل للسفن التى تغادرها زرافات محملة
بمصدرات مصر ، والى تاتى إليها مشحونة
بالبضائع الأجنبية ، لا يشعر أحد من أهلها

لم يستسيغوا ماءها لمرارته، بمقارنتها بمياه النيل العذبة التي قاروها مضطرين، ثم بعد نخل اتجه بنو يعقوب جنوباً إلى جبل سيناء بالطريق المعتاد المؤدى من فلسطين إلى الجبل المعروف الآن بجبل «سنت كترين»، ولا بأس من ذلك؛ فقد أصبحوا في مأمن من جنود فرعون.

ثم أوغل بنو يعقوب في سيناء، وضرّبوا فيها غزراً ونجداً، وتاهوا في معامها، ولوام القوت، فأنزل الله جملة قدرته عليهم المن والسلوى، وعز عليهم الماء، ففجر لهم موسى عليه السلام الحجر هيوثاً. وانتهر السامري طلوع موسى الجبل ليكلّم ربه، فأضلّهم وصنع لهم من الذهب عجلاً له خواره فمكفّوا عليه هابدين. ولا يزال أثر تصدع الجبل من خشية الله ظاهراً، زيادة على الأثر الذي تركه كلم الله عند ما خر صمعا.

ونشأت في سيناء بعض المدن التي تطورت إلى نظام الدولة (Polis) على الطريقة اليونانية، ومن تلك المدن «البترام» في وادي موسى، وهي كلمة يونانية معناها الصخرة، وسميت كذلك لأنها قائمة على هضبة صخرية عالية، وأكثر منازلها وهياكلها منحوتة في الصخر، الأمر الذي جعلها مدينة حصينة، ولذا اتخذها «الأنباط» عاصمة لهم، وهم شعب عربي عريق هاش في وسط شبه الجزيرة

رمسيس الأكبر، فرجع بأهله، ونودي بالوادي المقدس طوى، وأرسل إلى فرعون وكان منفتحاً قد خلف أباه، فذهب إليه «موسى وهرون» ليدعوا إلى دين الحق، فأبى واستعبر.

وبرغم أن بنى يعقوب كانوا يعيشون في شرق الدلتا - أقرب أجزاء مصر إلى كنعان - إلا أن مطاردة فرعون لهم جعلت رحيلهم مخفوفاً بكثير من المخاطر، فكان لابد لهم من اجتياز برزخ السويس، حيث كانت البحيرات تمتد على طوله من ساحل البحر المتوسط حتى رأس خليج الحويس، إلا في نقط يابسة قليلة، كانت الحصون القوية تقوم فيها، وعلى هذا لم يكن أمام بنى يعقوب إلا أحد أمرين: إما أن يجتازوا حدود مصر الشرقية عن طريق يابس، حيث يتعرضون للجنود المراكبيين في الحصون، وإما أن يجتازوا إحدى المسطحات المائية.

غادر بنو يعقوب صان الحجر إلى التل الكبير، وهنا طرأت على موسى عليه السلام فكرة اجتياز إحدى المسطحات المائية، للوصول إلى شرق البرزخ، فحدثت معجزة شق البحر، فعبروا «بحيرة التمساح» التي انفصلت لهم، إلى صحراء سيناء، حيث قضوا ثلاثة أيام بلا ماء، حتى وصلوا بلدة «نخل» حيث وجدوا عيوناً سموها «عيون مارة»؛ لأنهم

والعربية منذ سنة ٥٠٠ ق م ، ولما جاءوا إلى سيفاء ، سمو البتراء باسم الرقيم ، وحرصوا عليها لأنها المدينة الوحيدة التي توجد فيها مياه غزيرة بين الأردن والحجاز . استمد الأنباط ثروتهم من الاتجار في العطور والأخشاب الزكية الرائحة ، ونقل السلع من اليمن والهند إلى مصر وشواطئ البحر المتوسط ، وطالما جلبوا إلى مصر القار ، من أجل تخنيط جثث المصريين القدماء . وأفادت البتراء من موقعها الجغرافي الذي مكناها من السيطرة على التجارة الآتية من الجنوب ؛ إذ كانت القوافل تتخذ من البتراء محطة للراحة ، ثم تخرج منها إلى غزة في الغرب ، أو دمشق في الشمال ، أو دأيلة ، (العقبة) في الجنوب ، أو الخليج العربي في الشرق . كما كانت البتراء هي البقعة الوحيدة التي امتازت بوجود الماء العذب فيها بكثرة ولذلك كان عرب الجنرب يستبدلون هناك بإبلهم المتعبسة لإبلأخرى ، ليتمكنوا من مواصلة سيرهم . وبما ساعدتهم على الدفاع عن بلادهم ، أنهم كانوا يحتزنون الماء في صهاريج مخفورة في الصخر ، يملأونها من ماء المطر في الشتاء ، ويحكون سدها ، ثم يضعون عليها علامات خاصة لا يعرفها سواهم ، فإذا هاجمهم هدو تركوا له مدينتهم وفروا إلى الصحراء ، فيموت العدو عطشا لعدم اهتدائه إلى مكان الماء .

والعربية منذ سنة ٥٠٠ ق م ، ولما جاءوا إلى سيفاء ، سمو البتراء باسم الرقيم ، وحرصوا عليها لأنها المدينة الوحيدة التي توجد فيها مياه غزيرة بين الأردن والحجاز . استمد الأنباط ثروتهم من الاتجار في العطور والأخشاب الزكية الرائحة ، ونقل السلع من اليمن والهند إلى مصر وشواطئ البحر المتوسط ، وطالما جلبوا إلى مصر القار ، من أجل تخنيط جثث المصريين القدماء . وأفادت البتراء من موقعها الجغرافي الذي مكناها من السيطرة على التجارة الآتية من الجنوب ؛ إذ كانت القوافل تتخذ من البتراء محطة للراحة ، ثم تخرج منها إلى غزة في الغرب ، أو دمشق في الشمال ، أو دأيلة ، (العقبة) في الجنوب ، أو الخليج العربي في الشرق . كما كانت البتراء هي البقعة الوحيدة التي امتازت بوجود الماء العذب فيها بكثرة ولذلك كان عرب الجنرب يستبدلون هناك بإبلهم المتعبسة لإبلأخرى ، ليتمكنوا من مواصلة سيرهم . وبما ساعدتهم على الدفاع عن بلادهم ، أنهم كانوا يحتزنون الماء في صهاريج مخفورة في الصخر ، يملأونها من ماء المطر في الشتاء ، ويحكون سدها ، ثم يضعون عليها علامات خاصة لا يعرفها سواهم ، فإذا هاجمهم هدو تركوا له مدينتهم وفروا إلى الصحراء ، فيموت العدو عطشا لعدم اهتدائه إلى مكان الماء .

واستخدم الأنباط ، الآرامية ، لغة للعلم والكتابة ، شأنهم في ذلك شأن أكثر دول العالم القديم ، واقتبس الأنباط من الخط الآرامى خطا عرف باسم الخط النبطي ، وهو الذي استخدم في تدوين القرآن الكريم ، على عهد الخليفة عثمان بن عفان فيما بعد . واشتهر الأنباط عند ما استطاعوا أن يصدوا بعض حملات السلوقيين ، خلفاء الإسكندر الأكبر في الشام ، وانتفعوا من ضعفهم فدرا حدود دولتهم إلى الشمال حيث مدينة دحوران ، الخصيبة ، ثم استطاع ملكهم الحارث الثالث ، أن يستولى على دمشق وما جاورها ، وعلى عهده ازدهرت التجارة ، وكثر دخل البلاد عن طريقها ، فتمكن من القيام بإصلاحات كثيرة وفرت الرخاء الأهليين . ثم أخذت دولة الأنباط تقوى وتوسع حتى بلغت أقصى قوتها واتساعها على عهد الملك الحارث الرابع ، الذي امتدت الدولة على عهده من دمشق حتى أطراف الحجاز ، بما في ذلك سواحل البحر الأحمر ، وشبه جزيرة سيفاء .

وظلت البتراء تتمتع بمركزها التجاري العظيم ، إلى أن استخدم الملاحون الرومان طريق البحر الأحمر في نقل تجارة الشرق ، كما تحول خط القوافل بين الشرق والغرب إلى مدينة « تدمر » ، التي تمتاز بوقوعها

والواقع بقيت سيناء مصدر قوة للعرب ، طوال عصور الجدد والجهاد ، حتى استولى الصليبيون على صحراء النقب ، حيث كانت تقع مدينة البطراء ، وأقاموا بها القلاع والحصون ، لكن العرب المسلمين أخرجوهم منها على عهد صلاح الدين ، وشيد أخوه الملك العادل «سيف الدين» قلعة جفدى، فى منتصف الطريق بين العريش والسويس ، ليصد منها الصليبيين من جنود أرناط صاحب حصن الكرك ، وكانوا قد أكتروا الإغارة على العريش ، وسرعان ما عمرت القلعة وما حولها ، عقد ما أمر العادل ببناء جامع وصهرىج للباء .

واليوم يحاول الصهيونيون جهدهم الاحتفاظ بصحراء النقب ، لأنه معروف أن من يشرف عليها يستطيع بسهولة مهاجمة مصر وشبه الجزيرة العربية والعراق ، مثلما فعل الصليبيون من قبل ، لكن هيئات ، ما دام العرب والمسلمون بالمرصاد لأعدائهم من قوى الحق والاستعلاء ؟

عباس ملهى اسماعيل

فى أرض زراعية يضاف إلى ذلك أن الأنباط مالوا إلى حياة الترف ، فذهبت عنهم خشونة البادية ، وأصابهم الضعف ، ولذا استطاع الامبراطور الرومانى «تراجان» أن يستولى على البتراء سنة ١٢٠ م ، فانقلبت طرق التجارة عنها إلى الإسكندرية وخليج السويس .

ولبثت سيناء تقاسى من ظلم الرومان ، حتى خلصها العرب بقيادة «عمرو بن العاص» ، الذى زحف بجيش قوامه أربعة آلاف مقاتل على درفج ، ذات الموقع الحربى الهام ، وصاحبة التاريخ الحافل بانهيارات المصريين على أعدائهم ، فاستولى على العريش بسهولة ، على الرغم من حصونها وأسوارها الممتدة إلى السويس ، والسرى هذا هو ترحيب أهل سيناء بالفتوح العرب ، وفى هذه البقعة حل عليهم عيد الاضحى سنة ١٨ هـ (أو آخر سنة ٢٣٩ م) فاحتفوا به احتفالاً فيه الجلال والجد ، وما لبث أن انتشر الإسلام فى ربوع سيناء ، وأقيم جامع صغير يشرف على جبل المناجاة ، حيث كلم الله تبارك وتعالى موسى عليه السلام ونابجاء ، ويقوم رهبان دير وسنت كثيرين ، بإضاءة هذا الجامع طوال ليالى رمضان .

حاجي خليفة

شذرات مبحولة عن عالم شمس

للكنوز محمد رجب البيومي

فأكثر المخطوطات التركية ظلت إلى الآن
محفوة مهملة في الطبقات السفلى من دور
الكتب في الاستانة وأنقرة وغيرهما ، ولم تجد
بعد الثورة الكالية من يعنى بإحياء آثار
السلف ؛ بل وجدت من يصب عليها اللعنات
ويصمها بالتأخر والانحطاط ! وهكذا
ضاعت آثار أعلام فضلاء من المؤلفين ،
فتسبح ذلك ضياع الكثير من أنبياءهم إلا من
تداركه الله بنباهة الذكر . وهم قليل !

وإذا كانت الكتب كالرجال تشقى وتسعد ؛
فإن كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون» لحاجي خليفة قد نال حظوة طائرة
الذكر بين أولى العلم من الباحثين ؛ فاسمه
يتخايل كثيرا في صفحات الكتب ، وبين
مراجع الدارسين حتى أصبح حجة في التعريف
بالمراجع ، والكشف عن المصادر ، ومؤلفه
بعد هذه الشهرة الرفاعة جدير أن يعرف
تاريخه ، ويشتهر حديثه ! ولكن أين ؟

قصيت وقتا طويلا أسأل عن الرجل ،
فلا أجد من يزيد عن الإشارة إلى مؤلفه
كشف الظنون ؛ فأرد عليه بأن هذا الكتاب

يذكر اسم حاجي خليفة - عند أهل العلم -
مع أصحاب الموسوعات العلمية ذات الخطر
للجليل من أمثال : الخطيب وابن خلكان
والمقريزي وابن هساكروياقوت . ومن هذا
حذوم من المؤلفين ، وأنت تجد لهؤلاء
تراجم مبسطة تذكر أخبارهم وتحدث عن
آثارهم ومواقفهم ، ولكن يعوزك أن تجد
لحاجي خليفة ما ينفع غلتك من الأنباء !
وقد كان المظنون بصاحب خلاصة الأمر
المهمة بأعلام القرن الحادى عشر أن يتحدث
عن مؤلف «كشف الظنون» كما تحدث عن
معاصريه ، ولكن نقص التراجم الخاصة
بعلماء الأتراك في القرون الأخيرة مما تعانيه
المكتبة الإسلامية ، ويرجع ذلك إلى أمرين :
أحدهما : أن علماء هذه القرون من التابعين
لا المتبوعين ؛ إذ أن أكثرهم كان من شمله دام
العصر في التأليف العلمى ، فصار قصارى
جهدهم أن يلخص أو يشرح أو يختصر
أو ينقل ، وقبل أن يضيف الجديد ، تجد
ذلك لدى الأكثرية الكاثرة إلا من ندر
من أهل النظر المستقل ، أما الأمر الثانى :

ولد مصطفى بن عبدالله الحنفى الشهير بحاجى خليفة فى بعض أيام ذى القعدة من سنة ١٠١٧ هـ .

وكان والده من رجال الجيش التركى المحاربين ، فقيده ولده فى سبيل الجيش بفرقة « السلحدار » التى كان يعمل بها ، راجيا أن ينهجه ولده نهجه ، فبدأ سبيله إلى الدراسة الحربية بعد أن يلم بأصول القراءة والكتابة والحساب جريا على عادة العصر من اختصاص أبناء المحاربين باقتفاء آباءهم فيما يتداولون من المناصب والألقاب ، ولكن الناشئ الصغير لم يكدر يلم بأصول الكتابة والاختزال ، حتى أسند إليه عمل كتابى بإحدى الفرق العسكرية ، وكأفى به قد عاف استكمال الدراسة الحربية فأنعاه بمنصبه الكتابى مستوحيا غريزته الدافعة إلى الهدوء النسبى فى ظلال الكتب والأبحاث ، دون أن تجمع به إلى ميادين المعارك الحرة ، ومنازلة الأقران وهو بذلك لم يبعد عن الحرب بعدا نهائيا ، بل ظل بمقربة من الجيش المستقل فى شتى الأصقاع العثمانية يقيم بمقامه ويرحل بارتحاله محتفظا بوظيفته الكتابية فى القلم الحربى ، وقد هيا له الارتحال المتكرر إلى الشام والعراق والموصل ومكة أن يلم بأكثر البقاع الإسلامية ، وأن يجالس كثيرا من أهل العلم فتشغف حبا بالاطلاع ، وصمم على أن يشارك ذوى الثقافة الإسلامية ميولهم

الموسوى الجليل هو ما يدعونى إلى البحث عن تاريخ صاحبه ، وقد هدتنى فراستى الشخصية إلى أن أرجع إلى المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، رضى الله عنه وكيل المشيخة الإسلامية أيام الخلافة العثمانية ، وقد كان من أفذاذ العلماء سعة اطلاع ودقة بحث وتنقيب ، وطول معاناة واختبار . فأخبرنى رحمه الله أنه كتب عنه للمامة وافية منذ سنوات بمجلة الإسلام المصرية ، ولم يعين العدد أو العام ، إذ كان يعانى من مرضه الاير ما عاقنى عن استيفاء الإجابة .

ولما كنت لا أحفظ بمجلة الإسلام ، فقد اهتمت إلى أحد قرائها ممن يتهون بجمعها وتجليدها فى مجموعات سنوية ، فعرضت عليه أن يبحث مشكورا عن مقالة الإمام الكوثرى ، ولكن صاحبتنا ضل طريقه إليها .

إذ أن العفوان لم يكن حاجى خليفة ، كما توقعه بل كان « كاتب جللى » وهو لقب المؤلف الدال على وظيفته ثم مضت سنوات عشر حرصت فيها على قراءة المقال حتى اهتمت إليه بالعدد الرابع من السعة السابعة الصادر بتاريخ ٢٣ من محرم سنة ١٣٥٧ هـ . فكان فرحى به فوق الوصف ، وقد دفعنى مقال « الكوثرى » إلى تبسع بعض ما أشار إليه من مؤلفات الرجل ، حتى أمكنتنى أن أعرف عنه ما أستطيع به التحدث إلى القراء .

وأن يكتب نبذاً يسيرة عن موضوعه
ومؤلفه مشيراً بإيجاز سريع إلى زبدة أبحاثه
حتى اجتمع له من ذلك عدة كراسات كانت
نواة أولى لمؤلفه : كشف الظنون !

لم يكن حاجى خليفه يظن أنه حين
شرح يدون مذكراته عن الكتب الحلبية
إنها يبدأ عملاً ضخماً سيصبح منار الدارسين
بعد حين ، بل كان يعتقد أنه يعمل لنفسه
وحده ؛ إذ يحصى أسماء المؤلفات يروقه أن
يبحث عنها في مكاتب الأستاذة حين يستقر به
المقام عن قريب ، ولكنه حين رجع إلى مقره
وفاجأ أساتذته وزملاءه بما دون ، رآهم
يعجبون بتلخيصه ، ويتناقلونه ؛ فصمم
الكاتب على أن يدون نبذاً خاصة بكل مؤلف
يقع في يده ثم يضيفها إلى مجموعته ، وظل
قراءة عشرين عاماً لا ينى عن هذا الرصد الموفق
حتى اكتملت موسوعته العلمية ، وأصبحت
مرجع الباحثين ! أفكانت المصادفة وحدها
هى التى هيأت له إلى هذا الصنف من التأليف
ليصبح سرخلوده فى التاريخ ، وقد زار مدينة
حلب مرافقاً لإحدى فرق الجيش التركى فرجع
صاحب منهج تاليفى وضعه بذرتة فى الأرض
وأخذت تتكامل على مر الأيام حتى تفرعت
أفنانها المزهرة عن كشف الظنون ! الحق أننا
نقف أمام كثير من الأعمال العلمية الجلية حائرين

الدراسية ؛ فأخذ يجمع الكتب ويحفظ
الاشعار ، ويتطلع إلى أفق رحيب !

وحين رجع إلى القسطنطينية سنة ١٠٣٨
جعل من همه الإلمام بدروس العلم فى المساجد .
وكان الواعظ الأشهر الشيخ محمد مصطفى ،
المعروف بـ « قاضى زاده » ، من يملؤون الاستماع
علماً وبياناً ، وقد قسم وقته بين وعظ الناس
فى الحلقات العامة وتدريس العلوم للطلاب
فى الحلقات الخاصة حيث رزق من الفصاحة
والإخلاص ما جعل دروس وعظه أثيرة لدى
الطالبيين ، فتهافت عليها الناس من كل صوب ،
ونال إعجاب الملأ فى قومه ؛ فأخذ حاجى
خليفه يتردد على حلقاته الخاصة والعامة ،
سائلاً مسترشداً ، ولم يرض عليه الشيخ
فى شئ . بل آنس لديه استعداداً ونباهة ،
فأوصاه وهده ، ودفع به إلى دراسة القواعد
العلمية فى النحو والبلاغة والفقه والتوحيد !
وكان مقامه آنئذ بالقسطنطينية حافزاً قوياً
على الدراسة والتحصيل ، ولكنه لم يلبث
أن استدعى لإلا عمله الكتابى بقلم تفتيش
السوارى فقارق شيخه متأثراً إلى فارس ،
ومنها إلى بغداد ومكة وديار بكر ثم إلى حلب !
وفى حلب هذه عثر على دكاكين الوراقة ملأى
بالكتب ، فكانت تستغرق جميع وقته
إذ شاهد من المخطوطات ما يروع ويهر ،
فجعل من همه أن يتصفح كل مخطوط ،

متوقع من كل إنسان مهما حرص على السجالات
وقد أشار إلى ذلك الإمام الكوثري حين
قال عن الكتاب .

« وهو أوسع ما بأيدي الباحثين اليوم
من الكتب المؤلفة في استقصاء ذكر المؤلفات
في الإسلام ، وأنفعها في بيان أحوال الكتب
وإن كان لا يخلو من أغلاط في الوفيات وأسماء
المؤلفين كما هو شأن من قام بنفسه بمثل هذه
المهمة العظيمة المشكورة ، وقد غمطه حقه
المستشرق «هر بلو» الفرنسي، وعده جامع الغث
والسمين ، مع أن هذا المستشرق إنما يرتكن
في كتابه (مكتبة الشرق) على كشف الظنون
بل استمد جل ما في كتابه من هذا الكتاب ،
ويوجد بين المستشرقين من ينصف ويناصر
صاحب الكشف ضد ذلك المستشرق ، هذا
وكتاب الكشف يتحدث عن نحو ثلاثمائة
علم من العلوم الإسلامية فيتسكلم عن (١٤٥٠١)
من الكتب وعن (٩٥١٢) من المؤلفين ،
وكان ظهوره حدثاً فريداً في عصره ، وقد شاء
لاحقوه أن يتعلّقوا بأذياله فكتبوا
ملحقات خاصة بأسماء بعض الكتب التي أغفلها
حاجي خليفة متبعين طريقته في الإيجاز
الشامل المحيط ، ومن هؤلاء : الشيخ إبراهيم
الواعظ ، وأحمد طاهر حنيف ، وشمس
الإسلام عارف حكمت ، وقد طبع ملحق
الشيخ الواعظ مع الكشف كذيل له

فإن موسوعة كشف الظنون قد نهض بها
كاتب واحد في زمن متخلف فجاءت مثلاً
رائعاً في بابها ، ونحن اليوم نرى في عصر
المطبعة والتقدم العلمي دور الكتب المختلفة ،
تؤلف لجائناً متشعبة لإحصاء كتبها ثم لتدوين
نبذة قصيرة عن محتوياتها ، لتطبع فهرسها
في مجلدات تفسر بين الناس على نحو قريب مما
نهض به حاجي خليفة في كشف الظنون ،
أقول: إن هذه اللجان المتشعبة ذوات العدد
من الباحثين تتمخض في النهاية - بعد سنوات
عدة - عن عمل لا يقاس بمجمود فرد واحد
كحاجي خليفة .

وتلك ظاهرة يطول لها العجب ، فأنت
تقع على أخطاء كثيرة في هذه الفهارس ذات
اللجان المتفرعة ، فتؤلف لابن تيمية الجدد
ينسب إلى ابن تيمية الحفيد ، ومؤلف
للسخاوي الفقيه ينسب إلى السخاوي المؤرخ
وكتاب في الخطط الشامية يقال : إنه خاص
بالخطط المصرية إلى أمثال هذه الأعاجيب !
أفتسكون اللجنة العلمية من القصور بحيث
لا تفي بمجمود عالم فرد ؛ إن ذلك ليدل على
أن الوظيفة الرسمية لا تخلق الباحثين كما تخلقهم
الرغبة الذاتية ذات الميل الحافز والصبر
الدؤب !

لسنا نعي بذلك أن كتاب كشف الظنون
قد خلا من الأخطاء ؛ فإن النقص البشري

أستاذ العلامة الشهير بقاقي زاده ، ثم درس الأصول والمنطق والعروض وآداب البحث والمناظرة على أستاذه العلامة مصطفي الأعرج . واستمع إلى علوم الحديث والبدیع والبيان من الألباني ، والواعظ والكردي وهم أستاذة هذه العلوم بمساجد الاستانة ، ثم تصدر للتدريس في علوم شتى حتى جاءه التعمين سنة ١٠٦٧ هـ بعد خمسين عاما من حياته القصيرة بأعوامها الطويلة بما كتب وشرح وجمع وترك في المخطوطات والأذهان ! وقد قرأ المغفولة الأستاذ حمزة طاهر أستاذ اللغة التركية بكلية الآداب أكثر مؤلفات حاجي خليفة ، وكتب عنه مقالا جيدا بمجلة الثقافة عدد ٥٧ سنة ١٣٥٨ معلنًا أنه استمده بما كتب الرجل عن نفسه في غضون مؤلفاته الكثيرة ، ثم سجل في نهايته فهرس مؤلفاته التي وقع عليها ، ونحن نوجزها فيما يلي .

١ - فذلكم التواريخ ، وهو مختصر علمي لكثير من الأسر التاريخية ، قد اقتبس من مؤلف سابق للأمير جنابي ، بعد أن أضاف إليه حاجي خليفة ما انقطع من الأحداث بعد زمان الجنابي إلى زمانه .

٢ - حاشية على تفسير العلامة البيضاوي ونظن أنها كشيلائها المعروفة .

٣ - شرح في علم الفلك لكتاب على القوشى المعروف (بالمحمدية) .

في الطبعة المصرية والاستانية ، أما الكتاب الفريد حقًا في تذييل الكشف فهو ما صبر على جمعه العالم البجاعة إسماعيل باشا البغدادى حيث استطاع في مدى ثلاثين عاما أن يصدر فهرسه الجامع مشتملا على التعريف بأكثر من ١٩٠٠٠ من الكتب التي لم يتحدث عنها حاجي خليفة ، وأنا أعجب كيف بقي هذا العمل الضخم مخطوطا بمسكاتب الاستانة إلى الآن ! وهو جهد يتطلب البعث السريع ، نشرًا وتحقيقًا ليدنا بكثير مما نجهل من تراث الأجداد !

ومؤرخو الحضارة الإسلامية والثقافة العربية لن يؤدوا واجبهم الدقيق دون أن يهتدوا إلى أمثال هذه الفهارس النافعة ، وإلى أن تظهر هذه الذبول الضافية عن كتب السابقين ستبقى اكشف الظنون جدته الدائمة وسيظل المورد الأول لعشاق التراث العلمي من الباحثين .

والمأمل في مؤلفات حاجي خليفة يجدها من الكثرة والتنوع بحيث تدهش وتعجب ، فقد كان الرجل يؤلف بالتركية والفارسية والعربية ، ويكتب في التاريخ وتقويم البلدان وملك والسياسة والطب الروحي كتابة الباحث الملم في زمن لا يكاد يعرف التخصص ولعل طريقته التعليمية في دراسته الأولى هي التي تشعبت بميوله العلمية تشعبا شاملا ، فقد درس علوم التفسير والفقه والتصوف على

الزمان وأعلام العصور يتحدث عنهم حديث المشاهد إذا رأى وحديث الناقل إذا قرأ ، ولن نكلف الرجل في زمانه وثقافته بأكثر

مما يرتقب من مثله ! وإذا لم تخل العصور السابقة من ذوى القلوب الأدبي في كتابة التاريخ ، فهم من النادرة بحيث يجوز لنا أن نفترض لدى كل كاتب تاريخي أن يهجم هجوماً المكاشف في استخلاص العبرة وربط النتائج بالأسباب ، والغور المتعمق في استكناه الجذور العميقة ، أو الطيران المخلق في رصد الذرى البعيدة ! لقد قرأ الرجل فهمهم ، ثم كتب فأوضح وجمع فأوعى وحسبه ذاك !

ولعلك تسأل عن سبب تلقيبه بحاجي خليفة مع أن اسمه الحقيقي مصطفى عبد الله ، وإجابة عن ذلك نذكر أن الرجل كان خليفة في قسم الكتاب ، وهى الرتبة الثانية التى يعلوها رئيس الكتاب وحده ، وقد حج بيت الله وجاور بمكة حينما فقي له حاجي خليفة ، بمنطق الأتراك ! وقد غلبت عليه هذه الشهرة حتى أنست اسمه الأول بعض الباحثين ! وإن بقى خالداً فى كتابه الذائع عن الاسامى واولفاته ! ذلك المرجع الذى جعله أستاذ ذلك الفن فى دنيا التأليف والمؤلفين .

محمد رجب البيومى

٤ — تقويم التواريخ ، وهو جداول تاريخية من بدء الخليقة إلى سنة ١٠٥٨ باللغتين الفارسية والتركية .

٥ — سلم الوصول إلى طبقات الفحول وهو تراجم تاريخية للأعلام .

٦ — تحفة الاختيار فى الحكم والأشعار ، وهو مختارات بمجموعة من الآداب العربية والفارسية والتركية .

٧ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفتون وقد جمعه فى أكثر من عشرين عاماً وبه طارت شهرته ورن صداه .

٨ — لوامع النور فى ترجمة أطلس منيور وهو سرد لحياة أحد أبطال الترك .

٩ — دجماً ، كتاب جغرافى لا يغفل الأحداث والتواريخ .

١٠ — دال الجرم الرجم بالسيف والجيم ، وهو يضم الفتاوى الهندية لأعلام عصره فى أمور الحياة والأحياء .

١١ — تحفة الكبار فى أسفار البحار ، وهو يتحدث عن بعض الحروب العثمانية ونتائجها وأعلامها .

١٢ — ميزان الحق فى اختيار الاحق ، وهو تراجم علماء عصره من الأتراك .

وبمراجعة أسماء هذه المؤلفات ، نرى الصبغة التاريخية تعمها فالرجل مولع بأحداث

انتشار الإسلام

في جيلان

للدكتور محمد غنيم أبو سعيد

- ٥ -

الحقيقة بوصفه شاهد عيان ؛ فقد قال هذا المؤرخ في حديثه عن الزعيم العلوي وثمرة الجهود التي بذلها لنشر الإسلام في المنطقة : « فاستجابوا وأسلموا إلا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك إلى هذه الغاية » (١) .

كما أن عامل الدقة يحملنا أيضا على القول بأن الجهود التي بذلها الناصر بين الجماعات الجبلية قد تركزت بصفة أساسية في الجزء الشرقي من المنطقة الساحلية ، ونعني به الجزء المحصور بين نهر أسفيدرود والحدود الطبرية وقد أشار إلى هذه الحقيقة بعض المؤرخين الذين عثروا بالكتابة عن انتشار الإسلام في المنطقة ؛ فالصافي ، يقول في الحديث عن الناصر ونشاطه في سبيل نشر الدين الإسلامي : ولم يتجاوز حد النهر المذكور (أسفيدرود)

اتضح لنا إجمالا مما سبق أن جهود الناصر قد آتت ثمارها بين الديلمة والجيليين ، وإذا اودنا أن نفصل هذا الإجمال فإننا نقول : إن النشاط الذي قام به الناصر ، من أجل نشر الإسلام في المنطقة قد اتجه في مرحلته الأولى إلى جماهير الديلم ، وقد قوبل هذا النشاط بنجاح كبير فاق كل ما كان مقدرا له ، وبعد أن فرغ الناصر من المنطقة الجبلية اتجه بجهوده إلى الجماعات الجبلية ، وهم أولئك الذين كانوا يسكنون المنطقة الساحلية الجنوبية ولم يكن نجاح الدعاية العلوي مع هؤلاء الجيليين أقل من ذلك الذي استطاع أن يحققه من قبل مع إخوانهم الديلمة .

هذا يبيد أن الدقة بخصوص هذه النقطة تدعونا إلى القول : بأن قلة قليلة من الديلمة ، وكذلك الجيل ، لم تتأثر بدعوة الناصر ، ومن ثم ظل أفراد هذه القلة معتنقين لدينهم . والمؤرخ المعاصر المسعودي يكاد يكون هو المؤرخ الوحيد الذي انفرد بتقرير هذه

(١) مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢١٣ .

على أن لا أهمله ، وأعنى به مدى تأثير العوامل الجغرافية في حركة انتشار الإسلام ، فالمسعودي يقول لنا : إن الذين لم يعتنقوا الإسلام من بين مواطني المنطقة هم أولئك الذين كانوا يقيمون « في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة » . وتفسير ذلك هو أن عدم إسلام الجماعات التي كانت تقيم في مثل هذه الأماكن الوعرة يعود في المرتبة الأولى إلى صعوبة المسالك إليهم ، الصعوبة التي وقفت عقبة أمام اتصال الدعاة بهم ، ومن ثم لم تتح لأفراد هذه الجماعة الفرصة لكي يتعرفوا على خصائص الدين الإسلامي بالقدر الذي يدفعهم إلى اعتناقه ، ونبتد دينهم المتوارث القديم .

هذا هو الفهم الذي يمكن أن نستخلصه من النص الذي أورده المسعودي ، ونفس الفهم ، أو قريب منه ، من المستطاع أن نستنبطه من كل من النصين الآخرين ، فنص الصابي يقول عن الناصر : « ولم يتجاوز حد النهر المذكور ولا كان إسلام من بقي من الجيل على يده » . وابن الأثير يقول : « وقد أسلم على يده (الجيل) الذين هم وراء اسفيدرود إلى ناحية آمل » .

لا يستطيع قائل أن يزعم أن الناصر قد وضع تخطيطه على أساس أن يقف بذشاطه عند ضفاف النهر المذكور ، في حين أن

ولا كان إسلام من بقي من الجيل على يده ، (١) .

وقد أكد ابن الأثير في تاريخه لحوادث سنة ٣٠١ هذا الذي قرره الصابي حيث قال بخصوص الموضوع نفسه : « وقد أسلم على يده (الجيل) الذين هم وراء اسفيدرود إلى ناحية آمل (ومدينة آمل كانت آنذاك حاضرة إقليم طبرستان ، وهي مدينة ساحلية تقع على الشاطئ الجنوبي لبحر قزوين) .

يغلب على الظن أن تحديد المجال الجغرافي لنشاط الناصر بين الجماعات الجيلية بالصورة السابقة قد يثير فضول القارئ لمعرفة الظروف التي أدت إلى انتشار الإسلام في المنطقة الواقعة وراء الضفة الأخرى للنهر ، وأسارع فأقول : إن انتشار الإسلام في هذه المنطقة ، وهي التي يحصرها النهر المذكور من ناحية والحدود الشمالية للإقليم من ناحية أخرى ، قد ارتبط بجهود داعية آخر من دعاة الإسلام وسيكون الحديث التفصيلي عن ذلك هو الجزء الأخير من هذا المقال .

أما الآن فإني أجد في النصوص الثلاثة السابقة ، مع إيجاز كل منهم ، شيئاً يحملني

(١) التاج في أخبار الدولة الديلمية ، ورقة هـ .

الرابع الهجرى ، أما بالنسبة للمصادر المتأخرة فقد عثرت على إشارة بحملة أوردتها البكرى (١) ، ولذا فإنه من الصعب التحديد الدقيق للبقعة الخاصة بكل من هذين المسكنين ، أى أن الغموض يحيط بالموقع الجغرافى للمركزين الذين كان كل منهما مصدراً لإشعاع الدين الإسلامى فى الأماكن المجاورة .

والشئ الذى نستطيع أن نقوله حول هذه النقطة هو أنه بمرور الزمن أخذت مدينة « هوسم » تنمو وتزدهر على حساب المدينة الأخرى ، وذلك بصفتها المركز الأول للنشاط الفكرى الإسلامى فى المنطقة كلها سهلها وجبلها ، حتى أننا نجد كثيراً من العلماء الذين برزت أسمائهم بين الأجيال الإسلامية اللاحقة ينسبون إلى مدينة « هوسم » .

وهكذا فإن التاريخ يسجل أنه بنهاية القرن الثالث الهجرى أصبح الإسلام دين الأغلبية الساحقة بين الديالة ، كما أصبحت للدين الإسلامى السيادة أيضاً فى المنطقة السهلية التى تقع إلى الشرق من نهر « اسفيدرود » . ومعنى هذا أن الناصر قد اقتصد فى نشاطه كل سنوات العقد الأخير من القرن الثالث الهجرى ، ومعها سنوات قليلة من العقد السابق . وقد صاحب انتشار الإسلام فى تلك الفترة

التفسير الأقرب إلى القبول هو أن النهر كان العقبة الجغرافية التى وقفت فى وجه تقدم الناصر إلى الجانب الآخر ، ويرجع هذا التفسير ما يردده الجغرافيون عن صعوبة اجتياز هذا النهر من جهة إلى أخرى ، ومن الطبيعى أن لا يتوقع فى مثل هذه البيئة وهذا التاريخ المتقدم أن يكون الإنسان قد تغلب على هذه الصعوبة بإقامة المعابد التى تربط بين الـضفتين .

هذه كلمة سريعة قصدت من ورائها أن أشير إلى مدى فاعلية العوامل الجغرافية والدور الذى لعبته ، أو تلعبه ، فى حركة انتشار الدين الإسلامى ، وكما يكون مفيداً لتكامل الدراسة فى مثل هذا الموضوع أن يلتفت إلى العوامل الجغرافية بالقدر الذى يتفق وما لها من أهمية .

مهما يكن من أمر ، فقد تردد فى المراجع التى أؤخت بصفة خاصة لحركة انتشار الدين الإسلامى فى المنطقة ذكر مسكنين جعل منهما القاصر مركزيه الرئيسيين أثناء زراولته نشاطه ؛ أحدهما هو « كيلا كجان » الذى كان يقع فى المنطقة الجبلية ، وثانى المسكنين هو مدينة « هوسم » التى كانت تقع فى المنطقة السهلية المتاخمة لساحل بحر قزوين . ويبدو أن المسكنين لم تكن لهما أهمية خارج نطاق المنطقة إلى درجة أنه لم ترد إلى أى منهما إشارة فى المصادر الجغرافية التى كتبت فى القرن

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، ج ٢ ص ٩٦ .

بفضل جهود الناصر فيقول : « وبنوا المساجد وتعلوا القرآن وتبصروا في الدين وسموا بأسماء المسلمين » (١). فقد أسند المسموعدي إقامة المتساجد في نصه إلى الناصر ، بينما أسندها المؤرخ الشيعة إلى أهل البلاد الأصليين ، والنصان معا يفيدان خطأ التطور الذي سارت فيه شركة تشييد المساجد في المنطقة .

ونختتم الحديث عن الناصر ونشاطه بالتعرف على موقف دجستان ابن وهسوذان ، الملك الديلمي المعاصر وبخصوص هذه القضية فإننا نقول : إن المراجع التي بين أيدينا قد أجمعت على أن دجستان ، قد لجأ في أول الأمر إلى مقاومة الناصر والتصدى له ، بيد أن محاولاته المضادة قد تمت بالفشل وتخلت عنه أنصاره ، فما كان منه إلا أن أعلن هو الآخر إسلامه وأصبح بالتالي واحدا من أتباع الزعيم العلوي ، وقد اشترك الملك الديلمي بصورة فعالة في تحقيق الخطة السياسية التي كانت الحلم الذي ظل مسيطرا على حياة الناصر منذ مقتل سلفه محمد بن زيد في سنة ٢٨٧ ، وأعنى به إعادة الدولة العلوية التي سبق لها أن قامت في إقليم طبرستان .

تغلب الجانب السياسي على حياة الناصر

وما بعدها تشييد الكثير من المساجد التي أخذ بنائها يرتفع في كل أنحاء هذه البلاد التي طالما استعصت على المحاولات العديدة السابقة .

وببدو أن حركة إقامة المساجد في المناطق التي عمها الإسلام كانت نشطة إلى الحد الذي يحمل الباحث على القول بأن كل منطقة تجمع سكانى - مع أطراح الأماكن القليلة التي لم تنعم بنور الإسلام - ارتفع فيها بفيان مسجد أو أكثر ، ولنا أن نتخيل آثار مثل هذه الحركة النشطة على مدى سنوات النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ومن الطبيعي أن حركة بناء المساجد هذه قد اضطلع بها الناصر إبان الفترة التي كان يدعو فيها إلى الدين الإسلامى ، وقد اقتدى به وسار على هديه فيما بعد أولئك الذين استجابوا له وصدقوا بدعوته .

وعن إقامة المساجد ونصيب كل من الناصر وأتباعه فيها لنا أن نستأنس بنصين ؛ أولهما للمسموعدي ويقول فيه عن الناصر : « فدعاهم إلى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا ... وبنى في بلادهم مساجد » (١). وثانيهما لأحد مؤرخى الشيعة وهو أبو الحسن على بن بلال الذي شارك في تأليف كتاب المصابيح ، ويتحدث فيه عن الذين اعتنقوا الإسلام

(١) المصابيح ، ميكروفيلم بدار الكتب

رقم ٨١ ، ورقة ١١٧ ب .

(١) مروج الذهب ، ج ٢ ص ٥١١

مذهب أحمد بن حنبل في السنة والجماعة ، وأول أمره معهم أنه أسلم على يده رئيس منهم يقال له « سباهجيل بن رستم » ، وأسلم على يد « سباهجيل » جماعة منهم وقالوا له : نحن أخذت هذا الدين ، وكيف لنا برجل يوقفنا على حدوده وفروضه ويحفظنا القرآن والعلوم وغيرها بما نحتاج إلى علمه ؟ فأرشدهم إلى أبي جعفر وأعلمهم أنه من الصالحين الديانين ، واجتمعوا عليه وجعلوه عميدهم وأسلموا على يديه وتلقفوا مذهبه .

وعما يؤسف له أني لم أقع على ترجمة لأبي جعفر هذا فيما كتبه الفراء عن طبقات الخطابة ، ولعل الصعوبة في ذلك تعود قبل أي شيء إلى أن الفراء قد ساق من ترجم لهم بالاسماء لا بالسكنى ، ويترتب على ذلك أن الباحث لا يستطيع أن يتعرف على شخصية أبي جعفر هذا بأكثر من هذه المعلومات القليلة التي ذكرها عنه الصابي .

مهما يكن من أمر ، فإن نص الصابي يقدم بعض الحقائق ، ويتيسر للباحث في نفس الوقت فرصة الاجتهاد حول جوانب أخرى ، فن الحقائق التي يحماها هذا النص أن من أول من اعتنقوا الإسلام على يد الداعي الحنبلي — إن لم يكن أولهم على الإطلاق — هو « سباهجيل بن رستم » ، أحد رؤساء الجماعات الجيلية . وحقيقة ثانية هي أن الزعيم الجيلي

منذ استيلائه على طبرستان في جمادى الآخرة سنة ٣٠١ وحتى وفاته في شعبان سنة ٣٠٤ ولذا فإننا عند هذا الحد نكف عن تتبع تاريخ الناصر ، وذلك لقلة جدوى هذا التتبع لما نحن بصدد من دراسة انتشار الإسلام في جيلان .

وننتقل الآن إلى الجزء الأخير من هذا المقال ، وهو الجزء المخصص لتفصيل الحديث عن انتشار الإسلام في المنطقة التي تقع إلى الغرب من نهر « اسفيدرود » ، والحق أقول أنه لولا ما ذكره الصابي بخصوص انتشار الإسلام في هذا الجزء من منطقة جيلان لضاعف على المدارس المعاصر إحدى الحلقات التي تكمل سلسلة الجهود التي بذلت من أجل نشر الإسلام في المنطقة ، ولوقع بالتالي في الخطأ الذي يمكن أن يتورط فيه من يتصدى بالدراسة لهذا الموضوع حيث يخيل إليه أن انتشار الإسلام في المنطقة كلها مدين بالجهود التي بذلها الناصر ، سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة .

وندع الآن الحديث للنص الذي أورده الصابي ، فهو يقول في الورقة الخامسة : « ولم يتجاوز (الناصر) حد النهر المذكور (اسفيدرود) ولا كان لإسلام من بقى من الجيل على يده ، بل على يد رجل وقع اليهم بجميع النواحي ، ويكنى أبا جعفر ، مذهبه

بالنسبة للعلاقة الزمنية فن المرجح أن انتشار الإسلام بين الجماعات التي تقطن إلى الشرق من نهر د اسفيدرود ، يسبق انتشاره بين مواطني الضفة الغربية ، إذ أنه لو كان العكس هو الصحيح لشارت إلى ذلك المراجع التي تحدثت عن الناصر وجهوده في سبيل نشر الإسلام ، والمرجح أن اعتناق مواطني الضفة الغربية للإسلام قد حدث في العقد الأول من القرن الرابع الهجري ، والذي يسوقنا إلى هذا الترجيح أمران ؛ الأول ما سبق أن تأكد لنا من أن نشاط الناصر في سبيل نشر الإسلام قد استغرق سنوات العقد الأخير من القرن الثالث ، والثاني أن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المنطقة ابتداء من العقد الثاني للقرن الرابع قد تحدثوا عن المنطقة كلها بصفاتها منطقة إسلامية .

وعن الجهة التي قدم منها أبو جعفر فإنه ليس من المستبعد أن يكون قد قدم من إقليم أذربيجان ، وهو الإقليم المتاخم للنقطة موضوع الدراسة من الجهة الغربية ، والمعروف أن مسلمي أذربيجان آنذاك كانوا يدينون بالمذاهب السنية ومن بينها المذهب الحنبل ، وبخصوص العدد التقريبي لمن اعتنقوا الإسلام على يد أبي جعفر فيمكن أن نستخلص من ثنايا النص أنهم كانوا

قد تمسك لعقيدته الجديدة بدرجة كبيرة حتى أنه قد صار بدوره داعية إلى الدين الإسلامي ، وقد أثمرت جهوده بين عدد من إخوانه الجليلين ، وثالثة هي أن جمهرة الجليل قد سمعوا إلى اعتناق الإسلام ومعرفة تعاليمه وقد وجدوا طلبتهم هذه في شخص أبي جعفر الذي صار القائد الروحي للجماعات الجيلية حديثة العهد بالإسلام ، ورابعة الحقائق هي أن إسلامهم كان مصطبغا بالمذهب الحنبلي ، وهو المذهب الذي كان يعتنقه أبو جعفر .

وفوق كل هذه الحقائق فإن النص في جملته يحكي لنا صورة من صور انتشار الإسلام بالقوة الذاتية الكامنة فيه ، وهي السمة التي تعتبر من أخص الخصائص التي يمتاز بها هذا الدين الحنيف .

أما السلبية التي تبدو في النص ، وتقييم الباحث بالتالي فرصة الاجتهاد فيها تحديد العلاقة الزمنية لانتشار الإسلام فيما وراء الضفة الشرقية لنهر د اسفيدرود ، وانتشاره في بلدان الضفة الغربية ، ومنها معرفة العدد التقريبي لمن اعتنقوا الإسلام بفضل جهود أبي جعفر ، ومنها معرفة الجهة التي وفد منها الداعية الحنبلي ، هذا بالإضافة إلى أنه لم ترد في النص أدنى إشارة عما إذا كان أولئك المسلمون الحنابلة قد أقاموا المساجد في مدنهم وقراهم .

الأغلبية ، ومن الطبيعي والحالة هكذا أن تسير حركة إقامة المساجد قدما مع إقبال أهالى المنطقة على إعتناق الدين الإسلامى حتى ولو لم ينص الصابى على ذلك ، مع ملاحظة أن هذا المؤرخ لم يشر إلى حركة إنشاء المساجد فى المنطقة الجبلية والمنطقة السهلية الشرقية ، وقد تأكد لنا من المصادر الأخرى أنها كانت حركة واسعة ونشطة .

هذه صفحة مشرقة من صفحات إنتشار الدين الإسلامى حول بحر قزوين ، وآمل أن ألتقى بك أيها القارئ الكريم من جديد مع منطقة أخرى من المناطق التى سطع فيها نور الإسلام .

د. همام غنيم أبو سعيد

استدراك

من سلسلة انتشار الإسلام فى جيلان ورد فى المقال الثالث الصادر فى عدد رجب سنة ١٣٨٨ ص ٣٦٣ — العبارة التالية :

(وكيف تغلب على العقبات التى واجهت إسلامه)

الخطأ	الصواب
إسلامه	أسلافه

وقد ورد فى المقال الرابع من هذه السلسلة والصادر فى عدد شوال سنة ١٣٨٨ ص ٦٤٧ — العبارة التالية :

(وذلك بأن ركز على المميزات البدائية للإسلام)

الخطأ	الصواب
البدائية	الذاتية

قيس بن سعد

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ٤ —

وبعث على من قبله محمد بن أبي بكر واليا على مصر بدلا من قيس . الذي استقبله عندما قدم عليه ، ودار بينهما الحوار التالي :

قيس : ما بال أمير المؤمنين ؟ ما غيره ؟ أدخل أحد بيتي وبينه ؟

محمد : لا ، وهذا السلطان سلطانك

قيس : لا والله ، لا أقيم معك ساعة واحدة .

فما قال :

يا أبا القاسم ، إنك قد جئت من عند أمير لا رأى له ، وليس عزله إياي بما نعى أن أنصح لك وله ، وأنا من أمركم هذا على بصيرة ، ولإني أدلك على الذي كنت أكيد به معاوية وعمر وأهل خربتكم ، فكأيدهم به ، فإنك إن كأيدهم بغيره تهلك ، (١) .

لم يكن محمد بن أبي بكر بحاجة إلى نصيحة قيس فقد ظن به كل الظنون ، واستغشه وخالفه في كل شيء أمره به ، وألقى بنصائحه ووصاياه وراعه ظهريا ، واستدار إلى أهل مصر ففكك بهم أشد الفكك : هدم دور العثمانية ونهب أموالهم ، وهتك ذرايعهم ، وقتل منهم ثمانين ، وبهذه السياسة الغاشمة حطم كل ما بناه سلفه الصالح ، فجر على نفسه الويلات ، ولم يطبقوا أن يروا واليا على هذا النحو من الفظاظة والغلظة ، فقتلوه شر قتل ، فمات في ١٤ صفر سنة ٣٨ هـ .

كان محمد بن أبي بكر — الذي تجاهل كل شيء وأنكر كل شيء — لا يزيد في العمر على ستة وعشرين عاما ، وكان يحب الخيل والرياسة . ويسارع إلى ما هو ساقط عنه ، وكان أقصى ما يتمناه أن يتولى أمر مصر ، من أي سليل ، فتحقق له المراد . ونصح له قيس ، عندما قدم عليه نصيحة المؤمن الخالص لدينه ، نصحه ألا يقاتل المصريين ، بعد أن وادعهم وهادنهم ، وأوصاه بأن يكون لين الجانب معهم ، وأن يرفع الحجاب عنهم ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنازتهم ، وقال له

(١) الكامل : ابن الأثير .

واقه لولا أن ألقى من رهطى ورهطك حربا
لضربت عنقك أخرج عنى .

وفى الحق أنه لا يمكن أن يكون فى طاقة
أحد - مهما بلغ من كظم الغيظ - أن يحتمل
مثل هذه الشامة من حسان بقيس ، وهو الذى
لا يقاس بمناقبه فى هذه الفتنة الهوجاء رجال
ورجال ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . كما أن
قارس الكلمات أحيانا ، تكون وحدها أبلغ
رد على من لعبت الفتنة بعقله ، فانهلب النهار
لديه ظلاما ، لما أصابه من همى القلب والبصيرة ،
وقيس - إذا سب وشتم - فهو معذور .

وأوجس قيس - وهو الشجاع المقدام -
فى نفسه خيفة ، فإذا كانت النفوس قد تغيرت
على نحو ما سمع من حسان ، فما بال الخليفة !
أو الفتنة كحاطبة الليل ، لا تميز ولا تفرق
واستيقن قيس أن الناس قد لعبت الأهواء
بهم ، ولم يعد لكلمة الحق من سبيل إلى
الاستماع ، ومع هذا كله كان لا بد من أن
يلقى الخليفة وقد استدعاه بعد عزله ، فاصطحب
معه إليه مروان بن الحكم ، والأسود
ابن أبى البختري ، وشهد اللقاء مع على سهل
ابن حنيف ، وأفضى الوالى المعزول ضحية
المسكيدة ، بمسكون سره إليه ، فأدرك أن
الخليفة مشله ضحية بريئة ، وعند ذاك بلغه
مقتل محمد بن أبى بكر ، وعلى نفسها جنت
براقش ، ونفذ سهم الله .

ذلك أنه بعد قدومه بشهر من ولايته التى
لم تزد على خمسة شهور . أرسل إلى المعتزتين
بمصر وخيبر بين الطاعة له أو الخروج من
البلاد ؛ فاستمهلوه حتى يتشاورا ، فأبى عليهم
ذلك ، وأعدوا له ، وانطوت أيام (صفين)
مع الأيام ، وهم منه على حذر ، وتربصوا له
فأرسل إلى (خربتا) جمعا كبيرا على رأسهم
الحارث بن جهمان الجعفى ، فقتلوه ، واتبعه
بابن مضاهم السكبي ، فلم يكن أسعد حظا من
سابقه ، وجاء الخبر إلى على بأن ابن أبى بكر
قد انكسر أمام معتزلة خربتا ، فعقد فى نفسه
مقارنة بين حكمة قيس وطيش من خلفه ،
والتفت على إلى من حوله وقال (ما لمصر
إلا أحد رجلين : صاحبنا الذى عزلنا (قيس)
أو الاشتري) . وكان الاشتري قد هاد إلى
عمله بعد (صفين) ، أما قيس فقد أبقاه
الخليفة على شرطته حتى تنقضى الحكومة .
وقد زاد مكانه عند على علوا ولم كبارا .

جاء أمر الخليفة بعزل قيس عن مصر
فى ٥ رجب عام ٣٧ ، وقد لبث فى ولايتها
أربعة أشهر وخمسة أيام ، طانى خلالها الأحوال
من مسكيدات معادية ، ولما خرج معزولا
لقيه حسان بن ثابت - وكان عثمانيا - فقال له
شامتا : (نزعك على ، وقد قتلت عثمان ،
فبقي عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر)
فأخذه قيس بقوله : (يا أحمى القلب والبحر

أكره الناس للفتنة (١) ، ويرأسه معاوية ويصالحه ويعاهده ، فيرضى بقضاء الله خيريه وشره ، حلوه ومره ، ويدعن قيس ويقف خطيباً ويقول :

« أيها الناس ، اختاروا أحد أمرين : القتال بلا إمام ، أو الدخول في طاعة معاوية » (٢) ، فاختاروا أهــون الشرين ، وبايعوا معاوية على كره منهم ، والحصرة تأكل قلوبهم ، وانصرف قيس إلى (المدائن) والحسن إلى (الكوفة) ثم إلى (المدينة) ، ويسعى معاوية سعياً إلى الحسن ثم قيس ، في الصلح والرضية ، ويقول لقيس :

« كنت أود أن تنكشف الحروب التي كانت بيني وبين علي ، وأنت حي ، فيرد قيس بأنفة وكبرياء .

« والله إنني كفت أكره أن تنكشف تلك الحروب ، وأنت أمهر المؤمنين » ، وكتبها معاوية ولم ينس ببنت شفة ، ولقد كان أحب شيء إلى معاوية أن يخاطبوه بيا أمير المؤمنين (٣) . وقد نما إليه أن قيساً كان يقول عنه بعد تنازل الحسن له بالخلافة : « مثل المؤمنين » (٤) .

ولما تأهب على لوقعة (صفين) اختار قيساً للقيادة العليا ، فوقع ذلك على معاوية وقع الصاعقة ، فقد احتشد أربعون ألفاً بايعوا علياً على الموت وقال معاوية للأحود ومروان معاتبا : « أمددتما علياً بقيس ، والله لو أمددتما بمائة ألف مقاتل ، لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه » (١) وتلك شهادة من معاوية يعرب فيها عن تقديره الكامل لرأى قيس ومكانته ، من حيث لا يدور .

وتتلاحق الأيام ، ويموت على مقتولا شهيدا كعمرو عثمان من قبله ويخلفه ابنه الحسن ويحانة رسول الله ، ويأبى قيس إلا أن يكون أول من يبايعه على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل المحلين لحرمة الله ، ويخرج قيس إلى (المدائن) في اثني عشر ألفاً ، ويبعث معاوية من يندس في الصفوف ، وينادي بأن قيساً قد قتل ، - وهو حي يرزق - فيتفرق الغممل ويصير الهب والسلب في العسكر ، ويقف قيس في الناس ، ليجمع ما تفرق ، ولكن هيهات ، ويحقق الحسن دماء المسلمين ويأمر الناس أن يدخلوا في طاعة معاوية ، الذي مهد لذلك من بعيد ، وهو لم أن الحسن

(١) الإصابة : ابن حجر .

(٢) الأخبار الطوال : الدينوري .

(٣) الفخرى : ابن طباطبا .

(٤) المغرب في حلى المغرب : ابن سعيد .

(١) سير أعلام النبلاء : الذهبي الكامل : ابن الأثير .

ويؤمن معاوية في نسكايه قيس كأنما يريد أن تمتد به المسكايه إلى آخر المدي : فسأله بعد الحرب : (على طاعة من تقاتل ؟ وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك)^(١) ويأبى قيس أن يجيب ، ولم ينس معاوية ما كان يهجو به ابن قيس ، وما كان بينهما من ملاحاة لم يغفلها التاريخ^(٢) وكان معاوية يلعبه ويلعن العباس والحسن والحسين وأباهما في قنوته ، ولما بعث معاوية بعض الأنصار إلى قيس ليكشف عن شتمه قال لهم : (إن مثلي لا يشتم) ولكني لا أكف عن حربه حتى ألقى الله .

وكظم معاوية غيظه ، وقال يموه : (سواء أرفعوا حوائجكم)^(١) وانتهى هذا الصرح الشاخ إلى عزلة العابد الزاهد بمدينة رسول الله فينقطع فيها للعبادة نحو عشرين سنة أخرى ، بعيدا عن الفتنة ومن اتهم فيها وأنجد ، وخب فيها ووضع ، لقد جاهد نفسه أياما مجاهدة فانتصر على نزواتها ، واعتلى بها إلى ما يليق بكل ذي عمل مجيد ، وهكذا يولد العظماء ويموتون ، ولا تقاس أعمارهم إلا بما خلفوه بعدهم من المحامد والمناقب ، يذكرها لهم دعاة الحق وحماة المبادئ ، بالإجلال والإكبار ، وتمضى الحياة بالعاملين ، وقد عمروها بحصاد أسنتهم وحقولهم ووجداناتهم أما الخيرات فتبقى لهم وللناس والتاريخ ، أما الشرور فلا يحق مكرها السوء إلا بأهلها ، ومكروا ومكرا الله ، والله خير الماكرين .

(تمت)

محمد محمود زيتون

ويؤمن معاوية في نسكايه قيس كأنما يريد أن تمتد به المسكايه إلى آخر المدي : فسأله بعد الحرب : (على طاعة من تقاتل ؟ وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك)^(١) ويأبى قيس أن يجيب ، ولم ينس معاوية ما كان يهجو به ابن قيس ، وما كان بينهما من ملاحاة لم يغفلها التاريخ^(٢) وكان معاوية يلعبه ويلعن العباس والحسن والحسين وأباهما في قنوته ، ولما بعث معاوية بعض الأنصار إلى قيس ليكشف عن شتمه قال لهم : (إن مثلي لا يشتم) ولكني لا أكف عن حربه حتى ألقى الله .

ويأتى رهط الأنصار إلى معاوية فيقول لهم : (يا معشر الأنصار ، هم يطلبون ما قبلي ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي ، كثيرا على ، ولفلتم حدى يوم صفين ، حين رأيت المنايا تلظى في أسنتكم ، وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الأسفة ، حتى إذا أقام الله ما حاولتم مثله ، قاتم : ارح فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيات بأبى الحقين العذرة) . ويتسكلم قيس باسم الأنصار فيقول :

(نطلب ما قبلك بالإسلام السكاني به الله ما سواء ، لا ما تمت به إيليك الأحزاب ، وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كنفقتها عنك ، وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطله ،

(١) تاريخ الامم والملوك : الطبري .

(٢) الكامل : المبرد + التاج : الجاحظ

(١) مروج الذهب : المسعودي .

حامل لواء محاربة الخمر

الدكتور أحمد غلوش

لنؤنساز احمسين

أن تكون هذه إحدى الودعات التي أملت به في عمره الطويل ، والتي اجتازها بنجاح ، والحق أن الانسان عندما يعيش طويلا كما عاش الدكتور أحمد غلوش ، تصبح الحياة بالنسبة له ، وبالنسبة لمن حوله عادة ، ولا يعود الموت يمر له أو لهم على بال .

تسعون سنة :

ولن يكون من المستطاع تحديد سنة ميلاد الدكتور أحمد غلوش بالضبط ، حتى ولو أبرزت لنا شهادة ميلاد ، ففي هذا الوقت البعيد لم تكن شهادات الميلاد قد نظمت ، وقد عرفت الدكتور أحمد غلوش منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وقد ترك خدمة الحكومة إلى المعاش ، ولم أسمع منه شيئا عن عمره أو تاريخ ميلاده ، ولكنه قدم لي في مناسبتين مختلفتين ما يمكن أن يكون مرشداً لتحديد هذا العمر بالتقريب .

أما المرشد الأول فهو ختم جمعية منع المسكرات وقد نص فيه على أنها تأسست عام ١٩٠٥ أي منذ ثلاثة وستين عاما ، فكم كان عمره يوم أسس هذه الجمعية .

قال لي الدكتور أحمد غلوش بعد أن لم يستطع أن ينهض من الفراش وقد أقر ثغره بابتسامة ترحيب :

— د إني مقبل على الآخرة ، مقبل على ربى ومولاي . .
فقلت له :

— كل حى إلى ممات ، إنك ميت ولأنهم ميتون ، ذلك فاموس الحياة ، ومع ذلك فلا يزال أمامك العمر الطويل .

فرد على في لهفة وقد مضت هيئته :

— يارب ... يارب ، إن شاء الله .

وعده مرة ثانية ، وكان لا يزال مسجى في فراشه ، ولكنه ظل على توقده ذهنه ، وقوة إدراكه ، يحدثني عن الطبعة السادسة من كتابه الإنجليزى الخالد دين الاسلام ، والتي صدرت أثناء مرضه ، وقد وهبني أحد هذه الكتب ، ولم يقو على كتابة الإهداء . وشكت إلى ابنته الفاضلة التي كان يقيم في بيتها ، أنه لا يأكل شيئا ويرفض الطعام ، ولما حدثته في ذلك اعتذر بفقده الشهية ، وجعلنى ذلك أتوجس ، أن تكون هذه هى النهاية ، ومع ذلك فقد ظل الأمل يراودنا ،

يترجم شكسبير :

كما قدم لي في مناسبة أخرى إحدى روايات شكسبير وهي سيدان من فيرونا، وقد طبع هذه الرواية ونشرها عام ١٩٠٥ كما هو مسجل على غلاف الرواية ، فيكم كان عمره عندما استطاع أن يسيطر على اللغة الانجليزية والعربية إلى الحد الذي يجعله يترجم شكسبير إلى العربية ، الحق أنني لا أتصور أن عمره يوم ترجم شكسبير ، أو يوم أسس جمعية منع المسكرات ، يمكن أن يقل عن خمس وعشرين سنة ، وهذا يصل بنا إلى التسعين كحد أدنى .

لماذا الحيرة ؟

أما لماذا هذه الحيرة ، ولماذا هذا الاهتمام لإثبات أن الرجل قد جاوز التسعين فذلك لأن هذه هي أكبر عجزاته التي تجعله فذا بين الأفاذا ، وأعجوبة من أعاجيب الأحياء فقد كان الرجل يذهلني ، بحافظته الدقيقة وذاكرته الواعية ، وبديته الحاضرة ، وبخبريته السلاذعة ، ونشاطه الجسمي ، بحيث ظل يختلف إلى الندوات والاجتماعات ، ويمد المجلات الإسلامية بالمقالات ، ويتفضل على أصحابه بزيارتهم ، ولم يكن يشكو من صعوده إلى الدور الثالث حيث أسكن وأقيم .

وأن يفعل ذلك رجل جاوز التسعين فهذا هو التميز والتفرد .

جمعية منع المسكرات :

وقد اقترن اسم الدكتور أحمد غلوش ، باسم جمعية منع المسكرات ، التي أنشأها منذ ثلاث وستين سنة ، ولم يحاول في أى يوم من الايام أن يدعى أنه أنشأها لتكون أحد أسلحة النضال ضد الاحتلال البريطاني ، وكانت دعواه دائما ، أنه إنما يقوم بواجب يفرضه عليه الدين ، وهو الأمر المعروف والنهي عن المنكر ، وهو من فروض الكفايات التي إن لم يقم بها بعض المسلمين ، أثم الكافة .

وأى شيء أولى بالنهي عنه من الخمر أم الكبائر . ذلك ما كان يقوله أحمد غلوش ، ولكنى وقد بدأت أكتب تاريخ مصر في هذه الحقبة ، رأيت في إنشاء جمعية منع المسكرات في هذه السنة بالذات سنة ١٩٠٥ ، أحد ردود الفعل التي قام بها المجتمع المصري الإسلامي ليقاوم الاحتلال البريطاني بشق الطرق والأشكال في مختلف الميادين ، ولا جدال أنه على رأس هذه الميادين ، ميدان الدين ، ولقد سلط الاحتلال وسلط الأجانب ، الخمر على المصريين المسلمين فأغرقوهم في سيول منها ، فأصبحت الدعوة إلى محاربة الخنور ، والتطهر من هذا المنكر ، إحدى سبل مقاومة خطط

الاستعمار ، وانتشال المجتمع من الهوة التي
تردى فيها عقب الاحتلال .

كرومر وإنشاء الجمعية :

وهنا يسجل التاريخ إحدى تناقضاته ،
أو نكته فقد حدثني المرحوم أحمد غلوش
كيف أن كرومر عميد الاستعمار الإنجليزي ،
كان هو المشجع بطريق غير مباشر على تأسيسه
هذه الجمعية . فقد كان يذاكر وبعض رفقاءه
في المدرسة في بيت واحد منهم ، وكان يجاور
هذا البيت إحدى الخمارات ، فكان ضجيج
الصكاري وصراخهم يزعج هؤلاء الطلاب ،
ويحول بينهم وبين المذاكرة . ففكر غلوش
في أن يشكو للمأمور قسم العطارين وكان
إيطاليا ، فلم يكدهم عرض شكواه ، حتى حذره
المأمور الإيطالي من التعرض لهذه الخمار ،
وأفهمه أن الدنيا أصبحت حرة . وأن لكل
إنسان أن يفعل ما يريد ، وهزأ بقول غلوش
أن الإسلام يحرم الخمر ، وطده من القسم .
وحدث أن راح مدرس اللغة الإنجليزية
وقد كان من الإنجليز ، يحدث الطلاب عن
رسالة الإنجليز الإصلاحية في مصر ، وأن
أهم ما يحرص عليه الإنجليز هو عدم تعرضهم
للديانة الإسلامية ، فهم يحترمون تقاليد
المصريين في ذلك .

وهنا وقف أحمد غلوش ، وقال للرجل

في أدب كما كان شأنه طول حياته ، إنه لا يعرف
إذا كان يصدقه في هذا الذي يقول أم يصدق ،
المأمور الإيطالي ، الذي حذره أن لا يعود
إلى ذكر الإسلام ، وسخر من الإسلام لأنه
يحرم الخمر ، وقصص على المدرس الإنجليزي
قصة ما حدث وأحسن المدرس الإنجليزي
بالخرج أمام طلابه ، فعرض على أحمد غلوش
أن يحمل منه خطابا إلى اللورد كرومر في مصر
يبدس في هذا الذي حدث من المأمور
الإيطالي . وقام أحمد غلوش بالسفارة ، وجاء
إلى القاهرة لأول مرة في حياته ، وقابل
اللورد كرومر ، الذي احتفى به لإجاداته
الإنجليزية ووعده بأنه سيزيل أسباب شكواه .
وكانت دهشة أحمد غلوش عظيمة عندما عاد
إلى الإسكندرية ، فوجد الخمار التي كان
يشكو منها مغلقة ، فذهب إلى مأمور العطارين
الإيطالي لينزهو أمامه بانتصاره ، فكانت
مفاجأته الكبرى تنتظره إذ قيل له إن المأمور
قد نقل .

وكانت هذه هي البذرة ، التي شجعت أحمد
غلوش فيما بعد على إنشاء جمعية منع المسكرات .

ماذا حقق :

ولاشك أن الدعوة اليوم لمنع تعاطي
الخمر تبدو في نظر الكثيرين أنها صرخة
في واد ، وأصبحت في نظر البعض من مظاهر
التحضر والتقدم ، وما من فيلم سينمائي

والمساجد ودور العبادة ، وكان من المناظر المألوفة في الأحياء الوطنية ، رؤية السكارى الذين فقدوا عقولهم وراحوا يتطرحون ويصيحون ، ثم يتساقطون على الطريق والصدية يلاحقونهم بالطوب والاحجار .

وكانت هذه نقطة البداية التي بدأ منها غلوش فقدراح يسعى لدى السلطات لإغلاق الخانات المجاورة للمعاهد ودور العبادة ، والأحياء السكنية الوطنية ، وتحقيق له النصر وأغلقت الخانات من هذه الأماكن التي أصبحت محظورة بالنسبة لها .

كتاب خالد :

وما كان مثل هذا الكفاح العتيق من أجل الخير ، إلا أن يوقى ثمرة تبقى على مر الأيام وقد أثمر كفاح أحمد غلوش ، كتابا إسلاميا خالدا هو « دين الإسلام » باللغة الإنجليزية فـلسنا نعرف في اللغة الإنجليزية التي يتكلم بها أكثر من خمسمائة مليون نسمة في العالم ، كتابا يمكن أن يقارن به هذا الكتاب العتيق من حيث عرضه تعاليم الإسلام في شموخها ، سواء من حيث المبادئ العامة أو من حيث تفاصيل العبادات .

وقد نشرت مجلة الأزهر هذا الكتاب العظيم منجما عام ١٩٥٢ حيث ألحقت قسما بها

يصور حياتنا المصرية ، إلا ويجعل في كل بيت باراً للخمور ، وما من بطل من أبطال أى رواية سينمائية مصرية ، إلا وهو يغرق همومه وأحزانه في تعاطي الخمر باعتبارها الحل لكل مشكلة ، وما من بطلة تعتذر عن شرب الخمر ألا وتنتهى بشرها ، ولا جدال أنهم يفعلون ذلك لإظهار مدينتنا وحضارتنا أمام العالم .

ومع ذلك فالحقيقة المؤكدة أن الأغلبية الساحقة من المصريين أقباطا ومسلمين لا يشربون الخمر ، وأن البيوت المجهزة بيارات الخور لا تزال هي الاستثناء وليست القاعدة .

وأن دين الإسلام الذي يحرم الخمر ، هو السائد وهو المسيطر في هذه البلاد . فلو لم يكن غلوش في حياته إلا أن ظل يذكر بحكم الإسلام في إنكار الخور لكان ذلك حسبه .

ولكن أحد غلوش فعل بمجاده الطويل شيئا فوق مجرد التذكير ، لقد أنقذ وجه مصر الإسلامية من منظر كريبه كان يشوهها .

فقد كانت الخانات تغشى الأحياء السكنية الوطنية ، بل وكانت تقام إلى جوار المدارس

باللغة الانجليزية نشره . فلم يكف الكتاب يظهر حق أحسن الجميع أنه يسد حاجة إنسانية ولذلك فقد طبع في نفس السنة في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث طبع منه عشرة آلاف نسخة .

وسأله أن يدعو الله كما دعاه لي وهو على فراش مرضه ، أن يذهب عني الانفعال والحدة ، وأن يسبغ علي بعض هدوئه وسكينته ، وأن يغفر لي خطيئاتي ، ويعفو عني ذنوبي .

ثم توالى الطباعات ، كلها طبعت طبعة جديدة نفذت على الفور فأعيد طبع الكتاب ، وسيظل الكتاب يطبع ويطبع فليس هناك بديل عنه للتعريف بالإسلام لمن لا يعرفون غير الانجليزية .

وسلام عليك يا غلوش يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً . .

الصحبة الأخيرة :

ذلكم هو المغفور له الدكتور أحمد غلوش الذي وجدته مناسقا لمصاحبته في رحلته

أحمد مدين

يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . .

(المائدة - آية ٩٠ ، ٩١)

مُهَاجَاةُ الْكِتَابِ

لِلْأَسَازِ أَبُو الْوَلَفِ الْمُرَاعِي

ما تنشد العذراء في خدرها فلا يقيح بمثلها
نحو قول أوس :

إذا مافة شدت برحل ونمرق

إلى حيمكم بعدى فضل ضلالها

وقال خلف الأحمر : أشد الهجاء أهفه

وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما هف لفظه

وصدق معناه ، وقال صاحب الوساطة :

فأما القذف والإفشاء فمصاب محض ليس

للشاهر فيه إلا إقامة الوزن ، وقال عمر

ابن الخطاب للحطيئة حين أطلقه من حبسه

إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر : د لياك

والهجاء المقذع ، قال : وما المقذع يا أمير

المؤمنين ؟ قال عمر : المقذع أن تقول :

د هؤلاء أفضل من هؤلاء ، وأشرف ، وتبنى

شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعادىهم ،

فقال : د أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني

بمذاهب الشعر ، ولكن حيانى هؤلاء فدحتهم

وحرمتى هؤلاء فذكرت حرمتهم ولم أنل

من أعراضهم شيئاً ، وصرفت مديحي لمن

أراد ، ورغبت به عن كرهه وزهد فيه .

وليس هنا مجال الإفاضة في بيان هذه

الموازين ، وليس هنا أيضاً مجال لإيراد نماذج

من هجاء الشعراء الجاهليين ومن بعدهم ،

مهاجة الشعراء فن شعري قديم أورث

الأدب العرب ثروة فنية رائعة واحتل في

الأدب العربي فصلاً له أهم فصوله ، فلكثير

من الشعراء فنهج الهجائي إلى جانب فنونهم

الشعرية الأخرى ، وقد حفظ تاريخ الأدب

العربي في مختلف عصوره طائفة من الشعراء

غلب عليهم طابع الهجاء ، وشاعت أهاجيمهم

ووقائعهم الهجائية ، ومن هؤلاء : الخطيئة

والبعيث والأخطل وجريير والفرزدق وبشار

وأبو نواس وابن الرومي والمثنبي ، وأشهر

الكتب التي تمثل بعض وقائع الشعراء الهجائية

كتاباً النقائض التي جمعت كثيراً من مهاجة

الأخطل وجريير والفرزدق ، وكانت مهاجة

الشعراء في الجاهلية في الغالب تقسم بالحياة

والعفة ، والقصد والاعتدال ، وتحمي

الخوض في الأعراض والحرمات ، ولما

كانت العصور التالية تطرف الشعراء وغلبتهم

عواطفهم وألسنتهم ، وخرجوا بها عن حد

الاعتدال حتى اضطر الأدباء أن يضعوا

للهجاء موازين وقواعد يقف عندها الهجاء

والهجاءون حتى لا ينزلقوا بالهجاء إلى السب

والقذف والإفذاء والإفشاء ، فقد روى

عن ابن عمر وابن العلاء أنه قال : خير الهجاء

وعقد الموازنة بينهم لنقف على خصائص كل من الفريقين وميزاته .

وكما كان للشعراء مهاجاة على نحو ما ذكرنا فقد كان للكتاب مهاجاة أيضا غير أنها لم تحفظ بالذبوع والانتشار كما حظيت مهاجاة الشعراء ولم تجر على الألسنة كما جرت ، ولم يحتفظ الأدب بكثير منها : ذلك أن الشعر كما يقول القدماء أعلق بالذهن ، وأسرع إلى الحفظ ، وأقرب إلى الإجمال منه إلى التفصيل لمكان الوزن والقافية على حين أن المهاجاة الثرية أوسع مجالا وأفسح ميدانا ، يجري فيها قلم الكاتب كما يشاء ، يوجز إذا أحب ويطنب إذا أراد ، وبهذا كان ما حفظ من المهاجاة الثرية يتقدم غالبا بالإفاضة والإسهاب .

وبالبحث على الهجاء بنوعيه الشعري والغثرى باعث لإنسانى عاطفى هو الغضب ، والغضب من خصائص النفس البشرية لا يسلم منه إنسان لإنسانيته ، ومن الأمثلة الشائعة : من استغضب ولم يغضب فهو حمار ووسائل الغضب والإغضب كثيرة ، أهمها خيبة الراجى فيمن يرجوه ، وفشل الآمل فيما يؤمل ، وحرمان المحتاج من يملك دفع حاجته والحيلولة دون المقاصد والأهداف والوقوف دون الخطوة لدى الملوك والرؤساء والتنافس فى المراتب والمناصب . وجرح الغضب قلبا يندمل ونار الغيظ قلبا تحبى ،

ولا حرج على الشاعر أو الكاتب أن يثور ويثار ويأخذ بمقهه وينتصر لنفسه فلا بد للصدور أن ينفث ، ولكن الحرج فى أن يفرط كل منهما ، ويستسلم لانفعاله ، وغضبه فيرى من قوس الحق والباطل ويقذف الناس بما ليس فيهم ويخوض فى أعراضهم وشخصياتهم شفاء لغيظه وإطفاء لغلته .

وإذا تتبعنا ما هاج الشعراء والكتاب إلى الهجاء وأغرامهم به ألقينا أهمه ، الحرمان من الرجا والتنافس فى الخطوة لدى الرؤساء وكثير منا يعرف كيف حالت حال المتنبى مع كافور حين أخلف كافور وعده إياه ، وكذب ظنه فيه غرمة الولاية التى كان يشدها ويتعرق شوقا إليها كما تحرق ألما لها بعد أن يأس منها ، فقد كان كافور وهو العبد الخصى الأسود حين كان ينظر إليه المتنبى بعين الآمل والطمع والرضا بدرا منيرا وشمس مشرقة فقال فيه :

يفضح الشمس كلما ذرت الشمس

بشمس منيرة سوداء

إن فى ثوبك الذى المجد فيه

لضياء يزرى بكل ضياء

ثم كان بعد أن يئس منه ، وحين كان

ينظر إليه بعين الغضب شائه الخلقة قبيح

الشكل مشفوه فصفه إذ يقول :

وماذا بمصر من المضحكات

ولكنه ضحك كالبكاء

بها نبطى من أهل السواد
يدرس أنساب أهل العلا
كما شغلت كثيرا من صفحات كتابه (الإمتاع
والمؤانسة).

وأسود مشفوه نصفه
يقال له أنت بدر الدجى
وأصبح كافور بجمع الرذائل بعد أن كان
معدن الفضائل فيقول فيه :
أميئا وإخلافا وغدرا وخسة

وجبنا أشخاصا لحت لى أم مخازيا
ولعل أبرز مثل في مهاجاة الكتاب بسبب
الحرمان وخيبة الأمل ما وقع بين الأدبيين
أبى حيان التوحيدي والوزير صاحب بن
عباد ، فقد كان أبو حيان يطمع فى مال ابن
عباد وجاهه واسكن ابن عاد قبض يده عنه ،
وخيب أمله فثارت ثائرتة واحتدم غيظه
واستعرت نار حقدده وكشف له القناع فأخذ
فى مهاجاته واستغل خصوبة ذهنه وقوة خياله
ووفرة محصوله اللغوى والأدبى إلى أقصى

غاية ، ولم يكتف فى مهاجاته وتجرمه بالواقع
من أخلاق ابن هباد وأفعاله - وقد كان فيها
ما يؤاخذ به ، ولكن كان يستنطقه بما لم يقله
فى عبارات مخجلة ينفر منها الطبع والذوق ،
وإن صيغت فى أسلوب شائق خلاب .
وقد شغلت هذه المهاجاة أكثر صفحات
كتابه أخلاق الوزيرين (ابن عباد وابن العميد)

وقد حفظ الأدب العربى طائفة من
الكتاب عرفوا بالهجاء منهم الجاحظ
وأبو حيان وابن زيدون وأبو العيناء والعتبى
وابن هفان وأبو محمد العروضى والشمعى
كما احتفظ لنا بنماذج من أهجيائهم ، وسنعرف
من مجموع ما نوردته شدة إقذاعها وإخاشها
بما جعلها من الأدب المكشوف الذى لا يقره
الذوق ولا يرضى عنه الحياء ولا يميزه
المجتمع ونحن مضطرون مجازاة لروح العصر
ومراعاة للأدب العامة أن نستمر انكشاف
منها فنحذفه اعتمادا على زكاه القارىء .

فن رسالة للجاحظ فى هجاء رجلى كنى عنه
بفلان :

سألتنى أبقاك الله عن فلان ، وأنا أخبرك
بالامر الذى يدل على صحة الخبر فتفهم ذلك ،
رحمك الله ولا قوة إلا بالله .

فن ذلك أنى رأيته ... وله غلام يلبس
الرقيق من الثياب ويثابر على العطر ودخول
الحمام ، ويتزين ويقلم الأظفار ، وكان مع هذه
الصفة المدبر لأميره والمشفع لديه ، والحاكم
على مولاة دون بنيه وأهله وخاصته ، والصارف
له عن رأيه إلى رأيه وعن إرادته إلى هواه ،
وكان أكثر أهله جلوسا معه ... وإذا غضب

تطلب أن تمجى وقد سبق القول في جفسك ،
مع ندالة فعلك ولؤم أصالك .

أما الهجاء فدق عرضك دونه
والمدهح هنك كما علمت جليل

فأذهب فأنت طليق عرضك إنه
عرض عززت به ، وأنت ذليل
فألهجاء بأن يعذب بك في أمان ، وأنت
بعر لؤمك في سلطان ، معرفتك تشين
وقطيعتك تزين ، وذكرك سبة ، وقمك قربة
لا يحصى الخلق عيوبك ، ولا تثبت الحفظة
ذنوبك .

وكتب العتبى إلى صديق له يحذره رجلا
ويصف أخلاقه :

احظر فلانا ، فإن ظاهره بر ، وغيبه عداوة
وإن أفضيت إليه حديثك وضعه عند عدوك
وإن كتبت له إياه شتمك هند صديقه لا يصلح
لك عند نفسه حتى يفسدك هند غيره ، وهو
صديقك بما يلزمك من حقه ، وعدوك بما
يضيع من حقك عليه ، إن دنوت منه آذاك
وإن غبت منه اغتابك ، السلامة منه ألا
تعرفه ، فإن عرفته فهو الداء ، إن تداويت
لم ينفعك وإن تركته قتلك ، أخط الناس
جمده بهزله لينعك ما في يده منع هزل ،
ويغلبك على ما في يدك مسألة جمد ، وبما
قاله الخثعمي في ابن عياد .

أحزنه غضبه ، وطاب رضاه ، إن ركب
فموفى موضع صاحب الحرس من الخليفة ،
وإن تعد ففى موضع الولد البار والزوجة
الأسارة ، إن التوت على أحد حاجة كان له من
ورائها ، وكانت أهون عليه من خلع نعليه .
فحكمتنا عليه بهذا الحكم الظاهر ، ولا حكم
القضاء بالتسجيل ، وتخليدها في الدواوين
ولا كيفزار بالحقوق وشهادات
العدول .

وللجاحظ رسالة خاصة في مهاجمة أحمد
ابن عبد الوهاب ، سماها : الترييع والتدوير ،
لأن ابن عبد الوهاب كان قصيرا ضخم الجثة
ويدهى أنه مفرط الطول وكان مربعا ونحسبه
أسعة جفرتة (جانبه) واستفاضة خاصرته
مدورا ، وله فصول منها في كتبه المختلفة .

ومن رسالة لابن هقان إلى ابن مكرم :
أما بعد : يا ابن مكرم ضد اسمي ، وخطيئة
أبيه ، وأمه ، ياسبة العار على سبته ، ولعنة
لإبليس على لعنته ... فسلكك لعنة في لعنة ،
تقصع القمل بأسنانك ، وتمسح غناطك
بلسانك ... عبدك يصفعك وغادمك يقمعك
وكلبك يلطعك ، وصديقك يقطعك ... أنت
للأدياء جاحد ، وللعلباء شاتم ، وبالجليل
هامز ، تظهر جورك ، وتعدى طورك ،
مهيئ في نفسك ، معرة في جفسك حالف في كل
حق وباطل ، كذوب على الجاد والمهازل ،

وحسبنا هذه النماذج ، وقد أطلنا فيها ،
وعذرنا منها أنا أردنا أن نرسم صورة لمهاجاة
الكتاب تتضح في أذهان القراء اتضح
مهاجاة الشعراء .

ولعل القراء يحسون منها أن الكتاب
في أهيجاتهم كانوا أشد صراحة من الشعراء .
وأنهم أعمق تحليلا ، وأوسع ميدانا وأفصح
بأعما لمسكان الروية والالانة في تدبيح رسائلهم
بما لا يتاح مثله أحيانا للشعراء .

وقد أحس بعض الكتاب بحرج المؤاخذه
على الهجاء ، وتنقصه لدين الهاجى ومروءته
فتصدى للدفاع عن صنيعهم ومن رأى هؤلاء
المدافعين أن المهاجاة عقوبة ومؤاخذه بالذنب
يقرها العرف والمروءة ، والدين ، وهى من
الغيبة المشروعة فلم يجز معي والمسمى حرى
بالشريح والتجريح ، وهو فاسق ، والفاسق
لا غيبة له ، ومن أبرع من تصدى للدفاع
عن هذه القضية أبو حيان التوحيدي
حيث قال .

حمد المحسن وذم المسمى أمران جاريان على
مر الزمان منذ خلق الله الخلق ، وهى ذلك
يجرى إلى أن يأذن الله بفنائه وهو عز وجل
أول من حمد وذم ، وشكر ولام ، ألا تراه
كيف وصف بعض عباده عند رضاه عنه
فقال : « نعم العبد إنه أواب » ، وقال فى آخر :
« إنه كان صادق الوعد » ، ثم انظر إليه كيف

ما رأيت فى طول عمرى ، وكثرة تجاربي
شدة تلغى رجلا أجمع للخازى والمقايح ،
والرقاعات ، والجهالات ، والخساعات
والفواحش والخبائث من ابن عياد ، أقبل
الناس رأيا إذا ارتأى ، وأنكلهم عن الخصم
إذا تراءى ، وأفلهم وفاء لمن جعله الله ولى
نفسه ، وأوقهم وجها مع كل إنسان ،
وأحدهم لسانا لكل خبث وفش وأحدهم
لنظير ، ولمن دون النظير ، وأسعاهم بالفساد
على الصغير والكبير ، وأخطروهم على الدين ،
وأهروهم المسلمين ، وأجروهم بين العالمين .

ومن رسالة لابن زيدون إلى الوزير ابن
طاهر بن عيادوس وقد كتبها إليه على لسان
ولادة بنت المستكفي ، وكان الوزير قد
نافسه فى حبها .

أما بعد : أيها المصائب بعقله ، المورط
بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غاطه ، العاثر
فى ذيل اغتراره الأهمى عن شمس نهاده ،
الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت
تهافت الفراش على الشهاب ، فإن العجب
أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب وإنك
راسلتنى مستهديا من صلتى ما صفرت منه
أيدى أمثالك مقصديا من خلتي لما قرعت
دونه أنوف أشكالك .

ولست بأول ذى همة
دعته لما ليس بالنائل

والهوى كما يقول أبو حيان المدافع عن هذه القضية : « لا بد أن يعمل عمله ويبلغ مبلغه وله قرار لا يطمئن دونه وحده هو أبدا يتعداه ويتجاوزة ، وله غول تفضل وتمساح يبتلع وثعبان إذا نفخ لا يبقى ولا يذر ، والرأى عنده غريب غامل وناصح مجهول .

ومنى يسلم الذام إذا ذم من الإسراف تعنتا لصاحبه وحمل عليه بالإنحاء الشديد والقول الشنيع والنداء الفاضح والحديث المخزى وجريا مع شفاء الغيظ وبرد الغليل لأن جرعة الحرمان أحد من جرعة الشكل وضياح التأميل أمضى من الموت .

وقد تطور الهجاء بنوعيه الشعرى والنثرى فيما تطور من شئون الحياة وفنون الأدب تحت تأثير التقاليد المعاصرة ، ولم يعد الحقوق الأدبي والاجتماعى يستسيغ ذلك الهجاء المكشوف الذى يقال من الأعراض والشخصيات ولم يعد يسمح منه إلا باللمحة الدالة والإشارة الموحية ، فإن تعدى ذلك إلى التصريح والتجريح عد من ساقط الأدب وخرج صاحبه من سلك الأدباء ولذا ندر من عرف به من كتاب العصر وما قيل منه غدا رهين المكاتب .

أبو الوفا مصطفى المرافعى

وصف آخر عند سخطه عليه ، وكراميته لما كان منه .

« هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ، وهذا فوق ما يقول مخلوق ، فى مخلوق .

وقال أبو حيان فى موضع آخر ، ولم صنف الناس المنافب والمثالب ؟ ولم نشروا أحاديث الكرام والثناء ؟ وكثير من الناس لا غيبة لهم ، أو فى غيبتهم أجر وقد وقع فى الحسب عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أذكروا الفاسق بما فيه كى تحذره الناس » ، و ذم بشر الحافى بخيلا ثم قال : إن البخيل لا غيبة له ، قيل : وكيف ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنى سلبية من سيدكم ؟ قال : الجد بن قيس على بخل فيه ، قال : أى داء أدوى من البخل ، فذكره وليس بالحضرة .

ودفاع أبى حيان إنما يستقيم إذا كانت المهاجاة على إساءة واقعة ، وذنب يقتضيها ، ولكن هل كانت مهاجاة الكتاب كلها من هذه البابة .

ثم ما هو مدى الإساءة ، وهل منها أن يحرم الأديب من جائزة أو صلة قد يكون المانع منها ما يبرره فى تقديره ؟ وهل يلتزم الهاجى سبيل المعدلة والإنصاف ، أو يستسلم لغضبه وهواه فيتنكب الجادة ويضل السبيل ،

ما يقال عن الإسلام

الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

عشر سنين هذا الكتاب الذى نعرضه ، وهو الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام (Les Fondements Géographiques de l'Histoire de l'Islam) . نشره عام ١٩٦٨ . والمؤلف أستاذ بجامعة نانسى بفرنسا . وجاء فى المقدمة ما يلى : د هذا كتاب يفبغى أن يكون تاريخا لأرض الإسلام . ولم يحاول أحد من قبل أن يحقق هذا العمل . وإذا كنا نملك كتباً ضخمة عن تاريخ الدين الإسلامى والفكر الإسلامى والجماعات الإسلامية ، فلم ينهض أحد بعد للاضطلاع بطريقة منظمة شاملة لبحث هذا الموضوع . ولقد اجتذب الفلاح والبدوى فى بعض الأحيان اهتمام الباحثين من العلماء . أما الأرض التى يزرعها والبوادر التى يزرعها ، فلم يبحثها أحد لذاتها ومن جهة خصوصيتها أوجد بها وما قدمته للجماعات البشرية ... لقد آن الأوان لتحقيق مثل هذه المحاولة

وهذه محاولة جديدة لبحث تاريخ الإسلام من جهة اعتماده على أسس جغرافية من طبيعة الأرض والسكان الذين يقطنون هذه الأرض .

وسبق لنا أن تكلمنا فى د ما يقال عن الإسلام ، عن الجغرافيا الإسلامية (ديسمبر سنة ١٩٦٧) وعرضنا لرأى كاتب يسمى د جرافيه دى بلابول ، فى كتابه الصغير د الجغرافية الدينية ، . وقد ذكرنا اسم ذلك الكتاب باللغة الفرنسية فالمؤلف فرانسى ، وله طبعة انجليزية وأخرى ألمانية صدرتا فى نفس الوقت . والترجمة الإنجليزية صدرت بعنوان د عالم الإسلام ، The world of Islam . نيويورك سنة ١٩٥٩ . وكانت لنا ملاحظات على ذلك الكتاب عند عرضه وتحليل ما جاء فيه من أفكار أساسية ، نحيل القارئ عليها تجنباً لتكرار القول .

والكتاب كبير يقع فى ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير ، ومزود بالصور ، والفهارس

ويبدو أن المؤلف قد عكف منذ الحين على التوسع فى هذا الموضوع فأخرج بعد

والمراجع . ويشتمل على ثمانية فصول تحت كل منها أبواب عدة .

إن الروح العامة المسيطرة على هذا البحث هو الصراع بين الإنسان والبيئة ، كيف يتفاعل وإياها ، ويتغلب عليها ، ويشكلها ، وكيف تؤثر فيه ، فينطبع الإنسان بطابعها وتتغير عاداته وتقاليده وأفكاره .

ذلك أن مفهوم الجغرافيا ليس بحث الأرض الطبيعية فقط ، بل هي البحث أساساً في الإنسان الذي يعيش على سطحها ، يستثمر نباتاتها وحيواناتها والمعادن الموجودة في باطنها ، ويستفيد من هذه البيئة في تشكيل مصنوعاته .

وكان لا بد لمن يدرس العالم الإسلامي أن يرجع إلى الوراء قليلاً ينظر في الظروف التي أدت إلى نشأته في قلب الجزيرة العربية، وفي عرب الجاهلية الذين كان يسكن بعضهم الحضر من مثل مكة والطائف ويثرب وبعضهم الآخر يضرب في الصحراء يعيش معيشة البدو في خيام ، يسوق الإبل والأغنام ، انتجاها للرعى ويرحل في دروب الصحراء شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ناقلاً المتاجر ، وكانت الحجاز نقطة لقاء للطرق الصحراوية التي التي تجلب التجارة من الشام إلى اليمن ، وهي رحلة الشتاء ورحلة الصيف المذكورتين

في القرآن الكريم ، وبسببهما حدث ألفة بين العرب ، وقد ترتب على اتصال البدو بالحضر آثار سياسية ، هي التي تبحت في الجغرافيا السياسية *geopolitique* وترتب على هذا التحالف بين البدو والحضر تقارب اللهجات والجناس ، والحضارات ، مما كان يعد تمهيداً لظهور الرسالة الحمديدية ، ويرى المؤلف على خلاف السابقين من البحوث والمستشرقين أن انتشار الإسلام يتجاوز ، شخصية محمد ، والمصادفات التاريخية ، وحمية ظروف البيئة وجود أزمة بدوية هي ظهور جفاف في الأرض دفع البدو إلى الغزو الخارجي والتماس الرزق خارج نطاق الجزيرة العربية ويبدو أن المؤلف أكثر إنصافاً من أولئك السابقين ، فهو يرى أن انتشار الإسلام يرجع أساساً إلى صدق التعاليم الإسلامية ، وهظمة الرسالة الربانية المنزلة على النبي الكريم ، والمكلف بإبلاغها للناس كافة ، لذلك كان الإسلام هو الذي يشكل الأرض ، وليس العكس من القول بأن الطبيعة الجغرافية هي التي شكلت الإسلام . .

ثم مبط المؤلف من هذا الجو الرباني إلى العالم الأرضي فتحديث هن الزراعة ، لقد كان ثمرة زراعة في الجزيرة العربية ، ولكن يمكن القول إجمالاً إن الزراعة كانت تحتل منزلة ثانوية . وظل العرب ، وهم أهل القبائل

يلجأ إليها أهل الفرق الخارجة على السلطة الحاكمة في الإسلام ، كالشيعة والعلويين ، يلوذون بها من اضطهاد الخلفاء .

لقد نشأت الإمبراطورية الإسلامية واسعة الأطراف زمان الأمويين وصدراً من الدولة العباسية ، ولكنها لم تلبث أن تفككت ، وانقسمت إلى إمارات ، ودويلات ، وكانت هذه الظاهرة بارزة في إيران بوجه خاص ، ويكفي أن تقرأ سيرة حياة ابن سينا الفيلسوف الذي عاش في القرن الرابع الهجري لتجد أنه تنقل من بخارى إلى جرجان إلى الري ، إلى همدان حيث توفي ودفن . وانظر كذلك إلى حلب كيف وقفت صامدة تحت حكم سيف الدولة الحمداني إزاء هجمات البزنطيين وكيف وثبتت إلى الأناضول وكان الحال شبيهاً بذلك في الأندلس ، فهي إمارات عواصمها مدن مثل إشبيلية وغرناطة وقرطبة وغيرها ، وكذلك في المغرب والجزائر وشمال إفريقية . إن الطبيعة الجبلية تفرض نفسها فرضاً ، وتجعل من الميسور على كل واثب للاستيلاء على السلطة أن يحمي نفسه في الجبل نظراً لمنعته وتحصينه .

وليس المدينة الإسلامية ، مستمدة من المدينة الاغريقية ، واستمرارها ، أو نسجا على منوالها ، وهذا ما يراه المؤلف الذي يذهب إلى أن نظام الدولة في الإسلام ، قائم

التي نزلت البلاد التي فتحها المسلمون ، محفظين بطابعهم البدوية ، يأنفون من الزراعة لأنها تتطلب الاستقرار ويؤثرون عليها التجارة ، وترتب على انتشار الإسلام ، وتحول أهل البلاد المغلوبة إلى الإسلام نتائج كثيرة على رأسها مقاومة الفلاحين للحياة البدوية وانقسام السكان إلى بدو وأهل مدن وإلى فلاحين وأهل مدن استطاعت البيئة الجديدة أن تغير من أخلاق وتقاليد وطبائع بعض البدو ، وأقبلوا على الزراعة ، واستمر بعضهم الآخر وإلى اليوم ، محفظين بهذه الخصائص البدوية يأنفون من الزراعة ولا يزالونها ولكن هذه الفئة شاذة ، قليلة العدد . بالإضافة إلى غالبية السكان ، الذين تأقلموا ، وامتصتهم البيئة ، وأحترفوا الزراعة .

والحديث عن الزراعة يتشعب ويختلف باختلاف الأقاليم ، فالاشتغال بها في الشام ، غير العراق ، وطبيعة الزراعة في مصر تختلف عن فارس ، وهكذا . بل إن الشام نفسه منطقة شاسعة مختلفة في طبيعتها الجغرافية ، لأنها تمتد من سفوح جبال طوروس ، أي من حدود آسيا الصغرى ، وهذه مناطق جبلية ، فتتبط إلى مناطق سهلية يمكن زراعتها ، على حين أن الجبال يصعب تذليل أرضها للزراعة ، فيكتفي فيها بالأشجار التي تنبت على الأمطار . وقد كانت الجبال مواطن

على الروح الإسلامية ذاتها التي أوجبت أن يوجد (المسجد الجامع) ، وهو المسجد الرئيسي الذي تهيئ فيه الجمعة ، ويخطب فيه الحاكم بحضور جميع المسلمين ، يستمعون إليه ، ويشاركونه الرأي في أمور دينهم وبخاصة الأحوال السياسية ، ويتعلون منه أمور دينهم .

على هذا الأساس الجغرافي يمكن تقسيم الدول الإسلامية تبعا لطبيعة الجغرافيا الطبيعية ، أي إخضاع التقسيم السياسي للتقسيم الجغرافي ، إلى سبعة أقسام هي (١) العالم العربي في الشرق الأوسط (٢) العالم العربي في شمال إفريقيا (٣) العالم العربي في الصحراء (٤) العالم التركي الإيراني (٥) العالم الإسلامي في غرب البحر الأبيض والبلقان ثمرة الوقوف في وجه الغزوات الإسلامية (٦) الأطراف الاستوائية في إفريقيا والهند (٧) الدول الإسلامية التي قامت نتيجة الملاحه في البحار الجنوبية ، وعن هذا الطريق انتشر الإسلام في إندونيسيا .

ولا يقسم المؤلف الدول العربية في منطقة الشرق الأوسط على أساس اللغة ، باعتبار أن أهلها يتكلمون اللغة العربية ، ولكن على أساس جغرافي ، فالمملكة العربية السعودية وشرق الأردن ، ومصر

وسوريا والعراق حضر ، ولبنان واليمن جبال . ويلاحظ في هذا التقسيم التعسف والتدخل . فخذ مثالا لذلك سوريا ، فإنها ليست كلها سهولا ، وليكن يوجد فيها مناطق جبلية ، وقد أشار المؤلف نفسه إلى ذلك عند حديثه عن العلويين القاطنين في جبال الشام . والحق أن تجزئة سوريا ولبنان وفلسطين إنما جاء نتيجة الاستعمار الأوربي منذ أواخر القرن التاسع عشر . أما هذه المنطقة فكانت تسمى كلها بلاد الشام . ولعل أقرب الدول الإسلامية إلى الوحدة جغرافيا ، هما الشام ولبنان ، ولا تزال إلى الآن المصالح الاقتصادية مشتركة بينهما ولا يشتغى أحدهما عن الآخر ويجب ألا يغيب عن البال أن المؤلف يكتب من وجهة نظر الغرب ولذلك ليس مبرأ عن الهوى تماما .

مهما يكن من شيء ، فالبحث جديد وطريف ، ومحاولة أولى تحتاج إلى محاولات وجهود طويلة ومباحث كثيرة حتى يستقر هذا الموضوع الهام ، ويشمر النتائج المرجوة منه ، ولعل أجدر الجهات التي ينبغي أن تسهم في هذا الموضوع العالمي ، هي كليات الآداب في الجامعات العربية ، والدول الإسلامية .

محمد فتوح الأهواني

تصحیحات لكتاب لسان العرب في طبقتيه

للمؤلف محمد عبد الوارث عيسى

- ٢ -

- هـ — في النص السابق بياض في اللسان وهو قوله « وذلك إذا كانت العين ألفا مجهولة فحينئذ ما يحتاج إلى ... الأمر »
- و طاطيم من سبأ يبيع خضر يلبسون في مع الصباح القيودا ، والصواب : أن السبأ بفتح ، بياض بعد السين وواحد سبأ يبيح وبيت يزيد : سبأ يبيع .
- بالرجوع إلى الخصائص ج ١ ص ٢٥٣ نهد النص : ما تحتاج إلى تعديل الأمر وانظر اللسان ط بولاق ج ٤ ص ٢١٧ س ٢١ ط بيروت ج ٣ ص ٢٣٢ س ١٢١ .
- انظر كتاب سيديويه ج ٢ ص ٢٠١ والمذكر والمؤنث للبرد (١) . وأما الشجرى ج ٢ ص ٢٩١ والمخصص ج ١٦ ص ١٠٤
- اللسان ط بولاق ج ٣ ص ١١٨ س ٢٤ ، ٢٥ ، ص ١١٩ س ٦ و ط بيروت ج ٢ ص ٢٩٤ س ٢٠٠ ، ٧٠٥ ب
- اللسان (سما) بياض يكمل من المخصص قال :
- « فإن قلبت في مدارى وجب أن تلزم هذا الضرب فيقال : سماء ... الحمزة » .
- وفي المخصص ج ٩ ص ٥٠٤ د فيقال : معطارا وسماء فتع الحمزة ، انظر اللسان ط بولاق ج ١٩ ص ١٢٣ س ٤ ط بيروت ج ١٤ ص ٣٩٨ س ١٧ ب
- ٨ — في اللسان (حنا) د ابن سيده : الحانوت فاعول من حنوت تشبها بالحنية تاقه بدل من واو ؛ حكاه الفارسي في البصريات له . قال : ويحتمل أن يكون (فملوتا) منه . الصواب : (فملوتا) بالقلب المكاني . قدمت اللام على العين ، ثم قلبت ألفا . قال
- ٧ — في اللسان (سبيح) د والسبأ بفتح : قوم ذو بولد من السند ... واحد سبأ يبيح قال يزيد بن مفرغ الحيرى :
- (١) نسخة مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .

- ابن يعيش في شرح المفصل ج ٥ ص ١٥١ : وهو يرفع (كنهور) .
 د حانوت مقلوب ، وأصله حنوت . فقدمت
 اللام إلى موضع العين ، ثم قلبت ألفا ؛
 لتحركها وانفتاح ما قبلها . فهو على وزن
 رحوت ورهيوت ، فوزنه الآن فلعوت
 مقلوب من فعوت من حنا .
- اللسان ط بولاق ج ١٨ ص ٢٢٤ س ٣ ،
 ط بيروت ج ١٤ ص ٢٠٥ س ٢ ب .
- ٩ — في اللسان (كنهر) قال أبو نخيلة :
 كنهور كان من أعقاب السمي ،
- ضبط (كنهور) بالفتح وشددت ياء السمي
 وعلق مصحح طبعه بولاق بقوله د كذا بالأصل
 وحرره ، مصححه ، وعلق مصحح طبعه
 بيروت بقوله د وهذا الشطر لا وزن له .
- والبيت من شواهد سيويه ج ٢ ص ١٩٤
 والمذكر والمؤنث للبرد ص ٣٥ وهو بتخفيف
 ياء (السمي) وينقل همزة أعقاب إلى نون
 (من) .
- وقال ابن سيده في الخصاص ج ٩ ص ٣ :
 د لجمعه على فعول إذ كان مثل هناق في التأنيث
 وقد قالوا في جمعها عنوق إلا أنه خفف للقافية ؛
 كما خفف في قوله :
- إذا ما دعاها أوزغت بكراتها
 كإيزاغ آثار المدى في الترائب
- يوم قد يديمة الجوزاء مسموم
 قد يديمة : مصغر قدام مخرف في اللسان
 وجعل قد يديمة د بالهاء المضمومة البيت
 لعلقة بن عبيدة من قصيدة مفضلية . انظر
 شرح المفضليات ص ٨١٩
- والقنضب ج ٢ ص ٢٧٣ ، ج ٤ ص ٤١ ،
 واللسان ط بولاق ج ١٥ ص ١٩٦ س ١٩
 ط بيروت ج ١٢ ص ٣٠٤ س ١٥ ب
- ١١ — في اللسان (رجع) د وأتان راجع
 وناقرة راجع ، إذا كانت تشول بذنبا وتوزع
 (بالعين المهملة) يبولها فتظن أن بها حملا .
- وقال في (وزغ) د الإيزاغ : لإخراج
 البيول دفعة دفعة ، وأوزغت الناقة يبولها ،
 وأزغلت به : قطعت به دفعا دفعا ، قال
 ذو الرمة :
- حيدة خالي ولقيط وعلى .

جناني ؛ بالنون بعد الالف وهو تحريف
عن جناني .

وفي تعليق تصحيح بولاق وببيروت :
وقوله عطن كذا بالأصل ، ولعله عطل ،
باللام ، والرواية (عطن) كما ذكرنا .

اللسان : ط بولاق ج ٤ ص ١٠٣ س ٢٥
ج ١١ ص ١٥٣ س ٢١ ، ص ١٧٥ س ١٠ ،
ط بيروت ج ٣ ص ١٣٠ س ١٧ ، ج ٩
ص ٢٤٨ س ١٨ ، ص ٢٦٨ س ٢٠ ب .

١٤ — بيت تميم بن أبي مقيل :

من كل أهوج سرياح ومقربة
تقات يوم لسكك الورد في الغمر
هكذا روى في المذكر والمؤنت لابن
الانباري ص ٦٧ وفي ديوانه ص ٨٧ .

الأهوج : الفرس السريع الصرياح : الفرس
الطويل . المقربة : الفرس التي خمرت للركوب
لسكك الورد : ازدحامه . الغمر : القدح
الصغير يروى شارب . معنى تقات بالغمر ،
أي تقات به اللبن لأنها تضر .

البيت صحف في اللسان (مروح) فجعل
تقات ، بالنون مكان تقات بالتاء . ووضع
مكان لسكك لسكال باللام .

ط بولاق ج ٣ ص ٣١١ س ١٥ ، ط بيروت
ج ٢ ص ٤٨٢ س ١٢ .

١٥ — في اللسان (رنا) البيت :

وفي المذكر والمؤنت لابن الانباري ص ٥٥
و توزع ببولها ، أي تقطعه دفعا دفعا .

ومن هذا نقطع أنه توزع بالعين المهمة
تحريف عن توزع ، بالغين المعجمة .

اللسان : ط بولاق ج ٩ ص ٤٧٧ ، و ط
بيروت ج ٨ ص ١١٩ س ١٧ ب ص ٤٥٩
س ١٢٦ .

١٢ — في اللسان (فقد) والفاقد من
النساء : التي يموت زوجها أو ولدها ...
وظيفة فاقد ، وبقرة فاقد : شبع ولدها ،
بالشين المعجمة . والصواب : شبع ولدها ،
بالسين ، أي أكلته السباع ، وانظر الخصاص
ج ١٦ ص ١٢٣ ، والقاموس المحيط .

اللسان : ط بولاق ج ٤ ص ٣٣٤ س ١٦
ط بيروت ج ٣ ص ٣٧٧ س ٢٤ .

١٣ — بيت أحيحة بن الجلاح .
إذا جمادى منعت قطرها .

زان جناني عطن معصف
هو بهذه الرواية في المذكر والمؤنت لابن
الانباري ص ٩٦ ، وفي شرح القصائد السبع
ص ٥٤٤ ثم قال هناك : « أراد كانت له نخل
فصير للنخل عطنا » .

وبهذه الرواية أيضا في شرح المعلمات للتبريزي
ص ١٤٥ ، وروى كذلك في اللسان (عصف)
(غصف) ، ولكنه رواه في (جمح) :

١٨ - بيت أبي خراس الهذلي :

بمورككتين من صلوى مشب
من الثيران عقدهما جميل
هكذا روى في المذكر والمؤنث لابن الأنباري
ص ١٣٨ ، وقال : الجميل : الشراك ،
المورككتان : الشراكان ، الصلوان ، ما فوق
الذهب من الوركين .

حرف (جميل) بالحاء المهملة إلى جميل ،
بالجيم المعجمة في اللسان (حذا ، شب ،
صرف) وكذلك وقع التحريف في ديوان
الهذليين ج ٢ ص ١٤٠ .

ط بولاق ج ١٨ ص ١٨٤ س ٢٣ ، ج ١
ص ٤٦٣ س ١٣ ، ج ١١ ص ٩٤ س ١ ،
ط بيروت ج ١ ص ٤٨١ س ١١٢ ، ج ٩
ص ١٩٢ س ١٩ ، ج ١٤ ص ١٧٠ س ٢١١ .

١٩ - بيت تميم بن مقبل :

وتصبح عن غب العرى وكأنها
فنيق تنهى عن سنان فأرقلا
هكذا في المذكر والمؤنث ص ١٣٧ .
وفي الديوان ص ٢٠٩ .

وحرف في اللسان (سن) بوضع تنهى
بالتاء المثناة مكان تنهى بالتاء وكذلك
حرف في أساس البلاغة (شور) .

ط بولاق ج ١٧ ص ٩٢ س ٢١ ، ط
بيروت ج ١٣ ص ٢٢٨ س ١٥٠ .

يلهو بهند فوق أنماطها

وفرمتنى تعدو عليه وهر
جعل (فرثنى) بالتاء المثناة وهي بالتاء
كما صرح بذلك في (فرت ، فرتن) ط بولاق
ج ١٩ ص ٥٧ س ٢ . ط بيروت ج ١٤ ص
٣٣٩ س ١٤ ب .

١٦ - قال في جمع (قلوص) . د قلأص
وقلأص ، وقلص ، وقلصان ، جمع الجمع .
والصواب : وقلصات بالتاء جمع الجمع وقد
صرح بذلك السجستاني في كتابه التذكير
والتأنيث (١) ص ٦ .

ط بولاق ج ٨ ص ٣٤٩ س ٢٠ ، ط بيروت
ج ٧ ص ٨١ س ١٢٤ .

١٧ - بيت العجاج :

أو تلحج الألسن فينا ملحجا

هكذا روى في المذكر والمؤنث لابن
الأنباري ص ١٤٣ بنصب يلحج عطفًا على ما
قبله . وقال في اللسان (لحج) د قال رؤبة :
أو يلحج الألسن منها ملحجا ، ضبط يلحج
بالرفع ونسبه لرؤبة وهو العجاج كما صرح
بذلك في (لسن) وانظر أواجيز العرب
ص ٧١ ، ٧٩ وديوان العجاج .

ط بولاق ج ٣ ص ١٨٠ س ٢١ ، ط بيروت
ج ٢ ص ٣٥٦ س ٢٢ ب .

(١) مصوورة عن التيمورية :

هكذا ووي في المذكر والمؤنث ص ١١٠ ،
وديان لبید ص ٦٣ ، والأضداد لابن الأنباري
ص ١٢٦ ، واللسان (ثار ، هرا) ، ولكنه
حرف في (رم) إلى :

والبيت ، ورفع (رقة) وهي منصوبة
على الحالية .

ط بولاق ج ١٥ ص ١٤٤ س ١١ ، ط
بيروت ج ١٢ ص ٢٥٢ س ٢٤ ، ج ١٥
ص ٤٨ س ١٤ ، ج ٤ ص ٩٨ س ١٥ ب .
٢٣ - البيت :

وجاءت جبال وبنو أبيها
أحم المساقين به خماع
نسب في اللسان (جبال) إلى مشعث ،
ونسبه في (خمع) إلى مثقب ، وهو تحريف
عن مشعث .

والبيت مع بيتين في معجم الشعراء للربزباني
ص ٤٧٥ من شعر مشعث العامري ، وليس
في ديوان مثقب العبدى شعر على هذا الروي .
ط بولاق ج ٩ ص ٤٣٣ س ٦ ، ط بيروت
ج ١١ ص ٩٦ س ١ ب ، وفيه أجم بالجيم
المعجمة ، ج ٨ ص ٧٩ س ١٦ ب .

٢٤ - بيت أوس بن حجر :

وأملس صوليا كنهى قرارة

أحس بقم نفع ربح فأجفلا

(البقية على ص ٧٦٠)

٢٠ - بيت المزار العدوي :

وحشوت الغميط في أضلاعه

فهو يمشى حظلانا كالنقر

هكذا روايته في المذكر والمؤنث ص ١٣٦
وفي إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢٠٤ ،
وفي اللسان (حظل) ، ولكنه حرف
في اللسان (نقر) إلى (خطلانا) ، بالخاء
والضاد ، كما حرف في تهذيب إصلاح المنطق
ج ٢ ص ٧٣ إلى (خطلانا) ، بالخاء والطاء .
ط بولاق ج ٧ ص ٨٩ س ٢٣ ، ط بيروت
ج ٥ ص ٢٢١ س ١٦ ب .

٢١ - في اللسان د الضلع ، والضلع
لغتان : مخنية الجنب ، مؤنثة ، والجمع أضلع
وأضالع وأضلاع وضلوع ، قال الشاعر :

وأقبل ماء العين من كل زفرة

إذا وردت لم تستطعها الأضالع
وقال ابن الأنباري في المذكر والمؤنث
ص ٣٦ : د وربما جمعوا الأضلع فقالوا
الأضالع ، فالأضالع جمع الجمع وليس جمع
الضلع .

ط بولاق ج ١٠ ص ٩٤ س ١٥ ، ط
بيروت ج ٨ ص ٢٢٥ س ٥ ب .

٢٢ - بيت لبید :

والنيب إن قهرمني رقة خلقتا

بعد المات فإني كخنت أتير

الكتاب

الإسلام والثقافة العربيّة
في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التعريب
عرضه وتعليق . د. ستاذ يوسف عبد الهادي لشار

عرضا سريعا للمراحل المواجهة الساخنة التي كانت الحروب الصليبية نقطة بدايتها حتى أخذت صورتها الكاملة بعد الحرب العالمية الأولى بإجراءات التقسيم عن طريق الاحتلال والانتداب، وأمام هذه المواجهة الساخنة كانت حركة المقاومة في العالم الإسلامي تصر على النضال في عزيمة وثيقة .

وكان التركيز في باقي الكتاب على معركة الفكر في بواعثها ووسائلها وأهدافها .

وترجع البواعث جذريا إلى مناهضة الإسلام وطمس معالمه بدوافع الحق والعدالة والتعصب على الإسلام في امتداده الذاتي وما يتمثل في مبادئه من الحرص على كرامة الإنسان وحرية وامتزاج الروحية بالمادية والعمل لليوم وللغد وتقديم البرهان في كل قضية . وسيادة مبدأ العقل وتجديد الفكر بالغربة والاجتهاد والمواظبة مع الزمن والبيئة والتفتح

يقع هذا الكتاب في أربع مائة صفحة من القطع الكبير . ومؤلفه الأستاذ أنور الجندي وموضوع الكتاب عرض لما وجهه للفكر الإسلامي والعربي من شبهات واتهامات حصرها المؤلف وناقشها مناقشة موضوعية انضمت معها البواعث والوسائل والأهداف التي طيرت الشبهات في مختلف المجالات فشملت الإسلام ورسول الإسلام والقرآن والسنة والتشريع الإسلامي واللغة العربية والأدب العربي والحضارة الإسلامية .

وفي التمهيد لهذا العرض لمس المؤلف جذور عملية الغزو الفكري التي بدأت بالاحتلال وسيطرة النفوذ العربي على العالم الإسلامي كوسيلة من وسائل القضاء على المقومات الأساسية التي كان مصدرها الفكر الإسلامي النابع من لغة القرآن .

وقد تناول القسم الأول من الكتاب

بدأت هذه البعثات والارساليات في عام ١٨٣٠م ولم يغفل المؤلف التفتيه على ما أطلق عليه « حضارة الغرب الحديثة » وإشاعة أنها ذاتية لم يؤثر فيها الإسلام فبين كيف تألق الفكر الإسلامى خلال القرون الخمسة الأولى للدعوة المحمدية واستوعب الثقافات المعاصرة له من فارسية ويونانية ورومانية واستطاع أن يهضمها ويحولها إلى كيان إسلامى محدداً للعالم والملاح وقد أعانه على ذلك منهج الإسلام نفسه وهو منهج متطور متجدد قابل للتفاعل والالتقاء مع كل حضارة وثقافة .

وخلال هذه القرون كانت أوروبا تعاني صراعاً بربرياً وقاسياً ، وآعيش غارقة في تيه الجهالة باعتراف مفكرها ومؤرخها .

وكانت الحضارة الإسلامية قد انحوت من دمشق وبغداد والقاهرة إلى الأندلس وأنشئت ونشطت شاذحة جامعات قرطبة وأشبيلية وغرناطة ولا يستطيع منصف أن يتجاهل الدور الضخم الذى أدته الثقافة الإسلامية ، بحركتها النامية المتطورة في مجالات العلم المقشعة النواحي والتي كانت بحق عامل اليقظة الذى لا عامل سواء في أوروبا كلها ، وبحق تعتبر الحضارة الإسلامية أبا شرعياً للحضارة الأوروبية الحديثة .

وقد فصل المؤلف الوسائل التى اتخذها الغرب للأهداف التى يتوخاها .

فكانت الوسائل ماثلة في الغزو العسكرى

على تقبل الحضارات والتخليق في آفاق التطور وحمل أمانة الحضارات والإضافة إليها وإثرائها وإقامة عملية الصهر والوحدة الإنسانية والدعوة إلى العدل الاجتماعى والمساواة بين الأجناس والألوان .

وقد رد المؤلف الفرية التى راجت حتى في أوساط المثقفين والتي يلقتها المعلنون للناشئة . تلك الفرية هى عزود اليقظة الفكرية والثقافية ، في العالم الإسلامى إلى قدوم حملة « نابليون » ، ثم إلى البعثات والارساليات الفرنسية والإمبريكية .

وكان رد المؤلف مستنداً إلى أحداث الواقع الذى سجله التاريخ لدعوة « محمد بن عبد الوهاب » ، المسؤولود عام ١٧٠٣ م والتي بدأت عام ١٧٣٠ م موفضة العالم الإسلامى وقد كانت هذه الدعوة بمثابة لكل عناصر اليقظة والتجديد والحركة إذ انصبت على العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى في بساطته ويسره ، وكان قيام هذه الدعوة من قلب الجزيرة العربية بالذات عاملاً ضخماً في هذه الفترة الدقيقة ، وكان ما ظهر بعد ذلك من دهوات وحركات إصلاحية امتداداً لهذه الدعوة وبخاصة في مصر على يد جمال الدين الأفغانى ومدرسته وفى ليبيا على يد السنوسية أما الحملة الفرنسية فكانت في غضون عام ١٧٩٨ م أى أن الدعوة والحركة الإصلاحية بدأت قبل الحملة الفرنسية بأكثر من ستمين عاماً وقبل وفود الارساليات بمائة عام إذ

أو الفرعونية أو العامية أو الشيوعية أو البهائية للقضاء على الثقافة الإسلامية .

ومنطق هذه الدعوات كان عن معرفة أكيدة لدى أعداء الإسلام إن (القرآن) والفكر الإسلامى كله ماثلا فى الحديث الشريف والتشريع والأدب والشعر وكلها ذخائر تموج بالحياة والحركة ولها من المقدرة على التجاوب والتأثير ما يحقق لها التفاعل ويضمن لها البقاء .

ومن بين الأدلة على ذلك أن (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا إبان الاحتلال الانجليزى لمصر وقف فى البرلمان البريطانى معلنا أنه طالما ظل (القرآن) باقيا فى الأرض فإنه لن يمكن أن يتحول المسلمون .

ومن هذه النقطة انطلقت الحملة الضخمة على الإسلام واللغة العربية والتاريخ والتراث الإسلامى على نحو بالغ فى التعصب والإثارة . وحمل لواء هذه المعركة الفكرية ثلاثة :

المبشرون . وكتاب الغرب تحت اسم (الاستشراق) . وكتاب (التغريب) من بين المسلمين الذين تعلموا فى أوروبا أو تابعوا كتاب الغرب فى آرائهم دون أن يتنبهوا إلى الأهداف التى ما كانت لتخفى على من أوتى حظا من الفطنة واليقظة وسلامة الحس .

وقد استثنى المؤلف إنصافا للواقع عشرات الأعلام الذين تعلموا فى أوروبا أو فى مدارس

وحركات التبشير والتشكيك فى التاريخ والقيم الإسلامية .

وكان الهدف ماثلا فى القضاء على الثقافة الإسلامية وتغريب الروح والفكر .

وتبدأ مرحلة الغزو العسكرى بحملة نابليون عام ١٧٩٨م وليس أدل على أن هدف الغرب هو القضاء على الإسلام والثقافة الإسلامية إن أول معالم نفوذ الفكر الأجنبى فى العالم الإسلامى أنها كانت البعثات التبشيرية والجمعيات والأرساليات ذات الطابع العلمى لتحويل الفكر وصنع العقل بصيغة معينة .

بدأت هذه البعثات عملها فى عام ١٨٣٠م وهو تاريخ له دلالاته . فى هذا العام احتلت الجزائر وسقطت فى يد فرنسا ، وكان سقوطها يعنى بالنسبة لفرنسا رد اعتبار انتقامى لمقتل القديس « لويس » فى حملته الصليبية التاسعة على الجزائر بعد حملته الثامنة على مصر والتى أسر فيها .

وبذلك حملت المعركة طابع التعصب وامتد هذا الطابع ليصنع كل صور الفكر والثقافة والعلاقات بين الغرب والعالم الإسلامى .

ومن هنا شمرت الأسلحة المختلفة : التبشير . الإلحاد . التشكيك . التغريب للإجهاز على الدين الإسلامى واللغة العربية وكان هدف الأفكار التى تسمى بالإفليمية

من أخطر هؤلاء الدعاة وقدم نماذج من كتابه (مصر الحديثه) الذى يعتبر خطة عمل كاملة أهم نقاطها .

(١) إثارة الشبهات حول الإسلام بالادعاء بأنه دين مناف للمدنية ولم يكن صالحا إلا للبيئة والزمان اللذين وجد فيهما . والطمع فى شريعته وسياسته ومعاملاته ومهاجمته لإباحة الطلاق وتحريم الربا والخمر .

(٢) أن المسلمين لا يمكنهم أن يرقوا فى سلم الحضارة والتقدم إلا بأن ينبذوا قرآنهم وأوامره ظهريا .

(٣) إتهام الإسلام بالتعصب وإطلاق الحرية للبشرى والمرسلين الدينيين وتشجيعهم .

وقد حقق كرومر هدفه فى صنع تيار واضح سعى إلى نشر آرائه وتعميق دعوته واستطاع أن يروج هذه الآراء عن طريق صحيفتين .

صحيفة لها طابعها العلمى فى تأييده وهى « المقطم » ، وأخرى اتخذت أسلوبا ملتويا وغامضا وهى « الجريدة » ، التى كان يصدرها « لطفى السيد » ... !

وعندما صدر كتاب كرومر « مصر الحديثه » ، فى مارس ١٩٠٨م نشرت « اللواء » و « المؤيد » ردودا تفصيلية عليه وألف الكتب فى الرد أيضا . وأبرز ثلاثة تناولوا كتابات كرومر بالتفنيد وكشف القناع عن

الجزويت والبروتستانت والامريكان الذين استطاعوا أن يتجردوا من قيود المدرسة الغربية ونقوذ الفكر الاوروبى وأن تعاوهم الأحداث والظروف فى جو التحرر العقلى الذى كشف لهم بواطن الامور حين تبين لهم أن المنهج الذى ادعاه الغربيون من التجرد عن كل هوى أو غرض لدى البحث أو الدرس لم يلتزمه أولئك فيما يتصل بالإسلام والعربية حين يسكتون عن الإسلام ونبيه وثقافته . فضلا عن أن المنهج الإسلامى خالص التزمه عباقرة الفكر الإسلامى أمثال ابن نيمية والغزالي وابن حزم وغيرهم كثير .

وقدم المؤلف طائفة من تحولوا بعد كشف زيف الغرب فى تفكيره ومنطقه مثل شكيب أرسلان وأحمد زكى باشا ومحمد حسين هيكل وزكى مبارك ومنصور فهمى وساطع الحصرى .

وقال المؤلف : ولم أذكر غيرهم من أمثال مصطفى صادق الرافعى وعبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن إدريس ورشيد رضا وخافة أن يتهم هؤلاء بأنهم متعصبون للفكرة الإسلامية بحكم دراستهم أصلا .

ثم أخذ المؤلف فى تقديم مشاهير دعاة الحركة ضد الإسلام أمثال : فولتير ودنلوب ورينان وهانوتو وزويمر ولورانس ومرجليوت وأضرابهم عن كشفوا عن حقدهم وضميرهم وأوضح أنه كرومر، يعد

ولم يقدموا دليلاً واحداً على صدقه فإن
الفكر الإسلامى فى مجال الدفاع فى هذه
المعركة الملتزمة اتسم بسماة واضحة أبرزها
الإنصاف والتجرد الخاص عن الهوى وفق
الأسلوب الدقيق القائم على المنطق والدليل
البعيد عن العاطفة والافتعال مع عدم
التعرض للعقائد الغربية فى تنقص أو تعصب .

وقد كنت أتطلع بشغف إلى أن أقرأ
فى هذا الكتاب علاقة الثورة التى قام بها
« أتاترك » فى تركيا بحركات المناهضة
والتعريب وتبخير الضباب المصنوع لتحويل
الانظار بحذق وبراعة عن هذه العلاقة . .

كما كنت أود أن ألقى فى نهاية الكتاب
بالتنبية على الأخطاء المطبعية وبخاصة
فى التواريخ التى قد يضطرب معها القارىء
المتعجل أو من ليس لديه رصيد عاصم العادى
من الثقافة .

والكتاب من قبل ذلك ومن بعده يضع
النقط فوق الحروف . وحرى بأن يقرأه
كل مسلم حتى يقف على ما أريد وما يراد
بدينه وعقيدته ولغته بل وكيانه . وحتى
تتضح له الرؤية . رؤية حقيقة الدهوات
المغلقة بما يندفع الابصار والبصائر .

وحسبه منها لمن ألقى السمع وهو شهيد ؟

يوسف عبد الهادى الشال

أهدافها هم : محمد فريد وجدى ومصطفى
الغلايينى وشييد رضا . ثم قدم المؤلف
تقولا وافرة من هذه الردود .

وتحدث المؤلف عن مراكز المقاومة
لهذه الحركة الحاقدة الضارية فى دور الأزهر
الشريف فى المقاومة من ناحيتها الثقافية
والوطنية . وغير الأزهر من مراكز المقاومة
فى العالم الإسلامى . القرويين فى المغرب .
والزيتونة فى تونس . ومعاهد النجف الأشرف
وجامعة أحمد خان فى الهند ، والخلاوى
فى السودان ، والزوايا فى ليبيا .

وكان للمصاحفة الإسلامية دور كبير ترك
تراثاً ضخماً فى هذا المجال يمكن أن يطلق
عليه « أدب الدفاع عن الإسلام » .

ولم يكن هذا الأدب دقيقاً خالصاً وإنما
كان فكراً إسلامياً متكاملًا . فيه مواجهات
للفكر الغربى ولاتهاماته . وفيه بحوث
مستفيضة فى القرآن والسنة والفقه والتشريع
واللغة العربية وآدابها . والتاريخ الإسلامى .

ويبدو ذلك واضحاً فى « المنار » و« الفتاح »
و« كتابات » رشيد رضا ، و« محب الدين
الخطيب » ، و« شكيب أرسلان » .

وعلى الرغم من أن أعداء الإسلام والمسلمين
كانوا جميعاً أوضح نموذج تطبيقي للمثل العربى
« رمتهى بدائها وانسلت » حيث روجوا
أكذوبة اتهام الإسلام والمسلمين بالتعصب

انبثاء وآراء

رسالة المسجون

للأستاذ قاسم غالب
وزير التربية والتعليم السابق
بالجمهورية العربية اليمنية

اليوم يخطب في الجميع المسجد

أصغى التقي وسلم المتردد
يا نقطة التوجيه والعش الذي

منه السباء لمن بغى تنوع
صغت السلوك نماذجا قدمته

فابتاعه القديس والمتعبد
وطبعت وجدان الشباب أمانة

وعزيمة وهروبة تتوقد
تغزو مواظك القلوب كأنها

بالفن يغزو كل قلب « معبد »
كم صودرت فيك الذنوب وأرغم

الشیطان في باب المساجد يسجد
وفعلت فعل الجماعات بأمة

« للات » أو « لمانها » تتعبد
فتح الكتاب عقولهم آياته

وتدبروه أئمة فتجننوا
فترى الصحابي الكبير وهمه

في صممه الباقي : متى يستشهد ؟

أيام السنة المنابر وحدها

ينقاد تحت لوائها المتعبد
يا أمة الإسلام ؛ هل من غيره

فالقدس أضحت مسرحا والمسجد

● أدلى الدكتور محمود حب الله الأمين

العام لمجمع البحوث الإسلامية بحديث
تناول فيه قوة الإسلام الدولية مشيرا فيه

إلى تضارب أقوال المناوئين له ؛ فبينما يدعى
أحدهم أن الإسلام كقوة عالمية تستطيع

أن تؤثر في ميزان القوى وتصدتارا معاديا
لها قد انتهت ؛ إذا بعالم أمريكي يعلن أن

المسيحية كقوة مؤثرة في قارة إفريقيا
في طريقها إلى الزوال وليس أمام الغرب

سوى قبول أحد أمرين : إما أن يعرضه
انتشار الإسلام السريع في إفريقيا ، أو يحاربه

فيسمح بسيطرة شيوعية جارفة في إفريقيا ،
وكان تصریح العالم الأخير قد أدلى به في المركز

الإسلامي بوشنطن .

وقد رد الدكتور محمود حب الله في حديثه
على الفكرة القائلة بانتهاء المسلمين كقوة

فعالة ؛ فبين خطأ هذه الفكرة إذ أبرز
ما تتمتع به حقيقة الوجود الإسلامي على سطح

بقدرتها الذاتية والعلم أقدر حيث تعجز العين فلماذا لا نلجأ إلى العلم القادر حينما تعجز العين؟ والإسلام دعا إلى العلم وقدمه وجعله فريضة على كل مسلم، ولو تركنا الاستعانة بالعلم واعتمدنا على الرؤية بالعين وحدها لجاز أن يولد الهلال ولا تراه العين لضباب أو غيم أو هو اصف أو ما إلى ذلك من ظواهر الطبيعة الحاجبة، فلا يصوم المسلمون أو لا يحتفلون بالعيد فيخالفون حكماً من أحكام الدين والعكس صحيح ... ،

تلك الكلمة من السكاتب وجدت رداً عليها من الأحداث ! وكنا نود للسكاتب أن يلم ببعض البحوث الإسلامية في هذا الشأن، فعلى أى كاتب أن يسعى لتحقيق معلوماته ولا ينتظر أن يسعى العلم إليه وبخاصة حين يكتب عن موضوع يمس قضية هامة إسلامية كهذه ليست من علمه في شيء، فإن الإسلام لا يبطل العلم، وليس من أحد يدعى أن الرؤية البصرية ليست من العلم؛ فإذا خلف « التلسكوب » و « الميكروسكوب » ؟ وليس في الضباب أو الغيم ما يخرج المسلم أمام أحكام دينه : « فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوماً » . ولقد كان « العكس صحيح » لو أن المسلمين اعتمدوا هذا العام الحساب الرياضي ... وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأرض من اتصال وثيق بين الجماعات الإسلامية دون فصل بينها فالمسلمون من أقصى الشرق إلى غرب إفريقيا جسد متلاحم في قوة بشرية هائلة ، فوق ثروات طبيعية لا تزال بكرًا تغنيها وتكفيها . وتجعلها أكثر من قوة ذات كيان تستطيع التوجيه والعمل .

والأزهر الشريف هو المركز الإسلامي الذي يمكنه أن يؤدي تلك الرسالة ، بل هو وحده صاحبها .

● خالفت رؤية الهلال هذا العام كل ما توقعه أصحاب المقاييس الرياضية فانهى شهر رمضان المبارك باليوم التاسع والعشرين منه . وظهر الهلال في المنطقة وبعيدا عنها بين السعودية وباكستان والأردن والسودان وبهذه المناسبة نسوق ما كتبه بعضهم ضد الرؤية المجردة . قال مخالفا الرؤية البصرية :

« وللعلم رأى في هذا فهو يقطع بأن نهاية الشهر الكريم تقع في يوم الجمعة القادم ، وأن السبت هو عيد الفطر المبارك ، ولكن المهتمسين بما جرى عليه العمل أجيالا وأجيالا من ضرورة رؤية الهلال بالعين ، يقولون بأنه نص في الدين لا يمكن العدول عنه ، والرؤية كما تكون بالعين تكون بغيرها ، والعلم يرى بمقاييسه . والعين ترى

الاستحالة أكثر، فإذا خضنا إلى تناول الزمن تفصيلا قطعنا بالاستحالة . وعلى ذلك لن يكون هذا الوضع إلا بتر وتشويه لا ترتيب نزولي .

وترتيب القرآن الكريم في المصحف هو ترتيب عرضي جبريل عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم عام وفاته ، وهو الذي سار عليه السلف الصالح وأقره الصدر الأول والتزم به المسلمون في كل مكان ولم يحدث أن طلبوا سواه ، فلن يا ترى هذا العمل الجديد وما معنى تهريب النسخة من مكان إلى آخر ؟

ولماذا يعمل لهذه القضية في الظلام على جناحي : الإنكار والتهرب ؟

● بعين أكثر من أربع مائة مليون مسلم ينظر الآن إلى قضية فلسطين ؛ وباسم الإسلام ، وباسم المسلمين في كافة أنحاء العالم للإسلامي المنتقد المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ، وباسم فلسطين الإسلامية استغرقت دورته الأولى دراسة مشكلتها ، وتوالت ندوات مؤتمرات المجمع إلى العالم الإسلامي .

ولقد كانت الدولة الإسلامية د ماليزيا ، أسرع استجابة ؛ فقد وجه السيد د تنكو عبد الرحمن ، رئيس وزراء ماليزيا

● أثبت منذ أكثر من خمسة شهور قضية : د إخراج القرآن الكريم مرتبا حسب نزوله ، وتولى الترويج لهذه العملية مواطن لبناني يدعى د محمد الباقر ، ؛ وقد تبين بعد التحقيق مع محمد الباقر هذا أن النسخة التي كان يزعم طبعها موجودة مع أخ له بإيران . وقد كتبت وزارة الأنباء في الجمهورية اللبنانية إلى هذا الشخص نفسه د تطلب إليه استطلاع دائرة الفتوى في بيروت بمضمون الكتاب المذكور وأخذ موافقتها عليه قبل طبعه وتوزيعه ، وقضت دار الإفتاء في لبنان بعدم الموافقة على طبع الكتاب في لبنان .

هذا ونود أن نلفت النظر إلى أن هذا العمل يستحيل من الناحية العلمية البحتة ، فلا يمكن ترتيب آيات القرآن ترتيبا نزوليا - كما يزعم المدعون ؛ فإن حملا كهذا لا بد أن يعتمد على مصدر أولي إسلامي ، وهذا المصدر الإسلامي محصور في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإذا تبين لنا أن القرآن الكريم في عدده السكوفي يحتوي على ٦٢٣٦ آية كريمة ، كان ذلك يعني - من الناحية العلمية البحتة - أن يوجد ٦٢٣٦ حديث شريف متواتر توضح في جلاء هذا الترتيب ، وهذا ما لا وجود له ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن في القرآن الكريم آيات لم تنزل الآية الواحدة منها مرة واحدة تبين وجه

بحث مسائل تتصل بالمعاملات المالية
تخلصا من الوسائل الربوية .

وقد اقترح رئيس وزراء ماليزيا عدة
مبادئ لتنظيم أعمال هذا المؤتمر هي :

ألا يتدخل المؤتمر في الشؤون الداخلية
للدول الإسلامية . وألا يتعرض للمذاهب
الاجتماعية ، أو لنظم الحكم في أى منها . وقد
قام وفد إسلامي ماليزي بالطراف على البلاد
الإسلامية تحضيرا لهذا المؤتمر ٩

على الخطيب

دعوة رسمية إلى الحكومات العربية لحضور
مؤتمر إسلامي اقترح عقده في دكوالا لمبور،
خلال شهر إبريل القادم ، وقد تسلمت
الجامعة العربية الدعوة من سفارة ماليزيا
في القاهرة، وتولت الجامعة - بدورها - إرسالها
إلى الحكومات العربية . وحددت الدعوة
أهداف المؤتمر . وفي مقدمتها :

الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس .
مناقشة أسس قيام تعاون إسلامي مشترك .
معالجة القضايا ذات الطابع الديني .

(بقية المنشور على صفحة ٧٥١)

هكذا روى في المذكر والمؤنث ص ١٧٦ ،
وفي سمط الكلى ص ٥١٠ ، والديوان ص ٨٤
والمخصص ج ١٧ ص ٢٠ . وحرف في اللسان
(أكل) إلى نفخ ، بالخاء والمعجمة .
والمعنى على فتحها ، وضبط بالضم أيضا
في المخصص ج ١٧ ص ٢٠ .

ط بولاق ج ١٣ ص ٢٣ س ٨ ، ط بيروت
ج ١١ ص ٢٣ س ١٢ .

ط بولاق ج ١٢ ص ١٩٦ س ٢٠ . ط
بيروت ج ١٠ ص ٣٢٠ س ٢٨ ب .

محمد عبد الحافظ عيسى

٢٥ - بيت الفرزدق :
ولكن وجدت السهم أهون فوقه
عليك فقد أودى دم أنت طالبه

no sane person in his moments of critical awareness would like to attend to such unfounded slogans. A theory which denies the very criteria that distinguish men from animals, to which all ethics is nonsense and all religious experience delusion, is itself an abnormal phenomenon. In the absence of any substantial argument and contrary to all existing and historical evidence this view can only be sustained by wishful thinking, an 'evaluational wish, whtch qualifies this *scienticism* and not science as a religion-substitute. But it would be a very hazardous venture to choose a religion-substitute without recognizing such a need and without being aware of such a choice. The hurrah'-hurrah tactic makes capital out of the glaring achievements of science. 'Science has done this much, given time it will do the rest.' 'It has weighed earth, it will weigh love; it has discovered electron, it will discover values.' In its simple form it is a mere extrapolation and subject to all criticism on that count. By ignoring the qualitative difference between

the two fields and displaying deliberate forgetfulness to the self-imposed methodological limitations of science, it has further weakened its case. What substance remains behind can be considered under the social and human sciences which are indeed the last refuge of the scientist.

The social and human sciences have their two feet on two separate boats. In so far as they are truly 'scientific' their subject-matter is descriptive and/or they analyse such subject-matter with the help of tools and conceptual schemes devoid of value judgment. As soon as they step into the evaluational field they grow freely speculative, and end - suggesting systems or value-charged concepts are imported surreptitiously. Thus in this part we have capitalist, socialist or facist economy, democratic, communist or Nazi politics, and the flights of Jungians of Freudians etc. Devoid of these 'isms' these sciences are cut to their proper size, i. e. descriptive analytical disciplines.

(To be continued)

We humans deal with means as well as ends and need conceptual schemes for both spheres. which by their very nature cannot long afford to contradict each other. For means science serves well, but the choice of ends demands answers to queries which science shuns. Hence the persistence of claimants for the answers. It is interesting to note the tremendous growth of 'isms' under the shadow of modern science and decaying religion, where previously the combination was strong religion and weak science. At any time however, science does not occupy the entire field alone and has had a complementary set with it. We may therefore lay down that *there is a way of looking and dealing with phenomena complementary to science*, for one such system is always found in every era and with every stage of science.

We now come to the crucial question which arises naturally at this stage. Granting the need of a complementary discipline, how can we assess the claims of various claimants in this field and declare that religion is unique and forms *the counterpart*, not a counterpart, of science. The main discussion of this issue belongs to the next section where it will be maintained that science, together with the

various evaluational disciplines form part of religion; but some remarks are in place here. In the first place one could have done so by an act of definition. By defining religion as 'that which fulfills or attempts to fulfil precisely the above need' the issue apparently gets settled. But we are left with religion as well as pseudo-religions (which I propose to call substitutes) under this definition, and the need to distinguish between them would persist. These form a formidable array and are divisible into three groups. First, the scienticism or pseudoscience whose proponents claim that science itself is its counter-part. Second, the various evaluational disciplines like ethics, aesthetics, poetry, art, etc. Third, the so called normative sciences or social sciences which partake of the characters of both fields and claim to be hybrids.

Our previous discussion disposes of the claim of science, but a brief mention of two tactics of the scientists will not be out of place here—namely the pooh-pooh tactic and hurrah-hurrah tactic. The pooh-pooh tactic makes light of the entire range of evaluational field saying "there is no such thing as conscious human choice", 'we are but physico-chemicals' Religion is the opiate of the people' etc. But

region belonging wholly to religion; and that the findings in this region do not contradict nor are contradicted by the findings in science, but they combine to form a whole. The first part can be accepted if we see clearly that science does not claim the whole of reality as its domain but is emphatic about its limits and also that religion fills a substantial part of the remainder. Now it can be established that 'values' are not reducible to 'facts' and science therefore does not deal with values, purposes and human ends. It limits its search to 'how' and 'why' of a particular kind, namely, explaining one level 'facts' by another level. As to ultimate 'whither and whence and whys' it follows Buddha's precept of strict silence. Its tools are suited to the analysis of efficient causes' only but keep out scrupulously any 'final causes.' It weighs in millimicro-grammes and calculates energies of heat, charges etc., but truth and justice, beauty and altruism etc. remain undetected, and powerful forces of love and hate, aggression and jealousy or envy etc. remain unpredictable and uncontrolled.

Psychic and spiritual entities or moral and aesthetic terms do find mention in science; but either as

extraneous considerations, or after these have been duly stripped off their 'evaluational' meaning and processed to fit in the framework. This question is in fact a prominent bone of contention and I do not wish to enter into details just now. Suffice it to say that claims of art, poetry, ethics and religion etc. remain and dichotomy of 'fact' and 'value' can be maintained. These 'evaluational' insights arose nearly simultaneously with the origin of scientific insight in human evolution and we are justified in accepting a 'survival value' in each, which is complementary to the other. With the sort of physical and psychological equipment he possesses, man cannot survive without using his inner resources to control or modify his surroundings as well as himself. Science is the story of man's control over the universe and evaluational systems including religion, that of his coming to terms with 'himself.' Since the dawn of civilization we have seen these twin forces working together, sometimes as magical formulae, at others as priest-cum-experts, still later as scholastics and so on. Even where the traditional religions are discarded, we find 'complementary systems' e.g., — isms, budding forth as if from nowhere to satisfy this vital need.

SCIENCE AND RELIGION*

BY :

AHMED SURTI

Introduction :

Religion and Science are both classes of classes but all member-classes in each have recognizable feature of belonging to 'science' or 'religion.' I propose to take this fact of distinction for granted and whenever needed, will freely pick out a member-class from either to illustrate my point. As the discussion proceeds, these points will become clearer and the whole topography will emerge in a sharp relief. This discussion is based on three propositions :

1. There is a 'core' of religion which has a distinct domain from that of science and the two are complementary.

2. There is a special sense in which the totality of religion includes the domains of science (and for that matter those of any other discipline or activity etc.)

3. There exists a parallel between the way science works and

the way religion works which supplies a good analogy or model to set our views of the working of religion on an intelligible line. The 'part' reflects the 'whole' very much as a map reflects the country.

In what follows I will try first to establish these basic propositions and then proceed to show how our understanding of the interaction between science and religion becomes clearer by applying these to various concrete situations. It may not be possible to 'prove' these according to all possible meanings of 'prove'; but the least I hope to establish is that, among themselves, these supply the criteria and provide a method for analysing and evaluating the claims of religion and science. This in itself is not unimportant. We do need working hypotheses to make some sense of the maze of events happening in a world where 'science' and 'religion' are facts very much to be felt around us.

SECTION 1

The first statement says two things : that there is a distinct

* A method to analyse their claims.

from other nations of the world⁽¹⁾

He goes on to say that :

“One of the chief purposes of Islam in America is to bring about unity of our people. There is nothing that my people (the so-called Negroes) need more badly than unity. When this is achieved, we would have a greater weapon in our hands and possession than all the atomic bombs the West can manufacture.

In the attainment of this goal, too, the school plays an important part. Students are taught all black

men are brothers. Special history classes on the black man in Asia, Africa, and the United States are intended to promote an increased awareness of this brotherhood. Approximately fifty percent of the teachers in Muslim schools are non-Muslim Negroes, and the University of Islam in Detroit even accepts non-Muslim students in order to assure unity and strengthen the bonds between all Negroes.

(1) Elijah Muhammad, The Supreme Wisdom, second edition, Muhammad's Temple of Islam No. 2. Chicago, Ill. 1957, p. 82.

(Continued from page 7)

husband accuses his wife, but he has no witnesses, Islam gives him the right to escape the punishment by a procedure explained in the Holy Qur'an. The wife has been given the same right in the same way :

« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدركونها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . »

(٦ - ٩ النور)

It means : “And for those who launch a charge against their spouses, and have (in support) no evidence, but their own, — their solitary evidence (can be received) if one of them bears witness four times (with an oath) by God that he is solemnly telling the truth; “And fifth (oath) should be that he solemnly invokes the wrath of God on himself if he tells a lie.” But it would avert the punishment from the wife, is she bears witness four times (with an oath) by God, that (her husband is telling a lie; and the fifth (oath) should be that she solemnly invokes the wrath of God on herself if (her accuser) is telling the truth.”

(Verse 6 — 9, Ch. 24)

(to be Continued)

We and our fathers have been robbed of all that we originally possessed. And now we are left without anything to use for self like wealth and modern instruments to start a civilization as you have, though we helped you to get what you have. We now must have justice and some of this earth and wealth that we can call our own.(1)

In the case of this objective, also, the school plays a major role. Supplementary texts introduce students to the independent (Muslim) facilities such as grocery stores, bakeries, and factories. Students are taught to use these facilities always in preference to non-Muslim facilities. Pupils are also taught to be thrifty and industrious, and to keep money within the Nation of Islam so that they may aid in helping the movement to become self-sufficient and independent. Elijah Muhammad has given his followers a twelve-point program for economic independence which includes the following :

1 — "Separate yourselves from the "slave master."

2 — Pool your resources, education and qualifications for independence.

(1) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, op. cit., p. 227.

3 — Stop forcing yourselves into places where you are not wanted.

4 — Make your own neighborhood a decent place to live.

5 — Rid yourselves of the lust of wine and drink laern to love self.

6 — Unite to create a future for yourself.

7 — Build your own homes, schools, hospitals, and factories.

8 — Do not seek to mix your blood through racial integration.

9 — Stop buying expensive cars, fine clothes and shoes before being able to live in a fine home.

10 — Spend your money among yourselves.

11 — Build an economic system among yourselves.

12 — Protect your women.(2)

The fourth and final major goal of the Nation of Islam is the development of a unity between all black men. Elijah Muhammad states :

" . . . May people (the so-called Negroes) also lack love, unity, and self-respect among themselves, which makes it even mor difficult for us to gain recognition and respect

(2) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, op. cit., p. 171.

"Although the Muslims held out no hope for a solution in the conventional sense — that is, integration or at least desegregation — they do provide a solution for the individual who can find in this religion and attitude a way of adapting himself to a society that excludes him. The decision to eschew all contact with the white world removes from the Negro the heavy burden of trying to wrest equal rights from people unwilling to grant them".(1)

In the pattern typical cultural renewal, the (Muslims) set themselves apart from the white society, and begin to develop a satisfying culture of their own. The (Muslim) school plays a major role in the attainment of this goal. The school is the main way in which the Nation of Islam can teach its members the new religion, the new names, and the history of their new identity.

The school is the center for programs which teach Arabic, the religion of the (Muslims), and the history of the black men of the world. In this way, the school is the center for the introduction of new cultural elements and the development of a new identity. It is also

(1) Morroe Berger, "The Black Muslims," *Horizon*, Vol. 1, No. 1, 1964, p. 59.

through the schools that members of the Nation of Islam are taught the concepts of complete separation. The school teaches, through religious instruction, total separation of whites and Negroes, and warns against intermarriage and integration. Elijah Muhammad states :

"We believe that intermarriage or race mixing should be prohibited.(2) A third primary objective of the Nation of Islam is the development of selfsufficiency and an independent economy. Elijah Muhammad explains :

"We, the Muslims, will make jobs, for ourselves ! We, the Muslims, will build factories ! We are going to demand a place pretty soon ! We are not afraid to go to the government and tell them that we must have some of this earth ! We are not afraid ! And I don't believe the intelligence of the government will deny us ! (3)

Muhammad goes on to say :

"We must have some of this earth that we can call our own !

(2) Elijah Muhammad, *Muhammad Speaks*, Vol. 5 No. 43, July 15, 1966 (also in all issues).

(3) Elijah Muhammad, *Muhammad Speaks*, Vol. 1, No. 6, April, 1962, p. 5.

and the unity of the black man.

The freedom for which the (Muslims) strive is freedom from lower-class Negro values and attitudes, and rejection of the white man's way of life which tends to emphasize the exclusion of the Negro from full participation in the American society. The Nation of Islam seeks a release from the names and religion of the white man which were imposed on the black man when he was brought to the United States as a slave. The (Muslims) also want freedom from being taught by the white man because their children, if taught by the whites, have great difficulty in identifying with the Negroes. Elijah Muhammad explains :

"If we want freedom, justice, and equality, we must look for it among ourselves and our kind; not among the people who have destroyed and robbed us of even the knowledge of ourselves"⁽¹⁾.

He further states :

"Our first step is to give back to the white man his religion, Christianity, church, and his names.

(1) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, published by Muhammad's Mosque No. 2, Chicago, Illinois, 1965, p. 233.

These three are chains of slavery that hold us in bondage to them. We are free only when we give up the above three"⁽²⁾.

Elijah Muhammad also explains to his followers that :

"We boast that we should be recognized as equals. Let us make ourselves equals. We cannot be equal with the master until we own what the master owns, we cannot be equal with the master until we have the freedom the master enjoys. We cannot be equal with the master until we have the education the master has. Then we can say, "Master, recognize us as your equal".⁽³⁾

In order to achieve the equality of which Muhammad speaks, the (Muslim) school tries to teach its students the value of education, hard work and success. Though the (Muslims) are attempting to become equal to the white man through education, they do not desire to become an integrated part of the white society. Rather, if they wish to achieve equality while maintaining a separate society of their own. They intend to remove from themselves the traditional image of the lower-class Negro.

(2) Ibid., p. 26.

(3) Ibid., p. 62.

The Role of The (Muslim) School In America In The Process of Cultural Renewal

— III —

BY :

DR. IBRAMIH M. SHALABY

In order to determine whether the school of the Nation of Islam has instigated any cultural renewal, it is necessary to study the school itself as a cultural system. Edward Tylor, the English scholar, defined culture as "that complex whole which includes knowledge, belief, art, morals, law, custom, and any other capabilities and habits acquired by man as a member of a society"⁽¹⁾. This definition provides a convenient frame of reference for determining whether or not the school's efforts have resulted in cultural renewal. By studying each part of Tylor's definition to determine what the cultural base has been, it is possible to detect any changes in the culture, and to determine what role the (Muslim) school has played in these processes of cultural renewal and identity development.

(1) Edward B. Tylor, The Origins of Culture, Harper and Brothers Publishers, New York, 1958, p. 1.

OBJECTIVES

The chief objectives of the Nation of Islam as a whole were examined. Although the present study was concerned with the schools of the Nation of Islam, and not with the group per se, the school could not function isolated entirely from the total group. Consequently, it was considered necessary to examine the general objectives of the entire group, and then to observe what part the school plays in the teaching and fulfilling these goals.

In every issue of Muhammad Speaks⁽²⁾ Elijah Muhammad sets forth the goals of the Nation of Islam. The four essential objectives of the (Muslims) are: freedom, justice and equality; separation of blacks from the whites; selfsufficiency and an independent economy;

(2) The Weekly Magazine of The Nation of Islam.

and forbid what is just, and are close with their hands. They have forgotten God; so He hath forgotten them. Verily the Hypocrites are rebellious and perverse”.

(Verse 67, Ch. 9)

7 — Both good men and good women have been privileged with the threat directed from Almighty God to those who annoy or persecute them :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً »
(٥٨ الأحزاب)

It means : “And those who annoy believing men and women undeservedly, bear (on themselves) a calumny and a glaring sin”.

(Verse 58, Ch. 33)

« لرب الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق »
(١٠ البروج)

It means : “Those who persecute (or draw into temptation) the Believers, men and women, and do not turn in repentance, will have the Penalty of Hell ; they will have the Penalty of the Burnining Fire”.

(Verse 10, Ch 85)

8 — The safety of both, believing men and believing women, was the target of Divine Scheme when God made the war avoided between

Muslims and the people of Mecca in the sixth year A. H. :

«...ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ... »
(٢٥ الفتح)

It means : “..Had there not been believing men and believing women whom ye did not know that ye were trampling down and on whose account a crime would have accrued to you without (your) knowledge...”

(Verse 25, Ch. 48)

9 — Believing women had their full share along with their believing brothers when Almighty God instructed His Prophet to ask forgiveness for His followers :

« قاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم »
(١٩ محمد)

It means : “Know, therefore, that there is no god but God, and ask forgiveness for thy fault, and for the men and women who believe ; for God knows how ye move about and how ye dwell in your homes.”

(Verse 19, Ch. 47)

10 — Both man and woman have the right to defend themselves, and their testimony in this regard has the same evaluation ; in the case a

(Continued on page 12)

fathers, their sons, their husband's sons, their brothers or their brother's sons or their sister's sons, or their women, or their slaves whom their right hands possess, or male servants free of physical needs, or small children who have no sense of the shame of sex; and that they should not strike their feet in order to draw attention to their hidden ornaments. And O ye Believers ! Turn ye all together towards God, that ye may attain Bliss."

(Verse 30 & 31, Ch. 24)

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلهزوا أنفسكم ، ولا تقابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . (١١ الحجرات)

It means : "O ye who believe ! Let not some men among you laugh at others; it may be that the (latter) are better than the (former); nor let some women laugh at others; it may be that the latter are better than the (former) nor defame nor be sarcastic to each other, nor call each other by (offensive) nicknames; Ill-seeming is a name connoting wickedness, (to be used of one) after he has believed; and those who do not desist are (indeed) doing wrong".

(Verse 11, Ch. 49)

6 — In social life man and woman have the same responsibilities and may thus have the same effect on their community. So, if they form a good group both will receive the mercy of God, and if the group they form is a bad one, both will be censured :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم . (٧١ التوبة)

It means : "The Believers, men and women, are protectors, one of another; they enjoin what is just, and forbid what is evil; They observe regular prayers, practice regular charity, and obey God and His Apostle. On them will God pour His mercy; for God is Exalted in power, Wise". (Verse 71, Ch. 9)

ويقول : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فأنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون . (٦٧ التوبة)

It means : "The hypocrites, men and women, (have an understanding) with each other; they enjoin evil,

WOMAN'S POSITION IN ISLAM-III

BY :

DR. AHMAD I. MOHANNA

4 — Both man and woman have the right to acquire wealth according to the nature and the capacity given by God to each of them :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله كان بكل شيء عليما . »
(النساء ٣٢)

It means : "And in no wise covet those things in which God hath bestowed His gifts more freely on some of you than on others ; to men is allotted what they earn ; and to women is allotted what they earn but ask God of His bounty. For God hath full knowledge of all things." (Verse 32, Ch. 4)

5 — Both man and woman have been instructed by the Holy Qur'an to keep their morality healthy. The instructions for both are almost the same :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن

من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها ، ولا یضربن بخمرهن علی جیوهن ، ولا یبدین زینتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن ، أو أخوانهن أو بنی أخوانهن أو بنی أخواتهن أو نسائهن أو ما ملکت أیمانهن أو التابعین غیر أولى الأربعة من الرجال أو الطفل الذین لم یظهروا علی عورات الفساء ، ولا یضربن بأرجلهن لیعلم ما یخفین من زینتهن وتوبوا إلى الله جمیعاً أیها المؤمنون اعلمکم تفلحون ، . (النور ٣٠ ، ٣١)

It means : "Say to the believing men that they should lower their gaze and guard their modesty ; that will make for greater purity for them ; and God is well acquainted with all that they do." "And say to the believing women that they should lower their gaze and guard their modesty ; that they should not display their beauty and ornaments except what (must ordinarily) appear thereof ; that they should draw their veils over their bosoms and not display their beauty except to their husbands, their fathers, their husband's

of culture and ethics. How great a force it was in obliterating differences of colour, race and language and even differences of culture and and geographical boundaries. Indeed, it united man with man as such, and the hearts of those in the far east began to beat in unison with the hearts of those in the far west.

Islam proved to be not only the greatest but the only force unifying mankind, because, whereas other religions had succeeded merely in unifying the different elements of a single race, it had actually achieved the unification of many races, and and harmonized the jarring elements of humanity. It was Islam that actually brought about the great miracle of unifying a more disunited people, the ever-bickering tribes, and warring factions of Arabia, within a period of less than 20 years.

Some materialistic and anti-religious elements concoct the following charges against religion : That religion teaches the people to pray for their needs instead of working for them, that it keeps them subject to superstition and that it helps the capitalism which crushing of the advance of the poor. Through these allegations the anti-religious movement aims at concluding that religion makes people indolent, and it hinders the advance of sciences.

So far as the religion of Islam

is concerned the facts are entirely contrary to these misconceptual allegations. Islam lays down, as one of the fundamental principles of religion that 'man shall have nothing but what he strives for' (Holy Quran). It does teach man to pray but prayer instead of making him idle is to fit him for a still hard work. By turning to God, the Source of all strength, man will carry on his work and struggle in the face of failure and disappointment.

AS regards the advance of sciences Islam gives an impetus to learning and Science, and demands vigorously for knowledge and research. The Prophet enjoined the acquisition of knowledge upon all Muslims, both males and females. As for the social and economic system of Islam, it is derived from the doctrine of one God and one humanity. This doctrine gives equal social status and privileges to use the material sources of the earth. A person who owns is only a trustee of God's property which has been awarded to him to satisfy his living necessities in conformity with interests of the society where he lives. So the religion of Islam, through its revolutionary principles, actually made a most neglected nation in the world a nation of supreme conquerors in all phases of life.

affect man's life. It deals not only with the ways of devotion, with the forms of worship of God, with the means which make man attain the grace of the All-mighty, but also with the problems of the world around us, in rich detail. It deals with the questions of relations between man and man, his social and political life, institutions of marriage, divorce and inheritance, the division of wealth and the relations of labour and capital, the administration of justice, military organization, peace and war, national finance debts and contracts, rules of the service of humanity. It lays down laws for the help of the poor, the orphan and the widow, and lays down hundreds of rules not only for individual progress but also for the advancement of society as a whole, of the nation and of humanity.

As a matter of fact, all these rules and laws are made effective by faith in God. The question which perturbs every mind to-day is whether a faith in God, or in a religion is necessary to humanity, and whether it is a force in the development of man? It is through a faith in God that all that is good and noble in man has been inspired. Religion has been the supreme force in the development of mankind to its present condition. The teachings of the great religions changed the

whole history of the human race, and raised it from the depths of degradation to moral heights. Civilization, with any pretence to endurance, can rest only on a moral basis, and that true and lofty morals are inspired only by faith in God. The true basis of a human civilization is unification. Then the religion of Islam is undoubtedly the greatest civilizing force the world has ever known or is likely to know.

As the last of the revealed religions and an all-inclusive religion, what is the impact of Islam on the development of mankind. Islam introduced into the world a new idea of the unity of the human race as a whole, not of the unity of this or that nation. This idea welded together nations which had warred with and hated each other since the world began. Fourteen hundred years ago it was Islam that cemented together the warring tribes of Arabian Peninsula, not only that but it established a brotherhood of all nations of the world, even joining together those which had nothing in common except their common humanity.

Islam, also, saved humanity from crushing into an abyss of savagery, and helped human civilization whose very foundations had collapsed, and set about laying new foundation and rearing an entirely new edifice

all nations we will see that whenever it has begun to totter, a new religious impulse has always been at hand to save it from utter destruction.

It is often said that religion is responsible for much of the hatred and bloodshed in the world, but a cursory glance at the history of religion will show this to be a monstrous misconception. In fact love, sympathy and kindness have been the message of every religion. It is not only that every nation has learnt these essential lessons in their true purity through the spirit of selflessness and service which has been inspired by the faith in God. If there have been selfishness, hatred and bloodshed, they have been there in spite of religion, not as a consequence of the message of love which all religions have brought.

The religion of Islam has two important significations among the religions of the world. Firstly, the root-meaning of the word 'Islam' is to enter into peace, and a 'Muslim' is one who makes his peace with God and man. The name of this religion, as clearly stated in the holy Qu'ra'n, is 'Islam' and the name given to those who follow that religious system is 'Muslim'. Some western writers

call it 'Muhammadanism' after the name of Prophet Muhammad through whom the Holy Qur'an was revealed. It was on the analogy of such names as Christianity, Buddhism, Confucianism and the like, but the name Muhammadism was absolutely unknown to the followers of that religion, and is not to be found either in the Holy Quran or in the Sayings of the prophet. He is himself called a Muslim, as the Quran says : **أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** . It means : "And I am the first of the Muslims".

Secondly, Islam is the last of the great religions which have revolutionized the world and changed the destinies of nations. It is also an all — inclusive religion which contains within itself the essence of all religions which went before it, and it is a fundamental principle of Islam that a Muslim must believe in all the prophets and their messages, who were raised up before Prophet Muhammad. With the advent of Prophet Muhammad religion has received a new significance. The Holy Qur'an brought to mankind a system of life based on the upright nature of man, in which God created him, and on the universal experience of humanity.

The Holy Qur'an deals with a vast variety of subjects which

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Qa'dah 1388	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	January 1969
----------------------	--	-----------------

The Role of Religion in the Development of mankind

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

A superficial glance at the history of human civilization will show that religion has been the supreme force in the moral and intellectual development of mankind. It is through the Divine revelation and the teachings of the prophets that man has been able to conquer his lower nature and to set before himself the noble ideas. There is not a single doctrine of the true religion which is not made the basis of action for the development of man to the highest stage of life. The sphere of the religion is not confined to the spiritual side of man or to the next life; but its primary concern is rather with this life, so that man may attain to the con-

sciousness of a higher existence, through a righteous life here on earth.

As regards the noble sentiments that inspire man to-day, we will find their origin in the teachings and examples of the great prophets and sages. The moral and ethical developments of man, to his present state, are due to religion. Religion has made possible a state of civilization which has again and again saved human society from disruption. It is through the teachings of a prophet of any time or place that man has been able to set before himself the idea of selflessness and the service of humanity. If we trace back the history of civilization in

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٧٢١ انتشار الإسلام في جيلان - ٥ - للدكتور حامد غنيم أبو سعيد		٦٨٥ العلم والعمل في ميزان الإيمان للأستاذ عبد الرحيم فوده	
٧٢٨ قيس بن سعد - ٤ - للأستاذ محمد محمود زينون		٦٨٣ نفحات الله للدكتور عفيفي عبد الفتاح	
٧٣٢ حامل لواء محاربة الخور للأستاذ أحمد حسين		٦٨٥ الدين ... والتدين للدكتور محمد بيسار	
٧٣٧ مهاجاة الكتاب للأستاذ أبو الوفا المراغى		٦٩١ تحقيقات في المعجزة والكرامة والسحر للأستاذ مصطفى الطير	
٧٤٣ ما يقال عن الإسلام : الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني		٦٩٧ نفحات القرآن : حضارة الإسلام تحو شوائب الجاهلية للأستاذ عبد اللطيف السبكي	
٧٤٧ تصحيحات لكتاب لسان العرب في طبعته - ٢ - للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة		٧٠٢ التكافل الاجتماعي في ظل الإسلام للأستاذ جمال الدين الطائي	
٧٥٢ الكتب : الإسلام والثقافة العربية للأستاذ يوسف عبد الهادي الشال		٧٠٥ تربية النفس للأستاذ عبد الحميد المسالوت	
٧٥٧ أبناء وآراء للأستاذ علي الخطيب		٧١٠ سيناء بلاد مقدسة للأستاذ عباس حلمي إسماعيل	
		٧١٥ حاجي خليفة : شذرات مجهولة عن عالم شهير للدكتور محمد رجب البيومي	



English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The Role of Religion in the Development of Mankind	A. M. Mohladdin Always	1
2 — Woman's Position in Islam	Dr. Ahmad I. Mohanna	5
3 — Muslim School in America - III	Dr. Ibrahim M. Shalaby	8
4 — Science and Religion	Ahmad Surti	13

مطبعة الأزهر

التمن أربعون مليا

مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

مجلة شهرية جامعية

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل لا شترأك»
٤٠ في المرسوة العربية المتحدة
٥٠ ضاحج المرسورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بَيِّنَاتُ رُغْنِ شَيْخَانِ الْأَنْهَارِ فِي ذَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ

الجزء العاشر - السنة الأربعون - ذوالحجة سنة ١٣٨٨ هـ - فبراير سنة ١٩٦٩ م

سَمَاءُ الْمَرْءِ إِلَى الْمَرْءِ

أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ١ - على هذه الارض القاحلة الماحلة وقف إبراهيم عليه السلام ، يناجى ربه بعيدا عن عيني زوجه وولده : ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون ، ومضى - عليه السلام - وترك زوجه هاجر وولده إسماعيل بين جبال تطل منها الأهوال ، وفي واد جديد غير ذي زرع ، ولم يعبأ بزوجه وهى تتابعه بالسؤال تسأل السؤال : أين تذهب وتركننا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ ؟ بل مضى صامتا حتى سأله : آله أمرك بهذا ... ؟ فقال : نعم . فقالت : إذن لا يضيعنا . . وعادت إلى ولدها . ومضى لسبيله .
- ٢ - وفي جوار بيت الله أقامت هاجر مع طفلها إسماعيل حتى نفذ ما فى الجراب من زاد . وما فى السقاء من ماء ، واشتد بهما الظمأ حتى كاد يقتلهما ، ورأت الأم ولدها يتلوى ، ويضرب الأرض بيديه ورجليه من شدة الظمأ ، فكرهت أن تنظر إليه وهو على هذه الحال ، وأسرعت تسعى بين الصفا والمروة وتصعدهما ، وتمد بصرها فيما حولها عساها تجد من يغيثها بالماء ، وتكررو السعى

من الصابرين ، ومضى الوالد بولده فوق هذه الأرض إلى دمنى ، ليقدم أعز ما يملك كان قربانا لله ، ولكن رحمة الله في هذه المحنة كانت الفجر الذى ينتظرهما ، فلما أسلما وتله للجبين ونادى به أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ، ولم يكن هذا الفداء هو كل الجزاء ، فقد رزقه الله ولدا آخر ليكون مع إسماعيل نبيا آخر ، ولتسكون منه ومنهما شجرة النجوة التى امتدت ظلها في كل اتجاه .

هـ — ثم عاد إبراهيم مرة أخرى إلى هذه الأرض ، ليرفع مع ولده إسماعيل قواهد البيت العتيق ، فمكانا يقولان وهما بين يدي : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ، واستجاب الله دعاءهما . فجعل منهما أمة مسلمة له ، وبعث في هذه الأمة رسولا منها ، فكان حملها فيها كما يقول الله « هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » . وكان لها وللناس جميعا كما يقول الله فيه :

بينهما والصعود إليهما سبع مرات دون جدوى ، وعادت بمرارة اليأس وحرارة الآسى لتجد رحمة الله في انتظارها بالأمل والجلد والأمن والسلام .

٣ — فقد مست بجناحها مكان الطفل ، فتفجر من ماء غزير عذب هو ماء زمزم ، وعلت هاجر - بما شاء الله - أنه جل شأنه لن يضيعهما ، وأن له بيتا في هذه الأرض يرفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ، ثم حام طائر ظامى فوق هذا الماء ، فنبه إليه أنظارا كانت غافلة عنه وأقبل الناس عليه ، وأقاموا حوله . وأشاعوا في جوه الحركة والحياة والانس .

٤ — وعاد إبراهيم إلى هذه الأرض ليستقبل محنة كبرى يمتحن الله بها إيمانه به وثقته بعدله وفضله ، وأى محنة أكبر من أن يذبح الوالد الشيخ ولده بيديه . وهو فلذة كبده وقرعة عفيفه ، وأمله الموصول . ومستقبله المأمول وحياته المتجددة ، ولكن الإيمان عند إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . كان مثالا لكمال الإيمان ، في نفس المؤمن وكان إسلامهما صورة كبيرة لتنام الإسلام في نفس المسلم فقد كان منهما ما يحكيه الله حيث يقول : « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله

الجنة في شعابك وهضابك وترابك ، وأتصور
الحجيج وهم يطوفون حول البيت ويقفون
في عرفات ، ويرفعون أصواتهم بالذكر
والتلبية والصلاة على النبي في أرجائك الرحبة
وجوك النقي ، فاشعر بالشوق يثب بقلبي إليك
وأذكر قول الله جل شأنه « فليعبدوا رب
هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم
من خوف ، فأدعوا الله أن يبدل خوف
المسلمين أمنا ، وضعفهم قوة ، وفقرهم غنى ،
فإنهم الذين يقول الله فهم » وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم
في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول
شهيذا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ،
فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا
بأمره هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ؟

عبد المريم فوره

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »
وكما يقول جل شأنه : « يا أيها النبي
إننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
إلى الله يباذنه وسراجا منيرا » .

في هذه الأرض ولد محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى هذه الأرض وقف عليه الصلاة والسلام
يودعها . ويلقى في مسمعها هذه الكلمات :
والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب
أرض الله إلى الله . ولولا أن قومك أخرجونني
منك ما خرجت ...

وحول هذه الأرض مسجد النبي في المدينة
والمسجد الأقصى في القدس ، والأزهر
الشريف في القاهرة ، والجامع الأموي
في دمشق ، وكل ما على الأرض من مساجد
ترتفع مآذنها في السماء يربطها بالمسجد الحرام
في هذه الأرض أنه قبلتها وقبلة المسلمين فيها .
يا أحب أرض الله إلى الله وإلى رسول الله
إنني أراك بقلبي في كل صلاة ، وأنتم روائح

يقول الله تعالى :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين
مخلقين رموسكم ومقصرين لا تخافون فويل ما لم تعملوا فعمل من دون ذلك فتجا قريبا ،

(الفتح - : الآية ٢٧)

الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب الأمين العام

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فودة

مدير مجلة الأزهر ، ورئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فلقد سرني ما لمستته في « مجلة الأزهر » ، من تطور ملحوظ في اختيار الموضوعات وغزارة المسادة وحسن الإعداد ، والتبويب ، بحيث أصبح قارئها يحس طابع الأزهر في محتواها ، واختيار العالم لموضوعاتها ، ولمسات الفن الصحفي في إعدادها ، والتعاون الصادق بين العاملين فيها .

ولقد تابعت هذا التطور حتى رأيته بارزاً ، واضحاً في عددي : رمضان ، وشوال ، موضوعاً ، وفكرة وتنسيقاً . وإني إذ أشكر الله أن وفق لك هذا الجهد المبارك المنبعث عن كفاءة واهتمام ، ليطيب لي أن أشكر لك ولزملائك جميعاً ما تبذلونه من جهد في سبيل النهوض بهذه الرسالة الإسلامية الإعلامية الأزهرية .

وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور محمود عبد الله

١٣ من شوال سنة ١٣٨٨ هـ

٢ من يناير سنة ١٩٦٩ م

الِاتِّبَاعُ وَالِابْتِدَاعُ أَوْ الْقَدِيمُ وَالْجَدِيدُ

للدكتور عفيفي عبد الفتاح

أصداء عن شيء كامن في أعماق النفس البشرية
سمه إن شئت شوقاً ونزوعاً للماضي الحى
وتطلعا وحنينا إليه ، حتى كأن لهذا الماضى

قيامة تأنس النفس لنفحها وتطرب لأصواتها .
فمن الذى لا يهتز حين يسمع قصص الاوائل؟
ومن الذى لا تشيره كلمة ، أيام زمان ، ؟
ومن الذى لا ينفعل برموز الحياة التى ورثنا
أدبها ، فى أطلالها وأكواعها وغزلاتها
ووحوشها ونسائها وهوادجها ؟ ومن الذى
لا يهتز بذكر الأبطال السابقين وبلذله التقى
بذكرهم والإشادة بأبجادهم ؟

وتلك ظاهرة نفسية ليست فى طبيعتها
سوى خدعة معسولة ، وعلالة تتوارى بها
النفس من شيخ الحاضر وأعبائه إلى حظيرة
التاريخ تقف عند طلولة ، لتداعب أخيلته
وتغط فى أحلامه . ثم هى فى واقعها مظهر
وركود وجود ، تعقل الحياة والحركة معا ،
ما لم تتخذ النفس منها إثارة لهما وحافزاً
عليهما . فالحياة أصالة وابتداع لاستكانة
واتباع .

إنها حركة دائبة لا توجد فى مسيرتها عدأة
ولا بين أجزائها قطيعة ، وأحداث الوجود

كثيراً ما تلوك الالسنه حديث الاتباع
والابتداع ، وهو حديث القديم والجديد
فى شتى مجالاته ومختلف منازعه .

فى المجال الشعبى : نرى جمهوراً من الناس
يستروح لحياة الآباء والجدود ، ويقرظ أنماط
وجودهم وأساليب معيشتهم .

وفى المجال الاجتماعى : نرى من يسجل
الفضل كل الفضل للقدامى ، ويقف عندهم
بشعور الإعجاب . فترك الاوائل كلمة لقائل
ولا غادر الشعراء من متردم .

وفى المجال الدينى : نسمع أن الخير فى اتباع
من سلف ، وأن كل بدعة ضلالة .

وفى ناحية الأخلاق : يقول الشاعر القديم :
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم

وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وقد كان العصر الذهبى عند شيخ الفلاسفة
أفلاطون ، هو عصر المذاهبين الأولين من
الشعراء والحقائليين ، أمثال هزيرود وهوميروس

وليس من شك فى أن هؤلاء يعبرون
بإخلاص وصدق عن مشاعرهم ، ولكن
لا شك أيضاً فى أن هذه المشاعر والنزعات

فمن الناس من يعتقد بوحى الفطرة ، وهى أثر الشعور المباشر لمظاهر الطبيعة بما تحوى من جمال وجلال ، ولهذا الأثر قوة تستبد بالوجدان الباطنى مع معونة بعض الدوافع الطبيعية فى الإنسان ، كغريزة الخوف ولعل هذا اللون من العقيدة هو الوجود الأول لها ، وقد ينشأ الاعتقاد بتأثير البيئة ، فشيوع التقاليد الدينية مع الميل الفطرى لمتابعة الإلف ومطابقة العرف عامل حاسم فى خلق العقيدة فى نفوس الأفراد ، وقد يكون هذا اللون هو الأغلب والأعم فى المجتمعات ، وقد تكون العقيدة أثراً لنفوذ المؤسسات الدينية ودعاية الشخصيات المحترفة ذات المقدرة على الاستهواء ، وذلك ما تعمله الجمعيات التبشيرية فى الأوساط الدنيا من مجاهل العالم .

ويرى العلماء أن العقيدة لا تستقيم عرجاء ولا تصح عمياء ، فهم ينشدونها بالمنطق ، ويخلقونها بالبرهنة ، وذلك منهج الخاصة والفلاسفة .

هذه ألوان من العقائد تختلف مع الناس فى نشأتهم وأوضاعهم ومداركهم ، حتى ليقول (جان جاك روسو) : « كنت أعتقد فى طفولتى بسلطة الكنيسة : (كأثر للتربية فى عصره) ، وفى مراهقتى بعاطفتى (وهى أثر الشعور الاجتماعى) وفى عهد نضوجى

كقدمات ونتائج ، على أن يفتظم قياسيها المقدمات الخلاقة ، أو كما يقول المناطقة : التأليفية لا التحليلية ، وعلى أن يفرضها فبكر مبدع وحر حتى لا يفهم من المتابعة المطاوعة ولا من الإلزام محض الإلزام .

وكذلك كل شئ يتغير إلا قانون التغيير ، وهو قانون التجديد لا التقليد ، والابتكار لا المحاكاة ولا التكرار ، وقصارى ما تفعل غريزة المحاكاة أن تمثل من أعمال الآخرين ما يمثل الرسام من مشاهد الطبيعة ، إذ يضفى عليها من أحاسيسه وخصائص ذاتيته ما به يكون التمثيل خلقاً والفعل اختراعاً .

ثم هو قانون الحياة الفكرية فى مشاعها ومذاهبها ، فليس هناك ثابت ولا مستقر . لقد كره الفلاسفة الحقائق الجامدة أو الأصنام منذ (فرانسوا بيكون) وكرهوا الكينونات الصماء منذ (ديكارت) وأخضعوا المثل للتغيير طالما كانوا هم الذين يصطنعونها بأفكارهم وفى أفكارهم .

ولست هناك عقائد جامدة نستمد منها بطبعها وطابعها من غيرنا ، إنما نشارك الغير فى مضمونها العام ومفهومها المشترك ، ولن تكون بذلك عقائدنا ولكن بحسبديد من أنفسنا وذاتيتنا ، وتختلف العقائد اختلافاً بعيداً فى هذا بصورها وتصورها ، وتبعا لاختلاف مصادرها ومقوماتها .

واعتبارها أحكاماً جامدة ومسلّمات تتقبلها من أسلافنا اتباعاً وتقليداً ، فإلهة عقيدة عقد قلبي يصطبغ بأمداد الحياة النفسية . من عواطف ورغبات ومن خصائص الشخصية ، وهي بهذا تكون عقيدتي لا عقيدة غيري وتشكل إيماني لا إيمان الغير .

عقائدنا إذن أفعالنا الخاصة وشطر من ذاتيتنا نصطنعها ولا نستعيرها من سلف أو خلف ، وليس في هذا القول عض من شأن الأوائل ، فقد كانوا أئمة وقادة لأنهم كانوا مجددين لا مقلدين ومبدعين لا متبعين ، وكانوا بذلك عهد النهضة .

واقعد قامت النهضة في مجرى التاريخ بالثورة ضد التقليد والدعوة إلى الأصالة والتجديد .

بدأت النهضة الحديثة بثورة أنصار المذهب الإنساني الغاضبين على تقليدية المعارف في العصور الوسطى وعلى الفلسفات الجدلية الفاشلة .

وبشورة التجديد من دعاة البروستانتيسم ضد جمود الأورثوذكسية وبشورة الأحرار المتفائلين ضد المتزمتين المتشائمين من أنصار الكهنيسة .

وفي الإسلام بثورة الفكر الاجتماعي ضد الذين يعزلون الدين عن الدنيا ، ويقومون هوة ساحقة بينهما .

بالبرهان وأعتقد الآن لاني رأيت دائماً أعتقد .

وليس لهذه الطرائق حصر ، فقد تنشأ العقيدة من حدس المبتاين يبق أو إلهام المتروض أو بحرية العالم أو ذوق الفنان ، وليس بينها حدود فواصل .

فكثيراً ما تحدث عن طرائق عدة تتأخذه وتتفاعل في نفس المؤمن وليست كلها سواء في التأثير والفعالية ، فأصلها ما تكون وليدة الفطرة السليمة وأقواها ما تكون نتيجة الفطر والبرهنة الصحيحة ، ولذا كانا معا أصول القرآن ومنهجه في الدعوة إلى الإيمان .

وإذا علمنا أن حكم الفطرة قائم على رعاية السببية في معناها البسيط ، وأن البرهنة قائمة عليها في معناها العلمي نعلم أن الخلاف بينهما خلاف في الدرجة لا في النوع ، وأن العقل وكيفية العقيدة ، فهو سندهما في مظهرها الأقوى ، وله تأثير ما في إثباتها بالطرائق الأخرى ، ونعلم أخيراً أن الحق في أن نعلم لنعتقد كما يقول مفكرو الإسلام ، لأن نعتقد لنعلم كما يقول بعض المتصوفة من المسلمين والمسيحيين .

ونرى من هذا العرض أن ليس من الصواب فهم العقائد ، كما يفهمها الكسالى

والعلوم ولا فنا من الفنون ولا صناعة من الصناعات التي ارتكزت عليها الحضارة ، إلا قد شد إليها الأنظار وجذب حولها الافكار ، فكان العلماء ، وكانوا العظماء . وكانت عظمتهم في العمل الجديد والبناء والتشييد ، لخلق مدنية الإسلام أو مدنية الإنسانية .

وقد حمد الله للعاملين جهدهم وجعل منه وحده ميزان تفاضلهم ودرجاتهم لا فرق بين سابقهم ولا حقهم ، سلفهم وخلفهم ، وجعل آية ذلك في مدى شمول جهادهم لخير البشرية وسعادة بني الإنسان .

وإن من المحدثين والمعاصرين ، علماء وعاملين من يستأثر عند الله بفضل جم ، جزاء وفاقا لما عمل وأحسن ، وما كان الله ليضيع أجر من أحسن عملا .

د . عفيفي عبر الفناح

وبالثورة التشريعية التي استمدت من كتاب الله وهدى الرسول جماع القوانين الإنسانية في التعامل والسلوك والآداب . وكان المسلمون بذلك مثالا في الجسدة والاصالات .

وقد نعى الإسلام من يومه الاول على المشركين اتباعهم الآباء دون ستمد من الفطر وسخر بمذهبهم في أخذهم بعاداتهم ، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يمتدون ، وكان في روجه ومنطقه ثورة على التبعية وانطلاقة إلى الحرية ، حرية الفسك والبناء .

وإن القرآن حين دعا الناس إلى التفكير في الارض وفي السماء والعظة بآيات الليل والنهار واختلاف الالوان والالاسنة ، قد وجه العقل البشري لمناحي البحث والمعرفة التي ينطوى الكون عليها ، حتى لا نجسد علما من

يقول الله تعالى :

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ، (لقمان . الآية : ٢١)

الحج عبادة قديمة

للأستاذ أحمد حنفي نصّار القوي

وقد قال الله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، ولم يسم أشهر الحج ، لأنها كانت معلومة عندهم روى البخارى عن عاصم ، قال : قلت لأنس ابن مالك ، رضى الله عنه : أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة ؟ قال : نعم ، لأنها كانت من شعائر الجاهلية ، حتى أنزل الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر ، فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، وروى : كانت قریش ومن دان دينها يقفون بعرفات^(١) ، فلما جاء الإسلام ، أمر الله نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى : ثم افيضوا من حيث أفاض الناس والإفاضة الرجوع والتفرق .

وكان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله فى الطواف بأن يطوف أحدهم ويده مقرونة بيد آخر بسير أو خيط . فيسيران فى الطواف مقترنين روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ، مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان يربط يده بإنسان آخر ، فقطعه النبي صلى الله عليه وسلم ، بيده وروى البخارى كذلك ، قال : دخل أبو بكر رضى

الحج فى أصل اللغة : القصد ، وقد فرض الله على الناس الحج بمعنى القصد إلى بيت الله الحرام للنسك من عهد إبراهيم ، عليه السلام قال تعالى : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا . وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، « وإذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ومعنى هذا أن الله تعالى قد هيا لها المسكان ، ودلها عليه ، وحدده لها ، قال تعالى : « وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل والمراد برفعهما القواعد بناؤهما جدارنه . لأن كل حجر فى البناء هو قاعدة للحجر الذى فوقه فالقرآن صريح بالدلالة على أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان أقاما بناء هذا البيت الحرام ، ورفعا قواعده ابتداء .

وكان العرب من ذلك الوقت يحجون عملا بدين إبراهيم عليه السلام ، إلا أنهم يمرور الزمن ، وتعاقب الأجيال غيروا وبدلوا ، فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا حتى أسلمهم الخلط إلى الوثنية والشرك ، وشوهوا عمل الخليل بتقاليد باطلة ابتدعوها ، وعادات مقوته ، وأفعال مقوحة توارثوها .

(١) ثبت أن الحس - وهم قریش ومن دان دينها - كانوا يأتون الوقوف بعرفات ويقفون بمزدلفة ، ويقولون : لا تترك الحرم ونقف بالحل . (الخطيب)

أن رجبا عد من الأشهر الحرم ، للراحة من القتال والإغارات ، لطول المسافة بين الحرم وذى القعدة .

ولما جاء الإسلام ، وكان الحج معروفا في الجاهلية ، إذ كان العرب يحجون البيت ويعتمرون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار ، أقر تلك الأفعال بعد التعديل ، وأبطل ما عداها بما كان من الشوائب المحدثه ، والأعمال المنكرة ، التي تتصل بالشرك والوثنية ، وزاد على ما أقر ما زاد من العبادات المسكنة لمناسك الحج في الإسلام .

وقد فرض الإسلام الحج ، وأوجب أدائه في العمر مرة ، على كل فرد ، ذكر وأنثى ، قال تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا . والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين . » والمتأمل في أحكام الحج يرى أن الشارع الحكيم أدارها حول إثارة الوجدان إلى توقير الله ، جل جلاله ، سرا وجهرا ، وأعظم شمائمه ، وجرمات بيمته الحرام ، حتى ينأى المسلم بنفسه عن مجرد الخواطر الرديئة ، ويبعد عما يخدش أدب العبودية ، ويحافى الاحتشام ، ويترك أسباب الزينة والتجمل

الله عنه ، على امرأة من أحس ، يقال لها زينب بنت المهاجر ، فرآها لا تتكلم . فقال : ما لها لا تتكلم ؟ قالوا : حجت مصمتة ، قال لها : تسكمتي ، فإن هذا لا يحل . هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت . وكان العرب في الجاهلية لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، واسكن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أفاض قبل أن تطلع الشمس .

وقد أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه ، في الحجة التي أمره عليها ، قبل حجة الوداع ، أن يؤذن في الناس ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وكان أهل الجاهلية يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا ، عراة بغير الثياب التي أذنوا فيها . وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك : حجة الوداع ، وقد طهر الحج من كل ما يشين .

وكانت العرب في الجاهلية تحرم أربعة أشهر ، لا يحدث فيها قتال ولا إغارة ثلاثة متتابعات وهي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فردا هو رجب ، ولما كان ذو الحجة شهر الحج حرموه ، وحرّموا معه الشهر الذي قبله ، والشهر الذي بعده ، ليتأتى لكل أحد ، أن يقدم إلى مكة ويقفل منها ، وهو آمن . وأما شهر رجب ، فقد سمي رجبا ، لتعظيم العرب له ، وأكبر الظن

وبذبح الهدايا تقرباً إليه ، وشكراً له على نعمه الجوزيلة . ومنها تمسكين جماعة المسلمين كل عام على اختلاف أجناسهم وأقطارهم ، من التشاور فيما يصلح شأنهم ، ويحكم الروابط بينهم ، ويقوى دولتهم ، ويرفع بين أمم العالم منزلتهم .

والحج المبرور يمحو الذنوب ، روى البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » . أى خالياً من الذنوب مغفوراً له وروى ابن جريج عن جابر ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر ، كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة » . ذلك بأن الحج من أفضل الأعمال ، بعد الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد فى سبيله . عن أبى هريرة ، رضى الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الأعمال أفضل ؟ » قال : « الإيمان بالله ورسوله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « ثم جهاد فى سبيل الله » ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : « ثم حج مبرور » . وقال عليه السلام فى حديث متفق عليه : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

أحمد بن حنبل ، نصاب القوصى

وفى أعمال الحج كثير من التذلل للمعبود ، وإبداء مظاهر الشعث والتعشف ، فالحاج يكثر من التلبية والتضرع لربه والاستغفار من زلاته والاستقالة من عثراته ، ويقف موقف الملازم لباب مولاه ، يسأل رحمته وإحسانه ، ويلوذ بحنابه وحماه . كما أن فى الحج إظهار الحق الشكر لله ، على نعمتى الصحة والمال ، وهما الدعامتان اللتان تقوم عليهما عبادة الحج .

وفى مناسك الحج معان روحية رفيعة ، ففصل الإحرام تطهير ، ولباس الإحرام غير الخيط مذكر بالموت ، ورمز لتحرير الإنسان عن الدنيا ومغرياتهما ، ومساواة واضحة بين الناس ، والطواف سبع مرات حول الكعبة المشرفة ، إشعار بالتعلق بالذات العلية ، والسعى بين الصفا والمروة ، تردد فى ساحة الله الكريم أملاً فى القبول والمغفرة ، والوقوف بعرفة حيث تتوحد جميع طبقات المسلمين ويجتمع مئات الألوف للتلبية والضراعة إلى الله خاشعين لله مستحضرين لهظمته وسلطانه وهم على سواء لافوارق بينهم ولا حدود ، ورمى الجمار معاهدة العبيد لخالقه على الطاعة ومخالفة النفس الأمارة بالسوء وبذ الشيطان وطرح مغرياتة ومقاومة وساوسه

وفى الحج منافع كثيرة تعود على المسلمين أفراداً وجماعات ، منها : الحصول على ثواب الله بالطاعة وتحمل المشاق ابتغاء مرضاته ، ويأنفق المال على المقيمين للعبادة حول بيته ،

تحقيقاً في المعجزة والكرامة والسيح د. سنان مصطفى الطير

— ٢ —

المعجزة

المعجزات الكونية :

فاقت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الكونية جميع معجزات المرسلين ، وسأروى بعضها فيما يلي وأقارن بينها وبين غيرها من معجزات الرسل لتعرف علوها عنها وتفوقها عليها .

١ — من معجزاته انشقاق القمر ، قال تعالى : « اقربت الساعة وانشق القمر » وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وروى البخاري عن أنس : (أن أهل مكة سألو رسول الله أن يريهم آية فأراه انشقاق القمر شقين) .

ولما قال قائلهم بعد انشقاقه : هذا سحر مستمر ، قال بعضهم (انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم) قال الراوى (فجاء السفار فأخبرهم بذلك) رواه أبو داود وغيره ، قال ابن عبد البر قد روى حديث انشقاق القمر عن جماعة

كثيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجهم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأييد بالآية الكريمة ، وقال ابن السبكي : الصحيح أن انشقاق القمر متواتر مروي في الصحيحين وغيرهما .

وأقول : إن ذلك أعظم من معجزة العصا وانشقاق البحر وتفجير عيون بها لموسى ، ومن سائر آياته كما هو أعظم من معجزات عيسى ، فإن انشقاق القمر كان من شأنه أن يحدث هلاكاً لمن في الأرض ، وفساداً للكواكب المرتبطة به جاذبياً ، ولكن الله أمسك كل شيء بقدرته حتى تمت المعجزة ، ولم ينشأ عنها أضرار ، وإن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، وكيف يمكن أن يقارن شق بحر أو تفجير عيون أو ابتلاع سحر بعصا موسى ، أو يقارن لإحياء عيسى لميت أو إبراء أكفه أو أبرص بهذا الحدث الكوني العظيم ذي الخطورة البالغة ، ومن معجزاته تسبيح الطعام ، وروى البخاري عن ابن مسعود

يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قال راويه : قلت كم كنتم ؟ قال جابر : « لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » .

قال المزني : نبع الماء من بين أصابعه أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر لموسى ، لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروجه من بين اللحم والدم .

ومن معجزاته تكثير الطعام ، روى مسلم عن أبي هريرة قال : (لما كفنا في غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقال عمر : يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله عليها بالبركة فقال : نعم ، فدعا بنطع فبسط ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يحجيء بكف ذرة ، ويحجيء ، الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله . وأنى رسول الله . لا يلقي الله بهما عبد غير شك فيحجز عن الجنة) وله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة صحيحة في إبراء ذوى العاهات وغير ذلك وحسبنا ما ذكرنا .

قال : (كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسليح الطعام) .

ومنها حنين جذع النخلة إليه ، فقد كان مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا على جذوع نخيل ، وكان إذا خطب يستند إلى جذع منها ، فلما كثر الناس صنع له منبر من ثلاث درجات ليسمعهم خطبته ، فلما قعد غار الجذع حتى تصدع وانشق ، وكان لجواره صوت كهوت الثور حتى ارتج المسجد لجواره ، فنزل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فسكت ، وكان خواره حزنا على فراق الرسول له .

وقد روى حديث جوار الجذع بضعة عشر صحابيا فهو من المتواتر ، والإمام الشافعي يقول في شأن هذه المعجزة : إنها أعظم من إحياء عيسى للموتى .

ومن معجزاته نبع الماء من بين أصابعه ، وهو مروي بصحاح الأحاديث ، وقد تعددت حوادثه وطرقه وسنقتصر على بعض رواياته لضيق المقام .

روى الصحيحان وغيرهما عن جابر قال : « عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها ، وجهش الناس نحوه فقالوا : يا رسول الله ما ههنا ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا ما بين

(الكرامة)

الكرامة أمر غارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح ، ولا يقترن بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها ، كما حدث لمريم إذ كانت تأتيا في مصلاها فأكمة الصيف شتاء وبالعكس ، وكانت تهز النخلة بعد ولادتها لمعيسى فقسقط عليها رطباً جنيا ، ولم يكن عليها تمر قبل ذلك وكما حدث لكثير من صلحاء المسلمين .

أخرج البيهقي والحاكم وصححه عن أنس قال : (كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة . وهي ليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا ويبد كل واحد منهما عصا ، فأضاءت لهما عصا أحدهما فشيئا في ضوئها ، حتى إذا اقتربت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ، ففشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه) وروى البخاري نحوه وأخرج البخاري وغيره عن حمزة الأسلمي قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء ، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهورهم وما هلك منهم ، وإن أصابعي لنتهم) .

وروى الإمام أحمد في مسنده أن الناس قحطوا على عهد معاوية فخرج يستسقي بهم فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية لأبي مسلم

الحولاني : قد ترى ما حل بالناس . فادع الله تعالى . قال : أفعل ، هلي بعضب مشرط ، فقام وعليه برنس فكشف البرنس عن رأسه ، ثم رفع يده ، ثم قال اللهم إنا منك نستعطر ، وقد جئت إليك بذنوبي فلا تخيبني . فها انصرفوا حتى سقوا ، فقال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامني مقام سمعة ، فإن كان عندك لي خير فاقبضني إليك ، وكان ذلك يوم الخميس ، فأت يوم الخميس المقبل وأبو مسلم هذا من كبار التابعين ، وحسبنا في موضوع الكرامات ما ذكرنا . وأعلم أن بعض الخوارق قد تظهر على أيدي بعض العوام ممن لا يعرف لهم صلاح فهذا لا يسمى كرامة بل معونة من الله ، ولا يسمى صاحبها وليا ، لأن الله يتولى الصالحين

(السحر)

السحر في اللغة إظهار ما يدق ويخفي ، وإصطلاحاً أمر غريب عن مألوف الناس يشبه خوارق العادات وليس منها ، إذ يحدث وفقا لقواعد وعبارات يمكن تعلمها ، وبهذا فارق المعجزة التي يأتي بها الأنبياء والكرامات التي يأتي بها الأولياء دون معاناة لأسباب تستعجبها ، وإنما يمنحها الله لهم لتأييد الأنبياء وإكرام الأولياء .

والسحرة يزاولون صناعتهم بالتقرب إلى

لأنهم يعلمون الغيب ، وكأوا يقولون هذا علم سليمان ، وما تم له ملكه إلا بهذا العلم الذي سخر به الإنس والجن والطير والريح التي تجري بأمره .

ولقد كذبهم الله تعالى فقال : ما كفر سليمان ، باستعماله للسحر وقيام ملكه عليه فإنه من أنبياء الله ورسله ، وقد آتاه هذه النعم في ضمن ملكه العظيم استجابة لدعوته عليه الصلاة والسلام فقد قال : رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، فاستجاب الله دعاه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : فسنخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فاقم أو أمسك بغير حساب . وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب . .

أيها القارئ الكريم :

هذا مقالنا الأول في الموضوع ، وسنتبعه مقالا آخر نتحدث فيه عن سحر (هاروت وماروت) ومكانها والنبي الموجود في عصرهما وآراء العلماء في أن للسحر حقيقة أو أنه خيال وأنواع السحر ، ورأى الدين في تعلمه وممارسته ، وصوراً عجيبية من السحر قديماً وحديثاً وغير ذلك مما يفتح به الله تعالى ، والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه ؟

مصطفى محمد الحديدي الطبري

الشياطين بأنواع القبائح كالرق التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان ، وعبادة الكواكب وارتكاب الجنايات وألوان الفسوق التي تبعدهم عن الحق تبارك وتعالى .

فلا بد من التناسب بين الساحر وبين الشيطان حتى يتم التعاون بينهما ، فكما أن الملائكة لا تعاون إلا صالحى المؤمنين ، فكذلك الشياطين لا تعاون سوى الأشرار ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الانعام : ويوم يحشرهم يومئذ الجن قد استكثرتم من الإنس ، أى استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ، أى انتفع الإنس بالجن بأن أخذوا عنهم السحر والكهانة والأكاذيب ، واستمتع الجن بالإنس بطاعتهم وسلوك سيئهم .

(اليهود سمرة)

كان بعض اليهود يمارسون السحر ويؤثرونه على التوراة ويجاهرون بذلك ، وفي ذلك يقول الله تعالى : نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، فالمراد من كتاب الله التوراة على الأرجح ، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، أى اتبع اليهود السحر الذى تتلوه الشياطين على عهد ملك سليمان أو في شأن ملكه ، فقد كان الشياطين يلقون السحر إلى كهنتهم فيدونونه ويعملونه الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل :

تأملات

الأستاذ محمود إبراهيم طهيره

حياتك كلها سعى وركض
فأما راجح . فتطيب نفساً
وسوق قائم ، وغداً يفيض
وإما خاسر ، فالهم فيض !

* * *

وأمر الناس في الدنيا عجيب
كأن أمورها وكلت إليهم
شكاة من حياتهم ، ورفض !
ليعضوها كما شاءوا ، ويقضوا !
معاذ الله ، فالأقدار تجري
فما رد القضاء بمستطاع
وما أمر الحياة يسير فوضى
ودنيا الناس — مهما جدسى —
بما قد كان ، والأقدار فرض
وما يبرم ، فما للأمر نقض !
وناموس الورى بسط وقبض
هى الدنيا : سماوات وأرض !

* * *

وأرض الله واسعة ولكن
وآمال العباد بلا حدود
لها طول يحددها . وعرض
بل الأطلاع ، مضجعنا تقض
وفات على نواجهه بعض !
تحرکه هدايات ، وبغض
وفى أهوالها للناس خوض
فطرفك عن مشاهدته تقض !
وكم بضميرها ألم بعض !
ومن شرر الصدام ضرام حرب
دمار حفر باللعنات ترى
مأس هذه الدنيا ، وظلم

* * *

ضيوف كلنا فيها ، سنمضى
ورد الدين محتوم ، فبكان
فنحن من السما للأرض قرض !
رأينا الحى ثوب العيش ينضو
ونبض بمسك ، ليدق نبض !
وإن طال المدى ، للعين غمض !
ستطفأ كل من ، وليس بعض !
شروع نحن في الدنيا، ولكن

فجاءت القرآنا

خصوصيات
بكرم الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
لأستاذ عبد اللطيف السبكي

د النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، آية ٦ - أحزاب

١ - كانت رعاية الله للنبيه - صلى الله عليه وسلم - وارفقة الظلال في كل أحيائه . . . أن يتهياً للخروج إلى غزوة تبوك - مكان قرب المدينة -

فلم يكن الرسول متروكا لنفسه أبدا : لا في رخاء ولا في شدة . وكان المسلمون في أعقاب غزوة الفتح لمكة وما بعد هذه من غزوات أخرى سنة تسع من الهجرة . بل كانت عصمة الله له تصونه من كل مساس

بدينه - وتبعد عنه كل تدبير للفتك به من جانب أعدائه : إلا ما يكون من بعض إساءات تلاحقه أحيانا . . . بينما كان الحر شديدا ، والحاجة إلى المال متحكمة فيهم . . . وهم على أهبة الحصاد للتمر وغيره من ثمار المدينة .

وفي تعرضه لها ترويض لنفسه على مصابرة أعدائه . وامتحان له ، وللمؤمنين معه في سبيل الله ليسكون لهم بمقدار ما أصابهم في سبيل الله من سوء .

وكثيرا ما كان الأمر الكريه سببا يكشف الله به عن حبه للنبيه ، وتبليته لقلبه ، ويسر به قفوس المؤمنين . ويغيط به المنافقين ، والكافرين . وفريق يعتذر بأسباب صادقة . وآخرون اصطنعوا لأنفسهم أعذارا مكذوبة ، كقولهم : إنا نسئ إذن آباءنا ، وأمهاتنا . أو قولهم : إن بيوتنا عورة مكشوفة لمن يهاجمها في غيبتنا ... الخ .

٢ - ومن قبيل ذلك : أن الرسول - صلوات الله عليه - أعلن في المسلمين - يوما -

فيتمنون له من الخير أكثر مما يتمنون لأنفسهم . وذلك لأن النبي بعث لهدايتهم ، فهو يبلغهم ، ويرشدهم ، ويحجبهم المكروه كلها ولكن أنفسهم الأماره بالسوء تمنحهم إلى المفسد ، وتدفعهم في أحضان الشيطان إلى الملمات المحرمة ، وتهوى بهم إلى المساقط المرددة في الهلاك : ديننا ودنيا .

ومن هذا التباين بين مسلك الرشد في متابعة النبي ومسلك الضلال في متابعة النفس يكون مستحقا من الناس أن يفضلوه على أنفسهم بمقدار ما عرفوا من الخير فيه لهم وما عرفوا من الشر في متابعة الأنفس

وذلك هو منطق العقل ، ووحى الفطرة عند من يحسنون تقدير الأمور ، ويضعون الحق في نصابه .

ولعل هذه الأولوية المستحقة للرسول عند الناس تكون ملحظا واضحا في كثير من الآيات .

فإن الله يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » فالأسوة الحسنة بالرسول تبعد بنا كل البعد عن متابعة النفس فيما تهافت على فعله .

وكذلك قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما » . سورة النساء - آية ٦٥ .

وفي العادة : أن القائد يسره ألا يتخلف عنه أحد . . وخاصة إذا كان العدو حاشدا جموعه ، كما علم النبي عن أعدائه المقبلين على لقائه عند تبوك .

٣ — ومع رغبته - صلى الله عليه وسلم - في تجييش أكبر جيش يستطيعه ، فقد تقبل الاعتذار من المعتذرين جميعا : دون تفريق بين من عرفوا بالإيمان ، والصدق وبين من يفترون عهد فيهم النفاق .

ولعل هذه رحمة كانت تغلب على النبي في مناسبات كهذه . أو لعله كان اجتهادا منه يرجح به أن من يقمى إلى الإسلام - ولو ظاهرا - فشاؤه ألا يجاهر بالاعتذار المكذوب .

وقد كان هذا الموقف - كما يقول القائلون من أهل العلم - سببا في نزول الآية التي معنا « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .

فإنها آية ترفع من مقام النبي - محمد - فوق كل مقام بين الناس ، وتثبت له خصوصية لم تعهد لأي رسول . وهي خصوصية الأولوية بالمؤمنين من أنفسهم .

* * *

٤ — ومعنى الأولوية ، الاحقية . . وهي على وجهين :

أحدهما : من جانب الناس . . فالنبي يستحق منهم المحبة لشخصه ، والتعلق به أكثر مما يحبون أنفسهم ، ويتعلقون بها

ومعناها : أن النبي - عليه السلام - يتولى أمر المؤمنين وهو أحق بتلك الولاية عليهم من سواه ، كما يتولى الأب أبناءه .
وقد وردت أحاديث نبوية تبين لنا معنى هذه الأولوية .

ومنها - « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته » .

وقد كانت النبي في أول أمره ممنوعا من الصلاة على الميت الذي يكون مدينا بدين ، وليس له مال ، .

وحكمة هذا فيما نفهمه حث الناس على سداد حقوق الغير قبل الوفاة .

فلما فتح الله على المسلمين ، وتيسرت الأموال للرسول من الغنائم أو الجزية والصدقات : جعل الله لرسوله الحق في سداد الدين عن المدين ، وجعل الله ولاية اليتامى بالإتفاق عليهم ، وهذه أحقية تليق بشأن الرسول بين نومه .

وفي هذا من الأحاديث قوله كذلك - صلى الله عليه وسلم - « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة . اقرأوا إن شئتم » النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فأيا ما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته : من كانوا فإن ترك ديناً ، أو ضياعاً - عيالا - فليأتمنى . فأنا مولاه .

فإنه تعالى يخاطب رسوله ويقسم بذاته على أن الإيمان لا يتحقق عند الناس إلا إذا اطمأنوا إليك ، واحتسبوا لديك فيما يكون بينهم من خلاف ... ثم لا يخامرهم شك في عدالتك ، ويسلموا عن طيب خاطر بهذا القضاء ، وأنه على منهج الوحي الذي يوافيك من عند الله - سبحانه - .

فهذا التأييد الذي يتمثل من جانب الله لرسوله في تلك الآية يعتبر تأكيداً للأولوية التي جعلها الله حقاً للرسول على المؤمنين .

ولما خص المؤمنين بالذكر لأنهم العارفون بقدر النبي ، وهم الآخذون بإرشاده ، وهم الحريصون على متابعة ما يعرفونه من شأن الرسول ، ورسالته .

فخطابهم بذلك خطاب تكليف ، وتكريم لهم بجانب تكريم الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وخلاصة هذا الوجه من معنى الأولوية أنها حق علينا ، ودعم لصلتنا بالرسول ... فإن لم يكن ذلك على وجه المكال : فإنه يكون - إلى حد ما - تفككا ، وانحلالا - والعياذ بالله .

أما الوجه الثاني في معنى الأولوية - فهو أولوية من جانب الرسول نفسه نحو أمته ... على عكس ما كان الوجه الأول .

وكذلك كان تخلف المنافقين سبباً - ثانياً -
في فضل الله على رسوله بما أثبت له من
تكريم خالد ، وقد بدأه الله فيها بقوله : عفا
الله عنك ، لم أذنت لهم . . حتى يقين لك
الذين صدقوا . . وتعلم الكاذبين ، آية ٣ التوبة
فطلع العتاب عفو من الله عن رسوله
عليه السلام .

وليس العفو عن ذنب اجترحه . . لأنه
معصوم عن الذنوب ، وإنما هو تعبير يراد
به الإشعار بالمحبة . . كما تقول لولدك حين
توجيه : لست غاضباً منك ، ولكن كان
الاصوب أن تفعل كذا . . فهو عتاب تربية
وتعليم ، مع الإشعار بالمحبة كما سلف .

وبهذا الأسلوب الحكيم الرحيم الذي يناجي
الله به رسوله يتضح للناس تكريم الله لرسوله
محمد ، إزاء كذب الكاذبين من أهل النفاق ،
وزعمهم أن النبي في حاجة إلى الناس وخاصة
أولئك الذين احتالوا بالكذب على رسوله .
وظنوا أن تخلفهم عنه سيضعف من شوكتهم
أمام أعدائهم ، وسوف لا ينتصر ، إذا حارب
من دونهم .

فانظر : إلى التدبير السليم وإلى تخاذل
المنافقين في ساعات الشدائد ، ويكون هذا
الشر سبباً في تكريم الله لمحمد أكثر مما كرمه
(البقية على صفحة ٧٩١)

فولاية النبي للمؤمنين على هذا الوجه -
معناها : أحقيتهم برعايته لهم - كما هو اللاحق
بهديم في الدين والدنيا ويساعد على هذا
قول الله تعالى : لقد جاءكم رسول من أنفسكم
هنئذ عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين
وهو رحيماً ، آخر سورة التوبة .
فهذا ثناء على النبي يفيد رعاية النبي لأمته
ورحمته بها .

وعلى وجه عام : فالأولوية : بمعنى استحقاقه
لمحبة الناس ... أو بمعنى استحقاق الناس
لرعايته من الخصوصيات التي جعلها الله لتكريمها
لنبيه بين سائر خلقه ، وخاصة : المؤمنين به .
وفضلاً عن هذا فإن نزول هذه الآية بسبب
تخلف المتخلفين عنه يوم تبوك يعتبر زجراً
لأولئك المتخلفين عنه وإشعاراً لهم بأنه
عند الله في أكرم مقام ... فما كان ينبغي
أن يبخلوا بأنفسهم عن موازرتهم ...
أو يترددوا في نصرته ، فإنه أحق بهم
من أنفسهم وما بعثه الله إلا رحمة لهم ...
وقد أغناه الله في هذه الحادثة عن إتمام
عدوه ... إذا انصرف الكفار قبل أن
يواجهوا جيش المسلمين ، وكفى الله المؤمنين
القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً .

وبهذا انتهى أمر تبوك ، وظفر بشواهد
من تبيانها . . وباء بالخسران من تخاذل
فيها من المنافقين .

نزيف في تفسير القرآن

للدكتور على العمري

يظل مستورا عنهم ، فإن أحدا من المسلمين - فيما أعتقد - لا يؤثر في عقيدته شيئا أن يقرأ كتابا ليست فيه أية محاولة جديدة معقولة لتغيير أو تفسير قضية اتفق عليها الناس تفسيرا جديدا يستند إلى برهان أو دليل .

وليس من شأني أن أبحث عن نية المؤلف فهي سر بينه وبين خالقه ، لكنني أبحث عنه أو أبحث عنه ، أو أبحث عنه ، أو أبحث عنه ، نية خيرة أو سيئة عندما كتب هذا الكتاب فكل ذلك لا يعني من ينقد كتابا مطبوعا يتداوله الناس .

كما أنه ليس من شأن الناقد أن يبحث الدوافع التي دفعت بهذا المؤلف إلى أن يطبع كتابا تزيد صفحاته على الأربعمائة صفحة ، ثم يقدمه دون مقابل لمن يريد أن يقرأه ، فذلك - أيضا - مقصد لا يعني أن نبحث عنه .

وقد رأيت من الخير أن أغفل اسم الكتاب واسم مؤلفه فالذي يعني إنما هو مادة الكتاب . قلت في عنوان هذا المقال إن تحريفا جديدا ظهر للقرآن الكريم ، ولكن ليس هذا

ترددت طويلا وأنا أمسك القلم لا أكتب في هذا الموضوع لأمرين :

الأول : أن الناقد لا يشعر أنه يعمل عملا جادا مقيدا إلا حين يرى أن العمل الذي يتناوله يحتاج إلى عمق في التفكير ، وإمعان في القضية ، وجدية في الجدل ، أما هذا الكتاب الذي خلصت منه بأنه محاولة جديدة لتعريف القرآن فلا يحتاج من أي قارئ - لا أكثر من النظرة العابرة لكي يؤمن بما آمنت به .

الثاني : راجعت نفسي كثيرا هل من الخير أن نشير إلى مثل هذه الأعمال التي تفكر ما أعارف عليه الناس ، دون دليل نقلي أو عقلي ، ولا تكترث بشيء من المعاني التي يحملها المسلمون سواء كان ذلك عن جهل أو عن سوء نية ، أو حتى عن حسن نية .

ثم اطمأنت النفس إلى أن الإشارة إلى مثل هذه الأعمال إنما هو واجب ديني بل وواجب وطني في موضوعنا هذا الذي نتحدث عنه وأنا لا نفتح أعين الغافلين عن شيء قد يضرهم في عقائدهم ، وقد ينبغي أن

وقد نهى جل وهلا عن الحلف . والحلف لا يصدر إلا من ضعيف لقوى ، ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز بالفجر ... لخلقاته التي خلقها من العدم ، ولا معنى للحلف بالفجر ، وكان القارىء للقرآن في أجيال صدر الإسلام يقرأ قوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة » . ثم يتلو الآيات التي تسبقها الواو التي بدئت بها السور القصار . ومعنى الغيب ما كان خافيا عن السمع ، وما كان ماضيا . ومعنى الشهادة ما بين أيدي العباد . الحاضر . وما ظهر . يعلم سبحانه ما بطن وما ظهر . ومعنى الفجر ... غاشية التحنيط تبدأ في الفجر التالي للموت . ومعنى الفجر في الهم بتفجير الشرايين ... ومعنى الفجر الأشعة بتفجير الفجرة (وليال عشر) وتستمر غاشية التحنيط ليالى عشر (والشفع) ضعف الليالى العشر . عشرين ليلة (والوتر) مثل الليالى العشر ... عشر ليال .

ولسكى يتضح مراد المؤلف من هذا التفسير تسكمل الصورة من أقواله أيضا ، فهو يرى أن الفراعنة اهتموا إلى (الفجرة) وبها كانوا يحفظون موتاهم ، قال : (ومدة التحنيط أربعون ليلة يسبقها فجر) .

وتبدأ غاشية التحنيط في الفجر قبل شروق الشمس ، فيفجر جسم الميت ، تفجر شرايينه وتستخرج أمعاؤه . ودرجة حرارة الأشعة

التحرىف لآيات القرآن ، فقد عجزت فيما أعتقد الجهات المعادية للإسلام عن ترويح هذا التحريف وإنما هو تحريف البعاني الواضحة التي تتضمنها آيات القرآن الكريم ، ولو أنك قلت لشخص : ناولى كتابا . فقال على مسمع ومرأى من الحضور إن فلانا يطلب منى أن ألقى بنفسى من قمة جبل لكان تعجب الناس من هذا الفهم ، بل من هذا الافتراء بالغا أشده ولو قفت أنت مذهولا من قول صاحبك هذا .

وأؤكد أن البعد الذى يظهر لنا بين معني هذين التعبيرين ليس بأشدد من البعد الذى يظهر لنا بين معاني الآيات الكريمة التي تناولها المؤلف ، وتفسيراتها ، وقد يبلغ التحريف في التفسير أن يكون كالتحريف في النص .

ولنأخذ لذلك مثلا تفسير المؤلف لقول الله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر) . قال : الواو في قوله تعالى (والفجر) وار عطف ، والفجر معطوف على قوله تعالى في سورة الحشر : (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) فقوله تعالى : والفجر معطوف على قوله تعالى : (عالم الغيب والشهادة) . والمولى جل وهلا لا يحلف لخلقاته التي خلقها ، وأنزل القرآن قسما ... قول فصل .

قال لهم إن المولى يأمركم أن تقدموا قربانا لله
دجاجة .

والحكمة في أمر الله هذا أن كل واحد
من بني إسرائيل كان يملك عدداً من الطيور
واكنهم جميعاً - على حد قول المؤلف -
اتحدوا في صفة البخل ، فعصوا ربهم وسالوا
موسى البیان ، فوصفها لهم القرآن بأنها (لا
فارض ولا بكر عوان بين ذلك) ، يقول
المؤلف : (لا فارض) لم ينقطع منها البيض
(ولا بكر) ليست في حداثة النشأة (عوان
بين ذلك) فهي وسط بين الصغيرة والمسننة
تبيض البيض . قال : وازداد بنو إسرائيل
حزناً عند ما سمعوا الجواب ، فالدجاجة التي
تبيض البيض لها وزن في نفوسهم ، وهم
عصبة البخل .

فطلبوا من موسى بيان لونها فبين لهم
القرآن أنها (بقرة صفراء فاقع لونها تسر
الناظرين) قال المؤلف (صفراء) صافية
البياض ، فلفظ صفراء اسم الطير الذي
تسمونه بعد التحريف بالأوز والبط ، فعنى
صفراء تحدث مكاء ... صفيراً ذا صدى . .
فهى ذات صوت يصفر في السمع .

ونلاحظ أن المؤلف لم يجعل الوصف
للدجاجة ، بل انتقل إلى (الأوز والبط) ،
وكأن الله أراد أن يعسر على بني إسرائيل
فبعد أن امتنعوا عن ذبح دجاجة ،

في المدة الأولى (الليالي العشر) تكون عالية
بقدر ، ثم تخفض إلى درجة حرارة أقل في
في المدة الثانية (الليالي العشرين) وتخفض
إلى هدوء في المدة الأخيرة (الليالي العشر)
ومدة التحنيط أربعون ليلة يسبقها فجر تفجر
فيه الشرايين ، وتستخرج الأمعاء ، وتفجر
الذرة . قال تعالى في سورة الفجر : « والفجر
وليل عشر والشفع والوتر » .

ومثال آخر - والامثلة كثيرة جداً من
هذا النوع - تفسير المؤلف لقوله تعالى :
« وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن
تذبحوا بقرة » . ولكي لا أطيل بنقل كلام
المؤلف أعتمد إلى التلخيص ، فالمؤلف يرى
- أولاً - أن هذه السورة لا يصح أن تسمى
سورة (البقرة) لأن سور القرآن لا تسمى
بأسماء الماشية والمراد بالذبح في الآية (الصفاء)
ويستطرد فيقول : (وقوله تعالى يذكر
اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام : (وفديناه
بذبح عظيم) ، فدى المولى عبده إسماعيل
بقربان عظيم ، والقربان العظيم هو القرآن
العظيم ، الصفاء العظيم الذي طهر أبناء آدم
وأصفاهم وجعلهم على نور الهدى . ومعنى
بقرة في الآية (دجاجة) . فالطائر بقرة لأنه
كاشف وخاص ، ويعمدى كل حاجز ،
والقربان لله يكون ذا قيمة غالية ، ولهذا ظن
بنو إسرائيل أن موسى يستزى بهم عند ما

الذى فتحه في تفسير القرآن دون أى اعتبار للغة ، أو المنطق ، أو حتى لعقول القارئ إلى إنكار أمور يدين بها كل مسلم ، والأدلة من القرآن والسنة والتاريخ متوافرة على ثبوتها . فمن ذلك إنكاره إسماء النبي إلى بيت المقدس . فالإسماء عنده كان إلى سدة المنتهى . ويفسر آية الإسماء (سبحانه الذى أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لئريه من آياتنا) هكذا : آيات الله هي أرواح القدس معنى (أسرى) أوفى وأنى . المسجد : قبلة العظم شخص البصر ، ومعناه المنزل . ومعنى الحرام الحصان ، ومعناه المسكون ، والقرآن هو المسجد . قبلة البصر طاعة لله في ختام ، ومكة نزل فيها القرآن خاتم أرواح القدس ، وخاتم الرسالات ؛ فمكة قبلة النظر والمنزل ، ومعنى الحرام الحجاب ، و (المسجد الأقصى) هو سدة المنتهى الأفق الأعلى ؛ فعنى الأقصى الآب من فعل أبى ، وكافة الأرواح تعرف سدة المنتهى بالآب ، والحول هو الخاتم وخاتم أرواح القدس السبعة (١) القرآن ثامن أرواح القدس .

(١) الأرواح السبع عند المؤلف هي السموات السبع ، وهم : جبريل وميكال وإسرافيل وعزرائيل ومناة واللات والعزى قال : وقد رآهم محمد في سدة المنتهى ليلة أسرى به .

ثم طلبوا بيان لونها أمروا بذبح طائر أكبر منها .

ثم ماذا ؟ ثم إن بنى إسرائيل طلبوا من موسى أن يدعوا الله ليعيد لهم (ما هي) فأجابهم الله تعالى بقوله : (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلبة لاشية فيها) قال المؤلف - وزاده الله علما وفهما - في تفسير هذه الآية : (وتلك صفة الغراب) ولا غرابة في ذلك ، فهو طائر (بقرة) وليست من الطيور التي تذلل في كنف ابن آدم ، فالغراب بقرة ليست بذلول . ومعنى تثير الأرض . معنى الأرض الزينة بمعنى النفس . ومعنى الأرض المرعى بمعنى النفس ، فقد خلق المولى آدم وذريته زينة ومرعى يثبت بالحياة ، ويبحث بالهيات ومعنى (ولا تسقى الحرث) لا خير في الغراب لزرع ابن آدم ، فالغراب لا ينفع الحرث . . ومعنى (مسلبة) يحجل إذا سار فهو يمشى سلبا بعد سلم . . ومعنى (لاشية فيها) لا ثمرة فيها ولا منفعة ، فلا يؤكل لحمه ولا يشتهى ... فالغراب لا يصلح قربانا .

وهكذا مضى المؤلف في تفسير كلمات القرآن وآياته ، وليعذرني القارئ إذا كنت بعثت في نفسه الضيق والملل ، فأظنني قد أضحكك سنه ، وشر البلية ما يضحك .

وقد مضى المؤلف من هذا الباب الواسع

(أى أهل عصرنا) حين يبائعون رسالة محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم (تحت الشجرة أرض فلسطين مشهد التبشير بنزول القرآن) فأنزل السكينة عليهم) فأضنى ربهم عليهم طمأنينة الهدى للقرآن (وأثابهم فتمحا قريبا) وأثابهم برحمة منه كشفها صادقا لحجة هدى القرآن .

وهكذا يمزق المؤلف النظم المكرم ، ويبعد معناه أيما إبعاد عن الدلالة اللغوية للألفاظ .

وله غير هذين إنكارات كثيرة ، رتب عليها تأويلات بعيدة للآيات ، فمن ذلك إنكاره القسم في القرآن ، ووجود الرق في الإسلام ، وقراءات القرآن ، ووقوع حرب الردة ، وأنه كان للنبي هم يعاديه اسمه أبو لهب ، وأنكر أن الإسلام يجوز تعدد الزوجات ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بغير خديجة وعائشة ، وأن إدريس عليه السلام كان رسولا مع أن القرآن صريح في ذلك ، وأنكر وجود أبي هريرة وأبي ذر الغفاري رضي الله عنهما ... وهكذا من غير برهان ولا تعقل .

وقد بالغ في إنكاره حتى أنكر أحكاما شرعية ثابتة بصريح القرآن . وركب في ذلك الشطط في تفسير الآيات التي صرح بها هذه الأحكام ؛ ففي رأيه أن الإسلام لم يبيح للرجل

هذا - والله - كلامه بنهه وفصه ، وعينه وأذنه . .

ومن ذلك إنكاره (بيعة الرضوان) ، فمن المعروف في كتب السير والتاريخ أن المسلمين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حين شاع الخبر بأن أهل مكة قتلوا (عثمان بن عفان) على الحرب والقتال لأهل مكة ، وعلى أن لا يفروا ، وكان ذلك تحت شجرة يقال : إنها كانت شجرة طلع ، وقد أخبر الله سبحانه أنه رضى عن المبايعين لرسول الله تحتها في قوله عز وجل : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

ولكن المؤلف يقول : (وما قيل لكم إن بيعة تمت بين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبين من بايعوه بالإيمان في ظل شجرة قول يخالف لسان العرب ، فلا يقال : جلست تحت الشجرة ، وإنما يقال جلست في ظل الشجرة ، فعنى جلست تحت الشجرة .. جلست قرار الشجرة .. فيختفى عن سطح الأرض . كما وأن المعنى واضح ، فالعهد بالبيعة هو تحت الشجرة .. فالؤمنون يبايعون القرآن . مهد الكلمة ... أرض فلسطين) ص ٢٦٠ .

ثم فسر الآية الكريمة فزعم أن المراد بالمؤمنين هم أهل جيل الشهر الحرام الرابع

وكما أنكر أحكاما شرعية ثابتة بكل الأدلة ادهى أن في الإسلام أحكاما أخرى، ومنها على سبيل المثال بعض الحدود، ففيما يزعم أن من يخلف بالطلاق صدقا أو كذبا يقام عليه الحد بالجلد، ويشهر عن فاحشته .. ولا تقبل له شهادة، ولا يؤخذ له رأى في جمع المؤمنين ص ٣١٢

وأن من جهر أمام أبصار المؤمنين، وادعى أنه أوتى كشف الغيب، أو أوتى خوارق الاعمال التي سميت بالكرامات مثل هذا الشخص يقام عليه حد الجلد، فيجلد مائة جلدة، ويعزل عن جمع المؤمنين، دون نظر لصدق قوله أو كذبه ص ١٣٨ .

وقال : ولو أن مؤمنا في أجيال صدر الإسلام تجاوز حد أمر المولى في القرآن بقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وأمر شخصا بدخول دين الإسلام، أو دعاه للإسلام، واستظهر من الدعوة خفاء غلبة أو إكراه مثل هذا المؤمن يقام عليه حد الجلد؛ لأنه تجاوز حد أمر المولى في القرآن، فيجلد جهرًا أمام أبصار الناس مائة جلدة . ويهجر من المكاتب الذي جلد فيه . حتى ولو كان حاكما للإمارة ص ١٨٦ .

ولا أدري لمصلحة من يهون المؤلف من بيت المقدس ؟ فهو ينبغي أن النبي جاءه ليلة أسرى به ويقول في غير اكثرات أو تعقل:

حق طلاق زوجته إلا أمام القاضي . قال : (وما أحل الله لمؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يطلق زوجته بلسانه) ص ٣٢١ وقال في موضع آخر : (والطلاق ليس حلا للزوج بكلمة تخرج من فيه ، فالزواج موثق بقرن بين زوجين فلا تحل عقده بلسان الزوج ، وإنما يقضى بالطلاق من ولي قضاء أمر المؤمنين) ص ٣١٢ .

وأنكر أن تحل الزوجة لزوجها الاول إذا طلقها فتزوجت غيره وطلقها الاخير ، قال : (ويحل للطلقين أن يتراجعا في أى وقت حتى تزوج المطلقة بزواج غير مطلقها ، فإن تزوجت فلا تحل لمطلقها من بعد زوج آخر) ص ٣١٨ ، واعتسف ما شاء له الاعتساف في تأويل قوله تعالى : (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فقد زعم أن (من بعد) معناه . من بعد زوج آخر لا تحل له ، وقوله تعالى (حتى تنكح زوجا غيره) تحل له أن يراجعها حتى تنكح زوجا غيره فلا تحل له من بعد زواجها بزواج آخر ، واتصل قوله تعالى : حتى تنكح زوجا غيره) في المعنى بقوله تعالى : (فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا . فإن طلقها فلا جناح على لزوجين أن يتراجعا حتى تنكح الزوجة زوجا آخر فلا تحل له من بعد زواجها ص ٣٢٢ .

ويطول بنا القول لو ذهبنا ننقل ما أول به الآيات التي تضمنت هذا التشريع .

وكذلك لا ندرى لمصلحة من ينبغي أن أرض فلسطين هي المرادة بقوله تعالى : « إنك بالوادي المقدس طوى » ، فيقول في تفسير هذه الآية : أرض فلسطين ليست هي الوادي المقدس . فالوادي المقدس هو الوادي المبارك طريق الأمان حتى الختام رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (القرآن) .

والحق أن المؤلف يمحو ويثبت ، وينكر ويعرف دون حجة أو برهان ، ويكفي أن نقول إنه : أنكر أن يسمى من فقد بصره (أعمى) قال : ولا يقال لمن كف بصره أعمى فإن الأبصار لا تعمى ، ولكن تعمى قلوب الضالين .

ولا غرابة في ذلك فالمؤلف يدعى أن علماء اللغة وعلماء النحو حرفوا لغة العرب ، وأنهم جميعا من الضالين .

ولا نختم هذه الكلمة حتى نشير إلى أن المؤلف أكد في غير موضع من كتابه أن تحريف تفسير القرآن تحريف للقرآن نفسه ، وأن اليهود حين عجزوا عن تحريف القرآن لأن الله حفظه لجأوا إلى تفسيره بالباطل واللغو واه بهدى من يشاء إلى سواء السبيل ؟

و : علي العمري

(ولم يذهب الرسول إلى فلسطين ليلة الإسراء ولم يتقابل الأنبياء ، فلا خيال ولا خرافة في الإسلام ، وهذا الجامع الذي أقيم في فلسطين كان قلعة للجند الرومان ليلة أن أسرى بالرسول ولما تم الفتح اتخذها المسلمون جامعا ، وصلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الجامع وقد تم الفتح في عهد عمر .

والمضلون بعد الجيل الثالث الإسلامي سخروا من المسلمين فجعلوهم يذكرون أورشليم بالقدس والجامع الذي أقيم فيها ببيت المقدس ، وسموه المسجد الأقصى) ص ٤٣ .

ولا يشفع له بعد ذلك أن يقول : فإن أوتيتم العلم بأن هذا الجامع ليس هو المسجد الأقصى فلا يضعف حماس القتال في نفوسكم لتستردوا هذا الجامع ، وأرض فلسطين حتى لا تبوءوا بغضب الله .

فقد وصل بذلك عظيمة أخرى من عظمته فأنكر أن النبي والمسلمين توجهوا في صلاتهم في بدء الإسلام إلى بيت المقدس ، وارتككب في تفسير الآيات التي صرحت بذلك ما تنفر منه الأذواق السليمة ، وفي إنكار هذه الشريعة يقول : (وما قاله السفهاء لغوا من أن الرسول والمؤمنين أيام فجر الرسالة اتخذوا قبلة صلاتهم الجامع الذي عرف بعد أن طغى الإفك بالمسجد الأقصى فنذ أن فرضت الصلاة استقام الرسول والمؤمنون في صلاتهم على الكعبة قبلة لهم بأمر المولى) .

الكلمات والأساليب في القرآن الكريم

للاستاذ أبو الوفاء المرائي

من معان فلا يجد فيما مر عليه من أساليب وما وعته ذاكرته من ألفاظ - مهما كانت - ممارسته للأساليب والألفاظ - ما يقوم مقامها وبقي بأغراضها .

إن مادة القرآن الكريم من مادة اللغة وألفاظه من ألفاظها ، ولكن المعجز المفعم أن تؤلف من تلك المادة أساليب كآسلوبه وأن توضع ألفاظ اللغة مواضعها على النحو الذي نسقت عليه في القرآن الكريم . وحسبنا أن نذكر هنا بعض الأساليب والألفاظ كدليل على ما نقول فمن تلك الأساليب قوله تعالى في بيان حكمة القصص : « ولکم فی القصص حیاة » . ففي كليات لا يتجاوز ظاهرها أربعا بين الله حكمة القصص الذي هلى أساسه يقوم نظام العالم وتستقر علاقات الجماعات وتضان أرواح الأفراد وأموالهم وأعراضهم . وفي التعبير بلفظ القصص عموم يشمل القصص في الانفس والأطراف والأموال ولا تكاد تخرج منه عقوبة من العقوبات أيا كان شأنها وكذلك في التعبير بحياة « منكرها » ، تنويع يشمل حياة المقتول

القرآن الكريم نهج خاص في الكلام العربي لا يطاوله بل لا يشابه ولا يقاربه نهج آخر وبهذا النهج كان معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمننا أصح المعاني ، وقد ثبتت إعجازه بشهادة الفحول من بلغاء العرب وبمعجزهم عن معارضته والإتيان بمثله بل بمثل أقصر سورة منه كما جاء في القرآن الكريم حيث يقول : « وإن كنتم فی ریب مما نزلنا علی عبدنا فأنوا بسورة من مثله وادعوا شهداءکم من دون الله إن كنتم صادقین فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » :

وقد اختلفت أنظار العلماء في تفسير إعجازه على ما هو معروف ، إلا أن الذي لا شك في صحته من هذه التفسيرات أنه معجز بأسلوبه ووضع ألفاظه مواضعها ، والقارئ المتدبر للقرآن الكريم تستوقفه أحيانا أساليب وألفاظ يقف أمامها معجبا مأخوذا ببلاغتها مشدود الانتباه إليها يعيد تلاوتها ويكررها ويقذوق حلاوتها ويستجمع ما انطوت عليه

في تصوير حال فريق من المؤمنين استكروها على الخروج لقتال قريش بعد مجادلهم النبي صلى الله عليه وسلم في أمر ذلك الخروج وبيان وجهة نظرهم في ذلك : « يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

فقوله تعالى : كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون تصوير لحالة الرعب والفرع التي استولت على نفوس هذا الفريق ، ويكاد هذا الأسلوب يكون لوحة فنية معبرة تصور وجوههم مصفرة مكفهرة ، وعيونهم حائرة زائغة ، وأى منظر لجماعة يساقون إلى الموت ويشاهدون أسبابه من سيوف مصلّمة ومقاصل مرفوعة ، وكراسى مكهربة موضوعة ، إن هذا تصوير لحوال لا يمكن لأفلام البلاغاء مجتمعة أن تؤديه أو تطمح فيه ؟ ولا يمكن لعبارة أخرى أن تقوم مقام هذه العبارة وتفي بمقاصدها .

ومن الأساليب السهلة الممتنعة التي تؤدي معناها وتبلغ غايتها دون تلبث أو توقف . قوله تعالى في وصف القرآن وقوة تأثير ما فيه من مواعظ وزواجر تلين القلوب المتحجرة وترقق الأفئدة القاسية :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

وحياة غيره من الأفراد ، وقوانين العقوبات جميعها يمتونها وشروحها ومصنفاتها التي تبلغ الآلاف تكاد تكون تفسيراً لهذه الجملة وتعبيراً عنها .

وقد عنى علماء البلاغة قديماً ببيان وجهه إعجازها والمقارنة بينها وبين ما أثر عن العرب في معناها من قولهم : « القتل أنفى للقتل » ، ونحوه ، وبعد استقاضة في الشرح والبيان والموازنة أجمعوا على أن أسلوب القرآن في هذا المعنى لا يعد له أسلوب ولا يشابهه .

قال بعض المفسرين : إنها في إعجازها قد ارتفعت أعلى سماء للإعجاز . وكانوا ينقلون كلمة في معناها عن بعض البلاغاء يعجبون من إعجازها في بلاغتها ويحسبون أن الطاقة لا تصل إلى أبعد من غايتها وهي قولهم : « القتل أنفى للقتل » . وإنما فتنوا بهذه الكلمة وظنوا أنها نهاية ما يمكن أن يبلغه البيان ويفصح به اللسان ، لأنها قيلت قبلها كلمات أخرى في معناها بلغاهاهم كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع . وقولهم : أكثروا القتل ليقول القتل . وأجمعوا على أن كلمة القتل أنفى للقتل أبلغها . وأين هي من كلمة الله العليا وحكمته المثلى !!

ومن الأساليب التي تأخذ بالباب الالباء ، وتنقاصر دونها أهناق البلاغاء قوله تعالى

وقوله :

«ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا» .

بهذا الأسلوب السهل الذي لا يستعصى فهمه على عالم أو من دورته يصف الله القرآن . فليس العالم أو العاصي في حاجة إلى أن يشرح له الأرض أو الجبال أو الموتى ، ولكن هذا الأسلوب وتأليفه بما ألف به من الكلمات على النحو القرآني مما لا يطمع في مثله بليغ مهما حصف عقله واستحصدت ملكته .

وهناك من الكلمات القرآنية ما لا يمكن أن يحل غيرها محلها ولا أن يقوم مقامها فيما جاءت فيه من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى في دعاء إبراهيم ربه أن يرغب الناس في البيت الحرام ، ويعطف قلوبهم على أهله : « واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » ، فكلمة «تهوى» هنا لا يمكن أن يحل محلها كلمة «تميل» . ولا كلمة «تحب» ، ولا كلمة «تفرم» ؛ لأن معنى تهوى فيما تقدر عليه من العبارة ، تنجذب إليهم على الدوام بسرعة مشوقة منجذبة نحوهم كما يسرع الحجر في سقوطه منجذبا نحو الأرض ، وهذا هو المعنى الذي يحسه من سدد بزيارة البيت ووقف موقف المناجاة فيه ، فهو طائر اللب مشوق منجذب

إلى البيت لا يحيط بإحساسه عبارة ولا يمكن أن يصوره قول كما تصوره كلمة «تهوى» إليهم . ومن تلك الكلمات قوله تعالى في مدح سيدنا إبراهيم عليه السلام : « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، فما أسعد إبراهيم بهذا المدح وما أرفع مقامه وأسنى منزلته بتلك الكلمة وهذه الشهادة ، شهادة الله رب الأرباب العالم بخفيات الصدور وما تسكن من إخلاص ورفاء وتسترخص من تضحيات ، فكلمة «أمة» هنا في مكانها قامت مقام عبارات وشروح طويلة في بيان شمائل إبراهيم وخلاله ، ولم تدع شيئا من الفضائل إلا ألمت به واحتوته . فهو قانت لله شاكر لأنعمه مجتبي من الله لرسالته مخلص له في دعوته جواد بما تتطلبه هذه الدعوة ولو كان الجود بالإنشاء فصيح بصير بأساليب الدعوة والتأثير ، لا يجابى في دعونه أحدا ولو كان أباه ، لين الجانب ، محب للفقراء ، جامع لكل ما تفرق في الناس من الفضائل والشمم الكريمة ، وبذلك صار أمة وحده وفاز بمكانة الأبرار المقربين .

ومن الكلمات التي أخذت مكانها المناسب وأدت ما قصد أدائها تمام الأداء ولا يصلح غيرها فيما صلحت له : قوله تعالى حكاية عن إبراهيم في دعائه ربه « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ، فقوله : تعالى « لسان صدق

في الآخرين ، وإن فسرهما المفسرون بأن المراد بها الذكر الحسن والثناء الجميل إلا أن هذا ليس كل المعنى الذى تؤديه ؛ لأنها تؤدى إلى جانب ذلك أن يكون الثناء متنقلا متحركاً غير محصور كما يتنقل اللسان ويتحرك ليفشر الثناء وبذيعه تبعاً لتقل صاحبه وتحركه من مكان إلى آخر ، إلى أن فى ضمن هذه الكلمة رجاء أن يوفقه الله إلى اكتساب ما يورثه الذكر الجميل والثناء الحسن لئلا يكون الثناء صادقا خالصا من شوائب الرياء وأكدار المكذب .

تلك بعض الأساليب والكلمات التى أوردناها فى كلمتنا هذه . وإن فى معارض القرآن البلاغية من الأساليب والألفاظ ما يأخذ بلب القارىء ويقفه على أسرار الإعجاز التى تتجدد بتجدد التدبر والتفهم والبحث ، والقرآن كقَالَ (على) رضى الله عنه فى وصفه : لا تنقض عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ؟

أبو الوفا المراكشى

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٠)

الله بغير ذلك .. ويكون هذا مزيداً فى التشجيع على قوم زعموا أنهم يحسنون صنعا . وهكذا شأن النفاق كله .. لا يكون إلا من خبيثاء النفوس ... يمكرون .. ويسبون .. ويتصنعون .. ويتظاهرون أنهم خلصاء ، طيبون .. وقد سجل الله فى كتابه أن المسكر السيئ لا يحيق إلا بأهله .. وإذا أساءوا بنفاقهم إلى أحد : فإن الله يفتقم منهم ولا محالة . وقد يخدع فيهم المؤمن ؛ فإن المؤمن غر كريم طيب ، وإن المنافق خب لئيم خبيث ما كر .

ليبيعه ولا يهنا به صاحبه يوما إلا ليشقى بسبيبه زمنا طويلا .

ولقد كثرت آيات القرآن وكلام الرسول عن مخازى النفاق ، وحذرنا الله منه كثيراً ، وهددنا عليه بسوء العذاب .. وهو نقيصة ، وإن كان فى شأن هين .

ومن الحق علينا أن نربأ بأنفسنا عن النفاق ، وأن نجنح إلى أخلاق الرسول والنبي أولى بنا من كل جهة من ناحيته أو من ناحية أنفسنا ، كما تقرروا فى الكتاب الكريم وما أحسن قول من قال :

والمها تكتن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

والنفاق على أى حال لا يرفع صاحبه إلا ليقطعه .. ولا يقربه إلى بعض النفوس إلا

عبد اللطيف العبدى

جرائم القتل المذكورة في القرآن

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

قتل الأطفال ، أما قتل الأنبياء والمصلحين ، فهو أمر تخصص فيه بنو إسرائيل ، يشير إلى ذلك قول الله عز وجل مخاطباً اليهود : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » . وشاء الله سبحانه وتعالى أن ينتقم منهم فسلط عليهم فرعون ، مصر يقتل أبناءهم ويسومهم سوء العذاب ، قال سبحانه : « اهبطوا مصرأ فإن لکم ما سألتم » ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ثم شاء الله عز وجل أن يرسل لهم موسى عليه السلام رحمة منه فتابوا ؛ بل قتلوا من بعده دحی ، عليه السلام ، وطمس الله على قلوبهم فتماخروا بقتل الأنبياء ، حتى زعموا أنهم قتلوا المسيح هدي بن مريم رسول الله ، وما قتلوه يقيناً ، بل طبع الله على قلوبهم فلا يؤمنون إلا قليلاً .

وكما بين القرآن أن قتلى الأنبياء كان من أبشع جرائم القتل ، أشار كذلك إلى أن قتل الأطفال فساد في الأرض وضلال وإثم كبير ،

تحدث القرآن الكريم في عدد من آياته عن جريمة القتل ، وضرب لكل ما يتعلق بصورها وأحكامها مثلاً ، بحيث إذا تأمل أى باحث في علوم الجريمة والعقاب ، هذه الآيات لوجد فيها بيانا علميا دقيقا يشير إلى أركان هذه الجريمة ويوضح أحكامها في أسلوب معجز للهداية وموعظة من الذكر الحكيم

فعن أول جريمة قتل ارتكبت على ظهر الأرض حدثنا القرآن كيف قتل قابيل أخاه هابيل فقال تعالى فيه : « واتل عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . اتن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسطيدي إلیک لاقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوheet له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين » ١١

ثم تتابعت جرائم القتل .. ولم يكن القرآن سجلاً يتابع أخبارها ، بل كان كتاب هدى يكشفه أن ينبه إلى أبشع هذه الجرائم ، وكان من أبشعها قتل الأنبياء والمصلحين وكذلك

يا إحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، . ذلك أن إعدام القاتل سيجعل أكثر أولئك الذين يذكرون في إقرار جريمة القتل يعدلون عن ارتكابها فتحيا بذلك أنفس كثير من الناس .

ولم يفت القرآن أن يذكر حكم جريمة القتل الخطأ كما ذكر حكم جريمة القتل العمد ، فقال تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، إلا أن يصدقوا ، فإن كان من قوم هدى لستم وهو مؤمن فتحرير ربة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليماً حكيماً . وما أجمل القرآن حينما أوجب صيام شهرين متتابعين على القاتل خطأ في بعض الظروف ، وذلك توبة من الله . وكان الله عليماً حكيماً . ونجد القرآن الكريم يقص علينا كيف قتل موسى عليه السلام واحداً من القبط الفراعنة قبل مبعثه ، كمشال لقتل كان دفاعاً عن نفس ، لم يكن موسى عليه السلام يقصد به قتلًا ولكنه أفضى إلى الموت ، وكشال لرحمة الله ومغفرته لمن يقتل ثم يتوب إلى الله توبة نصوحاً ... قال تعالى مصوراً ظروف

تأمل قوله تعالى مستنكراً قتل فرعون للأطفال : « إن فرعون هلا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ، كما يستنكر رب العزة جل شأنه وأد عرب الجاهلية لبناهم فيقول عز وجل « وإذا الموءودة سئلت ، بأي ذنب قتلت ، ولا يكتفي القرآن بذلك ، بل ينهى صراحة عن قتل الأطفال بصفة خاصة فيقول جل شأنه فيه « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطأ كبيراً ، ويقول جللت حكمته « قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله ، إفتراء على الله ، قد ضلوا ، وما كانوا مهتدين ، وقد حرم الله سبحانه كل قتل بغير وجه حق في قاعدة عامة قال عز وجل فيها : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ، إنه كان منصوراً ، بمعنى أن القصاص من القاتل هو عقوبة القتل العمد في الإسلام وقد جعلها القرآن الكريم لولي القتل تحت إشراف ولي أمر المسلمين كما فصل القرآن هذا الحكم في آية أخرى قال سبحانه وتعالى فيها : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه

اتفاق على قتل خاب أمره وذلك عندما اتفق الكفار على قتل المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ وقاموا بتنفيذ اتفاقهم بالتجمع حول داره في انتظار خروجه عليه السلام فيضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليضيق دمه بين القبائل عندما يعجز قومه عن الأخذ بشأره ، فأنفذه الله عز وجل منهم وخاب أثر اتفاقهم على قتله ، إذ يقول جللت حكمته : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سالما غانما بعد أن أعمى الله بصائر الكفار عنه وهو يلهمهم يحشون في وجوههم التراب . ومرة أخرى يذكرنا القرآن بأن خروج المتفق على قتله وابتعاده عن موطن المجرمين هو خير وسيلة للحيلولة دون تنفيذ ما اتفقوا عليه .

كذلك حكى القرآن الكريم لنا كيف شرع إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ابنه إسماعيل ، امثالاً لأمر الله عز وجل وابتلاء منه سبحانه وتعالى لإبراهيم بعد أن حقق الله له أمله في ولد من الصالحين :

« رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ، مستجدي إن شاء الله (البقية على صفحة ٧٩٩)

الواقعة ونتائجها : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فوكره موسى فقتضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين . »

وفي القرآن الكريم صور رائعة تحدث فيها عن الاتفاق على القتل : ضرب الله مثلاً لجريمة اتفاق على قتل أو وقف تنفيذه ، وذلك عندما اتفق القبط على قتل موسى انتقاماً لصاحبهم ، ولما علم موسى بهذا الاتفاق أسرع بالخروج من مصر هارباً قبل تنفيذه . قال تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال يا موسى إن الملأ يأمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين . فأوحى الله منهم ثم بعثه إليهم رسولا ... وفي الآية السابقة تنبيه وإشارة دقيقة لرجل الأمر تبين له ضرورة التحري عن أترجيمة القتل في أنفس أهل القتل ، مع اتخاذ الحيلة للحيلولة دون وقوع جريمة قتل أخرى بإخراج من تقع العين على الثأر منه بعيداً عن موطن الجريمة وشهوة انتقام أهل القتل . وضرب الله مثلاً آخر في القرآن لجريمة

الحلم عند الفنازيين لأستاذ فوزى حروف

تدور تفسيرات الأحلام على أحد جانبيين : إما ناحية داخلية سواء أكانت نفسية أم عقلية أم حشوية وناحية خارجية جسمية أو بديعية ، فقد لوحظ أن بعض أمنيات الإنسان أو ما حرم من تحقيقه في الواقع ، يتحقق في الحلم ، أو يحاول المرء أن يحققه عن طريق الحلم كما لوحظ أن تغيرات الغدد والأعضاء الحشوية الداخلية توحى للرء بأحلام عدة أشهرها فيما يذكر السكابوس ، ولوحظ أيضا أن تغيير حركات الجسم في النوم أو استقبال مؤثرات خارجية ينطبع عنه مجموعات من الأحلام متنوعة .

وهذه التفسيرات المختلفة قد وجدت على مدى التاريخ ولكن أشهرها هو التفسير النفسى العقلى عند (فرويد) الذى بنى تفسيره للحلم على أساس أن (إلهى) مصدر الرغبات المسكوتومة يحاول أن يتلصق في النوم غيبية (الانا الأعلى) أوضمه ليحقق ما لا يستطيع أن يحققه في صهوة (الانا الأعلى) وهو يرى أن الحلم قد يتخذ صوراً رمزية في تعبيراته كلون من ألوان التحايل للوصول إلى أغراضه بطريق ملتو غير مشروع ، ولا نجزم أن هذا الاتجاه الفرويدى في رمزية الأحلام لم يكن موجوداً

سابقاً بل الأحرى أن يقال إنه كان موجوداً من قبله فالتعبير الرمزي عن الحلم كان موجوداً بصورة شهيرة عند المسلمين في قصة سيدنا (يوسف) الذى رأى في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم ساجدين له فكانت الكواكب رمز لإخوته والشمس والقمر رمزاً لأبويه وقد فهم أبوه الرمز وكان هو نفسه من أشهر المحللين للأحلام العارفين تأملوا يلاتها عند ما فسر حلم فرعون بالرمز أيضاً . فرمزية الحلم موجودة في الماضى مذكورة في الكتب المقدسة والامم السابقة وعند المسلمين . كما أن قسمة النفس إلى مناطق متعددة تختلف من الناحية الوظيفية معلومة عند (أفلاطون) و (أرسطو) و (ألكسندر الأفروديسى) ومن تابعهم ، وبحمل ما يقال إن السبق في الدراسة للأحلام والضرب في مختلف جوانب التفسيرات والتأويلات للحلم كان موجوداً منذ القديم . ومن الذين أسهموا برأى حول هذه الدراسة (الفارابى) المعلم الثانى والفيلسوف الإسلامى .

يقم (الفارابى) نظريته في الأحلام على أساسين : الأول هو نظريته القوى ، والثانى الواحدة في التعليل فهو يرى أن النفس الإنسانية

تنقسم إلى مجموعة من القوى الحاسة والمتخيلة والناطقة ، فالحاسة تنقل بواسطة وراصفها من الحس الخارجى إلى المتخيلة التى ينطبع عليها وسم المحسوسات وهى تقوم إلى جانب هذا العمل بواجبين آخرين ، وهما خدمة القوة الناطقة ، وإفاد القوة النزوعية فإذا حدث أن عادت القوة الحاسة والنزوعية الناطقة إلى كمالها الأول أى لا تفعل أفعالها وأصبحت ساكنة لا تؤثر كما يحدث لها فى أثناء النوم . إنفردت القوى المتخيلة بنفسها فارغة مما تجده الحواس عليها دائما من رسوم المحسوسات وتخلت عن خدمة القوة الناطقة والنزوعية فتعود إلى ما تجده عندها من رسوم المحسوسات محفوظة باقية فتتفعل فيها أفعالها فتحاكيها أو أن تحاكي المعقولات أو أن تحاكي القوة النزوعية أو ما يعرض على البدن من المزاج وهكذا يحدث الحلم .

المحاكاة لكل هذه القوى فهى بذلك منفعة وفاعلة ، ومتقبلة وقابلة لأن تحدث ألوانا من من التأثير وتبدى ضروبا من الإيجابية ويصور الفارابى هذه الفعالية للمتخيلة بعمليات ثلاث : التركيب والتفصيل الحفظ والمحاكاة فتحفظ بصور المحسوسات فى داخلها وتفصل بعضها عن بعض وتركب بعضها إلى بعض ثم لها فعل آخر وهو المحاكاة فإنها خاصة من بين سائر قوى النفس لها قدرة على محاكاة الأشياء المحسوسات التى تبقى محفوظة فيها . ولكن المحاكاة ليست نوعا واحدا وإنما هى أنواع متعددة وهى بالتحديد خمسة فأولها المحاكاة الجسمية ، وثانيها المحاكاة العقلية ، وثالثها المحاكاة الغازية ، ورابعها المحاكاة النزوعية ، وخامسها ما يصادف البدن من المزاج وهذا يستوفى الفارابى كل نظرية قيلت فى الحلم بعد ضيق أو توسع فى هذه الألوان الخمسة من المحاكاة .

ومن ناحية أخرى فإن الفارابى يرجع الحلم كله إلى قوة واحدة وهذا ما نسميه الواحدة فى التعليل أى أن علة الظاهرة كلها راجع إلى سبب واحد وهو عند الفارابى القوة المتخيلة التى تعتبر - على حسب نظريته - نقطة التقاء القوى جميعا فيلتقى فيها صور المحسوسات بمدايات الصور التى تنتقل إلى القوة العاقلة كما هى وافدة - بوصفها حافلة بالصور - للقوة النزوعية ، ومن ثم يكون لديها القدرة على

ونظرية المحاكاة هذه التى قال بها الفارابى ليست موجودة عند من تقدمه من الفلاسفة الإسلاميين ، فالكنندى يرى أن الرؤيا من حيث الأثر هى انطباع صور كل ما وقع عليه الفكر من ذى صورة فى النفس بالقوة المصورة لترك النفس استعمال الحواس ولزومها استعمال الفكر ، وأما المعتزلة فيرون فى الحلم آراء مختلفة فيرجعها بعضهم إلى الله ،

ومن ناحية أخرى فإن الفارابى يرجع الحلم كله إلى قوة واحدة وهذا ما نسميه الواحدة فى التعليل أى أن علة الظاهرة كلها راجع إلى سبب واحد وهو عند الفارابى القوة المتخيلة التى تعتبر - على حسب نظريته - نقطة التقاء القوى جميعا فيلتقى فيها صور المحسوسات بمدايات الصور التى تنتقل إلى القوة العاقلة كما هى وافدة - بوصفها حافلة بالصور - للقوة النزوعية ، ومن ثم يكون لديها القدرة على

الإسلامية لا يقبل مطلقاً التنبؤ بواسطة النوم، والسبب في مخالفة الكندي والفارابي لأرسطو هو نزعتهم الإسلامية وتأثرهما بالقرآن الكريم .

والحلم يحدث بتأثر الخيلة بما يحيط بها من خارج أو قوى جسدية أو داخلية فإذا كانت البيئة المحيطة بالنائم باردة أو يابسة تحول مزاج البدن إلى رطب أو حار فتحاكي الخيلة هذه الحالة فتتأثر بالنائم بالهيام والسباحة فيها إذا كان مزاج البدن رطباً ولكن هنا يشار سؤال لماذا لا تصير الخيلة رطبة أو حارة على حسب ما يحيط بالنائم ؟ يجيب الفارابي بأن الخيلة قوة مغيرة للحس بقوة الحس تقبل المحسوسات على ما هي عليه ، وأما الخيلة لا قبلها كما هي بل تحاكيها مثلها في ذلك كقوة النطق فإنها متى قبلت الرطوبة فإنها إنما تقبل ماهية الرطوبة بأن تعقلها ليست الرطوبة نفسها وكذلك الخيلة تقبل المحسوسات على حسب ما في جوهرها واستعدادها أن تقبل ذلك، ومن هنا تكون وظيفة الخيلة هي المحاكاة فقط لأنها وسط بين قوى الحس والنطق فهي تحاكي المحسوس ، وكذلك تحاكي المعقول بما يحاكيه من المحسوسات ، وهي كذلك بالقسمة لقوة النزوعية فهي تحاكيها في الغضب أو الشهوة أو الأفعال التي هي أفعالها على الجملة فتثير الأعضاء الخادمة لتقوم بنفس وظيفتها كما لو أثارها القوة النزوعية وهنا يمكن تعليل

ويذهب بعض آخر إلى أنها من فعل الطبايع ، ومنهم من يجمع بين هذين ويقول إنها على ثلاثة أنحاء : نحو يحذر الله به الإنسان في منامه من الشر ويرغبه في الخير ، ونحو من قبل الإنسان ، ثم نحو أخير من قبل حديث النفس والفكر ، ويقول النظام : إن الرؤيا خواطر مثل ما يخطر البصر ، وعلى هذا لا نجد عند من سبق الفارابي تحديداً لمصدر الحلم في قوى النفس وهم - نقصد الكندي والمعتزلة وحتى أرسطو وأفلاطون - عندما تواجههم مشكلة الإنباء بالمغيبات لا يقصرون الحلم على الفنتازيا ، كما يحلو للكندي تسمية الخيلة بل يشركون معها القوة الناطقة كما أن الكندي يرى أن الفنتازيا ، تصور الصور في كمالها ، ومن هنا يرى أن الصورة النومية أتقن وأحسن من الصور المحسوسة والفارابي يخالفهم في هاتين النقطتين : أعنى أنه يرجع الحلم بجميع صورته إلى الخيلة التي تقوم بوظيفة المحاكاة على النحو الذي بيناه سابقاً ومن هنا نصورها في الحقيقة محاكاة للحاسة والناطقة وليست كاملة تمام الكمال .

والآن : كيف يحدث الحلم ؟ هنا نجد توافقاً طبعياً بين كل من الكندي والفارابي وأرسطو إلا في نقطة واحدة ، وهي التنبؤ بالمستقبل فإن الكندي والفارابي يخالفان أرسطو لأن صاحب اللوفيوم - فيما يرى الدكتور إبراهيم مذكور - في كتابه الفلسفة

في الدراسات الحديثة لعلم النفس التي ترى أن الحلم تعبير عن الماضي لا عن المستقبل ، ومن ثمّة يزعمون كل صفة تنبؤية للحلم في المستقبل . بينما الدين الإسلامي - كما رأينا سابقا - يتحدث عن أحلام تنبؤية . وقد واجهت هذه الظاهرة - ولا نقول المشكلة - المفكرين الإسلاميين فاختلقت تعليلاتها لها حتى عصر الفارابي ، فالسكندى مثلا يرى أن النفس لكونها علامة يقظانة حية قد ترمز بالاشياء قبل كونها أو تنبئ بها بأعيانها فإذا كان الحى متبها لسكان القبول بالنقاء من الاعراض التي يفسد بها قبول قوى النفس وكانت النفس قوية على إظهار آثارها في آلة ذلك الحى ، أدت الاشياء أعيانها قبل كونها وعلى قدر حاله في التنبؤ كذلك يكون كثرة ما تؤدى الاشياء أعيانها . فهذه هى العلة في الرؤيا التي تقدم الإنباء بالشئ عينه قبل كونه.

فالسكندى يرجع الصفة كلها إلى النفس أما الفارابي فيصمم على أن الخيطة وحدها هى التي تقوم بهذا كله ويفسر العملية كلها على أساس أن العقل عندما يخرج من القوة إلى الفعل يوجد القوة الناطقة التي هى ضربان ضرب نظري وآخر عملي أما الجزء العملي فهو الذى يعقل الجزئيات الحاضرة والمستقبلية ، وأما النظرى فهو الذى يعقل المعقولات التي شأنها أن تعلم والتمخيطة بوصفها محاكية لكلا

كثير من الأفعال التي يقوم بها النائم فيحس من نفسه القدرة على القيام والحركة والنزوع إلى أفعال مختلفة كما لو حدثت بالحقيقة . وأما بالنسبة للقوة الناطقة فإن معقولاتها إما في نهاية الكمال أو ناقصة والاولى تحاكيها الخيطة بأفضل المحسوسات وأكملها مثل الاشياء الحسية المنظر والثانية بأحسن المحسوسات وأنقصها مثل الاشياء القبيحة المنظر .

هكذا تكون الخيطة معبرة عن الحاضر المحيط بالإنسان من جميع جوانبه من البيئة المؤثرة في الجسد وتقوم الخيطة بدور نشيط فعال فتركب بعض الصور إلى بعض أو تفصل بعضها عن بعض ، ويكون تعبيرها عن هذا كله إما بالمحاكاة أو الرمز أو اللفز أو الإبدال أو التشبيه ، وهى لا تقوم بهذا الفعل فقط في ساعة النوم بل وفي ساعة اليقظة أيضاً ومن هنا فالأحلام نوعان: أحلام يقظة وأحلام نوم.

ولكن يثار سؤال هام هنا وهو : كيف يكون الحلم تنبؤا بالمستقبل ؟ هنا تبدو طرافة الفلاسفة الإسلامية في موافقها من التوفيق بين الفلسفة والدين أو بمعنى أصح في السير في ركاب الدين وعدم التقليد الأعمى للفلسفة اليونانية : إن أرسطو الذى يبعد عن مذهبه التفسيرات الدينية والتعليلات القائمة على قوى خفية وأسرار غامضة لا يقبل التنبؤ بواسطة الحلم وهذا الاتجاه الأرسطى موجود

ملاحظة مع دقتها فلم يعزل الإنسان كظاهرة عن غيره من الجوانب الأخرى للحياة المؤثرة فيه . كما أنه لم يجعل الإنسان مادة لا تتعالى وتتسامى عن الحياة الأرضية بل نظر إليه على أساس أنه درجة في طريق التصاعد يمكن أن تسمى شيئاً فشيئاً وتتفاضل في سلم التدرج حتى تصبح نفسه شفافة وافية تتقبل ما تعطاء من ذى العزة والجلال أو واجب الوجود على حسب تعبير الفارابي . فتفسيره للحلم وتصوره له هو في الحقيقة مقدمة لنظريته في الوحي والنبوة ؟

فوزي عرفة

الضربين السابقين اللذين يتأثران بالفعل الفعال فإنها تأخذ من النظرية المعقولات ومن العملية الجزئيات المحسوسة ، والمحسوسة حاضرة أو مستقبلية ومن هنا ينطبع على المتخيلة ، بلا توسط رؤيات من الجزئيات بالمنامات والرؤيات الصادقة ، وأما ما ينطبع عليها من المعقولات فتحاكيها بالسكهايات على الأشياء الإلهية وهذا كله يحدث سواء في اليقظة - وهو قليل - أو في المنام - وهو كثير من حيث الجزئيات ولكنة قليل من حيث المعقولات - هذه هي نظرة الفارابي إلى الاحلام وهي نظرة نابعة من طوبىل تأمل في الإنسان وكثرة

(بقية المنشور على صفحة ٧٩٤)

وبعد : فقد كانت هذه هي الخطوط العامة لجريمة القتل في القرآن الكريم ، ما أولانا بدراستها والوقوف أمام كل نقطة فيها ، وما أوجبنا لاستخلاص مبادئ منها يتم على أساسها تطوير تشريعاتنا القانونية ، فالقرآن الكريم كتاب الله وحبله المتين ونوره المبين ، لا تزيف به الأهواء ولا تشعب معه الآراء ولا يشجع منه العلماء ... من حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم . « تنزيل من رب العالمين » .

د . عبد الناصر عوفى العطار

من الصابرين . فلما أصابنا وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وعن الشروع في القتل الذي خاب أثره ، يحدثنا القرآن الكريم كيف عزم الكفار على قتل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ثم ألقوه في النار ، وأمكن طاش سحهم فما أصابه ، وخاب فعلهم فأنقذه الله منهم . « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ، إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناه من الآخسرين . »

الرَّشِيدُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ

للدكتور عباس حامي إسماعيل

وكان للرشيديد سمير فكه هو ابن أبي مريم المدني ، سمعه مرة يقرأ في صلاته : د ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ، فقال لأدري والله ، وعندئذ ضحك الرشيديد في صلاته ثم التفت إليه كالغضب وقال : د في الصلاة أيضا إلباك والقرآن والدين ، ولك ماشئت بعدهما . وأحب الرشيديد الجماعات في صلواته ومعاملاته ، واقتضاء هذا أن يكون سخيا ، مخالفا جده الخليفة أبا جعفر المنصور ، الذي كان مقتررا متشددا في المحاسبة على الحبة والدانق وهو مقدار لا يزيد على سدس درهم ، فكان الرشيديد يتصدق كل يوم بألف درهم سوى العطايا ، ولذا امتلأ بلاطه بالفقهاء والأدباء والشعراء والفنانين . وسمع الرشيديد وعظ الواعظين ، وهو عند ذلك رقيق القلب ، سريع الدفعة من خشية الله . وعظه ابن السماك فقال : د اتق الله وحده ، لا شريك له واعلم أنك غدا بين يدي الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما : جنة أو نار . فبكي هارون الرشيديد حتى اخضلت لحيته . ودخل عليه ابن السماك مرة أخرى ، فبينما هو عنده إذ استسقى ماء ، فأتى بقلة من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشر بها

فلكم هو الخليفة العباسي هارون الرشيد ، الذي عمل لدنياه وآخرته ، فشيد القصور الفخمة ، والمساجد الجامعة ، والأسواق العامرة ، والجماعات النظيفة ، ودور العلم وعلى رأسها بيت الحكمة ، وأنفق على كل هذه المنشآت مما تجمع لديه من ثروة وغنى ، حتى غدت بغداد مركزا تجاريا وعلميا ، الأمر الذي جعل الرشيد يفكر في وصل البحرين الأحمر والمتوسط بقناة ، وحرص الطلاب والعلماء على زيارة معاهدها والاختذ عن علمائها .

وقدر للرشيديد أن يكون خليفة دينا ، محافظا على التكاليف الشرعية دون مراعاة ، حرصا منه على الثواب ، فكان يصلي في كل يوم مائة ركعة ، يخرج منها صافي النفس ، مخلصا في عبوديته لله وحده ، مستعينا به وحده سبحانه وتعالى ، فعمل على ألا يكون تابعا لأحد ، ورفض أن يتعالى عليه أحد ، بل حرص على الندية ، فلا يرضى إلا أن يعامله ملوك العالم معاملة الند للند ، ولذا خطب وده أمبراطور الصين ، وشارلمان ملك الفرنج ، وعند ما تعالى عليه أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية ، لقنه درسا قاسيا .

إلى قوة المجتمع وتماسكه ، الأمر الذى يساعد على هزيمة الروم .

وأما جهاده ، فإنه كان لا يترك الخروج مع جنده ، بل كان غالباً فى مقدمتهم يقودهم إلى المواضع المخوفة ، حتى لا يعتاد الراحة ، ولا يقعد الترف عن القيام بهذا الواجب ، حتى كان من ضمن مآثره أنه كان يغزو سنة ويهجم أخرى . وكان له قلنسوة مكتوب عليها غاز حاج ، لما لبسها قال أبو المعالى الكلابى : فمن يطلب لقاءك أو يرده

فبالحرمين أو أقصى الشغور
وقال مروان بن أبى حفصة :

وكل ملوك الروم أعطاه جزية

على الرغم قسرا عن يد وهو صاهر

لذلك كانت الخلافة لعهد فى أعلى درجات مهابتها واحترامها فى الداخل والخارج ، حتى استقامت له البلاد ، وهابه كل خارج واثار ، واعتز بقوته ، حتى أنه كان ينظر للسحابة مسرعة تشق أجواز الفضاء ، فيقول لها فى إباء وشتم :

« اذهبي حيث شئت فسيأتيني خراجك » .

وتيسر الجهاد للرشيد ، بعد أن انتهت الاضطرابات التى صحبت سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

وكانت هذه الاضطرابات قد شجعت امبراطور الروم على توسيع رقعة دولته ، على طول الحدود الشرقية فى آسيا الصغرى

قال له ابن السكك : « لو منعت هذه الشربة بكم كمنت تشربها ؟ » قال الرشيد : بنصف ملكي ، فلما شربها قال له : « لو منعت خروجها من بدنك بماذا كمنت تشربها ؟ » قال : بجميع ملكي ، قال ابن السكك : إن ملكاً قيضته شربة ماء لجدير ألا ينافس فيه . فبكى الرشيد .

وأما حجه ، فإنه كان لا يتخلف عنه ، إلا إذا كان مشغولاً بالغزو ، فهو فى كل عام بين غاز وحاج ، وقد أقام للناس حجهم تسع مرات فى سنى حكمه ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج عنه ثلثمائة رجل بالنفقة السابعة والعكسوة الباهرة ، وفى إحدى حجاته قصد هو وأولاده إلى الإمام مالك بن أنس ، فسمعوا منه كتاب الموطأ فى الحديث ، الذى مكث فى تهذيبه وتنقيحه أربعين سنة ، وآمن الرشيد بأن الحج مؤتمر كبير ، يتعارف فيه المسلمون ، ويتشاورون فيما يرفع من شأنهم ويعلى من كلمة دينهم ، ويؤاخى بينهم ، فيوحدون سياستهم ، ويرسمون الخطط لحماية بلادهم من أعدائهم ، فتبدو الوحدة الإسلامية التكبرى فى أبهى صورها ، وثبت لديه بالتجربة أن الحج تدريب على احتمال المشقة والصبر ، مما يفيد فى الجهاد ، والحج موسم ديبى عامر بالعبادة ، فيه تصفو النفس ، وتقبل على الله طامعة فى رحمته ورضوانه ، ووجد الرشيد فى الحج فرصة للتصدق والبذل ، مما يؤدى

لوقوعها بين المسلمين من جهة وبين شارلمان من جهة أخرى ، وكلتا الدولتين تناوئها العداء ، لأن الرشيد كان قد ذهب في حملة لغزو آسيا الصغرى ، ووصلت هذه الحملة إلى شواطئ البوسفور قبالة القسطنطينية نفسها ، وكان شارلمان يريد توسيع نفوذه وإعادة دولة الرومان إلى عظمتها التي كانت لها من قبل . ثم تأمر بعض الرومان على « إيريني » وخلصوها ، وولوا مكانها « نففور » ، فعقد معاهدة مع شارلمان ، تمهدت بمقتضاها تخوم الدولتين . ومن ناحية أخرى خطاب شارلمان ود الرشيد ، ليكون حاميا للمسيحيين في الشرق ، فيغدو أرفع درجة من نففور ، ولذا أرسل إلى الرشيد صفراء ، بغية تيسير سبل حج الفرنج إلى بيت المقدس ، ونشر التجارة بين البلدين ، وارتشاف العلوم من مناهلها في الشرق . وقد رحب الرشيد بالسفراء ، ليساعده شارلمان في القضاء على الدولة الأموية بالاندلس المذبذبة عن سيادة الدولة العباسية ، ولذا تبادلا الهدايا ، فأرسل الرشيد عدة هدايا تشير إلى ما كانت عليه الدولة العباسية من الرؤفة والتقدم ، ولا سيما الساعة المائية الدقاقة التي دهش لها الأوروبيون وحسبوا سحراً ، وهم بعض رجال شارلمان بكسرها لولا أن منهم . وبلغ من إعجاب شارلمان بالرشيد ، أن دعى في إصلاح قوانين دولته ، مثلبا فعل الرشيد .

وأرمينية ، وذلك على حساب أطراف الدولة العربية الإسلامية من ناحية سورية واقتضت طبيعة الأوضاع السياسية والحربية بين الدولة العباسية وبين الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية ، تحصين مناطق الحدود بينهما ، للحد من نشاط الإغارات التي كان يقوم بها كل من الفريقين على الآخر ، وكان خط الحدود يتكون من سلسلتي جبال طوروس ، بمعقلها وحصونها التي عرفت بالثغور ، وإمعاناً في الدفاع عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة في شمال العراق ، وجعلها حيزاً واحداً ، وسميت العواصم ، لأن المسلمين كانوا يعصمون بها ، فتعصمهم وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا عن غزوهم وخرجوا من الثغر ، وكان من هذه العواصم « رعبان » و « أنطاكية » و « طرسوس » ، فأتاح الرشيد للبرابطين الفرصة للجهاد ، حتى لا تمس عيونهم النار يوم القيامة ، بأن يحرس الواحد منهم في سبيل الله ، أو يراقب العدو ويرصد حركاته ، لا يضعف ولا يتهم ولو ضحى بنفسه .

كان يحكم الروم في ذلك الوقت « إيريني » وكانت في أوائل أمرها تنوب عن ابنها قسطنطين السادس ، ثم استبدت بالملك سنة ١٧٤ هـ (٧٩٠ م) فانفقت مع الرشيد على الصلح والمهادنة مقابل هدية تقوم بدفعها له ، وذلك لما رأته من إلحاح المسلمين عليها بالحرب . وعدم قدرتها على الدفاع ،

ملك تجرد للجهاد بنفسه
فعدوه أبدا به مقهور
نسخ الإمام على الأنام فريضة
ولا هلهلها كفارة وطهور
ولم يكذ نفقور يعلم باستعداد المسلمين
لمقاتلته ، حتى كر راجعا ، فقال أبو العتاهية :
ألا نادت هرقة بالخراب
من الملك الموفق بالصواب
أمير المؤمنين ظفرت فاعلم
وأبشر بالغنيمة والإياب
وبرغم أن الحروب لم تقف بين الطرفين ،
فقد حدث فداء بين المسلمين والروم ، فلم
يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به ، وهذا
أول فداء كان بين المسلمين والروم . فقال
مروان بن أبي حفصة يمدح الرشيد :
وفسكت بك الأسرى التي شيدت لها
محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعياء المسلمين فكأ كما
وقالوا سجون المشركين قبورها
وفي الصيف سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦) غزا
الرشيد الصائفة بنفسه ، ففتح هرقة وغيرها
من أمهات مدن الروم بآسيا الصغرى ، ولذا
بعث نفقور إليه بالجزية عن رأسه وولى
عهده وبطاركته ، وكتب مع بطريقين
في جارية من سبي هرقة كتابا جاء فيه :
« لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، من

أما نفقور ، فقد كتب إلى الرشيد : « من
نفقور ملك الروم إلى هارون ملك العرب .
أما بعد فإن المملكة التي كانت قبلى أقامتك
مقام الرخ ، وأقامت نفسها مكان البيدق ،
لحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل
أمثاله إليها ، لكن ذلك ضعف الفساد وحققن ،
فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من
أموالها ، وافتد نفسك مما يقع به المصادرة
لك ، وإلا فالسيف بيدنا وبيدك . فلما قرأ
الرشيد الكتاب استغزه الغضب ، واستعجم
الرأى على الوزير من أن يشير عليه أو يستعبد
برأيه دونه ، فدعا الرشيد بدواة ، وكتب على
ظهر الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم .
من هارون أمير المؤمنين إلى نفقور كلب
الروم قد قرأت كتابك ، والجواب ما تراه
دون أن تسمعه . والسلام ، ثم شخص الرشيد
من يومه ، وسار إلى هرقة ، ففتح وغنم ،
هندئذ طلب نفقور المودعة على جزية يؤديها
كل سنة فأجابه إلى ذلك . ولكن لما رجع
الرشيد من غزوته إلى الرقة ، نقض نفقور
العهد ، وكان البرد شديدا ، فلم يخبر أحد
الرشيد بذلك ، إشفاقا عليه وعلى أنفسهم من
السكر في مثل تلك الأيام . فقال الشاعر
أبو محمد عبد الله بن يوسف :

نقض الذى أعطيته نفقور
وعليه دائرة البوار تدور

بمثنى القرآن ، إذ امر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا امر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه .

قد وصلوا كلال ليلهم بسكالات نهارهم أنضاء عبادة ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستقلون لذلك في جنب الله ، موفون بعهده الله مستنجزون لوعده الله . إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ، ورماحه قد أشرعت ، وسيوفه قد انتضيت ، وبرقت المكتيبة ، ورعدت بصواهاق الموت استهانوا بوعيد المكتيبة لوعده الله ، فضى الشباب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد رملت محاسن وجهه بالدماء ، وغفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء . فكم من مقلة في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كف بانة هن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكم من خد هتيق ، وجبين رقيق قد فلق بعهده الجديد ، رحمة الله على تلك الأبدان ، أدخل أرواحها في الجنان . وشبابنا العربي جدير بهذه التوكية ، فكثير منهم يجمعون بين القوة والفتوة ، والزناة وسداد الرأي ، مما يجعلهم أقدر على الجهاد ، والنهوض بمجلائل الأعمال .

عباس ملهى - سماهبل

تقفور ملك الروم ، سلام عليك ، أما بعد ، أيها الملك ، إن لى إليك حاجة ، لا تضرك في دينك ولا دنياك ، هيئة يسيرة ، أن تهب لا بنى جارية من بنات أهل هرقله ، كنت قد خطبتها على ابنى ، فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت ، والسلام هليك ورحمة الله وبركاته . فأمر الرشيد بطلب الجارية ، فأحضرت وزينت ، وأجلست على سرير ، وسلمت الجارية إلى رسولى تقفور ، وبعث الرشيد إلى تقفور بما سأل من العطر والتمر والزبيب .

ولم تقتصر حروب الرشيد مع الروم على آسيا الصغرى بل تعدتها إلى البحر المتوسط ففي نفس السنة غزا العباسيون جزيرة قبرص وأسروا منها هندا كبيرا ، كان من بينهم أسقف الجزيرة .

وعلى الجمل ، فإن قوة المسلمين على عهد الرشيد كانت راجحة على قوة الروم ، لما كان يقوم به الرشيد بنفسه من الجهاد ، ومعه عطاء القواد العرب ، من سلالة العرب الأجداد الذين فرضوا أنفسهم بالجهاد على التاريخ فرضا ومن نوع الرجال العباد الشجعان الذين وصفهم أبو حمزة الشارى ، وهو من فرقة الشراة الذين شروا أنفسهم في طاعة الله فقال : « شباب والله مكتهلون ، عمية عن الشر أعينهم ، بطيشة عن الباطل أرجلهم ، قد نظر الله إليهم في آناه الليل مثنية أصلابهم

عالم عربي مُعاصِر يضع نظرية للسلام

للدكتور محمد رجب البتوي

تتألا جالا وحسنا لما يسطع عليها من نور الشمس ، وحجمها كبير يمتد ! الأرض تجري بسرعة في الفضاء كأنها قلة المدفع إن قلة المدفع تجري عشرة أميال في الدقيقة ، والأرض تجري قدرها مائة مرة حول الشمس لتتم حركتها السنوية ! لعمر ك ل قد هالني المنظر ! حركات الأرض الثلاث تدور حول نفسها كهيئة النحلة في لعبة الأطفال ، وهي بنفسها وهيئتها مندفعة تجري حول الشمس أسرع من القلة مائة مرة ، وهذا النجموع الشمسي مسخر مسكين كأنه أرض تجري حول كوكب مجهول ، أدهشني الأنوار ، وغطت على عقلي عجائب الحركات ، نظرت أسفل فإذا زحل تحيط به حلقاته الساطعة الجميلة وهو يجري حول الشمس كأرضنا ولقد تعجبت من الأنوار الساطعة البديعة البهية الدائرة حول المريخ . فهناك قران جميلان طالعان عجيب أمرهما وبهي نورهما ، ولما رأيت أقمار المشتري زاد تعجبي ، وما كنت أظن في العالم أقمارا غير قرنا ،

وتمضي الرحلة على هذا النسق البديع فحدث عن زحل وأورانوس ونبتون وأكثر

حين قام (جاجارين) رائد الفضاء الأول برحلته المثيرة ، أخذ يتحدث عما شاهد في الكواكب النازحة من غرائب وأعاجيب وقد طلعت بعض الصحف الإنجليزية على الناس ببعض أحاديثه مشفوعة بما تلقأ به الكتاب الشهير (هـ . جـ . ويلز) عن العوالم البعيدة ثم فسحت مجال المقارنة بين ما تخيله المكاتب الإنجليزية وما شاهده الرائد الروسي ، ومن الطريف أنها ذكرت في نهاية الموازنة أن عالما عربيا كبيرا هو الشيخ طنطاوي جـ . وهري قد رحل إلى الكواكب رحلة خيالية كرحلة هـ . جـ . ويلز ، وقد سجلها بدوره في كتابه العظيم أين الإنسان ؟ .

وقد غمرني شعور الفرح والزهو لتوفيق عالم إسلامي إلى إبراز حقائق طبيعية وفلكية تضارع ما سجله أعلام الفكر الحديث في الغرب ، وهرعت من فوري إلى كتاب أين الإنسان ، وأخذت أطلع روائعه المدهشة وأعجب لتساوق الأسلوب الأدبي مع الحقائق العلمية في نسق فني جميل ، وأستمع مأخوذا للكتاب حين يقول منذ نصف قرن أو تزيد . الأرض تجري أمامي جريا حثيثا ، وهي

أليس عالم الإنسان تابعا لهذا الجمال البديع ، وكيف يقولون ما لا يعلمون ، ويبطنون ما لا يظهرون ، وهل يعم العالم والنظام هذه العوالم البديعة ، ويدونا نتخبط ويقتل بعضنا بعضا ، ونحن في الحياة ظالمون معذوبون جاهلون ! .

ثم يطيل الكاتب المتعمق في مثل هذه الحقائق والأقيسة حتى تنفضى به إلى نتيجة محتومة هي صيانة نظام الكون واطراد سبل العدالة في جميع الكواكن ومن بينها الإنسان ! ذلك الكائن المتعبد الذي شذ عن طريقه فجلب على نفسه الدمار .

يا لله ! هذا كتاب علم وفلسفة وسياسة ، وهو جدير بما ناله من ذبوع في الشرق والغرب وإذا كانت بعض الأقلام العربية لا تهتدى إلى تقديره فإن المخلصين من عشاق الفكر الخالد في أوروبا قد عرفوا له مكانته وفسحوا مجال النقد والتقرير لحقائقه ، وفي طليعتهم العالم الطلياني « سانتيلانو » والبارون « كرادى ثو » الذى يقول في كتابه (مفكر الإسلام) بعد حديث طويل عن الشيخ : « وكتاب أين الإنسان . وضعه المؤلف بطريقة روائية فلسفية ، وهو في هذا يشابه الفارابى من حيث الفكرة ، وابن طفيل من حيث الأسلوب والمنهج فجمع بين دقة الفكر وجمال الأسلوب .

وغيرهما مما لا يحيط به غير المتخصصين من الأفاضل .

قرأت هذا في كتاب أين الإنسان وتمجبت لأنى أعلم أن هذا الكتاب الخالد ترجم إلى عدة لغات شرقية وغربية ، وقد تقدم به مؤلفه إلى جائزة نوبل للسلام أو لكفى قلت في نفسى إن الصفحات الأولى من الكتاب حديث بديع عن المشاهد الطبيعية والفلسفية في الكواكب البعيدة فكيف يخدم هذا الحديث قضية السلام حتى يتقدم به الفيلسوف للجائزة نوبل للسلام !! .

ولم يطل بى مدى السؤال فقد اهتديت إلى فلسفة الاستاذ حين ينظر إلى العالم نظرية واحدة ، فيرى أن نظام الكون يخضع إلى قانون عادل دقيق لا يشذ عنه كوكب من الكواكب والإنسان بعض هذا الكون فلا بد أن يخضع لمثل هذا القانون فلا ينحرف عن سننه العادلة إلى طريق جائزة تنفضى إلى الحروب والدمار ، والكاتب يوضح ذلك بجلاء إذ يقول في رحلته المثيرة « لم أركوكبا حاد عن كوكب ولا شمسا غادرت فلسكها ، ولم تختل حركة الأرض اليومية . ولا حركة المجموعة الشمسية ، إن هذا لعدل إن هذا هو الميزان !

مالى أرى أكابر الأمم وسراسمهم يقوضون معالم الإنسانية ! أليس النظام واحدا ؟ .

دما يسرى في هروقه وعصبا يمتد في رأسه ،
فأخذ يقلبها على شتى الوجوه ويدمها بما يزيد
رسوخها من الأدلة والبراهين . ورأى أن
ينشرها في أفق عالمي فسيح فكتب كتابه
« أحلام السياسة » باللغة الإنجليزية ، ونشره
في أوروبا ثم ترجمه في خريف حياته إلى اللغة
العربية ليستفيد منه من يأنس إلى النظر
الثاقب من صفوة قراء العرب - وقليل ما هم -
ونحن بعد قراءة أحلام السياسة وموازنته
بأين الإنسان نجد الروح الطنطاوى واحدا
لا يختلف وإن كنا نلحس من البراهين والحجج
السكرانية كل طريف جديد .

لقد نظر الاستاذ إلى أبعاد الكواكب
السيارة عن الشمس فوجدها جارية على سنن
هندسية مضبوطة محددة فهي كما كشفها
العلامة يود .

٣ - ٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨ - ٩٦ وهكذا .

فالنسبة بين هذه الأعداد لا تشذ فكل عدد
يسلم إلى ضعفه دون زيادة أو نقصان ثم نظر
إلى أشكال المادة وتنوعها فوجد الأحجار
الساقطة تتبع نظاما حسابيا يرجع إلى الجذر
والتربيع والمتواليات العددية ، ثم يجد هذا
الجذر مسيطرا على حساب البنادل وحركات
الضوء والصوت والحرارة والكهرباء بنظام
لا يشذ بزيادة ونقصان كما وجد العناصر
المشورة المبدوءة بالأيديروجين المختومة

والاستاذ في منجاء يذكرنا بأساليب لمائنا
وأدبائنا في أوروبا مثل « توماس موروس ،
و « كامبانيا ، ومعاصريها « هانيرينز ،
ثم عرج « كرادى فو ، على وصف الاستاذ
للجمعية الإنسانية بما لا يشرفها ، وأنه يتمنى
أن تكون الدول جميعها مؤسسة على الحب
العام وتبادل المنافع ، ثم وازن بين فكرة
الاستاذ طنطاوى وفكرة دارون الإنكليزى
ونيقشه الالماني ومى لإبادة الضعفاء وغلبة
الأقوياء وقال ما نصه : فمثل هذا الكتاب
المملوء بحكمة وعلمها ، الغزير المادة ، السامى
الفكرة ، الناتج عن تفكير عميق ، وبحث
يقل نظيره ، يدعو دعوة حارة إلى سعادة الأمم
أجمعين ويدعو أيضا بالحناسة الشديدة إلى
التجديد العام ، وهو مفخرة لمصر والإسلام ،
يأليت قومي يعلمون ! يفتى الهيخ طنطاوى
في الأمة العربية ويذكره أعلام الغرب مقارنا
بالفارابى وابن طفيل ونيقشه وداروين
وموروس ! وهكذا نظل غافلين عن أفذاذنا
حتى يقدمهم إلينا غيرنا من مكان بعيد !
أ يكون العود العاطر في أرضه نوعا من الخطب
كما يقال ! على أن الدعوة إلى السلام العالمى
لم تكن مجرد فكرة قوية لدى الاستاذ سيطرت
عليه بالحاحا زمننا ما فسجلها في كتاب
« أين الإنسان ، وفرغ منها لغيرها كما يفعل
كبار الكتاب ، بل كانت هذه الدعوة العظيمة

وفي غيرها ، ولما خفي ذلك على الناس حاروا في أمرهم فلم يجدوا مناصاً من الحرب ، لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم ، فكل يزعم أن له عند الآخر حقاً يريد أخذه بالقوة .

وتمضى أحلام السياسة في هذا النسق فتعرض صفحات مثيرة عن نظام الحشرات والجوارح والضواير وبمالك النحل والنمل والحوام ، وتحدث عن المعادن والاحجار بما يؤيد قضية السلام في منطق جرى .

ولم يكذب يظهر هذا الكتاب في أوربا حتى قام له المفكرون وقعدوا ، وتحدث عنه العلامة الشهير « مارغيلوس » بمجلة الجمعية الاسيوية الملكية فيمن تحدثوا من مشاهير النقاد وقد وزن موازنة دقيقة بين الفيلسوف « كانت الألماني » والاستاذ طنطاوى جوهرى المصرى فقال : « إن عنوان هذا الكتاب يذكرنا بكتابين نشرهما العلامة كانت الألماني في السلام العام ، فإنه وإن كان عالماً بالرياضة والفلك ، لم يستعملهما في السلام العام أما الشيخ طنطاوى جوهرى فإنه أدخل فيه هذين العليين ، وأضاف إليهما علم النبات والكيمياء والتشريح وعلم النفس ، فهذه العلوم كلها قد جعلها المؤلف وسيلة توصل إلى حل مشكلة السلام العام . »

أما العلامة كريستان جوب فقد حضر من لكسمبرج إلى مصر سنة ١٩٣٨ ليلقى العالم الفيلسوف الشيخ طنطاوى جوهرى وقد

بالأورانيوم تقبّع جدولاً يضم متفرقاتها ويجعل بينها نسباً أفقية وأخرى رأسية بحيث لو وضع في غير موضعه لاختل النظام ؟

ونابع النظر في عشرات الأشياء حتى وصل إلى هذه النتيجة التي لخصها في آخر مقال نشره في حياته بمجلة الرسالة ٢٠/٣/١٩٣٩ فقال مستنداً إلى (أحلام السياسة) .

« كيف يكون لهذه العوالم هذا الجدول المنظم وتكون بينها هذه النسب البديعة ، ولا يكون للإنسان هذا النظام ! كلا ، العقل ينكر هذا ! ها هنا تحل مشكلة العالم ، ها هنا عرفنا سبب النزاع المقام بين الأسرات والممالك ، ها هنا عرفت سبب الجبال في الحقول والسموات ليلاً ونهاراً فأما أسباب الشقاء والنزاع بين الإنسان فالبحت جار فيه . »

وكما رأينا نظام العناصر المختلفة في جدولها تماماً رأينا لأوراق النبات على الأشجار المختلفة جداول منظمة ذوات نسب في الصفوف الرأسية والأفقية ، فهل في سرعة الإنصاف أن نعتبر أفراد الإنسان في هذا العالم كمية مهمة لا نظام يجمعهم ولا قانون يكبحهم ، وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الايدروجين مع ذرات الصوديوم ، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب ، ولا حركات سقوط الاحجار : كلا كلا ، إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية ، وكل امرئ في الأرض له نسب إلى غيره في أمته

وقد أثرت هذه الدسائس ثمرها المرير ،
 فخورب الرجل في وظيفته رداً ما وانتقل
 من التدريس الجامعي إلى التدريس الثانوي
 وترك القاهرة إلى العواصم النائية ، وحوصرت
 داره مرات ، وصودرت مسوداته
 ومخطوطاته ، واسكن الليل لم يمنه به فقد أشرق
 عليه الصباح فواصل الكفاح في استبسال .
 وقد كان السرور النفسي يغمره حين يحه
 التقدير الصائب من ذوى الإنصاف ، ويهون
 عليه ما يكابد من غصص الحاقدين ومكابد
 الجاهلين ، فهو يعرف لنفسه قدرها ويقرأ ما يكتبه
 أعلام الفسك في أوروبا عنه فيشعر بالارتياح .
 لقد كانت الصحف الغربية تقرنه بالاستاذ
 الإمام محمد عبده إذا تعرضت لبعض مؤلفاته
 بالثقة والتحليل ، ويوازن الدكتور (هارتمان)
 بين المصلحين الكبارين فيجد هما يعملان على
 التوفيق بين المدنية الغربية والعلم الغربي وبين
 الحياة الاجتماعية والدينية في مصر ، ويقول
 إن الشيخ الطنطاوى كان يردد تعاليم الاستاذ
 الإمام مثل قوله : « إن الإسلام دين العقل
 لا دين التقليد » ، وأن العلم إذا أحسن فهمه
 يصبح أداة صالحة لفهم الدين ، ومثل مناهضته
 للبالغاة في تقديس الأولياء ومثل قوله « إن
 الاختصار على مذهب واحد من مذاهب الفقه
 سبب الجمود والتأخر في الإسلام وأن الاجتهاد
 هو خير حل لجميع العلل » .

د : محمد رجب البيومي

تقلت جريدة المقطم حديثاً عنه بتاريخ ٨
 يناير سنة ١٩٣٨ يملن فيه د أنه حضر إلى
 مصر هذه المرة مخصوصاً للتشرف بمعرفة
 شخصياً بعد ما عرفه عن بعد ، وترجم كتابيه
 « أحلام السياسة » ، و « أين الإنسان » ، ولم
 يكتب بهذا الحديث الصحفي بل ألقى محاضرة
 في جمعية الشبان المسلمين كلها شرح مستفيض
 لابتكارات الاستاذ وتفكيره الهادف الاصيل .
 هذا قليل من كثير مما يقال عن الفيلسوف
 خارج بلاده ، أما داخلها فلم تتقبل جميع
 الأذهان أهدافه الإصلاحية ، ومراميه
 العلمية ، فأعجب قوم بآثامه ، واقتنوا أبحامه
 وأمرعوا إلى دروسه ومحاضراته ، وناوآه
 آخرون وصاولوه ، وانتقلوا من الجدل العلمي
 إلى الوقعة السياسية حتى اضطر إلى أن يردد
 الشكوى المريرة من هؤلاء وأن يقول
 في أحد مؤلفاته .

(إلهك اللهم أشكو جور الحساد وغيظهم ،
 يقولون إذا خلوا مع الموظفين من أمة
 الإنجليز ، إن هذا إلا متعصب للدين فإذا
 تركتموه وشأه أثار الثائرات ، وشن الغارات ،
 ويقولون للموظفين المصريين : ألا إنما هو
 خارج مؤول في الدين ، وإذا لقوا فريقاً آخر
 قالوا إنه خلط العلم مع الدين ، ومن جهما معا
 خبط ضائع ، اللهم إني سأعمل بما قلت لنبيك
 صلى الله عليه وسلم ، فأصدع بما تؤمر وأعرض
 عن المشركين ، إنا كفييناك المستهزئين) .

معركة بين الكسائي وسيبويه

لدأستاذ محمد علي الطمعي

الكسائي : ولقد عييت ، بضم العين وتشديد الياء الأولى ، فغضب صديقه كل الغضب ، وأظهر امتعاضا وألما وقال له :

أتجالسني وأنت تلحن ... ؟

قال الكسائي

كيف لحنت ... ؟

قال الشيخ الصديق :

إن كنت أردت من كلامك انقطاع الحيلة والتحير في الأمر ، فقل عييت ، مخففا ، وإن كنت أردت من التعب فقل أعييت ، بسكون العين وفتح الياء الأولى ...

سمع الكسائي هذا التصحيح المفاجيء من صديقه النحوي ، فتميز غيظا ، وأدرك أنه جاهل تماما بمخابر الألفاظ وصحة التعابير ، فاهترته حمرة الخجل وصفرة الوجل ، وفي ساعتها قام مستأذنا ، وسأل عن أشهر علماء النحو ، فدلوه عن (معاذ الهرام) ، فأزعم السفر إليه ولزمه سنين عددا ، يرأسف من علمه وينهل من مورده حتى قارب على النضج والاستواء ...

نشبت هذه المعركة الضارية من غير أن تدق فيها طبول الحرب الرهيبة ، ومن غير قائد يعي الكتائب ويأمر بحمل السلاح .. ومع ذلك كان نشوبها من المذاق ، صعب المراس ، احتدم بين قرمين استعذبا القتال وفارسين تشوقت قلوبهما إلى ملحمة لم يسمع بمثلها في تاريخ الحروب ، ثم تمتحضت عن شهيد وقع قتيلًا في هذه الموقعة ، دون أن يحسه القاتل بضربة من خنجر أو طعنة برح أو لكمة بيد ، وتقول الروايات ، إن هذا الاشتباك الغير المسلح من قصر الخليفة هراء ، وأقلق بال الجماهير الشعبية ، ووقف له البرامكة حيارى مدهوشين ... وتبدأ فصول المعركة برجل مجهول الشخصية حامل الذكر ، يد الكسائي ، كل معلوماته ومؤهلاته أنه يحسن القراءة والكتابة ، وله صلة قوية وصداقة متينة بشيخ من علماء النحو واللغة ، كان يتردد على مجلسه كثيرا ، لياخذ منه شيئا من المعرفة ويتزود ببعض العلوم ...

وفي يوم انتابت الكسائي وعكة خفيفة ، فتجامل على نفسه وذهب لزيارة صديقه النحوي كالعتاد ، فسأله عما أصابه ، فقال

حتى بلغ قصة الذئب ، فقال ، فأكله الذئب ، من غير همزة ، فنظر إليه التلاميذ نظرة نيكراء ، وقال له حمزة مصححا ، فأكله الذئب ، بالهمزة ، فقال الكسائي وكذلك أهمز الحوت في قوله تعالى ، فالتقمه الحوت ، قال حمزة لا .. قال الكسائي ، ولم همزت الذئب ولم تهمز الحوت ؟

عندئذ تكلم ب الجو وتعلم حمزة ، وارتعشت أصابع يديه ، فأشار إلى خلاد أنبغ تلاميذه لكي يرد على الكسائي ، لكن خلادا انعقد لسانه - وأصابه اضطراب ، وقال للكسائي أفدنا أفادك الله .

قال الكسائي متطاولا .. السبب في هذا هين وبسيط ، لأنك إذا نسبت الرجل إلى الذئب تقول ، استذاب الرجل بالهمزة ، ولو قلت استذاب الرجل من غير همزة ، لكانت نسبته إلى الهزال ، تقول استذاب الرجل من غير همزة ، أي ذهب شحمه ، وإذا نسبتبه إلى الحوت تقول استباح الرجل ... أي كثر أكله ، لأن الحوت يأكل كثيرا ولا يجوز فيه الهمز .. ولا يخفى أن الذئب لا تسقط الهمزة من مفردة كما لا تسقط في جمعه وأنشد قائلا .

أيها الذئب وابنه وأبوه

أنت عندي من أذؤب ضاربات
انتهى الكسائي من رده الذي جاء محكا ،

لم يكتف الكسائي بهذا القدر العظيم الذي ناله من اللغة العربية ، فأم البصرة ، وفيها رأى الخليل وما يتمتع به من شهرة واسعة وفضل كبير ، فسأله في لهفة ، من أين لك هذا ؟ فأجابه الخليل من نجد وتهامة وبوادي الحجاز ، فشد الكسائي رحله إلى تلك البقاع الناضرة ، وفيها تتلذذ على الشيوخ ، وتعمق في أسرار اللغة وشواردها إلى أن أصبح نابغة ... ومن الأساطين الذين يقيمون الحجة تلو الحجة ، والدليل مع الدليل ...

غادر الكسائي أرض الحجاز عالما متعمقا وعبقريا ملهما ، وفي الكوفة ألقى عصا القسيار فرآها صاخبة بأرلى الفضل ، مزدحمة بمعاهد التعليم ، وعندها استعداد لبروز شخصيته ، وذيع صيته ، لكن لا سبيل إلى ذلك إلا إذا صال وجال ، ونظر أولئك المتصدرين على فلل المعاني والبيان ...

وتحين الكسائي أول فرصة مواتية ، فدخل مسجد البيع ، مع آذان الفجر ، حيث صلى مع المصلين ، وعلى بعد أمتار منه وجد حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة المشهورين ، وجده جالسا على كرسي ، وحوله عديد من تلاميذه ، جاءوا ليقرأوا عليه القرآن الكريم ، ويأخذوا عنه روايته المعروفة ، فكان الكسائي أول من اندفع إليه وبدأ يقرأ عليه من أول سورة يوسف

فتطلعت إليه أنظار الطلاب في إعجاب مشير ودهشة بالغة ، وأخذت تتصفح أسارير وجهه الذي أشرق بهذا الانتصار العظيم .

لم يقتنع الكسائي بهذا المجد المؤثر الذي حققه ، فتأق إلى شهرة أوسع تروى طموحه العجيب ، فرحل إلى بغداد عاصمة الخلافة فوصلها حديثا ، وفي أشهر معدودات أصبح يجالس الخليفة الرشيد ، ويحظى بمقابلاته وإنعاماته حتى أثار حفيظة د أبو يوسف القاضي ، الذي كان يتحامل على الكسائي ، ويتغامز عليه ، كلما وجد إلى ذلك سبيلا الأمر الذي غاظ الكسائي ، وجعله يأخذ حذره ، ويستعد لمعركة فاصلة ، تطيح بهذا القاضي الثرثار .

وفي يوم أخذ أبو يوسف يذم النحو والنحويين أمام الكسائي ، وكان الخليفة الرشيد جالسا ، فقال له الكسائي . ما تقول في رجل قال لرجل . د أنا قاتل غلامك ، بالتقوين والنصب ، وقال له آخر د أنا قاتل غلامك ، بالإضافة ؟ أيهما تأخذ به وتوقع عليه الجزاء ؟ قال أبو يوسف د آخذ بهما جميعا ، فقال الرشيد - وكان ضليعا في اللغة - أخطأت ، فنجل أبو يوسف وقال كيف ذلك ، وهندئذ تصدى الكسائي قائلا . إن الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال د أنا قاتل غلامك بالإضافة ، لأنه فعل ماض ، أما الذي

قال د أنا قاتل غلامك ، بالتقوين والنصب فلا يؤخذ بشيء . - لأنه كلام للمستقبل لم يحدث بعد ، قال الله تعالى د ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ، فلو لا أن التقوين للمستقبل لما جاز فيه د غدا ، بالنصب .

بهذا الموقف الصامد استطاع الكسائي أن يحتل مكانة مرموقة في بغداد - واستطاع أن يرد على هجوم العلماء ، ويذيق بعضهم البأس والخوف ومرارة الهزيمة فأجمعوا أمرهم ودبروا له مكيدة ، واتفقوا فيما بينهم أن ينظروه منظره ساخنة ترهبه وترهبه وتكدر قلبه النشوان ، وبذلك يرسل من قصر الخلافة ، لكن من الذي ينظره ويتحداه ؟ ومن الذي يقف أمامه وجها لوجه وهو فارس عنيد لا يشق له غبار ؟ من ؟ إنه سيديويه شيخ أئمة النجاة ومؤدب أولاد الخليفة ، ويملك الدين بالقوى والدنيا بالمال ، وله في القصر أمر وهى وجاه ، ولا يرد له كلام .

طارت أنباء هذه الخطوة المرسومة في مدينة بغداد حتى قرعت أذن الكسائي نفسه - فهلل وكبر - وقال جاء الفرج من عند الله ، ثم رمق أنصار سيديويه بنظرة احتقار ، ورامهم بالجهل والنزق ، واتهمهم مع شيخهم بالسطحية . . وقال عنهم لأنهم قوم لا يعلمون .

وسيق الأمراء والوزراء والعلماء والجاهير

مع رجل لا هو في المير ولا في النغير .
وبالأمس لم يكن شيئا مذكورا ، ففعلت عليه
العلة يوما بعد يوم ، فحمله أنصاره ومريده
إلى مسقط رأسه بمدينة البيضاء ، من أعمال
الفرس ، حيث وافته منيته ، وهو في ريعان
الشباب وعمر الزهور .

ومن يومها تبوأ الكسائي عرش النحو
والأدب ، وأصبح محفوا بالهبة والوقار ،
لا يجروء عالم على مناظرته . ولا أستاذ على
منازلته . قال الفراء : أعجبتني نفسي فأنتيت
الكسائي لأنظره مناظرة الأكفاء فكأنني
كنت طائرا يغترف من البحر بمنقاره .

لفت هذا النبوغ أنظار البرامكة فاتخذوه
سميرا ، واستطاع هؤلاء أن يفتحوا له قصر
الخلافة على مصراعيه ، فأصبح الكسائي
خليل الرشيد ومستشاره ومؤدب أولاده ،
وأستاذهم الذي يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

مرت الليالي سراعا والأيام تباعا ،
والكسائي تتضاعف انتصاراته ، وتبرز
مواهبه ، وفي كل يوم يزحف إلى الأمام قدما
ويحقق آمالا عظيما ، وأحلاما كبرى حتى
إذا استوى على شطئه ، جاءت سكرة الموت
بالحق سنة ١٨٩ هـ ، وهو في صحبة الرشيد
بمدينة الري ، فزن عليه كل الحزن ، ونعاه
بلسانه ، وبكاه من عينه وقلبه .

محمد علي الطاهر

الشعبية الماهرة إلى قصر من قصور البرامكة
الفسيحة ، ليشهدوا مناظرة وجت الأرض
رجا ، وجاءها البدو والحضر من كل فج
عميق ، وتلاهم المحكمون العدول ، وذرو الرأي
والحجا وأفذاذ البلغاء .

جلس الكسائي هادئا رزينا ومهاجما ...
وبكل بساطة ، قال لسيديويه ، ما تقول في قول
العرب : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة
من الزنبور ، فإذا هو هي أو فإذا هو إياها ؟
قال سيديويه : أقول فإذا هو هي ، ولا يجوز
إياها بالنصب . قال الكسائي : أخطأت
لأن العرب ترفع ذلك وتنصبه ، لكن سيديويه
أصر على رأيه ، وصمم الكسائي على ورود
الوجهين . إلا أن المحكمين شهدوا بأن القول
ما قاله الكسائي ، وأن الحق في جانبه ،
فصفقت له الجموع المحشودة ودوت حناجرها
بالمهتاف ...

أين سيديويه داهية النحو وعملق البيان ؟
أين هذا الشيخ المتفتح عبقرية وذكاء والذي
طالما دوخ العلماء وأطاح بزعماء النحويين ؟
لقد أصيب بخيبة أمل كبرى : فقاها دوار
شديد جهله يخرج من قصر البرامكة لاعتنا
المحكمين والمتفرجين ، والكسائي اللاحق
الجهول ...

والحق يقال ... إن سيديويه عز عليه أن
يزم على رموس الأشهاد . وعز عليه أن
تخف موازينه في ساحة الوزراء الضاربة ،

مكتبات من الدنيا ٢- مكتبة الأمويين في قرطبة لأستاذ محمد جبر أبو سعد

في القرن الرابع الهجري حتى يمكننا تكوين فكرة عامة وصحيحة عن هذه المكتبة ، وستكون هذه الفكرة مرجعنا فيما بعد في تسجيل حقيقة تاريخية علمية هامة هي التي ستكون موضوعا للمقال الرابع والآخر في هذه السلسلة إن شاء الله ...

والآن إلى مكتبة قرطبة الخالدة :

في منتصف القرن الرابع الهجري تولى الحكم في الأندلس خليفة أفاضت المصادر التاريخية في الحديث عنه وعن حبه للعلم وشغفه بجمع الكتب وتزيين مجلداته بأكابر العلماء والأدباء وبذله في سبيل ذلك المال الجم الكثير . ذلكم هو الخليفة الأموي الأندلسي الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)

وهو المعروف في تاريخ الأندلس بالحكم الثاني . وكانت فترة حكمه - على قصرها - خيراً وبركة على العلم والعلماء في قرطبة والأندلس جميعاً حيث تميزت هذه الفترة بنشاط علمي ثقافي متعدد الجوانب ...

في المقال السابق تحدثت عن المكتبة العباسية في بغداد ، وأوضحت أن الرغبة في نشر العلوم وجمع الكتب قد تمكنت من بعض خلفاء بني العباس وأن الخليفة المأمون قد تفوق عليهم جميعاً في هذا المضمار ، مما كان من نتائجه المباشرة تأسيس وازدهار أول وأشهر مكتبة إسلامية في الشرق الإسلامي في بغداد .

وفي هذا المقال فإنني أدعو القارئ إلى رحلة سريعة نلتقي فيها عصا التسيار في الأندلس حيث المدينة الخالدة قرطبة ، عاصمة الجناح الغربي من العالم الإسلامي لفترة مديدة من تاريخ الإسلام شهدت فيها مجدا عظيماً ، وعاصرت حضارة عملاقة كان ولا شك جزءاً لا ينفك من كل أعظم وأكبر هو المجد الإسلامي والحضارة الإسلامية .

وستكون مهمتنا في هذه الرحلة السريعة التنقيب عن واحد من أهم معالم الحضارة الإسلامية . في الأندلس ، ذلكم هو مكتبة بني أمية في قرطبة ، وسوف يقتضينا هذا أن نحارل استعادة جانب من تاريخ الأندلس

وخلاصة الأمر أن الحكم الثاني قدورث
عن أبيه ملكا ثابت الأركان مستقر الدعائم
تزخر خزائنه بما فيها من أموال لا تقف
تحت حصر . وفي هذا الوضع المستقر وجد
المناخ الملائم لقيام النهضة العلمية التي كانت
شخصية الحكم من أقوى بواعثها .

روى القاضي صاهد الأندلسي أنه اشتهر
د بفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب
الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة
من الملوك فكثير تحرك الناس في زمانه
إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم^(١) .

ويقول ابن حزم الأندلسي : د وكان
(أى الحكم) رفيقا بالرعية محبا للعلم ،
ملا الأندلس بجميع كتب العلوم ...
وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت إليها
بضائعه من كل قطر ، (٢) .

وهبارة ابن خلدون عنه أكثر إيضاحا
وتفصيلا ، يقول : د وكان يبعث في
شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ،

ومن المهم أن نشير إلى وضع الأندلس
حين تولى الحكم الثاني مقاليد الأمور فيها ؛
فقد كان هذا الوضع - بصفة أساسية - هو
الذي ساعد الحكم على إشباع رغبته ونشر
هوايته العلمية بين وعيته ، لقد تولى الحكم
زام السلطة عقب وفاة أبيه عبدالرحمن الناصر
الذي استمر حكمه مدة خمسين عاما كاملة
من بداية القرن الرابع الهجري حتى منتصفه ،
أنفق هذه السنين الطوال في بناء صرح
الاستقلال وتوكيد دعائم الاستقرار للمملكة
العريضة حتى أصبحت شخصيته وشخصية
الأندلس موضع اعتبار وإجلال في المحيط
الدولي ، وأضحت قرطبة عاصمة عالمية تحظى
باهتمام خاص من مختلف الدول ، وتستقبل
كثيرا من وفود هذه الدول وسفرائها الذين
يرغبون في خلق صلة وثيقة بينهم وبين
الحلافة الإسلامية في الأندلس^(١)

(١) كان عبدالرحمن الناصر ٣٠٠-٣٥٠ هـ
أول من سمي نفسه بأمير المؤمنين عندما
أصبحت الخلافة العباسية ضعيفة واستبد
الأتراك بالأمر دون الخلفاء ، وكان ذروة
ذلك أيام المقتدر بالله الذي قتل بيد مؤنس
المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة
من الهجرة ... انظرة المعجب لعبد الواحد
المراكشي تحقيق محمد سعيد العريان ص ٥٤ =

= ونفع الطيب المقرئ تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ج ١ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .
(١) طبقات الأمم - ط مطبعة التقدم
ص ٨٨ .

(٢) جمهرة أنساب العرب تحقيق لبني
بروفسسال ط دار المعارف ص ٩٢ .

ولما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وذلك في أيام أبيه إلى العناية بالعلوم وإلى إيواء أهلها ، واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة، (١)

على أن السمة عشر عاما التي قضاها الحكم على رأس الدولة الأموية بالاندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ كانت تمثل العصر الذهبي لمكتبة قرطبة ، ونجد مصداق ذلك في عديد من أقوال المؤرخين المتقدمين ؛ فيروى عبد الواحد المراكشي والعلامة ابن خلدون وغيرهما أن هذا الخليفة العالم قد جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الخط والإجادة في التجليد فأوعى من ذلك كله ، واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده (٢) .

ولم يكن هذا الجهاز النحصر لتزويد مكتبة قرطبة بكل جديد في عالم التأليف بالاندلس هو وحده الذي يعتمد عليه الحكم في إثراء

ويرسل إليهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها إلى الاندلس ما لم يعهدوه ، وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني ، وكان نسبه في بني أمية ، وأرسل إليه بألف دينار من الذهب العيين ، فبعث إليه بفسخة منه قبل أن يخرج به بالعراق ، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأحمري المالكي في شرحه لمختصر ابن هبيل الحكم وأمثال ذلك (١) .

وغير هؤلاء كثيرون تحدثوا عن الناحية العلمية في شخصية الحكم الثاني ، وخلصه أقوالهم أنه لا تساع أفاقه العلمي ودقة نظره وعظيم استفادته من قراءته وصحبته للعلماء وغشيانه مجالس الدرس والبحث كان بفضل جمع الكتب واستجلاب المصنفات من البلاد الأخرى على لئلاذ الملوك وشهواتهم حتى أصبح أحد أجنحة القصر الملكي في قرطبة غاصا بمئات الألوف من الأسفار والمجلدات المختلفة الفنون ، وكان هذا الجناح هو ما يعرف في التاريخ باسم مكتبة قرطبة الأموية ...

ويفهم من الذصوص الواردة بالمصادر التاريخية التي تناولت هذه المكتبة أنها قد أسست في عهد عبد الرحمن الناصر أي في حوالي العقد الرابع من القرن الرابع الهجري وبإذن منه ، ولكن على يد الحكم الثاني وبجهوده هو . يروى صاعد الاندلسي أنه

(١) طبقات الامم ص ٨٨ .

(٢) أنظر المعجب للمراكشي ص ٦٢ ،

والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١٤٦ .

(١) العبر لابن خلدون ط بولاق ١٤٦/٤

بالاندلس وكانت من أجل خزائن السكتب أيضاً ... (١).

فإذا تحدثنا بلغة الأرقام عن محتويات هذه المكتبة العريقة، فإن هذه الأرقام تقول: «لأنها كانت أربعمائة ألف مجلد، (٢) بل وصل بها أحدهم إلى أكثر من ذلك فقال: «وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثامن بقرطبة ستائة ألف كتاب، (٣).

وإذا انضح الاختلاف بين هذين الرقنين الكبيرين في تحديد أعداد السكتب التي ضمنها مكتبة قرطبة فإننا برغم ذلك نخرج بحقيقة ثابتة هي أن هذه المكتبة كانت من الضخامة والاتساع بحيث تستطيع منافسة كبريات المسكاتب في زماننا هذا ١.

ومكتبة على هذه الدرجة من الضخامة والعظمة لابد أنها كانت تسير على نظام معين يجعل الاستفادة من كنوزها سهلة ميسورة،

مكتبته وزيادة محتوياتها، بل إنه أرسل سفراءه من العلماء وبعث بهم إلى كل قطر لإحضار كل ما هو ثمين من السكتب، وقدم من أجل ذلك المال الوفير وهو أكثر ما يكون رضا وغبطة.

تحدث المؤرخون عنه فقالوا: «وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي باذلاً فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه، وكان ذا غرام بها، قد أثر ذلك على لذات الملوك، فاستوسع عليه، ودق نظره، وجت استفادته» (١).

وقالوا: «وكان الحكم يبعث في شراء السكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويرسل إليهم الأموال لشراؤها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعده» (٢).

ونتيجة لهذه الجهود الصادقة التي بذلها الحكم فإنه قد تكونت في قرطبة مكتبة كبرى اعتبرها القلقشندي إحدى مكتبات ثلاث تفوقت على غيرها من المكتبات الإسلامية في العصور الوسطى يقول في صبح الأعشى: «إن أعظم خزائن السكتب في الإسلام ثلاث خزائن... الثالثة: خزانة خلفاء بني أمية

(١) صبح الأعشى - ط دار السكتب ج ١ ص ٤٦٦، ٤٦٧.

(٢) نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ٣٧١. والإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ط دار السكتب ص ٢٤٦.

(٣) حضارة العرب لجوستاف لوبون ترجمة عادل زعير ط دار إحياء السكتب العربية ص ٥٢٧.

(١) نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ٣٧١.
(٢) المعجب للمراكشي ص ٦١.

ولا ينبغي ذلك عدم تعرض الكتاب لهم وإغفال ذكرهم .

وجدير بهذه المكتبة أن تقيه نخرا بمنجبة ممتازة من أساطين العلم والأدب ، ترددوا عليها واستفادوا من نقائسها ، ونذكر من هؤلاء أبا علي القالي صاحب الامالى ، والخطيب الفقيه منذر ابن سعيد البلوطى قاضى قرطبة فى عهد كل من عبد الرحمن الناصر وابنه الحكيم المستنصر ، وأبا بكر محمد بن الحسن الزبيدى النحوى الاديب صاحب أخبار النحويين ، ومختصر كتاب العين . وغيرهم من الاعلام والنسابين .

ومن دواعى الاسى أن هذه المكتبة لم تعمر طويلا ، ولم تستمر فى أداء رسالتها العلمية على الوجه الاكمل ؛ فإنه عقب وفاة مؤسسها وداعيا الحكيم الثانى عدت عليها العوادي وامتدت إليها اليد التى لم تعرف للعلم قدره وقداسته ، وقد تحدث أكثر من مصدر عن حصار البربر لقرطبة أثناء المحاولة الفاشلة التى قام بها المنصور بن أبى عامر للاستيلاء على السلطة ، وأثناء ذلك الحصار أخرجت المكتبة من خزائنها فى القصر الملوكى وأحرق بعضها وأتلف البعض الآخر . وسوف أكتفى هنا بإجمال رواية القاضى صاعد الأندلسى التى تعتبر فى رأي أقرب إلى الاقناع بها فأقول : إن المنصور بن أبى عامر الذى تطلع إلى السلطة

ومهاد هذا النظام هو الفهارس التى جمعت فيها أسامى الكتب ورتبت بحيث يعمد إليها المطالع أولا حتى يستطيع تحديد نوع ورقم الكتاب الذى يريد قراءته . ومن المعلوم أن هذا هو النظام المعمول به فى معظم مكاتب عصرنا الحاضر . حدث أبو محمد بن حزم قال : « وأخبرنى تليد الفتى - وكان على خزانة العلوم بقصر بنى مروان بالاندلس - أن عدد الفهارس التى كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، فى كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط ، (١)

ويلاحظ أن من تناولوا هذه المكتبة بالذكر قد أغفلوا الحديث عن رجالها الذين كانوا يقومون بالخدمة المكتبية فيها يستثنى من ذلك رواية ابن حزم السابقة - وقد نقلها عنه كل من جاء بعده من الكتاب - والتى تضمنت اسم واحد من العاملين بها وهو تليد الفتى الذى شغل منصب الخازن (أمين المكتبة) ومن البدهى أن مكتبة على هذا القدر من الكبر لا تكتفى بواحد فى إدارتها وتسميل الخدمة فيها ، بل إن المنطق ليجزم بأن أكثر من واحد كانوا - إلى جانب تليد - مخصصين للعمل بالمكتبة متفرغين لخدمة روادها ،

(١) جبهة أنساب العرب لابن حزم تحقيق ليفى بروفنسال . ط دار المعارف ص ٩٢ .

وتهددت زعامة قرطبة على الجناح الغربي من العالم الإسلامي ، ثم تلاشت مع بداية القرن الخامس الهجري بزوال ملك الجماعة ووجود ما يعرف في تاريخ الأندلس بملوك الطوائف فتسربت المكتب من قصر قرطبة إلى كل مكان (١) .

ولم يعد يسمع بعدئذ خبر عن تلك المكتبة الخالدة التي كانت ذات تأثير كبير في الحركة العلمية الرائدة بالأندلس على امتداد القرن الرابع الهجري ؟

محمد جبر أبو - عودة

(١) انظر طبقات الأمم لمساعد الأندلسي

ص ٨٨ ، ٨٩ .

ورام الاستئثار بها دون هشام المؤيد الذي خلف أباه الحكم الثاني - وكان هشام ما يزال صبيًا صغيرًا - أراد أن يتقرب إلى العامة من الناس ويتودد إليهم فاستخرج كتب الفلسفة والنجوم وغيرهما من علوم الأوائل ، وفصلها عن سائر المكتب وأحرق بعضها وقذف بالبعض الآخر في آبار القصر وهمل عليها التراب ، حيث كانت هذه المكتب - على حد قوله - مدمومة عندهم بل كانوا يتهمون قراءها بالإلحاد والزيف !

ولم يكن هذا العمل - الذي يذكره المنصور بالاستنكار - هو الفصل الأخير من قصة حياة مكتبة قرطبة وإنما كانت الخاتمة عندما تفرقت كلبة الأندلس عقب وفاة المنصور عام ٥٣٩٣هـ ،

يقول الله تعالى :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، (الجمعة . الآيات ٢ - ٥)

تصحیحات لكتاب لسان العرب فقط طبعته

لأستاذنا محمد عبد الحارث العزيمية

- ٣ -

- (٢٦) بيت الطرماع :
وقعن اثنتين واثنتين وفردة
يبادرن تغليسا سمال المدهان
روى هكذا في المذكر والمؤنث ص ١٩٧
وفي المخصص ج ١٧ ص ٢٤ : تبادر
وحرف في اللسان (زوج) فذكر ينادون
بالياء والنون مكان يبادرن . السمة : بقية
الماء في الخوض . المدهن : نفرة في الجبل
يستنقع فيها الماء . ط بولاق ج ٣ ص ١١٦
س ٧ ، ط بيروت ج ٢ ص ٢٩٢ س ١٩ .
- (٢٧) بيت رؤبة :
إن تشف نفسي من ذبابات المسك
أجز بها أطيب من ريح المسك
روى (أجز) بالجيم والزاي في المذكر
والمؤنث ص ١٩٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق
ج ١ ص ٦ ، وحرف في اللسان (مسك) إلى
(أحر) بالحاء والراء المهملتين في موضعين
(أجز) جواب الشرط لم يقترن بالفاء شذوذا .
ضبط في ديوان رؤبة (أن) بفتح الهمزة
وهو خطأ .
- ط بولاق ج ١٢ ص ٢٨٦ س ٢١٦ ط
بيروت ج ١٠ ص ٤٨٧ س ٢١ ، ١١٥ .
(٢٨) البيت :
إذا اصطكت بضيق حجراتها
تلتقي مسجدية واللطم
حجراتها ، بفتح الحاء في المذكر والمؤنث
ص ٢٠٧ ، وفي مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤١٥
وضبطها اللسان في (عسجد ، لطم) بضم الحاء
وهو ضبط خاطئ . لأنه نص في (حجر) على
أن الحجرة بمعنى الفاحية بفتح الحاء .
ط بولاق ج ٤ ص ٣٨١ س ٢٠ ، ج ١٦
ص ١٧ س ٤ .
ط بيروت ج ٣ ص ٢٩٠ س ١٢٥ ، ج ١٢
ص ٥٤٣ س ٢٠ ب .
(٢٩) المثل دياكل وسطا ويراض حجرة ،
يربض ، بكسر الباء في المذكر والمؤنث ص
٢٠٧ ، وفي مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤١٥ ونص
على ذلك أيضا اللسان في (ربض) وليكن
في (حجر) ضبطت الباء في يربض بالضممة
وهو خطأ . المثل يضرب لمن يساعذك
مادمت في خير .

- ط بولاق ج ٥ ص ٢٤١ س ٥ ، ط بيروت (٣٢) بيت الشياخ :
ج ٤ ص ١٦٩ س ١١٦ .
كأن نطاة خير زودته
(٣٠) بيت جرير :
بكور الورد ريثة القلوع
وهبان مدين لو رأوك تنزلوا
ضبط في اللسان (نطا) بكور ، بالرفع ،
وكذلك ريثة ، وهما منصوبان صفة لموصوف
محذوف ، أى حمى تباكر بورودها جسمه ،
وريثة القلوع : بطيئة في مفارقة جسمه .
نطات خير : حصن .
يا أم طلحة ما لقينا مثلكم
في المنجدين ولا بغور الغائر
وانظر المذكر والمؤنث ص ٣٢١ وديوان
الشياخ ص ٥٧ .
ط بولاق ج ٢٠ ص ٢٠٦ س ٨ ، ط
بيروت ج ١٥ ص ٣٣٢ س ٢٢ ب .
وفي اللسان (رهب) ضبط (رأوك)
بفتح الكاف والصواب كسرهما لأن المخاطب
أم طلحة في البيت السابق .
كذلك ضبط في اللسان (الغادر) بضم
الراء والصواب الكسر .
أجزت بفتحة بيض خفاف
كسأهم تملهم سباط
ط بولاق ج ١ ص ٤٢١ س ١٢ ، ط
بيروت ج ١ ص ٤٣٧ س ١٢١ .
(٣١) في اللسان (ملح) بيت جرير :
إلى المهلب جدد الله دابراهم
أصوا رمادا فلا أصل ولا طرف
روى هكذا في المذكر والمؤنث ص ٢٢١
بضم ميم (تملهم) وفي المصباح المنير .
ملكت الخبز واللحم في النار ملا من
باب قتل ، .
والرواية : آل المهلب كما في ديوان جرير
ص ٣٩٠ والكامل للبهر ج ٧ ص ٤١ .
ط بولاق ج ٣ ص ٤٣٨ س ٤ ، ط بيروت
ج ٢ ص ٦٠٠ س ١٢٠ .
ضبط في اللسان (سبط) بفتح ميم (تملهم)
وكذلك في ديوان الهزليين ج ٢ ص ٢٩
سباط : الحمي .

- ط بولاق ج ٩ ص ١٨٣ س ١٨، ط بيروت
ج ٧ ص ٣١١ س ٢٥ ب .
- ط بولاق ج ٣ ص ٢٨١ س ١٣ ، ط
بيروت ج ٥ ص ٤٥٥٢ س ٢٤ ، ٢٥ ، س
٢٨ ب .
- (٣٤) الإييام ، بكسر الهمزة : الدخان
هكذا بهذا الضبط في المذكر والمؤنث ص ٢٢٤
وفي اللسان (آم) ، وفي ديوان الهزليين ج ١
ص ٢٠٩ .
- ط بولاق ج ٢ ص ٤٣٢ س ١٧ ، ط بيروت
ج ٢ ص ١٢٧ س ١٥ ب .
- (٣٥) البيت :
ويأكل الحية والحيوتا
ويدمق الأقفال والتابوتا
- يدمق : يكسر روى هكذا في اللسان
(أظ ، دمق) وحرف في (حي) إلى
ويدمق الأغفال .
- ط بولاق ج ١٨ ص ٢٤١ س ١٤ ، ط
بيروت ج ١٤ ص ٢٢٠ س ١٤ ب .
- (٣٦) في اللسان (روح) : د الريح ،
هو عند سيبويه فعل ، وعند أبي الحسن
فعل أو فعل ، .
- والصواب العكس فرج عند سيبويه يحتمل
أن يكون فعلا أو فعلا وعند أبي الحسن
الآخفش فعل لا غير :
- انظر كتاب سيبويه ج ٢ ص ٣٦٤ ،
والمقتضب ج ١ ص ١٠١ .
- ط بولاق ج ٣ ص ٢٨١ س ١٣ ، ط
بيروت ج ٥ ص ٤٥٥٢ س ٢٤ ، ٢٥ ، س
٢٨ ب .
- (٣٧) بيت رؤبة :
كسر من عيذه تقويم الفوق
ضبط في اللسان (فوق) بنصب (تقويم)
والصواب الرفع .
- انظر أراجيز العرب ص ٣٣ ، والديوان
ص ١٠٧ .
- ط بولاق ج ١٢ ص ١٩٥ س ١٩ ، ط بيروت
ج ١٠ ص ٣٢٠ س ١١ .
- (٣٨) في اللسان (نحر) د وناقة
نحير ، ونخيرة في أئيق نحرى) والصواب
في أئيق ، بتقديم الياء على اللون كما في المذكر
والمؤنث ص ٢٢٧ وقد تكلم على أئيق وما تحتمله
من القلب المكاني وغيره سيبويه ج ١ ص
٣١٧ ، ج ٢ ص ١٢٩ ط بولاق ج ٧ ص
٤٨ س ١٠ ، ط بيروت ج ٥ ص ١٩٥ س
٢٦ ب .
- (٣٩) في اللسان (عصر) د قال منصور
ابن مرثد الأسدي ، .
ومثله في العيني ج ٤ ص ٤٤٤ .
- والصواب : منظور بن مرثد الأسدي كما
في السمط ص ٦٨٤ وترجمته في الخزانة ج ٢
ص ٣٣ ، ومعجم الشعراء ص ٣٧٤ ط بولاق

ج ۶ ص ۲۵۳ س ۱ ، ط بیروت ج ۴ ص ۶۰۴ س ۱۸۰۱۷ ، ط
بیروت ج ۲ ص ۶۰۴ س ۱۲۰۰۱۸

(۴۰) فی اللسان (ملح) و ملحت الناقة
فهی ملح : سمعت قایلا ، ومنه قول عروة
ابن الورد :

أقننا بها حیناً وأکثر زادنا

بقیة لحم من جزور ملح ،

وقال ابن الانباری فی المذکر والمؤنث
ص ۲۷۶ فی باب ماجاء من التبعوت علی
(مفعول) بکسر العین : و ناقة ملح ، إذا کان
فیها شیء من الشحم ، قال عروة :

ینوون بالایدی وأفضل زادم

بقیة شحم من جزور ملح

وکذلك ذکر ابن سیدة فی المختص ج ۱۶
ص ۱۲۳ - ۱۳۴ فی باب (مفعول) .

فعلی هذا یکون صحۃ کلام اللسان و ملحت
الناقة ، بالبناء للفاعل فهی ملح اسم فاعل .

(۴۱) المثل و سبق درته غراره ، ضبط
فی اللسان (غر) برفع درته ونصب غراره
والصواب العکس كما فی المذکر والمؤنث
ص ۲۷۷ وجمع الأمثال ج ۱ ص ۳۳۶ .
والمعنی كما یقول المیدانی : سبق شره خیره .
الغرار : قلة اللبن . والدرة : کثرته .

ط بولاق ج ۶ ص ۲۲۱ س ۱۰ ، ط
بیروت ج ۵ ص ۱۷ س ۱۱۵ .

(۴۲) الا بیات التي مطلعها :
لقد ترکت فؤادک مستجنا

مطوقة علی فنن تغنی

نسبت فی اللسان (لحن) إلی یزید بن النعمان
وهی فی سمط اللآلئ لبریه بن النعمان .

ط بولاق ج ۱۷ ص ۲۱۵ س ۲۰ ، ط
بیروت ج ۱۳ ص ۲۸۱ س ۱۶ ب . (یتبع)

محمد عبد الحالی عظیمی

قال رسول الله صلی الله علیه وسلم :

«تابعوا بین الحج والعمرة فإنهما ینقیان الفقر والذنوب كما ینقی الذکر خبث
الحدید والذهب والفضة و لیس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة .»

(رواه أحمد والترمذی والنسائی)

ما يقال عن الإسلام

التشريع الإسلامي

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

على هذه الدراسة ، لذاتها وبصرف النظر
عن أى أغراض استعمارية .

وقد عرضنا فى مقال سابق للدراسة
الموجزة التى قام بها الأستاذ « بوسكيه »
الفرنسى عن الفقه الإسلامى ونعرض الآن
لدراسة أخرى بقلم الأستاذ « يوسف شاخ »
سجلها فى كتاب بعنوان « مدخل إلى التشريع
الإسلامى » ، Islamic An Introduction to
صدر هذا الكتاب سنة ١٩٦٤ 1964 Law,
أى منذ أربعة أعوام ولهذا الأستاذ المعروف
بدراساته الإسلامية كتاب آخر صدر منذ
زمن وطبعته الثالثة سنة ١٩٥٩ ، هو أصول
الفقه الإسلامى The Origins of Muham
هذا إلى جانب مقالات كثيرة madan Law
فى مجلات الاستشراق .

وقد كتب المؤلف كتابه متبعاً منهجاً
يقسم البحث جزأين ، الأول تاريخى ، يتبع
فيه نشأة التشريع الإسلامى والثانى موضوعى
يتحدث فيه عن الموضوعات المختلفة التى

خاض المستشرقون فى معظم العلوم
الإسلامية ، ولكنهم لم يلتفتوا إلى الفقه
الإسلامى أو التشريع الإسلامى ولم يصوبوا
إليه أنظارهم ويوجهوا عنايتهم فى الدراسة
والبحث ، اللهم إلا منذ عهد قريب جداً .
كانت عنايتهم فى القرن الماضى موجهة إلى
التصوف ثم إلى علم الكلام والفرق الإسلامية
واهتموا بدراسة العلوم كالحساب والهندسة
والفلك والطب ، وذلك منذ القرن الماضى
كما استمراهتمامهم بالقرآن وما يتصل به سارياً
وبعلوم الحديث جازياً . أما الفقه الإسلامى
فقد انصرفوا عنه ، ولعل ذلك يرجع
فى الأغلب إلى أن الدول الإسلامية التى
خضعت للاستعمار ، الانجليزى أو الفرنسى
هجرت أحكام الفقه الإسلامى وأصبحت تطبق
القانون المدنى ، المستمد فى الغالب من القانون
الفرنسى . وبذلك لم يعد للفقه الإسلامى إلا
أهمية تاريخية ، اللهم إلا فى العبادات .

ومع ذلك فالفقه الإسلامى جدير فى ذاته
بالدراسة . وقد توفر بعض الباحثين فى أوروبا

هو كتاب الله ، المنزل على النبي ؛ ولا جرم أن القرآن وحى إلهى وتشريع سماوى معظم عنايته بالأصول العامة ، وفيه بعض الآيات المتعلقة بالفروع ، وقد قيل : لا اجتهاد مع النص .

والمصدر الثانى هو السنة النبوية ، من قول أو فعل أو إقرار ، والسنة مبينة للكتاب وفيها تفصيل لبعض ما جاء مجملا فى القرآن . فإن لم يوجد نص فى الكتاب أو السنة ، لجأ الفقيه أو القاضى ، إلى الاجتهاد برأيه لحديث الرسول عليه السلام عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله كيف يقضى ؟ فكان جوابه أن يبدأ بالكتاب ، ثم بالسنة ثم يجتهد برأيه إن لم يجد نصا فى أى واحد منهما ، ومعنى ذلك أن الاجتهاد ، مبدأ مقرر فى حياة الرسول ، وليس مستمدا من مصادر أجنبية .

وهذا ما بينه المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق فى محاضراته ، ونشره فى كتابه وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، وذهب فيه إلى أن التفكير المبكر الاصيل والمتجرد من أثر الثقافات الأجنبية هو أصول الفقه ، وبخاصة الشافعى فى رسالته .

أما أن يقال إن الفقه الإسلامى فى نشأته لم يكن إسلاميا بحتا ، وإنما تأثر بالفقه اليونانى والرومانى ، وبالشرعية الموسوية ،

ينقسم إليها الفقه الإسلامى ، كالإيجار والبيع والرهن وغير ذلك وهذه قسمة عادلة ، لأن البحث فى تاريخ التشريع الإسلامى شىء يختلف عن البحث فى التشريع نفسه بحسب ما انتهى إليه فى الوقت الحاضر .

ومن مزايا هذا الكتاب أنه يعنى بالمراجع ويسجل ثبوتا يكاد يكون وافيا بالموضوع فضلا عن الرجوع إلى المؤلفات الحديثة فى الفقه الإسلامى المكتوبة بأقلام عربية ، سواء من رجال القانون المحدثى مثل كتاب مصادر الحق للدكتور السهورى أو بأقلام المتخرجين فى الأزهر مثل كتاب تاريخ التشريع الإسلامى للرحوم الأستاذ الحضرى (١) بك ، والشيخ المرحوم محمد يوسف موسى فى كتابه مدخل لدراسة الفقه الإسلامى ، وغير ذلك .

ونحن لا ننتظر من المستشرقين أن يلبوا بتاريخ التشريع الإسلامى للمام جميع أهله وأربابه . لا شك أن التشريع الإسلامى بعيد عن التأثر بالثقافات الأجنبية ، على خلاف ما قيل بالنسبة للفلسفة ، أو علم الكلام ، أو التصوف بل لقد قيل إنه النحو العربى قد تأثر بالفلسفة اليونانية .

وعلة ذلك أن المصدر الاول للتشريع

(١) نشأ الحضرى بك نشأة أزهرية ثم انتقل منها إلى نوع آخر من التعليم .

أبي بكر ، أفق بعدم قطع يد السارق في عام الجماعة ، وبيان ذلك فقهما خاضع للقاعدة الشهورة بأن الضرورات تبيح المحظورات . ولكن ليس هذا ما نقصد إليه ، إذ أن الاجتهاد في هذه المسألة من الواضح أنه يرجع إلى المسلمين أنفسهم لا إلى أى مصدر آخر . أما هذا المستشرق (١) فيقول :

إن عقوبة السارق وهى قطع اليد بنص القرآن قد عدل عنها إلى الجلد كما يشهد بذلك « يوحنا الدمشقي » الذى ازدهر فيما بين ٧٠٠ ، ٧٥٠ ميلادية ، دليل على صعوبة فرض عقوبة لم تكن معروفة عند العرب . نقول : إن عقوبة قطع اليد أوقفها عمر ابن الخطاب لضرورة ، وهذه الضرورة كانت موقوفة ، وليست خروجاً على نص الكتاب وقد روعيت هذه العقوبة أى قطع يد السارق على مر التاريخ الإسلامى ، ويرجع تطبيقها أو عدم تطبيقها إلى تمسك الحاكم بالعدل والشرع .

ويقول : إن ثمة حالات كثيرة تحمل فيها المسلمون من النص الصريح لآيات القرآن ، ومن الأمثلة على ذلك قصر الدليل على الشهادة وإنكار صحة الوثيقة المكتوبة ، مما يتناقض

فهذا شيء يعد مقحماً على البحث العلمى المجرد وتوضح فيه نية تجريد الثقافة الإسلامية من كل فضل .

وليس هذا بغريب عن مستشرق ، ويهودى يرغب فى النيل من الحضارة الإسلامية باسم البحث العلمى ، وفى الوقت نفسه يقوم بإقحام الثقافة اليهودية والإسلاء من شأنها ، بغير سند معروف .

هذه التهم الموجهة إلى الإسلام ليست جديدة ، ولكن الإصطبار على ترديد ما هو الذى يلفت النظر حقاً ، بعد أن عدل كثير من الغربيين أنفسهم عن تكرار مثل هذه الاتهامات الباطلة ، وهلى رأسها أن محمدآ عليه السلام هو الذى كان يتصرف كحاكم على المدينة بغير وحى إلهى ، وأن كثيراً من التشريع الوارد فى القرآن استمرار لها كان معروفاً إما عند العرب فى الجاهلية ، أو النصارى فى شبه الجزيرة ، أو اليهود فى المدينة .

وسنقتصر على ذكر ما أورده المؤلف من أهواء لا تتفق مع الحق أو الحقيقة ، دون الاستطراد إلى موضوعات الفقه نفسها فهى معروفة لدينا .

* * *

(١) الإشارة هنا إلى الأستاذ يوسف شاخص فى الكتاب المذكور آنفاً ، ولم تنقيد ببيان الصفحات اكتفاء بالكتاب .

قطع يد السارق من الأمور الفقهية المنصوص عليها فى القرآن . ومن المعروف أن عمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى بعد

هذا التعليم إلى معرفة بعض أليات القانون التى كانت لازمة لكل من يطلب العلم ، بالخطابة ، ، وتسربت هذه القوانين إلى الدولة الرومانية ومنها إلى قانون جستنيان ، وكذلك إلى دولة فارس الساسانية ، وإلى الشريعة التلمودية . فلا غرابة أن تتسرب كذلك إلى هذا الدين الناشئ .

نقول : إن القول بالتحليل والتحريم والإباحة التى هى الوسط بينهما ، والمندوب الذى هو أقرب إلى الوجوب ، والمكروه الأقرب إلى التحريم ، سلم من الأحكام التى وردت بنص القرآن . وليس من المعقول أن يكون القرآن الكريم ، كلام الله ، ذلك التشريع السماوى ، قد استمد أحكامه من الرواقية ، وإنما المعقول أن الحل والحرمة ظاهرة عامة لإنسانية ، شرعها الله لحضه الإنسان ، بحسب قاعدة الامر والنهى ، حين أمرنا بأفعال تأخذ بيد الفرد والجماعة والإنسانية كلها إلى الصلاح ، فأوجب علينا عبادات واعتقادات كالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم ، كما أوجب علينا معاملات مثل رد الأمانة إلى أهلها ، والوفاء بالكيل والميزان . وفى القرآن آيات ، الحرمة فيها واضحة بلفظ التحريم ، مثل حرمت عليكم الميتة الخ . وأخرى الحرمة فيها بلفظ الامر ، وعندما جاء الفقهاء ، ورتبوا الأحكام الفقهية

مع صريح آيات قرآنية تنص على كتابة عقود يوثقها شهود ، ويذكر د يوحنا الدمشقى ، الاعتماد على شهادة الشهود وحدهم باهتبار أن ذلك من عادات العرب فى زمانه ، وأكبر الظن أن ذلك أصبح مقررأ حول منتصف القرن الاول من الإسلام .

نقول : إن اعتماد المستشرقين على أخبار يوحنا الدمشقى وعدم تحرى الاخبار الواردة عند مؤرخى الإسلام ، لدليل على الهوى ، أما الكلام فى شهادة الشهود والوثائق المكتوبة ، فأمر فرعى يرجع إلى طبيعة القضايا التى يفصل فيها ، ذلك أن شهادة الشهود واجبة فى حالة الزنا ، ولا عبرة بالوثائق المكتوبة . والكتابة ضرورية فى البيع والإيجار ، وقد تعززها الشهادة ، ولم يعدل الفقه الإسلامى أبداً أو مطلقاً عن الوثائق المكتوبة .

ويقول : إن الأحكام الخمسة فى الفقه ، وهى الواجب والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والحرام ، وما يتصل بها من مصطلحات فقهية مثل قولهم بالعقد الصحيح أو الباطل ، أو الفاسد وغير ذلك ، إنما استمدته الفقهاء من الفلسفة الرواقية ، وليس لديهم دليل مؤكد على ذلك سوى ما يقولونه من أن النصارى الذين اعتنقوا الإسلام كانوا يرفلون فى حلل الثقافة اليونانية التى كانت سائدة فى الشام والعراق . وقد أدى

(ص ٢٠٢) .

غير أن المؤلف لا يلبث أن يناقض نفسه، وفي نفس الصفحة، قائلا إن هذه الصفة المقدسة للتشريع الإسلامي كانت سبباً في أن يحمل بعض ملاح لا معقولة ومتنافرة، جاءت من أن أصليين من أصوله هما القرآن والسنة.

والعناصر اللامعقولة في التشريع الإسلامي بعضها إسلامي وبعضها الآخر من أصل سابق على الإسلام. مثال ذلك الظهار، واللعان، والقسامة، حتى إن الشافعي وهو أعظم منظم للفقه لم يستطع أن ينجح في خلع صبغة عقلية على مثل تلك النظم، يرضى عنها.

مهما يكن من شيء فإن الأحكام التي يصدرها المؤلف شديدة العموم، وعرضة للنقاش الواسعة، ويبدو فيها الاضطراب والتناقض.

وقد يمكن أن يقال إن نظرته إلى التشريع جديدة، لأنه يختصمها لبحث جديد كل الجدة وهو علم الاجتماع، وهو نفسه يشير إلى ذلك ويرجو أن ينهض الباحثون بإجراء مثل هذه الدراسة لأنها لا تزال في بدايتها، إن النظرة الاجتماعية إلى الفقه يتضح منها وجود منهجين أدى كل منهما إلى وضع المذاهب الفقهية، وهما المنهج التحليلي والمنهج القياسي.

كما يبين سوسيولوجيا التشريع :
Sociology of law أن التشريع الإسلامي

فسموها في هذه الختسة المذكورة، وهو تقسيم يرجع إلى إجتهد الفقهاء من المسلمين أنفسهم وإلى دقة نظرهم وتأملهم.

* * *

ونحب أن نوجه النظر إلى الفصل الأخير وهو طبيعة الشريعة الإسلامية، إذ يتحدث المؤلف فيه عن فلسفة هذا التشريع، أهو متماسك منظم، أم متنافر مفكك لا تجمعه رابطة. أهو معقول أم لا معقول، وإذا كانت فيه أجزاء تتنافى مع المعقول فما مصدرها، وما سببها.

وفي ذلك يقول المؤلف ما خواه: إن طبيعة التشريع الإسلامي محدودة إلى درجة كبيرة بتاريخه، وتاريخه خاضع للتباين بين النظر والعمل. وهو كذلك محدود بأرض الإسلام، ملزم الدواعين في ظل الدولة الإسلامية، ولذلك فإنه لا يدعى صفة عالمية والتشريع الإسلامي شاعر بصفته الدينية وتطلعه إلى مثل أعلى ديني فالاعتبارات الدينية والأخلاقية تسود كل قاعدة من قواعده، ولقد كان أوائل الفقهاء أنفسهم هم الذين وضعوا نظام التشريع الإسلامي، ولم يستعبروا هذا النظام من الشرائع السابقة على الإسلام^(١).

(١) هذا يتعارض مع ما سبق أن قرره المؤلف من إستعارة كثير من قواعد الفقه الإسلامي من النصارى أو الروم أو اليهود أو الرواقية.

حقاً هذا بحث جديد ، ندعو فقهاء القانون فى العالم العربى والإسلامى إلى دراسته ، وبخاصة فى هذه الآونة التى يحاول فيها كثير من الباحثين تطبيق مناهج جديدة من البحث على الإسلام ، ويدهو كثير من المفكرين المحدثين إلى البحث فيه من ناحية الصفة الاجتماعية للدين الإسلامى حتى فى العبادات ، كالزكاة والحج . إلى درجة أن الصلاة التى تعد صلة فردية وشخصية بين العبد والرب ، لها صفة اجتماعية ، لأن صلاة الجمعة وكذلك العيدين لا تصح إلا جماعة ، وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد .

اصحرفؤاد الوهائى

(Sociological) . فالاجتماعى يقال فى مقابل الفردى ، أما السسيولوجى فهو البحث القائم على علم الاجتماع لا على علم النفس ، أو فى مثل هذا البحث : هل القانون ، ولذلك من المؤلف بين نية المشرع الاجتماعية ، وبين القوانين التى تصدر بالفعل وتكون خاضعة للبحث فى علم الاجتماع ، مثال ذلك أن نظام الوقف نظام سسيولوجى ، ونية الفقيه من التشريعات الخاصة بالوقف تعد من النوايا الاجتماعية لأن الواقف حين حبس العين ، وخصص ريعها على طلبة العلم مثلاً كانت نية اجتماعية . أما الصفة القانونية لهذا التشريع فهى صفة سسيولوجية .

ذو صفة فردية (١) . وأنه على الرغم من المكانة العظيمة التى يشغلها منهج الإصلاح الاجتماعى (بمعنى social) وتحسين أوضاع الضعفاء اجتماعياً فى القرآن ، فإن التشريع الإسلامى فى بنائه القانونى يعد فردياً تماماً ، وهذا واضح مثلاً من تركيب قانون الوراثة ، حيث يصبح كل وريث مالكا مباشرة لنصيبه الشخصى ؛ بل حتى فى نظام الوقف الذى كانت آثاره الاجتماعية كبيرة ، ولكنه من جهة وظيفته القانونية فردى من حيث إن ريع الوقف الذى ينص عليه الواقف له قوة القانون .

وينبغى أن نميز فى التشريع الإسلامى ، وكذلك فى غيره من التشريعات ، بين النوايا الاجتماعية للمشرع ، وبين الصفة السسيولوجية لتشريع (٢) . (ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .

(١) المقصود بصفة فردية :

individa Listic character أن التشريع الإسلامى يحتفظ للفرد بكيانه المستقل فى مقابل التشريعات التى تلغى كيان الفرد فى سبيل الجماعة ، وما أورده المؤلف بعد ذلك فى تحليله لما جاء فى القرآن دليل على نظريته ، كالزكاة المفروضة على كل فرد باعتبار أنه فرد قائم بذاته .

(٢) الصفة السسيولوجية Sociological نسبة إلى علم الاجتماع ، وينبغى التفرقة بين اجتماعى (Social) ، وبين سسيولوجى

الكتاب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

لدؤستاذ محبى الدين الألواى

- ١٨ -

الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف (١)

للشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى

مؤلف هذا الكتاب الشيخ قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى المشهور بشاه ولى الله الدهلوى - صاحب حجة الله البالغة . وتناول الكتاب موضوع أسباب الاختلاف فى الفروع من الأحكام الفقهية ، ومذاهب الفقهاء ، فأتى على أسباب اختلاف الصحابة ، موضعاً موضع الاختلاف ومتحريراً الأصل الذى أولوه وخرجوه وكذلك المحدثين ، فقد سرد مأخذهم ورواياتهم ، وكذلك أتى المؤلف على أسباب اختلاف أئمة المذاهب

الأربعة ، فقد بين الموارد التى استقى كل واحد منهم قوله منها ، وشرح الأدلة التى أقامها كل منهم لترجيح مذهبه ، ويعتبر هذا الكتاب مع صغر حجمه كثير للفوائد لسكل باحث يريد الإحاطة بهذا الموضوع الخطير . ويشمل الكتاب - مقدمة وثلاثة أبواب وثلاث فوائد . وفى المقدمة أوضح المؤلف أسباب وضع هذا الكتاب والغرض الذى أحاطت به .

(١) طبع بمصر مع تنقيح وتعليق لفيف من العلماء .

والفساد إلا ما شاء الله وقلما كانوا يسألونه عن هذه الأشياء .

ثم أخذ المؤلف في سرد بعض الأحاديث يستدل بها على قوله المذكور : عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما سأله إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ، كلهن في القرآن ، منهن : يسألونك عن الشهر الحرام فقال فيه ، ويسألونك عن المحيض . قال ابن عمر رضي الله عنهما لا تسأل عما لم يكن ، فإنني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلعن من سأل عما لم يكن . عن عمرو بن إسحاق قال : لمن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سبقني منهم ، فما رأيت قوما أيسر سيرة ولا أقل تشديدا منهم .

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى بيان مبعث الاختلاف بينهم : إذ تفرق الصحابة في البلاد وصار كل واحد مقتدى للناس في مصر من الأمصار فكثرت الوقائع وتنوعت المسائل وقطورت حياة الناس ، فاستفتوا فيها فأجاب كل واحد فيما يتعلق بالفروع والأحكام ، حسب ما حفظه واستنبطه ، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه وعرف العلة التي أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الحكم في منصوصاته ، فطرد

وقد رتب المؤلف الأبواب ترتيبا متناسقا يليق بمن يتصدى لموضوع مثل موضوع الاختلاف بين الصحابة والتابعين وكبار الفقهاء ، حيث تناول في الباب الأول أسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع ، وفي الباب الثاني بين أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء ، وفي الثالث تحدث عن أهل الحديث وأصحاب الرأي والفرق بينهما . واستهل الباب الأول بقوله :

د أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الفقه في زمانه الشريف مدونا ولم يكن البحث في الأحكام يومئذ مثل بحث هؤلاء الفقهاء حيث يبينون بأقصى جهدهم الأركان والشروط والآداب ، كل شيء ممتازا عن الآخر بدليله ، ويفرضون الصور من صنائعهم ويتكلمون على تلك الصور المفروضة ويحددون ما يقبل الحد ويحصررون ما يقبل الحصر ، إلى غير ذلك أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتوضأ فيرى أصحابه وضوءه فيأخذون به من غير أن يبين هذا ركن وذلك أدب . وكان يصلي فيرون صلاته فيصلون كما رأوه يصلي . وحج فرمق الناس حجه ففعلوا كما فعل ، وهذا كان غالب حاله صلى الله عليه وسلم ولم يبين أن فروض الوضوء ستة أو أربعة . ولم يفرض أنه يحتمل أن يتوضأ إنسان بغير موالاة حتى يحكم عليه بالصحة

ولما ظهرت بعد ذلك عندما آمن أهل الحديث في جمع طرق الحديث إلخ. وثانيا - أنه لم تكن قواعد الجمع بين المخطافات مضبوطة عندهم، فكان يتطرق بذلك خلل في مجتهداتهم وثالثا - لما جاء عصر التابعين زادت المصادر فكان من كبار التابعين من له فتاوى في حوادث لم تكن في عهد النبي ولا الصحابة، كما كان لهم آراء في تقدير الصحابة من الناحية الفقهية، فمنهم من يفضل أقوال عبد الله بن مسعود - مثلا - على غيره، ومنهم من يفضل آراء علي وابن عباس إلى غير ذلك، ويقلب أن هذا الترجيح يرجع إلى البلد الذي فيه الصحابي والتابعي، وجاء بعد التابعين طبقة أخرى تعمل عمل التابعين، ثم تشعبت الطرق والمذاهب في المسائل الفقهية.

بعد أن استوهب موضوع الاختلاف بين مذاهب الفقهاء وأسبابه انتقل إلى الباب الثالث الأخير وركز فيه الكلام على الفرق بين أهل الحديث وأصحاب الرأي، وبين فيه حال الناس قبل القرن الرابع وبعده، وقال في مستهل هذا الموضوع: (كان الناس قبل القرن الرابع غير مجمعين على التقليد لمذهب واحد بعينه، قال أبو طالب المكي في قوت القلوب: إن السكتب والمجموعات محدثة، والقول بمقالات الناس والمفتيا لمذهب الواحد وإتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفتة على مذهبه

الحكم حيثما وجدها لا يألو جهداً في موافقة غرضه صلى الله عليه وسلم، فعند ذلك وقع الاختلاف بينهم للأسباب الآتية:

أن صحابيا سمع حكما في قضية أو فتوى ولم يسمعه الآخر، فاجتهد برأيه في ذلك، ومنها أن يروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل فعلا فحمله بعضهم على القرية وبعضهم على الإباحة، مثاله ما رواه أصحاب الأصول في قصة التحصيب إلى النزول بالابطح عند النقر، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به فذهب أبو هريرة وابن عمر إلى أنه على وجه القرية، فجعلوه من سنن الحج. وذهبت عائشة رضي الله عنها وابن عباس إلى أنه كان على وجه الاتفاق وليس من السنن.

وبعد أن عرض أمثلة من ضروب الاختلاف في الرأي بين الصحابة والتابعين ومباعتها انتقل المؤلف إلى أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء، وفي تناوله لهذه الأسباب رجع بها إلى النقاط الآتية، أولا: إن بعض الأحاديث الصحيحة لم تبلغ علماء التابعين من أئمة إمامهم الفتوى فاجتهدوا بأرائهم أو اتبعوا العموميات أو اقتدوا بمن مضى من الصحابة، فأفتوا حسب ذلك، ثم ظهرت بعد ذلك في الطبقة الثالثة، فلم يعملوا بها ظنا منهم أنها تخالف عمل أهل مدينتهم وسنتهم التي لا اختلاف لهم فيها، أو لم تظهر في الثالثة

المراة من أهل الرأى قوم توجروا ، بعد المسائل
المجمع عليها بين المسلمين أو بين جمهورهم ، إلى
التخرج على أصل رجل من المتقدمين ، فكان
أكثر أمرهم حمل النظر على النظر والرد إلى
أصل من الأصول دون تتبع الأحاديث
والآثار . والظاهر لمن لا يقول بالقياس ولا
بالآثار كأبى داود وابن حزم ، وبينهما
الحققون من أهل السنة كأحمد وإسحاق ...
وحسب المؤلف أنه قدم بحثا فياضا أحاط
بهذا الموضوع الخطير ؟

محى الدين الألوأى

لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرنين الأول
والثانى (١) .

وأهى المؤلف كتابه يبحث عن أهل
الظاهر وأهل الرأى ، فقال : ليس المراد
بالرأى نفس الفهم والعقل ؛ فإن ذلك لا ينفك
من أحد من العلماء ، ولا الرأى الذى لا يعتمد
على سنة أصلا فإنه لا يتجمله مسلم ، ولا القدرة
على الاستنباط والقياس ، فإن أحمد وإسحاق
والشافعى أيضا ليسوا من أهل الرأى
بالاتفاق ، وهم يستنبطون ويقيسون ، بل

(١) فص ما جاء فى الكتاب .

قال تعالى :

« واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها
وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقتضوا نفهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، .
صدق الله العظيم

« يارب الحجيج »

لك الدين يارب الحجيج جمعهم
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
أبيت ظهور السباح والعرصات
إليك انتهوا من غربة وشتات
لديك ولا الأقدار مختلفات
(أحمد شوقي)

انبثاء وآراء

● أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في «المجلس الوطني الفلسطيني» أن المخطط الصهيوني اتخذ من أرض فلسطين نقطة بداية ولن يتورع عن دفع هدفه حتى النهاية طالما أنه تمت له الفرصة . وهو يقصورها اليوم متاحة له بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ . ويترتب على ذلك أن يكون واضحاً بالنسبة لكل بلد عربي أنه لا يعطى للفلسطينيين ما يعطيه

منه أو أكثر ما أوجرد التضامن العاطفي وإنما هو يعطى ما يعطيه دفاعاً عن النفس ودفاعاً عن الحياة في إطارها الوطني وفي بعدها القومي .

● عقد «أرنولد توينبي» المؤرخ الإنجليزي مقارنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم . . ثم غاندي ، ونشرت صحيفة «الديلي ستيمان» مقالة توينبي وقد حدثت بسببها اضطرابات عنيفة في «كلكتا» احتجاجاً على ما ورد بالمقال .

إن الجمهورية العربية المتحدة تعارض بطريقة قاطعة أية محاولة لفرض أية وصاية على منظمات المقاومة ؛ لأن مثل هذه الوصاية لن تؤدي إلا إلى تعويق انطلاق المقاومة ، ومن ثم اعتراض طريق نموها الطبيعي .

● صدر قانون في جمهورية جنوب اليمن الشعبية ، يقضى بالافتصار على «اللغة العربية في جميع المكاتب الرسمية في دواوين الحكومة والمحاكم وغيرها .

● صرح مصدر خبير بالشؤون الإسلامية في مستوراها الدولي بأن : «أحد الغربيين وضع ما أسماه «مصحفاً» وادعى أنه رتبته حسب النزول ، وقد مضى على هذا الكتاب الموضوع نحواً من سبعمائة عام .

قضى هذا القانون على استعمال اللغة الإنجليزية في الدوائر الرسمية .

● نص الدستور السوداني المقترح على اعتبار «الإسلام» الدين الرسمي للدولة .

● سيطرت على «الندوة الفلسفية» التي انعقدت بالقاهرة في ذى القعدة ١٣٨٨ بخصوص تحديد أوائل الشهور العربية ثلاثة اتجاهات كان على أولها رجال المساحة ، وثانيها رجال

وهذا الخبر يلقي ضوءاً قوياً على الأحداث

بشأن ، من يحلف على مصحف . أو يحلف بالطلاق - لمرشح بانتخابه ، وذكرت الصحيفة فتوى الشيخ بخصوص ، حلف المصحف ، فقالت : إن الذى يحلف على المصحف بانتخاب شخص معين ثم ينتخب الأصلح منه للوطن يكون قد أدى الصواب ، ويكفر عن عيئته ، لأن الشرع يبيح له ذلك ، ولم تذكر الصحيفة شيئاً عن اليمين الأخرى ونضيف إلى ما نشر :

أن من حلف بالطلاق لمرشح بانتخابه ثم رأى غيره خيراً منه وأصلح للوطن ، فاختار الأصلح فيعيئته هذه كاليمين السابقة تقع وزوجه طالق ، ولا كفارة ليمين الطلاق . وإنما تجرى أحكام الطلاق نفسها ، ولا يعتبر عيئته عن إكراه .

وإذا كان لا يليق بمرشح همه الأول رعاية المصالح الوطنية ، وفي مقدمتها ، صيانة الأسرة ، اللجنة الأولى في جسد الأمة - أن يرتكب هذه الجريمة التى تفتتق الأسرة ، فإن من الحق أن يستسلم أى ناخب لهذه الجريمة ، فيضيع حق الوطن في تقديم الأصلح له ، ويهدد بناء أمرته - ثم يفقد قبل ذلك كله حرية ضميره وحسن اختياره ويتغاضى عن أقدس حقوق الوطن والأسرة ؟

على الخطيب

الفلك ، وكلاهما اعتبر الأرقام غير مخطئة ، وكان الاتجاه الثالث يمثل رجال الدين وقد اعتبر الشيخ أبو العلالينا أن أية محاولة بدون دراسة ، لباب الهلال ، خطأ ، وأن إصدار أية توصيات بلا مناقشة معناها لإجهاض الندوة ، وقال الشيخ هريدى مفتى الجمهورية العربية المتحدة : إننا نعترف بالحساب الفلكي كأساس لتحديد أوائل الشهور العربية ، ولكننى لا يمكن أن أتجاهل الأحكام الشرعية ، ولا أنكر الحديث الشريف الذى يقول (بشأن تحديد أول رمضان) : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، وعلى ذلك فإننا نختلف مع العلم في الموانع الطبيعية .

ثم تكونت لجنة فنية مهمتها تحديد الدرجة العلمية التى عندها تجوز رؤية الهلال ، ثم صرح فضيلة المفتى بقوله : إن الاعتماد على الحساب الفلكي ضرورة ، ولكن الأهم هو وضع الحد الأدنى للرؤية ، وعلى هذا الأساس سأصدر الفتوى بناء على ما يقوله المرصد ، ومع ذلك سأرسل رجال الإفتاء إلى الأماكن المحددة كتقليد ، وكلية المرصد الأساس وستكون طبقاً للأوضاع والقيود التى انتهت إليها الندوة حتى لو أبلغتني دولة عربية إسلامية لظهور الرؤية لديها .

● كتبت صحيفة يومية فتوى لفضيلة الشيخ أحمد هريدى مفتى الجمهورية العربية

فهرس أبجدي عام

للمجلد الرابعين

لمجلة الأزهر عام ١٣٨٨ هـ

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	(١)		
٢٧٦	ابن برى المصرى	٢٧٦	أحب أوض الله إلى الله
٧٦٥	الاتباع والابتداع	٧٦٥	الأحلام عند الفارابي
٦٥٥	أثر الإسلام في الأدب العربى	٢٩٧	أدب ونقد - شعراء عرفتهم
٧٦١	أحب أوض الله إلى الله	٢٨٢	إرادة القتال في الجهاد الإسلامى
٧٩٥	الأحلام عند الفارابي	١٣٩	استيطان اللغة العربية في مصر
٢١	إلى الإسلام من جديد	٢٩٣	الإسرائيليات في التفسير والحديث
٣٨٦	أول ترجمة لاتينية للقرآن	٤٩٠	الإصص الجغرافية لتاريخ الإسلام
٤٤	أيها المسلمون اعملوا لوحدة إسلامية	٤٩٥	الإسلام وحده كان سر الفتوح
	« ب »	٣٠٨	الإسلام قوة في انتظار كلمة
٩٣٢	برنامج المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية	٣٥١	الإسلام في مصاولة الحرب النفسية
	« ت »	٧٥٢	الإسلام والثقافة العربية - كتاب
٦٧٨	تأبين المغفور له الأستاذ أحمد حسن الزيات	٢٠٨	أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٧٦	تأملات (قصيدة شعر)	٢٨٩	اعتناق الإسلام والردة وأثرهما على
١٧٧	تبعات الإنسان محسوبة عليه	٦٠٤	افضل العلم
١٧	تثبيت النبي وأمة على كمال الإيمان	٥٨٦	إفطار رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
٣٢٤	تحقيقات في الإسراء والمعراج		
٦٩١	تحقيقات في المعجزة والكرامة والسحر		
٧٧٢	تربية النفس		
٧٠٥	تراث الإسلامى في الحضارة الغربية		
٢٧١	تراث الإسلامى في الحضارة الغربية		
٣٦٤	تراث الإسلامى في الحضارة الغربية		

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
حاجى خليفة	٧١٥	٧٨١ تزييف فى تفسير القرآن الكريم ...	
حامل لواء محاربة الخو (د. أحمد غلوش)	٧٣٢	٨٢٤ التشريع الإسلامى	
(خ)		٦٦٧ تصحيحات لكتاب (لسان العرب) {	
٧٧٧ خصوصيات يكرم الله بها رسوله		٧٤٧	
٢١٩ خفايا فى زوايا اللغة والأدب ...		٨٢٠	
(د)		٥٣٧ تقوى الله أفضل العسدة	
٢٩ دوس من الهجرة		٥٥١ تكليف الله لرسوله قد يكون تسكريما	
١٠٢ دعوة هود إلى الدين والدنيا ...		وتعزيزا	
٣١٩ دموع العربوبة والإسلام (فى رثاء الزيات)		٧٠٢ التكافل الاجتماعى فى ظل الإسلام	
٤٦٨ دور اليهود فى العدوان على قاعدة		٥١٦ توصيات وقرارات المؤتمر الرابع	
الإسلام فى المدينة		(الفترة الأولى)	
٣٨٥ الدين والتدين		٥٩٧ توصيات وقرارات المؤتمر الرابع	
(ذ)		لمجمع البحوث الإسلامية	
١٨٥ ذكرى ميلاد الرسول بين الواقع		(ج)	
والواجب		٦٠١ الجديد فى هذا العيد	
(ر)		٧٩٢ جرائم القتل المذكورة فى القرآن	
٥٨٢ رحالة وشاعر ومهندس		٧٥٧ جمع القرآن حسب نزوله	
٥٥٦ رسم المصحف العثمانى فى ضوء		٤٥٢ الجهاد	
الدراسة والبحث		٤٦٣ الجهاد طريق النصر	
٢٤٧ رسالة الملائكة إلى إبراهيم ولوط		٤٣٩ جوهر القضية الفلسطينية	
٨٠٠ الرشيد بين الحج والجهاد		(ح)	
(ز)		٧١ الحج : حكمه وأحكامه وأساره	
٦٨٨ زكاة الفطر		ومناسكه (كتاب)	
٥٧٨ زيادة السعر فى بيوع التقسيط ...		٧٦٩ الحج عبادة قديمة	
		٦٩٧ حضارة الإسلام تمحو شوائب الجاهلية	
		٣٦٨ حضارة اليمن فى عهد دولة سبأ ...	

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
(ع)		(س)	
العرب لا تستخذى	٣٤	السلام والحرب في الإسلام ...	١٠٨
عظمة الإسلام	٥٩٣	سيناء ... بلاد مقدسة ...	٧١٠
عظمة رسول الله	١٨٩	(ش)	
العفاف خلق إسلامي أصيل ...	٢٦٣	شهداؤنا في سبيل الحق والواجب	٥٤٦
العقيدة الدينية وأثرها في تربية النفس	٣٨	شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى	٦٧٦
العلم والهدى	٦٤٢	المروى (كتاب)	٢٣٦
العلم والعمل في ميزان الإسلام ...	٦٨١	الشيخ المدنى	٢٣٦
علاقة الدين الإسلامى بالاشتراكية	٧٨	(ص)	
على هامش المؤتمر	٤٠١	صدارة مصر الإسلامية بعد تحرير	٦٠
عنصر الصدق في المعاهدة النبوية الأولى	٣٤٦	القدس	٤٣٤
عنصر الفسكرة في الحديث النبوى {	٥٧٣	الصهيونية وأهدافها	٢١٢
عود إلى قضية السجعة والقرآن {	٣٧٢	صور من المعارك البيانية بين خصوم	٦٢٣
والباقى	٥٦٨	الإسلام وأنصاره	٢٢٣
عالم عربى معاصر يضع نظرية للسلام	٨٠٥	صيانة الأعراض	٢٢٣
عام الحزن في حياة الرسول ...	٣٣٠	(ض)	
العامل للنفس في صلة الأرحام ...	١٢٥	الضمان الاجتماعى بين الشريعة	٦٣٨
(غ)		الإسلامية والنظم الوضعية	
غزوة بدر الكبرى	٥٤١	(ط)	
(ف)		طريقة القرآن في الدعوة والإقناع	٥٦
الفقه الإسلامى	٢٢٧	١١٤	
الفكر العربى مقابل الفكر الإغريقى	٢٨٣	٢٢٤	
		٢٧٦	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	(ق)		
٢٣٩	مؤتمر لقادة الدعوة الإسلامية ...	٤٢٩	القدس في عهد الاحتلال اليهودي
٧٤	المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين	١١٨	قضية السجيع ونظم القرآن الكريم
٢٣٣		٥٦١	
٣١٣		٢٦٧	قارون هذه الامة
٤٦٠	مبدأ الجهاد بين عقائد الإسلام ...	٤٨	
١٩٩	المجتمع الفاضل في رسالة نبي الهدى	٩٥	قيس بن سعد
	والرشاد	٦٥١	
١٦١	محمد المجاهد (في ذكرى المولد) ...	٧٢٨	
	مدى الارتباط بين انتشار الإسلام		
١٥٨	واللغة العربية		
	مركز الإنسان في الوجود بين الدين والعلم		
٥٢٤			(ك)
٣٢١	المسجد الأقصى أيها المسلمون ...	٤٠٩	كلية الإمام الأكبر (في افتتاح المؤتمر
٤٤٢	المسلمون ومشكلة فلسطين ...		الرابع لمجمع البحوث الإسلامية)
٢٥٨	المساواة والمواطنة في الإسلام ...	٤٢٤	كلية السيد / حسين الشافعي ...
١٥٤	المصطلحات العسكرية في القرآن	٤١٧	كلية الدكتور محمود حب الله ...
	الكريم (كتاب)	٤١٤	كلية الوفود
٣٣٨	معجزة الإمراء	٧٨٨	الكلمات والأساليب في القرآن الكريم
٨١٠	معركة بين الكسائي وسيدويه ...		
٦٦٢	مع شاعر من أبطال المقاومة ...		(ل)
٣٩٢	مفتاح السعادة ومصباح السيادة ...	٥٣٠	لفظ القرآن ومعناه
	(كتاب)	٥٣٤	لسلة القدر
٤٤٩	مقاصد الجهاد في الإسلام ...		
٨١٤	مكتبة الأمويين في قرطبة		(م)
٣٠١	مكتبة بغداد العباسية	٢٤٠	مؤتمر تطوير المناهج الدينية بوزارة
٤٢٧	مكانة بيت المقدس في الإسلام ...		التربية والتعليم

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٤٢	الملائكة مع لوط على قومه ...	٦٨٣	نفحات الله
٥٣	من أساليب الإيجاز في اللغة العربية	٢٤٣	النقد للأدب تقويم وتقييم
٤٠٤	{ من بلاد العالم إلى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ... }	٦٠٨	نماذج من القرآن
٦١٢	من تأثير القرآن في الحياة الإنسانية		« ه »
١	من شوائب الإيمان في تبوك وفلسطين	٢٥	الهجرة سنة المرسلين
١٣٠	من صور البطولة والفداء ...	١٣	الهجرة منطلق جديد للإسلام
٦١٧	من ملاحم اليسر في الشريعة الإسلامية	٢٨٠	هذا أو أن الجدد
١٧٣	من وحى ذكرى مولد الرسول ...	٥٢١	هذا هو الشهر العظيم
٥٠١	مناقشات المؤتمر الرابع ...		« و »
٧٣٧	مهاجاة الكتاب	٦٧٠	الوجيز في العسكرية الإسرائيلية (كتاب)
٣٣٤	{ موقع الإسماء والمعراج من رسالة النبي ودعوة الإسلام ... }	٩٥	وأأسفاه على القدس
٤٤٦	{ موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في العصر الأول ... }	٨٥٥	الواو التي قبل إنها زائدة وليست
٢٠٥	مولد النور (قصيدة) ...	١٩٥	{ كذلك
١٨١	ميلاد أمة		« دى »
	(ن)	٤٧٥	اليهود كما تحدث عنهم القرآن الكريم
٤٨٢	{ نداء من حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ... }	٤٨٥	اليهود من كتابهم المقدس
		١٩٤	يوم غير مجرى التاريخ

During the Benin dynasties before Islam, the Yorobas of southern Nigeria believed in a God called "Oloron." The word signifies the owner of the Heavens. They believed that Olorn is the creator of all beings, that He is potent and might and that every soul will be at his mercy and justice.

These three examples show that the Supreme God in the beliefs of most of the west African people is the same as Allah. It is obvious that these beliefs are parallel to many of the Islamic faiths in Allah if compared with verses of the Qur'an as :

« الله الذى خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء »
(ابراهيم ٣٢)

It means : "Allah is He who created the heavens and the earth and causeth water to descend from the sky." (14 : 32)

« ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً
وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . .
(الروم ٢٤)

It means : "And, of His signs is this : He showeth you the lightning for a fear and for a hope, and sendeth down water from the sky,

and thereby quickeneth the earth after her death, do, here indeed are portents for the folk who understand." (30 : 24)

We can also find other many examples of monotheism in the cults of other peoples in east and central Africa. The kikoyo of Kenya believe in "Morongo" who spread his soul every where and who had put his powers in the sun, the thunder and the storm and whose beauty is shown to people in the bright moon and twinkling stars. Lysa, the supreme Goddess worshipped by many Bantuic tribes of central Africa, means the cause of every thing, the existence of all creatures and phenomena, the source of motions that cause, life and the sender of wind and the maker of rain.

In southern Sudan and northern Uganda most of the Nilotic tribes believe also in a Supreme God, almost called "Juok". We quote here the translation of some Shilluk songs and prayers which denote the beliefs concerning the Juok. In a song composed by king Yor they say :

"I pray to Juok, I pray to him alone For he directs the spears", and the spears thrusts are of Juok.

(to be Continued)

in the nature of the pure thought of mankind as cited in the Qur'an:

فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل
لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر
الناس لا يعلمون ، (الروم ٣٠)

It means : "... the nature (framed) of Allah in which He Hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not."

(Verse 30, Ch. 30)

Besides these major beliefs in in African thought there are other secondry faiths derived from mythological, historical and social concepts of the peoples. All these cults and beliefs, together with the cluster of rites and ceremonies, and ceremonies, inevitably lead to mental confusion and spritual instability and voidness.

Moreover, African social life and relations between communities were totally based on fanaticism and tribalism that caused perpetual struggle between peoples.

So Africans before Islam were in need of a religion that brings to their life spritual integration and social stability. They found that Islam, with its faiths corresponding to their beliefs, and with its organization for society, was

the aim. When they learnt about the principles and the main beliefs of Islam they easily accepted it because these beliefs were not very different from their nature and their thought as will be seen later.

Monotheism in African Traditional Religions

A Supreme Being in African traditional religions is a faith very similar to worshipping Allah alone. He is the creator of all, He is the omnipotent and the omniscient and He is the cause of all. Though the name of the supreme God differs from tribe to tribe He is, generally, the same as Allah with all His magnanimous descriptive names cited in the Glorious Qur'an.

For example ; the Mande people of west Africa believe in a supreme God called "Angoy." He is the first that self-existed. He then created every thing, gave life to human beings and filled the world with forces that, at his will, cause thunder and rain for punishing or rewarding people.

The Ashanties of Ghana also believe in a supreme Being called "Nionmi". He existed by himself before creation. The Heavens with stars and the world with all its features are the signs of his might and glory.

ISLAM AND AFRICAN THOUGHT

By : Mohammad Galal Abbas

General Secretary of the Society of
African Culture, Cairo.

Introduction

Most of European Africanists tried to disfigure the face of the history of Islam in Africa by adopting a theory that Islam had spread among between Africans either by means of force and direct military action against non-Islamic tribes, or by various kinds of material incitements. They used all kinds of ill-informed knowledge and superstitions to further this theory. Their main object was to provoke African intelligentsia and elite against Islam. Missionaries and colonial administrators, as well, encouraged this point of view as it was one of the implements which were used to stop the spread of Islam among non-Islamicised Africans for the sake of their colonial and religious aims. This superstition about enforcing Islam upon African peoples had been long used before independence to put Africans far away from joining the liberation movement which were taking place all over Islamic world in North Africa and Asia, and to prevent any kind of association and cooperation

with other Islamic nations struggling for freedom and independence.

Now, as Africans had recovered from colonialism and achieved their political independence, it became their duty to perceive the facts about their history and understand the true conception about Islam in Africa.

This article is intended to make clear that Islam had been intellectually accepted and spiritually welcomed by Africans and that it was not enforced or based on blind attachments or material incitements.

Some Features of African Thought

That man is born in the spirit of Islam is a fact which can be traced in all African traditional religions. Every African believes in a Supreme Being, in Etherical beings of which some are good and the others are evil, and in resurrection. It is obvious that these beliefs correspond to three of the five Islamic pillars, i.e., belief in Allah the one, Angels, and the rising of the dead. It is

Hand in hand with the value of working hard goes the value of thrift. The school works to instill the concept of thrift in its students. All pupils are urged to eat only two meals a day. It is suggested that their parents eat only one meal a day. No food is sold at the school, and pupils are inspected daily to see that they bring no food to school with them. One (Muslim) reported to the author that by cutting down the food intake of his family and stopping the practices of smoking, drinking and gambling, he increases his family budget by one-third. The school urges the students to buy only what they need, and to buy nothing at all on credit.

"Have you ever stopped to think what makes us want half the things we see in the store today? We say we want it because it can be useful to us, or because it pleases us in some way. But . . . it is possible that we were influenced by something we saw on television, or in the newspapers, or perhaps we just want to show that

old Mrs. Brown next door, that we afford the same things she purchases (even if we have to starve for it)?

It's not that it's wrong to want these things of comfort — but buying things on credit doesn't teach us the value of saving up to buy them".(1)

In addition to the concepts of working hard and thriftiness, the (Muslim) school stresses the ideal of material gain, or success. In its supplementary reading material for students, young pupils read about "Our Shoe Shop," and "Our Bakery," and "Our Factory." (2) Students learn early to patronize (Muslim) shops, and to find self-sufficiency within the Nation of Islam.

(1) Sister Audrey 3X, "Watch that Buy Now. Pay Later Deal, It'll Break you," Muhammad Speaks, Vol 1, No. 5, March 1962, p. 14.

(2) Muhammad's Children, First Reader by Dr. Christine X Johnson, University of Islam Press, Chicago, 1 11., 1964.

is the value of hard work. Even within the school system this idea of working hard is readily apparent. The schools run on two shifts with night classes in adult education as well, and the students have only one month of vacation annually. A principal in the (Muslim) schools stated :

"The students are not encouraged in the direction of what is called recreation in this country. Too much of this recreation steers them completely into immorality. We keep our school going year round. One month altogether vacation. The last two weeks in February (when Muslims usually have their annual convention to celebrate the Savior Day — the birthday of Master Wallace Fard Muhammad) and the last two week in August (summer vacation)". (1)

The religious instruction in the school condemns idleness in all members and urges the students to to help themselves by working for themselves. The white man is cited as an example of hard work and success :

"Observe the operations of the white man. He is successful. He

(1) Tape - recorded interview with a principal in the (Muslim) schools, Sept. 20 1965.

makes no excuses for his failures. He works hard in a collective manner. You do the same. If there are six or eight Muslims with knowledge and experience in the grocery business — pool your knowledge, open a grocery store — and you work collectively and harmoniously. Allah will bless you with success.(2)

The school also urges that the students get help from the whites to become self sufficient and explains:

"Ask for a start for self - help and the American white people, I believe, are willing to give us a start, providing they see that you are willing to do for yourself. This would remove from them the responsibility of trying to give jobs and schools to a lazy people — but it would also get the Negro honor and sincere friendship all over the Asiatic world, and God, Himself, would prolong their time upon the earth".(4)

The religious instruction of the school is intended to urge its pupils to work hard and promises them that God will bless them if they do so.

(2) Elijah Muhammad, Message to the Blackman in America, p. 174.

(3) Elijah Muhammad, Salaam, Vol. 1, No. 1, Philadelphia July 1960, p. 5.

not a thing. He must be dealt with, not as an instrumentality, but as a person sacred in himself. To do otherwise is to desecrate what he is . . . ⁽¹⁾

Udom also comments on the respect the (Muslim) seeks. He explains that "Mr. Muhammad's effort to inculcate a sense of pride and self-esteem among the Muslims by encouraging them to assimilate values and mannerisms that we associate with the middle class is apparent in his teachings. The Muslim's quest for responsibility within and outside the Negro community appears to be one of the determinants of their public behavior".⁽²⁾

The way the (Muslim) attempts to achieve self-respect and respectability is apparent in his public attitudes. Elijah Muhammad is referred to as the "Honorable" and his

wife is called the "First Lady."⁽³⁾

Members of the movement respectfully speak of each other as "brother" and "sister" and the school children are taught to answer people, "Yes, Sir," and "Yes, Ma'am." The sense of self-pride is also instilled through mottos which appear on the walls of classrooms. One such motto reads, "Up you mighty race. You can accomplish what you will."⁽⁴⁾ It is that the school tries to instill the value of respect for one another in its students by teaching them various respectful titles, greetings, and responses, as well as encouraging a high degree of personal esteem in the students.

"One only has to note the warmth of the greeting and handshake as two Muslims meet each other. Their very attitude bespeaks the deep love and admiration they have for each other."⁽⁵⁾

Another major value which the school tries to instill in its members

(1) Erich Fromm, "Man Is Not a Thing," *Saturday Review*, March 16, 1957, p. 9.

(2) E. U. Essien-Udom, *Black Nationalism: A Search for an Identity in America*, doctoral dissertation, University of Chicago, 1961, p. 25 (University Microfilm, Inc., Ann Arbor, Michigan).

(3) *Muhammad Speaks*, Vol. 1, No. 8, June 1962, p. 3.

(4) *Universal*, Vol. 3, University of Islam Press, Chicago, February 1965, p. 3.

(5) *Muhammad Speaks*, Vol. 1, No. 1, October-November, 1961, p. 4.

Elijah Muhammad himself speaks of education :

"The education and training of our children must not be limited to the "Three R'S" (reading, riting, and 'rithmetic) only. It should, instead, include the history of the black nation, the knowledge of civilizations of man and the universe, and all sciences. It is necessary that the young people of our Nation (Islam) learn all they can. Learning is a great virtue and I would like to see all the children of my followers become possessors of it. It will make us an even greater people tomorrow."(1)

Many of the pupils of the Universities of Islam(2) who wrote a theme on the things they would like most to be and to have showed a desire to attain knowledge and the benefits and professions derived

(1) Elijah Muhammad, Salaam, Vol. 1, No. 1, July 1960, Philadelphia, p. 7.

(2) The elementary, the preparatory, and the secondary schools in the Nation of Islam are called, "Universities of Islam." The (Muslims) wanted this to degnify their work, and to serve as a motive for the members of the Nation of Islam to make the n fullfledge Universities.

from having and education. In Chicago, 94.3 percent of students from fifth grade to twelfth grade indicated that they valued an aducation, and in Detroit 73.8 percent of students from fifth through ninth grade indicated likewise. The aspirations of the (Muslim) students seem to show a desire for education which is far from the aspirations of the disadvantaged and the lower-class Negroes. Frank Riesmann points out that one of the characteristics of the culturally deprived child is that he is anti-intellectual and ambivalent toward education.(3)

E. F. Frazier also asserts that the awareness of being a Negro belittles the Negro'shope and ambitions.(4)

A primary concern of the (Muslim) is the acquisition of respect for himself, not only by himself, but by others also. As Erich Fromm explains, "Man is not a thing The Negro is a man, and is therefore

(3) Frank Riesmann, The Culturally Deprived Child, Harper and Row, New York, 1962, p. 4.

(4) E. Franklin Frazier, Negro Youth at the Crossways, American Council on Education, Washington, D. C., 1940, p. XXI of the Introduction.

The Role of The Muslim School of The Nation of Islam In America In Cultural Renewal (IV)

BY :

DR. IBRAHIM M. SHALABY

Values :

The main objectives of the Nation of Islam⁽¹⁾ were presented to facilitate a study of the (Muslims') values, since it is not the regularity of human behavior per se which

(1) The term "Nation of Islam" has been selected by Elijah Muhammad (the Leader) to designate his people as a separate group. One of his major aims is to separate the Black man from the white man in America; and to have two or three states for the Black man to live in separately from the white man. The term "Nation of Islam" was used by E. U. Essien Udom in his dissertation, while the term "Black Muslims" was used by Charles Erick Lincoln in his dissertation and was also used by the mass media in America. However, the members of the Nation of Islam prefer the term "Nation of Islam" and dislike to refer to their group as the "Black Muslims."

constitutes the culture which a group possesses, rather, it is the common sanctions of right and wrong, good and bad, beautiful and ugly. It is the set of values which guides the members' mode of thinking and their way of action and feeling. Thus, to examine the (Muslims') attempt to initiate cultural renewal through their educational system, one must also study what the (Muslim) consider most important to their way of life — in essence, their value system.

Of growing concern to the (Muslims) student is the value of education. The leaders of the Nation of Islam stress the importance of education in several ways. They have established their own educational system for the instruction of their members, which, in itself, indicates that they consider education vital. In addition, they are attempting to educate the illiterate adult members of the group through the adult education program.

« الرجال قوامون على النساء بما فضل
الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من
أموالهم » (النساء ٣٤)

It means : "Men are the protectors and maintainers of women, because God has given the one more (strength) than the other, and because they support them from their means. . . ."

(Verse 34, Ch. 4)

Islam considers the family as a cell in the body of the community. So it must be kept healthy and protected, as much as possible, against any destructive element. This is the duty not only of the husband and his wife but of their respective families, as well as the community at large. To reach this goal the Holy Qur'an guides us and explains what should be done. It is unquestionable that the fundamental factor in this respect is the way in which the husband and his wife treat each other. It is interesting to note that the duty of the husband is not confined merely to providing his wife with food, clothes, and shelter; he must also observe her rights as a human being. The Holy Qur'an makes it clear that the husband is not permitted to deny the wife her rights as a

mate. If he does, he will be given a period of four months during which he may change his mind. If he does not, he has to face at the end of that time, the termination of his marriage; the Qur'an :

« للذين يؤلون من نسائهم تراص أربعة
أشهر » (البقرة ٢٢٦، ٢٢٧)

It means : "For those who take an oath for abstention from their wives, a waiting for four months is ordained; if then they return, God is Oft-Forgiving, Most Merciful." "But if their intention is firm for divorce, God heareth and knoweth all things."

(Verses 227&227, Ch. 2)

As for the wife, she should be obedient and harmonious in her husband's presence. In his absence, she should guard his reputation and property along with her own virtue. If she should deviate from this, her husband must verbally admonish her. If this does no good, he may refuse to share bed with her. If this fails, the husband may try a slight physical punishment if he thinks, in the light of his knowledge about her nature, this will save the family from destruction.

(To be continued)

That is why marriage should be founded on love and appreciation, then continue with mutual respect and understanding. As a sign of love the man must start his new life by presenting his prospective wife with a valuable gift. It could be money, a piece of land, or any other kind of property; as the Qur'an says which means :

"And give the women (on marriage) their dower as a free gift..."
(Verse 4, Ch. 4)

By doing this the man is proving his ability to financially support his wife, an ability about which every Muslim must be certain before marriage :

"Let those who find not the wherewithal for marriage keep themselves chaste, until God gives them means out of His Grace. . . ."
(Verse 33, Ch. 24)

This leads us to the rights and duties of each member of the marriage. We read in the Holy Qur'an :

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف . . . »
(البقرة ٢٢٨)

It means : ". . . . And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable; . . ."
(Verse 228, Ch. 2)

The best explanation for this is found in the verdict issued by the prophet (peace be upon him) when he settled a matter between the honorable Fatimah And Al-Imam Ali; as for the wife, he said she is responsible for running the home to the best of her ability in the right manner, and for taking care of the children, while the husband is responsible for working and struggling to support his family in order to satisfy their needs.

With these particular duties the family, as any other group, must have a head, a person to whom all members can look when they face some important problems, one who can communicate with the outside world in the family interest. It is the Islamic view that the husband is the one who should assume this leadership with the responsibilities attached to it. This is the meaning of the Qur'anic expression :

« وللرجال عليهن درجة . . »

It means : ". . . But men have a degree (of advantage) over them.."
(Verse 228, Ch. 2)

This is a high degree of responsibility that the man is more able to carry out because of his nature. This is made clear in the other verse that reads :

وَنَسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى
شِئْتُمْ

It means : "Your wives are as a tilth unto you ; so approach your tilth when or how ye will ; . . ."
(Verse 223 Ch. 2)

It is also the only legal means through which the Muslim, Man or woman, can satisfy the sexual desire while guarding the honor and dignity of the person. Fornication and adultery are forbidden and described as indecent actions :

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا

It means: "And come not near to adultery : For it is a shameful (deed) And an evil opening the road (To other evils).
(Verse 32, Ch. 17)

Furthermore, any Muslim who commits such a crime must be punished according to the Holy Qur'an :

وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
مِائَةَ جَلْدَةٍ (النور ٢)

It means : "The woman and the man guilty of adultery or fornication, flog each of them with a hundred stripes : let not compassion move you in their case, in a matter prescribed by God, if ye believe in

God and the Last Day : and let a party of the believers witness their punishment. (Verse 2, Ch. 24)

Marriage, from the Qur'anic point of view, is much more than a means to satisfy desires and to have sons and daughters ; it provides tranquility and peace of mind because it is built upon mutual love and compassion :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
(الروم ٢١)

It means : "And among His Signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquility with them, and He has put love and mercy between your (hearts) : verily in that are Signs for those who reflect." (Verse 21, Ch. 30)

The relationship between wife and husband is described by the Holy Qur'an as the strongest a Muslim may ever have :

وَأَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى
نِسَائِكُمْ (البقرة ١٨٧)

It means : "Premitted to you, on the night of the fasts, is the approach to your wives ; they are your garments and you are their garments. . . ." (Verse 187, Ch. 2)

WOMAN'S POSITION IN ISLAM-IV

BY :

DR. AHMAD I. MOHANNA

FAMILY

Reading the legislative verses of the Holy Qur'an carefully, one will be astonished to discover the manner in which the Holy Book treats family life. All legislative work in the Holy Qur'an is presented in general form except those laws which deal with family problems. The degree of detail with which the Qur'an presents the family laws indicates the importance Islam places on the family whose health or sickness will cause the life or death of the community as a whole.

Hereinafter the reader will find the Qur'anic law according to which the Muslim should run the life of his or her family.

MARRIAGE

From the Islamic point of view, Marriage is a means which permits Muslims to propagate a cooperative type of community and encourages Muslims to have good relations with people in the community. Islam forbids marriage between close relatives because through marriage, Muslims should seek to establish new ties among members of their

community. The Holy Qur'an says in this regard :

« وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ... » (النساء ٢٣، ٢٢)

At means : "And marry not women whom your fathers married, - except what is past; it was shameful and odious, an abominable custom indeed." "Prohibited to you (for marriage) are - your mothers' daughters, sisters; fathers' sisters, mothers' sisters; brothers' daughters, sisters' daughters ; fostermothers (she gave you suck), foster sisters ; your wives' mothers; your step-daughters under your guardianship, born of your wives to whom ye have gone in — no prohibition if ye have not gone in ; — (those who have been) wives of your sons proceeding from your loins ; and two sisters in wedlock at one and the same time, except for what is past ; for God is Oft-Forgiving, Most Merciful ;..."
(Verses 22 & 23 Ch. 4)

In Islam, marriage is the only legal means for having children and for propagating a community. We read in the Holy book :

point. Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the Ka'ba corresponds with the Pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth. The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass.

Recognising a very high antiquity for the Ka'ba, Mr. William Muir writes "Tradition represents the Ka'ba as from time immemorial the scene of pilgrimage from all quarters of Arabia; from Yemen and Hadramaut, from the shores of the Persian Gulf, the deserts of Syria, and the distant environs of Hira and Mesopotamia, men yearly flocked to Mecca (Makka). So extensive a homage must have had its beginnings in an extremely remote age." (Life of Muhammad by Muir P x e).

The fact of its being a centre of pilgrimage can only have come down from time immemorial, for there is no tradition or record showing that it was introduced at any time within historical memory.

The sacredness of Ka'ba and its connection with the names of Ibrahim and Ismail finds clear mentions in the early Makka revelations. Notwithstanding all that was said in the Holy Qur'an with regard to the sacredness of the Ka'ba and Makka, and the fact that pilgrimage to Makka had been ordained as a duty of the Muslims towards the close of the Prophet's stay at Makka, and even the fact that it was the Prophet's own desire that the Ka'ba should be made his qibla, (as clear from the Qur'anic verses of 145 - 146, Ch. 2) he continued to follow the qibla of the last Prophet before him (Al-Aqsa Mosque at Jerusalem) but at Makka he could turn his face to both places, to the Al-Aqsa Mosque and to the Ka'ba. As soon as he came to Madina he felt the difficulty that he could no more, as at Makka, turn his face to both places. For sixteen months at Madina, he had continued to pray with his back to Makka, because he would not do any thing of his own desire. Then the Prophet received a revelation to turn to the Ka'ba as the future qibla of the Muslim world.



It means : "And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the House, (Abraham prayed) : Our Lord ! Accept from us (this duty) . Lo ! Thou, only Thou, art the Hearer, the knower." (2 : 127)

In a long Hadith of Ibn Abbass, reported by Bukhari, speaking of Ibrahim leaving Ismail and his mother near the Ka'ba, and how long after this the father and the son re - built the house, it is said... Besides being in a ruined condition, it seems to have had idoles placed in it and Ibrahim was required to purify it of these, as stated in the Holy Qur'an :

، وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا
وانخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا
إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود ، .
(البقرة ١٢٥)

It means : "And when We made the House (at Makka) a resort for mankind and a sanctuary, (saying): Take as your place of worship the place where Abraham stood (to pray) : And We imposed a duty upon Abraham and Ismail, (saying): Purify My house for those who go arround and those who meditate therein and those who bow down and

prostrate themselves (in worship)".
(2 : 125)

The Ka'ba was again re-built by the Qureish when Prophet Muhammad was a young man and he personally took part in its building carrying stones on his shoulders. After construction a dispute arose among the tribes as to who should place the Black Stone in its place. Because every tribe was desirous of having this honour. A settlement was arrived at that the decision of the man who made his appearance first in the Ka'ba next morning should be accepted by all. The man who appeared first was Muhammad and then, there was a out cry that Al-Amin (the Faithful) had come. Finally the Holy Prophet decided to settle this dispute placing the stone in a cloth with his own hands and asking a representative of each of the tribes to hold a corner of that cloth and lift the stone to its place. The Prophet himself fixed it in its position.

All available historical evidence upholds the antiquity of Ka'ba and the fact of its being the first House of Divine Worship on earth. It is said in Islamic cosmology that before the world was created the Ka'ba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular

handed down from antiquity as a decided proof of the connection of Prophet Ibrahîm with the Ka'ba. The Holy Qur'an referred to the history, antiquity and the connection of Ibrahîm with the Ka'ba in the following verses :

« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام
إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس
حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن
كفر فإن الله غنى عن العالمين . »
(آل عمران ٩٦ ، ٩٧)

It means : "Lo ! the first sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples ; wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to pray ; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither. As for him who disbelieveth, (let him know that) lo ! Allah is Independent of (all) creatures. . . "

(3 : 96 - 97)

There is nothing in the Holy Qur'an or in the Hadith (tradition of the Prophet) to show when and by whom the Ka'ba was first built ; but it is stated in the

Holy Qur'an to be the first House appointed for mankind, in one place it is called Al-Baith al-Atiq or the Ancient House. It appears from the Holy Qur'an that the Ka'ba was already there when Ibrahîm left Ismail in the wilderness of Arabia, as the Qur'an says :

« ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير
ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . »
(إبراهيم ٣٧)

It means : "Our Lord ! Lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy Holy House, our Lord ! that they may establish proper worship ; so incline some hearts of men that they may yearn toward them, and provide Thou them with fruits in order that they may be thankful. ".
(14 : 37)

It would seem that the Ka'ba was then in a demolished condition and was rebuilt by Ibrahîm and Ismail as stated in this verse :

« ولما رفع إبراهيم القواعد من البيت
وإسماعيل ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع
العليم . »
(البقرة ١٢٧)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Hijjah
1388

ENGLISH SECTION

EDITED BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

February
1969

HISTORY OF THE KA'BA

By :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE



The Ka'ba is the first sanctuary to be erected for mankind on earth. The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot which saw the first glimmerings of the light of truth. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make their pilgrimage. As the Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion, and there is concentrated the adoration of millions, and the chief features of the Haj centre round it, something must be known about the history, name and description of this Sacred House.

The root word 'Ka'ba' means it became high and exalted or became prominent. This Sacred House is called Ka'ba on account of its glory and exaltation. It is a rectangular building, almost in the centre of

Masjid Al-Harâm (the Sacred Mosque of Makka). The front (north - east) and back (south - west) walls are each forty feet in length and the two side walls thirty-five feet each and the height being fifty feet. The door of the Ka'ba is in the north-east wall, about seven feet from the ground, near the Black Stone. A stair-case is placed in front of it to enable the visitors to reach the entrance.

The Hajar Al-Aswad (the Black Stone) is built into the wall in the east corner of the Ka'ba at the height of about five feet. It is of a reddish black colour about eight inches in diameter and is now kept in a silver bant. Within the Sacred Mosque is a small building called the Maqâm Ibrahim. It means the place of Ibrahim, and this name

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٩١	أحب أرض الله إلى الله	٨٠٠	الرشيد بين الحج والجهاد
٧٩٥	الانتباذ والابتداع أو القديم والجديد	٨٠٥	من أمجادنا :
٧٩٩	الحج عبادة قديمة	٨١٠	معركة بين الكسائي وسيبويه
٧٧٢	تحقيقات في المعجزة والكرامة والسحر - ٢ -	٨١٤	مكتبات خالدة : - ٢ -
٧٧٦	تأملات (قصيدة شعر)	٨٢٠	تصحيجات لكتاب لسان العرب للطبعية - ٣ -
٧٧٧	قصائد القرآن :	٨٢٤	ما يقال من الإسلام :
٧٨١	تزييف في تفسير القرآن الكريم	٨٣٠	المكتب :
٧٨٨	الكلمات والأساليب في القرآن الكريم	٨٣٤	أبناء وآراء
٧٩٢	جرائم القتل المذكورة في القرآن	٨٣٦	فهرس أجمدى عام للفجلد الأربعين
٧٩٥	الأحلام عند الفارابى		

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — History of the Ka'ba	A. M. Mohiaddin Always	1
2 — Woman's Position in Islam - IV. . .	Dr. Ahmad I. Mohanna	5
3 — The Nation of Islam in America . .	Dr. Ibrahim M. Shalaby	9
4 — Islam and African Thought.	Mohammad Galal Abbas	14

مطبعة الازهر

التمن أربعون مليا

